القرآن

ونقض مطاعن الرهبان

الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي

دار القلم
دمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ:

﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ [النساء: ٨٢].

وقال اللهُ عزَّ وجلَّ:

﴿وإنه لكتاب عزيز ﴿٤١﴾ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ [فصلت: ٤١ ـ ٤٢].

❖ ❖ ❖

القرآن

وَنَقْضُ مَطَاعِنِ الرُّهْبَانِ

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

حقوق الطبع محفوظة

تُطلب جميع كتبنا من:
دار القلم - دمشق هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٤٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣
الدار الشامية - بيروت هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١) ص.ب: ١١٣/٦٥٠١
www.alkalam-sy.com

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:
دار البشير - جدّة: ٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

مقدمة

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه، ونتوبُ إليه ونستغفرُه، ونَعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أَعمالِنا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأَشهدُ أَنْ لا إِلٰه إلّا الله، وحْدَه لا شريكَ له، وأَشهدُ أَنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه، وعلى آلِه وصحبه أَجمعين.

أما بعد:

فهذا الكتابُ هو الثاني عشر من السلسلةِ القرآنية التي أَعانَنا اللهُ على إِصدارها «من كنوز القرآن»، وللهِ الحمدُ والشكر.

وقد خَصَّصْنا هذا الكتابَ «**القرآن ونقض مطاعن الرهبان**» للانتصار للقرآن، والدفاعِ عنه أَمامَ هجماتِ أَعدائِه، الذين انْتَقَصوهُ وخَطَّؤوه، وأَثاروا حولَه الشبهات، ووجَّهوا له الاتهامات، وتَعامَلوا معه بعَداوَةٍ وتَحامُل.

أَدَرْنا هذا الكتابَ لتفنيدِ اتهاماتٍ وجَّهها له أَحَدُ رجالِ الدين النصارى - أَو مجموعةٌ مِنْ رجالِ الدين النصارى - وزَعَمَ أَنَّ القرآنَ ليس معصوماً من الأَخطاءِ، ففيه مجموعةٌ من الأَخْطاءِ، تُعَدُّ بالعَشَرات، في مختلفِ المجالات، وشَتّى الموضوعات.

الكتابُ الذي خَصَّصْنا كتابَنا للرَّدِّ عليه وتَفنيدِ شُبهاتِه واتهاماتِه هو: «هل القرآنُ معصوم؟» ونُسِبَ إِلى رجلِ دينٍ نصرانيّ، هو «عبد الله الفادي». ويَبدو أَنَّ هذا الاسْمَ مستعار. وصَدَرَ الكتابُ عن مؤسسةٍ تنصيرية في النمسا، اسْمُها «ضوءُ الحياة»، وظهرتْ طبعَتُه الأُولى عام (١٩٩٤م)، وتوزِّعُه هيئاتُ ومراكزُ التبشيرِ النصرانية، ودَعَتْ مؤسسةُ «ضوءِ الحياة» إِلى مراسلتِها، لإِرسالِ الكتابِ لمن يَطلبونَه، كما أَنها أَنْزَلَتْه على «الإنترنت».

والظاهرُ أَنَّ هذا الكتابَ ثمرةُ جهودٍ مشتركةٍ لمجموعةٍ من رجالِ الدينِ النصارى، تَفرَّغوا للنظر في القرآن، بهدفِ انتقادِه، وبيانِ أَخْطائِه وتناقُضاتِه ـ حسبَ مزاعِمهم ـ ويَبدو أنهم رَدَّدوا ما قالَه اليهودُ والنصارى من قبلِهم، وظَنّوا أَنهم بذلك سيقضونَ على القرآن، ويوقفونَ انتشارَه، ولكنْ خابَ ظَنُّهم، فالقرآنُ غالبٌ منصور، ونورُه منتشرٌ مشرق، يفتحُ اللهُ له القلوبَ والعقول، في الغرب والشرق.

وبما أَنَّ الكتاب «هل القرآن معصوم؟» في الظاهر من إِعدادِ مؤلِّفٍ واحد، هو «عبد الله الفادي» فسننظرُ إِليه وننقدُه على هذا الأَساس، ونستعينُ عليه بالله.

أَخبرَ «عبدُ الله الفادي» في مقدمةِ كتابه أَنه «رجلُ دينٍ نصراني» حريصٌ على القيام «بخدمةٍ منتجةٍ دائمةِ الأَثرِ للجنس البشري»، وأَنْ يُقَدِّمَ للناس عملاً عظيماً، يَخدمُهم ويُقدمُ فيه الخيرَ لهم. فماذا سيقدِّمُ لهم، وبماذا سيخدمُهم؟.

رأى أَنَّ أَفضلَ ما يخدمُهم به هو أَنْ يُحَذِّرَهم من خطرٍ كبير، ويُنَبِّهَهم إِلى افتراءٍ عظيم، حتى لا يُخْدعوا به، إِنَّ هذا الافتراءَ هو القرآنُ، الذي ادَّعى محمدٌ ﷺ أنه وَحيٌ أَوْحى اللهُ به إِليه، مع أَنَّ الفادي يوقنُ أَنَّه لا وَحْيَ بعدَ الإِنجيل، ولا رسولَ بعدَ المسيح!! فما أَتَى به محمدٌ ﷺ كَذِبٌ وإِفكٌ مفترى. قال في مقدمتِه: «. . . ولكنني كرجلِ دين، رأيتُ أَنْ أَدرسَ القرآنَ. . وبما أَنَّ اللهَ واحدٌ، ودينَه واحد، وكتابَه المقدَّسَ واحد، الذي ختمهُ بظهورِ المسيح كلمتِه المتجسِّد، وقال: إِنَّ مَنْ يَزيدُ على هذا الكتاب يَزيدُ اللهُ عليه الضرباتِ المكتوبة فيه، وبما أَنَّ القرآن يقولُ: إِنه وحي، أَخذتُ على عاتِقي دراستَه ودراسة تفاسيرِه، فدرسْتُه مِراراً عديدة، ووقَفْتُ على ما جاءَ به، ووضعْتُ تعليقاتي في قالبِ مئتين وثلاثةٍ وأَربعين سؤالاً، خدمةً للحق، وتَبصرةً لأُولي الألباب. . »!!.

ادَّعى عبدُ الله الفادي أَنه وجدَ في القرآن مئتين وثلاثةً وأَربعين خطأً،

وهذا معناهُ أَنَّ القرآنَ ليس معصوماً من الخطأ، ومعناهُ أنه ليسَ وَحْياً من الله، وليس كلامَ الله، إِذْ لو كانَ كلامَ الله لما وُجدَ فيه خطأٌ واحد!! وإذا لم يكن القرآنُ كلامَ الله، لم يكنْ محمدٌ رسولاً من عندِ الله، وإنما هو مُفْتَرٍ مُدَّعٍ، ومعنى هذا أَنَّ الإِسلامَ ليس ديناً من عندِ الله، وأَنَّ مَنْ يَعتنقُ الإِسلام فهو كافرٌ وعلى دينٍ باطل! والدينُ الوحيدُ المقبولُ عند الله هو الدينُ اليهودي والدين النصراني، واليهودُ والنصارى هم وحدهم المؤمنون الموَحِّدون!!.

قَسَّمَ الفادي أَسئلتَه عن القرآن، التي عَرَضَ فيها أَخطاءَ القرآنِ، إلى عشرةِ أقسام؛ هي: أَسئلةٌ جغرافية، وأَسئلةٌ تاريخية، وأَسئلةٌ أخلاقية، وأَسئلةٌ لاهوتية، وأَسئلةٌ لغوية، وأَسئلةٌ تشريعية، وأَسئلةٌ اجتماعية، وأَسئلةٌ علمية، وأَسئلةٌ فنية، وأَسئلةٌ خاصةٌ بحياةِ رسولِ الله ﷺ.

وجاءَ الكتابُ في مئتين وتسعٍ وخمسين صفحة.

وتُوَزِّعُ الكتابَ هيئاتٌ وجمعياتٌ تنصيرية، بطريقةٍ خاصة، وتوجِّهه إلى المسلمين، بهدفِ تشكيكِهم في القرآن، الذي يؤمنون به، وتَدْعوهم هذه الهيئاتُ إلى التعجبِ من وجودِ مئاتِ الأَخطاءِ في كتابهم!!.

ومن بابِ الكيدِ واللؤمِ والخبث، وضعت الجهةُ التنصيريةُ المشرفةُ على تأليفِ الكتابِ وطَبْعِه ونَشْرِه وتوزيعِه بين المسلمين في آخرِ الكتاب مسابقةً مكوَّنةً من عشرةِ أَسئلة، لتتأَكَّدَ اللجنةُ من أَنَّ القارئَ قرأَ الكتاب، واستوعَبَ ما فيه، وطالَبَتْهُ بالإِجابةِ على الأسئلة، وإرسالِ الإجاباتِ إليها، لتُقَدِّمَ له الجوائز.

قالت اللجنةُ في بدايةِ المسابقة: «أيها القارئُ العزيز: إنْ تعمقْتَ في قراءةِ هذا الكتاب، تستطيعُ أَنْ تُجاوبَ على الأَسئلةِ بسهولة. ونحنُ مستعدّون أَنْ نُرسلَ لك أَحَدَ كتبِنا الروحية، جائزةً على اجتهادِك.. لا تنسَ أَنْ تكتبَ اسْمَك وعنوانَك كاملاً، عند إرسال إجابتِك إلينا..». وَوَضَعَتْ عنوانَها في النمسا لمراسلتِها..

ونَزَّلَت اللجنةُ المذكورةُ الكتابَ على الشبكةِ العنكبوتية «الإنترنت».

المشكلةُ في القِسّيس عبدِ الله الفادي أنه دَخَل عالمَ القرآنِ بمقررٍ فكريٍّ مُسْبَق، هو أَنَّ القرآنَ تأليفٌ بشريٌّ وليس كلامَ الله، وتعامَلَ معه على هذا الأَساس، وزَعَمَ وُجودَ هذه الأَخطاءِ فيه.

ومن جَهْلِ الفادي بقواعدِ البحثِ العلميِّ الموضوعيِّ المحايد أنه أَخذ كلامَ المفسرين، وما فيه من أَخطاء، وحَمَّلَ القرآنَ مسؤوليتَه، كما أَنه أَلصقَ بالقرآنِ ما أَخذَه من خرافاتٍ وأَساطير.

لا يتحمَّلُ القرآنُ إلا مسؤوليةَ ما فيه من كلام، أَمّا أَفهامُ المفسِّرين لكلامِه فلا يتحملُ مسؤوليتَها، لأَنها فهمُ البشرِ لكلامِ الله.

وقد رأَيْنا من المناسبِ أَنْ نَرُدَّ على كتابِ الفادي «هل القرآن معصوم؟» وأَنْ نُبَيِّنَ تَهافُتَ أَسئلتِه، وتَفاهَةَ انتقاداتِه.. والذي دَفَعَنا إِلى الرَّدِّ عليه أَنه يمثلُ خُلاصةَ جُهودِ النصارى في فَحْصِ القرآن، وإِثارةِ الأَسئلةِ والشبهاتِ حوله، فهناك كتبٌ كثيرةٌ لنصارى عديدين، تنتقدُ القرآنَ، وتُثيرُ حولَه الاعتراضات، وتزعمُ الوقوفَ على أَخطاء، ولقد قرأْنا بعضَ تلك الكتب، ولدى مقارنتها بهذا الكتاب، وجدناه خلاصةً لها، فالرّدُّ عليه رَدٌّ عليها، لأَنه لَخَّصَ ما في تلك الكتب من أَسئلةٍ وتشكيكات.

إِنَّ من اليقينِ عند كل مسلمٍ أَنَّ القرآنَ كتابُ الله، وأَن اللهَ قد تكَفَّلَ بحفْظِهِ حتى قيامِ الساعة، وأَنه لا خَطَأَ في القرآن، في أَيِّ جانبٍ من جوانبه، وأَنه أَعظمُ معجزةٍ لرسولِ الله ﷺ.

وقد تحدّى القرآنُ الكفارَ أَنْ يَجدوا فيه أَيَّ خَطأ أَو اختلافٍ أَو تناقُضٍ أَو تَعارُضٍ أَو ضَعْف؛ قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

الدعوةُ إِلى تَدَبُّرِ القرآنِ موجَّهَةٌ لجميعِ الناس، المؤمنين والكافرين، يتدبَّرُ المؤمنونَ القرآنَ ليزدادوا يَقيناً أَنه مُنَزَّهٌ عن الأَخطاء، وأَنه كلامُ الله..

ويتدبَّرُ الكفارُ القرآن، ويَنظرونَ فيه، لعلَّهم يَجدونَ فيه خطأً أَو اختلافاً، فإِنْ فَعَلوا ذلك فلن يجدوا فيه ما يَبحثونَ عنه!!.

والقرآنُ لا يُوَجِّهُ الدعوةَ للكفارِ لتدبُّره واكتشافِ الخَطَأ والاختلافِ فيه، إلّا وهو واثقٌ من عَدَمِ وجودِ ذلك فيه، فلو كان فيه خَطَأٌ أَو اختلافٌ لما دخلَ معركةَ التحدي!!.

ونظرَ الكفارُ في القرآن، وبَحَثوا عن أَخطاء فيه، واستمرتْ نظراتُهم فيه أكثرَ من خمسةَ عَشَرَ قَرْناً، وما زالوا يبحثون، وما زالَ القرآنُ يَتَحَدَّاهم، ويقولُ لهم: هاتوا ما وَجَدتُم عندي من خَطَأ أَو اختلاف!.

وقَدَّمَ الكفارُ ما زَعَموا أنهم وَجَدوه في القرآن، ونَظَرَ فيه العلماء، فوجدوهُ تافِهاً مُتَهافتاً، لا وَزْنَ ولا قيمةَ له، ولا يَقِفُ أَمامَ النقدِ والتمحيصِ والرد!!.

ولقد قَدَّمَ القسيسُ عبد الله الفادي ما ذَكَرَه إِخوانُه الكفارُ ممَّا ظَنّوه أَخطاءَ في القرآن، وجَمَعها في كتابِه، وهو يظنُّ أَنه بذلك يوجِّهُ الضربةَ القاضيةَ للقرآن، ولنْ يَستطيعَ حَمَلَةُ القرآنِ وجنودُه الرَّدَّ عليها!! وتباهىٰ القسيسُ فيما قَدَّم في كتابه، وافتخرَ إِخوانُه بما سَجَّلَه، وعملوا على توزيعِ الكتابِ على أَوسعِ مدى!!.

ونشهدُ أَنَّ كَلامَ الفادي المفتري في كتابه تافِهٌ مُتَهافت، والرَّدُّ عليه وإِظهارُ تهافتِه سهلٌ ميسور، والرَّدُّ على الأسئلةِ المثارةِ مقدورٌ عليه، ولم يَأْخُذْ منا جُهداً كبيراً ولله الحمد.

ونُقَدِّمُ هذا الكتابَ «القرآن ونقض مطاعن الرهبان» إلى المسلمين، ليَزْدادوا يَقيناً بأَنَّ القرآنَ كلامُ الله، وأَنه مُنَزَّهٌ عن الأَخطاءِ والمطاعن، ولِيَقفوا على تهافُتِ وتَفاهةِ أَسئلةِ واعتراضاتِ الكفارِ عليه، وليعرفوا كيفيةَ الرَّدِّ عليها.. فقد يَلتقي أَحَدُهم مع أَحَدِ المنَصِّرينَ المُشكِّكينَ في القرآن، فيقدِّمُ له أَسئلةً مثلَ ما في هذا الكتاب، وعندما يقرأُ الردودَ التي في هذا الكتاب تسهلُ عليه الإجابةُ على تلك الأَسئلة.

لقد صَعَّد أعداءُ القرآنِ المعاصرون من شبهاتِهم ضدَّ القرآن، وحَرصوا على نَشْرِها بين المسلمين، وكثيرٌ من المسلمين سمعوا كثيراً من الأَسئلةِ المُشَكِّكة الموجودةِ في هذا الكتاب، ونَدْعوهم إلى الوقوفِ على نَقْضِها ورَدِّها في هذا الكتاب.

ونقدمُ هذا الكتابَ ليكون خُطوةً نحوَ الأَمامِ في الانتصارِ للقرآن، ومواجهةِ أَعدائِه، ونقضِ مطاعنهم، وإطْلاعِ القرّاء على نماذجَ من مكائدِ الأَعداء، وتمكينِهم من دَحْضِها.

ونسألُ اللهَ حُسْنَ القبول، وجزيل الأجر والثواب.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

الخميس ٢٨/١٠/١٤٢٦هـ **الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي**
١/١٢/٢٠٠٥م

تعريف بكتاب «هل القرآن معصوم؟»

«هل القرآن معصوم؟».

عنوانٌ مثير، لكتابٍ حولَ القرآن، ظهرتْ طبعَتُه الأُولى عام (١٩٩٤م)، وقد صَدَرَ بثلاثِ لغات: الألمانيةِ والإنجليزيةِ والعربية.

وجاءَ في صفحةِ العنوانِ أَنَّ مؤلِّفَه هو «عبدُ الله الفادي»، وهو اسْمٌ مُسْتَعار، ويَبدو أنه لم يُؤَلِّفْهُ رجلٌ واحد، وإنما أَعَدَّه مجموعةٌ من القساوسةِ والرهبان. وقد طُبعَ فى النمسا، وصَدَرَ عن مؤسسةٍ تنصيرية، اسْمها: Light of Life ومعناه: «نور الحياة»!!.

وعنوانُ الكتابِ مقصود، والاستفهامُ للإثارة، فمَعْنَى سؤالِهم: «هل القرآنُ معصوم؟» تقريرٌ أَنَّ القرآنَ ليس مُنَزَّهاً عن الخَطَأ، وإنما فيه عَشَراتُ الأَخطاءِ المختلفة، وهذا معْناهُ أنه ليسَ من عندِ الله، فلو كانَ من عندِ الله لما وُجِدَ فيه خَطَأٌ واحد!.

وقد قَسَّمَ مؤلِّفو الكتابِ كِتابَهم إِلى عشْرَةِ أَجزاء، ادَّعَوْا أَنهم وَجَدوا في كُلِّ جزءٍ منها مجموعةً من الأَخطاءِ في القرآن.

الجزءُ الأَول: أَسئلةٌ جغرافيةٌ. زَعَموا فيه وجودَ اثْنَيْ عَشَرَ خَطَأً جغرافيّاً في القرآن.

الجزءُ الثاني: أَسئلةٌ تاريخية. زَعَموا فيه وجودَ خمسةٍ وخَمسينَ خَطَأً تاريخيّاً في القرآن.

الجزءُ الثالث: أَسئلةٌ أَخلاقية. زَعَموا فيه وُجودَ تسعةِ أَخطاءٍ أَخْلاقية في القرآن.

الجزءُ الرابع: أَسئلةٌ لاهوتية. زَعَموا فيه وُجودَ تسعةٍ وعشرين خطأً لاهوتيّاً في القرآن.

الجزءُ الخامس: أَسئلةٌ لغوية. زَعموا فيه وجودَ خمسةٍ وعشرين خَطَأً لغويّاً في القرآن.

الجزءُ السادس: أَسئلةٌ تشريعية. زَعَموا فيه وُجودَ ستةٍ وعشرين خطأً تشريعيّاً في القرآن.

الجزءُ السابع: أَسئلةٌ اجتماعية. زَعَموا فيه وُجودَ واحدٍ وعشرين خطأً اجتماعيّاً في القرآن.

الجزءُ الثامن: أَسئلةٌ علمية. زَعَموا فيه وُجودَ اثْنَيْن وعشرين خطأً علميّاً في القرآن.

الجزءُ التاسع: أَسئلةٌ فنيَّة. زَعَموا فيه وُجودَ أَحَدَ عَشَرَ خَطأً فنيّاً في القرآن.

الجزءُ العاشر: أَسئلةٌ خاصَّةٌ عن محمدٍ ﷺ. زَعَموا فيه وجودَ ثلاثةٍ وثلاثين خطأً يتعلقُ بحياةِ الرسولِ ﷺ في القرآن.

أَيْ أَنَّ الذينَ أَلَّفوا الكتابَ وَجَدوا في القرآنِ مئتين وثلاثةً وأَربعين خَطَأً، في مختلفِ موضوعاتِه، وهذا رقمٌ كَبير، لو صَحَّ لكانَ القرآنُ باطِلاً مَليئاً بالأَخطاء!!.

وقد وَضَعَ مُؤَلِّفو الكتابِ في آخرِهِ قائمةً بالمراجعِ التي رَجَعوا إِليها، واستَخْرَجوا منها أَخطاءَ القرآن، وكانت اثنين وعشرين كتاباً، معظمُها لمؤلِّفين من النَّصارى، خَصَّصوها لانْتقادِ القرآنِ وإِثارةِ الشبهاتِ حولَه.

ومن بابِ المبالغةِ في الكيدِ أَرادَ مُؤَلِّفو الكتاب أَنْ ترسخَ شُبهاتُهم في ذهنِ القارئ، فَوَضَعوا في آخِرِ الكتابِ مسابقة، طَلَبوا فيها من القارئ الإِجابةَ على أَسئلةٍ اختاروها من الكتاب، وإِرسالَ الإِجاباتِ إِليهم في النمسا، ليُرسلوا له جائزةً قيمةً بسببِ اجتهادِه! وقالوا في مقدمةِ المسابقة: «أَيُّها القارئُ العزيز:

إنْ تَعَمَّقْتَ في قراءةِ هذا الكتابِ تَستطيعُ أَنْ تُجاوِبَ على الأسئلةِ بسُهولَة.. ونحنُ مُسْتعدّونَ أَنْ نرسلَ لك أَحَدَ كُتُبِنا الروحية جائزةً على اجتهادِك.. ولا تَنْسَ أَنْ تكتبَ اسْمَك وعنوانَك كامِلاً عند إِرسالِ إِجابَتِك إلينا..».

ومن الأَسئلةِ التي طَلَبوا من القارئِ الإِجابةَ عليها:

السؤالُ الأَول: في القرآنِ عشرةُ أنواعٍ من الأَخطاء. ما هي؟.

السؤالُ الثاني: اذكُرْ خمسةً من الأَخطاءِ الجغرافية، التي وَرَدَتْ في هذا الكتاب!.

السؤالُ الثالث: ذَكَرَ المؤَلِّفُ خَمساً وخمسينَ غلطةً تاريخيّة في القرآن، اكْتُبْ عَشْرَ غَلْطاتٍ منها، واشْرَحْ ثلاثاً من هذه العَشْر.

السؤالُ الرابع: يُحَلِّلُ القرآنُ تسعَ خَطايا. ما هي؟ اذْكُرْ أَكْثَرَ ما ساءَكَ منها.

السؤالُ الخامس: أَثارَ المؤلِّفُ تسعةً وعشرين سؤالاً لاهوتياً حَوْلَ القرآن. اشرحْ خمسةً منها.

السؤالُ السادس: وَجَدَ المؤلِّفُ ستّاً وعشرينَ غَلْطَةً لغويةً في القرآن. اذْكُرْ خمساً منها.

السؤالُ السابع: وَجَدَ المؤَلِّفُ ستةً وعشرينَ خطأً تشريعيّاً في القرآن. اذْكُرْ خمسة منها.

السؤالُ الثامن: وَجَدَ المؤَلِّفُ إِحْدى وعشرين غَلطةً اجتماعيةً في القرآن. اذْكُرْ خمساً منها.

السؤالُ التاسع: تَساءَلَ المؤَلِّفُ عن اثْنَيْن وعشرينَ أَمْراً عِلْمِيّاً خاطِئاً في القرآن. اذكُرْ خمسةً منها.

السؤالُ العاشر: وَجَدَ المؤلِّفُ في حياةِ نبيِّ الإِسلام ثلاثاً وثلاثين أَمْراً مَعيباً. اذكُرْ ما تعتبرُ أَنه أَسوَؤُها، واشرَحْه.. ثم اذكُرْ ما تعتبرُه أَنه ليس مَعيباً، ودافِعْ عن وجهةِ نظرِك.

ويَلبسُ المفْتَرونَ ثوبَ الموضوعيةِ والإِنصافِ و«الديمقراطية» عندما

يَسمحونَ للإنسانِ أَنْ يُخالِفَهم، ويأْذَنونَ له أَنْ يُدافِعَ عن وجهةِ نَظَرِه، كما جاءَ في السؤالِ العاشر!!.

وهذا الكتابُ حلقةٌ عنيفةٌ حادَّةٌ صاخبةٌ من مسلسلِ «الهجوم على القرآن»، الذي يَشُنُّهُ عليه أَعداؤُه، من اليهودِ والنصارى، وسائرِ الأَعداء، الذين لا يَعترفونَ أَنَّ القرآنَ كلامُ الله، ولا يُؤمنونَ أَنَّ محمداً هو رسولُ الله ﷺ، وإِنما يعلنونَ أَنَّ محمداً ﷺ مُفْترٍ كَذّاب، ادَّعىٰ أَنه نبيّ، وزَعَمَ أَنَّ القرآنَ وَحْيٌ من اللهِ إِليه، مع أَنه هو الذي أَلَّفَه، وأَعانَه عليه قومٌ آخرون!!.

هذا وإِنَّ الحملةَ على القرآنِ طويلةٌ مستمرة، مضى عليها خمسةَ عَشَرَ قَرْناً، وباءَتْ بالفشلِ ولله الحمد، وبقيَ القرآنُ ثابتاً قويّاً، وغالِباً مَنْصوراً ظافراً، ولن يكونَ هذا الكتابُ الكِتابَ الأَوَّلَ في الهجومِ على القرآن، فقد سبَقَهُ آلافُ الكتبِ الحاقدةِ المسمومة، طواها الزَّمَنُ في مَلَفّات التاريخ المنسية، فَنَسِيَها الناس ونسوا أصحابَها، وبقيَ القرآنُ حَيّاً مُؤَثِّراً، مَحْفوظاً مَتْلُوّاً، مَعْروفاً مُفَسَّراً!! كما أَنَّ هذا الكتابَ لن يكونَ الأَخيرَ في هذا المسلسلِ الحاقدِ الخَبيث، إِذْ سَتَتْلوهُ وتتبعُه كُتُبٌ أُخرى، يُؤَلِّفُها أَعداءٌ حاقِدونَ في القرونِ القادمة، وسَيَبْقى القُرآنُ مُحارَباً مُهاجَماً من قِبَلِ أَعدائِه حتى قيامِ الساعة، ولكنّه سيبقى غالِباً بإِذْنِ اللهِ حتى قيامِ الساعة، فنحنُ لا نَخافُ على القرآنِ الهزيمة، لأَننا موقنونَ من انتصارِهِ بإِذْنِ الله.

وقبلَ البَدْءِ بتفْنيدِ كلام هؤلاءِ الحاقدين في شُبهاتِهم التي اعْتَبَروها أَخطاءً، نُقَرِّرُ أَنه لا يوجَدُ أَيُّ خَطأ في القرآن، في أَيِّ موضوعٍ من موضوعاتِه، لا في اللغة، ولا في العقيدة، ولا في الفقه، ولا في التاريخ، ولا في الجغرافيا، ولا في الاجتماع، ولا في الأَخلاق، ولا في العلم، ولا في السياسة، ولا في السيرة! وما اعْتَبَرَه هؤلاءِ المفترونَ أَخطاءً في القرآن، إِنما هو وفقَ ما صَوَّرَتْه عُقولُهم القاصرة، وأَفهامُهم السقيمة، ونَظَراتُهم العاجزة، ويَصْدُقُ على كلامِهم قولُ الشاعر:

وَكَمْ مِنْ عائِبٍ قَوْلاً صَحيحاً ... وآفَتُه هي الفَهْمُ السَّقيمُ

نقد مقدمة الكتاب

سبقَ أن قلنا: إنَّ كتابَ «هل القرآن معصوم؟» صادرٌ عن لجنةٍ من المنَصِّرين، جَمعوا ما ظَنّوه خَطأً في القرآن، من مختلفِ المراجعِ والمصادر، ولكنَّ الكتابَ منسوبٌ إلى اسمٍ مستعار، هو «عبدُ اللهِ الفادي»، الذي زَعَمَ أنه هو الذي أَلَّفَه! وسَتَكُونُ ردودُنا على عبد الله الفادي الذي نُسِبَ الكتابُ إليه!!.

مما قالَه المفتري الفادي في مقدمةِ الكتاب: «رَغِبْتُ منذُ حَدَاثَتي أَنْ أَقومَ بخدمةٍ مُنتجةٍ دائمةِ الأَثَرِ للجنسِ البشري، وليس في مَقْدوري أَنْ أَكتشفَ قارة، مِثْلَ ما فَعَلَ «كولُمْبُس»، ولا أَنْ أَخترعَ مِذْياعاً، كما فعلَ «ماركوني»، ولا أَنْ أُسَخِّرَ الكهرباء، مثلَ ما فَعَلَ «أديسون»، ولا أَنْ أُحَلِّلَ الذَّرَّة، كما فعلَ «أَيْنِشْتايْن»، فليسَ شيءٌ من هذا يَدخلُ في دائرةِ اخْتِصاصي..

ولكنَّني كرجلِ دين، رأيتُ أَنْ أَدْرُس القرآنَ..».

المؤَلِّفُ «عبدُ الله الفادي» قِسّيسٌ، وَرَجُلُ دينٍ نصراني، وبما أَنه مُتَخَصِّصٌ في الدين، فهو يُريدُ أَنْ يَقومَ بدراسةٍ دينيّة، يَخدِمُ بها الجنسَ البشريَّ خدمةً دائمة. وأَيُّ دينٍ سيَدْرُسُه دراسةً فاحصة؟ هل هو الدينُ اليهوديُّ أَم الدينُ النصرانيُّ أَم الدينُ الإِسلامي؟.

العهدُ القديمُ أَساسُ الدينِ اليهودي، وهو جزءٌ من الدينِ النصراني، لأَنَّ العهدَ القديمَ والعهدَ الجديد يُكَوِّنان «الكتابَ المقَدَّس» الذي يُؤْمِنُ به النَّصارى أَنهُ من عندِ الله.

لم يَبْقَ أَمَامَه إِلّا الإسلامُ ليَدْرُسَه، وبما أَنَّ القرآنَ هو أَساسُ الإِسلام، فلْيُوَجِّه القِسّيسُ «الفادي» نَظراتِه الكنسيَّةَ النصرانيةَ إِليه، ليَدْرُسَه دراسةً مفصَّلَةً، يقدمُ بها خدمةً للبشرية!.

ولا مانعَ من أَنْ يدرسَ أيُّ إنسانٍ القرآن، والقرآنُ لا يَخْشى من أَنْ يَدرسَهُ أَيُّ إنسان، سواء كانَ مُسْلِماً أَو يَهودياً أَو نصرانيّاً، قِسّيساً أَو باحِثاً أَو عالِماً، لكنَّه يَشترطُ على الذي سَيدرُسُه شَرْطاً واحداً، هو: أَنْ لا يُقْبِلَ على القرآن بمقَرَّر فكريٍّ أَو عقيديٍّ مُسْبَق، وأَنْ لا يَحملَ فكرةً يُريدُ إِثْباتَها في القرآن! إِنَّه إِنْ فَعَلَ ذلك تكونُ دراستُه مُنحازةً مُتحاملة، ومن ثَمَّ سيخرجُ من هذه الدراسةِ بنتائجَ خاطئة، تَقومُ على التحامُلِ والهوى والمزاجية.

يَطلبُ القرآنُ من كُلِّ إنسانٍ أَنْ يَضَعَ فكرتَه المسبقةَ عن القُرآنِ جانباً، وأَنْ يَدْخُلَ عالَمَ القرآنِ وهو خالي الذِّهْن، وأَنْ يكونَ هدفُه من ذلك البحثَ عن الحقيقة، والرغبةَ في المعرفة، ومُتابعةَ الحَقّ، وبذلكَ تكونُ دراستُه موضوعيةً عادلةً مُنصفَة، وسيخرجُ منها بنتائج صحيحة.

ولقد قامَ بدراسةِ القرآن كثيرون من مُفَكِّري الغربِ النَّصارى، وكانتْ دراستُهم مَوضوعيةً مُحايدةً مُنْصفة، غيرَ قائمةٍ على المقَرَّرِ الذهنيِّ المسْبَق، والانحيازِ الدينيِّ المسبقِ ضدَّه. وقد قادَتْهم تلك الدراسةُ إِلى اليقينِ بأَنَّ القرآنَ حَقٌّ لا خطأَ فيه، وأَنه من عندِ الله، وفي مقدمةِ هؤلاء البروفسورُ الفرنسي «موريس بوكاي»، والقِسّيسُ الكندي «جاري ميللر»، والقسّيسُ السوداني «أَشوك يانق»!.

أَمّا إِذا وَضَعَ الدارسُ في ذهْنِه مُقَرَّراً مُسْبَقاً عن القرآن، وأَقبلَ عليه يدرسُه لتحقيقِ وتأكيدِ ذلك المقَرَّر، فسوفَ تكونُ دراستُه مُتَحاملةً مُنحازةً ضدَّه، وسيكونُ نظرُهُ في القرآن نَظَراً خاطِئاً. كأَنْ يوقِنَ القِسّيسُ أَنَّ القرآنَ ليس وَحْياً من الله، وإنما هو من تأليفِ البشر، وأَنَّ محمداً ﷺ ليسَ رسولاً، وإِنما هو مُدَّعٍ مُفْتَرٍ، وأَنَّ في القرآنِ أَخطاءً عديدة، ثم يَدرسُ القرآنَ ليأخذَ منه الأَدلَّةَ والأَمثلةَ على ما يُؤْمِنُ به! عند ذلك سَيَخرجُ بنتائجَ خاطئة، ويَزعمُ أَنه وَجَدَ الأَدلةَ على ما يُريد!.

وهذا ما فعلَه القِسّيسُ «عبد الله الفادي» في دراستِه «هل القرآنُ معصوم؟»

وقد صَرَّحَ هو بدراستِه المتحاملةِ المنحازَة، ومُقَرَّره المسْبَقِ الذي أَقبلَ به على القرآن، وذلك بقولِه في المقدِّمَة: «وبما أَنَّ اللهَ واحد، ودينَه واحد، وكتابَه المقَدَّسَ واحد، الذي خَتَمَهُ بظهورِ المسيحِ كلمتِه المتَجَسِّد، وقال: إِنَّ مَنْ يَزيدُ على هذا الكتاب، يَزيدُ اللهُ عليه الضرباتِ المكتوبةَ فيه، وبما أَنَّ القرآنَ يَقولُ: إِنه وَحْي، أَخَذْتُ على عاتِقي دراستَه!».

هكذا إِذَن، يُؤْمِنُ القِسّيسُ أَنَّ كتابَ اللهِ المقَدَّسَ واحد، وهو العهدُ القديمُ والعهدُ الجديد، وأَنَّ اللهَ أَنزلَ العهدَ الجديدَ على عيسى ﷺ، وهَدَّدَ أَيَّ إِنسانٍ يَزيدُ شيئاً على هذا الكتاب.

أَيْ: يُؤمنُ القِسّيسُ «الفادي» أَنه لا وَحْيَ بعدَ الإِنجيل، ولا نبيَّ بعدَ عيسى ﷺ! وهذا مَعناه أَنه يُؤمنُ أَنَّ القرآنَ ليس وَحْياً من عندِ الله، وأَنَّ محمداً ليسَ رسولَ الله ﷺ، فالقرآنُ صناعةٌ بشرية، فهو غيرُ معصوم، وإِنما هو مليءٌ بالأَخْطاء.

آمَنَ القِسّيسُ بهذه الفكرة، وتَسَلَّحَ بهذا السِّلاح، ووضعَ هذا المنظارَ على عينيه، وأَقبلَ على القرآنِ يَدرسُه ويَنظرُ فيه، ويُقَدِّمُ بذلك خدمةً للجنسِ البشريّ!.

فماذا سيجدُ فيه؟ سيجدُ فيه مجموعةً من الأَخطاء، في مختلفِ المجالات والموضوعات، تُقاربُ مئتين وخمسين خطأً!!.

ونقولُ: أَينَ الباحثونَ الغربيّونَ النَّصارى، الذين دَرَسوا القرآنَ دراسةً موضوعيةً، من هذه الأَخطاء، التي اكتشفَها «الفادي»؟ لماذا لم يَرَها موريس بوكاي، ولا جاري ميللر وغيرهما؟!.

ثم ما الذي دَرَسَه القِسّيس «الفادي»؟ دَرَسَ القرآنَ دراسةً متحاملةً منحازة، ودرسَ التفاسيرَ القرآنية، قالَ في المقدمة: «.. وبما أَنَّ القرآنَ يَقولُ: إِنه وَحْيٌ، أَخَذْتُ على عاتِقي دراستَه، ودراسةَ تَفاسيره، فدرَسْتُه مِراراً عديدة، ووَقَفْتُ على ما جاءَ به..».

والتفسيرُ الوحيدُ الذي أَثبتَه الفادي في قائمةِ المراجعِ هو تفسيرُ البيضاوي، ولا أَدري لماذا تَفسيرُ البيضاوي دونَ غيرِه؟ فهناكَ تَفاسيرُ مأثورةٌ أَفضلُ منه، كتفسيرِ الطبري وتفسيرِ ابن كثير.

ثم ما دَخْلُ التفاسيرِ في الدراسةِ الموضوعية للنَّصِّ القرآني؟ إِنَّ التفاسيرَ هي الفهمُ البشريُّ لمعاني القرآن، كما سَجَّلَه السادةُ المفَسِّرون لها، وهذا الفهمُ البشريُّ يَنطبقُ عليه ما ينطبقُ على كُلِّ الأعمالِ البشريةِ القاصرة، ومهما بَلَغَ أَصحابُها من العلمِ والدقةِ والإِتقان، فإِنها ليستْ معصومةً من الخطأ، ولا مُنَزَّهَةً عن الضعفِ والنقص.

ولذلك وُجِدَتْ في التفاسيرِ المختلفةِ أَخطاءٌ عديدة، باعتبارِها جُهْداً بشريّاً، ولا يوجَدُ تفسيرٌ خالٍ من الخطأ، سواء كانَ قَديماً أَو معاصراً.

وهذا معناهُ أَنَّ النَّصَّ القرآنيَّ لا يَتَحَمَّلُ الخَطَأَ الموجودَ في تلك التفاسير، ولا يَجوزُ أَنْ نَنسبَ الخَطَأَ إِلى القرآنِ، لأَنَّ هذا الخَطَأَ وُجِدَ عند الطبريِّ أَو الرازيِّ أَو البيضاويِّ أَو القرطبيِّ أَو غيرهم. فالفهمُ البشريُّ للقرآن ليسَ حُجَّةً على القرآن، إِلّا عندَ أَصحابِ النظراتِ الحاقدةِ علىٰ القرآنِ!.

وقالَ الفادي في مقدمتِه: «وَوَضَعْتُ تعليقاتي علىٰ قالَبِ مئتين وثلاثةٍ وأَربعين سؤالاً، خِدمةً للحق، وتبصرةً لأُولي الأَلباب..».

وسوفَ نُتابعُ الفادي في أَسئلتِه وشبهاتِه واعتراضاتِه، التي ادّعى أَنه اكْتَشَفَها في القرآن، وسننظرُ فيها بمنظارِ القرآن، لنعرفَ تهافُتَها وتَفاهَتَها، وصَدَقَ اللهُ القائل: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ﴾ [الأنبياء: ١٨].

❖ ❖ ❖

الفصل الأول

نقض المطاعن الجغرافية

١

هل تَغيبُ الشمسُ في بئرِ ماء؟

زَعَمَ «الفادي» أَنَّ القرآنَ أَخطأَ في حديثِهِ عن مَغيبِ الشمس، حيثُ أَخبرَ أَنَّ الشمسَ تَغيبُ في بئْرِ ماء!.

وذلك في قولِهِ تعالى عن رحلةِ ذي القرنَيْنِ الأُولى نحوَ مغربِ الشمس: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ . . .﴾ [الكهف: ٨٣ ـ ٨٦].

نَسَبَ الفادي إلى «البيضاويِّ» أنه قالَ في تفسيرِه عن ذي القرنين: «إنَّ اليهودَ سأَلوا محمداً عن إسكندر الأكبر؟ فقال: إنَّ اللهَ مَكَّنَ له في الأَرض، فسارَ إلى المكانِ الذي تَغربُ فيه الشمس، فَوَجَدَها تغربُ في بئرٍ حَمِئَة، وحولَ البئْرِ قومٌ يَعْبُدونَ الأَوثان!»[١].

هل كان الفادي أَميناً في النقلِ عن البيضاوي؟ وهل هذا الكلامُ موجودٌ في تفسيرِ البيضاوي؟ لِننظرْ!.

قال البيضاوي: «. . . واخْتُلِفَ في نبوةِ ذي القَرْنَين، مع الاتفاقِ على إيمانِه وصَلاحِه. . والسائلونَ هم اليهود، سأَلوهُ امتحاناً، أَو مشركو مكة. . .»[٢].

لم يكن الفادي أَميناً في النقل، وإنما كان مُحَرِّفاً، ونَسَبَ إلى البيضاويِّ ما لم يَقُلْه، وكَذَبَ على رسولِ اللهِ ﷺ!.

ذَكَرَ البيضاويُّ قولَيْن في الذينَ سأَلوا رسولَ الله ﷺ عن ذي القرنين،

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٩.
(٢) تفسير البيضاوي: ٣/ ٢٩١.

هل هم اليهودُ أو المشركون؟ والراجحُ أنَّ الذينَ أَوْصَوْا أَنْ يُسْأَلَ عن ذي القرنين والذين صاغوا السؤالَ هم اليهود، وأَنَّ الذينَ وَجَّهوا له السؤالَ هم مشركو مكة، فلا تعارضَ بين القولَيْن اللذين ذَكرهما البيضاوي، مع أَنَّ الأَوْلى أَنْ نَعتبرَ السائلين مشركي مكة، لأَنهم هم الذين وَجَّهوا له السؤالَ مباشرة!.

ولما سُئِلَ عن ذي القرنين انتظرَ حتى يأْتيَه الجوابُ من الله، لأَنه لم يكنْ يعلمُ عنه شيئاً، وآتاهُ اللهُ الجوابَ في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٨٣].

وقد تلاعَبَ الفادي في كلام البيضاوي وحَرَّفَه، لحاجةٍ في نفسِه، فَزَعَمَ أَنَّ اليهودَ سألوا رسولَ الله ﷺ عن الإِسكندر الأكبر، مع أَنهم سأَلوهُ عن ذي القرنين، وليس عن الإِسكندرِ الأَكبر، والراجحُ عند علماءِ المسلمين أَنَّ ذا القرنَيْن ليس هو الإِسكندرَ الأَكبر!.

وافترى الفادي على رسولِ الله ﷺ، عندما نَسَبَ له حَديثاً موضوعاً، لم يَقُلْه، وهو: «إِنَّ اللهَ مَكَّنَ له في الأَرض، فسارَ إِلى المكانِ الذي تَغربُ فيه الشمس، فوجَدَها تَغربُ في بئرٍ حَمِئَة، وحولَ البئرِ قومٌ يَعبدونَ الأَصنام».

ونَشهدُ أَن رسولَ الله ﷺ لم يَقُلْ هذا الكلامَ الذي نَسَبَهُ له الفادي المفتري، فهو ليسَ حَديثاً صَحيحاً ولا حَسَناً ولا ضَعيفاً، وإِنما هو مكذوبٌ موضوع.

وبعدما كَذَبَ الفادي المفتري على رسولِ الله ﷺ، افترى على البيضاويِّ فَنَسَبَهُ له، مع أَنه لا يوجَدُ في تفسيرِه!!.

وتابَعَ المفتري افتراءَه على رسولِ الله ﷺ وعلى البيضاوي، عندما قال: «. . . وَسارَ إِلى المكانِ الذي تَطلعُ منه الشمس، فاكتشفَ أَنها تطلعُ على قومٍ لا يَستُرُهم من الشمسِ بُيوتٌ أَو ثياب! وسارَ في طريقٍ معترضٍ بين مطلعِ الشمسِ ومغربها إلى الشمال، فوجَدَه يَنْتَهي إِلى جَبَلَيْن، فصَبَّ بينَهما رَدْماً من

الحدِيد، وكَوَّنَ بذلك سَدّاً مَنيعاً، لا يُدرِكُه إلّا الله يومَ قيامِ الساعة. .»!!

وهذا كلامٌ مفترىً، لم يَقُلْه رسولُ الله ﷺ، ولم يَذْكُرْه البيضاوي. .

ونَقَلَ الفادي عن تفسيرِ البيضاوي قولاً آخر، وذلك في قولِه: «وقال البيضاوي: إنَّ ابنَ عباس سمعَ معاويةَ يَقرأُ «حامِيَة»، فقالَ: ﴿حَمِئَةٍ﴾ فبعثَ معاويةُ إلى كعبِ الأحبار: كيفَ تجدُ الشمسَ تَغْرُب؟ قال: في ماءٍ وطين. .»[1].

وكانَ الفادي مُفْتَرِياً على البيضاوي في هذا النقلِ أَيْضاً؛ فالذي في تفسيرِ البيضاوي هو: «في عينٍ حَمِئَة: ذاتِ حَمَأ. . من: حَمِئَت البئرُ؛ إذا صارَتْ ذاتَ حَمْأَة. . وقرأَ ابنُ عامر وحمزةُ والكسائيُّ وأبو بكر: «حامِيَة». أَيْ: حارَّة. . ولا تَنافي بينَهما، لجَوازِ أَنْ تكونَ العينُ جامعةً للوصْفَين. . . ولعلَّه بلغَ ساحلَ المحيطِ فرآها كذلك. . وقيلَ: إنَّ ابْنَ عباسٍ سمعَ معاويةَ يقرأُ «حامِيَة»، فقال: ﴿حَمِئَةٍ﴾. . فبعثَ معاويةُ إلى كعبِ الأَحبار: كيفَ تجدُ الشمسَ تَغْرُبُ؟ قال: في ماءٍ وطين، كذلك نجدُه في التَّوراة!»[2].

وأَدْعو إلى المقارنةِ بينَ كلامِ البيضاوي، والكلامِ الذي نَسَبَهُ له الفادي، لمعرفةِ افترائِه وتَحريفِه وتَلاعُبه.

الإمامُ البيضاويُّ يُريدُ أَنْ يُفَسِّرَ كلمةَ ﴿فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾. فقال: إنَّها عينٌ ذاتُ حَمَأ. وذَكَرَ مِثالاً على هذا المعنى للتَّوضيح. فقال: «يقال: حَمِئَت البئر؛ إذا صارَتْ ذاتَ حمأة».

والحَمَأُ هو: الطينُ الأَسودُ المنتنُ المتغَيِّر. ويُقال: حَمِئَ الماءُ حَمَأً: إذا كَثُرَ فيه الحَمَأُ، وهو الطِّين، فَتَكَدَّرَ وتَغَيَّرَتْ رائحتُه. ويقال: حَمَأَت البئرُ: أَيْ: أَخْرَجَتْ حَمْأَتَها. والعينُ الحَمِئَةُ هي: التي فيها الحَمَأُ. وهو الطّين[3].

وقد أَخْبَرَنا اللهُ أنه خَلَقَ الإنسانَ من حَمَأ، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٩.
(٢) تفسير البيضاوي: ٣/ ٢٩١.
(٣) المعجم الوسيط، ص١٩٥.

ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]. والحَمَأُ المسْنونُ هو الطينُ الأَسودُ المتغيِّرُ.

فالعينُ الحمئةُ هي العينُ ذاتُ الحَمَأ، أَي التي اخْتَلَطَ فيها الماءُ بالطين. وذَكَرَ الإمامُ البيضاويُّ البئْرَ لتَوضيحِ معنى الحمأ، فقال: مِن حَمِئَتِ البِئْر، إذا صارَتْ ذاتَ حمأ. أَي: اخْتَلَطَ ماءُ البئرِ بالطينِ، فصارت البئْرُ حَمِئَة، اخْتَلَطَ ماؤُها بالطين!.

وذَكَرَ البيضاويُّ أَنَّ في «حَمِئَة» قراءَتَيْن:

الأُولى: قراءةُ نافع وابنِ كثير وأَبي عمرو ويعقوب ورواية حفص عن عاصم: ﴿حَمِئَةٍ﴾ بالهمز، ومَعْنى: ﴿فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾: عينٍ اخْتَلَطَ ماؤُها بالحَمَأِ والطين.

الثانية: قراءةُ ابنِ عامر وحمزة والكسائي وخلف وأَبي جعفر ورواية أَبي بكر عن عاصم: «حامِيَة». ومعنى: «في عينٍ حامِيَة»: عينٍ حارَّةٍ.

وذكرَ البيضاويُّ: أَنَّ ابنَ عباسٍ كان يقرأُ: ﴿فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ بالهمزة، بينما كانَ معاويةُ بنُ أَبي سفيان ﵄ يقرأُ: «في عينٍ حامِيَة».

وروى البيضاويُّ: أَنَّ معاويةَ ﵁ بعثَ إِلى كعبِ الأَحبارِ يسأَلُه: كيفَ تجدُ الشمسَ تغرب؟ قال: «تغربُ في ماءٍ وطين، كذلك نجدُه في التوراة».

وبدأَ البيضاويُّ الروايةَ بصيغةِ «قيل»، وهي صيغةٌ دالَّةٌ على التمريضِ والتضعيف! ومعناها أَنَّ الروايةَ لم تَثْبُتْ!!.

ولما نَقَلَ الفادي المفتري الروايةَ حَذَفَ من كلامِ كعبِ الأَحبار الجملةَ الأَخيرة: «كذلك نجدُهُ في التوراة»، لئلا يُثبتَ هذا الكلامَ في التوراة!! مع أَنَّ الروايةَ لم تَثبت كما قلنا!!.

وبهذا نعرفُ أَنَّ الفادي كاذبٌ مُفْتَر، عندما نَسَبَ للبيضاوي قولَه: إِنَّ الشمسَ تغربُ في ماءٍ وطين، وهذا معناهُ أَنها تَغيبُ في بئرٍ حمئة! مع أَنَّ البيضاويَّ لم يَقُلْ ذلك أَبَداً.

وبهذا نعرفُ أَنَّ القرآنَ لم يَقُلْ: إنَّ الشمسَ كانتْ تَغيبُ في بئْرٍ حَمِئَة، والرسولُ ﷺ لم يَقُلْ: إنها كانتْ تَغيبُ في بئْرٍ حمئة!.

وبهذا نعرفُ أَنَّ الفادي خبيثٌ مُغْرِض، عندما طَرَحَ سؤالَه المشَكِّك قائلاً: «ونحنُ نسأل: إذا كانت الشمسُ أكبرَ من الأَرضِ مليوناً وثلاثمئة أَلْف مَرَّة، فكيفَ تَغْرُبُ في بئرٍ رآها ذو القَرنين، ورأى ماءَها وطينَها، ورأى النّاسَ الذينَ عندها؟!».

إنَّ هذه الأُكذوبةَ الخُرافيةَ لم تَرِدْ في القرآن، ولم يَقُلْها أَحَدٌ من المسلمين، وإنما اخْتَلَقَها الفادي المفتري، وجَعَلَها خطأً جغرافياً في القرآن!.

بَقِيَ أَنْ نُبينَ معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾.

عندما توجَّهَ ذو القرنين نحوَ الغربِ تابَعَ سيرَه حَتّى وَصَلَ إِلى مكانٍ تَلْتَقي فيه اليابسةُ مع الماء، ولعلَّ هذا كان عندَ شاطئ أَحَدِ البِحار، ولا دَليلَ على تحديدِ ذلك المكان، فهو من مبهماتِ القرآن!.

ولعلَّ المكانَ الذي وَقَفَ فيه ذو القرنين كان عندَ مَصَبِّ أَحَدِ الأَنهارِ في ذلك البَحر، ويبدو أَنَّ ماءَ النهر في ذلك اليوم كان مختَلِطاً بالتراب، فكانَ «حَمِئاً».

ولما وقفَ ذو القرنَين في ذلك المكان، نَظَرَ أَمامَه إِلى الشمسِ وهي تَغربُ وَتَغيب، فرآها ﴿تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾. أَيْ أَنَّ قُرْصَ الشمسِ سَقَطَ أَمامَه في الماءِ المختلطِ بالتراب، الذي يَقذفُه النهرُ في البَحر، وبذلك رآها تغربُ في عينٍ حَمِئَة!.

وهذا أَمْرٌ لا يَدعو للعجبِ أَو الغرابةِ أَو الإِنكار. وقد عَلَّقَ الإِمامُ البيضاويُّ على ذلك بقوله: «ولعلَّه بَلَغَ ساحلَ المحيط، فرآها كذلك، إِذْ لم يكنْ في مَطمحِ بَصَرِه غيرُ الماء، ولذلك قال: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ﴾ ولم يَقُل: كانتْ تَغْرُب..»(١).

---

(١) تفسير البيضاوي: ٣/ ٢٩١.

وبهذا نعرفُ كَذِبَ وافتراءَ الفادي، عندما اتَّهَمَ القرآنَ والرسولَ ﷺ بالقولِ بأَنَّ الشمس «تغرب في بئر حمئة». ثم طرحَ سؤالَه التشكيكيَّ الخَبيث، والقرآنُ مُنزَّهٌ عن ادِّعاءِ وافتراءِ الفادي، حتى البيضاوي لم يقلْ ما نسبَه له ادعاءً وافتراءً.

٢

هل الأرض ثابتة لا تتحرك؟

زَعَمَ الفادي أَنَّ القرآنَ أَخطأَ في حديثِه عن خَلْقِ الأَرْض، عندما قالَ: إِنَّ الأَرضَ ثابتةٌ لا تَتَحرك! وهذا خطأٌ جغرافيٌّ فَلَكي، لأَنَّ دورانَ الأَرضِ بدهيةٌ مُسَلَّمة!.

وأَوردَ الفادي آياتٍ من سور: الرعد والنحل والحجر والأنبياء ولقمان، كلُّها تُقرِّرُ ثَباتَ الأَرضِ وعدمَ حركتِها أَو دورانِها!.

قال: «جاءَ في سورةِ لقمان: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [لقمان: ١٠]. وجاءَ في سورةِ الرعد: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ [الرعد: ٣]. وجاءَ في سورةِ الحجر: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩]. وجاءَ في سورةِ النحل: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٥]. وجاءَ في سورةِ الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣١]».

اختارَ الفادي خمسَ آياتٍ من خمسِ سُوَر، تتحدثُ عن الجبالِ الرواسي، التي ثَبَّتَ اللهُ بها الأَرض، لئلا تَميدَ وتضطربَ بأَهْلِها.

ورجعَ إِلى تفسيرِ البيضاوِيِّ ليأخذَ منه تفسيرَ الآيات. قال: «وقالَ البيضاويُّ تفسيراً لآيةِ الأَنبياء: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾: «كراهةَ أَنْ تَميدَ بهم». وقالَ تفسيراً لآيةِ الرعد: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾: «بَسَطها طولاً وعَرْضاً،

لتثبتَ عليها الأقدام، ويتقلَّبُ عليها الحيوان». . وأجملَ البيضاويُّ تفسيرَ هذه الآياتِ بما فَسَّرَ به آية سورة النحل، فقال: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾: أيْ: جبالاً رواسيَ. ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾: أي: كراهةَ أنْ تَميلَ بكم وتضطرب. لأنَّ الأَرضَ قبلَ أَنْ تُخْلَقَ فيها الجبالُ كانت كُرَةً خفيفةً، بَسيطةَ الطبع، وكانَ من حَقِّها أَنْ تتحركَ بالاستدارةِ كالأفلاك، أَو أَنْ تتحركَ بأدنى سببٍ للتحريك. . فلما خُلقت الجبالُ على وجهِها تَفاوتَتْ جوانبُها، وتوجَّهَت الجبالُ نحو المركز، فصارَتْ كالأَوتادِ التي تمنَعُها عن الحركة. . . وقيل: لما خَلَقَ اللهُ الأَرضَ جَعَلَتْ تَمور، فقالَت الملائكة: ما هي بِمَقَرٍّ أَحَدٍ على ظهرِها، فأَصبحتْ وقد أُرسيتْ بالجبالِ. .»[1].

الآياتُ الخمسُ التي أَوردَها الفادي صريحةٌ في أَنَّ اللهَ جَعَلَ الجبالَ رواسيَ مُثَبِّتَةً للأَرض، لئلّا تَميدَ الأَرضُ وتضطربَ وتتحركَ بأَهلها، ولولا هذه الجبالُ لاضطربَت الأَرضُ بأَهْلِها. فهي رَواسٍ تستقرُّ بها الأَرض، وهي أَوتادٌ تُثَبِّت الأَرض. قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٦ ـ ٧].

ونتحفَّظُ على كلامِ الإمامِ البيضاويِّ، الذي ذَكَرَ فيه أَنَّ الأَرضَ كانت تَمورُ وتتحرك، لأَنه لا دَليلَ له على ذلك، لا من القرآن ولا من السنّة، كما نتحفظُ على كلامِه الذي نَسَبَ فيه للملائكةِ قولَهم: إِنَّ الأَرضَ لا تصلحُ أَنْ تكونَ مَقَرّاً لأَحَدٍ على ظهرِها! لأنه لا دليلَ له على هذا الكلام الذي نَسَبَه لهم، لا من القرآنِ، ولا من السنّةِ الصحيحة! ومعلومٌ أَنَّ أَنباءَ الماضي لا تُؤْخَذُ إِلّا من آيةٍ صريحة، أَو حديثٍ صحيحٍ مرفوعٍ للنبي ﷺ. وقد صَدَّرَ البيضاويُّ كلامَه بصيغةِ «قِيلَ»، الدالة على التشكيكِ والتَّوْهين!.

وبعدَ ذلك سَجَّلَ الفادي تَساؤُلَه الخَبيث، فقال: «ونحنُ نسأل: إذا كان واضحاً أَنَّ الأَرضَ تَدورُ حولَ نفسِها مرةً كُلَّ أَربعٍ وعشرينَ ساعة، وينشأُ عن تلك الحركةِ الليلُ والنهار، وتَدورُ حولَ الشمسِ مرَّةً كلَّ سنة وينشأُ عن ذلك

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٩ ـ ٢٠؛ وتفسير البيضاوي: ٣/ ٢٢٢.

الدورانِ الفصولُ الأربعة، فكيفَ تكونُ الأَرضُ ممدودةً مبسوطةً ثابتةً لا تتحرك، وأَنَّ الجبالَ تَمنعُها عن أَنْ تَميد؟!..»[1].

وهَدَفُ الفادي من طرحِ سُؤالِه تَخْطِئَةُ القرآنِ، في حديثِهِ عن الجبالِ المثَبِّتَةِ للأَرض، التي تَمْنَعُها عن الحركة، لأَنَّ الأَرضَ تتحركُ حولَ نفسها، وتَدورُ حولَ الشمس!!.

والفادي جاهلٌ باللغةِ وبالعلمِ وبالفلك، عندما اعتبرَ القرآنَ مُخطئاً، في حديثهِ عن الجبالِ الرواسي، التي ثَبَّتَ اللهُ بها الأَرض، لئلّا تَميدَ وتضطربَ بأَهْلِها.

لقد صَرَّحَ القرآنُ بأَنَّ الجبالَ مثبتةٌ للأَرض، حيثُ جعلَها الله رواسيَ وأَوتاداً لئلّا تَميدَ الأَرضُ، كما نَصَّتْ على ذلك الآياتُ السابقة. وهذا هو الصوابُ بعينِه، فالجبالُ عاملُ تَوازنٍ في الأَرض، ولولاها لمادَت الأَرضُ واضطربَتْ، ولذلك سَمّاها اللهُ رواسيَ وأَوتاداً. وسُمِّيتْ «رواسيَ» لأَنها أَشبهُ ما تكونُ برواسي السَّفينة، التي تحفظُ تَوازُنَها. وسُميتْ «أَوتاداً» لأَنها أَشبهُ ما تكونُ بِأَوتادِ الخيمة، التي تُرْبَطُ بها حِبالُها، فتحفظُ تَوازُنَها ولا تَسقط. فالجبالُ تحفظُ تَوازُنَ الأَرض، فلا تَميدُ ولا تَضطرب، ولا تَميلُ ولا تتأرجح..

وليس معنى هذا أَنَّ القرآنَ يُخبرُ أَنَّ الأَرضَ ثابتةٌ، لا تَتحركُ ولا تَجري ولا تَسير، كما فَهِمَ ذلك الفادي الجاهل، واعتَبَرَه خَطأً جغرافيّاً فلكيّاً في القرآن، واعْتَبَره متعارضاً مع دورانِ الأَرضِ حولَ نفسِها وحولَ الشمس، الذي هو «بدهيةٌ فلكية» في العصرِ الحديث.

لقد صَرَّح القرآنُ بأَنَّ الجبالَ تَحفظُ تَوازنَ الأَرض، فلا تَميدُ بأَهْلِها. ولذلك خاطبَ الناسَ بذلك: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾.

فَمنْعُ المَيْدِ والاضطرابِ خاصٌّ بالبَشَر، ولكنَّ هذا لا يمنَعُ دورانَ الأَرضِ حولَ نفسِها وحولَ الشمس، وكونُ الجبالِ رواسيَ وأَوتاداً لا يَعني

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٠.

أنها لا تَدورُ دورانَها المعْروف، إنّنا نوقنُ أَنَّ الأَرضَ تدورُ حولَ نفسِها مرةً كُلَّ أَربعٍ وعشرين ساعة، فينتجُ عن ذلك الليلُ والنهار، كما أَنّنا نوقنُ أَنّها تَدورُ حولَ الشمسِ مرةً كُلَّ سنة، فينتجُ عن ذلك الفصولُ الأَربعة.

ولكنَّ الأَرضَ ثابتةٌ أَثناءَ دورانِها وحركتِها، وهي «متوازنةٌ» أَثناءَ هذا الدوران اليوميِّ والسَّنوي، والذي جعلَها ثابتةً متوازنة في دورانِها هو الجبالُ الرواسي الأَوتاد. فدورانُها لا يمنعُ توازُنَها، وتَوازُنُها لا يُلغي دورانَها، فهي ثابتةٌ متوازنةٌ، متحركةٌ جارية، وليستْ ثابتةً ساكنةً، واقفةً جامدة!!.

٣

كيفَ تُرْجَمُ الشياطينُ بالنجوم؟

خَطَّأَ الفادي المفتري القرآن، لأَنه صَرَّحَ بأَنَّ الله جعلَ النجومَ رُجوماً للشياطين.

وقد نَصَّ القرآنُ على ذلك. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَجَعَلْنَـٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ٦ ـ ١٠]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [الحجر: ١٦ ـ ١٨].

تَذْكُرُ هذه الآياتُ وظيفتَيْن من وظائفِ النجومِ والكواكب:

الأُولى: تَزيينُ السماءِ الدُّنيا وتَجميلُها، فهي في الليلةِ الصافيةِ تكونُ مضيئةً متلأْلِئَة، تُرْسِلُ أَضواءَها الجميلة، فتبدو السماء في أَفضلِ أَحوالِها، وأَجملِ صُورِها: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ﴾. و﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾.

الثانية: حِفْظ السماءِ من صُعودِ الشياطينِ إليها، فالشياطينُ يُريدونَ الصعودَ إلى السماءِ الدنيا، لِيَتَسَمَّعوا إلى الملأ الأَعْلى الذينَ فيها من الملائكة، لعلَّهم يَسمعونَ منهم كلمةً مما أمرهم اللهُ بإنفاذِه في عالَمِ البشر، فَيهبطون فَوراً إلى الأَرض، ويُقَدِّمونَ ما سَمِعوه إلى أَعوانِهم من الكهنةِ والسحرةِ والدَّجّالين، فيُخبرونَ الناسَ بذلك، ويوهمونَهم بأَنهم يعلمونَ الغيب.

وحتى لا ينجحَ الشياطينُ في استراقِ السمع، فإنَّ اللهَ جَعَلَ على السماءِ حُرّاساً من الملائكة، يَحْفَظونها من الشياطين، وإذا حاولَ أَحَدُ الشياطين الاقترابَ من السماءِ قَذَفوهُ بشهابٍ ثاقب من تلك النجوم والكواكب، بأَنْ يَأْخُذوا قطعةً من النجمِ المُشْتَعِل، فيضربوا بها الشيطان، فَيحترقَ ويَموت!!.

فمعنى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ أَنَّ اللهَ يأمرُ الملائكةَ الحُرّاسَ على السماءِ الدنيا أَنْ يَأْخُذوا رُجوماً وحجارةً وشُهُباً مشتعلةً من النجوم، ويَرْجُموا ويَرْموا بها الشياطين.

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾: أَنَّ اللهَ حفظَ السماءَ بالنجومِ من كلِّ شيطانٍ مارد، وبذلك امتنعَ الشياطينُ من التَّسمُّعِ لكلامِ الملائكةِ في الملأ الأعلى، فإذا حاولوا التسمُّعَ فإنَّ الملائكةَ الحُرّاسَ يَقْذِفونهم بالشُّهُبِ الثاقبةِ من كُلِّ جانب، وإذا هَرَبَ شيطانٌ بكلمةٍ خَطَفَها فإنَّ الحُرّاسَ يَتْبعونَه ويَرْمونَه بشهابٍ ثاقبٍ من تلك النجوم فيحترق.

فالآياتُ صريحةٌ في أَنَّ حُرّاسَ السماءِ الدنيا من الملائكة يَرْجُمونَ الشياطينَ بشُهُبٍ ثاقبةٍ مشتعلة من النجوم. وهذا بَعْدَ نبوةِ محمد ﷺ، أَمّا قبلَ نُبُوَّتِه فلم يكنْ ذلك، وقد وَرَدَ هذا صريحاً في القرآن، عندما أَخْبَرَنا عن كلامِ الجِنِّ المؤمنين. قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ٨ ـ ١٠].

يُخبرُ الجنُّ أَنَّهم كانوا يَقْتَرِبون من السماء، ويَتَسَمَّعونَ كلَامَ الملأ الأَعلى فيها، ويُبَلِّغونَ ما يَسمعونَ إلى الكهنةِ والسحرة، فلما بَعَثَ اللهُ محمداً نبياً ﷺ حاوَلوا الاقترابَ من السماءِ للتَّسَمُّع، فَمُنِعوا من ذلك، وَوَجَدوها مليئةً بالحَرَسِ الأَشدّاءِ من الملائكة، وبالشُّهُبِ المشتعلةِ من النجوم، يَضربونَ بها مَنْ يُحاولُ الاقترابَ من السماء.

وبهذا المعنى فَسَّرَ ابنُ عباس رضي الله عنهما الآيات. روى الترمذيُّ والنَّسائيُّ وأَحمد عن ابنِ عباس قال: «كان الجِنُّ يَصْعَدونَ إلى السماء، يَسْمَعونَ الوحي، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تِسْعاً، فأَمَّا الكلمةُ فتكونُ حَقّاً، وأَمّا ما زادَ فيكونُ باطلاً، فلما بُعثَ رسولُ اللهِ ﷺ مُنِعوا مَقاعِدَهم، فذَكَروا ذلك لإبليس، ولم تكن النُّجومُ يُرْمىٰ بها قبلَ ذلك، فقالَ لهم إبليسُ: ما هذا إلّا من أَمْرٍ قد حَدَثَ في الأَرض، فَبَعَثَ جُنودَه، فوَجدوا رسولَ الله ﷺ قائِماً يُصَلّي بينَ جبلَيْنِ بمكة، فأَتوهُ فأَخْبَروه، فقال: هذا الذي حَدَثَ في الأَرض..»[1].

وهذه الحقيقةُ القرآنيةُ لم تُعجب القِسّيسَ الفادي، واعْتَبَرَها لجهلِه خَطأً جغرافياً وَقَعَ فيه القرآن، لأَنه يَتعارضُ مع عِلْمِ الفَلَك، وبعدَ أَنْ أَوردَ كلاماً للبيضاويِّ في تفسيرِ الآياتِ السابقةِ طَرَحَ سؤاله التشكيكيَّ، فقال: «ونَحنُ نَسألُ: إذا كانَ كُلُّ كوكبٍ هو عالم ضخم، والكواكبُ هي ملايينُ العوالمِ الضخمة، تَسْبَحُ على أَبْعادٍ شاسعةٍ في فَضاءٍ لا نَهائِيّ، فكيفَ نتصوَّرُ الكواكبَ كالحجارة، يُمسكُ بها مَلاكٌ في حَجْمِ الإنسان، ليضربَ بها الشيطان، مَنْعاً له من استماعِ أَصواتِ سُكانِ السماء؟ هل كلُّ هذه الأَجرامِ السماويةِ خُلِقَتْ لتكونَ ذَخيرةً أَو عَتاداً حربيّاً كالحجارةِ لرجْمِ الشيطان، حتى اشْتَهَرَ اسْمُه بالشَّيْطانِ الرجيم؟! وكيفَ يَطْرَحُ الملائكةُ الكواكبَ؟ وكيفَ يُحْفَظُ توازُنُ الكونِ إذا سارَتْ في غير فَلَكِها؟!»[2].

---

(١) التفسير الصحيح، للدكتور حكمت بشير: ٥/ ٥٤٤.
(٢) هل القرآن معصوم؟، ص٢١.

وقد طَرَحَ الفادي أَسئلتَه الاعتراضيةَ التشكيكيةَ بأُسلوبٍ تَهَكُّميٍّ، ولهجةٍ ساخرة، تدلُّ على تهكُّمِه بالقرآن، وعَدَمِ احترامِه له، وعَدَمِ أَدَبِه معه، وهذا أُسلوبٌ لا يَليقُ به، باعتبارِه قِسّيساً ورجلَ دينٍ نصرانياً!.

واعتراضُه على كَلامِ القرآنِ يَدُلُّ على جَهْلِه، حيثُ ظَنَّ أَنَّ كُلَّ النجوم والكواكبِ في الفضاءِ حجارةٌ وعَتادٌ حربي، لضَرْبِ الشياطين التي تُحاولُ الصعودَ إِلى السماء، وظَنَّ أَنّ المَلَكَ الحارسَ بحجْمِ الإِنسان، أَيْ أَنَّ حَجْمه لا يَكادُ يَزيدُ على مئةِ كيلوغرام، فكيفَ يَحملُ بين يَدَيْه نَجْماً، يَزِنْ مَلايين الكيلوغرامات؟!.

إِنَّ هذا الظَّنَّ السخيفَ يدلُّ على غَباءِ الفادي وسخافةِ تفكيره..

لقد ذَكَرَ القرآنُ أَنَّ الملائكةَ الحُرّاسَ يَقْذِفونَ على الشياطينِ الصاعدةِ شُهُباً ثاقِبَة، ولم يَقُلْ: إِنَّ أَحَدهم يَحملُ كوكباً يَزِنُ ملايينَ الأَطْنان!. ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾. فمعَ المَلَكِ شِهابٌ مُشْتَعِلٌ، وهذا الشِّهاب يكونُ مأخوذاً من النجمِ المشتعل.. وهناك نجومٌ مشتعلةٌ ملتهبةٌ مثْلُ الشمس، وهناك نُجومٌ باردةٌ مظلمةٌ مثْلُ القَمَر... فلم يَقُلِ القرآنُ: إِنَّ كُلَّ النجوم والكواكبِ التي تُعَدُّ بالمليارات حجارةٌ لضَرْبِ الشياطين، إنما أَخْبَرَ أَنَّ معَ الملائكةِ الحُرّاسِ شُهُباً مُبينَةً مُشْتَعِلَة، مأْخوذةً من النجوم النارية.. والشِّهابُ صَغيرُ الحجمِ يَقْدِرُ الطفلُ على حَمْلِه، فما بالك بالمَلَكِ الضخمِ القويِّ؟!.

ومَن الذي قالَ للفادي: إِنَّ حَجْمَ المَلَكِ بحَجْمِ الإِنسان؟ إِنَّ المَلَكَ ضخمٌ كَبيرٌ عظيم، كما قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١].

وبما أَنَّ اللهَ أَخْبَرَنا في القرآنِ أنه جعلَ النجومَ رُجوماً للشياطين، وأَنَّ الملائكةَ الحُرّاس يأْخُذونَ منها الشُّهُبَ الثاقبة يَرْمونَ بها الشياطين، فهو الكلامُ الصحيحُ الصائب، ولا نَجِدُ فيه خَطَأً فَلَكياً أَو جغرافياً، ولا يَتَعارَضُ مع

العقل. وبهذا نَعرِفُ أَنَّ اعتراضَ الفادي في غيرِ مكانِه، وأَنَّ تَهَكُّمَه على القرآنِ لعيبٍ فيه، وأَنَّهُ خَطَّأَ الصّوابَ!!.

٤

هل السموات سبع والأراضي سبع؟

اعترضَ الفادي على كونِ السمواتِ سَبْعاً، وأَنَّ كلَّ سماءٍ منها سقفٌ أَملسُ على وشَكِ السُّقوط، كما اعترضَ على كونِ الأَراضي سَبْعاً، واعتبرَ هذا خطأً في القرآن.

أَوردَ آياتٍ صريحةً في أَنَّ اللهَ خَلَقَ السمواتِ سَبْعاً؛ منها قولُه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]. ومنها قولُه تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ ...﴾ [فصلت: ١٢]. ومنها قولُه تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ...﴾ [الطلاق: ١٢].

واعترضَ لجهلِه على كونِ السمواتِ سَبْعاً، فقال: «واضحٌ من هذه الآيات، معَ تفسيرِ البيضاويِّ لها، أَنَّ اللهَ خَلَقَ السماءَ التي فوقَنا، وهي سقْفٌ أَمْلَسُ واسع، وفوقَهُ ستُّ سموات، كالسُّقوف، بعضُها فوق بعض.. فكيفَ يكونُ الفضاءُ اللّامتناهي سَقْفٌ أَمْلس، وأَنه يوجَدُ فوقه سبعةُ سُقوفٍ من هذا النوع؟!»[(١)].

واعتراضُه على هذه الحقيقة دالٌّ على جهلِه، واعتبارُه هذا خطأً فلكياً في القرآن بسببِ تحامُلِه وحقدِه على القرآن.

وقد صَرَّحَ القرآنُ بأَنَّ اللهَ خَلَقَ سبعَ سموات، وجاءَ هذا التصريحُ القرآنيُّ في سبعِ آياتٍ صريحة، وهذا «التَّوافُقُ العدديُّ» مقصودٌ في القرآن!.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٢.

ولا يَعرفُ العلمُ البشريُّ القاصرُ إلّا شيئاً قليلاً عن السماءِ الدنيا، وهو لا يَعرفُ شيئاً عن السمواتِ السِّتِّ الأُخرى التي فوقَها، لأنه غَيْرُ مُؤَهَّل للبحث فيها، ويجبُ عليه أَنْ يعترفَ بعَجْزِه وقُصوره، وأَنْ يَكِلَ العلمَ بتلك السمواتِ السِّتِّ إلى اللهِ العليم الخبير، وأَنْ يأْخذ ما ذكرَه اللهُ عنها في القرآن بالقَبولِ والتسليم، وأَنْ لا يُكَذِّبَ بما لا علْمَ له به!.

فالسمواتُ سبْعٌ طِباق، كلُّ سماءٍ سقفٌ لما تحتَها، وأَساسٌ لما فوقَها. قالَ تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ . . .﴾ [الملك: ٣]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [نوح: ١٥]. وقالَ تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢].

ولم يَخترق السمواتِ السبعَ إلّا رسولُنا ﷺ، عندما أَسرى اللهُ به من المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأَقصى، ثم عَرَجَ به إلى السماء، وَوَصَلَ به إلى سدرةِ المنتهى.. وَوَصَفَ لنا رسولُ الله ﷺ السمواتِ السَّبْعَ في أَحاديثَ صحيحة!

وعلينا أَنْ نأخذَ المعلوماتِ الغيبيةَ المذكورةَ في القرآن، وأَنْ نَتلَقّاها بالقَبولِ والتسليم، وأَنْ نعترفَ بقُصورِ علْمِنا، بدلَ أَنْ «نَتَعَالَمَ» على القرآن، ونُخَطِّئ ما فيه من صواب، كما فَعَلَ هذا الفادي!.

وكما خَطَّأَ الفادي القرآنَ في كلامِهِ عن السبعِ سموات خَطَّأَهُ في إشارتِه إلى أَنَّ الأَرْضَ سبعُ أَرَضينَ أَيضاً. ولم تَرِدْ هذه الإشارةُ إلّا مَرَّةً واحدةً في القرآن، وذلك في قولِهِ تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ . . .﴾ [الطلاق: ١٢].

واعترض على الآيةِ بقولِه: «... وخَلَقَ اللهُ الأَرضَ، التي نحنُ عليها، وسِتَّ أَراضٍ مِثْلَها.. فجملةُ السمواتِ والأَراضي أَربع عَشرة... فكيفَ يقولُ القرآنُ: إنَّ أَرضنا ـ وهي واحدةٌ من ملايينِ الكواكب والسياراتِ والأَقمارِ والشُّموس ـ يوجَدُ سبعةٌ مثْلُها؟»(١).

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٢.

لقد فهمَ الجاهلُ من قولِه تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أنَّ القرآنَ يقولُ بوجودِ سَبْعِ أَرضين، كلُّ واحدةٍ كوكبٌ مثلُ كوكَبنا، وأَرضٌ مثْلُ أَرْضنا، وكلُّ واحدةٍ مستقلَّةٌ عن الأُخْرَياتِ مثلُ أَرضِنا، وكلُّ واحدةٍ صالحةٌ للحياةِ مثلُ أَرضِنا، وكلُّ واحدةٍ عليها أَحياءٌ مِثْلُنا!! وهذا ما لم يَقُلْهُ القرآن!.

كلُّ ما قالَه القرآنُ أَنَّ اللهَ خَلَقَ سبعَ سموات، وأنه خَلَقَ من الأَرْضِ مِثْلَهن: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾. ونرى أَنَّ هذه الجملةَ ليستْ نَصّاً قرآنيّاً صريحاً في أَنَّ اللهَ خَلَقَ الأَرضَ سَبْعَ أَرَضين، كما خَلَقَ السماءَ سَبْعَ سمواتٍ طباقاً، ولهذا اختلفَ المفسرون في فهم هذه الجملةِ القرآنية!!.

وفي المرادِ بالمثليةِ في قولِه تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ قولان:

الأَول: هي مثليةٌ في الخَلْق. فاللهُ خَلَقَ سَبْعَ سموات، وخَلَقَ الأَرضَ مثْلَهن: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ...﴾. وعلى هذا القولِ يكونُ حرفُ الجَرِّ «مِنْ» للبَيان. وتكونُ ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ مجرورةً لفظاً، منصوبةً مَحَلّاً، لأَنها معطوفةٌ على ﴿سَبْعَ﴾ المنصوبةِ قبلَها، لأَنها مفعولٌ به. و«مِثْلَهنَّ»: حالٌ منصوب. وصاحِبُ الحالِ هو «الأَرض». والتقدير: اللهُ الذي خَلَقَ سبعَ سموات، وخَلَقَ الأَرضَ مثْلَهن. ووجْهُ الشبهِ بينَ السمواتِ السبعِ والأَرضِ هو الخلقُ، والمثليَّةُ هنا هي المثليةُ في الخَلْق. فالسمواتُ السبعُ مخلوقة، والأَرضُ مثلهن مخلوقة!.

الثاني: هي مثليةٌ في العَدَدِ، بالإِضافةِ إِلى المثليةِ في الخَلْقِ. فاللهُ خَلَقَ السماءَ سَبْعَ سمواتٍ طِباقاً، وخَلَقَ الأَرضَ مثْلَ السماء، وجعلَها سبعَ أَرَضِين!.

ومع أَنَّ الجملةَ تحتملُ القولَيْن، ولكنَّنا نرى أَنَّ القولَ الأَولَ هو الراجح، أَما القولُ الثاني فإِنه مرجوح.

فالراجحُ أَنَّ الأَرضَ كلَّها كتلةٌ واحدة، وأَرضٌ واحدة، وأَنها مخلوقةٌ مثل السمواتِ السبع، وأَنَّ الله هو الذي خَلَقَ السمواتِ وخَلَقَ الأَرض.

وقد ورَدَ حديثٌ عن رسولِ الله ﷺ يُشيرُ إِلى أَنَّ الأَرَضينَ سَبْعٌ، فقد

روى البخاريُّ ومسلمٌ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ شِبرٍ من الأرض، طُوِّقَهُ من سَبْعِ أَرَضين».. وفي روايةٍ أُخرى: «خُسِفَ به إلى سبعِ أَرَضين».

وقد يُفْهَمُ الحديثُ على أنه من بابِ الترهيبِ من الظلم وتهديدِ الظالمِ بالعذاب، وقد يُؤْخَذُ الحديثُ على ظاهرِه، ويُعْتَبَرُ دَليلاً على أَنَّ الأَرضَ هي سبعُ أَرضين.

وإذا قُلْنا بأَنَّ الأرضَ سبعُ أَرضين، فهي سَبْعُ أَرضينَ متصلةٌ ببعضِها، ليس بينها فَراغ، أَمّا السمواتُ فهي سبعُ طبقاتٍ منفصلَة، بين كُلِّ سماءٍ وسماءٍ مسافةٌ بعيدة لا يَعلمُها إلا الله.

وبهذا نَعرفُ خطأَ وجهلَ القسيس الفادي، عندما اتَّهَمَ القرآنَ بالقولِ إنَّ الأَرَضين السبعَ هي سبعُ كُراتٍ أَرضيةٍ مستقلة، مثلُ كرتنا الأَرضيةِ التي نحنُ عليها!.

واعترضَ الجاهلُ أيضاً على القرآنِ في إخبارِه أَنَّ اللهَ هو الذي يمسكُ السماءَ لئَلّا تقعَ على الأَرض، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: ٦٥].

وسَجَّلَ اعتراضَه في قوله: «ونحنُ نتساءَل: كيفَ يَقولُ عن الفَضاءِ المتسامي سُمُوّاً لامُتَناهي فَوقَنا: إنه سَقْفٌ أَمْلَس قابلٌ للسقوط؟..»![1].

واعتراضُه على القرآنِ دَليلُ جهْلِهِ، ولم يُخطئ القرآنُ في إخبارِه عن هذه الحقيقة، وهَدَفُ الآيةِ تقريرُ حقيقةِ أَنَّ كُلَّ شيءٍ في الكونِ إنما يتمُّ بأَمْرِ الله، وأَنَّ اللهَ هو الذي يُدَبِّرُ أَمْرَ الكونِ وما فيه، فهو سبحانه الذي خَلَقَ الأَرضَ والسماء، وهو الذي جَعَلَ السماءَ فوقَ الأَرض، وهو الذي جعلَ الكواكبَ والنجومَ في الفضاء، وحَدَّدَ لكلٍّ منها سَيْرَه ومدارَه ومكانَه. وهذا واضح في الآيـــة: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٢.

وأكد القرآن على هذه الحقيقة في آياتٍ عديدة؛ منها قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٧ ـ ٤٠].

وليسَ معنى قولِه تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ أنَّ السماءَ على وَشَكِ الوقوعِ على الأَرض، وأَنها قابلةٌ للسقوط، كما فهِمَ الجاهل، وإنما مَعْناها أَنَّ اللهَ هو الذي يُمسِكُ السماءَ القويةَ المتينةَ المحْكَمَة، ولولاهُ سبحانَه لوقَعَتْ على الأَرض، ولولاهُ لزالت السماءُ والأَرض، ولولاهُ لَدُمِّرَت النجومُ والكواكبُ في الفضاء.. ولا يوجَدُ مخلوقٌ في الوجودِ يَقْدِرُ على الإمساكِ بالنظامِ الكونيِّ المتوازن، الذي يُنَظِّمُ السماءَ والأَرض والكواكبَ في الفضاء.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١].

تُشيرُ الآيةُ إِلى القوةِ المتوازنةِ التي جعلَها اللهُ في الكون، والتي تمسكُ ما فيه من نجومٍ وكواكب، وهي قوةُ «الجاذبيةِ» العجيبة. وعندما يَحينُ وَقْتُ إِنهاءِ هذا الكونِ وما فيه، يُزيلُ اللهُ قوةَ الجاذبية، فتتناثَرُ النجومُ والكواكب، ويكونُ الانفطارُ والانشقاقُ والتكويرُ والانكدارُ والتسييرُ والتسجيرُ والتفجير! وهذه مصطلحاتٌ قرآنيةٌ تتحدَّثُ عن يومِ القيامة!.

٥

ما هو النسيء؟

اعتبرَ الفادي حديثَ القرآنِ عن النَّسيءِ خَطأً جُغرافياً فلكيّاً وَقَعَ فيه القرآن، واعترضَ على آيتَيْنِ تَتَحدثان عن عِدَّةِ شهورِ السنة وعن النسيء؛ وهما قولُ اللهِ ﷻ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٣٦ ـ ٣٧].

ولم يَفْهَم الجاهلُ معنى النسيء، ولذلك طَرَحَ سؤالاً دالّاً على جَهْلِه وغَبائِه، فقالَ: «ونحنُ نسأَلُ: يُؤَرِّخُ جميعُ العلماءِ بالسَّنَةِ الشمسية، التي تَفْرُقُ عن السنةِ القمريةِ شَهْرَ النَّسيء؛ فهل في هذا كُفْرٌ؟ وكيفَ نَعتبرُ الحسابَ الفلكيَّ الطبيعيَّ كُفْراً؟»(١).

كان الفادِي كاذِباً مُفْتَرِياً عندما زَعَمَ أَنَّ جميعَ العلماءِ يُؤَرِّخون بالسنةِ الشمسية، فمن المعلومِ أَنَّ هناكَ تقويمَيْن للتاريخ: التقويمَ الشمسيَّ، وهو الذي يَتبعهُ العالمُ الغربيُّ، والذي أَخَذَه عن الرومان.. والتقويمَ القمريَّ، وهو الذي أَرَّخَ به المسلمون، منذُ هجرةِ رسولِ الله ﷺ إلى المدينة.. وإذا كان الغربيّون قد دَخلوا في القرنِ الحادي والعشرين الميلاديِّ الشمسي، فإنَّ المسلمينَ قد دَخلوا في الربع الثاني من القرنِ الخامس عشر الهجريِّ القمري.

وكانَ الفادي جاهلاً عندما جَعَلَ الفرقَ بينَ السنةِ الشمسيةِ والسنةِ القمريةِ شَهْراً، أَيْ أَنَّ السنةَ الشمسيةَ تَزيدُ على السنةِ القمرية شهراً كاملاً!! وهذا ما لم يَقُلْه أَحَدٌ!!.

إنَّ السنةَ الشمسيةَ تَزيدُ على السنةِ القمريةِ ما بينَ عشرةِ أيامٍ إلى أَحَدَ عَشَرَ يوماً.

قالَ المؤرخُ الإسلامِيُّ المعاصر أحمد عادل كمال في الفرقِ بينَ التقويم الشمسيِّ والتقويم القمري: «يزيدُ اليومُ الشمسيُّ عن اليومِ القمريِّ ثَلاثَ دقائق، وخَمْساً وخمسين ثانية، وتسعةً في العشرةِ من الثانية! (٣:٥٥،٩)!

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٣.

واليومُ عندَ العرب يبدأُ من غروبِ الشمس، ويمتدُّ إلى غُروبِها في اليوم التالي!.. والشهرُ القمريُّ: (٢٩,٥٣٠٥٨٨) يوماً! والسنةُ القمريةُ (٣٥٤) يوماً، وثماني ساعات، و(٤٨) دقيقة، و(٣٦) ثانية! أما السنةُ الشمسيةُ فإنَّها (٣٦٥) يوماً، وستُّ ساعات، وتسعُ دقائق، و(٩,٥) ثانية!!

فالفرقُ بين السنةِ الشمسيةِ والسنةِ القمريةِ حوالي أَحَدَ عَشَرَ يوماً!»[١].

فكيفَ يقولُ القسيسُ بعد هذا الضبطِ الدقيقِ لجزءٍ من الثانية إنَّ الفرقَ بينَ التقويمَيْن شهرٌ كامل، وليس أَحَدَ عشر يوماً؟ وكيفَ يقعُ في هذا الخطأ الحِسابيِّ الفلكيِّ الشنيع؟ وكيفَ يدخُلُ في ما لا يَعرِفُهُ؟ ويَتَعالَمُ بعد ذلك على القرآن!.

وانتقلَ الجاهلُ الذي يُريدُ أَنْ يُخَطِّئَ القرآنَ من خطئِه في الحساب إلى خَطَأ أَقبَح، حيثُ لم يَفْهَمْ معنى «النسيء» في الآية، فاعتبرَ النسيءَ هو «التأْريخ بالسنةِ الشمسية»، ولذلك تَساءَلَ بغَباء: كيف نَعتبرُ الحسابَ الفلكيَّ الطبيعيَّ كُفراً؟.

ولا يَقولُ عاقل: إنَّ النسيءَ هو التاريخُ الشمسي، وإنَّه كفر! فضلاً عَنْ أَنْ يقولَ القرآنُ بذلك!!

«النسيءُ» في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ اسْمٌ، بمعنى التأخير، مُشْتَقٌّ من «نَسأَ» بمعنى: أَخَّرَ. ونَسْءُ الشيءِ تَأْخيرُه. وهو في الآيةِ تأخيرٌ خاص، إنَّه «نَسيءٌ» في حرمةِ الأَشهرِ الحُرُم، كانَ يمارسُه الكفارُ في الجاهلية.

لقد جَعَلَ اللهُ أَربعةَ أَشْهُرٍ حُرُماً، من شهورِ السنةِ الاثْنَيْ عَشَر: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ...﴾.

---

(١) جداول التقويم الميلادي المقابل للتقويم الهجري، لأحمد عادل كمال، ص٣ ـ ٤.

وهي أَربعةُ أَشهر، لأَنَّ اللهَ حَرَّمَ فيها القتال، وجعلَها أَشْهُرَ أَمْنٍ وأَمان، وَسْطَ باقي الشهور، القائمةِ على القتل والسَّلْبِ والنهبِ والعُدوان.

والأَشهرُ الحُرُمُ هي: ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب. ويُلاحَظُ أَنَّ الأَشهرَ الثلاثةَ مُتَتابعة، أَمّا الشهرُ الرابعُ رجب فهو مُتَأَخِّرٌ عنها.

وكان الكفارُ في الجاهليةِ يَتَعاملونَ مع الأَشهرِ الحُرُمِ بالهوى والمزاجية، ويَتَلاعَبونَ فيها، فإِنْ دَخَلَ عليهم شَهْرٌ من الأَشهرِ الحُرُم، وَوَجدوا لهم مصلحةً في انتهاكِ حرمتِهِ وقتالِ الآخرين فيه، «نَسَؤُوه»: أَيْ: نَقَلوا حرمَتَهُ إِلى شهرٍ آخَرَ بعْدَه، واسْتَباحوا القتالَ فِيهِ.

شَهْرُ «مُحَرَّم» مَثَلاً من الأَشهرِ الحُرُم؛ فإِنْ دَخَلَ عليهم شهرُ مُحَرَّم حَرُمَ عليهم قِتالُ الآخرين فيه، فإِن وَجَدوا لهم مصلحةً في القتالِ فيه قالوا: نَنْقُلُ حرمَتَهُ إِلى شهرِ «صفر» بعدَه، ونُقاتلُ أَعداءَنا فيه، فهو «نَسيءٌ»، بهذا الاعتبار!!.

وهذا تلاعُبٌ منهم بأَحكامِ الله، يقودُ إِلى زيادةٍ في كُفرِهم وجرائمهم وضلالِهم، فهو ليس مجردَ كُفْر، وإِنما هو زيادةٌ في الكفر! وعلى هذا قولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾.

وقد فَسَّرت الآيةُ معنى النَّسيء، وذلك في جملةِ ﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾ أَيْ أَنهم كانوا يُحِلُّونَ القتالَ في أَحَدِ الأَشهرِ الحُرُمِ عاماً، ويُحَرِّمونَ القتالَ في نفسِ ذلك الشهرِ الحرامِ عاماً آخر!.

ومعنى قوله: ﴿لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾: أَنهم كانوا يقولون: نحنُ نلتزمُ بعدَدِ الأَشهرِ التي حَرَّمَها الله، فالمهمُّ أَنْ نُحَرِّمَ في السنةِ أَربعةَ أَشهر، ولا يُهِمُّ عندنا أَسماؤُها أَيَّ أَشهرٍ تَكون. كانوا يُريدونَ أَنْ «يُواطِئوا» ويُوافِقوا عِدَّةَ ما حَرَّمَ الله، أَربعةُ أَشهرٍ بأَربعةِ أَشهر، ومع هذه المواطأَةِ والموافقةِ كانوا

يُحِلّونَ ما حَرَّمَ الله، فكانوا يُحِلّونَ القتالَ في شهر ذي القعدة أَحياناً، ويُحِلّونه في شهر ذي الحجةِ أَحياناً أُخرى.

وبهذا نَعرفُ معنى «النسيءِ» الذي كان يفعلُه المشركونَ في الجاهلية، وأَنه قائم على معنى التأْخيرِ والنقلِ والتلاعبِ والتغييرِ والتبديل! وليس بمعنى تركِ التاريخِ بالحسابِ القمري، والتاريخِ بالحسابِ الشمسي، وأَنَّ استعمالَ الحسابِ الشمسيِّ في التقويمِ والتاريخِ حرامٌ وكفر! كما فهم ذلك الجاهلُ المتعالم! وصَدَقَ فيه قولُ الشاعر:

وكَمْ مِنْ عائِبٍ قَوْلاً صَحيحاً ... وآفَتُهُ هي الفَهْمُ السَّقيمُ

٦

بماذا تروى مصر؟

اعترضَ الفادي على حديثِ القرآنِ عن رِيِّ أَرضِ مصر! وذلك في قولِه تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٩].

وقد فَهِمَ الفادي لجهلِهِ الآيَةَ فَهْماً خاطئاً، واعْتَبَرَها خطأً جغرافياً، وقالَ في تخطئتها: «الإِشارةُ هنا إِلى القحطِ الذي أَصابَ مصرَ سبْعَ سنينَ متواليةً، أَيامَ يوسف، فيُبشِّرُهم بالخَصْبِ بعدَ الجَدْب، ويقولُ: إِنه في عام الخَصْبِ يُمْطَرون، فكأَنَّ خَصْبَ مصر مُسَبَّبٌ عن الغيثِ أَو المطر. وهذا خِلافُ الواقعِ، فالمطرُ قَلَّما يَنزلُ في مِصْر، ولا دَخْلَ له في خَصْبِها الناتجِ عن فيضانِ النِّيل، فكيفَ يُنْسَبُ خَصْبُ مِصْرَ للغيثِ والمطرِ؟»[1].

إِنَّ الآيَةَ التاسعةَ والأَربعينَ من سورةِ يوسفَ مرتبطةٌ مع الآياتِ التي قَبْلَها، والتي أَخبرتْ عن رؤيا رآها ملكُ مصر في زمنِ يوسفَ عليه السلام، وطَلَبَ من الملأ حولَه أَنْ يعبروها له، ولما عَجَزوا عن تعبيرها، تَوَجَّهوا إِلى

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٣.

يوسفَ عليه السلام ليعبرها، ففعل. وقد رأى الملكُ سَبْعَ بقراتٍ سمانٍ يأكُلُهن سبعٌ عِجافٌ وسبْعَ سنبلاتٍ خضر وأُخَرَ يابسات.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣ ـ ٤٩].

لما عَبَّرَ يوسفُ عليه السلام رؤيا الملكِ أخبرَ أَنَّ مصرَ ستمرُّ بدورتَيْن، كُلُّ دورةٍ منها سبعُ سنوات.. السبعُ سنوات الأُولى سنواتُ خَصْب، يستغلّونَها في الزراعةِ والإنتاج: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾.. والسبعُ سنوات الثانية سنواتُ جَدْبٍ وقَحْطٍ ومَحْل: ﴿ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾.

والسنةُ الخامسة عشرة ستكونُ عاماً للغيثِ والرّيّ: ﴿ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾.

ولا يلزمُ من قولِه: ﴿فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ أَنْ يكونَ الغيثُ ناتِجاً عن أَمطارٍ غزيرة، تهطُلُ عليهم من السماء، حتى يعترضَ الفادي على ذلك، ويعتبرَهُ خَطأً، لأَنَّ المَطَرَ قَلَّما يهطُل على مصر.

إننا نعلمُ أَنَّ رِيَّ مصرَ يكونُ من مياهِ نهرِ النيل، الذي يكونُ فَيضانُه سَبَباً في زيادةِ كمياتِ الأَراضي المروية، وفي زيادةِ الإنتاجِ الزراعي، ونعلمُ أَنَّ الأَمطارَ قَلَّما تنزلُ على مصر.

إنَّ غيثَ مصرَ من مياهِ نهرِ النيل، وستكونُ مياهُ النيلِ في العامِ الذي أخبرَ عنه يوسفُ عليه السلام غَزيرة، وسيكونُ فيضانُ النيلِ فيه غَوْثاً لمصْر.

وقد يكونُ الغيثُ بمياهِ الأَمطارِ النازلةِ من السماء، وهذا هو الأَكْثَرُ والأَغلب، وقد يكونُ بمياهِ الأَنهار، وهذا قليلٌ في البلدان، كما هو غيثُ مصْرَ بمياهِ النيل.

فاعتراضُ الفادي على الآيةِ في غيرِ مكانِه، وهو لجهلِه خَطَّأَ الصوابَ الذي في الآية!!.

٧

هل الرعد ملك من الملائكة؟ وكيف يسبح الله؟

اعترضَ الفادي على حديثِ القرآنِ عن الرَّعْد. والذي وردَ في قولِه تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣].

كيفَ يُسبحُ الرعْدُ بحمدِ الله؟ وهل هو مخلوقٌ حَيٌّ يَتحركُ ويَتكلمُ ويُسبحُ اللهَ بلسانِه؟.

رَجَعَ الفادي إِلى تفسيرِ البيضاوي، ونَقَلَ عنه كَلاماً عَجيباً! قال: قالَ البيضاوي: «عن ابنِ عباس: سُئِلَ النبيُّ ﷺ عن الرَّعْد، فقال: «هو مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بالسَّحاب، معه مخاريقُ من نار، يَسوقُ بها السحابَ».. ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾: من خوفِ اللهِ وإِجلاله.. وقيل: الضميرُ للرعد.. وأَخرجَ الترمذيُّ عن ابنِ عباس: «أَقبلت اليهودُ إِلى محمد، فقالوا: أَخْبِرْنا عن الرَّعد، ما هو؟ قال: هو مَلَكٌ من الملائكة، مُوَكَّلٌ بالسَّحاب، معه مَخاريقُ من نار، يَسوقُه بها حيثُ يَشاءُ الله. قالوا: فما هذا الصوتُ الذي يُسْمَعُ؟ قال: زَجْرُه السَّحاب، حتى تَنْتَهي حيث أُمِرَتْ. قالوا: صَدَقْتَ».

ونحنُ نَسأَل: إذا كانَ الرَّعْدُ هو الكهرباءَ الناشئةَ عن تَصادمِ السحاب،

فلماذا يقول: إنَّ الرعدَ هو أَحَدُ الملائكة؟!»[١].

لم يكن الفادي أَميناً في النقلِ عن البيضاوي. حيث أسقط من كلامِه قِسْماً مُهِمّاً، وأَبْقى قِسْماً يوافقُ هدفَه في تخطئةِ القرآنِ. قالَ البيضاويُّ: «﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ﴾: أَيْ: يُسَبِّحُ سامعوه. ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾: ملْتَبِسين به، فيضجّونَ بسبحانَ اللهِ والحمد لله أو يدلُّ الرعدُ بنفسِه على وحدانيةِ الله وكمالِ قدرتِه، ملْتَبِساً بالدلالةِ على فضْلِه ونزولِ رحمتِه..»[٢].

هذا هو رأْيُ البيضاويِّ في معنى تسبيحِ الرعدِ بحمدِ الله، فإمّا أَنْ يكونَ المعنى أَن الناسَ الذين يَسمعونَ الرعدَ يُسَبِّحونَ الله، ويكونُ تسبيحُهم ملْتَبِساً ومقروناً بحمدِ الله، فيقولون: سبحانَ الله والحمدُ الله، وإمّا أَنْ يكونَ صوتُ الرعدِ دالّاً على وحدانيةِ اللهِ وكمالِ قُدرتِه، ملْتَبِساً بالدلالةِ على فَضْلِ اللهِ ونزولِ رحمتِه.

وهذا هو التفسيرُ الصوابُ لتسبيحِ الرعدِ بحمدِ اللهِ، وهو الذي يَقولُ به البيضاوي.

وبعدما قَرَّرَ البيضاويُّ التفسيرَ الصوابَ أَرادَ أَنْ يذكُرَ قولاً آخَرَ هو عنده مرجوح، فأَوردَ روايةً عن ابنِ عباس رفعَها للنبيِّ ﷺ، ذَكَرَ فيها أَنَّ الرعدَ أَحَدُ الملائكةِ، يسوقُ السحابَ وهو يَذْكُرُ اللهَ ويسبِّحُه.

ونَسَبَ الفادي إلى البيضاويِّ روايةً لم يوردْها في تفسيرِه، وهي التي أَخرجَها الترمذيُّ في سننِه، والتي فيها جوابُ الرسولِ ﷺ لسؤالِ اليهودِ عن أَنَّ الرعْدَ أَحَدُ الملائكة، وصوتُ الرعدِ هو صوتُ الملَكِ يَزجُرُ به السحاب.

هذه الروايةُ لم تُذْكَرْ في تفسيرِ البيضاوي، وكان الفادي مفترياً عندما زَعَمَ وُجودَها في تفسيره.

لم يذكر القرآنُ أَنَّ الرعْدَ مَلَكٌ يُسَبِّحُ اللهَ بلسانِه، وأَنه يسوقُ السحاب، ويَصْرُخُ فيه ويَزْجُرُه، وهذا الزجْرُ والصراخُ هو الصوتُ الذي نسمعُه منه!.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٣.

(٢) تفسير البيضاوي: ٢/١٨٣.

وإنما وردَ هذا في روايةٍ منسوبةٍ لابنِ عباس، رَفَعها بدورِه لرسولِ اللهِ ﷺ، وهذه الروايةُ تَحتاجُ إلى تخريج، المهمُّ أَنَّ القرآنَ لم يَقُلْ ذلك!.

وأَسْنَدَ القرآنُ إلى الرعْدِ التسبيح، على طريقةِ القرآنِ المعجزةِ في التعبير، وهي «التصوير»، يَعرضُ فيها الأفكارَ والمعاني بطريقةٍ مُصَوَّرَة، كأَنَّ القارئَ يرىٰ أمامَه صُوَراً حيةً متحركة، وليسَ مجردَ كلماتٍ وعبارات.

الرعْدُ صوتٌ مسموعٌ من السحاب، وهو ظاهرةٌ جويةٌ معروفة، ناشئةٌ عن تصادُمِ السحبِ في الجَوّ، وارتطامِها بعضها ببعض، وهو غيرُ ملموسٍ ولا مُجَسَّم، لكنَّ الآيةَ عرضَته بصورةٍ مجسَّمةٍ شاخصةٍ متخيَّلَة، حيثُ حَوَّلَته إلى جسمٍ مادي، وشخصٍ حيّ، يتحركُ ويَتكلم، وله لسانٌ يُسَبِّحُ به ربَّه ويَحمدُه! وليس مجردَ صوتٍ قاصف، ناتجٍ عن ارتطامِ السُّحُب!!.

وعندما يَسمعُ المسلمُ الآية، يَتَخَيَّلُ في خيالِه الرعد، رَجُلاً جالِساً وسْطَ السحاب، يَذْكُرُ اللهَ ويُسَبِّحُه ويَحمدُه، بصوتٍ عالٍ مرتفع!.

فالقرآنُ لم يُخطئ عندما تكلَّمَ عن الرعد بهذه الطريقةِ المعجزة، وعَرَضَهُ في هذه الصورةِ الحيةِ المتحركة. لكنَّ الفادي الجاهلَ لا يَعرفُ طريقةَ القرآنِ في التعبير، ولا يستمتعُ بما فيه من روائعِ التصوير!!.

أَما حديثُ الترمذيِّ عن ابنِ عباس فقد اختلفَ فيه العلماء، فمنهم مَنْ ضَعَّفه، ومنهم مَنْ صَحَّحَه، وهذا أَمْرٌ حديثيٌّ لا يَعنينا هنا، لأَنَّ موضوعَنا هو القرآن!!.

٨

بين وادي طوى وجبل حوريب

اعترضَ الفادي على حديثِ القرآنِ عن المكانِ الذي سمعَ فيه موسى عليه السلام كلامَ الله، لأَنَّه يتعارضُ مع ما وردَ في الكتابِ المقدّس!.

قال الله ﷻ: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١١ ـ ١٢]. وقال ﷻ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذْ

نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [النازعات: ١٥ ـ ١٧].

تُصرحُ هذه الآياتُ بأَنَّ اسْمَ الوادي الذي نادى اللهُ فيه موسى عليه السلام هو «طُوى». وكانَ اسْمُه «طُوى» في زمنِ موسى عليه السلام. وهذا معناهُ أَنه اسْمُ علمٍ أَعجمي، وليس عربيّاً مشتقّاً، فلا نبحثُ له عن معنى في العربية.

ووادي «طوى» المقدسُ بجانبِ جبلِ الطّور، وهو في جانبِهِ الأَيمنِ. قال تعالى: ﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢]. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

ولكنَّ الفادي يرفضُ كلامَ القرآن، ويَعتبرُه خَطَأً جغرافيّاً، يَتَعارضُ مع ما وردَ في العهدِ القديم، الذي هو جزءٌ من دينِ القِسّيسِ الفادي. وقد اعترضَ على كلامِ القرآنِ قائِلاً: «قالَ المفسرونَ المسلمون: إنّ «طُوى» اسْمُ الوادي. ولكنَّ الكتابَ المُقَدَّسَ يُعَلِّمُنا أنه لما كانَ موسى يَرعى غَنَمَ يَثْرونَ حَمِيه كاهنِ مِدْيان، ساقَ الغَنَمَ إلى ما وراء البريّة، وجاءَ إلى جبلِ اللهِ حوريب، وظَهَرَ ملاكُ الرَّبِّ بلهيب نارٍ من وَسَطِ عُلّيقَةَ، ونظر، وإذا بالعُلّيقة تتوقَّدُ بالنَّارِ دونَ أَنْ تحترق.. فَناداهُ الرَّب، وقال له: «لا تَقتربْ إلى هاهُنا، اخْلَعْ حِذاءَكَ من رِجْلَيْك، لأَنَّ الموضعَ الذي أَنتَ واقفٌ عليه أَرضٌ مُقَدَّسَة» [خروج ٣:١ ـ ٥]. إِذَنْ موسى كانَ في جبلِ اللهِ حوريب، فمن أَيْنَ جاءَ القرآنُ باسْمِ طوى، مع أَنَّ حوريبَ اسْمُ جبلٍ مشهورٍ في شبهِ جزيرةِ سيناء؟!»[1].

ذَكَرَ العهدُ القديمُ أَنَّ اسْمَ الجبل «حوريب»، وذكرَ القرآنُ أَنَّ اسْمَه «الطور»، والقِسيسُ الفادي يرفضُ اسْمَ القرآن، ويَعتمدُ اسْمَ العهدِ القديم... أما نحنُ المسلمين فإننا نؤمنُ بالقرآن، ونعتمدُ الاسْمَ المذكورَ فيه، ونرفضُ أَيَّ اسْمٍ آخَرَ يَختلفُ معه، لأَنَّ القرآنَ هو الذي تَكَفَّلَ اللهُ بِحِفْظِهِ، فكلُّ ما فيه حَقٌّ وصَواب، أَما الكُتُبُ الأُخرى فقد عَدَتْ عليها يَدُ التحريفِ فلا يوثَقُ بها.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٤.

اسْمُ الجبلِ الذي وَقَعَتْ بجانبِهِ الحادثةُ هو جبلُ الطور، كما صَرَّحَ القرآن، ولا أدري من أَيْنَ أتى اليهودُ والنَّصارى باسم «جَبَلِ حوريب». واسْمُ الوادي الواقع بجانبِ جبلِ الطورِ هو وادي «طوى»، ولا يَجوزُ تركُ ما وَرَدَ في القرآنِ صريحاً!.

والواجبُ اعتمادُ ما وَرَدَ في القرآن، وَرَدُّ كُلِّ ما يتعارضُ معه!.

٩

هل في طور سيناء زيتون؟

اعترضَ الفادي على القرآن، في حديثِه عن شجرةِ الزيتون، التي تَخرجُ من طورِ سَيْناء، واعتبرَ هذا خطأً جغرافياً في القرآن.

والآيةُ التي أَخبرتْ عن ذلك هي قولُ اللهِ ﷻ: ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٩ ـ ٢٠].

تتحدَّثُ الآيَتانِ عن بعضِ النِّعَمِ التي تَنشأُ عن إنزالِ الماءِ من السَّماء، ويتنعَّمُ بها النّاسُ على وجْهِ الأَرض، منها الفواكهُ الكثيرةُ التي يأكلونَ منها، ومنها جَنّاتُ النخيل وجَنّاتُ الأعناب.

ومن تلك النعمِ شجرةُ الزيتون المباركة، التي تَخرجُ من طورِ سَيْناء، والتي يُؤْخَذُ منها الزَّيْت، الذي يَصْلُحُ أَنْ يكونَ دُهْناً للشَّعَر والجِسْم، ويَصلحُ أَنْ يَكونَ صِبْغاً للآكلين، يَصبغُ به الآكِلونَ طعامَهم، ويَأْكلونَه مع الزعتر أَو غَيْرِه.

وخَطَّأَ الفادي هذا الكلام، فقال: «ونحنُ نَسأَل: لَمْ تشتهرْ صَحراءُ سيناء الجرداءُ بِشَجَرِ الزيتون. أَلم يكن الأَجْدَرُ أَنْ تُذْكَر فلسطينُ بزيتونِها، لا سيناءُ التي من قَحْطِها أَرسلَ اللهُ لبني إِسرائيل فيها المَنَّ من السماء؟»(١).

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٤.

نقولُ بداية: المرادُ بطورِ سَيْناءَ في الآية شبهُ جزيرةِ سيناءَ المعروفة، وفيها جبلُ الطورِ المعروف، الذي ناجى موسى عليه السلام ربَّه عليه.

وذُكرتْ «سَيْناءُ» مَرَّتَيْن في القرآن: المرةُ الأُولى في سورةِ المؤمنون، والمرةُ الثانيةُ في سورة التين، في قول الله عز وجل: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ١ ـ ٣].

و«سَيْناءُ» الآنَ صحراءٌ في معظمِها، وفيها مناطقُ زراعيةٌ خَصْبَة، وفي هذه المناطقِ الزراعيةِ أَشجارُ زيتونٍ جيدة، فزراعةُ الزيتونِ ناجحةٌ فيها.

واعتراضُ الفادي على الآية مردود، لوجودِ أَشجارِ زيتونٍ حتى الآنَ في الأَراضي الزراعيةِ في سيناء، ووجودُ هذه الأَشجارِ حتى الآنَ يدلُّ على أَنَّ منطقةَ سَيْناءَ كانتْ منطقةَ زَيْتونٍ في الماضي البعيد، يوم كانَتْ أَراضيها خصبة، قبلَ أَنْ تتحوَّلَ إِلى صحراء!.

والدليلُ على هذا كلماتُ الآيةِ نفسِها، حيثُ قالَ تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ . .﴾ . . إِنَّ كلمةَ «شجرةً» منصوبة، لأَنها معطوفةٌ على «جَناتٍ» قبلَها، التي هي مفعولٌ به لفعْلِ «أَنشأْنا». في قوله: ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ﴾ والتقديرُ: أَنشأْنا لكم بالماءِ جناتٍ من نخيل، وأَنشأنا لكم به شجرةً خارجةً من طورِ سَيْناء!.

وإِنشاءُ الشيءِ إِيجادُه من العَدَمِ أَوَّلَ مَرَّة. واختيارُ فعْلِ «أَنشأَ» في الآيةِ مقصود، لأَنه يشيرُ إِلى أَولِ مَرَّةٍ في التاريخ، ظهرتْ فيها جناتُ النّخيل والأَعناب وأَشجارِ الزيتون، ولعلَّ إِنشاءَ أَشجارِ الزيتون على الأَرضِ كانَ قبلَ خَلْقِ آدمَ عليه السلام بفترةٍ طويلة. ولا يَعلمُ إِلّا اللهُ كيفَ كانَتْ «سيناء» عندما أُهبطَ آدمُ إِلى الأَرض!!.

فالآيةُ تتحدثُ عن إِنشاءِ شجرةِ الزيتونِ لأَوَّلِ مَرَّة، وليس عن المناطقِ والأَراضي التي تَنبتُ فيها شجرةُ الزيتونِ في هذا الزمان.

ثم إِنَّ حرفَ الجَرِّ «مِنْ» في الآيةِ يُقَرِّرُ هذا المعنى، فهو هنا للابتداء،

والمرادُ به الابتداءُ الزماني. والمعنى: كان ابتداءُ إنشاءِ وإخراجِ شجرةِ الزيتون في منطقة سيناء: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ ..﴾. وهذا الابتداءُ كانَ قبلَ آدمَ عليه السلام.

فاعتراضُ الفادي على الآيةِ دليلُ جهلِه وغبائِه، لأَنه «أَسيرُ» هذا الزمان، الذي رأيْنا فيه سيناءَ صحراءَ جرداء.

حتى الكتابُ المقدَّسُ الذي يؤمنُ به القِسّيسُ الفادي يُخبرُ أَنَّ الزيتونَ كان منتشراً مَعْروفاً من قديم الزمان، وذَكَرَ الأَحبارُ في سِفْرِ التكوينِ من العهدِ القديم أَنَّ الزيتونَ كان مَعْروفاً قبل الطوفان، وزَعَموا أَنه بينما كان نوحٌ عليه السلام في السفينة، والطوفانُ قد غَطّى كُلَّ شيء حتى قمم الجبال، أَرادَ أَنْ يَعرفَ ماذا جرى خارجَ السفينة، فأَطلقَ الحمامةَ من السفينة، فعادَتْ لأَنها لم تجدْ مكاناً تقفُ عليه، وبعد فترةٍ أَطلقَ الحمامةَ مرةً ثانية، فعادَتْ وفي فمِها «غُصْنُ زيتون»، ومن يومِها سُمِّيت الحمامةُ حمامةَ السلام، وصارَ شعارُ السلامِ الحمامةَ وغصنَ الزيتون!! فعودةُ الحمامةِ زمنَ نوحٍ عليه السلام ومعها غصنُ زيتونٍ دليل على أَنَّ الزيتونَ كان معروفاً زمنَ نوحٍ عليه السلام.

إِنَّ قولَه تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ يُشيرُ إِلى ابتداءِ إِنشاءِ الزيتونِ في التاريخِ البعيد، وأَنَّ بدايةَ هذه الشجرة كانَتْ عندَ طورِ سيناء، ثم انتشرَتْ من هناكَ إِلى باقي بلدانِ حوضِ البحرِ الأَبيضِ المتوسط، في شمالِه وجنوبِه وشرقِه! وهذا يُشيرُ إِلى أَنَّ «سَيْناء» كانتْ أَراضِيَ زراعيةً خصبة، ثم صارتْ صحراءَ جرداءَ بعد ذلك! ولعلَّ تَحَوُّلَها إِلى صحراءَ كان في زمنِ تدميرِ قومِ لوطٍ عليه السلام، الذي نشأَ عنه جيولوجياً حفرةُ «الانهدام» الكبير، الذي يبدأُ من شمالِ سورية، مروراً بسهْلِ الغاب، ونُزولاً إِلى الغور، ثم البحرِ الميت، ثم وادي عربة، فالبحر الأحمر، حتى مضيقِ بابِ المندب والقرنِ الإفريقي!!.

وهناك صلةٌ وثيقةٌ بين كونِ شجرةِ الزيتون المباركة، تَنشأُ وتَخرجُ لأَوَّلِ

مرةٍ من أَرضِ سيناءَ، وجبلِ الطور المقدَّسِ فيها، وبجانبِه وادي طُوى المقَدَّس!!.

١٠

هل الشمس ثابتة؟

وقفَ الفادي وقفةً غبيةً أمامَ حديثِ القرآنِ عن جريانِ الشمس، الذي وَرَدَ صريحاً في قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ۝٣٧ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ۝٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [يس: ٣٧ ـ ٤٠].

نَقَلَ من تفسيرِ البيضاوي خمسةَ أَقوالٍ في معنى اللّامِ في جملةِ: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾، وفي بيانِ معنى هذه الجملةِ القرآنية:

١ ـ الشمسُ تَجْرِي لحدٍّ معينٍ يَنْتهي إِليه دَوْرُها.

٢ ـ أَو: الشمسُ تَجري لكبدِ السماء، فإِنَّ حركَتَها هناكَ أَبطأُ، بحيثُ يُظَنُّ أَنَّ لها وقْفَة.

٣ ـ أَو: الشمسُ تجري لاستقرارٍ لها على نَهْجٍ مخصوص.

٤ ـ أَو: الشمسُ تَجري لمنتهى مقدَّرٍ لكلِّ يومٍ من المشارقِ والمغارب.

٥ ـ أَو: الشمسُ تجري لمنقطعِ جَرْيِها عند خرابِ العالَم!.

والأَقوالُ الخمسةُ متقاربةٌ في المعنى.

و«مُسْتَقَرٌّ»: اسْمُ مكان، وهو مكانُ استقرارِ الشمس. والشمسُ لا تستقرُّ إِلّا عندما تتوقَّفُ عن الجريانِ والسَّيْر، وهذا يكونُ عند قيامِ الساعة!.

والراجحُ أَنَّ اللامَ في: ﴿لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ بمعنى «إِلى»، وحرفُ «إِلى» يدلُّ على الغايةِ والنهاية، فمعنى الآية: آيةٌ للناسِ في الشمسِ وجريانِها، فهي

تجري بسرعةٍ محدَّدَة، منذُ أَنْ خَلَقها الله، وستَبْقى تَجْري بنفسِ السرعةِ التي حَدَّدَها لها الله، إلى أَنْ تَبلغَ مُسْتَقَرَّها، وتَصِلَ إلى مكانِ استقرارِها، وهو ما سيكونُ عند قيامِ الساعة!.

وهذا ما قصدَه الإمامُ البيضاويُّ بقولِه: «﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾: لحَدٍّ مُعيَّنٍ ينتهي إليه دورُها، شُبِّهَ بمستقرِّ المسافرِ إذا قَطَعَ مَسيرَه..» وقولِه: «أو لمنقطعِ جَرْيِها عندَ خَرابِ العالم»[1].

إنَّ الآيةَ تصرحُ بأَنَّ الشَّمْسَ تَجْري وتَتَحركُ وتَسير، وتَسبَحُ في الفضاء، وهي في حالةِ جَرَيانٍ دائم، بدونِ تَوَقُّف، إلى أَنْ تَصِلَ مُسْتَقَرَّها، وتبلغَ نهايتَها، وهذا عندَ قيامِ الساعة.

وهذا كلامٌ لا يُوافقُ عليه القِسّيسُ الفادي، ويَعتبرُه خَطَأً في القرآن، لأَنَّه يرى أَنَّ الشمسَ ثابتةٌ لا تَجْري ولا تَتحرك.

ولذلك اعترضَ عليه قائلاً: «ونحنُ نَسْأَل: الشمسُ ثابتة، تَدورُ حولَ نفسِها، ولا تَنتقلُ من مكانها، والأَرضُ هي التي تَدورُ حولَها، فكيفَ يَقولُ القرآنُ: إنَّ الشمسَ تَجْري، وإِنَّ لها مُسْتَقَرّاً تَسيرُ إليه؟!»[2].

وما يقولُه الفادي يُخالفُ مقرراتِ الفَلَكِ المعاصِر، فقد كانَ علماءُ الفَلَكِ السابقونَ يَظُنّونَ أَنَّ الشمسَ ثابتةٌ في مكانِها، لا تَجري ولا تَتحرك.. ولكنْ ثَبَتَ في الفَلَكِ حَديثاً أَنَّ الأَرضَ تَجري، وأَنَّ الشمسَ تَجري، وأَنَّ الكواكبَ تَجري، وأَنَّه لا أَحَدَ ثابتٌ واقفٌ في مكانِه، وكلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحون، وسَيَبْقى جَرَيانُ هذه الكواكبِ إلى أَنْ تَبْلُغَ مستقرَّها، فتتوقَّفَ عن الجَرَيان، وهذا عندَ قيامِ الساعة!.

إنَّ الفادي هو الذي أَخْطَأَ خَطَأً جُغْرافياً فَلَكيّاً عندما زعمَ أَنَّ الشمسَ ثابتة، لا تنتقلُ من مكانِها، وأَنَّ القرآنَ أَخطَأَ عندما أَخبرَ أَنها تَجري لمستقَرٍّ لها... فما قالَه القرآنُ فهو الصَّواب، المتفقُ مع آخرِ مُقَرَّراتِ علْمِ الفَلَكِ

---

(1) تفسير البيضاوي: ٤/٢٦٨.

(2) هل القرآن معصوم؟، ص٢٥.

الحديث، وما قالَه الفادي فهو الخطأُ، المتعارضُ مع تلك المقَرَّرات!!.

واتفاقُ القرآنِ مع آخرِ مُقَرَّراتِ عِلْمِ الفَلَكِ الحديث يدلُّ على أَنَّ القرآنَ من عندِ الله.

ووقعَ الفادي في مُغالطةٍ مفضوحة، عندما نَقَلَ عن تفسيرِ البيضاوي قولاً بوجودِ قراءةٍ أُخرى في قولِه تعالى: ﴿تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾.

قالَ البيضاوي: «وقُرِئ»: «لا مُسْتَقَرَّ لها». أَيْ: لا سُكونَ لها، فإِنها متحركةٌ دائماً، ولا مستقرَّ لها، على أَنَّ «لا» بمعنى: «ليس».

وعَلَّقَ الفادي على ذلك بقوله: «وأَمّا القولُ بوجودِ قراءةٍ في القرآن: أَنَّ الشمسَ تَجْري ولا مستقرَّ لها، فيدلُّ على اختلافِ قراءاتِ القرآن اختلافاً يُغَيِّرُ المعنى، مما يَطعنُ في سَلامةِ القرآنِ وصحَّتِه..»[1].

الفادي جاهل، لا عِلْمَ له بالقراءات، ومع ذلك يَتعالَمُ على القرآنِ وقراءاتِه.

إِنَّ من البدهيّاتِ المقَرَّرةِ أَنَّ القراءاتِ الصحيحةَ «توقيفيةٌ» من عندِ الله، واللهُ هو الذي أَنزلَها على نبيِّه محمدٍ ﷺ، وأَذِنَ أَنْ تُقْرَأَ بما تُقْرَأُ به!!.

ولا تُقْبَلُ أيةُ قراءةٍ قرآنية إِلّا إِذا اجتمعَتْ فيها شروطٌ ثلاثة:

١ - أَنْ تكونَ القراءةُ صحيحةَ السَّنَد، منقولةً عن رسولِ الله ﷺ.

٢ - أَنْ تكونَ القراءةُ موافقةً لرسْمِ المصحفِ العثماني.

٣ - أَنْ تكونَ القراءةُ موافقةً لقواعِدِ اللغةِ العربية.

فإِذا اخْتَلَّ شرطٌ من هذه الشروطِ كانت القراءةُ شاذَّةً مردودة، وليستْ قرآناً. وقد سَجَّلَ العلماءُ القراءاتِ الصحيحةَ المقبولة، التي توفرتْ فيها الشروطُ الثلاثة.

والقراءاتُ الصحيحةُ عَشْرُ قراءات، منسوبةٌ لأئمتها القُرّاء، وهي: قراءةُ

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٥.

نافع، وقراءةُ عاصم، وقراءةُ الكسائي، وقراءةُ حمزة، وقراءةُ ابن كثير، وقراءةُ ابن عامر، وقراءةُ أبي عمرو، وقراءةُ أبي جعفر، وقراءةُ يعقوب، وقراءةُ خلف.

وأَشهرُ القراءاتِ الشاذة أربعة، وهي: قراءةُ الحسن البصري، وقراءةُ الأَعمش، وقراءةُ ابن محيصن، وقراءةُ اليزيدي.

وقد أَجمعَ القراءُ العشرةُ على قراءةِ قولِه تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ بكسرِ اللّامِ والتنوين في «لِمُسْتَقَرٍّ»، فليس فيها قراءةٌ صحيحةٌ أُخرى.. وما ذَكَرَه البيضاويُّ من القِراءةِ بحرفِ: «لا»: «لا مُسْتَقَرَّ لها»، ليستْ قراءةً صحيحة، ولا من القراءاتِ الأَربعِ الشاذَّة، وإِنما هي موضوعةٌ باطلة، وليستْ قرآناً!.

ولقد كان الفادي جاهِلاً عندما اعتمدَ هذه القراءةَ الموضوعةَ الباطلة، واعتبرها قرآناً! وكان مُتَحاملاً مُغْرِضاً عندما بنى على هذا الكلام الباطل نتيجةً باطلة، وذلك في قوله: «وأما القولُ بوجودِ قراءةٍ في القرآن أَنَّ الشمسَ تَجري ولا مستقرَّ لها، فيدلُّ على اختلافِ قراءات القرآنِ اختلافاً يُغَيِّرُ المعنى، مما يَطعنُ في سلامةِ القرآنِ وصحَّته».

إِنَّ الفادي المفتري يَزعُمُ أَنَّ اختلافَ القراءاتِ في القرآن يُغَيِّرُ المعْنى، وهذا زَعْمٌ مردود، وكلُّ مسلم له علمٌ بالقراءاتِ يَعلمُ بُطْلانَ هذا الزعم، ويوقنُ أَنَّ الاختلافَ بين القراءاتِ العشرِ الصحيحةِ اختلافٌ يَسير، لا يُغيرُ المعْنى، ولا يُؤَدّي إِلى التعارض والتناقضِ والاضطراب، وإِنما تَلْتَقي كُلُّ القراءاتِ على تقريرِ المعنى. وهذا علمٌ نفيس، من أنفسِ علومِ القرآن، يُسَمّى «علْم توجيهِ القراءات»!.

ويريدُ الفادي المفتري الوصولَ إِلى هدفِه الخبيث، وهو الطعْنُ في سلامةِ القرآنِ وصحتِه، ورفْضِ كونِه من عندِ الله، فالاختلافُ في المعنى يطعنُ في سلامةِ القرآنِ وحفْظِه! ووجودُ الأَخطاءِ في القرآن يَنفي كونَه وَحْياً من عندِ الله!

إنَّ القرآنَ كلامُ الله، وقد حَفِظَه الله، ونَزَّهَه عن التغييرِ والتبديلِ، والزيادةِ والنقص، فلا خَطأً في القرآن، ولا تَعارُضَ بين قراءاتِه، ولا تَناقُضَ في معانيه.

١١

القمر كالعرجون القديم

ذَكَرَ الفادي آيتيْنِ من سورةِ يسٓ تتحدَّثان عن القمر، وهما قولُ اللهِ ﷻ: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٩ ـ ٤٠].

اكتفى الفادي بذكْرِ تَفسير البيضاويِّ لهاتَيْنِ الآيَتَيْن، وذَكَرَ منازِلَ القمر الثمانيةَ والعشرين، التي ينزلُ فيها خلالَ الشهر، وبيان معنى العرجونِ القديم، وكلُّ كوكبٍ من الكواكبِ في فَلَكٍ يَسبحُ فيه في الفضاء[(١)].

ولم يُسجل اعتراضَه على الآيَتَيْن، ولم يذكُرْ ما رآهُ خَطَأً جغرافياً فلكيّاً فيها، فبقيَ الاعتراضُ في بطنِه! ولا نعرفُ ما الذي لا يُعجبُه من الآيات، حتى نردَّ عليه ونبينَ سوءَ فهمه.

والعُرجونُ جَريدُ النخل «الشِّمْراخ» الدقيقُ الرفيعُ القديمُ العتيقُ اليابس، ومنازلُ القمر هي التي ينزل فيها على مدارِ الشهرِ القمري!.

١٢

أسطورة جبل قاف

اعترضَ الفادي على القرآنِ لورودِ كلمةِ «قاف» فيه. وهي المذكورةُ في أوَّلِ سورة «قٓ»، في قوله تعالى: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [قٓ: ١].

واعتبرَ القرآنَ كتابَ أساطيرٍ وخرافات، لوجودِ هذه الكلمةِ «قاف» فيه.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٥.

ونَقَلَ عن كتاب «عرائسِ المجالس» للثَّعْلَبِيِّ أَنَّ اللهَ خلقَ جبلَ «قاف»، من زبرجدةٍ خضراء، وجعلَه جَبَلاً عظيماً، مُحيطاً بالأرضِ كُلِّها!!.

ونقلَ عن كتابِ «قصص الأنبياء» ـ هو نفسهُ «عرائسُ المجالسِ» للثَّعْلَبِيّ ـ أَنَّ عبدَ اللهِ بنَ سلام رضي الله عنه سأَلَ رسولَ الله ﷺ عن أعلى جبلٍ في الأرض؟ فأخبره أنه جبلُ «قاف»، وأَنَّ ارتفاعَه مسيرةُ خمسمِئة سنة، وأَنَّ طولَه مسيرةُ أَلفي سنة، وأَنه مخلوقٌ من زمردٍ أَخضر.

وعَلَّقَ الفادي على هذا بأَنَّ أَوَّلَ مَنْ تكلمَ عن جبلِ قافِ المحيطِ بالأرضِ هو الكتابُ الدينيُّ اليهودي «حَكيكاه»، عندما فَسَّرَ كلمةَ: «توهو بوهو» المذكورةَ في أَولِ جملةٍ في سِفْرِ التكوين، الذي هو أَولُ أَسفارِ العهدِ القديم.

ونقلَ عن «حَكيكاه» أَنَّ معنى كلمةِ «توهو» العبرية هو: الفضاءُ والفراغ. وأَنَّ المرادَ بها الخطُّ الأَخضرُ المحيطُ بجميعِ العالَم.. ولما أَرادَ العربُ تَعريبَ كلمةِ «توهو» العبريةِ سَمّوها «قاف».

وبَعدما ذَكَرَ هذه الخرافةَ الأُسطورية، نَسَبَها إِلى القرآن، وقال: «فالكلمةُ العبريةُ المترجمةُ «الخط» هي «تاء»، ولما سَمِعَها الصحابةُ لم يَعْرِفوا معناها أَنَّهُ الخَطّ، وتوهموا أَنّها سلسلةُ جبالٍ عظيمةٍ اسْمُها «قاف»!!.

فكيفَ يَعتبرُ القرآنُ ما نُسَمِّيه «الأُفُق» [وهو خَطٌّ وَهْمِيٌّ] جَبَلاً حقيقياً؟»[1].

إِنَّ كتابَ الثعلبيِّ «عرائس المجالس في قصص الأنبياء» مرفوضٌ عند العلماء، ولا يَصلحُ أَنْ يكونَ مرجعاً في كتبِ التفسير وقَصصِ الأَنبياء، ومعظمُ الحكاياتِ والأَخبارِ والرواياتِ التي فيه موضوعةٌ ومردودة، وهي خُرافاتٌ وأَساطير، مأخوذةٌ عن الإِسرائيلياتِ المردودةِ الباطلة.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٧.

وما أَخذَه الفادي منه باطلٌ ومردود، لأنه ضمنَ الخرافاتِ والأساطير التي مَلأَتْ كتابَه! ولا يتحملُ القرآنُ ما في «عرائسِ المجالس» من أخطاءٍ وخرافاتٍ وأباطيل!.

وما أوردَه الثعلبيُّ من حوارٍ بينَ عبدِ الله بن سلام رضي الله عنه وبينَ رسولِ الله ﷺ مردود، لأنه روايةٌ موضوعةٌ باطلة.

وحكايةُ جبلِ «قاف» الأخضرِ المحيطِ بالأرضِ كلِّها، خُرافةٌ وأُسطورة، باطلةٌ مردودة، لم يَقُلْ بها أَحَدٌ من العلماءِ المسلمين المحَقِّقين!!.

ونحنُ مع الإمامِ الحافظِ المفسِّر ابنِ كثير رحمه الله في رَدِّ هذه الخرافة. قال: «وَقَدْ رُوِيَ عن بعضِ السلف أنهم قالوا: قاف: جبلٌ محيطٌ بجميعِ الأرض، يُقالُ له: «جَبَلُ قاف». وكأَنَّ هذا - واللهُ أعلم - من خُرافاتِ بني إسرائيل، التي أَخذَها عنهم بعضُ الناس، لِمَا رأوا من جوازِ الروايةِ عنهم مما لا يُصَدَّقُ ولا يُكَذَّب... وعندي أَنَّ هذا وأَمثالَه وأَشباهَه من اختلاقِ بعضِ زَنادقتِهم، يُلَبِّسونَ به على الناسِ أَمْرَ دينِهم، كما افْتُرِيَ في هذه الأُمةِ مع جلالةِ قدرِ علمائِها وحُفّاظِها وأئمتِها أحاديثُ عن النبيِّ ﷺ، وما بالعهدِ من قِدم، فكيفَ بأُمَّةِ بني إسرائيل، مع طولِ المدى، وقلةِ الحُفّاظِ النُّقّادِ فيهم، وشُرْبِهم الخمور، وتحريفِ علمائِهم الكلمَ عن مواضعِه، وتبديلِ كتبِ اللهِ وآياتِه.. وإنما أَباحَ الشارعُ الروايةَ عنهم في قوله: «وحَدِّثوا عن بني إسرائيلَ ولا حَرَجَ» فيما قد يُجَوِّزُهُ العقل، فأما فيما تُحيلُه العقول، ويُحْكَمُ فيه بالبطلان، ويَغلبُ على الظنونِ كذبُه، فليس من هذا القبيل.. واللهُ أعلم..»[1].

إِنَّ ابنَ كثير يرفضُ أُسطورةَ «جبلِ قاف» المحيطِ بالأرض، ويَعتبرُها من رواياتِ بني إسرائيل، ويجعلُها خُرافةً تَتناقضُ مع العقل!.

وبما أَنها مرفوضةٌ مردودة، فإِنَّ القرآنَ لا يَحْملُ وِزْرَها، ولا يُسْتَشْهَدُ بها

(١) تفسير ابن كثير: ٤/ ٢٢٢.

على وجودِ الخَطأ في القُرآن، كما فَعلَ المفتري المتحامل!!.

و«ق» الذي بَنى عليه الفادي أُسطورتَه وخُرافتَه ليس اسْماً لجَبَل، وإنما هو أَحَدُ حروفِ الهجاء، سَمَّى اللهُ به هذه السورة، وافتتحها به، ثم أَقسَمَ بعد ذلك بالقرآن على صِدْقِ نبوةِ محمدٍ ﷺ: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ [ق: ١ ـ ٢].

ومن المعلومِ أَنَّ اللهَ افتتحَ بعضَ سورِ القرآنِ ببعضِ حُروفِ الهجاء، مثل سور: ن، و: ق، و: ص، و: يّس، و: طه...

❖ ❖ ❖

الفصل الثاني

نقض المطاعن التاريخية

١٣

هل كان هامان وزيراً لفرعون؟

«فرعونُ»: لَقَبٌ يُطْلَقُ على مَنْ حكمَ مصرَ زمنَ موسى عليه السلام. وقد أَخبرَ القرآنُ أَنَّ وزيرَ فرعونَ الأولَ اسْمُه «هامان».

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: ٨].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ﴾ [غافر: ٣٦].

ويَعترضُ الفادي على هذا، ويعتبرُه خَطأً تاريخيّاً في القرآن، لأَنَّ هامانَ كان وَزيراً للملكِ الفارسي.

قالَ: «يَقولُ القرآنُ: إِنَّ هامانَ كانَ وزيرَ فرعون. بينما يُثْبِتُ التاريخُ أَنَّ هامانَ كانَ وزيراً لأَحْشويرش، وأَنَّ بينَ فرعونَ وهامان زهاءَ أَلْفِ سَنة! ثم إِنَّ فرعونَ كان ملكَ مصر، وكان هامانُ وزيراً في بابل! وما أَبْعَدَ الزمانَ والمكانَ بينَ فرعونَ وهامان، فكيفَ يكونُ هذا وَزيراً لذاك؟! ويَقولُ سِفْرُ أَستير في التوراة: إِنَّ هامانَ كان وزيراً وخليلاً لأَحْشويرش ملكِ الفرس، الذي يَدْعوهُ اليونانُ زَرْكيس!»[1].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٩.

يَرى الفادي أَنَّ هامانَ لا يُمكنُ أَنْ يكونَ وزيراً لفرعون، للفرقِ بينهما في الزمانِ والمكان، ففرعونُ كانَ زَمَنَ موسى ﷺ، وهامانُ كان وزيراً للملكِ «أَحشويرش»، وذلك بعدَ حوالي أَلْفِ سنة من وفاةِ فرعون!!.

وأَخَذَ الفادي معلوماتِه من سِفْرِ أَستيرَ في العهدِ القديم، وهو السِّفْرُ الذي كَتَبَه أَحبارُ اليهود، وسَجَّلوا فيه التفاصيلَ المثيرةَ لاستيلاءِ اليهودِ على الحكمِ في بلادِ فارس، وإِبادةِ خصومِهِم من الفرسِ الوطنيّين.

وخلاصَةُ سِفْرِ أَستيرَ أَنَّ «هامانَ» كانَ وزيراً عند الملكِ الفارسيِّ أَحشويرش، وكان اليهوديُّ «مردخاي» يَعملُ عند الملِك، وحصلَ نزاعٌ بينَ هامانَ الفارسيِّ ومردخاي اليهودي، وتمكنَ مردخايُ من توصيلِ ابنةِ أَخيه الفاتنةِ «أَسْتير» إِلى الملك، حيثُ تزوَّجَها، وتمكَّنَ هامانُ من إِقناعِ الملكِ بإِصدارِ أَمْرِه بقتْلِ اليهودِ في الدولةِ الفارسية، لما يقومون به من إِفسادٍ وتخريب. . لكنَّ الملكةَ أَستير وعَمَّها مردخاي تمكَّنا من إِلغاءِ الأَمْرِ الملكيِّ السابق، وإِصدارِ أَمْرٍ مَلَكيٍّ آخر، بإِبادةِ مَنْ كانوا مع هامان، وقَتَلَ الملكُ وزيرَه هامان، وقَضى على رجالِه، وانتصرَ اليهودُ في صراعِهم مع الفرسِ الوطنيين، وتحكَّموا في الدولةِ الفارسيةِ إِلى حين، وخَلَّدَ الأَحبارُ اليهودُ مؤامرةَ أَستير، بأَنْ جَعَلوها أَحَدَ أَسفارِ التوراة[1].

ونحن نتوقَّفُ في قَبولِ أَخبارِ سِفْرِ أَستير، فلا نُصدقُها ولا نُكَذِّبُها، وهذا موقفُنا من أَخبارِ وأَحداثِ العهدِ القديم ورواياتِ الإِسرائيليات، الذي أَرشَدَنا إِليه رسولُ اللهِ ﷺ، حيثُ قال: «إِذا حَدَّثَكم بنو إِسرائيل، فلا تُصَدِّقوهم ولا تُكَذِّبوهم، فإِنكم إِما أَنْ تُصَدِّقوا بباطِل، وإِمّا أَنْ تُكَذِّبوا بحَقّ»!. . ومعلومٌ أَنَّ أَحبارَ اليهودِ هم الذين أَلَّفوا وصاغُوا وكَتَبوا أَسفارَ العهدِ القديم، وأَنَّهم مَلَؤُوها بالافتراءِ والكذبِ والادعاء، ونَسَبوها إِلى اللهِ زوراً وبُهتاناً، فهم ليسوا

(١) انظر حديثنا عن سفر أستير في كتابنا: «جذور الإرهاب اليهودي في أسفار العهد القديم».

أُمناءَ على التاريخ، وليسوا صادقين فيما يوردونَه من أَخبارٍ وأَحداث! ولذلك نتوقَّفُ في قَبولِ كَلامِهِم، فلا نُصَدِّقُه ولا نُكَذِّبُه!.

وَهَبْ أَنَّ ما وردَ في سِفْرِ أَستيرَ صَحيح، وأَنَّ وَزيرَ أَحشويرش اسْمُه هامان، فلا يَلزمُ من ذلك أَنْ يكونَ هامانُ وزيرُ مَلِك فارس هو هامان وزيرَ فرعونَ ملكِ مصر! إِنَّ هذا مستحيل، لوجودِ فترةٍ زمنية طويلة بينهما قد تَزيدُ على أَلْفِ سنة!.

إِنهما وزيران، كلٌّ منهما اسْمُه هامان:

هامانُ الأَول: وهو الذي أَخْبَرَ عنه القرآن، وكانَ الوزيرَ عند فرعون، الذي يحكمُ مصرَ باسْمِه، ويُنَفِّذُ أَوامِرَه.

وهامان الثاني: وهو الذي وَرَدَ الكلامُ عنه في سِفْرِ أَستير، وكانَ وزيراً عند ملك الفرس. وبينَ الوزيرين بُعْدٌ في المكان، وبُعْدٌ في الزمان.

وبهذا يَسقطُ اعتراضُ الفادي، الناشئُ عن جهلِه وغبائِه، فوجودُ هامانَ الثاني عند ملكِ الفرس لا يُلغي وُجودَ هامانَ الأَولِ عند فرعون. ومعلومٌ أَنَّ تِكرارَ الأَسماءِ أَمْرٌ موجودٌ في حياةِ الناس، لا ينكرهُ عاقل!!.

١٤

حول تعاون هامان وقارون مع فرعون

أَخْبَرَ القرآنُ أَنَّ هامانَ وقارونَ كانا كافرَيْن، متعاونَيْن مع فرعون، وقَرَنَ القرآنُ بين الطغاةِ الثلاثة.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٣ ـ ٢٤]. وقال تعالى: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٩].

وقد سَبَقَ أَن اعترضَ القِسّيسُ الفادي على كونِ هامانَ وَزيراً عِنْدَ فرعون، وَرَدَدْنا عليه في الاعتراضِ السابق!.

وأَعادَ اعتراضَه على هامانَ في سياقِ اعتراضِه على قارون، واعتبرَ هذا خطأً تاريخيّاً في القرآن! قال: «يَتبادَرُ للذهنِ من هذه الآياتِ أَنَّ قارونَ وهامانَ مصريّان من قوم فرعون، وأَنّهما مع فرعونَ قاوَموا موسى في مصر.. ولكن هذا خَطَأ، لأَنَّ قارونَ إِسرائيليٌّ لا مصري، ومن قوم موسى لا من قوم فرعون، كما جاءَ في سورةِ القَصص: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ [القصص: ٧٦]»[١].

ذِكْرُ قارونَ وهامانَ بجانبِ فرعونَ خطأٌ تاريخيٌّ في القرآن! هذا ما قَرَّرَهُ الفادي الغَبي!!.

مع أَنّه لا خَطَأَ في هذا الموضوع، وقد صَرَّحَ القرآنُ بأَنَّ هامانَ كان الوزيرَ الأَوَّلَ عند فرعون، يُنفذُ أَوامِرَه، ويُشرفُ على حكْم مصرَ باسْمِه، وهو مصريٌّ فرعونيّ.

أَمّا قارونُ فقد كانَ طاغيةً مع فرعون، كما صَرحَ القرآن: ﴿وَقَـٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَـٰمَـٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَـٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَـٰبِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٩].

ولا يلزمُ من هذا أَنْ يكونَ قارونُ فرعونيّاً مصريّاً، كما فَهم الفادي، فقارونُ إِسرائيليٌّ من قومِ موسى، كما صَرَّحَ القرآن: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ﴾. ولكنَّهُ لم يؤمنْ بموسى عليه السلام، وإِنما كَفَرَ به وكَذَّبه، وانْحازَ إِلى عَدُوّه فرعون، وأَيَّدَهُ ودَعَمَه وتَعاوَنَ معه في مقاومةِ موسى وحَرْبِه والوقوفِ أَمامَه؛ فهو إِسرائيليّ كافِر، مُؤَيِّدٌ لفرعونَ المصري!.

وبهذا نَعرفُ أَنَّ القرآنَ لم يُخطئْ عندما جَمَعَ بين الطغاةِ الثلاثة: هامانَ المصري، وقارونَ الإِسرائيلي، وفرعونَ المتأله! واعتراضُ الفادي على ذلك دليلُ جهْلِه وغبائِه!!.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٩.

١٥

حول صنع السامري للعجل

أَخبرَ القرآنُ أَنَّه لما غابَ موسى عليه السلام عن قومِه، وذهبَ إِلى مناجاةِ ربِّه على جبلِ الطور، وتركَ فيهم أَخاهُ هارونَ النبيَّ عليه السلام مسؤولاً، فَتَنَهم السّامريّ، وأَخَذَ ما معهم من حُليٍّ وذَهَبٍ، وصَهَرَه، وصَنَعَ منه عِجْلاً، ودَعَاهم إِلى عبادته، على أنه إِلهٌ لهم، ففعلوا. . .

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدٗا لَّن تُخۡلَفَهُۥۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا﴾ [طه: ٨٣ ـ ٩٧].

تُصرحُ الآياتُ أَنَّ السامريَّ هو الذي صنعَ العجلَ لبني إسرائيل، ولا تذكرُ الآياتُ شيئاً عن السّامريِّ غيرَ صنعِه العجل. ولم يُذْكَر السامريُّ في غيرِ

هذه الآياتِ من سورةِ طه. ولا نَعرفُ نحنُ شيئاً عن بدايةِ أَمْرِه، ولا عن علْمِه ومهارتِه، ولا عن نهايتِه، كلُّ ما أَشارَ إليه القرآنُ أَنَّ موسى عليه السلام عاقَبَه بقوله: ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾.

ونفهمُ من هذه الإِشارةِ أَنَّ موسى عليه السلام عاقَبَ السامريَّ على جريمتِه بطرْدِه، وإخراجِه من بينِ بني إِسرائيل، ونَبْذِه، فذهبَ مَنْبوذاً مَطْروداً... ولا نعرفُ كَيفَ كَانتْ وفاتُه ونهايتُه!.

وقد اعترضَ الفادي على هذا، وخَطَّأَ القرآنَ في حديثِهِ عنه. وذلك في قوله: «ونحنُ نسأل: السامرةُ مدينةٌ في فلسطين، لم يكن لها وجودٌ لَمّا خرجَ بنو إِسرائيل من مصر، وسافَروا في سيناء، فعملَ لهم هارونُ العجلَ الذهبيَّ كطلبِهم، فكيفَ نَتَخيَّلُ سامريّاً يصنعُ لهم العجلَ قبلَ أَنْ يكونَ للسّامريّين وجود؟!»[1].

يَربطُ الجاهلُ بين السّامريِّ والسامريّين والسّامرة. وأَرضُ السامرةِ هي منطقةُ نابلس المعروفةُ حاليّاً، ويَدَّعي الفادي أَنها لم تُسَمَّ السامرةَ إِلّا بعدَ أَنْ أَقامَ فيها السّامريّون، وهم طائفةٌ معروفةٌ من بني إِسرائيل، وسُمُّوا السّامريّين بعدَ وفاةِ موسى عليه السلام بقُرون. وبما أَنَّ السّامريَّ ابْنُهم ـ حسبَ فهم الفادي القاصِر ـ فكيفَ يكونُ موجوداً مع موسى عليه السلام في سيناء؟ وكيف يولَدُ الابنُ قبلَ أَبيه وجَدِّه؟ إِذَنْ أَخطَأَ القرآنُ عندما اتَّهَمَ السامريَّ بصنْعِ العجل، وذهبَ القرآنُ إِلى أَنَّ السامريَّ الابنَ خُلِقَ وعاشَ قبلَ مولدِ أَبيهِ وجَدِّه!!.

لقد كان السامريُّ مع بني إِسرائيلَ عندما كانوا في سيناء، ويبدو أَنه إِسرائيليٌّ خرجَ معهم من مصر، لكنه كان إِسرائيليّاً كافراً، مثلَ قارونَ الذي تحدَّثْنا عنه قبلَ قليل، ولذلكَ صنعَ لهم العجل ودَعاهم إِلى عبادته.

وبما أَنَّ «السامريَّ» إِسرائيليّ، كانَ معهم في مصر، فاسْمُه إِسرائيلي، والكلمةُ إِسرائيلية، ولها معنى في اللغةِ العبريّة، ولهذا الاسمِ وجودٌ عند الإِسرائيليّين، سواء كان اسْمَ شخصٍ أَو اسمَ قبيلة!!.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٣٠.

وهذا معناهُ أَنَّ «السّامريّين» مجموعةٌ من الإسرائيليّين، قد يكونونَ فَرْعاً من قبيلةٍ إسرائيلية، ولعلَّهم سُمّوا بهذا الاسم نسبةً لاسْمِ «السامريّ»، ولعلَّهم كانوا من ذريةِ ذلك السَّامريِّ الذي عاقَبَه موسى عليه السلام بسببِ صنعِه العجل، والذي لا نعرفُ كَيفَ كانَتْ نِهَايَتُه، فإذا كان أولادٌ وإخوةٌ وأقارب، فمن الممكنِ أَنْ يُسَمّوا «السّامريّين»، وأَنْ يَكونوا مَعْروفينَ بهذا الاسمِ من أيامِ موسى عليه السلام!!.

ولما دَخَلَ بنو إسرائيلَ أَرضَ فلسطينَ المقَدَّسَة، كانتْ منطقةُ نابلس تُسَمّى أَرضَ شكيم الكنعانية، وسُمِّيَتْ أَرضَ السّامرة بعدَ ذلك، وهو اسْمٌ إسرائيليٌّ عِبريّ، ولعلَّ لعشيرةِ السّامريّين، المتولدةِ عن السّامريِّ صانعِ العجلِ دَوْراً في تسميةِ المنطقةِ بالسّامرة، ولعلَّهم أَقاموا في المنطقة، فسُمِّيَتْ باسمِهم!!.

فلا معنى لاعتراضِ الفادي على السّامريِّ في القرآن، واعتبارِهِ خَطَأً تاريخيّاً في القرآن، فالسّامريُّ أَصْلٌ للسّامريّين والسامرة، وُجِدَ قبْلَهم في الزّمان.

ومعنى «السّامرة» في اللغةِ العبرية: «مركزُ المراقبةِ والحِراسَة».

جاءَ في كتابِ «قاموس الكتاب المقدس»: «السّامرة: اسْمٌ عبرانيٌّ معناه: مركزُ الحارس. وهي عاصمةُ الأَسباطِ العشرة، أثناءَ أَطولِ مُدَّةٍ في تاريخِهم.. والمدينةُ واقعةٌ على تَلّ، وسُمِّيَتْ «مكانَ المراقبة»... وتقعُ مدينةُ السامرة ـ أو سبسطية ـ على تَلٍّ على مسافةِ خمسةِ أَميالٍ ونصف شمالَ غربِ شكيم... والسّامرةُ أَيضاً اسْمُ الإقليمِ الذي عاصِمَتُه مدينةُ السامرة، وهو الذي احتلَّه الأَسباطُ العشرةُ، والسامرةُ اسْمُ المملكةِ الشمالية.. والسّامريّون هم السكانُ المتَّصلونَ بالمملكةِ الشمالية..»[1].

إنَّ ما قالَه القرآنُ عن السّامريِّ هو الحَقُّ والصواب، ولا خطأَ فيه، ولا اعتراضَ عليه، فهو قَبْلَ السّامريّين في التاريخ، وهم من نسْلِه وذريته، ولذلك حَمَلوا اسْمه، ولما أَقاموا في تلكَ المنطقةِ سُمِّيَتْ باسمِهم، فالصلةُ بين السّامريّ والسّامرةِ والسّامريّين وثيقة!!.

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص٤٤٨ ـ ٤٥١ باختصار.

١٦

من هو أبو إبراهيم عليه السلام؟

أَخبرَ القرآنُ أَنَّ اسْمَ والدِ إِبراهيمَ عليه السلام هو «آزرُ». قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٧٤].

وجعلَ الفادي هذا خَطأً تاريخيّاً في القرآن، لأَنه يَتعارضُ مع الكتابِ المقدَّس. قال: «والصوابُ في التاريخ، كما يَشهدُ الكتابُ المقدَّس أَنَّ والدَ إِبراهيمَ اسْمُه تارح، كما جاءَ في سِفْرِ التكوين»[1].

اسْمُ والدِ إِبراهيمَ الواردُ في سِفْرِ التكوينِ «تارح»، ويَزعمُ اليهودُ والنّصارى أَنَّ العهدَ القديمَ كلامُ الله، أَنزلَه على موسى وأَنبياءِ بني إِسرائيلَ عليهم السلام، مع أَنَّ اللهَ أَخبرَنا أَنَّ الأَحبارَ هم الذين أَلَّفوا العهدَ القَديم، وكَتَبوه بأَيْديهم، ونَسبوهُ إِلى اللهِ زوراً وبُهتاناً.. قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

وهذا معناهُ أَنّه ليسَ كلُّ ما في العهدِ القديمِ من عندِ الله، وإِنَّما كَثيرٌ منه من عندِ الأَحبار، وهذا ليسَ صحيحاً بالضرورة، فمنه الصحيحُ ومنه الخَطَأ.. ومعنى هذا أَنْ نتوقَّفَ في قَبولِ كلّ ما وردَ في أَسفارِ العهدِ القديم، ولا نقبلُ منه إِلا ما وردَ في القرآنِ أَو السنةِ مُصَدِّقاً له. وما سكتَ عنه القرآنُ والسنةُ نتوقَّفُ فيه ونَسكتُ عنه، فلا نصدِّقُه ولا نُكَذِّبُه.

أَما إِذا وردَ خَبَرٌ في القرآنِ يختلفُ عن ما وردَ في أَسفارِ العهدِ القديم، فإِنَّ المعتمدَ هو ما وردَ في القرآن، لأَنَّ ما في القرآنِ كلامُ الله قطعاً، لا شَكَّ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٣٠.

ولا ريبَ فيه، وما خالَفَه فهو خطأ، وهو مما صاغَه وكَتَبَه الأَحْبار، ونَسَبوهُ إِلى اللهِ زوراً. . هذه قاعدةٌ منهجيةٌ موضوعيةٌ في الصلةِ بينَ القرآنِ والعهدِ القديم.

ولا يَجوزُ أَنْ نُحاكمَ القرآنَ الثابتَ الصحيحَ المحفوظَ إِلى رواياتِ العهدِ القديمِ المشكوكِ فيها، كما فَعَلَ الفادي.

بالنسبةِ لوالدِ إِبراهيمَ عليه السلام، ذَكَرَ الأَحبارُ أَنَّ اسْمَه «تارح»، وصَرَّحَ القرآنُ أَنَّ اسْمَه «آزر». والأَصْلُ أَنْ نعتمدَ ما صَرَّحَ به القرآن، لأَنه كلامُ اللهِ الثابتُ والمحفوظ، فنقول: إِنَّ اسْمَه آزر.

ولا نَدْري من أَيْنَ جاءَ الأَحبارُ في العهدِ القديم باسم «تارح»! فإِمّا أَنْ يكونَ له اسمان: آزرُ وتارح، فذكَرَ القرآنُ أَحَدَهما وذَكَرَ الأَحبارُ اسْمَه الثاني، وإِمّا أَنْ يكونَ ما قالَه الأَحبارُ خَطَأ، وأَنَّ اسْمَه هو آزرُ فقط، لأَنه هو المصَرَّحُ به في القرآن.

فالذي أَخطَأَ في اسم والدِ إِبراهيمَ عليه السلام ليس القرآن، لأَنَّ القرآنَ حَقٌّ لا خطأَ فيه، وإِنما الذينَ أَخطؤُوا هم الأَحبارُ عندَ تأليفِهم أَسفارَ العهدِ القديم، فأَتَوْا باسمٍ يُخالفُ الذي في القرآن، وهذا مردودٌ عليهم!!.

١٧

حول أبي مريم وأخيها

ذَكَرَ القرآنُ اسْمَ والدِ مريم رضي الله عنها أَنه عمران. قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ . . .﴾ [التحريم: ١٢].

وذَكَرَ اسمَ أَخيها أَنَّه هارون. قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٧ ـ ٢٨].

ومن المعلومِ أنَّ اسْمَ والدِ موسى ﷺ عمرانُ، وأنَّ اسْمَ أخيه هارونُ ﷺ. فكيفَ يكونُ عمرانُ والداً لموسى ولمريم، وبينَهما مئاتُ السنين؟! وكيفَ يكونُ هارونُ أخاً لموسى ولمريم، وبينهما مئاتُ السنين؟!.

اعتبرَ الفادي هذا خَطَأً تاريخيّاً في القرآن. قال: «ونحنُ نسأل: يَقولُ الإنجيلُ: إنَّ مريمَ العذراءَ هي بنتُ هالي [لوقا: ٣/٢٣]، فكيفَ يقولُ القرآنُ: إنها بنتُ عمران أَبي موسى النبي، وإنها أُخْتُ هارون؟ مع أَنَّ بينَها وبينَ هارون وموسى وعمران أَلفاً وستمئة سنة!»(١).

قالَ القرآن: اسْمُ والدِ مريم هو عمران.. وقالَ إنجيلُ لوقا: إنَّ اسْمَه هو هالي! فما الذي نأْخُذُه ونقولُ به؟.

سبقَ أَنْ ناقَشْنا هذا الأَمْرَ في الموضوعِ السابق، حولَ والدِ إبراهيمَ ﷺ، ونَدعو إلى أَنْ نَستحضرَه هنا، فما قُلناهُ هناك عن التوراة، يَصلحُ أَنْ يُقالَ هنا عن الإنجيل.

إنَّ المعتمدَ هو ما قالَه القرآن، لأَنه هو المحفوظُ الصواب، فاسْمُ والدِ مريمَ هو «عمرانُ»، واسمُ «هالي» في إنجيلِ لوقا مردود، لتعارُضِه مع الاسمِ الواردِ في القرآن.

كيفَ عمرانُ والدُ موسى ووالدُ مريم؟ وكيفَ هارونُ أخو موسى وأخو مريم؟ وبينَ موسى ومريمَ أَلْفٌ وستمئة سنة؟ هذا خطأٌ تاريخيٌّ في القرآنِ في نظرِ الفادي! وهذا بسببِ جهلِ الفادي وغبائِه.

إذا كانَ اسْمُ والدِ مريمَ عمرانَ، فلا يلزمُ أَنْ يكونَ هو عمرانَ والدَ موسى ﷺ، فهما رَجلانِ كلٌّ منهما اسْمُه عمران. الأَوَّلُ: عمرانُ والدُ موسى ﷺ، والثاني: عمرانُ والدُ مريم.

وَهناك رَجلانِ آخَران، كلٌّ منهما اسْمُه هارون. الأَوَّلُ: هارونُ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٣٠.

النبيُّ عليه السلام، أَخو موسى عليه السلام.. والثاني: هارونُ أَخو مريمَ رضي الله عنها.

ومن المعلومِ أَنَّ النّاس الصّالحينَ يُسَمّون أبناءَهم بأَسماءِ الأَنبياءِ والصالحينَ السابقين، تَفاؤُلاً وتَيَمُّناً وبَرَكَة، فكَمْ من المسلمينَ مَنْ يُسَمّي ابْنَه باسم محمدٍ، على اسم نبيِّنا محمدٍ ﷺ، وكم منهم مَنْ يُسَمِّي ابنَه على اسمِ عمرَ أَو عثمانَ أَو عليٍّ أَو خالدٍ رضي الله عن أَصْحابِ رسولِ اللهِ ﷺ أجمعين.

فلم يقع القرآنُ في خطأ تاريخيٍّ، عندما أَخْبَرَ أَنَّ اسْمَ والدِ مريمَ على اسْمِ والدِ موسى، واسْمَ أَخيها على اسْمِ أَخي موسى. فعمرانُ والدُ مريمَ غيرُ عمران والد موسى، وهارونُ أَخو مريمَ غيرُ هارونَ أَخي موسى عليه السلام، لأَنَّ بين العِمْرانَيْنِ والهارونَيْن حوالي أَلفٍ وستمئة سنة!!.

وقَديماً أَثارَ الرهبانُ هذا الاعتراضَ على القرآن، زمنَ رسولِ اللهِ ﷺ، وحَلَّ الرسولُ ﷺ هذا الاعتراض.

روى مسلمٌ [برقم: ٢١٣٥]، والترمذيُّ [برقم: ٣١٥٥]، عن المغيرةِ بنِ شعبةَ رضي الله عنه قال: بَعَثَني رسولُ الله ﷺ إلى نجران.

فقالوا: أَلَسْتُم تقْرَؤون: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾؟.

قلتُ: بَلى!.

قالوا: وموسى قبلَ عيسى بكَذا وكذا؟!.

فرجَعْتُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فأَخْبَرْتُه.

فقالَ: «أَلا أَخْبَرْتَهم أَنهم كانوا يُسَمّونَ بالأنبياءِ والصالحينَ قبلَهم!».

عندما أَثارَ أَحَدُ رهبانِ نصارى نجران الإشكالَ أَمامَ المغيرةِ بنِ شعبة رضي الله عنه، لم يَعرفْ بماذا يُجيبُه، لأَنَّ ذلك الراهبَ رفضَ أَنْ يكونَ هارونُ أَخاً لمريم، لأَنه أَخٌ لموسى، وبَيْنَ موسى وعيسى ما بينَهما من مئاتِ السنين.

فلما سأَلَ المغيرةُ رسولَ الله ﷺ عن ذلك أَجابَه بأَنَّ الصالحينَ من بني إسرائيل كانوا يسمون أبناءَهم بأسماءِ الأَنبياءِ والصالحين من قبلهم.. أَيْ: هُما رَجُلان: هارونُ أَخو موسى، ثم هارونُ أَخو مريم.

١٨

هل هَمَّ يوسفُ عليه السلام بالزنى؟

أَساءَ الفادي فَهْمَ إخبارِ القرآنِ عن ما جَرى بين يوسفَ عليه السلام، وبين امرأةِ العزيز. وذلك في قولِه تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف: ٢٤].

وذَهَبَ إلى أَنَّ القرآنَ اتهمَ يوسفَ عليه السلام بالهَمِّ بالزِّنى بامرأةِ العزيز، وقال: «أَيْ: قَصَدَتْ مخالَطَتَه وقَصَدَ مخالَطَتَها، والهَمُّ بالشيءِ قَصْدُه والعَزْمُ عليه، ومنه «الهَمّامُ»، وهو الذي إذا قَصَدَ شيئاً أَمْضاه.

وهذا القولُ يُناقضُ التاريخَ المقَدَّسَ الذي يقولُ: إنَّها لما طَلَبَتْ منه الشَّرَّ استنكرَ طَلَبها، وقال: كيفَ أَصنعُ هذا الشَّرَّ العظيم، وأُخطئُ إلى الله؟!». ولما أَمسكَتْ بثوبِه تَرَكَهُ معها وهَرَب»(١).

لم يفهم الفادي حديثَ القرآنِ عن مراودةِ امرأةِ العزيز ليوسفَ عليه السلام، وَرَدِّه على إغرائِها ودعوتِها الجريئةِ له لارتكابِ الفاحشة، ولم يَفْهَمْ معنى الهَمِّ المذكورِ في الآية، واعتبرَ حديثَ القرآنِ الخاطئَ متعارِضاً مع حديثِ العهدِ القديمِ الصائبِ في نظره، وأَخَذَ جملةً من آياتٍ عديدةٍ تتحدَّثُ عن المراودة، وفَصَلَها عن ما قبلَها واعْتَبَرها خطأً تاريخيّاً في القرآن.

ولا بُدَّ أَنْ ننظرَ في الآياتِ التي أَخبرتْ عن المراودة، لنعرفَ الهَمَّ المنسوبَ ليوسفَ عليه السلام.

قال الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٣١.

﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٢ ـ ٢٨].

أَخبرَ القرآنُ أَنَّ امرأةَ العزيز راودَتْ فَتاها يوسفَ مراتٍ عديدة، وأنه كانَ يُقابلُ مراودتَها وإغراءَها وفتنتَها بالتعفُّفِ والتَّرفُّع، وهذا ما اعترفَتْ هي به لنساءِ المدينة: قال تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ﴾ [يوسف: ٣٢].

وازدادت المرأةُ عِشْقاً له، وكلّما أمعنَ يوسفُ في تعفُّفِه ورفْضِه المراودةَ أَمْعَنَتْ هي في عشقِها وإغرائِها وتهالكِها!!.

واضطرت المرأةُ أخيراً إلى دعوتِه لمعاشرتِها دعوةً جريئةً صريحةً مكشوفة، بعدما غَلَّقَت الأبواب، لكنَّه تَرَفَّعَ بصراحَة: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

وسيطرتْ عليها شهوتُها، وزادَ سُعارُها الشَّهوانيّ، وأَرادَتْ أَنْ يُعاشِرَها بالقُوَّة، فَهمَّتْ به، وعَزَمَتْ على مخالطتِه، وهَجَمَتْ عليه، والأبوابُ مُغَلَّقَة: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ﴾.

ولما رأى يوسفُ نفسَه في هذا الموقفِ المثير، أَرادَ أَنْ يتعفَّفَ ويُحَصِّنَ نَفْسَه، فأَمامَه سيدتُه المتهالكةُ المثيرةُ المغرية، وهو الشابُّ القويُّ الممتلئُ، فما الذي يعصِمُه منها، ويَحميه من فتنتِها وإغرائِها؟ وما الذي يمْنَعُه من مقابلةِ هَمِّها بِهَمٍّ منه؟ إنه قوةُ إيمانِه ومراقبتِه لله!! لقد استحضَرَ هذا المعنى الإيماني، وهو في ذلك الموقفِ والجوّ، وقَوّى بُرهانَ ربِّه في قلبِه وكيانِه، فمنعَه هذا من الهَمِّ بها، أَو الرغبةِ في معاشرتِها، أَو التوجُّهِ إليها، والعزمِ على ارتكابِ الفاحشةِ معها!!.

وقد ذَكَرَ القرآنُ هذا في قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾.

إِنَّ هذه الآيةَ تَنفي عن يوسفَ الهَمَّ بارتكابِ الفاحشة، بعد أَنْ أَثبتَتْ لامرأةِ العزيزِ الهَمَّ والعزمَ والتصميمَ على ارتكابِ تلك الفاحشة!!.

وتتكوَّنُ الآيةُ من جملتَيْن: الأُولى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾. الثانية: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾.

الواوُ في ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾: حرفُ استئناف، وليستْ حرفَ عطف. ولو كانَتْ حرفَ عطفٍ لَعَطَفَتْ جملةَ «هَمَّ بها» على «هَمَّتْ به»، ويكونُ هَمُّ كُلٍّ منهما مِثْلَ هَمِّ الآخر، أَيْ: هَمَّتْ هي بمعاشرتِه، وهَمَّ هو بمعاشرتِها! وهذا اتهامٌ ليوسفَ بالعَزْمِ على الزِّنى بها!.

وعندما تكونُ الواوُ حرفَ استئناف، يكونُ ما بعدَها جملةً استئنافيةً جديدة، وهي جملةٌ شرطية: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ..﴾.

لولا: حرفُ شرط، يدلُّ على الامتناعِ لوجود. وفعلُ الشرطِ جملةُ ﴿أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ وجوابُ الشرطِ مَحْذوف، دَلَّ عليه ما قَبْلَه. والتقدير: لَهَمَّ بها. فتكونُ الجملةُ هكذا: لولا أَنْ رأى بُرهانَ رَبِّه لَهَمَّ بها.

وبما أَنَّ «لولا» حرفُ امتناعٍ لوجود، فإِنَّها تُقَرِّرُ امتناعَ حصولِ جوابِ الشرطِ لوجودِ فعلِ الشَّرط. أَيْ: الذي مَنَعَ يوسفَ من الهَمِّ بها وجودُ بُرهانِ رَبِّه. والمرادُ ببرهانِ ربِّه هنا قوةُ الإِيمانِ في قلْبه، واستحضارُه رقابةَ اللهِ ومَعِيَّتَه، فكيفَ يعصيه ويرتكبُ فاحشةَ الزنىٰ، واللهُ يَراهُ ويُراقبُه، ولذلك رَدَّ على مراودةِ المرأةِ قائلاً: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾.

إِنَّ قولَه تعالى: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ يدلُّ على أَنَّ يوسفَ عليه السلام لم يهمَّ بامرأةِ العزيزِ مطلقاً، ولم يُفَكِّرْ بمعاشرتِها، ولم يَلْتَفِتْ لها، في الوقتِ الذي هَمَّتْ هي به، وعَزَمَتْ على معاشرتِه.

وبهذا نَعرفُ جهلَ وغَباءَ الفادي عندما اتَّهَمَ يوسفَ بالهَمِّ بامرأةِ العزيز،

والعزمِ على مخالطتِها ومعاشرتِها، وذلك في قوله: «قَصَدَتْ مُخالَطَتَه، وقَصَدَ مُخالَطَتَها».

أما ما نَقَلَه الفادي المفتري عن سِفْرِ التكوينِ: «أَنَّ امرأةَ العزيز لَما أَمْسَكَتْ بثوبِه تَرَكَ الثوبَ معها وهَرَبَ» فهذا ليسَ صحيحاً، وهو يَتعارَضُ مَع ما ذَكَرَه القرآن.

قالَ الأَحبارُ في سِفْرِ التكوين عن المراودة: «كان يوسفُ حَسَنَ الهيئة، جميلَ المنظر.. وحَدَثَ أَنَّ امرأةَ سيدِه رَفَعَتْ عينَيْها إلى يوسف، وقالَتْ له: اضطجعْ معي! فأَبىٰ وقالَ لها: سَيِّدي لا يعرفُ شيئاً في البيت، وكلُّ ما يملكُه ائتمنَني عليه، وسَيِّدي لم يمنعْ عَنّي شيئاً غَيْرَك، لأَنك امرأَتُه، فكيفَ أَصنعُ هذه السيئةَ العظيمة، وأُخطئُ إلى الله؟!.

وكَلَّمَتْه يوماً بعدَ يوم، أَنْ يضطجعَ بجانبِها وينامَ معها، فلم يسمعْ لها!.

واتفقَ في أَحَدِ الأَيّام أَنه دخلَ البيتَ ليقومَ بعملِه، ولم يكنْ في البيتِ أَحَدٌ من أَهلِه، فأَمسكَتْ بثوبِه، وقالَتْ له: ضاجِعْني!.. فتركَ ثوبَه بيدِها، وفَرَّ هارباً إلى الخارج.

فصاحَتْ بأَهْلِ بيتِها، وقالَتْ لهم: انْظُروا كيفَ جاءَنا برجلٍ عِبْرانِيٍّ، لِيُداعِبَنا ويَتلاعَبَ بنا.. دَخَلَ عَلَيَّ لِيُضاجِعَني، فصرَخْتُ بأَعلى صوتي.. ولما سَمِعَني أَصرخُ تركَ ثوبَه بجانبي، وَفَرَّ هارباً إلى الخارج!.

وَوَضَعت المرأةُ ثوبَ يوسفَ بجانِبِها، حتى جاءَ زوجُها إلى بيتِه، فحكَتْ له الحكايةَ ذاتها. قالَتْ: هذا العبدُ العِبْرانيُّ الذي جئتَنا به، دَخَلَ لِيُداعِبَني، وعندما رَفَعْتُ صَوْتي وصَرَخْت، تركَ ثوبَه بجانبي وهَرَب...

فلما سمعَ ذلك غضبَ على يوسف غَضَباً شديداً، وجَعَلَه في السجن»[1].

---

(١) سفر التكوين: ٣٩/ ٧ ـ ٢٠.

وما أَخبرَ عنه القرآنُ يَختلفُ عن ما قالَه الأَحْبار. فلما استعصَمَ يوسفُ أَمامَ إِغرائِها، ولم يَهِمَّ بها هَرَبَ من الغرفة، التي كانت المرأةُ قد أَغْلَقَتْ بابَها، ولحقَتْ هي به لتُعيدَه، واستَبَقا الباب، وما أَنْ فَتَحَ البابَ حتى وَجَدَ زَوْجَها عِندَ الباب، فَسارعت المرأةُ إِلى اتِّهامِ يوسفَ، ودافعَ هو عن نفسِه.. وأَخبرَ الزوجُ أَحَدَ أَهْلِها بما جرى، ودعا الشاهدُ الحَكَمُ إِلى ملاحظةِ قَميصِ يوسف، فإِنْ كان قُدَّ من الأَمامِ فصدقَتْ هي في كلامِها، لأَنه يكونُ هو الذي اعْتَدَى عليها، وهي تُدافعُ عن نفسِها، وإِنْ كان قُدَّ من الخلفِ يكونُ هو الصادقَ وهي الكاذبة، لأَنه يكونُ هارباً منها، وهي تلحَقُه لتُدركه، فلما رأى القميصَ قُدَّ من الخلفِ عَرَفَ براءةَ يوسفَ وجريمةَ امرأتِه!.. قال تعالى: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٢٥ ـ ٢٩].

١٩

كيف دعا نوح على قومِه بالضلال؟

أَخبرَ القرآنُ عن نوحٍ عليه السلام أنه دَعا على قومِه بالضلال، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ [نوح: ٢٤].

واعتبرَ الفادي هذا خَطأً في القرآن، لا يتفقُ مع نبوةِ نوحٍ عليه السلام وبِرِّه. ولذلك اعترضَ على القرآنِ قائلاً: «كيفَ يَدْعو نوحٌ ربَّه أَنْ يَزيدَ الناسَ ضَلالاً؟! كما أَنَّ اللهَ ليس مصدرَ الضَّلال، ونوحٌ نفسُه لا يُحِبُّ الضَّلال،

والتاريخُ المُقَدَّسُ يَشْهَدُ له: «كانَ نوحُ رَجُلاً بارّاً في أَجيالِه» (تكوين: ٦/ ٩)»[1].

فَهِمَ الفادي الغبيُّ من الآيةِ أَنَّ نوحاً يُحِبُّ ضَلالَ الناس، ولذلك دَعا الله أَنْ يَزيدَهم ضَلالاً، ونَسَبَ الضلالَ إِلى الله، على أَنَّ الله هو مصدرُ الضَّلال! واعتبرَ هذا خَطَأً مُنْكراً مَرْدوداً، ولذلك نَزَّهَ نوحاً عنه!.

إِنَّ نوحاً نبيٌّ رسولٌ، عليه الصلاة والسلام، وهو حَريصٌ على دعوةِ الناس، ومحبٌّ لهدايتِهم، وهو لا يُحِبُّ ضَلالَهم وانحرافَهم، وقد بقيَ يدعو قومَه أَلْفَ سنةٍ إِلّا خمسينَ عاماً، ولم يُؤْمِنْ معه إِلّا عَدَدٌ قليل.

متى دعا نوحٌ عليه السلام على قومِه بالضَّلال؟.

بعد أَنْ أَخبرَه اللهُ أَنه لنْ يؤمنَ منهم إِلّا مَنْ قد آمَن، وأَمَرَهُ أَنْ يَصنعَ السفينة.

قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [هود: ٣٦ ـ ٣٧].

وهذا مَعْناهُ أَنه مهما دَعاهم فلَنْ يُؤْمنوا به، لاختيارِهم الكُفْرَ والضَّلال، مهما دَعاهم ورَغَّبَهم وحرصَ عليهم؛ فماذا يفعلُ بعدَ ذلك؟ ليس أَمامَه إِلّا الدعاءُ عليهم بالهَلاكِ والفناء.

قال تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢١ ـ ٢٧].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٣١.

لم يكنْ نوحٌ عليه السلام مخطِئاً في الدعوةِ على قومِه، لأَنه ما دَعا عليهم إلّا بعدَ أن اختاروا الكفْرَ والضَّلال، وأَصرُّوا عليه.. لقد كفروا وضلُّوا، وأَضلُّوا كثيراً، وكانوا دُعاةَ ضلالٍ وإفسادٍ للآخَرين.

لقد دَعا على الضالّينَ أَنْ يَزيدَهم اللهُ ضَلالاً، لأَنهم هم الذين أَرادوا الضَّلالَ وطَلَبوهُ واخْتاروه، ودَعا على الكافرين أَنْ يُهلكَهم اللهُ ولا يُبقي منهم دَيّاراً، لأَنَّهم إِنْ بَقَوا فسوفَ يُضِلّونَ الآخَرين!.

وبذلك نَعرفُ أَنَّ نوحاً عليه السلام كانَ على صوابٍ في دعائِه على القومِ الكافرينَ بالهلاك، وعلى القومِ الضّالّين بالزيادةِ من الضَّلال!.

٢٠

هل نجا فرعون من الغرق؟

اعتبرَ الفادي القرآنَ مُتناقضاً في حديثِه عن نهايةِ فرعون، وهذا التناقضُ خَطأٌ، يَطعنُ في صحةِ القرآن!!.

أَخبرَ القرآنُ أَنَّ اللهَ أَغرقَ فرعونَ في الماءِ. قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٣٨ ـ ٤٠].

وأَخبرَ القرآنُ أَنَّ اللهَ أَنجى فرعونَ من الغرق. كما فهمَ القِسيسُ الفادي. وذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٩٠ ـ ٩٢].

فهل أَخطأَ القرآنُ في حديثِه عن نهايةِ فرعون؟ وهل تناقَضَ في إِخبارِه عن غَرَقِهِ؟.

لقد كانَ كلامُ القرآنِ عن غرقِ فرعونَ وجنودِه واضِحاً صَريحاً مُحَدَّداً. فلما لحقَ فرعونُ وجنودُه موسى عليه السلام وأَتْباعَه، أَمَرَ اللهُ موسى أَنْ يَضرِبَ البَحْرَ بعَصاه، وشَقَّ لهم طَرِيقاً في البَحْرِ يَبساً، ولما لَحِقَهم فرعونُ وجنودُه أَطْبَقَ اللهُ عليهم البحر، فأَغْرَقَهم جميعاً.

قال اللهُ عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾ [طه: ٧٧ - ٧٩].

إن الضمير «هم» في قوله: ﴿فَغَشِيَهُم﴾ يعود على فرعون وجنوده. وهذا تصريح بأن فرعون وجنوده أغرقوا جميعاً.

وقال عز وجل: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٣ - ٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٠].

ومن بابِ التأْكيدِ على وفاةِ فرعونَ غَرَقاً نَصَّ القرآنُ على ذلك. قال تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٩٠ - ٩٢].

لقد أُتِيَ القِسّيسُ الفادي من قِبَلِ جَهْلِه وغَفْلَتِه وغبائِه، ففَهِمَ الآيَةَ فَهْماً خاطِئاً، وخَرَجَ مِنها بغيْرِ ما سِيقَتْ له! فَهِمَ من جملة: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ أَنَّ اللهَ أَنجى فرعونَ من الغَرَق، وخَرَجَ من البحرِ

حَيّاً، وعادَ إلى مملكتِه ليُواصِلَ حُكْمَها!! وهذا فَهْمٌ خاطئٌ للآية.

تُقَرِّرُ الآيةُ غَرَقَ فرعونَ وموتَه، وتَصِفُ اللحظاتِ الأخيرةَ من عمرِ فرعون، قبلَ خُروجِ روحِه تحتَ الماء.

ومعنى «فلما أدركه الغرق»: لما أَحاطَ به الغَرَقُ من كلِّ جانب، وأَتاهُ من كُلِّ مكان، من تحتِه وفوقِه، وعن يَمينِه وشِمالِه، ورأى الموتَ بعينَيْه، وأَيْقَنَ بالهلاك..

عند ذلك أَعلنَ إسلامه وإيمانَه بالله، وصَرَّحَ قائلاً: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾!!.

ومن المعلومِ أَنَّ الإيمانَ عند «الغرغرة» قُبيلَ خُروجِ الروحِ غيرُ مقبول، ولذلك رَدَّ عليه مَلَكُ الموتِ المكلَّفُ بقبضِ روحِه قائلاً: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾؟ وهذا معناهُ أَنَّ إيمانَ فرعونَ لم يَقْبَلْه الله.

وقُبيلَ قبضِ روحِ فرعون وهو تحتَ الماءِ قالَ له المَلَك: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ﴾.

وليس معنى جملة: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾: اليومَ ننقذكَ من الغَرَق، ونخرجُك حيّاً من تحتِ الماء.

إنَّ مَعْناها: عندما تَخرجُ روحُك، ويُصبحُ جسمُك جُثَّةً هامدة، لن نتركَ بَدَنَكَ يَسقطُ في الماءِ إلى قاع البحر، ولَنْ نَجعلَ بَدَنَك طَعاماً لحيتانِ البحرِ وأَسْماكِه ـ وبالذاتِ سمكُ القرشِ المفترسِ الذي يملأُ البحرَ الأحمر ـ وإنما سَنُنَجّي بَدَنَك الهامِدَ الذي خرجَتْ منه الروح، وسنأْمُرُ الحيتانَ أَن لا تَأْكُلَه، وسنَأْمُرُ الماءَ أَنْ يحملَك، وسنأمُرُ الموجَ أَنْ يُلْقِيَكَ على الشاطئ، وسيكونُ بَدَنُك ناجياً هامداً، وسيكونُ مُلْقى على الشاطئ، وسيكونُ آيةً لِمَنْ خَلْفَك، وهم الأَحياءُ من جنودِك وقومِك، فعندما يُشاهدونَ بَدَنَكَ جثةً هامدة سيَعرفونَ أَنكَ لَسْتَ إِلٰهاً كما زَعَمْتَ، وإنما أَنْتَ بَشَرٌ مخلوقٌ ضعيف، والأَصْلُ أَنْ يَعْتَبِروا ويَتَّعِظوا بذلك!.

وبهذا نعرفُ أَنَّ القرآنَ لم يُخطئْ في حديثِه عن فرعون، ولم يَقَعْ في تَناقُض، والْتَقَتْ آياتُه على تقريرِ حقيقةِ موتِ فرعونَ غَرَقاً، والاحتفاظِ بجثّتِه، لتكونَ آيةً لمن خَلْفَه!!.

٢١

بين زكريا ومريم!!

أَخبرَ القرآنُ أَنَّ اللهَ جعلَ النبيَّ زكريّا ﷺ يكفَلُ مريمَ ﵂. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٥ ـ ٣٧].

واعتبرَ القِسّيسُ الفادي هذا خَطَأً تاريخيّاً وَقَعَ به القرآن، لأَنَّه يُناقضُ ما في الكتابِ المقَدَّس ـ العهدِ القديم والعهدِ الجديد ـ والمعتَمَدُ عند الفادي هو ما في الكتابِ المقدَّس طبعاً.

قال في تخطِئتِه للقرآن: «وهذا يُناقضُ وقائعَ التاريخ، فمريمُ ابنةُ عمرام ـ حسبَ التوراة ـ لم تتزوَّجْ ولم تَلِد، وهي أُخْتُ هارون، واسْمُ أُمِّها يوكابد..

والمرأةُ الوحيدةُ التي نذرَتْ ما في بطنِها هي حَنَّةُ، أُمُّ النبيِّ صموئيل.. ولم يَرِدْ أَنَّ زكريا كانَ يقيمُ في الهيكلِ في أُورشليم، حتى يكفَلَ مريمَ هناك، لأَنَّ زكريا من حَبْرون، ولا يأْتي ليخدمَ في الهيكلِ إِلَّا بالقرعة، ولمدةِ خمسة عَشَرَ يوماً في السنة (لوقا: ١/ ٥ ـ ٤٠)، ولا يُقيمُ أَحَدٌ في المحراب أَو يدخلُ فيه إِلّا رئيسُ الكهنة، مرةً واحدةً فقط في السنة، في يومِ الكفارةِ العظيم، بدمِ

ذبيحة، ليُكَفِّرَ عن خطايا الشعب (الملوك الأول: ٦/٨ و٨، و١٦/٩).

ولم يكفَلْ زكريا مريمَ، لأنها من سبْطِ يَهوذا، وزكريّا من سبْطِ لاوي (عبرانيين: ١٤/٧) وكان زكريا يُقيمُ في حَبْرون، بينما كانتْ مريمُ تقيمُ في الناصرة..»[1].

المرجعُ عند الفادي هو الكتابُ المُقَدَّس، وهو عنده الحَكَم على كلِّ ما سِواه، وما وَرَدَ فيه فهو الصَّحيحُ والصواب، وما خالَفَه فهو الخطأ!! ولذلك هو «يُحاكِمُ» القرآنَ إلى كتابِه، وأيُّ كَلامٍ في القرآنِ اختلفَ مع ما في كتابِه فهو الخَطَأ.. وهو لا يُؤمنُ أَنَّ القرآنَ من عندِ الله، ولذلك يُجيزُ وُقوعَ القرآنِ في الخَطأ، لأَنه كلامُ بَشَرٍ يُخطئُ ويُصيب!!.

وحاكَمَ ما وردَ في القرآنِ عن زكريّا ويحيى وعيسى عليهم السلام، وما وردَ عن نشأةِ مريمَ رضي الله عنها إلى ما في كتابِه الذي يؤمنُ به، وذَكَرَ ما وردَ في كتابِه بهذا الموضوع، واعتبرَ القرآنَ مخطئاً في حديثِه عنه!.

ونعتقدُ أَنَّ ما يفعلُه القِسّيسُ الفادي خطأٌ منهجيٌّ وَقَعَ فيه، وخِلافُنا معه خِلافٌ جَذْرِيٌّ أَساسيٌّ منهجي.

إِننا نوقنُ أَنَّ القرآنَ كلامُ الله، وهو يُنكرُ ذلك، ونحنُ نوقنُ أَنه لا خَطَأَ في القرآن، وهو يُثبتُ ذلك، ونحن نوقنُ أَنَّ اليهودَ حَرَّفوا التوراةَ في أَسفارِ العهدِ القديم، وهو يَنفي ذلك، ونحنُ نُوقِنُ أَنَّ النَّصارى حَرَّفوا الإنجيل، وهو يَنفي ذلك! ومرجعُنا القرآنُ، وهو يرفضُ أَنْ يكونَ مرجعاً لَهُ، ومرجعُه هو الكتابُ المقدس ونحن نرفضُ أَنْ يكونَ مرجعَنا.

نرفضُ أَنْ يتعامَلَ الفادي مع القرآنِ على هذا الأَساس، ونرفضُ الأَحكامَ التي يخرجُ بها من مقارنتِه بينَ القرآنِ والكتابِ المقَدَّس. فالصوابُ هو ما ذَكَرَه القرآنُ عن ما يتعلقُ بمريمَ وزكريا عليهما السلام، وما قاله الكتابُ المقَدَّسُ مخالِفاً لما قالَه القرآنُ نجزمُ بأَنه خَطَأ.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٣٢.

يَقولُ الفادي معتَمداً على الكتاب المقدَّس: المرأةُ التي نَذَرَتْ ما في بطنها هي «حَنَّةُ» أُمُّ صموئيل.. وهذا كلامٌ نتوقَّفُ نحنُ فيه، فلا نَنْفيه ولا نُثبتُه، واللهُ أَعلمُ بصحَّتِه.. وقد أَخْبَرَنا اللهُ أَنَّ المرأةَ التي نَذَرَتْ للهِ ما في بطنِها هي امرأةُ عمران. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٥ ـ ٣٦].

لم يذكر القرآنُ اسمَ امرأةِ عمران، كما أَنه لم يَرِدْ ذِكْرٌ لها في الحديثِ الصحيحِ عن رسولِ اللهِ ﷺ، وهو من «مُبهماتِ القرآن» التي لا نُحاولُ بيانَها، ونقول: اللهُ أَعلمُ باسْمِها.

كانت امرأةُ عمرانَ صالحةً عابدةً لله، ولما كانَتْ حامِلاً نَذَرَتْ ما في بطنِها خالِصاً لله، ولا نعرفُ مُلابساتِ هذا النَّذْر، وكأَنها كانتْ تَتَمَنّى لو كانَ ما في بطنِها ذَكَراً، ولما وَضَعَتْ حَمْلَها كانت أُنثى، فاستمرَّتْ على نَذْرِها، وجعلت المولودةَ الأُنثى لله، وسَمَّتْها مريم، ودَعَت اللهَ أَنْ يَحفظَها ويَرْعاها.

فمريمُ هي ابنةُ عمران بنصِّ القرآنِ. قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢].

ونفى القسيسُ الفادي ما وردَ في القرآن، فمريمُ عِنْدَه هي «مريمُ بنةُ عمرام»، بالميم وليس بالنّون، ولها أَخٌ اسْمُه هارون، واسْمُ أُمِّها يوكابد.. وهذا كلامٌ نتوقفُ نحن فيه، كلُّ ما نقولُه: مريمُ التي نعرفُها هي مريمُ بنةُ عمران، ولا نعرفُ اسْمَ أُمِّها التي نَذَرَتْها لله، ولها شقيقٌ اسْمُه هارون.

ويَرى الفادي أَنَّ زكريّا من سَبْطِ لاوي، ومريمَ من سَبْطِ يهوذا، فلا قرابةَ ولا صلةَ بينَها وبينَه، فكيفَ يكفَلُها؟!.

وهذا كلامٌ نتوقَّفُ فيه، فلا نَعرفُ السَّبْطَ الذي يَنتسبُ له النبيُّ زكريّا عليه السلام، ولا الذي تنتسبُ له مريمُ رضي الله عنها، لعدمِ ذكْرِه في مصادِرِنا الإِسلاميةِ الصحيحة.

ويرى الفادي أَنَّ زكريّا من حَبْرون ـ الخليل ـ وأَنَّ مريمَ كانت تُقيمُ في الناصرة شمالَ فلسطين، والمسافةُ بينَهما بعيدة، فكيفَ يكفَلُها؟!. وهذا كلامٌ نتوقَّفُ فيه أَيضاً.

الذي نقولُ به هو ما وَرَدَ في القرآن، من أَنَّ اللهَ حفظَ مريمَ ﵂، وأَنَّ العابِدينَ تَنازَعوا فيها، كلُّهم يريدُ أَنْ يكفلَها، فاقْتَرَعوا قرعة، على أَنْ يُلقوا أَقلامَهم، وفازَ زكريّا بالقُرعة، وبذلك قامَ بكفالَتِها، وبقيتْ في كفالَتِه حتى كبرت. قالَ تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤].

وتَدُلُّ مصادرُنا الإِسلاميةُ على وُجودِ صلةِ قَرابةٍ بينَ مريمَ وزكريا، فقد أَخبرنا رسولُ اللهِ ﷺ أَنَّ عيسى ويَحيى ﵉ أَبناءُ الخالة، وهذا معناهُ أَنَّ أُمَّ يحيى وأُمَّ عيسى أُختان، فامرأةُ زكريا ﵇ هي أُختُ مريم الكبرى، وبكفالة زكريا مريمَ تكونُ مريمُ قد عاشَتْ عند أُخْتِها، لِتَرعاها وتتعهدَها!!.

٢٢

حول انتباذ مريم مكاناً شرقيّاً

أَخبرنا اللهُ في القرآنِ أَنَّ مريمَ انتبذَتْ من أَهلِها مكاناً شرقيّاً. قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٦ ـ ١٩].

ورفضَ الفادي هذا الكلامَ، واعترضَ عليه، وقال بتهكُّمٍ وسخرية: «لا

يَذكرُ القرآنُ لماذا انبتذَتْ مريمُ العذراءُ من أَهلِها مكاناً شرقيّاً، واتخذَتْ من دونِهم حجاباً، قبلَ أَنْ تُبَشَّرَ بعيسى.. هل كانَتْ في مشاجرةٍ مع أَهلِها، وهم المشهورونَ بالتقوى؟ ولماذا تسكنُ فتاةٌ عذراءُ بَعيداً عن أَهْلِها، مع أَنَّ القرآنَ يقولُ: إِنها كانَتْ في المحرابِ في كَفالةِ زكريا؟ ويقولُ الإِنجيلُ: إِنَّ مريمَ كانَتْ في الناصرة، وهيَ مخطوبةٌ ليوسفَ النجار»[1].

يُنكرُ الفادي أَنْ تَكونَ مريمُ ﵂ قد انتبذَتْ من أَهْلِها مكاناً شرقياً، فلماذا تبتعدُ عنهم؟ هل اختلَفَتْ معهم؟ وهل طَردوها؟ وكيفَ ترضىٰ أَنْ تبتعدَ عن الناس، وأَنْ تبقى وحيدةً وهي الفتاةُ العذراء؟ أَلا تخشى أَنْ يَبطش بِها أَو يَعتديَ عليها أَحَدُهم؟ وكيفَ قالَ القرآنُ في سورةِ مريم: إِنها انتبذَتْ من أَهْلِها وابتعَدَتْ عنهم، مع أَنه هو نفسه أَخبرَ في سورةِ آلِ عمران أَنها كانتْ في المحرابِ عند زكريا كفيلِها؟.

وتساؤلاتُ واعتراضاتُ الفادي لا معنى لها، والقرآنُ لم يَتناقَضْ في حديثِه عن مريمَ ﵂.

أَخبَر في سورةِ آلِ عمران أَنَّ اللهَ كَفَّلَها زكريا وهي طفلة، وهو زوجُ أُخْتِها كما ذكرنا، فنشأَتْ عنده ﵇، وكانتْ عابدةً لله في محرابِ بيتِه ومكانِ صلاتِه، بينما كان يُؤَمِّنُ لها حاجتَها من الطعام. قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

وكانتْ مريمُ متفرغةً للعبادة، حيث ملأَتْ عليها وقْتَها، وأَنفقَتْ فيها عُمْرَها، فلم تَلتفتْ إِلى غيرِها.

ولعَلَّها لأَجْلِ هذه الغاية كانت تَنتبذُ عن أَهْلها، وتَذهبُ إِلى مكانٍ هادِئ، تعتزلُ فيه مُتعبدة، وكان أَهْلُها يَعرفونَ ذلك، وكانوا عابِدين صالحين،

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٣٣.

وكانوا يَقومونَ على رعايتِها وحمايتِها وحراستِها، ويُهَيِّئونَ لها جَوَّ العبادةِ، في المكانِ القَصِيِّ الشرقي، الذي اختارَتْه شرقيَّ مكانِ إقامةِ أَهْلها، والذي كانت تتخذُ فيه من دونِهم حجاباً.

فهي لم تكنْ بعيدةً عن عُيونِ وحمايةِ أَهْلِها، ولم تكنْ فتاةً وحيدةً في مكانٍ بعيد، عُرْضَةً للخطرِ والأذى، إنما كانَ أَهْلُها حارِسينَ لها مُحافظينَ عليها.

ولم يُحَدِّد القرآنُ ـ ولا الحديثُ الصحيح ـ المدينةَ التي كانَتْ تُقيمُ فيها مريمُ عابدةً لله، ولم يُحَدِّد المكانَ الشرقيَّ الذي كانتْ تعتزلُ فيه لعبادةِ الله، ولم يُحدد المدةَ التي أَقامَتْها في ذلك المكان. كلُّ هذا من مبهماتِ القرآن التي لم يَرِدْ بيانٌ لها في مصادرِنا الإسلامية..

أَما ما قالَه الفادي من أَنَّ مريمَ كانتْ تُقيمُ في الناصرة، في شمالِ فلسطين، فهذا مما نتوقَّفُ فيه، فلا نُكَذِّبُه ولا نُصَدِّقُه، لعدمِ ورودِ دليلٍ عليه عندنا.. كذلك نتوقَّفُ في ادِّعائِهِ أَنَّ مريمَ رضي الله عنها كانتْ مخطوبةً ليوسفَ النجار!!.

٢٣

حول ولادةِ مريم وكلام وليدها

أَخبرَنا اللهُ أنه بَعدما نفخَ جبريلُ في مريمَ رضي الله عنها، حَمَلَتْ بعيسى عليه السلام، وابتعدَتْ عن أَهْلِها مكاناً قصيّاً، وهُناكَ وَضَعَتْ وَليدَها تحتَ نَخْلَة، وأَنَّ الله أَنطقَه وهو في الدقائقِ الأُولى من عمرِه، وأَرشدَها إلى التصرفِ المناسب.

قال تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٢ ـ ٢٦].

ورفضَ الفادي ما وردَ في القرآن، واعتبرَهُ خطأً تاريخيّاً، لمخالفتِه ما وَرَدَ في كتابه المقدس. قال: «لقد وَلَدَتْ مريمُ السيدَ المسيحَ في بيت لِحم، كما تَنَبَّأَ أنبياءُ التوراةِ بذلك قبلَ حدوثِه بمئات السِّنين، وليسَ بجوار جِذْع نخلة!.. وَوَضَعَتْ وَليدَها في مِذْوَد [لوقا: ٢/ ١ ـ ٢٠] وغَريبٌ أَنْ يُكَلِّمَها وَليدُهَا من تحتِها: أَنْ تَهُزَّ جذْعَ النخلة، وتأكلَ من البَلح، وتشربَ من الجدول، فإذا مَرَّ بها أَحَدٌ تقول: إني نذرتُ للرحمنِ صَوْماً فلن أُكَلِّمَ اليومَ إِنْسِيّاً! فأَينَ الصومُ وهي الآكلةُ الشاربةُ المتكلمة؟!»(١).

يَرى النَّصارى أَنَّ مريمَ وَلَدَتْ عيسى عليه السلام في بيت لحم.. ووردَ حديثٌ عن رسولِ اللهِ ﷺ بهذا المعنى..

روى النَّسائيُّ عن أَنَسِ بنِ مالك رضي الله عنه، عن رسولِ اللهِ ﷺ قال: «أُتيتُ بدابَّةٍ فوقَ الحمار، ودونَ البَغْل، خَطْوُها عندَ مُنْتَهى طَرْفِها، فركبْتُ، ومعي جبريلُ عليه السلام..

فَسِرتُ.. فقال: انْزِلْ فَصَلِّ. فنزَلْتُ فصلَّيْتُ.. فقال: أَتَدري أَينَ صَلَّيْتَ؟ صَلَّيْتَ بطَيْبَة، وإِليها المُهاجَر..

ثم قال: انزِلْ فَصَلِّ. فنزلْتُ فصلَّيْتُ.. فقال: أَتَدري أَينَ صَلَّيْتَ؟ صَلَّيْتَ بطورِ سيناء، حيثُ كَلَّمَ اللهُ عز وجل موسى عليه السلام!.

ثم قال: انْزلْ فَصَلِّ.. فنزلْتُ فصَلَّيْتُ.. فقال: أَتَدْري أَيْنَ صَلَّيْتَ؟. صَلَّيْتَ ببيت لحم، حيثُ وُلِدَ عيسى عليه السلام..

ثم دخلْتُ بيتَ المقدِس، فَجُمِعَ لي الأَنبياءُ عليهم السلام، فقدَّمَني جبريلُ حتى أَمَمْتُهم»(٢).

يُخبرُ رسولُ اللهِ ﷺ عن المحطّاتِ التي مَرَّ بها في ليلةِ الإِسراء، عندما أُسْرِيَ به من مكةَ إِلى بيتِ المقْدِس، حيثُ أَمَرَهُ جبريلُ عليه السلام أَنْ ينزلَ ويُصَلِّيَ

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٣٣.
(٢) أخرجه النسائي، برقم (٤٥٠).

في المدينة، التي سيهاجِرُ إليها، وسيَموتُ ويُدْفَنُ فيها.. وأَنْ يَنزلَ ويُصَلِّيَ في طورِ سيناء، حيثُ كَلَّمَ اللهُ نبيَّه موسى عليه السلام.. وأَنْ يَنزلَ ويُصَلِّيَ في بيتِ لحم، حيثُ كانَتْ وِلادةُ عيسى عليه السلام..

ولم تَتَحدث الأَناجيلُ عن النخلةِ التي وَلَدَتْ مريمُ ابْنَها عيسى تحتَها، ولذلك خَطَّأَ الفادي القرآنَ في حديثِه عن النخلَة، وأنكرَ أَنْ يُكَلِّمَها ابْنُها من تحتِها، ويُوَجِّهَها إِلى التصرفِ المناسِبِ!!.

ومَعْنى قولِه تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾: جاءَ المَخاضُ بمريمَ إِلى جِذْعِ النخلة، واضطرَّها إِلى القُدوم، وأَكْرَهَها على المجيء.

والمخاض: آلامُ الطَّلْقِ التي تَأْخُذُ المرأة، عندما تَدْنو ساعَةُ ولادتِها!.. وكَأَنَّ هذا المخاضَ شَخْصٌ قوِيٌّ شَديد، يُخضعُ مريمَ له إِخْضاعاً ويَدْفَعُها دَفْعاً، ويُكْرِهُها ويَضْطرُّها، ويَجعلُها تَسيرُ أَمامَه مُضطرة، إِلى أَنْ تَستندَ إِلى جِذْعِ النخلة، وتعمدَ عليها..

وجِذعُ النخلة الذي تَقومُ عليه.. وإِضافةُ الجِذْعِ إِلى النخلةِ تَدُلُّ على أَنها نخلةٌ حيةٌ خضراءُ نامية، وليس جُزْءاً مقطوعاً يابساً ملقىً على الأَرض..

وما هي إِلّا لحظاتٌ قصيرةٌ قَضَتْها مريمُ تحتَ جذع النخلة، حتى وَلَدَتِ ابْنَها: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾.

وما هي إِلَّا لَحظاتٌ حتى خاطَبَها ابنُها الذي أَنْطَقَه الله، فَكَلَّمَها بوُضوح.. قال تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾.

استغربَ الفادي أَنْ يُكَلِّمَ الوليدُ أُمَّه بعدَ لحظةٍ من ولادته، لأَنَّ هذا لا يكونُ في عالَمِ المواليد! ومَن الذي قالَ: إِنَّ كلامَه لها كان كَلاماً عاديّاً مَأْلوفاً معتاداً، حتى يَستغربَ ذلك؟!.

لقد كانَ الوليدُ معجزةً خارقةً للعادة، واللهُ هو الذي أَنطقَه، وبما أَنَّ هذا من أَمْرِ اللهِ فلا غرابةَ فيه، لأَنَّ اللهَ فَعّالٌ لما يُريد، وإِذا كانَ كلامُه لأُمِّه بعدَ لحظةٍ من ولادتِه أَمراً مُدْهِشاً، فإِنَّ حَمْلَها به من غيرِ أَبٍ، وولادتَها له بعدَ ساعاتٍ من حَمْلِها به هو الأَكثرُ دهشة! فلماذا صَدَّقَ الفادي بالثاني الأَكثرِ دهشةً وأَنكرَ الأَوَّل؟!.

وقد يُكَذِّبُ بعضُهم القرآنَ في حديثِه عن النخلة، التي وَلَدَتْ مريمُ ابْنَها تَحْتَها، بزعْمِ أَنَّ مدينةَ بيت لحم ليستْ مدينةَ نخل، لأَنها منطقةٌ باردةٌ نسبيّاً، والنخلُ يَحتاجُ إِلى أَرضٍ دافئة.

واتفقَ الإِخباريّون على أَنه كانتْ في كنيسةِ المهْدِ في بيت لحم نخلةٌ كبيرة، وهذه النخلةُ ماتَتْ وقُطعتْ فيما بعد.

ومَرَّ الشيخُ عبدُ الوهّاب النجارُ مؤلِّفُ كتابِ «قَصَصِ الأَنبياء» بكنيسةِ المهدِ في مطلعِ القرنِ العشرين. قال: «وأَقولُ أَيضاً: إِنَّ وُجودَ النخلِ ببيت لحم ـ وهي البلدةُ التي كانتْ بها مريمُ يومَ ولادةِ المسيح ـ نادر.. وقد رأيتُ بكنيسةِ بيت لحم المبنيةِ على موضعِ ولادةِ المسيح مكاناً قد «قُوِّرَ» البَلاطُ فيه.. ويقولون: إِنَّ في موضعِ هذا التقويرِ كانت النخلةُ التي وَلَدَتْ عندَها مريمُ..»[1].

وأَخبرَنا اللهُ أَنَّ الوَليدَ عيسى خاطبَ أُمَّه قائلاً: ﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾.

السَّرِيُّ هو جدولُ الماء. فاللهُ أَنبعَ لمريمَ عينَ ماءٍ إِكراماً لها، ودَعا الوليدُ أُمَّهُ إِلى رؤيةِ ذلك السَّرِيّ، والشربِ من مائِه. كما أَنه دَعاها إِلى أَنْ تَهُزَّ جِذْعَ النخلة، فيتساقَطَ عليها الرطبُ الناضج، فتأكلَ منه.

ويَعتقدُ النَّصارى أَنَّ ولادةَ عيسى عليه السلام كانَتْ في شهرِ كانونِ الأَول، أَيْ

---

(١) قصص الأنبياء، للنجار، ص٣٨١.

في الشتاء، ومن المعلوم أنه لا يَكونُ على النخلِ بَلَحٌ ولا تَمْرٌ ولا رُطَبٌ في الشتاء، لأنَّ البلحَ ينضجُ في الصَّيْف، وقد يَستغربُ بعضُهم وُجودَ رُطَبٍ على النخلةِ التي لجأَتْ مريمُ إليها!.

والراجحُ أَن اللهَ أَثمرَ النخلةَ إثْماراً مُعْجِزاً، إكراماً لمريم، مثلَ ما أنبعَ لها عينَ الماء، فمن المتفقِ عليه أَنَّ النخلةَ لا تُثمِرُ في الشتاء، ولكنَّ اللهَ جَعَلَ تلك النخلةَ تُثمر، وجَعَلَ تَمْرَها رُطَباً، واللهُ سبحانه فَعّالٌ لما يُريد.

واعترضَ الفادي لغَبائِه على قولِه تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾؛ وحملَ الصومَ في الآيةِ على الصيامِ المعروف، الذي هو الإمساكُ عن الطعامِ والشراب. ولذلك تساءَلَ بغَباء: «فأينَ الصومُ وهي الآكلةُ الشاربةُ المتكلمة؟!».

الصومُ هنا ليس بمعنى الإمساكِ عن الطعام والشراب، وإنما هو بمعنى الإمساكِ عن الكلام، وهو ما تُفَسِّرُه بقيةُ الآية: ﴿إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾.. فصومُها بامتناعِها عن تكليمِ أيِّ إنسان.

وهي لم تنطقْ بهذه الجملة: ﴿إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ بلسانِها، إذْ إنها لو نطقَتْ بها لما كانَتْ صائمةً عن الكلام.. وإنما كانَتْ توحي للذي تراهُ بإشاراتِ يَدَيْها ومَلامحِ وجْهِها، بحيثُ يَفهمُ منها أَنها صائمةٌ عن الكلام.. واعتبرت الآيةُ هذه الإشاراتِ المفهمة قَوْلاً: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ ..﴾.

ولماذا امتناعُها عن الكلام؟ لأَنها في موقفِ تُهْمَة، ومهما تَكَلَّمَتْ فلن يسمعوا لها. ولقد أَنطقَ اللهُ وَليدَها ليُدافعَ عنها. ولذلك لما وَصَلَتْ قومَها، وفوجئوا بالغلامِ على حِضْنِها، ولاموها مُتَعَجِّبين، لم تَتكلمْ بكلمة، وإنما أَشارتْ إليه، فتكلَّمَ هو وسْطَ ذُهولِ المستمعين. قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ

ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٢٧ ـ ٣١].

فلا خَطأَ في ما قالَه القرآنُ عن ولادةِ مريم، وإِنما أَفهامُ الفادي وقومِه هي القاصرة، لأَنها لم تُحسنْ فهمَ الآياتِ المتحدثةِ عن مريمَ وابنِها عليهما السلام.

٢٤

هل لكل أمة رسول؟

أَخبرَ اللهُ أَنَّه بعثَ لكلِّ أُمَّةٍ من السابقين رسولاً من أَنفسهم. قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [يونس: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ..﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النحل: ٨٩].

ويَعترضُ القسيسُ الفادي على هذه الآيات، التي تُقررُ هذه الحقيقة، ويَعتمدُ في اعتراضِه على الكتابِ المقدَّس، الذي يقولُ بعكْسِ ذلك، قال: «تقولُ هاتان السورتانِ المكيَّتان: إِنَّ اللهَ أَرسلَ في كلِّ أُمَّةٍ نبياً منها إِليها. ويقولُ الكتابُ المقدَّس: إِنَّ الأَنبياءَ والرسلَ هم من بني إِسرائيل، إِليهم وإِلى كلِّ العالَم.. فإِذا صَدَقَتْ أَقوالُ القرآنِ، فكيفَ لم يُخرجْ للأُممِ في إِفريقية وأَوروبة وأَمريكة وأَسترالية وآسية أَنبياءَ منهم وإِليهم؟ ولو كانت لهذه الأُمم أَنبياءُ منها وإِليها، لجازَ أَنْ يكونَ للعربِ رسولٌ منهم!»[١].

يَزعمُ المفْتَري أَنَّ الرسلَ والأَنبياءَ محصورون في بني إِسرائيلَ فقط، فلم يَبْعث اللهُ رَسولاً ولا نبيّاً من غيرِهم!.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٣٤.

وهذا كذِبٌ على اللهِ ﷻ، واتِّهامٌ له بالظلم. فإذا كانَ كلامُه صحيحاً فماذا يقولُ في الأُمم الذينَ عاشوا وماتوا قبلَ وُجودِ بني إسرائيلَ في التاريخ؟ هل بَعَثَ اللهُ لهم نبيّاً إسرائيليّاً قبلَ أَنْ يَخلقَ اللهُ بني إسرائيلَ؟ هل بَعَثَ اللهُ لقومِ نوحٍ وعادٍ وثمودَ والبابليّين والكنعانيّين والمصريّين أنبياءَ من بني إسرائيل؛ وهؤلاءِ الأقوامُ كانوا قبلَ بني إسرائيل؟ أَمْ أَنَّ اللهَ لم يَبعثْ لهم رسولاً قط؟ وبعدما خَلَقَ اللهُ بني إسرائيل هَلْ بَعَثَ اللهُ أنبياءَ إسرائيليّين للأَقْوام الآخَرين، كالفرسِ والرومِ واليونانِ والهنودِ والصينيين والأَفارقةِ والأَمريكيّينَ والأَوربيّين والأُستراليِّين؟.

إنَّ ما قالَه الفادي المفتري من قَصْرِ النبوةِ والرسالةِ على الإسرائيليّين كذبٌ وافتراء، ويَتعارَضُ مع حقائقِ التاريخ.

ولقد صَرَّحَ القرآنُ بأَنَّ اللهَ بَعَثَ في كلِّ أُمةٍ رسولاً. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ [النحل: ٣٦].

وصَرَّحَ بأَنَّ الرسولَ كان من نفسِ الأُمَّة، ويتكلمُ بلسانِ أَفْرادِها. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤].

وصَرَّحَ بأَنَّ اللهَ لا يُعذِّبُ الناسَ إلّا بعدَ أَنْ يَبعثَ لهم الرسول، فإنْ كَفروا به وكَذَّبوه استحقّوا العذاب. قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]. وبذلكَ أَقامَ اللهُ الحُجَّةَ على الكافرين، ولم يَبْقَ لهم حُجَّةٌ على الله، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وزَعْمُ قصرِ النبوةِ على بني إسرائيلَ تكذيبٌ صريحٌ لهذه الآياتِ وأَمثالِها، وتناقُضٌ مع حقائقِ التاريخِ وقواعدِ الدين.

صحيحٌ أَنَّ معظمَ الأَنبياءِ والرسُلِ المذكورين في القرآنِ الكريمِ بُعِثوا إلى اليهودِ، لكنَّ النبوةَ ليستْ محصورةً فيهم.

ولا معنى لكلامِ الفادي: «فإذا صَدَقَتْ أَقوالُ القرآنِ فكيفَ لم يُخرجْ للأُممِ في إفريقية وأَوروبة وأَمريكة وأُسترالية وآسية أَنبياءَ منهم وإليهم؟!».

والمفتري في كلامِه يُكَذِّبُ القرآن، ويُشَكِّكُ في صدقِ أَخْبارِه، وذلك في جملة: «فإذا صَدَقَتْ أقوالُ القرآن». . ومنَ البَدَهِيِّ عند كلِّ مسلم ومنصفٍ أَنَّ أَقوالَ القرآنِ صادقة، لا شكَّ ولا خَطَأَ فيها، فما قالَه اللهُ في القرآنِ فهو الصِّدقُ والحقُّ والصواب.

وقد ذَكَرَ القرآنُ أَسماءَ خمسةٍ وعشرينَ نبيّاً ورسولاً، وليست النبوةُ والرسالةُ محصورةً فيهم، أَيْ أَنَّ اللهَ لم يذكُرْ كُلَّ الأنبياءِ في القرآن، وإنما ذَكَرَ أَشْهَرَهم فقط، والأَنبياءُ يُعَدّونَ بالآلاف، لم يُخْبِرْنا اللهُ إلّا بأَسماءِ خمسةٍ وعشرينَ منهم.

كثيرٌ من الأَنبياءِ لم يُخبرْنا اللهُ عنهم، فلم نَعرفْ أَسماءَهم. قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٧٨].

ومعنى هذا أَنَّ اللهَ بَعَثَ أنبياءَ لكلِّ الأَقوامِ السابقين الذين كانوا يَعِيشونَ في آسية وإفريقية وأَمريكة وأَوروبة وأُسترالية وغيرها، لكنه لم يُخْبِرْنا بأَسماءِ هؤلاءِ الأَنبياء، وعدمُ معرفتِنا بأَسمائِهم لا يَنفي كونَهم أَنبياء.

ومن مزايا الأَنبياءِ والرسلِ السابقين أَنَّ كُلَّ نبيٍّ كانَ يُبْعَثُ إلى قومِه خاصّة، وكلُّ أَنبياءِ بني إسرائيل كانوا يُرْسَلونَ إلى بني إسرائيلَ خاصَّة، ولم يُبْعَثوا إلى غيرِهم.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

وآخِرُ أَنبياءِ بني إسرائيل هو عيسى عليه السلام، فقد بَعَثَهُ اللهُ رسولاً إليهم خاصَّة، ولم يكنْ رَسولاً للنّاسِ كافَّة. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

موسى عليه السلام يقولُ لبني إسرائيل: ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾.. وعيسى عليه السلام يقولُ لبني إسرائيل: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم﴾. فكلُّ واحدٍ منهما رسالتُه خاصَّةٌ بهم.

وتحوَّلَت «النصرانيةُ» إلى رسالةٍ عالميةٍ بعدَ رفْع عيسى عليه السلام، وهذا خلاف طبيعتِها التي جاءَ بها عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل.

ويَختمُ الفادي المفتري كلامَه بنفْيِ نبوةِ محمدٍ ﷺ، وذلك في قوله: «فلو كانَتْ لهذه الأُمم أَنبياءُ منها وإليها، لجازَ أَنْ يكونَ للعربِ رسولٌ منهم». ومعنى كلامِه هنا أَنَّ اللهَ لم يَبعثْ للعربِ رسولاً منهم، لأَنَّ كُلَّ الأَنبياءِ في العالَمِ كانوا من بني إسرائيلَ حسب ادِّعائِه!!.

وقد امْتَنَّ اللهُ على العَرَبِ بأَنْ بَعَثَ منهم محمداً ﷺ رسولاً، وذلك في آياتٍ عديدة، منها قولُه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

ورغْمَ أَنَّ محمداً ﷺ من العربِ إِلّا أَنَّ رسالتَه ليستْ للعربِ فقط، وإِنما هو رسولٌ للعالَمين. وقد قَرَّرَتْ هذه الحقيقةَ آياتٌ عديدة؛ منها قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ومنها قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨].

٢٥

هل أشرك آدم وحواء بالله؟

نَسَبَ الفادي للقرآنِ قولَه بأَنَّ آدمَ وحواءَ أَشركا بالله، وزَعَمَ أَنَّ هذا وَرَدَ في قولِه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا

صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٩ ـ ١٩٠].

تتحدَّثُ الآيتانِ عن رجلٍ عاشر امرأَته، ولما حملَتْ وأَثقلَتْ وأَوشكَتْ على الوضع، توجَّهَتْ هي وزوجُها إلى اللهِ بالدُّعاء، وتَعَهَّدا بأَنَّه إنْ آتاهما وَلَداً صالحاً سَيكونان من الشاكرين، فلما آتاهُما وَلَداً صالحاً جَعَلا لله شرَكاء.

وَزَعَمَ الفادي أَنَّ هذَيْن الزوجَيْن هما آدمُ وحَوّاء، ونَسَبَ هذا القولَ للمسلمين. قال: «قالَ مُفَسِّرو المسلمين: لما هبطَ آدمُ وحَوّاءُ إلى الأَرض، أُلقيت الشهوةُ في نفسِ آدم، فأَصابَ حَوّاء، فحملَتْ من ساعتِها.. فلما ثَقُلَ الحملُ وكَبُرَ الوَلَدُ أَتاها إِبليسُ..

قال البيضاوي: أَتاها إِبليسُ في صورةِ رَجُل، فقالَ لها: ما الذي في بطنك؟ قالَتْ: ما أدري.. قال: إنّي أَخافُ أَنْ يَكونَ بهيمةً أَو كَلْباً أو خنْزيراً!.. قالَتْ: إنّي أخافُ بعضَ ذلك.. قال: وما يُدريكِ من أَينَ يَخرج، أَمِنْ دُبُرِكِ، أَمْ مِن فَمِك، أَو يشقُّ بطْنك فيقتلك؟... فخافَتْ حَوّاء ذلك، وذكَرَتْه لآدم، فلم يَزالا في غمٍّ..

ثم عادَ إليها إِبليسُ، فقالَ لها: إنّي من الله بمنزلة، فإنْ دعوتُ اللهَ أَنْ يجعلَه خَلْقاً سَوِيّاً مثْلَك، ويُسَهِّلَ عليكِ خروجَه، تُسَمّيه عبدَ الحارث... وكان اسْمُ إِبليسَ في الملائكة «حارث»... فذكَرَتْ حَوّاءُ ذلك لآدم.. فعاوَدَها إبليس.. فلم يَزَلْ بهما حتى غَرَّهُما.. فلما وَلَدَتْ وَلَداً سَمّياهُ عبدَ الحارث..

وقال البيضاوي: في قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ أَيْ: جَعَلا أَولادَهما شُركاءَ في ما آتى أَولادَهما، فَسَمّوه عبد العزى وعبدَ مناف..» وقال في قوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾: يَعني: الأَصنام...

ويُعلقُ الفادي على الكلام السابقِ بقوله: «فمن أَيْنَ جاءَتْ هذه القصةُ الغريبة؟ وأَينَ العُزّى ومَنافُ وآلِهَةُ العربِ من آدمَ في الجنة؟ حتى تكونَ أَصنامُ

العربِ آلهةً لآدمَ يُسَمّي أولاده بأَسمائِها؟»[1].

لم يكن الفادي أَميناً في النقلِ عن البيضاوي، فقد زَعَمَ أنه أَخَذَ الخرافةَ السابقةَ من تفسيرِ البيضاوي، مع أَنه زاد على البيضاوي ما لم يَقُلْه، وحَذَفَ منه كَلاماً مهمّاً. . .

والذي ذَكَرَهُ البيضاويُّ في تفسيره هو: «﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾: هو آدمُ، ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا﴾: من جَسَدِها، من ضِلعٍ من أَضلاعِها، أَو من جنسِها، ﴿زَوْجَهَا﴾: حَوّاء، ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾: ليستأنسَ بها ويطمئنَّ إِليها، اطمئنانَ الشيء إِلى جزئِه أَو جنسِه، ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾: جامَعَها، ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾: خَفَّ عليها، ولم تَلْقَ منه ما تلقى الحواملُ غالباً من الثقل، ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾: صارَتْ ذاتَ ثِقَل، بكبرِ الولدِ في بطنها، ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾: وَلداً صالِحاً سَوِيّاً، قد صَلَحَ في بدنِه، ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ لكَ على هذه النعمة، ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾: جعلَ أَولادُهما له شركاء، فيما آتى أَولادَهما، فَسَمّوهُ عَبْدَ العُزّى وعَبْدَ مَناف. . على حَذْفِ المضاف، وإِقامةِ المضافِ إِليه مَقامَه، ويدلُّ عليه قولُه: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. . ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾: الأَصنام.

وقيل: لَمّا حَمَلَتْ حَوّاءُ أَتاها إِبليس، في صورةِ رَجُل، فقالَ لها: ما يُدريكِ ما في بطنِك، لعلَّه بَهيمةٌ أَو كلب، وما يُدريكِ من أَيْنَ يَخرج؟ فخافَتْ من ذلك، وذَكَرَتْه لآدَم، فَهَمّا مِنْه، ثم عادَ إِليها، وقال: إِنّي من اللهِ بمنزلة، فإِنْ دعوتُ اللهَ أَنْ يجعلَه خَلْقاً مِثْلَك ويُسَهِّلَ خُروجَه تُسَمّيهِ عَبْدَ الحارْثِ، وكان اسْمُه حارِثاً بين الملائكة، فَتَقَبَّلَتْ، فلما وَلَدَتْ سَمَّياهُ عَبْدَ الحارث!!. وأَمثالُ ذلك لا يليقُ بالأَنبياء!!.

ويُحتملُ أَنْ يكونَ الخطابُ في ﴿خَلَقَكُم﴾ لآلِ قُصَيٍّ من قُريش، فإِنهم

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٣٤.

خُلِقوا من نَفْسِ قُصَيّ، وكانَ له زوجٌ من جِنْسِه، عربية قُرَشية، وطَلَبا من اللهِ الوَلَدَ، فأَعْطَاهُما أَربعةَ بنين، فسَمَّياهُم: عبدَ مناف، وعبد شمس، وعبد قصي، وعبد الدار.. ويكونُ الضميرُ في ﴿يُشْرِكُونَ﴾ لهما ولأَعْقابِهما المقْتَدينَ بهما..»[1].

وأَدْعو إِلى المقارنةِ بين كَلامِ البَيضاويِّ في تفسيرِه، والكلامِ الذي زَعَمَ الفادي أنه للبيضاويِّ في تفسيرِه، لِمعرفةِ الفرقِ بينهما، والوقوفِ على تَلاعُبِ الفادي وعَدَمِ أَمانتِه!.

يقولُ البيضاويُّ في معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾: جعلَ أولادُهُما له شركاءَ فيما آتى أَولادَهما فسَمَّوهُ عبدَ العُزَّى وعبدَ مَناف، على حَذْفِ مضاف وإِقامةِ المضافِ إِليه مَقامَه، ويدلُّ عليه قوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

ومعنى كلامِ البيضاويِّ أَنه إِذا كان ضَميرُ المثَنّى يَعودُ على آدمَ وحَوّاءَ في قولِه: ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ فإِنَّ فاعلَ «جَعَلا» في الحقيقةِ لا يَعودُ على آدمَ وحَوّاء، وإِنما يعودُ على أَولادِهما المشركين، والسياقُ من بابِ حَذْفِ المضافِ وإِقامةِ المضافِ إِليه مَقامَه، والتقدير: جَعَلَ أَولادُهما لله شركاء.. والدليلُ على هذا عند البيضاوي. إِسنادُ فعْلِ ﴿يُشْرِكُونَ﴾ بعدَ ذلك إِلى الجمعِ وليسَ إِلى المثنّى، فقال: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. ولو كان المشركان هما آدمَ وحَوّاءَ لكانَ الفاعلُ مثنى، ولقال: فتعالى اللهُ عما يشركان!!.

وقد حَرَّفَ الفادي المفتري كَلامَ البيضاوي، ليجعَلَه دَليلاً له على تخطئةِ القرآن... عبارةُ البيضاوي: «جعلَ أَولادُهما له شركاءَ فيما آتى أَولادَهما، فسمّوهُ عبدَ العُزّى وعبدَ مناف» صارتْ عند المفتري: «وقال البيضاوي: أَي: جَعَلا أَولادَهما، شركاءَ فيما آتى أَولادَهما.. وفرقٌ بَعيدٌ بين الجملتَيْن.

(1) تفسير البيضاوي: ٣/ ٤٥.

فالبيضاويُّ يُصرحُ بأَنَّ الذينَ جعلوا للهِ شركاءَ هم أَولادُ آدم وحواء، واتهمَ المفتري البيضاويَّ بأنه يرى أَنَّ آدَمَ وحَوّاءَ هما اللّذان جَعلا للهِ شركاء!!.

ومن افتراءِ المفتري الفادي افتراؤُه على البيضاويِّ بأَنه يعتقدُ صحةَ قصةِ إبليس مع حواءَ وعبد الحارث، مع أَنَّ البيضاويَّ لا يرى صحةَ القصةِ الموضوعة التي ذَكَرَها. بدليلِ أنه بدأَ القصةَ بالفعلِ الماضي: «قيل». وهذه صيغةُ تَضْعيف، كما قَرَّرَ العلماء. وقد حَذَفَ المفتري هذا الفعلَ «قيل» فيما زَعَمَ نَقْلَه عن البيضاويِّ لحاجةٍ في نفسه...

ومن باب الإمعانِ في الكذبِ والافتراء لم يذكُرْ تعقيبَ البيضاويِّ على القصة، وهو تعقيبٌ مهمٌّ، لأَنه يُبَيِّنُ رفْضَ البيضاويِّ للقصة، لمعارضتِها لعصمةِ الأَنبياء؛ وهو قوله: «وأَمثالُ ذلك لا يليقُ بالأَنبياء...»!.

كما أَنَّ الفادي المفتري لم يَذكر الاحتمالَ الثاني الذي أَوردَه البيضاويُّ في تحديدِ الشخصَيْنِ المشركَيْن، لأَنه يَنقضُ ويَرُدُّ اتهامَه لآدمَ وحَوَّاء بَالشِّرْك، والاحتمالُ الذي أَوردَه البيضاويُّ أَنَّ الخطابَ يُمكنُ أَنْ يكونَ لآلِ قُصَيّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم﴾، وعليه يكونُ المرادُ بالزوج وزوجه قُصَيٌّ وامرأَتُه، اللّذان سَمّيا أَولادَهما بعبدِ شَمْسٍ وعبدِ مَناف...

إنَّ هذا التصرفَ الشائِنَ والتلاعُبَ المرذولَ من الفادي المفتري يدلُّ على فقدانِه الأَمانةَ العلمية فيما ينقلُه من كلام، يَنسبُه للعلماء والمسلمين ليوافِقَ هواه، ويُحَرِّفَهُ عن معناه!! وأَدعو إلى الشَّكِّ في كلِّ ما يَنقلُهُ الفادي وأَهْلُ ملَّتِه من أَقوالٍ ينسبونَها للمسلمين، وإِذا أَحالوا على كتابٍ لعالِمٍ مسلم، وزَعموا وُجودَ الكلامِ فيه، فأَدْعو إلى العودةِ المباشرةِ إلى الكتابِ الإِسلامي، وسوفَ نَجِدُ فَرْقاً بَعيداً بين الكلامِ في الكتابِ الإِسلاميِّ وبين الكلامِ المنقول منه!! وبهذا نَعرفُ تَخَلّي اليهودِ والنصارى والمستشرقين عن الأَمانةِ العلمية في بحوثهم العلمية!!.

وخلاصَةُ هذه المسأَلة: ما ذَكَرَهُ بعضُ المفَسِّرين المسلمين والإِخباريين

المؤرخين من حوارٍ بين حَوّاءَ وإبليسَ انتهى بها إلى أَنْ أشركَتْ هي وآدمُ بالله، عندما سَمَّيا مولودَهما الأولَ عبدَ الحارث ـ أَيّ: عبدَ إبليس ـ هذا كلامٌ مُخْتَلَقٌ مكذوبٌ موضوع، لم يصحّ ولم يثبتْ. فآدمُ وحَوّاءُ لم يُشْرِكا بالله، ولم يُسَمِّيا ابنَهما عبدَ الحارث.

وتتحدثُ الآياتُ عن زوجَيْنِ متأخِّرَيْن من أبناءِ آدم، قد يكونانِ من العربِ أَو من العجمِ أَو من غيرِهم، عاهَدا اللهَ أَنْ يُؤْمِنا به ويَشْكُراه، إِنْ آتاهما وَلَداً صالحاً، فلما آتاهما صالحاً نَقَضا العهد، وأَشْرَكا بالله.

وأَبْقَت الآياتُ قصةَ الزوجَيْنِ مبهمة، لم تُبَيِّنْ من تَفاصيلِها شيئاً، أَبهمتْ اسْمَي الزوجَيْن وزَمانَهما ومَكانَهما، وتفاصيل حملِ المرأةِ وولادتِها، وتفاصيلَ الشركِ بالله! وهذا كلُّه لا نَخوضُ فيه، لأَنه لا دليلَ عليه.

المهمُّ أَنَّ آدمَ وَحَوَّاءَ لم يُشركا بالله، والبيضاويُّ لم يَنْسبْ ذلك لهما، وكان الفادي مفترياً كاذباً في زَعمِه ونقْلِهِ عن البيضاوي.. ولم يُخطئ القرآنُ في حديثِه عن زَوْجَيْنِ مشركَيْنِ بالله، لأَنَّ هذه الآياتِ تنطبقُ على كلِّ زوجَيْنِ مشركَيْنِ، مهما كان زَمانُهما ومَكانُهما!.

٢٦

هل غرق ابن نوح عليه السلام؟

أخبرَ القرآنُ أَنَّ أَحَدَ أَبناءِ نوحٍ كان كافراً، وأنه غَرِقَ في الطوفان. قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٢ ـ ٤٣].

نَقَلَ الفادي عن البيضاويِّ أَنّ ابنَ نوحٍ الكافرَ الذي رفضَ أَنْ يركبَ مع نوحٍ هو كنعان، وأنه غَرِقَ مع الكافرين!!

وَرَدَّ الفادي كلامَ البيضاويِّ وكلامَ القرآن، وحاكَمَ القرآنَ إلى العهد

القديم الذي يعتقدُ الفادي أنه التوراةُ كلامُ اللهِ. قال: «ومعلومٌ أَنَّ نوحاً لم يكنْ له إِلا ثلاثةُ أولاد: سامٌ وحامٌ ويافث، ولهم ثلاثُ زوجات.. فكان الذينَ خَلَصوا في الفُلْكِ ثمانية: نوحٌ، وزوجَتُه، وأولادُه الثلاثة، ونساءُ أولادِه الثلاث.. فأينَ قصةُ غَرَقِ كنعان؟ ومعلومٌ أَنَّ كنعانَ لم يكن قد وُلِدَ، ولم يكن ابْناً لنوح، بل وَلَدَهُ حامُ بنُ نوح، وذلك بعدَ الطوفان»[(١)].

لقد أخبرَ القرآنُ عن غَرَقِ أَحَدِ أَبناءِ نوحٍ عليه السلام. فلما كان نوحٌ مع المؤمنين في السفينة، وهي تَجري بهم في موجٍ كالجبال، رأى أَحَدَ أبنائِه واقِفاً في معزلٍ عن الطوفان، فَدَعاهُ إِلى أَنْ يركبَ معهم في السفينة، ولكنَّ الابنَ رفضَ الدعوة، وحالَ الموجُ بينَ الابنِ وأَبيه، وطواهُ في طَيّاتِه، فكانَ من المغرقين! وحزنَ نوحٌ على ما أصابَ ابْنَه وسأَلَ ربَّه مستوضحاً، فأَخبره اللهُ أَنه ليس من أَهْلِه المؤمنين، لأَنه كان كافراً، وكُفْرُهُ قطعَ الصلةَ بينَه وبينَ أَبيه النبي؛ قال تعالى: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٢ ـ ٤٧].

ولقد أبهمَ القرآنُ اسْمَ وَلَد نوحٍ الكافر الذي غَرِقَ مع الكافرين، كما أبهمه رسولُ الله ﷺ، ولا سبيلَ لنا لمعرفةِ اسْمِه لسكوتِ القرآنِ والحديثِ الصحيحِ عنه، والواجبُ علينا أَنْ نُبْقيَه على إبهامِه.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٣٥.

ولا نوافقُ البيضاويَّ وغيرَه من المفَسِّرين الذين حَدَّدوا اسْمَه بأَنَّه «كنعان»، لأنهم لا يَمْلكونَ دَليلاً على ذلك!!.

ومحاكمةُ القرآنِ للعهدِ القَديم خطأٌ منهجيٌّ وَقَعَ به الفادي، وإذا كانَ أَساسُ مَنهجه خطأً، كانت الأَفكارُ والنتائجُ المترتبةُ عليه خاطئة. وكيفَ نُحاكم كَلامَ اللهِ الثابتَ المحفوظَ إلى كلامٍ مشكوكٍ فيه، اختلطَ فيه كلامُ اللهِ بكلامِ الأَحبار؟!.

ونتوقفُ فيما زَعَمَه الأَحبارُ في سِفْرِ التكوين من أنه كانَ لنوح ثلاثةُ أَبناء، ونتوقفُ في أَسمائِهم التي أَطْلقوها عليهم، فلا نَنْفيها ولا نُثْبِتُها، ونقول: اللهُ تعالى أَعلمُ بأَعدادِهم وأَسمائِهم وتفاصيلِ حياتِهم!.

أَمّا زعْمُ الفادي أَنَّ الذين رَكبوا في الفلكِ كانوا ثمانيةَ أَشخاصٍ فقط فهذا خطأ؛ وقد أَخْبَرَنا اللهُ أَنَّ الذينَ رَكبوا في السفينةِ كُلُّ مَنْ آمَنوا بنوحٍ ﷺ، مع أَنهم كانوا قلائل، إِلّا أَنهم كانوا أَكْثَرَ من ثمانيةٍ قَطْعاً. قال تعالى: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].

وأَخطأَ الأَحبارُ مُؤَلِّفو سِفْر التكوين والقِسّيسُ الفادي الذي تابَعهم عندما صَنَّفوا رُكابَ السفينةِ تصنيفاً أُسَرِيّاً نَسَبِيّاً، وليس تصنيفاً إِيمانيّاً. فالركابُ الثمانيةُ في السفينةِ هم عائلةُ نوحٍ ﷺ في تصنيفهم: نوحٌ وزوجَتُه، وأَولادُه الثلاثة وزوجاتُهم الثلاث!!.

والصَّحيحُ هو ما ذَكَرَه القرآن، من أَنَّ الذينَ رَكِبوا معه من أَهْلِه هم المؤمنون فقط، أَمّا الكافرونَ منهم فقد هَلَكوا مع الهالِكين، ولذلك قالَ اللهُ عن حَمْلِ أَهْلِه معه: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾. والذي سبق عليه القولُ هو الكافِرُ مِنْ أَهْلِه، واللهُ حَكَمَ أَنْ يُهلكَه.

وقد نَصَّ القرآنُ على أَنَّ اثْنَيْنِ من أَهْلِ وأُسْرَةِ نوحٍ كانا كافِرَيْن، ولم يركَبا معه السفينة: امرأَتُه، وابْنُه.

قالَ اللهُ عن امرأتِه قارناً لها مع امرأةِ لوط الكافرة: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠].

ولما أَغْرَقَ اللهُ ابْنَ نوحٍ الكافرَ، وسأَلَ نوحٌ عنه لامَه اللهُ على ذلك، وأخبره أنه ليسَ من أَهْلِه لكُفْرِه، مع أنه ابْنُه.. قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ﴾ [هود: ٤٥ ـ ٤٦].

وبهذا نعرفُ جَهْلَ وغباءَ الفادي المفتري، حَيْثُ خَطَّأَ القرآنَ، في الخبر الصادقِ الذي أوردَه عن غرقِ ابنِ نوحٍ، واعتمدَ على كتابٍ من صنعٍ بشريٍّ، أَلَّفه الأُحبار، ووَقعوا في أخطاءٍ كثيرة فيه، يمكنُ الوقوفُ عليها عند مقارنتِها بالقرآن!!.

٢٧

هل أيوب حفيد إسحاق؟

أَخبرَ اللهُ أَنَّ أَيوبَ من ذريةِ إبراهيمَ ﷺ. قال تعالى عن إبراهيم ﷺ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤].

الضميرُ في «له» يَعودُ على إبراهيمَ ﷺ، لأَنَّ الآياتِ السابقة كانَتْ تتحدَّثُ عنه، وإِسحاقُ ابْنُه، ويعقُوبُ حَفيدُه، عليهم الصلاة والسلام.

والراجحُ أَنَّ الهاءَ في ﴿ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ تعودُ على إبراهيمَ ﷺ، فالأنبياءُ الستةُ المذكورونَ في الآيةِ من ذريتِه، وهم: داودُ وسليمانُ وأَيوبُ ويوسفُ وموسى وهارونُ.

وهذا نَصٌّ على أَنَّ أَيوبَ ﷺ من ذريةِ إِبراهيمَ ﷺ. والذريةُ ليسوا الأَبناءَ والأَحفادَ فقط، وإِنما هم الأَولادُ الذين يَنْتَسبون له، ولو كان بينَهم وبينَه عدةُ قُرون.

وقد رَفَضَ الفادي اعتبارَ أَيوبَ من ذريةِ إِبراهيم، واعتبرَ هذا من أَخطاءِ القرآنِ التاريخية.

ونَقَلَ عن البيضاويِّ قولَه: «أَيوبُ بنُ أَموص، من أَسباطِ عيص بنِ إِسحاق»[١].

وَرَفَضَ كلامَه قائلاً: «فأَيْنَ أَيوبُ الذي ظَهَرَ في بلادِ العَرَبِ من عصْرِ إِبراهيمَ وإِسحاقَ والدِ إسرائيل في أَرضِ فلسطين؟ وأَينَ هو أَموصُ والدُ النبيِّ أَشعياءَ من أَيوب؟»[٢].

ذهبَ البيضاويُّ إِلى أَنَّ والدَ أَيوبَ هو أَموص، وأَنَّه من نَسْلِ عيص، وعيصُ هو حَفيدُ إِبراهيمَ وأَخو يعقوب.

واعترضَ الفادي على كلامِ البيضاوي، وذَهَبَ إِلى أَنَّ أَيوبَ ظَهَرَ في بلادِ العَرَب، وبينَه وبينَ إِبراهيمَ وإِسحاقَ فترةٌ زُمنيةٌ طويلة!.

ولَسْنا مع البيضاويِّ في ما قالَه عن أَيوبَ ﷺ، لأَنه ذَكَرَ أَسماءً ليس عليها دليلٌ معتمد، فلم يَرِدْ في مصادِرِنا الإِسلاميةِ اليقينيةِ، أَنَّ اسْمَ والدِ أَيوبَ هو أَموص، وأَنَّ اسْمَ ابنِ إِسحاقَ هو عيص، وأَنَّ أَموصَ هو حفيدُ إِسحاق، وأَنَّ أَيوبَ هو ابنُ حفيدِ إِسحاق!.

وهذه الأَسماءُ التي أَخَذَها البيضاويُّ عن الإِسرائيلياتِ نتوقَّفُ فيها، فلا نَنْفيها ولا نُثبتها، ولا يتحملُ القرآنُ مسؤوليةَ ما ذَكَرَه البيضاوي.. وكلُّ ما نقولُه أَنّ أَيوبَ كان من نَسْلِ وذريةِ إِبراهيم ﷺ، مع وجودِ فترةٍ زمنيةٍ طويلةٍ بينهما!!.

---

(١) تفسير البيضاوي: ٢/ ١٧١.

(٢) هل القرآن معصوم؟، ص٣٥.

٢٨

الصلة بين موسى والخضر ومحمد ﷺ

أَخْبَرَنا اللهُ في سورةِ الكهفِ عن أَحداثٍ مثيرةٍ وَقَعَتْ بينَ موسى والخضرِ عليهما السلام في الآيات من (٦٠) وحتى (٨٢).. وذَكَرَ رسولُ اللهِ ﷺ فيما رواهُ عنه البخاريُّ ومسلمٌ وغيرُهما بعضَ تفصيلاتِ تلك الأَحداث[١].

وخُلاصَةُ قصةِ موسى مع الخضرِ عليهما السلام كما ذُكِرَتْ في آياتِ القرآنِ وصحيحِ الأَحاديث: أَنَّ موسى عليه السلام وَقَفَ يوماً خَطيباً في بَني إِسرائيل فَقيلَ له: هل أَحَدٌ أَعْلَمُ منكَ؟ فقال: لا!.. فعتب اللهُ عليه لأَنه لم يُفَوِّضْ ذلك إِلى اللهِ، ولم يَقلْ: اللهُ أَعلم! فقالَ اللهُ له: بل هناك مَنْ هو أَعلمُ منك؟ فقال موسى: مَنْ هو يا رَبِّ حتى أَتعلمَ منه؟ قال: إِنه عَبْدُنا الصالحُ خَضِر! قال: يا رَبِّ كيفَ السبيلُ إِليه؟.. قال: خُذْ حوتاً مُمَلَّحاً في سلَّة، فإِذا فَقَدْتَ الحوتَ وَجَدْتَه في ذلك المكان!!.

فطلبَ موسى عليه السلام مِن فَتاهُ يوشَعَ بن نون أَنْ يَسيرَ معه، ووضعَ سَمكَةً مشويةً مملَّحَةً في سَلَّة، لتكونَ غداءً لهما، وتَوَجَّها إِلى الخضر.. وفي الطريقِ تَعِبا، فَوَجدا صخرةً بجانبِ البَحر، فجلَسا يَستريحانِ عنْدَها، وَوَضَعَ يوشَعُ السلةَ التي فيها السمكةُ المشويةُ بجانبه، وناما... وأَحْيَا اللهُ السمكةَ المشوية بقدرتِه، فَقَفَزَتْ من السَّلة، وذهبتْ في البَحر.. وأَبقى اللهُ مكانَ سيرِها على سطحِ الماءِ كما هو، ليكونَ دَليلاً لموسى وفتاه.

ولما استَيْقَظا، تابَعا سَيْرَهُما نحو الخضر، وحَمَلَ يوشَعُ السَّلَّة، ونَسي أَنْ يتفقدَ السمكة فيها.. وبَعْدَ قليلٍ أَحَسَّ موسى عليه السلام بالجوع، فطلَبَ من يوشَعَ أَنْ يُجَهِّزَ السمكةَ المشويَّة للغَداء! فلما نَظَرَ في السَّلَةِ لم يَجِدْها! فأَخبرَ

(١) تكلمنا عن أحداث القصة بالتفصيل في كتابنا «مع قصص السابقين في القرآن».

موسى أَنها خرجَتْ من السَّلَّةِ عند الصخرة، فعادا إِليها، لأَنَّ الخَضِرَ سيكونُ هناك!.

ولما وصلَ موسى الصخرةَ وَجَدَ الخضرَ نائماً على ظهرِهِ، مغطّى بقطيفتِه.. فأَلقى عليه السلام، وردَّ الخضرُ عليه السلام، وقالَ له: أَنّى بأَرْضِك السَّلام؟.

وعَرَضَ عليه موسى أَنْ يَسيرَ معه ليتعلَّمَ منه، فقالَ له الخضر: إِنَّكَ لن تستطيعَ معيَ صَبْراً، لأَنَّكَ سترى منّي أَشياءَ لا تَصبرُ عليها، فلقد عَلَّمَنِي اللهُ أَشياء، لا عِلْمَ لك بها، وأَنتَ عَلَّمكَ اللهُ أَشياء، لا عِلْمَ لي بها.. فاسْتَعَدَّ موسى أَنْ يَصبِرَ على كُلِّ ما يَرى، واشترطَ عليه الخضرُ أَنْ لا يَعترضَ على كُلِّ ما سيراه منه، وأَنْ لا يسأَلَه، وأَنْ ينتظرَ منه بيانَ وتوضيحَ ما يَراه...

وسارَ موسى مع الخضر على شاطئ البَحْر، ومَرَّتْ بهما سفينَة، فعرفَ مالكوها الخضر، فأَركبوهما بغيرِ أُجرةٍ إِكْراماً لهما.. ومَدَّ الخضرُ يَدَه فَقَلَعَ لَوْحاً من أَلواحِ السفينة، فاعترضَ موسى ﷺ وقال له: القومُ أَكْرمونا، وأَركبونا في السفينة مَجّاناً، فكيفَ تقابلُ إِكرامَهم بِخَرْقِ السفينةِ وإِفسادها؟ وإِنَّك بذلك سَتُغْرِقُ أَهْلَها! وذَكَّرَه الخضرُ بالشرطِ الذي اتفقا عليه، فاعتذرَ بأَنه تكلمَ ناسياً الشرط.

وسارا في الطريق، وَوَجَدا غُلاماً صغيراً يَلعبُ مع الغلمان، فأَقبلَ عليه الخضرُ وقَتَلَه! فاستغربَ موسى واعترضَ عليه، إِذ كيفَ يقتلُ فتى صغيراً بغير ذنبٍ ارتكبه؟! فذكَّرَه الخضرُ بالشرطِ بينهما، وتَعَهَّدَ موسى بعدمِ الاعتراض، فإِن اعترضَ عليه بعد ذلك فيمكنُه أَنْ لا يُصاحِبَه!.

ووَصَلا أَهلَ قريةٍ بُخَلاء، فطَلَبَا منهم الطعام، فأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفوهما! وَوَجَدا فيها جداراً على وَشَكِ السقوط، فقامَ الخضرُ بإِصْلاحِه وإِحكام بنائِه، فاعترضَ عليه موسى بأَنه كان الأَولى أَنْ يأخذَ منهم الأَجرة، لأَنهم لا يستحقون الإِكرام!.

وبهذا الاعتراضِ الثالثِ فَقَدَ موسى حَقَّه بمصاحبةِ الخضر، وقبلَ أَنْ يُفارِقَه فَسَّرَ له الأَحداثَ الثلاثةَ المثيرة:

خَرَقَ السفينةَ لأنه يُريدُ المحافظةَ عليها، وإِبقاءَها في مُلْكِ أَصحابِها المساكين، فأَمامَهم ملكٌ ظالمٌ غاصب، كُلَّما وَجَدَ سفينةً صالحةً صادَرَها، وعندما يَرى سفينَتَهم مخروقةً سيتركُها لهم.. أَمّا الغُلامُ فقد علمَ اللهُ أَنه عندما يكبرُ سيكونُ كافراً، وبذلك سَيُرْهِقُ والِدَيْه المؤمِنَيْن، ولذلك أَمَرَهُ اللهُ بقَتْلِه، وسيُؤْتي اللهُ والدَيْه ابناً آخَرَ أَفضلَ وأَكرمَ وأَرحمَ منه.. وأَمّا الجدارُ الذي بَناهُ فقد كانَ لغلامَيْن صغيرَيْن يتيمَيْن، وكانَ أَبوهما الصالحُ قد وَضَعَ لهما كَنْزاً تحتَه، ولو سقط الجدارُ لنهبَ أَهْلُ المدينةِ الكنز، لذلك قامَ الخضرُ بإِصلاحِ الجدار إِكراماً للغلامَيْن اليتيمَيْن وليس إِكْراماً للبخلاء!.

وقبلَ أَنْ يُفارقَ الخضرُ موسى أَخبره أَنَّهُ لم يفعلْ ذلك باجتهادِه، لأَنَّه لا يَعلمُ الغيب، وإِنما أَخبرَهُ اللهُ بما سيكون، وأَمَرَهُ بفعْلِه!.

هذه خلاصةُ قصةِ موسى مع الخضر ﷺ، كما وَرَدَتْ في الآياتِ والأَحاديثِ الصحيحة، وهذه القِصَّةُ الصحيحةُ لم تَلْفِتْ نَظَرَ القسيس الفادي، وإِنما ذهبَ إِلى تفسيرِ البيضاوي، وأَخذ منه كلمتَيْن، اعتَبَرَهما خطأً من أَخطاءِ القرآنِ التاريخية.

قالَ البيضاوي عن الخضر: «الجمهورُ على أَنه الخضرُ ﷺ، واسْمُه بليا بن ملكان. وقيل: إِليسع. وقيل: إِلياس»[1].

أَيْ: الخضرُ لَقَبٌ لذلك النبيّ، واسْمُه فيه خِلاف: بليا، أَو إِلياس. أَو: إِليسع.. ولما نَقَلَ الفادي المفتري كلامَ البيضاويِّ لم يكنْ أَميناً في النقل، وصارَتْ عبارةُ البيضاوي السابقة عنده: «فَوَجَدَ الخضِرَ، وهو إِيليا النبي»!!.

وقالَ البيضاويُّ عن كَنْزِ الغلامَيْن اليتيمَيْن: «وكان تحتَه كَنْزٌ لهما من ذهبٍ وفضة وقيل: من كتبِ العلم.. وقيل: كان لوحاً من ذهبٍ مكتوبٌ فيه:

---

(١) تفسير البيضاوي: ٣/ ٢٨٧.

عجبْتُ لمن يؤمنُ بالقَدَرِ كيف يَحزن؟! وعَجِبْتُ لمن يُؤْمِنُ بالرزقِ كيفَ يَتْعَب؟! وعجبتُ لمن يؤمنُ بالحسابِ كيف يَغْفَل؟! وعجبتُ لمنْ يؤمنُ بالموتِ كيفَ يَفْرَح؟! وعجبتُ لمن يعرفُ الدنيا وتقلُّبَها بأَهلها كيفَ يطمئنُّ إِليها؟!.. لا إِلٰه إلاّ الله، محمدٌ رسولُ الله...»[1].

ويأْبى الفادي المفتري إِلّا أَنْ يَتَلاعَبَ بالنَّصِّ الذي ينقُلُه عن البيضاوي، لأَنه لا يمكنُ أَنْ يكونَ أَميناً في النقل! فعبارةُ البيضاويِّ السابقة صارَتْ عند المفتري هكذا: «والجدارُ لغلامَيْن يتيمَيْن، بَناه حَتّى متى كَبُرا يَجِدان تحتَ الجدارِ كنزاً من الذهب، مكتوبٌ عليه بعضُ الحِكَم، ومنها: لا إِلَهَ إِلّا الله، محمدٌ رسولُ الله! وكان ذلك في أَيامِ إِسكندر ذي القرنين!»[2].

فأَضافَ المفتري على كلامِ البيضاويِّ جملة: «وكان ذلكَ في أَيامِ إِسكندر ذي القرنين» وذلك بهدفِ تكذيبِ قصةِ الخضر مع موسى، واعتبارِها من أَخطاءِ القرآنِ التاريخية!.

ونحنُ لَسْنا مع ما نَقَلَه البيضاويُّ من خلافٍ في اسْمِ الخضر: بليا، أَو إِليسع، أَو إِلْياس! لأَنه لا داعيَ لذلك؛ فالرسولُ ﷺ سَمّاه الخضر، ويَكفي ذلك، وما ذَكَرَهُ البيضاويُّ من خلافٍ في اسْمِه منقولٌ عن الإِسرائيليات!.

وهذا مَعناهُ أَننا لا نوافقُ الفادي على أَنَّ الخضرَ هو النبيُّ إِيليا، الذي كان في فِلسطينَ في القرن التاسع قبلَ الميلاد! ونَرى أَنه هو الخضر، والراجحُ أَنه نَبي، وتَفاصيلُ حياتِهِ ونُبوتِه ودعوتِه من مبهماتِ القرآن، التي ليس عندنا دليلٌ على بيانِها!.

ولما تكلمَ البيضاويُّ عن كنزِ الغلامَيْن اليتيمَيْن كان رأْيُه أَنه كنزٌ حقيقيٌّ من ذهبٍ وفضةٍ.

ولما ذَكَرَ أَقوالاً أُخرى في الكنزِ ذَكَرَها بالصيغةِ التمريضيةِ التضعيفيةِ: «قيل» فقال: «وقيلَ: مِن كتب العلم. وقيل: كان لوحاً من ذهبٍ مكتوبٌ فيه

---

(1) تفسير البيضاوي: ٣/ ٢٩١.

(2) هل القرآن معصوم؟، ص٣٦.

بعض الحِكَم. . .» وذَكَرَ خمساً من الحكم، وخَتَمَها بالشهادتَيْن: لا إِلَٰهَ إِلّا الله، محمدٌ رسولُ الله.

وهذه الصيغةُ التمريضيةُ تدلُّ على أَنَّ البيضاويَّ لا يَعتمدُ ما بَعْدَها، وإِنما يَكتفي بإِيرادِها من بابِ الذِّكْرِ فقط.

وكنّا نتمنّى على البيضاويِّ لو لم يورِدْ ذلك، حتى لا يَأْتِيَ رجلٌ مغرضٌ مثلُ الفادي المفتري، ويجعله حُجَّةً على البيضاويِّ وعلى القرآن!.

والراجحُ أَنَّ كنْزَ الغلامَيْن اليتيمَيْن كان كَنْزاً حقيقيّاً ماليّاً، ولم يكنْ كَنْزاً من كتب العلم، ولا من دُرَرِ الحِكَم، مكتوبةٍ بلغةٍ عربيةٍ سليمة، ومبادئَ إِسلامية لم تُعْرَفْ إِلّا بَعْدَ الإِسلام، مختومةٍ بالشهادتين!.

إِنَّ هذه مزاعمُ نَرُدُّها، وأقوالٌ نرفُضُها، ولا تُلْزِمُنا حتى لو كانَتْ عند تفسيرِ البيضاوي، ولا يَجوزُ لأَحَدٍ أَنْ يَجعلَها حُجَّةً على القرآن، لأنها لم تَثْبُتْ بحديثٍ صحيحٍ مرفوع!.

والزعْمُ بأَنّ بناءَ الخضرِ للجدارِ كان في زمنِ الإِسكندرِ المقدوني من مزاعمِ الفادي وافتراءاتِه وأكاذيبه، ليتوَصَّل بها إِلى تكذيبِ القرآنِ وتخطئته.

وبهذا نعرفُ بطلانَ الأَسئلةِ والاعتراضاتِ التي أَثارَها المفتري على القرآن في حديثه عن قصة الخضر: «ونَحنُ نَسْأَلُ: أَيْنَ موسى الذي عاشَ في مصر سنة [١٥٠٠ق.م]، من إِيليا الذي عاشَ في فلسطين سنة [٩٠٠ق.م]، من إِسكندرَ الأَكبر الذي عاش في اليونانِ سنة [٣٣٢ق.م]! أَيْنَ هؤلاء من الشَّهادَةِ لمحمدٍ الذي ظهرَ في بلادِ العربِ في القرنِ السابع بعد الميلاد؟! فبينَ موسى وإِيليا [٦٠٠ سنة]! وبينَ إِسكندر وموسى [١٢٠٠ سنة]! وبين موسى وظهورِ محمدٍ [٢٢٠٠سنة]! فكيف يتسنّى لهؤلاءِ الذين نشؤوا في ممالك مختلفة، وفي قرونٍ متباعدة، أَنْ يَجْتَمِعوا في زمنٍ واحدٍ وفي صعيدٍ واحد؟!»[1].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٣٦.

لقد بَنى المفتري الفادي كُلَّ أَسئِلته على أُكذوبة، ادَّعَتْ أَنَّ شهادةَ أَنْ لا إِلٰه إِلّا الله وأَنَّ محمداً رسولُ الله هي الكنزُ الذي بَنى الخضرُ الجدارَ عليه، وخَطَّأ القُرآنَ بسببِها! فإِذا كانت هذه الأَكذوبةُ مردودةً، فإِنَّ القرآنَ لا يتحملُها.

الخضرُ كان مع موسى ﷺ، وهو ليس النبيَّ إِيليا الذي عاشَ بعد موسى بتسعةِ قرون، ولا صلة بين الخضر وبين الإِسكندرِ المقدوني، الذي جاءَ بعده باثْنَيْ عَشَرَ قرناً! ولم تُكتب الشهادتانِ على كَنْزِ الغلامَيْنِ اليتيمَيْن حتى يَصِحَّ ما أَثارَه المفتري على القرآنِ من اعتراض!!.

٢٩

حول ترتيب أسماء الأنبياء

في سورةِ الأَنعام ثلاثُ آياتٍ ذَكَرَتْ ثمانيةَ عَشَرَ نبياً. وهي قولُ الله ﷻ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤ ـ ٨٦].

الهاءُ في «لَهُ» تعودُ على إِبراهيم ﷺ. والأَنبياءُ الثمانيةَ عَشَرَ مذكورون في المجموعاتِ التالية: إِبراهيمُ وإِسحاقُ ويَعقوب، ونوحٌ لوحده، وداودُ وسليمانُ وأَيوبُ ويوسفُ وموسى وهارون، وزكريّا ويَحْيى وعيسى وإِلياس، وإِسماعيلُ واليسعُ ويونُسُ ولوط.

وذِكْرُ الأَنبياءِ في هذه المجموعاتِ أَثارَ اعتراضَ الفادي؛ قال: «ونحنُ نَسْأَل: كيفَ صُفَّتْ هذه الأَسماءُ بلا نظامٍ ولا تَرْتيب، بما فيها من تقديمٍ وتَأْخير، يَدْعو للتشويشِ والخلْط؟ فما الدّاعي لذِكْرِ داودَ وسُليمانَ قبلَ أَيوبَ ويوسفَ وموسى وهارون؟ وما الدّاعي لذكْرِ زكريّا ويَحيى وعيسى وإِلْياس؟ وما الدّاعي لذكْرِ إِسْماعِيلَ بعدَ إِسْحاقَ ويَعقوبَ وداودَ وسُليمانَ وأَيوبَ ويوسفَ

وموسى وهارونَ وزَكريّا ويحيى وعيسى وإلْياس؟ وما الدّاعي لذكْرِ اليسعَ ويونسَ قبَل لوط؟.

مع أَنَّ الترتيبَ التاريخيَّ معروفٌ قبلَ القرآنِ بمئاتِ السِّنين، أَيوبُ في بلادِ عوص، وإِبراهيمُ وابنُ أَخيه لوط، وابْناهُ إسماعيلُ وإِسحاق، وحفيدُه يعقوب، وابنُ حفيدِهِ يوسُف.. ومِنْ بَعْدِهم موسى وهارون.. ومنْ بَعْدِهما داودُ وسليمانُ ابنُه، ومن بعْدِهما إِلياسُ والْيسعُ تلميذُه، ومِنْ بعدِهما يونُس؛ هؤلاء كلُّهم في العهدِ القديم.. ومن بعدِهم زكريّا ويحيى وعيسى في العهدِ الجديد..»[1].

ولا يوجَدُ في ذِكْرِ الأَنبياءِ في الآياتِ ما يَدْعو للاعتراضِ أَو الإِنكار، وليس في ذِكْرِ هؤلاءِ الأنبياءِ خطَأ تاريخيٌّ وقعَ به القرآن.

الهدفُ هو ذكْرِ أسماء الثمانيةَ عشرَ نبيّاً ذِكْراً فقط، وليس الهدفُ ذِكْرَ الأَسماءِ وفقَ الترتيبِ والتسلسلِ التاريخيّ، فاعتراضُ الفادي في غير مكانِه.

والترتيبُ الذي ذَكَرَه هو ليسَ صحيحاً، فهو يرى أَنَّ أَيّوبَ كانَ قبلَ إبراهيم عليه السلام، وهذا غيرُ صَحيح، والصحيحُ أَنَّ أيوبَ كان من ذريةِ إبراهيمَ، بنصِّ الآية: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾.

وهو يرى أَنَّ زكريّا ويحيى من أَنبياءِ العهدِ الجديد، وهذا غيرُ مُسَلَّم، فالعهدُ الجديدُ هو الإِنجيلُ الذي جاءَ به عيسى عليه السلام، وكان زكريّا قبل عيسى، وإنْ كانَ الأَنبياءُ زكريا ويحيى وعيسى أنبياء لبني إسرائيل...

واللافتُ للنظرِ أَنَّ القرآنَ عندما يذكرُ أَسماءَ بعضِ الأَنبياءِ فإنه لا يُرَتِّبُهم تَرتيباً تاريخيّاً، كما هو في الآياتِ السابقة من سورةِ الأنعام، وكما في قولِه تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٣٦ ـ ٣٧.

٣٠

إدريس وليس أخنوخ

ذَكَرَ القرآنُ إدريسَ عليه السلام ضمنَ الأنبياءِ؛ قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٦ ـ ٥٧].

وقد حاكَمَ الفادي ـ كعادته ـ القرآنَ إلى العهدِ القديم، ولَمّا لم يجد اسْمَ إدريسَ فيه حَكَمَ بتخطئةِ القرآن، والذي في العهدِ القديم هو أخنوخ وليس إدريس.. ونَقَلَ الفادي عن سِفْرِ التكوينِ أَنَّ أَخنوخَ عاشَ ثلاثَمئةٍ وخمساً وستينَ سنة، وسارَ أَخنوخُ مع الله، ولم يوجَدْ بعدَ ذلك لأَنَّ اللهَ أَخَذَه.

ونقلَ عن البيضاويِّ قولَه: «إدريسُ: هو جَدُّ أَبي نوح، واسْمُه أَخنوخ، واشتقاقُ إدريسَ من الدَّرْس، لكثرةِ دُروسِه، إذْ رويَ أَنَّ اللهَ أَنزلَ عليه ثلاثين صحيفة، وأنه أولُ مَنْ خَطَّ بالقَلَم، ونَظَرَ في علمِ النجوم والحسابِ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ يَعْني شرف النبوةِ والزُّلْفى عندَ الله، وقيلَ: الجنة، وقيلَ: السماءَ السادسةَ أَو الرابعة».

واعترضَ الفادي على تسميةِ القرآنِ له بإدريس، وقال: «ونحنُ نسأَلُ: مِن أَينَ جيءَ باسمِ إدريسَ بدل أَخنوخ، فالصوابُ أَخنوخُ وليس إدريس!»[1].

لا تَجوزُ محاكَمَةُ القرآنِ إلى الكتابِ المقدَّس، لما سبقَ أَنْ قَرَّرْناه، وقرآنُنا هو المهيمنُ على ما قبلَه من الكُتُب، لأَنَّ الكتبَ السابقةَ مُحَرَّفَة، والقرآنُ محفوظ. فما ذَكَرَه القرآنُ هو الصواب، والاسْمُ الذي خالَفَ المذكورَ في القرآن هو المرفوض، وبما أَنَّ اسْمَه في القرآنِ إدريسُ فهذا هو اسْمُه ولا نَدْري من أَينَ جاء مؤلفو سِفرِ التكوين باسم أَخنوخ، وهو اسْمٌ مرفوض!.

ولَسْنا مع البيضاويِّ في ما ذَكَرَه عن إدريسَ من أَنَّ اسْمَه أَخنوخ، وأَنه

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٣٧.

جَدُّ أَبي نوح، وأَنه أَوَّلُ مَنْ خَطَّ بالقلم، ونَظَرَ في علمِ النجومِ والكواكب، وأُنزلَ عليه ثلاثون صحيفة، وأَنه رُفِعَ بجِسْمِه إِلى السماءِ، كما رُفِعَ عيسَى ﵇! وهذا الكلامُ من الإِسرائيليات، ولا دليل عليه من حديثِ رسولِ الله ﷺ.

وأَخبرَ اللهُ أَنه رَفَعَ إِدريسَ مكاناً علياً: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٥٦ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾. وأَخَذَ بعضُ العلماءِ الكلامَ على ظاهرِه، وقالوا: رُفِعَ إِدريسُ بجسْمِه وروحِه إِلى السماء، كما رُفِعَ عيسِى ﵇.

وذهبَ آخرون إِلى أَنَّه لم يُرْفَعْ إِلى السماء، وأَنه ماتَ موتاً طبيعياً، ودُفِنَ على الأَرض، والراجحُ أَنَّ المرادَ برفعِه مكاناً علياً منزلةُ النبوة، ودرجةُ القُربى والكرامةِ عندَ الله، لأَنه صِدّيقٌ نبيٌّ ﵇.

وفي زمنِ نبوةِ إِدريس ﵇ خِلافٌ بين العلماء:

- فمنهم مَنْ ذَهَبَ إِلى أَنه كانَ بعدَ آدمَ وقبلَ نوحٍ ﵉، كما ذَكَرَ البيضاوي، وعندما يَعُدُّونَ الأَنبياءَ يكونُ هو في الرقمِ الثاني، فيقولون: آدمُ، إِدريسُ، نوح، هود، صالح... وهكذا.

ولعلَّ هؤلاءِ تَأَثَّروا بكلامِ العهدِ القديم، حيثُ ذَكَرَ الأَحبارُ أَنَّ اسْمَه أَخنوخ، وأَنه رُفِعَ بِجِسْمِهِ إِلى السماء، فقالَ هؤلاءِ العلماءُ بقولِهم.

- وذهبَ آخرونَ إِلى أَنَّ نبوةَ إِدريسَ ﵇ متأَخِّرَةٌ، وأَنه كانَ نبيّاً في بني إِسرائيل، نَقَلَ القرطبيُّ في تفسيرِه عن القاضي أَبي بكر بنِ العربيِّ قولَه: «ومَنْ قالَ: إِنَّ إِدريسَ كان قبلَ نوح، فقد وَهِم!. والدليلُ على وَهْمِه الحديثُ الصحيحُ في المعراجِ، حينَ لقيَ النبيُّ ﷺ آدمَ وإِدريس. فقالَ له آدمُ: مرحباً بالنبيِّ الصالحِ والابنِ الصالح، وقالَ له إِدريس: مرحباً بالنبيِّ الصالحِ والأَخِ الصالح.. فلو كانَ إِدريسُ أَباً لنوحٍ لقال: مَرحباً بالابنِ الصالحِ والنبيِّ الصالح، ولَمّا قَالَ له إِدريسُ: الأَخ الصالح دَلَّ على أَنه يجتمعُ معه في نوح..»[1].

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٧/ ٢٣٢.

ونحنُ مع ابنِ العربيِّ والقرطبيِّ في أَنَّ إدريسَ مُتَأَخِّر، وأَنه من أَنبياءِ بني إِسرائيل، ومما يُؤَكِّدُ ما قالَه ابنُ العربي أَنَّ آدمَ وإِبراهيمَ خاطَبا محمداً ﷺ بالبُنُوَّة، وقالا له: مَرْحَباً بالنبيِّ الصالح والابنِ الصالح. بينما خاطَبَهُ الخمسةُ الآخَرون: يوسفُ وموسى وهارونُ وإِدريسُ وعيسى بالأُخُوَّة، وقالوا له: مرحباً بالنبيِّ الصالحِ والأخِ الصالح.

وبهذا نعرفُ خَطَأَ كلامِ الفادي من أَنَّ إِدريسَ هو أَخنوخ، وأَنه جَدُّ نوح، فما قالَه عنه القرآن هو الصحيح، وهو من أَنبياءِ بني إسرائيل المتأَخِّرين.

٣١

من هم أتباع نوح عليه السلام؟

لَمّا دعا نوحٌ عليه السلام قومَه إِلى عبادةِ اللهِ وَحْدَه كَفَروا به وكَذَّبوه، ولم يَتْبَعْه إِلّا قليلٌ منهم، وأَثارَ الملأُ من قومِه الشبهاتِ ضِدَّه، وأَخْبَرَنا اللهُ في القرآنِ عن بعضِ تلك الشبهات. قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢٥ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۝٢٦ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ [هود: ٢٥ ـ ٢٧].

اتَّهَمَ الملأُ نوحاً بأَنَّه ليسَ نبيّاً، وأَنه بَشَرٌ مثلُهم، وأَنَّ الذين آمَنوا به واتَّبَعوهُ ليسوا سادَةَ القوم وأَشْرافَهم، إِنما هم الأَراذلُ والضعفاءُ: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾.

وخَطَّأَ الفادي القرآنَ في هذا الكلام، لأَنه يتعارضُ مع كلامِ الأَحبارِ في العهد القديم، والمعتمدُ عنده هو ما في العهدِ القديم.. قال: «ونحنُ نسأَل: أَينَ الأَراذلُ الذينَ اتَّبَعوا نوحاً وآمَنوا به؟ إِنَّ أَحَداً لم يُؤْمِنْ بكَرازَتِه، كما تقولُ

التوراةُ والإنجيلُ، ولم يدخُل معه في الفلكِ إلّا امرأتُه وأولادُه ونساءُ أولادِه، وهم ليسوا أراذل، والقرآنُ يقول: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾[1] [الصافات: ٧٧]. . وهذا يعني أَنَّ الحديثَ الذي دارَ بين نوحٍ وقومِه عن إيمانِ البعضِ به لم يَحْدُثْ»[2].

وقد سبقَ أَنْ بَيَّنّا كذبَ الأحبارِ والفادي في زعْمِهم أَنَّ ركابَ السفينةِ كانوا ثمانيةَ أشخاصٍ فقط، هم أُسرةُ نوح.

ويواصِلُ الفادي هنا كذبَه وافتراءَه عندما ادّعى أَنَّه لم يؤمنْ به أَحَدٌ من قومِه! ولا ندري ماذا كان نوحٌ يفعلُ معهم طيلة حوالي أَلْف سنة؟ يَزعمُ الأَحبارُ والفادي أَنه لم يَدْعُهم إلى اللهِ خلالَ هذه المدةِ كُلِّها، ولذلك لم يُؤمِنْ به أَحَد! وقد أخطأَ القرآنُ عندما أَخبرَ عن كلامٍ بينَه وبين قومِه عن إيمانِ بعضِهم، لأَنَّ هذا الحديثَ لم يَحدثْ كما جزمَ الفادي!.

لقد كانَ القرآنُ صَريحاً في إيمان عددٍ قليلٍ من قومِه. قال تعالى: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].

وأخطأَ الأَحبارُ والفادي عندما زَعموا أَنَّ كُلَّ عائلةِ نوحٍ كانوا في السفينة، وقد سَبَقَ أَنْ بَيَّنّا خَطَأَهم فيما مَضى، وذَكَرْنا أَنه لم يركبْ معه في السفينة إلّا المؤمنونَ من أَهْلِه، وأَنَّ امرأَتَه كافرة، وأَنَّ أَحَدَ أبنائِه كافر. . فلم يُخطئ القرآنُ في حديثِه عن ما جرى بينَ نوحٍ وقومِه الكافرين، وإنما أَخْطَأَ الفادي في اعتراضِه على القرآنِ، واعتمادِه على أَخطاء العهدِ القديمِ التي كَذَّبها القرآن.

---

(١) أخطأ الجاهل الفادي في كتابة الآية، فجعل «الباقون» مرفوعة، مع أنها في القرآن منصوبة: ﴿ٱلْبَاقِينَ﴾ لأنه مفعول به ثان لفعل ﴿جَعَلْنَا﴾.

(٢) هل القرآن معصوم؟، ص٣٨.

٣٢

بابل والنمرود

أَخبرَ اللهُ أنه دَمَّرَ بيوتَ كافرين سابقين. قال تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٢٦].

وقد نقلَ الفادي المتحامِلُ قولاً ذَكَرَه البيضاويُّ في تفسير الآية، مع أنه لم يَعتمدْه، وعَرَضَه بصيغةِ «قيل» الدالَّةِ على التضعيف. قال: «قالَ البيضاوي: قيل: المرادُ به نُمرودُ بنُ كنعان، بَنى الصرحَ ببابِلَ، سُمْكُهُ خمسةُ آلافِ ذراع، ليترصَّدَ أَمْرَ السماء، فأَهَبَّ اللهُ الريحَ، فَخَرَّ عليه وعلى قومِه فَهلكوا...».

مع أَنَّ القولَ الذي يقولُ به البيضاوي غيرُ الذي ذكره أعلاه قال: «﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: أي: سَوّوا مَنْصوبات، لِيَمْكُروا بها رسلَ اللهِ عليهم الصلاة والسلام. ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾: فأتاها أَمْرُه من جهةِ العُمُدِ التي بَنْوا عليها، بأَنْ ضُعْضِعَتْ ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾: وصار سببَ هلاكِهم. ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾: لا يَحْتَسِبون ولا يتوقَّعون.. وهو على سبيلِ التمثيل..»(١).

الآيةُ عامةٌ تتحدثُ عن الكفارِ الذين يمكرونَ بأولياءِ اللهِ ودينِه، على اختلافِ الزمانِ والمكان، فيُبْطِلُ الله مكْرَهم، ويَنصرُ الحَقَّ، وهي من بابِ التمثيل.

وهذا معناهُ أَنَّ البيضاويَّ لا يَرى أَنَّ الآيةَ تتحدَّثُ عن بابلَ والنمرود، وأنه أَوردَ روايةً بذلك من بابِ الذكْر، ولكنَّه لا يَقولُ بها!!.

ولكنَّ الفادي المتحامِلَ اعتبرَ هذه الروايةَ دليلَ تخطئةِ القرآنِ والبيضاوي،

---

(١) تفسير البيضاوي: ٣/ ٢٢٤.

ولذلك قال: «ونحنُ نسأَل: من أَيْنَ جاءَ للبيضاويِّ أن نمرودَ هو ابنُ كنعان؟ فنمرودُ هو ابنُ كوش بن حام بن نوح [تكوين: ٦/١٠ ـ ٨].. وأَخَذَ الناسُ بعدَ الطوفانِ يَبنونَ مدينةً وبُرْجاً عالياً يُخَلِّدونَ به اسْمَهم، فعاقَبَهم اللهُ بأَنْ بلبلَ أَلسنتهم، فلم يَستطيعوا التفاهم، وكَفّوا عن البنيان... ولذلك سُميت المدينة «بابل»، لأنَّ هناكَ بلبلَ اللهُ أَلسنَتَهم [تكوين: ١/١١ ـ ٩]»(١).

إِنَّ الآيَةَ تتحدثُ عن الكفارِ السابقين، بدونِ تعيينٍ أَو تَحديد، كانوا يمكرونَ بالأَنبياء، ويتآمَرون على المؤمنين، فأَنجى اللهُ المؤمنين، وأَوقع بهم عقابَه، بأَنْ قَلَعَ بُنيانَهم من القواعِد، فخرَّ عليهم السقفُ من فوقِهم، وعَجَزوا عن النجاة.. وهذا ينطبقُ على كلِّ الأَقوام الكافرين، مثل قومِ نوح، وعاد، وثمود، ومدين، وقوم لوط، والفراعِنة، والآشوريين، والبابليين، واليونان، والرومان، وغيرهم.

وقد وردَ في سِفْرِ التكوينِ أُسطورةُ برج بابل، التي كَتَبَها الأَحبار، وزَعَموا أَنها من عندِ الله، وخلاصةُ تلك الأُسطورةِ الخرافية، أَنه كانَ الناسُ جميعاً مُتجمعين في بابل، ويتكلَّمون لغةً واحدة، وأَنهم أَرادوا بناءَ مدينةٍ عظيمة، وبُرْجاً عالياً، لِيخَلِّدوا اسْمَهم، ولما رآهم الرَّبُّ على هذا الاجتماع والتعاونِ والاتفاقِ، خاف أَنْ يَغْلِبوه، إِنْ نَجحوا في تحقيقِ مُرادِهم، فعاقَبَهم بأَنْ بَلْبَلَ أَلسنَتَهم وفَرَّقَ قُلوبَهم، وشَتَّتَهم، فكَفُّوا عن مشروعِهم الكَبير، وتفَرَّقوا في الأَرض.. وسُميت المدينةُ التي كانوا فيها «بابل» لهذا السبب!!.

هذه الأُسطورةُ الخرافيةُ التي كَتَبَها الأَحبارُ الكافرون في سفْر التكوين [١/١١ ـ ٩] يؤمنُ بها الفادي، مع أَنها أَباطيلُ وكفْرٌ بالله، ونحنُ ننكرُها ونُكَذِّبها ونكفُرُ بها..

أما اعتراضُ الفادي على البيضاوي لأَنه جعلَ نمرودَ ابناً لكَنْعان، فهو لا معنى له، وما قالَه هو من أَنَّ نمرودَ هو ابنُ كوشِ بن حام بن نوح ادِّعاءٌ ليس

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٣٨.

عليه دليل، لأنه لم يَرِدْ في مصادِرِنا الإسلاميةِ اليقينية، فنحنُ نتوقَّفُ فيه، لا نَنْفيه ولا نُثبته. فلا نقول: نمرودُ بن كنعان، ولا نقولُ: نمرود بن كوش، ولا نقول: نمرود فقط. ونقول: اللهُ تعالى أعلم، والجهلُ بذلك لا يَضيرنا!!.

والعجيبُ في تحامُلِ المفتري الفادي أنه يُحَمِّلُ القرآنَ الكلامَ الذي ذَكَرَه البيضاوي، مع أَنه لم يأخذْه من القرآن، وإنما أَخَذه من الإخباريّين السابقين، وإِذا كانَ ذلك الكلامُ خطأً فكيف يتحمَّلُه القَرآنُ، الذي لم يَذْكُرْهُ في آياتِه؟!.

٣٣

ما هو أصل الكعبة؟

أَخبرَ اللهُ في القرآنِ أَنَّ إِبراهيمَ وإسماعيلَ عليهما السلام هما اللَّذان بَنَيا الكعبة. قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٥ ـ ١٢٧].

إِبراهيمُ وإسماعيلُ عليهما السلام هما اللَّذان بَنَيا بَيْتَ اللهِ الحرام، وكانا يَدْعُوانِ اللهَ وهما يَرْفَعان قواعدَ البيت، وجَعَلَ اللهُ البيتَ الحرامَ مثابةً للناسِ وأَمْناً، يأْتونَه زائرين مُصَلِّين، وحاجّين ومعتَمِرين، من كلِّ مكانٍ في الأَرض.

ويُخَطِّئُ الفادي المفتري القرآنَ في كلامِه عن بناءِ الكعبة، ويُحاكمُ القرآنَ إلى أَسفارِ كتابِه المقَدَّس، وبما أَنَّ الأَحبارَ لم يَذْكُروا مجيء إِبراهيمَ إِلى بلادِ الحجاز، فإِنَّ القرآنَ مخطئٌ في كلامِه عن مجيئِه إلى الحجاز!.

قالَ المفتري: «ولكنَّ الكتابَ المقَدَّسَ يُعَلِّمُنا أَنَّ إِبراهيمَ دُعِيَ من أُورِ الكلْدانيين إلى أَرضِ كنعان، وهُناك بَنى مَذْبحاً للرّبّ. ولم يَرِدْ ذِكْرٌ لذهابه إلى

بلادِ العَرَب، ولا ذِكْرٌ لبنائِه هو وإِسماعيل الكعبة، ولكنَّه تَغرَّبَ في أَرضِ كنعان، التي وَعَدَهُ اللهُ وَوَعَدَ بها نَسْلَه».

وكَلامُ الفادي تَحَكُّمٌ في التاريخِ، ووصايةٌ عليه، فالأَصْلُ عنْدَه أَسفارُ الكتابِ المقدس، فكلُّ ما وردَ فيها فهو عنْدَه الصواب، وكل ما سَكَتَتْ عنه تلك الأَسفارُ فهو الخطأ! وهذا تَحَكُّمٌ مَرْدود، فلم يَذْكُرِ الكتابُ المقَدَّسُ كُلَّ أَحداثِ التاريخِ الماضي، حتى نُخَطِّئ أَيَّ حَدَثٍ لم يَرِدْ فيهِ!.

هذا إِذا كانَتْ أَسْفارُ الكتابِ المقَدّس ـ بعهدَيْه القديم والجديد ـ صحيحةً صادقة، فكيفَ إِذا كانتْ تلكَ الأَسْفارُ مشكوكاً فيها، لأَنَّ الأَحبارَ الكاذبين هم الذين كَتَبوها؟ وهم ليسوا أُمَناءَ على التاريخ!!.

إِنَّ المرجعَ في أَحْداثِ التاريخ الماضي هو القرآنُ الكريم، لأَنه كَلامُ اللهِ المحفوظُ الثابت، وكَلُّ ما فيه حَقٌّ وصِدْقٌ وصواب، وبما أَنَّ القرآنَ أَخبَرَنا بصريح آياتِه أَنَّ إِبراهيمَ هاجَرَ إِلى الأَرضِ المقَدَّسَة، فهذا الخَبَرُ صحيح، وبما أَنه أَخْبَرَنا أَنَّ إِبراهيمَ أَتى إِلى بلادِ الحجاز، فهذا الخَبَرُ صحيح، وبما أَنه أَخْبَرَنا أَنَّ إِبراهيمَ وإِسماعيل عليهما السلام هما اللَّذان بَنَيا الكعبة، فهذا الخَبَرُ صحيح.. واعتراضُ الفادي على هذا مردود، وتخطئَتُه كلامَ القرآن هي الخطأ الفادحُ الذي وَقَعَ هو فيه!!.

ويتكلمُ الفادي المفتري عن الكعبةِ كلاماً فاجِراً خطيراً، يقومُ على الكذبِ والافتراء.

اللهُ أَخبرَ أَنَّ إِبراهيمَ وإِسماعيلَ عليهما السلام هما اللَّذان بَنَيا الكعبة، والفادي يَنْفي ذلك ويُخَطِّئُه ويُكَذِّبُه.

واللهُ أَخبرَ أَنَّ الكعبةَ أَوَّلُ بيتٍ وُضِعَ للناسِ لعبادةِ اللهِ. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَاتٌۢ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ [آل عمران: ٩٦ ـ ٩٧] والفادي المفتري يُكَذِّبُ ذلك، ويَعتبرُ الكعبةَ بيتاً بُنِيَ لعبادةِ كوكبِ زُحَل! قالَ في فقرة قبيحةٍ فاجرة: «ونحنُ نسأَلُ: كيف تكونُ

الكعبةُ بيتَ الله، وبيتَ المثوبة، وبيتَ الأَمن، وهي بيتُ الأَوْثان؟! وقد بُنيتْ أَولَ الأَمْرِ لعبادةِ كوكبِ زُحَل؟! وكان كلُّ مَن استولى عليها يقهَرُ أَهْلَها، ليمارسوا شعائِرَ مذهبه! وفي أَيامِ محمدٍ كان في الكعبةِ ثلاثمئةٍ وستون صَنماً، لكلِّ حيٍّ من أَحياءِ العرب صَنم! وقد شَدُّوا أَقدامَها بالرصاص فجاءَ محمدٌ ومعه قَضيب، وجعلَ يَهوي به على كلِّ صَنَم منها، فيسقطُ الصنمُ إِلى الأَرض، وهو يقول: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً».

من أَينَ جاءَ المفتري بكذبتِه الكُبرى، من أَنَّ الكعبةَ بُنيتْ لعبادةِ زُحَل أَوَّلاً؟! لقد بُنيتِ الكعبةُ لعبادةِ الله، لا لتكونَ بيتاً للأَصنام، ودَعا بانيها الأَولُ إِبراهيمُ عليه السلام الله أَنْ يجعلَ مكةَ كلَّها آمنة، لأَنها بَلَدُ الكعبة، وسأَلَه أَنْ يُبعد عن بنيه عبادةَ الأَصنام. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

ويتوقَّحُ المفْتري فيُكَذِّبُ كلامَ اللهِ تكذيباً صريحاً. فاللهُ يقول: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].. والفاجر يُكَذِّبُ ذلك قائلاً: «كيفَ تكونُ الكعبةُ بيتَ الله، وبيتَ المثوبة، وبيتَ الأَمن، وهي بيتُ الأَوثان، وقد بنيتْ أَوَّلَ الأَمْرِ لعبادةِ كوكبِ زُحَل؟!».

إِننا نؤمنُ بكلام اللهِ ونُصَدِّقُه ونثقُ به، ونكفرُ بكلِّ كلامٍ يُكَذِّبُه ويتناقَضُ معه، فالكعَبةُ هي أَولُ بيتٍ وُضِعَ لعبادةِ اللهِ في الأَرض، والذي بناها هو إِبراهيمُ وإِسماعيلُ عليهما السلام، وجَعَلها اللهُ مثابةً للناسِ وأَمْناً، وبقيَتْ خالصةً لعبادةِ اللهِ وحْدَه عِدةَ قُرون، وحَوْلَها المؤمنون العابدون لله...

ثم طَرَأَ عليها الشركُ بالله، وأُدخلتْ فيها الأَصنام، وكانَ أَوَّلَ مَنْ أَدْخَلَ الأَصنامَ إِليها هو «سالمُ بن عمرو الخزاعي»، وكانَ زعيمَ أَهْلِ مكة، وتَوَجَّهَ إِلى البلقاءِ في الشامِ للعلاج، وأَقامَ في «رَبَّةِ عَمّون» ـ مدينة عمان حالياً ـ فترةً من الزمن، ورأى فيها تماثيلَ وأَصناماً جميلة، أَعجبَه منظرُها، فحملها معه إِلى مكة، وَوَضَعَها في الكعبة، ودَعا قومَه إِلى عبادتِها فاستَجابوا له. وكان هذا بعدَ عِدة قُرونٍ من وفاةِ إِبراهيمَ وإِسماعيلَ عليهما السلام!.

وما زالَ المشركون يَضعون الأصنامَ فيها، ويزيدونَ أَعْدادَها، حتى وَصَلَتْ عند بعثةِ رسولِ الله ﷺ إلى ثلاثمئةٍ وستّين صَنَماً!! ولكنَّ الشركَ طارئٌ على الكعبة، بعد أَنْ بقيتْ قُروناً عديدة بيتاً للإيمانِ والتوحيد.

ثم إنَّ الرسولَ ﷺ أعادَ الكعبةَ مثابةً للناسِ وأَمْناً، وبيتاً لعبادةِ الله، وطَهَّرَها للطائفينَ والعاكفينَ والرُّكَّعِ السُّجود.. ولما دخلَها يومَ فتْحِ مكةَ في العشرين من رمضان في السنةِ الثامنةِ للهجرة حَطَّمَ الأصنامَ كُلَّها، وهو يتلو قولَه تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

وواصلَ الفادي المجرمُ شَتْمَ الإسلامِ والرسول ﷺ، عندما اتهم شعائِرَ الحجِّ والعمرةِ بأَنها من مُخَلَّفاتِ الوثنيّين عابِدي الأَصنام. قال: «.. ولما استولى محمدٌ على البيتِ أبقى فيه أَغْلَبَ الشعائرِ الوثنية كما هي، كالحَجِّ، والطواف، والإحرام، والاعتمار، ورجمِ الحجارة، وتقبيل الحجرِ الأَسود، والنحر، وغير ذلك!..».

ومن بابِ الخداعِ والدَّجلِ والتمويه أَحالَ الفادي المفتري على بعضِ الكتب التي أَلَّفها مسلمون، مثل كتاب تاريخِ الكعبة للخربوطلي، [هو كتاب: الكعبة على مر العصور، للدكتور علي حسني الخربوطلي]، والجذور التاريخية للشريعة الإسلامية لعبد الكريم الخليل(١).

واتِّهامُ الإسلام بأَنه استمرارٌ للدياناتِ السابقة رَدَّدَهُ اليهودُ والنَّصارى والمستشرقون، وزَعَموا فيه أَنَّ القرآنَ مُسْتَمَدٌّ من التوراةِ والإنجيل، وأَنَّ الإسلامَ مأخوذٌ من اليهودية والنصرانية، وأَنَّ الأَحكامَ الإسلاميةَ مأخوذةٌ من الشرائعِ السابقة، وأَنَّ مناسكَ وشَعائرَ الحجِّ والعمرة، مأخوذةٌ من ممارساتِ العربِ الوثنيين الجاهليّين قبلَ الإسلام.

فما قالَه الفادي المفتري هنا حولَ الحجِّ والعمرةِ استمرارٌ في الأَكاذيبِ التي رَدَّدَهَا إخوانُه المفترون الكاذبون الكافرون.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٣٩.

ونحن نوقنُ أنَّ القرآنَ كلامُ الله، وأنَّ الإسلامَ دينُ الله، وأنَّ أحكامَ الإسلامِ من عند الله!!.

٣٤

إبراهيم عليه السلام ونمرود

وَرَدَ في القرآنِ جِدالٌ وحِجاجٌ ونِقاشٌ بينَ إبراهيم عليه السلام وبينَ مَلِكٍ في عهدِه. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وكان ذلك الملكُ يَدَّعي الأُلوهية، ودَعاهُ إبراهيمُ عليه السلام إلى الإيمانِ باللهِ وَحْدَهُ، والخضوعِ له، ولكنَّه أبى، فقالَ له إبراهيم: ربّي الذي يُحيي ويميت. فقالَ الملِكُ: أنا أُحيي وأُميت.. فقالَ له إبراهيم: اللهُ هو الذي يأْتي بالشمسِ من المشرق إلى المغرب، فإنْ كنتَ إلٰهاً فَسَيْطِرْ على الكون، وغَيِّرْ حركةَ الشمس، وائتِ بها من المغرب! عند ذلك بُهِتَ الملكُ الكافر، واعترفَ بعجْزِهِ عن فعْلِ ذلك!!.

وذهبَ كَثيرٌ من المُفسِّرينَ إلى أَنَّ اسْمَ ذلك الملِكِ الكافرِ هو: «نمرود». ونَقلَ الفادي عن البيضاوي قوله: «قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ تَعَجُّبٌ من مُحاجَّةِ نمرودَ وحماقتِهِ».

واعتبرَ الفادي هذا الكلامَ خطأً، لأَنَّه لا يتفقُ مع التاريخ. وحَمَّلَ القرآنَ هذا الخَطَأَ التاريخي: فقال: «ونحنُ نسأل: كيف حدثَتْ هذه المحاجَّة، ونمرودُ سابقٌ لإبراهيمَ بثلاثِمئة سنة؟ فَبَيْنَ إبراهيمَ ونوْحٍ اثْنا عَشَرَ جيلاً [لوقا: ٣/ ٣٤ ـ ٣٦]، وبين نمرودَ ونوحٍ أربعةُ أجيالٍ [تكوين: ١/١٠ ـ ٨]»[(١)].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٣٩.

واعتراضُ الفادي مَرْدود: فالقرآنُ أَبْهَمَ اسْمَ ذلك الملكِ الكافر، الذي حاجَّ إِبراهيمَ في ربِّه، ولم يذكُرْ رسولُ اللهِ ﷺ اسْمَه، وعلينا أَنْ لا نَخوضَ في تحديدِ اسْمِه، لأَنَّ ذلك لا يُؤخَذُ إلاّ من الآياتِ القرآنية الصريحةِ أَو الأَحاديثِ النبويةِ الصحيحة. وبما أَنَّ القرآنَ والحديثَ الصحيحَ سَكَتا عن اسْمِه فعلينا أَنْ نتابعَهما ونَبقى مَعَهما!.

وهذا معناهُ أَنَّنا لَسْنا مع البيضاويِّ وجمهورِ المفسرين في أَنه نمرود، لأَنَّ هذا التحديدَ من الإِسرائيليات، ونقولُ: اللهُ أَعْلَمُ باسْمِه.

وما ذَكَرَهُ الفادي نَقْلاً عن سِفْرِ التكوينِ في العهدِ القديم من وُجودِ أَربعةِ أَجيالٍ بينَ نوحٍ ونمرود لا دليلَ عليه، ولذلك نتوقَّفُ فيه، وما ذَكَرَه من أَنَّ نَمرودَ عاشَ قبلَ إِبراهيمَ ﷺ بثلاثمئة سنة نتوقَّفُ فيه أيضاً، كذلك نتوقَّفُ في ما نقلَه عن إِنجيل لوقا من وُجودِ اثْنَيْ عَشَرَ جيلاً بين نوحٍ وإِبراهيم ﷺ!.

وقد ذَكَرَ الإِخباريّونَ والمؤَرِّخون أَنَّ نمرودَ كان مَلِكاً في العراق، في ذلك الزمنِ البعيدِ، ونحنُ نتوقَّفُ فيه، فلا نُصَدِّقُ ما ذَكَروه عنه ولا نكذِّبُه، ولا نَنفيهِ ولا نُثبتُه، ونقول: اللهُ أَعلمُ بحقيقتِه!!.

وقد كانَ الفادي مُتَحامِلاً على القرآن، عندما حَمَّلَه كلاماً لم يَقُلْه، لأَنَّ هَدَفَهُ الانتقاصُ من القرآن وتخطئَتُه، وإِدانَتُه بما لم يَقُلْه!!.

٣٥

إسماعيل صِدِّيقٌ نبيٌّ ﷺ

إِسماعيلُ هو ابنُ إِبراهيمَ البكر، وإِسحاقُ هو أَخوه، وهو عَمُّ يعقوب، أَبو بني إسرائيل، وذَكَرَ القرآنُ أَنَّ إِبراهيمَ وإِسماعيلَ وإِسحاقَ ويعقوبَ كانوا أَنبياء ﷺ.

وقد نَصَّ القرآنُ على نبوةِ إِسماعيلَ ﷺ في أَكثر من آية، منها قولُه تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ

أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٤ ـ ٥٥].

واعترضَ الفادي على القولِ بنبوةِ إسماعيلَ عليه السلام، واعتبرَ هذا من أخطاءِ القرآنِ التاريخية، وحاكَمَ القرآنَ إلى أسفارِ العهدِ القديم. قالَ: «ونحنُ نسألُ: كيفَ يكونُ إسماعيلُ نبيّاً، والتوراةُ تصفُه في سِفْرِ التكوينِ بقولِها: «وإنَّه يكونُ إنساناً وَحْشِيّاً، يَدُهُ على كلٍّ واحدٍ ويَدُ كُلٍّ واحدٍ عليه؟ [تكوين: ١٦/ ١٢]»[١].

لقد كانَ الفادي مُخْطِئاً في محاكمةِ القرآنِ لأسفارِ العهدِ القديم، لأَنَّ تلكَ الأَسفارَ من تأليفِ الأَحبار، وما ذَكَروهُ فيها من كلامٍ مشكوكٌ فيه، أَمّا القرآنُ فهو كلامُ الله، ونَجزمُ بأَنَّ كُلَّ ما فيهِ حَقٌّ وصِدْقٌ، وصحيحٌ وصواب.

وبما أَنَّ القرآنَ صَرَّحَ بأَنَّ إسماعيلَ عليه السلام كان رسولاً نبياً، فهو الصوابُ، ونحنُ نُؤمنُ أَنَّ إسماعيل هو أَحَدُ الأَنبياءِ الكرامِ عليهم الصلاة والسلام.

إِنَّ الخلافَ بَيْنَنا وبينَ الفادي وإخوانِه النَّصارى كبير، فمرجعيَّتُه التي يَحتكمُ إليها هي أَسفارُ الكتابِ المقَدَّس، وكُلُّ ما لم يَرِدْ فيها فهو عندَه خَطَأ، وهذه المرجعيةُ مرفوضةٌ عندنا.. ومرجعيتُنا التي نحتكمُ إليها هي القرآنُ، وكلُّ ما ذُكِرَ فيه فهو صَواب، وهذا مرفوضٌ عنْدَه، لأَنه لا يؤمنُ أَنَّ القرآنَ من عندِ الله! فكيفَ نَلْتَقي مَعَه؟!.

٣٦

كيف احتال إخوة يوسف عليه السلام على أبيهم؟

ذَكَرَ القرآنُ أنه لما تآمَرَ إخوةُ يوسفَ عليه، واتَّفَقوا على أَنْ يَطْرَحوهُ في غَيابةِ الجُبِّ، احْتالوا على أَبيهم، ليوافِقَ على إرسالِهِ معهم، وأَوهموهُ أَنَّهم يُريدونَ مصلحةَ الصَّغير، ليرتعَ ويلعبَ ويقفزَ ويمرح. قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٤٠.

﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [يوسف: ١١ ـ ١٤].

وحاكَمَ الفادي المفتري ما وردَ في هذه الآياتِ إلى سِفْرِ التكوين، فلم يَجِدْ فيه كَلاماً عنه، وَوَجَدَ فيه كَلاماً آخر، فحكَمَ بردِّ ما في الآيات، واعتبارِه من أخطاءِ القرآنِ التاريخية.

وتساءَلَ بخُبْثٍ ولُؤْم قائلاً: «ونحنُ نسأَلُ: من أَينَ جاءَتْ هذه المعلوماتُ؟ معَ أَنَّ التوارةَ لا تقولُ: إنَّ إخوةَ يوسفَ طَلَبوا من أَبيهم أَنْ يُرْسِلَه معهم ليلعب، ولا اتَّهَمَ يَعقوبُ أَولادَه بالغفلةِ عن يوسفَ حتى يأكُلَهُ الذئب! لكنَّ الواقعَ أَنَّ يَعقوبَ أَرسلَ يوسفَ ليسأَلَ عن سلامةِ إِخوتِه، ولما رأَوْهُ قالوا: هُو ذا صاحبُ الأَحلامِ قادم. فالآنَ هَلُمَّ نَقْتُلْه ونَطْرَحْه في إحدى الآبار، ونقول: وَحْشٌ رديءٌ أكله، فنرى ماذا تكونُ أَحلامُه. [تكوين: ١٩/٣٧ ـ ٢٠].. ولما باعوهُ للإسماعيليّين أَخَذوا قميصَه، ولَوَّثوهُ بِدَمِ جدْي، وأَحضروهُ إلى أَبيهم، ليوهموهُ أَنَّ ذِئْباً أَكَلَه..»(١).

إذا وَرَدَ في القرآنِ كلامٌ عن أَمْرٍ، وورَدَ في الكتابِ المقدَّسِ كَلامٌ آخَرُ عن الأَمْرِ نفسِه، يَتَعارَضُ مع ما وردَ في القرآن، فالصَّحيحُ عندنا هو ما وَرَدَ في القرآن، لأَنه كلامُ الله، ولا أَحَدَ أَصْدَقُ من الله، وكلُّ ما خالفَه وعارضَه نحكمُ بأَنه خطأٌ وباطلٌ ومردود. وهذه بدهيَّةٌ إيمانيةٌ مقررةٌ عندنا.

ذَكَرَ القرآنُ أَنَّ الإِخوةَ تآمَرُوا على يوسفَ ليتخلَّصوا منه، وتَحايَلوا على أَبيهم، ليأذنَ بخروجِه معهم، وأَوهموه بِأَنَّهُمْ يُريدونَ مصلحَتَه، بأَنْ يَخرجَ مَعَهُمْ ليرتعَ ويَلعبَ، ولما ذَكَرَ لهم يَعقوبُ بأَنه يَخافُ أَنْ يَغْفَلُوا عنه، ويَأْكُلَه الذئب، طَمْأَنوهُ، بأَنَّ ذلك لَنْ يكون، لأَنهم حَريصونَ عليه، حافِظونَ له.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٤٠.

وهذا معناهُ أَنَّ اعتراضَ الفادي عليه مردود، وتخطئَتَه له هي الخطأُ الكبيرُ الذي وَقَعَ هو فيه، لأَنَّهُ اعتمدَ على كلامِ سِفْرِ التكوين عنه، وهو من تأليفِ الأَحبار، الذين حَرَّفوا كلامَ الله، ومَزَجوهُ بأَقوالِهِمْ وأَكاذيبهم ومَزاعِمِهم!!.

الذي وردَ في سِفْرِ التكوينِ: أَنَّ يَعقوبَ كان يسكنُ في «النَّقَبِ» في جنوبِ فلسطين. وذهبَ أَبناؤُهُ العشرةُ من النَّقَبِ في الجنوب إِلى شَكيمَ - هي نابلس - في الشمالِ يَرْعَوْن غَنَمَهم، وقَلِقَ يعقوبُ عليهم، ولم يكنْ عندَه إِلّا ابْنُه يوسفُ، وكان طِفْلاً صغيراً، فطلبَ منه أَنْ يَذْهَبَ إِلى إِخوتِه ليطمئنَّ عليهم! وسارَ الطفلُ وَحْدَه، وقطعَ المسافةَ من الجنوبِ إِلى الشمالِ وحده، واجتازَ منطقةَ النقبِ والخليل وبيتَ لحم والقدس ورام الله وحْدَه، وهي مسافةٌ طويلة، يستغرقُ عُبورُها عدةَ أَيام!!! ووصلَ إِلى إِخوانِه في منطقةِ شكيم، وكانوا يَرعونَ مواشيهم، وكانوا يَكْرَهونَ يوسف، فلما رأَوه قادماً إِليهم تآمَروا على إِلقائِه في أَحَدِ الآبارِ على الطريقِ ليتخلَّصوا منه، فهجَموا عليه، وجَرَّدوهُ من قميصِه الموَشَّى، وأَلْقوهُ في بِئْرٍ، وذَبَحوا جَدْياً، ولَطَّخوا القميصَ بدمِه، وزَعَموا لأَبيهم أَنَّ ذِئْباً أَكلَه!!.

وإِذا كان الفادي يَعتمدُ هذا الكلام، لأَنه يؤمنُ أَنَّ كُلَّ ما في الكتابِ المقَدَّس صحيح، فإِننا لا نَعتمدُه ولا نقولُ به، لأَنه يُخالفُ ما ورَدَ في القرآن، وأَيُّ كلامٍ يَتَعارضُ مع القرآنِ مردودٌ عندنا!!.

٣٧

الشاهد ببراءة يوسف عليه السلام

ذكرَ القرآنُ أَنه بعد أَن اتهمت امرأَةُ العزيزِ يوسفَ بمراودتِها، ودافعَ يوسفُ عن نفسِه، تدخَّلَ أَحَدُ أَفرادِ الأُسرةِ للحكْم في هذه المسأَلة. قال تعالى: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِۚ قَالَتْ مَا

جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٢٥ ـ ٢٩].

وذهبَ الفادي إلى تفسيرِ البيضاويِّ ليتعرَّفَ منه على هويةِ هذا الشاهد، وأَخَذَ عن البيضاويِّ قولَه: «قيل: هو ابنُ عَمٍّ لها، كان صبيّاً في المهد».

واتَّهَمَ الفادي القرآنَ بالخَطأ، لأَنَّ البيضاويَّ ذَكَرَ ذلك! وكيفَ يتحملُ القرآنُ مسؤولية كلامٍ لم يَقُلْه؟! ولذلك عَلَّقَ على ذلك بقوله: «ونحنُ نسأل: من أَينَ جاءَ هذا الشاهد؟ هل كانَ في البيت؟ ومعَ مَنْ كان؟ والبيتُ لم يكنْ به أَحَد؟..».

ويمكنُ أَنْ يصحَّ اعتراضُ الفادي لو قُلْنا: كان الشاهدُ طِفلاً صَغِيراً في المهد! مع أَنَّ هذا الكلامَ الذي رواهُ البيضاويُّ لم يصِحّ، ولا نقولُ به، إذ كيفَ يشهدُ هذه الشهادةَ الواعيةَ طفلٌ صَغيرٌ في المهد؟ وأَينَ كانَ هذا الطفل؟ هل كانَ داخلَ البيتِ وشاهَدَ مراودةَ المرأةِ ليوسف؟.

الراجحُ أَنَّ هذا الشاهدَ كانَ رجلاً واعياً حصيفاً حكيماً، ولا نَعرفُ شيئاً عن هوية هذا الشاهد، إلّا أَنّه من أَهْلِ امرأةِ العزيز. ولا يَلْزَمُ أَنه شاهدَ مراودةَ المرأةِ ليوسفَ، كما أَنه لا يلزمُ أَنه كانَ معَ العزيزِ عندما رآهُمَا لدى الباب... فمن المعقولِ ـ بعدَما اتَّهمت المرأةُ يوسفَ، ودافعَ يوسفُ عنِ نفْسِهِ ـ أَنْ يَطلبَ العزيزُ حَكَماً ليحققَ في الأَمْرِ ويُصْدِرَ حُكْمَه، وأَنْ يُختارَ هذا الحَكَمُ الشاهد القاضي من أَهْلِها ليكونَ أَبعد عن التهمة.

وتدلُّ شهادةُ الشاهدِ على رجاحَةِ عقْلِهِ واتزانِه، حيثُ دَعا إلى النظرِ إلى القميصِ الذي يَرتديه يوسف، فإنْ قُدَّ من الأمام كانت المرأةُ صادقةً في دَعْواها، وكان هو كاذباً، لأَنّه يكونُ قد هَجَمَ عليها، وهي تَرُدُّهُ وتُدافعُ عن نفسها، فتَقُدُّ قَميصَه من قُبُل، وإنْ قُدَّ قَميصُه من دُبُرٍ كانَ يوسفُ صادقاً وهي

كاذبة، لأَنه يكون هارباً منها، وهي تَلحقُ به لتُعِيدَهُ إليها، وتَشُدُّ قميصَه من الخلفِ فتَقُدُّه!.

ولما رأَى العزيز القميصَ قُدَّ من دُبُرٍ، عَرَفَ أَنَّ امرأَتَه هي التي راودَتْ يوسف، فقال لها: هذا من كيدِكُنَّ، إِنَّ كيدَكُنَّ عظيم.

وبهذا نعرفُ خَطَأَ الفادي عندما خَطَّأَ القرآنَ في كلامِه عن هذا الشاهد، وعندما وَضَعَ عنواناً تهكُّمياً، وهو: «اختراعُ طِفْلٍ يَنطقُ بالشهادة»! والاختراعُ يَعْني الادِّعاءَ والافتراءَ والكَذِب.

وبما أَنَّ القرآنَ أَخبرَ عن الشاهِدِ وشهادتِه فهو الصحيح، لأَننا نَثِقُ ونؤمنُ بكلِّ ما وَرَدَ في القرآنِ!.

وفي الوقتِ الذي خَطَّأَ فيه الفادي القرآنَ في كلامِه عن الشاهد، فقد اعتمدَ كلامَ الكتابِ المقَدَّس، الذي زعمَ مُؤَلِّفوه الأَحبارُ أَنه لما راودت المرأَةُ يوسفَ أَمسكَتْه من ثوبه، فتركَ ثوبَه مَعَها وهَرَب!.. ونحنُ ننكرُ ذلك ونَرُدُّه، ولا نقولُ إِلّا بما قال به القرآن.

ويُنكرُ الفادي المفْتَري أَنْ تكونَ المرأةُ قالَتْ لزوجِها ما ذَكَرَه القرآن عنـها: ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. وذلـك في قولِه: «وكيفَ يُعلنُ فوطيفارُ براءةَ يوسفَ وذَنْبَ امرأَتِه، ثم يُبْقيها هي ويوسف في البيت، ويرضىٰ بهذا العار؟ وكيفَ بَعْدَ أَنْ يَحكُمَ فوطيفارُ ببراءةِ يوسف، وبعدَ أَنْ تُصَرِّحَ زوجتُه أنها راودَتْه عن نفسِه فاستعصم، تعودُ لِتهدِّدَ يوسفَ بالسجنِ إِنْ لم يَفعلْ ما أَمَرَتْه به من فحشاء، فَيَقْبَلُ فوطيفارُ أَنْ يسجنَه، لا لشَرِّهِ بل لِعفَّتِهِ..»[١].

واعتراضُ الفادي على هذا دليلُ جهلِه وغبائِه، وهو اعتراضٌ لا مَعنى له، فبما أَنَّ اللهَ ذَكَرَ ذلك في القرآن فإِننا نجزمُ بأنه حَصَلَ كما أَخبرَ الله.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٤١.

٣٨

يوسف ومراودة نسوة المدينة

أَخبرَ اللهُ أَنَّ نسوةً في المدينةِ عَذَلْنَ امرأةَ العزيز لحبِّها فَتاها يوسف، ومراودَتِها له، وكانت هي أَمْكَرَ منهن، حيثُ أَعَدَّتْ لهنَّ مأدبة، وأَظهرتْ لهنَّ يوسف، فلما رأَيْنَه فُتِنَّ وأُعجبنَ به، فجاهرت المرأةُ بُحبِّها له، وتصميمِها على معاشرته.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٠ ـ ٣٢].

واعترضَ الفادي المفتري على ما قالَه الله، وأَنكرَه وكَذَّبه، وكانَ عنوانُ اعتراضِه: «وليمةٌ نسائيةٌ وهمية» أَيْ لم تكنْ تلك المأدبةُ حقيقية، وإِنما كانَتْ وهميةً متخيَّلَة، افْتَراها القرآن. وقالَ في إِنكارِه وتكذيبه: «ونحنُ نسأل: هل يُعقلُ أَنَّ زوجةَ ضابطٍ، كبير، تُهيِّئُ وليمةً خِصّيصاً، وتَدْعو سيداتِ أَشرافِ المدينة، لتُعلنَ أَمامَهنَّ غرامَها وهيامَها بعبدِها، وتكشفَ عن وجهها بُرْقُعَ الحياء، دونَ أَنْ تخشى فضيحة؟ وكيفَ يُعْقَلُ أَنَّ النسوةَ ينشغلْنَ بجمالِ يوسفَ حتى يُقَطِّعْنَ أَيديهنَّ بالسكاكين من غيرِ إِحساسٍ، من شدةِ الذُّهول؟ أَليس هذا من الخيالاتِ السقيمة؟!»[1].

اعتبرَ الفادي المفتري كَلامَ القرآنِ عن المأدبةِ من الخيالاتِ السقيمة، فهي مكذوبةٌ مختَلَقَة، واعتبرَها متناقضةً مع المنطقِ العقليِّ! فمن غيرِ المعقولِ

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٤١.

أَنْ تُجاهرَ المرأةُ بعشقها لفَتاها أَمامَ النساء، وأَنْ تتخلَّى عن برقعِ الحياءِ! وكأَنه لا يَعرفُ ماذا يَدورُ بين النساءِ الفاجراتِ من كلامٍ إِباحيٍّ بَذيءٍ، حول الجنسِ والشهوة!! ومن غيرِ المعقول عنده أَنْ تُصابَ النساءُ بالدهشةِ والذُّهولِ عندما شاهدْنَ جَمالَ يوسف فيقطِّعْنَ أَيديهنَّ بالسكاكين!! مع أَنه لا غرابةَ فيه، فالنساءُ شهوانياتٌ خاضعاتٌ لسلطانِ الشهوة، وكان جمالُ يوسفَ طاغياً، فلما رأَيْنَه صَرَخْنَ قائلات: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.

وليس معنى قوله: ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ أنهنَّ قَطَّعْنَ أَيديهنَّ حقيقة، وفَصَلْنَ أَيديهنَّ عن أَجسامِهن، إِنما معناهُ أَنهنَّ جَرَحْنَ أَيديهنَّ بسكاكينهن، ونزَفت الدماءُ منها، دونَ أَنْ يَشعرنَ، لفرطِ تأَثُّرِهنَّ ودهشَتِهِنَّ وإِعجابِهن!!.

وبما أَنَّ الله أَخبرَ أَنَّ ذلك حَصَل، فإِننا نجزمُ أَنه حصل، ولا يَجوزُ لمسلم أَنْ يُكَذِّبَ كلامَ الله، لأَنه لا أَحَدَ أَصدقُ من الله حديثاً! ولْيذهب الفادي وتكذيبُه إِلى الجحيم!!.

٣٩

توجيه طلبِ يوسفَ ذكرَه عند الملك

أَخْبَرَنا اللهُ أَنه كانَ معَ يوسف في السجن رَجُلان، وأَنه رأى كلُّ واحدٍ منهما رؤيا، وأَوَّلَ لكلِّ واحدٍ منهما رُؤْياه، وطلبَ من الذي سَيفرجُ عنه أَنْ يَذْكُرَه عند الملك، وأَنه مسجونٌ ظلماً، لعلَّ الملكَ يفرجُ عنه. قال تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ الشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢].

معنى قوله: ﴿اذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾: اذْكُرْ للملِك قِصَّتي، وأَخْبِرْهُ أَنني مسجونٌ ظلماً.

ومعنى قوله: ﴿فَأَنسَىٰهُ الشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾: أنسى الشيطانُ الرجلَ الناجيَ المُفْرَجَ عنه تَذكيرَ الملكِ بقصةِ يوسفَ السجين. فالهاءُ المفعولُ به في

«أنساهُ» تَعودُ على الرجلِ الناجي، وليس على يوسف. و«ذِكْرَ» بمعنى تذكير، والهاءُ المضافُ إليه في «رَبِّه» تعودُ على الرجلِ نفسِه. و«رَبّه» هو الملك، الذي كانَ يؤمنُ أنه ربُّه.

ولما نسيَ الرجلُ تذكير الملكِ لَبِثَ يوسُفُ في السجنِ بِضْعَ سنين، لم يذكُرْه ولم يفطنْ له أَحَد.

وقد اعترضَ الفادي على الآية، لأنه ظَنَّ أنها تَنهى عن استعانة الإِنسانِ بالإِنسان. وذَهَبَ إلى تفسيرِ البيضاوي، ونَقَلَ منه كلاماً مَرْجوحاً، وحَديثاً غيرَ صحيح.. قال الفادي: «قال البيضاوي: قال محمد: رحمَ اللهُ أخي يوسُف. لو لم يَقُلْ: اذْكُرْني عنْدَ ربِّك، لما لبثَ في السجن سَبْعاً بعد الخمس»[1].

يَعْني بكلمةِ «محمد»: محمداً رسولَ الله ﷺ. فهل يُمكنُ للإمام البيضاويِّ أَنْ يذكُرَ كلمة «محمد» غيرَ مقرونةٍ بالصلاةِ والسلام، ﷺ؟ لِننظُر!.. قالَ البيضاوي: «أَو أُنْسِيَ يوسفُ ذِكْرَ الله، حتّى استعانَ بغيرِه.. ويؤَيِّدُهُ قولُه عليه الصلاة والسلام: رحم الله أخي يوسف...».

البيضاويُّ يَقول: «قالَ محمدٌ عليه الصلاة والسلام»، ولما نَقَلَ المفتري الفادي هذه الجملة حَرَّفَها إلى قوله: «قال محمدٌ». لأنه لا يؤمنُ أَنَّ محمداً ﷺ رسولُ الله، ولا يستحقُّ منه الصلاةَ والسلامَ عليه، لذلك يذكُرُ اسْمَه مُجَرَّداً، بوقاحةٍ وسوءِ أَدبٍ معه.. أَما نحنُ فإننا مأمورونَ بالأَدَبِ مع رسولِنا، فلا نذكُرُ اسْمَه إلا مَقْروناً بالصلاةِ والسلامِ عليه، فنقول: قالَ محمدٌ رسولُ اللهِ ﷺ.

والحديثُ الذي ذَكَرَهُ البيضاويُّ لم يصحّ عن رسولِ الله ﷺ، وفيه اتهامٌ وإدانةٌ ليوسفَ عليه الصلاة والسلام، بأنه نسيَ ذِكْرَ اللهِ واستعانَ بغيرِه، ولذلك عاقَبَهُ اللهُ بأَنْ أطالَ سجْنَه، من خمسِ سنين إلى سبعِ سنين.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٤٢.

وقد عَلَّقَ البيضاويُّ على الحديثِ الذي لم يصحّ بقولِه: «والاستعانةُ بالعبادِ في كشفِ الشدائدِ وإنْ كانت محمودةً في الجملة، لكنَّها لا تَلِيقُ بمنصبِ الأنبياء»[1].

وهذا تفسيرٌ للآيةِ مَرجوح، والراجحُ هو ما ذكَرْناه قبلَ قليل، من أَنَّ المقصودَ بجملةِ ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾ هو الرجلُ الناجي وليسَ يوسُفَ عليه السلام. وهذا هو الراجحُ عند البيضاويِّ نفسه، ولذلك قال: «﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ﴾. فأُنْسِيَ الشَّرابيُّ أَنْ يَذْكُرَهُ لربِّه، فأَضافَ إليه المصدَرَ لملابستِه له..»[1].

وإذا كانَ الراجحُ في معنى الآية ما قُلْناه، فإنَّ اعتراضَ الفادي عليها مردود، وهو قولُه: «ونحنُ نسأَلُ: هل حرامٌ أَنْ يستعينَ الإِنْسانُ بأَخيه وقْتَ الشدائد؟ لَمْ يَنْسَ يوسفُ ربَّه عندما كَلَّفَ الساقِيَ أَنْ يذكُرَه لدى فرعونَ، ليُنْصِفَه ويُخرجَه من السجن، كما لم يَنْسَ بولسُ الرسولُ ربَّه عندما استغاث من اليهود، واستأْنَفَ قضيتَه إِلى محكمةِ قَيْصَر. وماذا يَقولونَ في محمدٍ الذي استعانَ بِعَلِيٍّ وأَلْبَسَه ثوبَه تَعْمِيَةً لأَهْلِ قريش، فنجا محمدٌ بعد أَنْ كان عُرْضَةً للخَطَر؟ أَمَّا ذكْرُ السّاقي ليوسُفَ أَمامَ فرعونَ فيدلُّ على حكمةِ يوسف، وعلى واجب الساقي، من غير وقوعِ أَيِّ ضررٍ على أَيِّ أَحَد..»[2].

والخلاصةُ: لم يُخطِئ يوسفُ عليه السلام عندما طَلَبَ من الرجلِ المفرَّجِ عنه ذكْرَ قصَّتِه عندَ الملك، ولم يكنْ هذا منه استعانةً بغيرِ الله، ولا نسياناً لذِكْرِ الله، ولم يتسلَّطْ عليه الشيطان، ولم يُنْسِه ذكْرَ ربِّه، والذي نَسي هو الرجل، حيث نَسِيَ تذكير الملكِ بقضيةِ يوسفَ المظلوم، وأَدّى هذا إِلى أَنْ يَلبثَ يوسُفُ في السجنِ بضْعَ سنين، وهذه المدةُ لم تكنْ عقوبةً من اللهِ ليوسفَ عليه السلام، لأَنه لم يُذْنِبْ حتى يعاقبهُ الله، وإِنما كانت ابتلاءً من اللهِ له.

---

(١) تفسير البيضاوي: ٣/ ١٦٥.

(٢) هل القرآن معصوم؟، ص٤٢.

والحديثُ الذي ذَكَرَه البيضاويُّ عن رسولِ الله ﷺ لم يصحّ.. وهذا معناهُ رَفْضُ كلامِ الفادي المفتري وَرَدُّه، لأَنه بَناهُ على غيرِ أَساس!!.

٤٠

عدد مرات مجيء إخوة يوسف لمصر

خَطّأَ الفادي المفتري القرآن، في حديثِه عن عددِ مَرّاتِ مجيءِ إِخوةِ يوسُفَ إِليه في مصر، وحاكَمَ القُرآنَ إِلى سِفْرِ التكوين. قالَ في اعتراضِه على القرآنِ وتخطئتِه له: «قالَ البيضاوي: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا﴾: يأْتيني بيوسفَ وبنيامين وأَخيهما الذي توقَّفَ بمصر..

ولكنَّ الكتابَ المقدَّسَ يُخْبِرُنا أَنَّ إخوةَ يوسُفَ العشرةَ جاؤوا إِلى مصْرَ لِيَشْتَروا قَمْحاً، فَعَرَفَهم يوسُفُ، ولكنَّه تَنَكَّرَ لهم، وليعرفَ أَحوالَهم اتَّهمهم أَنهم جواسيسُ، فقالوا: لا، بل إِنّنا إِخوة، وأَحَدُنا مفقود، وواحدٌ صَغيرٌ مع أَبيه، ونحنُ العَشَرَةُ، فأَخَذَ يوسفُ شمعونَ، وقَيَّدَه رهينَة، حتى يُحْضِروا الأَخَ الأَصْغر، لِيُبَرْهِنوا أَنهم ليسوا جواسيس.. وهذا لم يَذْكُرْه القرآنُ!.

ولما رَجَعوا إِلى أَبيهم، أَخذوا بنيامين، وجاؤُوا به إِلى مصر، وَوَضَعَ رجالُ يوسُفَ كأْسَ يوسُفَ في عِدْلِ بنيامين، واتَّهَموه بالسرقة، فدافَعَ عنه إِخوتُه.. عندَها عَرَّفَهم يوسُفُ بنفسه، وأَرسلَهم لِيُحْضروا أَباهم، فَحَضَروا مع أَبيهم إِلى مصر، حيثُ استَقَرُّوا..

ولكنَّ القرآنَ يَقولُ: إِنَّ يوسُفَ حَبَسَ بنيامين، وإِنَّ شمعون بقيَ في مِصْر، وإِنَّ إِخوةَ يوسُفَ رَجَعوا لأَبيهم بدونهما.. فجعَلَ عَدَدَ مراتِ مجيءِ إِخوةِ يوسُفَ لمصر أَربعَ مَرّاتٍ بَدَلَ ثلاث..»[1].

عندما يُحاكمُ الفادي القرآنَ إِلى كتابه المُقَدَّس، ويُخَطِّئُه في ما خالَفَ فيه

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٤٢.

كتابَه المقَدَّسَ يَقَعُ في خطأٍ منهجيٍّ كَبيرٍ، سبق أَنْ ذكَرْناهُ أكْثَرَ من مَرَّة، إنه يجعلُ كتابَه المقَدَّسَ أَصلاً، ويجعلُ القرآنَ تابعاً له، فإِنْ لم يوافِقْه ويُتابِعْه فهو المخطئ! وهذا باطلٌ ومردود، فمن المعلومِ من الدينِ بالضرورة عندَنا أَنَّ القرآنَ هو الأصل، وأَنَّ الكتابَ المقَدَّسَ هو الذي يُحْمَلُ عليه ويُحاكَمُ إِليه، وما خالَفَ فيه القرآنَ، فهو الذي أَخْطَأَ وليس القرآن!.

وخلاصَةُ ما قالَه القرآنُ عن ما جَرى بينَ يوسفَ وأَخيه هي:

بعدَ أَنْ سَلَّمَ الملكُ يوسفَ مقاليدَ البلاد، وجَعَلَه على خزائنِ الأَرض، جاءَ الناس من البلادِ المجاورةِ إلى مصر، ليأْخُذوا منها القمح، ومنهم إِخوةُ يوسف، الذينَ جاؤوا من البَدْوِ إلى مصر.

١ ـ جاءَ إِخوةُ يوسفَ العَشرةُ طالبينَ القمح، ولما دَخلوا عليه عَرَفَهم، لكنَّهم لم يَعْرِفوه. . ولما جَهَّزهم بجَهازهم، وأَعطاهم القمح الذي يُريدون، أَعادَ لهم بضاعَتَهم التي أَتَوْا بها إكراماً لهم، وتَرْغيباً لهم بالعودة. . وقبلَ أَنْ يُغادروه طلبَ منهم أَنْ يُحْضِروا معهم أَخاهم من أَبيهم، فإِنْ لم يَأْتوا به فلنْ يُعطيهم كَيلاً ولا قمحاً ولا شيئاً كما ورد في الآيات (٥٨ ـ ٦٢) من سورة يوسف عليه السلام.

ولما رَجَعوا إلى أَبيهم أَخْبَروه بما حَصَلَ معهم، وطَلَبوا منه أَنْ يُرْسِلَ معهم أَخاهم، وذَكَّرَهم الأَبُ بما فَعَلوا مع أَخيهم يوسف، وانْتَهى الأَمْرُ إِلى أَن اشترط عليهم أَنْ يَحْلِفوا له الأَيْمانَ المغَلَّظَةَ أَنْ يُحافظوا على أَخيهم الصغير، وأَنْ يُعيدوهُ إليه سالماً، إِلَّا أَنْ يَحْدُثَ شيءٌ لم يكنْ في الحسبان كما ورد في الآيات (٦٣ ـ ٦٨) من سورة يوسف عليه السلام.

٢ ـ دخل الإِخوةُ العشرةُ على يوسف، ومعهم أَخوهم الصَّغير، الذي يُسَمّيه سِفْرُ التكوين «بنيامين»، ونترك نحنُ اسْمَه ضمنَ مبهماتِ القرآن، لعدمِ وجودِ دليلٍ على بيانِه. وهذا هو اللقاءُ الثاني بين يوسفَ وإِخوتِه.

ولما عَرَّفَ يوسُفُ أَخاه الصَّغيرَ على نفسِه، وطلبَ منه أَنْ لا يُخبرهم بذلك، قامَ يوسُفُ بتصرفٍ ليحتفظَ بأَخيه، حيثُ جَعَلَ السقايةَ في رَحْلِ أَخيه الصغِير، وانتهى الأَمْرُ بأَخْذِه بتهمةِ السرقة، ولم تنفع محاولاتُ الإِخوةِ إِطلاقَ

سراحِ أَخيهم الصغير، أَو جَعْلَ أَحَدِهم مكانَه كما ورد في الآيات (٦٩ ـ ٧٩) من سورة يوسف عليه السلام.

عند ذلك أَصَرَّ الأَخُ الأَكبرُ أَنْ يَبْقىٰ في مصرَ ليُتابعَ الأَمْر، وأَمَرَ إِخوانَه التسعةَ أَنْ يعودوا إِلى أَبيهم، ويُخْبِروه بما حَدَث، من أَخْذِ الأَخِ الصغيرِ بتهمةِ السرقة، وعَجزِهم عن إِطلاقِ سَرَاحِهِ أَو استبدالِه. كما ورد في الآيات (٨٠ ـ ٨٢) من سورة يوسف عليه السلام.

عند ذلك حَزنَ على فَقْدِ أَبنائِه الثلاثة: يوسف والابنِ الأَكبر والابنِ الأَصغر، وقال: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾، ويقصدُ بذلك الأَبناءَ الثلاثة.

وطلبَ يعقوبُ من أَبنائه التسعةِ أَنْ يَعودوا إِلى مِصْر، ويَتَحَسّسوا من يوسفَ وأَخيه الصغير، ولا يَيْئَسوا من رَوْحِ اللهِ، فَفَعَلوا. كما ورد في الآيات (٨٣ ـ ٨٧) من سورة يوسف عليه السلام.

٣ ـ دَخَلَ الإِخوةُ على يوسف، وهذا هو اللقاءُ الثالثُ به، وأَخْبَروه بما أَصابَهم من ضُرٍّ وتَعَبٍ، ورَجوهُ أَنْ يُعيدَ معهم أَخاهم الصغير. . عند ذلك عَرَّفَهم يوسفُ على نفسِه، فأَصابَتْهم الدهشةُ والمفاجأة، وطلبَ منهم الإِتيانَ بأَبويهم وأَهْلِهم أَجمعين! وَأَن يأخذوا قميصه، ويلقوه على وجه أبيه ليرتد بصيراً. كما ورد في الآيات (٨٨ ـ ٩٨) من سورة يوسف عليه السلام.

٤ ـ رجعَ الإِخوةُ إِلى مصر، ومعهم أَهْلُهم أَجمعون، والْتَقَوْا بيوسفَ عليه السلام اللقاءَ الرابع، ورَفَعَ أَبوَيْه على العرش، وخَرَّ الجميعُ له سُجَّداً. وبذلك استقرت العائلةُ كُلُّها في مصر، آمِنين مطمئنين. كما ورد في الآيات (٩٩ ـ ١٠٢) من سورة يوسف عليه السلام.

والمعتمدُ عندنا هو ما قالَه القرآن، عن ما جرى بينَ يوسف عليه السلام وإِخوتِه، ونَقبلُ ما وَرَدَ في الكتابِ المقَدَّس، مما جاءَ موافِقاً للقرآن، نَقْبَلُه لأَنه وَرَدَ في القرآن، وليس لأَنه وَرَدَ في الكتابِ المقَدَّس. ونَرُدُّ ما وَرَدَ في الكتابِ المقَدَّس مما جاءَ مخالفاً لما في القرآن، ونعتبره مما عَبَثَتْ به أَيدي الأَحبارِ المحَرِّفين للتوراة.

قالَ الأَحبارُ: إنَّ يوسفَ عَرَّفَ إخوتَه على نفسه في لقائِه الثاني بهم، وقالَ القرآنُ: إنه عَرَّفَهم على نفسِه في لقائِه الثالثِ بهم، والصوابُ ما وَرَدَ في القرآن.

وقالَ الأَحبارُ: إنَّ يوسفَ أَخَذَ أَخاهُ الكبيرَ شمعونَ رهينة، وحَبَسَه عنده إلى أَنْ يَعودَ الإخوةُ ومعهم أَخوهم الصغير بنيامين. وهذا لم يَذْكُرْه القرآن، ولذلك لا نَقولُ به.

وقالَ القرآنُ: إنَّ يوسفَ هو الذي وَضَعَ السقايةَ في رَحْلِ أَخيه، ثم أَخَذَه بتهمةِ السرقة، وتأَخَّرَ الأَخُ الكبيرُ في مصر لمتابعةِ الموضوعِ، ورجعَ الإخوةُ التسعةُ إلى أَبيهم ليُخبروه بالموضوع، فزادَ حُزْنُ يعقوبَ على فَقْدِ أَبنائِه الثلاثة.. وهذا ما لم يذكُرْهُ الأَحبارُ في سِفْرِ التكوين. ونحنُ نؤمنُ به ونعتمدُه لورودِه في القرآن، ولا يهمُّنا عدمُ ورودِه في الكتاب المقدس، ولا وَزْنَ لاعتراضِ الفادي على ما قالَه القرآن وتخطئتِه له!.

٤١

حقيقة قميص يوسف

تَهَكَّمَ الفادي المفتري على قميصِ يوسفَ ﷺ، الذي أَمَرَ إخوانَه أَنْ يُلْقوهُ على وَجْهِ أَبيه ليرْتَدَّ بَصيراً، وجعلَ عنوانَ اعتراضِه: «قميصٌ سحري».

وقد أَشارَ إلى القميصِ قولُه تعالى: ﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف: ٩٣].

وذَكَرَ الفادي المفْتَري خُرافةً حولَ القميص، نَسَبَها إلى التابعيِّ المفسِّر مجاهد بن جبر، ولم يَذْكُر المرجعَ الذي أَخَذَها منه، ويَستحيلُ أَنْ يقولَ التابعيُّ مجاهدٌ تلكَ الأُسطورةَ المكذوبة، لتعارُضِها مع العقيدة والإيمان! وخلاصَةُ تلك الأَسطورةِ الباطلة أَنَّ القَميصَ الذي كان يلبسُه يوسفُ كان قميصاً لإِبْراهيمَ ﷺ، أَنزلَهُ اللهُ عليه من الجنة، عندما أُلْقِيَ في النار، وكانَ قميصاً من حَرير، وتوارَثَه أَبناؤُه إسحاق ويعقوب، ووضعَه يَعقوبُ في قَصَبَةٍ من فِضَّةٍ وعَلَّقَه في عنقِه، تعويذةً تَدفَعُ عنه العين، ولما أُلْقِيَ يوسفُ في البئرِ

أتاهُ جبريلُ وأَلْبَسَهُ إيّاه، وكانَ يوسُفُ مَحفوظاً مُوَفَّقاً بفضْلِ القميص. . وأَمَرَ يوسُفُ بإِرسال القميصِ إلى أَبيه، لأَنَّ فيه ريحَ الجَنَّة، وله أَثَرُ السحر، فما وُضِعَ على مَريضٍ إلاّ عوفي.

وعَلَّقَ الفادي على هذه الأَسطورةِ المكذوبةِ فقال: «ونحنُ نسأَل: كيفَ يَلْبَسُ سُكانُ الأَرضِ ثيابَ سُكّانِ السَّماء؟ وكيفَ يعملُ القَميصُ عملَ المعجزاتِ، على أَيْدي الذين توارَثوهُ، أَيّاً كانوا وأَنّى كانوا؟ ما هو مَصيرُ هذا القميصِ الآن؟ أَلا نَسْخَرُ من الذينَ يُلْبِسونَ أَولادَهُم وبهائِمَهم تَعاويذ؟ وهل يَتَساوى الأَنبياءُ والآباءُ الكرامُ إِبراهيمُ وإِسحاقُ ويَعقوبُ ويوسفُ بمن يستعملونَ التعاويذ؟»(١).

وبما أَنَّ الكلامَ الذي ذَكَرَه الفادي عن القميصِ خُرافَةٌ مكذوبة، فكُلُّ الأَسئلةِ التي أَثارَها حولَه باطلةٌ مُلْغاة، ولا دَاعي لها، وكان الأَوْلىٰ به أَنْ يُريحَ نَفْسَه فلا يُثيرُها، لأَنها أَسئلةٌ تافهةٌ لا وَزْنَ لها! وهو خَبيثٌ مُتحاملٌ على القرآن، لأَنه حَمَّلَ القرآنَ مسؤوليةَ كلامٍ لم يذكُرْه، وما دَخْلُ القرآنِ بخرافةِ القميص؟ ولماذا يُخَطِّئُ الفادي القرآنَ بشيءٍ ليسَ فيه؟ . . لو قالَ: إِنَّ هذا الكلامَ عن القميصِ خَطأ، لقبلْنا كلامَه، لأَنه خَطَأٌ فِعْلاً، أَمّا أَنْ يُنْسَبَ هذا الخطأُ للقرآن، ويُسَجَّلَ ضمنَ أَخطاءِ القرآن التاريخية، فهذا هو الاتِّهامُ الباطلُ والتحاملُ المفضوح!.

كلُّ ما ذَكَرَه القرآنُ عن القميصِ، أَنَّ يوسُفَ ﷺ أَمَرَ إِخوانَه أَنْ يُلْقوهُ على وجهِ أَبيه، ليعودَ له بَصَرُه، ولما فعلوا ذلك عادَ بَصيراً. قال تعالى: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٩٣ ـ ٩٦].

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٤٣.

ولا يوجَدُ في مصادِرِنا الإسلاميةِ اليقينية - المحصورةِ في الكتابِ والسنة - ما تُضيفُه على ما وَرَدَ في هذه الآياتِ حولَ قَميصِ يوسفَ عليه السلام، ونحنُ مأمورونَ أَنْ نبقى مع الآيات، نؤمنُ بما وَرَدَ فيها، ونسكتُ عما سَكَتَتْ عنه. فنقول: كانَ القَميصُ قَميصاً عاديّاً، كباقي القُمصانِ العادية، يَلْبَسُه يوسُفُ عليه السلام، كما يلبَسُ أيُّ إنسانٍ قميصَه.. وأوحى اللهُ ليوسفَ أَنْ يرسلَ قميصَه إلى أَبيهِ ليعودَ له بصرُه، ولما أُلقيَ على وجْهِه عادَ له بَصَرُه، وكان هذا بأَمْرٍ من الله، الفَعَّالِ لما يُريد، فهو سبحانَه الذي جَعَلَ القميصَ سَبَباً ماديّاً لإِعادةِ البصر، وجعلَ هذا آيةً من آياتِه، جَرَتْ على أيدي النبيَّيْن يعقوبَ ويوسفَ عليهما السلام!.

٤٢

امرأة فرعون تتبنَّى موسى عليه السلام

أَخْبَرَنا اللهُ في القرآنِ أَنَّ امرأةَ فرعونَ رَأَت الطفلَ موسى في التابوت، فأَحَبَّتْهُ وتَبَنَّتْه، وطلبتْ من زوجِها فرعونَ أَنْ يَتَبَنّاهُ ولا يَقْتُلَه، فاستَجابَ لها. قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ٩]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٧ - ٣٩].

ولكنَّ الفادي يُخَطِّئُ القرآنَ في هذا الكلام، ويُحاكِمُه إلى الكتابِ المقَدَّس، وبما أنه خالَفَ ما في الكتابِ المقَدَّس، فما وَرَدَ في الثاني هو الصَّواب، وما وَرَدَ في القرآنِ هو الخطأ!!.

ذَكَرَ الكتابُ المقَدَّسُ أَنَّ التي رأَتْ موسى هي ابنةُ فرعون وليستِ امرأَتَه. قال الفادي: «ويُعَلِّمُنا الكتابُ المقَدَّسُ أَنَّ ابنةَ فرعونَ هي التي نَزَلَتْ

إلى نهرِ النيلِ لِتغْتَسِل، لأنهم كانوا يَعتبرونَه إلٰهاً، يُطَهِّرُهُم من النجاسَة. فرأَتْ سُفْطاً من البَرَدىٰ بين الحَلْفاء، ففتَحَتْه، وإذا صبيٌّ يَبْكي، فأَخذتْه ابنةُ فرعونَ ابْناً لها. لكنَّها لم تكنْ زوجةَ فرعون... وقال موسى في سِفْرِ الخروج: إنها ابنةُ فرعون، وهو أَعلمُ بمَنْ رَبَّته...»[1].

الراجحُ والصحيحُ والمعتمدُ عندنا أنَّ التي أَخَذَتْ موسى الرضيعَ وتَبَنَّتْهُ وَرَبَّتْه هي امرأةُ فرعون كما ذَكَرَ القرآن، وليستْ ابنتَه كما ذَكَرَ الأَحْبارُ في العهد القديم، ومن المعلومِ أنه إذا تعارضَ ما في القرآنِ مع ما وَرَد في الكتابِ المقدَّس، فالصحيحُ هو ما وَرَدَ في القرآنِ، لأَنَّهُ هو كلامُ الله المحفوظُ الثابتُ، ويُتْرَكُ ما وَرَدَ في الكتابِ المَقدَّس، لأنه هو الخطأ!!.

٤٣

حول تقتيل أولاد بني إسرائيل

أَخْبَرَنا اللهُ في القرآن أَنَّ فرعونَ وآلَه كانوا يَسومون بني إسرائيل سوءَ العذاب، يُقَتِّلونَ أبناءَهم، ويَستحيونَ نساءَهم. لكن مَتى كان هذا؟ هل كانَ قَبْلَ بعثةِ موسى عليه السلام أَمْ بَعْدَها؟.

وَرَدَ في سورةِ القَصَص أَنَّ هذا التعذيبَ والتقتيلَ كان قبلَ رسالةِ موسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٤ ـ ٧].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٤٣ ـ ٤٤.

تَذْكُرُ الآياتُ أَنَّ تَذبيحَ الأَبناءِ واستحياءَ النساءِ كان قبلَ ولادةِ موسى، بل إِنَّ موسى وُلِدَ في هذا الجَوِّ، وكان عُرْضَةً للذَّبْح، لولا أَنَّ الله حَماهُ بأَنْ أَلْهَمَ أُمَّهُ حُسْنَ التصرف، بأَنْ تَضعَهُ في التابوت، وتَضَعَ التابوتَ في اليَمِّ، فيأْخُذَه الماءُ إِلى الساحل، وهناكَ يَأْخُذُهُ رجالُ أُسْرَةِ فرعونَ، ليُرَبّوهُ وَيَتَبَنَّوْهُ!!.

وورد في سورةِ الأَعرافِ أَنَّ هذا التعذيبَ والتقتيلَ كان بعدَما بَعَثَ الله موسى رسولاً ﷺ، وبعدما قَدَّمَ نَفْسَه إِلى فرعون، ودَعاهُ إِلى الإِيمانِ بالله. قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟﴾ [الأعراف: ١٢٧ ـ ١٢٨].

تَذْكُرُ هذه الآياتُ أَنَّ الملأَ من قوم فرعونَ حَرَّضوهُ على البطشِ بموسى النبيِّ وأَتْباعِه، فأَمَرَ بقتْلِ أَبناءِ بني إِسْرائيل واستحياءِ نسائِهم، ولما فَعَلَ ذلك أَمَرَ موسى قومَهُ بالصبرِ والاستعانةِ بالله!.

واعتبرَ الفادي الآيتَيْن متناقضتَيْن، قال: «تقولُ سورةُ الأَعرافِ: إِنَّ المصريّينَ اشتكَوْا لفرعونَ من تصرفِ موسى، فأَمَرَ بقتْلِ أَبناءِ العبرانيّين واستحياءِ نسائهم.. وتقولُ سورةُ القَصصِ: إِنَّ فرعونَ قبلَ ولادةِ موسى أَمَرَ بذبْحِ الأَولادِ واستِحياءِ النِّساء، حتى خافَتْ أُمُّ موسى عليه، وخَبَّأَتْه في صفطِ البَرَدَىٰ، إِلى أَن انتشلَتْه ابنةُ فرعون.. فالآيتان مُتناقِضَتان»(١).

ومن المعلومِ عندنا أَنه لا تَناقُضَ في القرآن، ولا تَعارُضَ بين آياتِه.. وفي الإِخبارِ عن تعذيبِ آلِ فرعونَ لبني إِسرائيل، لا تَعارُضَ ولا تَناقُضَ بين سورةِ القَصَص وسورةِ الأَعراف. إِنَّ تعذيبَ فرعونَ وآلِه لبني إِسرائيل استمرَّ وَقْتاً طويلاً، بدأَ قبلَ ولادةِ موسى، واستمرَّ إِلى ما بعد ولادته، وبقيَ إِلى أَنْ عادَ موسى من أَرضِ مَدْيَنَ رسولاً إِلى فرعونَ، ولما جَرى ما جَرى بينَ موسى ﷺ وفرعون، واصَلَ فرعونُ وآلُهُ التعذيبَ والتذبيحَ والتقتيل، وجَدَّدَ فرعونُ أَمْرَهُ السابق بقَتْلِ الأَبْناء واستحياءِ النساء.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٤٤.

وهذا معناهُ أنه لا تناقُضَ بين حديثِ سورةِ القصصِ وسورةِ الأعراف، فالتعذيبُ بدأ قبلَ ولادةِ موسى بفترة، وهذا ما تحدَثَتْ عنه سورةُ القَصص، واستمرَّ إلى ما بعد ولادتِه وطفولتِه وشبابِه، وبقيَ متواصلاً إلى أنْ عادَ موسى نبيّاً من مَدْين، وازدادَ التعذيبُ والتذبيحُ والتقتيلُ بعدما احْتَدَمَ الصراعُ بين موسى عليه السلام وبينَ فرعون، وهذا ما تحدَّثَتْ عنه سورةُ الأعراف!!.

وأكّدَتْ آياتُ سورةِ غافر آياتِ سورةِ الأعراف. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٣ ـ ٢٦].

٤٤

حول صداق امرأة موسى

أَخْبَرَ اللهُ أَنَّ موسى عليه السلام اتفقَ مع الرجلِ الصالحِ في مدينَ على أَنْ يَعْمَلَ عنده ثمانيَ أو عَشْرَ سنوات مقابل أَنْ يُزَوِّجه ابنته. قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَـٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَـٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧].

وقد اعترضَ الفادي على هذه الآية، واعتبرَها من أخطاءِ القرآن، لأنها مخالفةٌ لما في كتابِه المقدَّس. قال: «وَمعروفٌ أَنَّ يَثْرونَ حما موسى كان له سبعُ بَناتٍ لا اثْنَتَيْن، وزَوَّجَه واحدة، بدونِ أَنْ يَخْدمَه ثماني سنواتٍ أو عَشْراً... وأمّا الذي خَدَمَ حماهُ كصداقٍ لامرأتِه فهو يَعقوب، الذي خَدَمَ حماهُ سَبْعَ سنين»[1].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٤٥.

واعتراضُ الفادي عندنا لا وَزْنَ له، ولا يهمُّنا ماذا قالَتْ أَسفارُ العهدِ القديمِ عن يعقوبَ وموسى عليهما السلام. . إنَّ الذي يَعْنينا ويهمُّنا هو ما قالَه القرآن، وهو الصحيحُ، والمعتمدُ عندنا، وكُلُّ ما وَرَدَ فيه فهو الصواب. لقد خَدَمَ موسى عليه السلام عند الرجلِ الصالحِ في مَدْيَن - الذي لم يَذكر القرآنُ اسْمَه - عَشْرَ سنوات، مقابلَ زواجِه من إحدى ابنَتَيْه، كان فيها يَرعىٰ الغنم، وكانت السنواتُ العشرُ التي قضاها مَهْراً للمرأةِ التي تزوَّجَها. هذا ما صَرَّحَ به القرآن، وهو الذي نؤمنُ به عن يَقين.

٤٥

وراثة بني إسرائيل للأرض

وَعَدَ اللهُ بني إسرائيلَ أَنْ يَرِثوا الأَرضَ بعدَ هلاكِ فرعونَ وجنودِه. قال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٨ - ١٢٩].

وأَرادَ الفادي أَنْ يُثيرَ شبهةً على الآية، فذهبَ إلى تفسير البيضاوي، لعلَّهُ يَجِدُ فيه ما يُريدُ. فَنَقَلَ عنه قولَه في تفسيرِ الآية: «هي وَعْدٌ لهم بالنّصرة، وتذكيرٌ لمَا وَعَدَهم، من إهلاكِ القِبط، وتوريثِهم ديارَهم وتحقيقٌ له. . .». . وقالَ في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ. . .﴾: «وقد رُوِيَ أَنَّ مصرَ إنما فُتِحَت لهم في زمنِ داودَ عليه السلام».

وعَلَّقَ الفادي على كَلامِ البيضاويِّ بقولِهِ: «ومعروفٌ للجميعِ أَنَّ بَني إسرائيلَ وَرِثوا أَرْضَ مصر»(١).

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٤٥.

ولَسْنا مع البيضاويِّ في ما أوردَه من أنَّ المرادَ بالأرضِ هنا أرضُ مِصْر، لأنَّ بَني إِسرائيلَ لم يَرِثوا أَرْضَ مصرَ من فرعونَ وآلِه، ولم يَسْكُنوها بعدَ هلاكِ فرعون.

ولكن ما ذَكَرَه البيضاويُّ مما لا يتفقُ مع التاريخ لا يتحمَّلُه القرآن، ولا يَجوزُ أَنْ يُعتبرَ من أخطاءِ القرآنِ التاريخية، لأَنَّ أخطاءَ المفسِّرين لا تكونُ أخطاءً للقرآن، لأَنَّها أخطاءٌ في فهم الآيات، وليسَ في نَصِّ الآيات.

ذَكَرَ القرآنُ «الأَرضَ»، وليس «مصر»؛ فقد قال موسى لبني إِسرائيل: ﴿إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ ، والمرادُ بالأَرضِ هنا كُلُّ بقاعِ الأَرض، وكُلُّ بُلدانِها وأَقطارِها، ومِصْرُ جزءٌ منها، واللهُ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ من عبادِه.. وقد أَورَثَ اللهُ بني إِسرائيلَ أَرضَ فلسطين بعدَ ذلك، واستخلَفَهم فيها، وحَقَّقَ بذلك كلامَ موسى عليه السلام لهم: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾.

وحَقَّق اللهُ لهم ما أخبرنا عنه في القرآنِ من أنه مذكورٌ في الزبور. قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغٗا لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥ ـ ١٠٦].

ولكنَّ بَني إِسرائيلَ لم يُحْسِنوا الاستخلاف في أَرضِ كنعان، ومارَسوا فيها ما حَرَّمَ الله، فنزعَ اللهُ الأَرضَ منهم، وأَوقع بهم لعنتَه، وأَخرجَهم منها أَذلاءَ صاغرين.

٤٦

تسع آيات لا عشر ضربات

أَخبَرَنا اللهُ أنه أرسلَ موسى عليه السلام بتسعِ آياتٍ بَيِّنات؛ قال تعالى: ﴿فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾ [النمل: ١٢]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ

إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ . . .﴾ [الإسراء: ١٠١ ـ ١٠٤].

وأرادَ الفادي أَنْ يُثيرَ إِشكالاً حولَ هذا الكلام، وحاكَمَ القرآنَ إلى كتابِه المقدَّسِ، فزَعَمَ أنه وَجدَ خطأً في عَدَدِ الآيات، التي آتاها اللهُ لموسى ﷺ.

قال: «يقولُ الكتابُ المقدَّس: إِنَّ الضرباتِ التي ضَرَبَ اللهُ بها المصريّين عَشْرٌ لا تِسْعٌ، وإِنَّ بني إسرائيلَ بعدَ هَلاكِ فرعونَ وجيشِه في البَحْرِ لم يَسْكُنوا في أَرضِ مصر، بل في أَرضِ كنعان، وإِنَّ فرعونَ لم يكنْ يُريدُ أَنْ يُخرِجَ اليهودَ من مصر، بل أَرادَ أَنْ يَستعبدَهم فيها..»(١).

واعتراضُ الفادي على الرقم المذكورِ في القرآنِ مَرْدود، لأَنَّ ذِكْرَ العددِ فيه مَقْصود، فهي تسعُ آياتٍ بالضَّبْط، وليستْ عَشْراً كما زَعَمَ الأَحبارُ في العهدِ القديم! وإذا تَعارضَ المذكورُ في الكتابِ المقَدَّسِ مع المذكورِ في القرآن فإِنَّ الصوابَ هو ما ذُكِرَ في القرآن، كما قَرَّرْنا أَكثرَ من مَرَّة.

والآياتُ التسعُ هي: العصا، واليد، والطوفان، والجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدم، والسنين، ونقص الثمرات.

وظَنَّ الفادي لغَبائِه أَنَّ المرادَ بالأَرضِ في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ أَرضُ مصْر. ولذلك اعترضَ على الآيةِ قائلاً: «وإِنَّ بني إسرائيل بعد هَلاكِ فرعونَ وجيشِه في البحرِ لم يَسْكُنوا في أَرضِ مصر؛ بل في أَرضِ كَنْعان».. وسبقَ أَنْ ناقشناهُ في هذه المسألةِ في المبحثِ السابق، وقُلْنا: إِنَّ المرادَ بالأَرض التي أَسكنَ اللهُ بني إسرائيلَ فيها بعدَ خروجِهم من مصْرَ هي الأَرضُ المقدسةُ فلسطين، والتي يُسميها الأَحبارُ أَرضَ كنعان!.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٤٥.

والمرادُ بالأَرضِ في هذه الآية مختلفُ بقاعِ العالَمِ القديم، مثلُ: فارسَ والروم والحبشة واليونان وغيرها، التي شَتَّتَ الله اليهودَ فيها، وعاشوا «عَصْرَ الشَّتاتِ» الذي استمرَّ قُروناً عديدة. وسَيَبْقَوْن مُشَتَّتِينَ في مختلفِ بقاعِ الأرض، في مختلفِ البلدان، إلى أَنْ يَحينَ موعدُ إفسادِهم الثاني، حيثُ سيجمعُهم الله من تلك البلدان، ويأْتي بهم إلى الأرضِ المُقدَّسة! وهذا ما تصرحُ به الآية: ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: ١٠٤].

وهذا ما تحققَ في هذا الزمان، الذي يَعيشُ فيه اليهودُ إفسادَهم الثاني الكبير، حيثُ أَتى الله بهم لَفيفاً، من مختلفِ القارّاتِ الخَمْس، وأَقاموا دولَتهم على الأَرضِ المقَدَّسَة!.

٤٧

العيون المتفجرة من الحجر

أَخْبَرَنا اللهُ أَنَّ بني إسرائيلَ استسقَوْا موسى وهم في الصحراء، فَأَمَرَهُ الله أَنْ يضربَ الحجرَ بعصاه، ولما فعلَ فَجَّرَ اللهُ من الحجرِ اثْنَتا عشرة عَيْناً، على عَدَدِ أَسباطِ بني إسرائيل. قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ﴾ [البقرة: ٦٠]. وقال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ﴾ [الأعراف: ١٦٠].

وخَطَّأَ الفادي كلامَ القرآن، وحاكَمَه إلى كلامِ العهدِ القَديم، الذي أَلَّفَه الأَحبار، وكلُّ ما خالَفَ العهدَ القديم عندَه خَطأ!

نَقَلَ الفادي عن سِفْرِ الخروجِ: «أنه لما خَرَجَ بنو إسرائيلَ إلى سيناء، جاؤُوا إلى «إيليم»، وَوَجَدُوا فيها اثنتيْ عشرةَ عينَ ماء، وسَبْعين نخلة، فنَزَلوا

عندَ النخلِ والماءِ قليلاً، ثم ارْتَحلوا إلى بَرِّيَّةِ «سين»، ونَزَلوا في «رفيديم» فيها، ولم يكنْ فيها ماءٌ ليَشْرَبوا، وطَلَبوا من موسى أَنْ يُعطيهم ماءً لِيَشْرَبوا، وتَذَمَّروا عليه وخاصَموه، وصَرَخَ موسى إلى الرَّبِّ، طالِباً منه التَّصَرُّف، فأَمَره الربُّ أَنْ يأخذَ الشَّعْبَ معه، إلى صخرةِ «حوريب»، ويضربَ الصخرةَ بعصاه، ولما فعلَ ذلك أَنْبَعَ اللهُ منها عينَ ماءٍ لبني إسرائيل». وعَلَّقَ الفادي على ما نَقَلَه من سِفْرِ الخروجِ بقوله: «فليست الاثْنَتا عشرةَ عيناً التي في إيليمَ هي الصخرةُ التي في حوريب»[1].

ما ذَكَرَهُ الأَحبارُ في سِفْرِ الخروج، أَنَّ بَني إسرائيلَ مَرّوا على اثْنَتَيْ عشرةَ عيناً، أَنْبَعَها اللهُ قبلَ مرورِهم، وعندما احْتاجوا إلى الماء بعد ذلك أَنبعهُ اللهُ لهم، بعدَ أَنْ ضربَ موسى الصخرةَ بعصاه، فخرجَتْ منها عينُ ماءٍ واحدة، هذا مردود عندنا، لأَنه يتعارض مع ما ورد في القرآن، والمعتمدُ عندنا هو ما وردَ في القرآن! فالذي نقولُ به أَنه بينما كان بنو إسرائيلَ في الصحراء، احْتاجوا إلى الماء، فَطَلَبُوا من موسى عليه السلام أَنْ يستسقيَ اللهَ لهم، فأَمَرَهُ اللهُ أَنْ يضرِبَ الحَجَر بعَصاه، وكان حَجَراً في ذلك المكان، ولم يكنْ صخرةً كما زَعَمَ الأَحبار، ولما ضَرَبَه انفجرتْ منه اثْنَتا عشرةَ عيناً، كلُّ عينٍ منفصلةٌ عن غيرِها، على عَدَدِ أَسْباطِ بني إسرائيل، ليشربَ كُلُّ سِبْطٍ من عينٍ خاصّة: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾. ولم يكنْ خروجُ هذه العيونِ من الحجرِ عاديّاً، إنما كان معجزةً خارقة، من فعلِ الله عز وجل.

ولَسْنا مع الأَحبارِ في تحديدِهم الأَماكن، في إيليم وسين ورَفيديم وحُوريب، ونَبْقى مع القرآنِ في إبهام المكان، ولا يَضُرّنا الجهلُ به، لعدمِ تحديدِه في الآياتِ والأَحاديث، فقد يكونُ في إيليم، وقد يكونُ في حوريب، وقد يكونُ في مكانٍ آخر، وعلْمُ ذلك عندَ اللهِ وَحْدَه!.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٤٦.

٤٨

الألواح التي كتبت عليها التوراة

أَخْبَرَنا اللهُ في القرآنِ أَنَّه لما ناجاهُ موسى ﷺ على جبلِ الطّور، أنزلَ عليه التوراةَ من السماءِ مكتوبةً على ألواح. قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: ١٤٤ ـ ١٤٥].

وأَخَذَ موسى ﷺ الألواحَ وتَوَجَّه إلى بني إسْرائيل، فوجَدَهم يَعْبدونَ العجل، فألْقى الألواح. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

ولما زالَ عنه الغضبُ أَخَذَ الألواح، ودَعا بني إسرائيلَ إلى الالتزام بما فيها. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

وقد خَطَّأَ الفادي القرآنَ في كلامِه عن ألواحِ التوراة؛ فقال: «ومَعروفٌ أَنَّ موسى كتبَ الشريعةَ على لوحَيْن لا على ألواح، وعلى اللوحَيْن كَتَبَ الوصايا العشرَ فقط، وليس تفصيل كُلِّ شيء»[(١)].

لا نقولُ إلاّ بما قالَ به القرآن، من أَنَّ اللهَ أنزلَ التوراةَ على موسى ﷺ، وهو على جبلِ الطور، وكانت التوراةُ مكتوبةً على «أَلْواح»، والأَلْواحُ جمع، فهي عدةُ أَلواح، أَبهمَ القرآنُ عَدَدَها، فلا نعرفُه، إنما نقول: كانتْ أَلواحاً مكتوبةً في السماء، ولا نَعرفُ كيف كُتِبَتْ في السَّماء، ولا ما هو حجمُ كُلِّ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٤٧.

لوح ومقاسه، ولا نعرفُ ما كُتِبَ على كُلِّ لوحٍ منها، لأَنَّ الله لم يُبَيِّنْ ذلك في القرآن.

وما قالَه الأَحبارُ في سِفْرِ الخروجِ من أنهما لوحانِ فقط، وأَنَّ موسى عليه السلام هو الذي كَتَبَهما بيدِه، كلامٌ مردود عندنا لمخالفتِه ما وَرَدَ في القرآن!.

ثم إنَّ اللهَ أَخْبَرَنا أنه كتبَ في التوراةِ كُلَّ شيء: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾. أيْ أَنَّ الله جعلَ فيها أحكاماً وتشريعات، وجعلَ فيها مواعظَ ونصائح، وجعلَ فيها تفصيلَ كُلِّ ما يحتاجُ إليه بنو إسرائيل، في ذلك الماضي السحيق.

وهذا معناه أَنْ نَرُدَّ كلامَ الأَحبار، الذينَ يزعمونَ أَنَّ موسى عليه السلام لم يَكتبْ على اللَّوحَيْن إلّا الوصايا العَشْرَ فقط. فالوصايا العَشْرُ لا تَزيدُ عن عَشْرِ جُمَلٍ مختصرةٍ مجملة، وهذه الوصايا العَشْرُ ليستْ موعظةً وتَفْصِيلاً لكُلِّ شيء!.

إنَّ مرجعيَّتَنا غيرُ مرجعيةِ الفادي وقومِه، والحَكَمُ عندنا غيرُ الحَكَم عندهم، وإِنَّ القرآنَ هو المهيمنُ على الكتابِ المقدَّس، ولا يكونُ الكتابُ المُقَدَّسُ الذي أَلَّفَه الأحبارُ مهيمناً على القرآنِ العظيم!.

٤٩

هل طلب بنو إسرائيل رؤية الله؟

أَخْبَرَنا اللهُ في القرآنِ أَنَّ بني إسرائيلَ طَلَبوا من موسى عليه السلام أَنْ يَروا الله جَهرة، وأَنْ يُشاهِدوهُ بعيونِهم، فعاقَبَهم اللهُ على هذا الطلبِ القبيحِ بأَنْ أَخَذَهم بالصاعقةِ، ثم أَحياهم.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥ ـ ٥٦].

وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ﴾ [النساء: ١٥٣].

وقد خَطَّأَ الفادي القرآنَ لمخالفته ما وَرَدَ في الكتابِ المقدَّس. قال: «ولكنَّ الكتابَ المقدَّسَ يُعَلِّمُنا أَنَّ بني إسرائيل خافوا من الله، وقالوا لموسى: «تَكَلَّمْ أَنتَ مَعَنا، ولا يتكلم اللهُ معنا لئَلّا نَموت»... فعكسَ القرآنُ الموضوعَ، وقالَ: إنَّ بني إسرائيلَ طَلَبوا أَنْ يَرَوُا الله فأَماتَهم اللهُ بالصاعقة، ثم بَعَثَهم ثانية.. ولعلَّ الدافعَ على هذا أَنْ يُخيفَ العَرَبَ الذينَ سأَلوا محمداً أَنْ يَنزِّلَ لهم كتاباً من السماء...»(١).

يَزعمُ الفادي أَنَّ بَنِي إسرائيل لم يَطْلُبوا أَنْ يَرَوُا اللهَ جهرة، كما ذَكَرَ القرآن، وإِنّما طَلَبوا أَنْ لا يُكَلِّمَهم الله، لأَنهم خافُوا إِنْ كَلَّمَهم أَنْ يموتوا.

ونحنُ لا يَعنينا ما قالَه الأَحبارُ في سِفْرِ الخروج، إنما يَعْنينا ما ذَكَرَهُ القرآن، لأَنَّه عِندنا أَمْرٌ يَقينيّ جازم. لقد كان بَنو إِسرائيلَ جاهِلين، غَيْرَ مُعَظِّمينَ لله، فقد ظَنُّوا أنه يُمكنُ أَنْ يَرَوا الله بعيونِهم، وظَنُّوا أَنَّ موسى عليه السلام يرىٰ الله عندما يُكلِّمُه ويُناجيه، فحسدوهُ وغَاروا مِنْه، وطَلَبوا أَنْ يَرَوا الله بِعيونِهم، كما يَرى هو اللهَ بعينَيْه.. علماً أَنَّ موسى عليه السلام لم يَرَ رَبَّه، وعندما سأَلَ الله أَنْ يراهُ أَخبرَه أنه لنْ يَراه. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقد عَلَّقَ بنو إسرائيل الجاهلين إيمانَهم لموسى واستسلامَهم وطاعتَهم له على رؤيتِهم اللهَ جهرةً بعيونِهم، وطَلَبوا منه أَنْ يَطْلُبَ من الله أَنْ يَنزلَ أَمامَهم، ويُخاطِبَهم، فَيرَوْهُ ويُشاهدوه ويَسمعوه!! عند ذلك عاقبهم، فأَخَذَتْهم الصاعقة،

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٤٧.

فَصُعِقوا وأُغميَ عليهم، وكانوا كالأموات، ثم أيقظَهم وبَعَثَهم، وأعادَهم إلى الحياة، ليستكملوا أعمارَهم.

وسألَ اليهودُ في المدينةِ رسولَ الله محمداً ﷺ أنْ يُنزلَ عليهم كتاباً من السماء، وكانَ سؤالَ تعَنُّتٍ وتعجيز، كما كانَ سؤالُ أجدادِهم لموسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ﴾ [النساء: ١٥٣].

٥٠

قارون الإسرائيلي الكافر

أَخْبَرَنا اللهُ في القرآنِ عن قارونَ وكفرِه وغِناه، وأَنَّه كان إسرائيليّاً كافراً، انضمَّ إلى فرعونَ ضدَّ موسى وقومِه بني إسرائيل. قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦].

وكانتْ نهايةُ قارونَ سيئةً، حيثُ خَسَفَ اللهُ به وبدارِه الأَرض. قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٨١].

وقد خَطَّأَ الفادي القرآنَ، ونَقَلَ عن السابقينَ أَنَّ قارونَ هو مَلِكُ ليديا في القرنِ السادسِ قبلَ الميلاد، وذَكَرَ الأَحبارُ في الكتاب المقدَّسِ أَنَّ الذي خرجَ على موسى هو قورحُ وليس قارون. قال: «ومعروفٌ أَنَّ قارونَ القرآن هو كروسوس ملكُ ليديا (٥٦٠ ـ ٥٤٦ ق.م)، وهو عَلَمٌ على الغِنى، بينَ العربِ وغيرِهم.. ولا يوجَدُ ما يُبَرِّرُ خَلْطَه بقورَح، الذي وَرَدَ ذِكْرُه في التوراة، فلا علاقَة لقارونَ بقورح، الذي ثارَ على داثان وأَبيرام على موسى، فَفَتَحت الأَرْضُ فاها وابْتَلَعَتْهم»(١).

لا دليلَ على أَنَّ ملكَ ليديا في القرنِ السادس قبلَ الميلاد كان اسْمُه

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٤٧.

قارون، وكلامُ المؤرِّخين ليس يقينياً قاطعاً، إنما هو محتملٌ للصحةِ والخطأ، فلا يُعْتَمَدُ عليه.

وكلامُ الأَحبارِ أَيضاً ليس يَقينيّاً، فلا يُعْتَمَدُ عليه، ولا يُحْكَمُ به على كلامِ اللهِ في القرآن، ولذلك لا نقول: إنَّ قورحَ هو الذي خرجَ على موسى ﷺ، مع اثنيْنِ من بني إسرائيل، وأَنَّ اللهَ خَسَفَ بالثلاثةِ في البرية. ونتوقَّفُ في هذا الكلامِ الذي ذَكَرَهُ الأَحْبار، فلا نُصَدِّقُه ولا نُكَذِّبُه..

والذي نقولُه ونؤمنُ به أَنَّ قارونَ المذكورَ في القرآنِ ليس هو قارونَ ملك ليديا، ولا قورحَ الذي خَرَجَ على موسى، قارونُ المذكورُ في القرآنِ إسرائيليٌّ من قومِ موسى، وقد أَغناهُ الله، وآتاهُ من الكنوزِ ما يعجزُ الرجالُ الأَشدّاءُ الأَقوياءُ عن حَمْلِه، واختارَ الكفْرَ والبغيَ والطغيان، وانحازَ إِلى فرعونَ ضدَّ قومِه الإِسرائيليين، واستخدمَ أَموالَه وكنوزَه في محاربةِ موسى ﷺ وأَتْباعِه، ولم يَستجبْ لنصْحِ الناصحين المؤمنين، فعاقَبه اللهُ وخَسَفَ به وبدارِه الأَرض، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١].

والراجحُ أَنَّ قارونَ الإسرائيليَّ كان قد انضمَّ إِلى فرعونَ ضدَّ بني إسرائيل، قبلَ أَنْ يبعثَ اللهُ موسى ﷺ نبيّاً إِلى فرعون، ولذلك أَرسلَه اللهُ نبيّاً إِلى الطُّغاةِ الثلاثة: فرعونَ وهامانَ وقارون. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٣ ـ ٢٤].

والراجحُ أَنَّ اللهَ خَسَفَ بقارونَ ودارِه الأَرض في مصر، قبلَ أَنْ يَخرجَ بنو إسرائيل منها!!.

٥١

بين داود وسليمان ﷺ

كان داودُ رسولاً ومَلكاً على بني إسْرائيل، وكان ابْنُه سليمان نبيّاً مَلكاً من بعدِه على بني إسرائيل، وكان سليمانُ مساعِداً لأَبيه في عهدِه ﷺ. وقد

أَخْبَرَنا اللهُ في القرآنِ عن استدراكٍ لسليمان على حُكْم حَكَمَ به والدُه داودُ. قال تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨ ـ ٧٩].

وأوردَ الفادي روايةً عن ابنِ عباس رضي الله عنهما في حُكْم داودَ وسليمانَ في قضيةِ الحرثِ والغنم، استدركَ فيها سليمانُ على حُكْم أبيه.. وخَطَّأَ القرآنَ في استدراكِ سليمانَ على حُكْم أبيه، كما خَطَّأَ الروايةَ عن ابنِ عباس، واعتبرَ ذلك مُتعارضاً مع فطنةِ ودقةِ وحُكْم داود.

قالَ في تخطئتِه: «كانَ داودُ من الأنبياءِ المُلْهَمين، ومن الملوك الحكماء، فلا يُعْقَلُ أن سُلَيمانَ كان يتعقَّبُ أَحكامَه، وهو والدُه، ولا نظنُّ أَنَّ داودَ المُلْهَمَ يعْجَزُ عن حَلِّ قضيةٍ كهذه.. أمّا الذي انتقدَ أحكامَ أبيه فكانَ أَبْشالوم وليس سليمان، فإنَّ أَبْشالومَ لما عَزَمَ على الثورةِ ضِدَّ والدِه كان يسترقُّ قلوبَ بني إسرائيل، ويقولُ: مَنْ يجعلُني قاضياً في الأَرضِ لأُنصفَ المظلومَ! فكانَ يَقْبَلُ الواحدَ ويكرمُه ويُعَظِّمُه، فاستمالَ الناسَ ثم قامَ بانقلابٍ فاشلٍ على والدِه...»(١).

ما ذَكَرَهُ الفادي عن قصةِ الملكِ اليهوديِّ أَبْشالوم مع أبيه وثورتِه عليه نتوقَّفُ فيه، فلا نُصَدِّقُه ولا نُكَذِّبُه، لعدمِ وجودِ دليلٍ عنْدَنا عليه.

أَمّا تخطئةُ الفادي لكلامِ القرآنِ عن ما جَرى بينَ داودَ وسليمانَ عليهما السلام فهي مردودةٌ عليه، وما قالَه القرآنُ عنها فهو الصحيحُ والصَّواب، وهذا عندنا يَقين.

لقد استدركَ سليمانُ على حكْمٍ لأَبيه عليهما السلام في قضيةِ الحَرْثِ والغَنَم، وقَبِلَ داودُ استدراكَ ابنه وأَنْفَذَ له حُكْمَه، وليس معنى هذا اتهامَ داودَ عليه السلام بالعجْزِ أَو الضعفِ أَو الخَطأ في الحُكْم؛ فقد آتى اللهُ داودَ عليه السلام فقْهاً وعلْماً وحكمةً وفِطْنَة؛ قال تعالى عنه: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٥١]. وقال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٤٨.

شَدَّدَ اللهُ ملكَه وقَوّاه، وآتاهُ اللهُ الحكمة، وهي الفهمُ والعقلُ والصواب، كما آتاهُ فَصْلَ الخطاب، وهو منعُ الخلافِ والجدالِ والنزاع، بين المتخاصِمَيْن المحتكِمَيْن عنده، حيثُ يُصْدِرُ حُكْمَهُ الذي يَحُلُّ المشكلة، ويُنهي الأَمْر!.

وكان يساعِدُه في أَحكامِه ابْنُه سليمان، الذي آتاهُ اللهُ الحكمةَ والعلمَ والفهم، وبذلك أُضيفَتْ حكمتُه إِلى حكمةِ أَبيه، وأُضيفَ عِلْمُه إِلى عِلْمِ أَبيه.. وإِذا دَعت الحاجةُ استدركَ الابنُ على حُكْمِ أَبيه، وتَقَبَّلَ الأَبُ استدراكَ الابنِ وحُكْمَه بِرضاً، وأَمْضى حُكْمَه!.

وهذا ثَناءٌ على داودَ في فَهْمِه وحُكْمِه وعِلْمِه، وليس اتِّهاماً له بالضعفِ والغفلةِ والجَهْل، كما ظَنَّ الفادي الجاهل.

وقد أَشارت الآيتانِ من سورةِ الأَنبياءِ إِشارةً مجملةً مبهمةً إِلى حادثةٍ مُعَيَّنَة، احتكمَ فيها خَصْمانِ إِلى داودَ عليه السلام، ثم استدركَ عليه ابنُه سليمان، فَقَبِلَ الأَبُ حُكْمَه وأَمْضاه.

احتكمَ إِلى داودَ رَجُلانِ في قضيةِ الحَرْثِ والغَنَم، والحرثُ هو الزَّرْع، فدخلتْ غنم صاحب الغنم إِلىٰ ذلك الزرع، ونَفَشَتْ فيه لَيْلاً، واشتكىٰ صاحبُ الزرعِ على صاحبِ الغنمِ عندَ داودَ عليه السلام، فحكمَ داودُ بحُكْمٍ لم تذكُرْه الآيتان، واستدركَ سليمانُ على حُكْمِ أَبيه، وأصدرَ هو حُكْماً فَهَّمَه اللهُ إِيّاه، وكان هو الحكمَ الأَصَحّ!! ونُلاحظُ أَنَّ الكلامَ في الآيتَيْن مجملٌ مختصرٌ مُبْهَم، لم يَذكُرْ تفَاصيلَ القضيةِ المعروضَة، ولا حُكْمَ داودَ في القضية، ولا كيفيةَ استدراكِ سليمان، ولا حُكْمَه فيها. ولا يوجَدُ عندنا حديثٌ صحيحٌ مرفوعٌ لرسولِ الله ﷺ، يُضيفُ شيئاً إِلى ما وَرَدَ في القرآن.

وقد وردَتْ روايةٌ موقوفةٌ على ابن عباسٍ رضي الله عنهما، يُمكنُ أَنْ «نستأْنسَ» بها في تَصوُّرِ المسأَلة. قالَ ابنُ عباس: دَخَلَ رجلانِ على داود، أَحَدُهما صاحبُ حَرْث، والآخرُ صاحبُ غَنَم. فقال صاحبُ الحَرْث: إِنَّ هذا أَرسلَ غَنَمَهُ في حَرْثي، فلم يُبْقِ من حَرْثي شيئاً!.

فقال له داود: اذهبْ فإنَّ الغنمَ كُلَّها لك!.

فَمَرَّ صاحبُ الغنمِ بسليمان، وأَخبرَه بالذي قَضى به داود.. فَدَخَلَ سليمانُ على داود، عليه السلام، فقال: يا نبيَّ الله! إنَّ القضاءَ سِوى الذي قَضَيْتَ!.

فقالَ له داودُ: كيفَ؟ قال سليمانُ: إنَّ الحرثَ لا يَخفىٰ على صاحبِه ما يخرجُ منه في كُلِّ عام، فلَه أَنْ يَبيعَ من أَولادِها وأصوافِها وأَشعارِها، حتى يستوفيَ ثمنَ الحَرْث! فقالَ له داودُ: أَصبتَ. القضاءُ ما قضيتَ!.

وفي روايةٍ أُخْرى لابنِ عباسٍ: أَنه قال: قضى داودُ بالغنمِ لأَصحابِ الحَرْثِ، فقالَ لهم سليمانُ: كيفَ قضىٰ بينكم؟ فأَخْبَروه.. فقالَ لهم: لو وُلِّيتُ أَمْرَكُم لقضيتُ بغيرِ هذا! فأُخبرَ داودُ بكلامِ سليمانَ، فقال له: كيفَ تَقْضي بينَهم؟.

قالَ سليمانُ: أَدفعُ الغنمَ إلى صاحبِ الحَرْثِ، فيكونُ له أَولادُها وأَلبانُها ومنافعُها، ويَبْذُرُ أَصحابُ الغنمِ لأَهْلِ الحَرْثِ مثْلَ حَرْثِهم، فإذا بَلَغَ الحرثُ الذي كانَ عليه، أَخَذَ أَصحابُ الحرثِ حَرْثَهم، وردّوا الغَنَمَ إلى أَصحابِها...[1].

إنَّ هذا التفصيلَ موقوفٌ على ابنِ عباس، ولم يرفَعْهُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، ونحنُ نذكُرُ كلامَه من بابِ الاستئناس، مع التحفُّظِ والاحتياط.

لكنَّنا نقولُ: لم يُخطِئْ داودُ عليه السلام في حُكْمه، لأَنه معصومٌ من الله، إنما نقول: كانَ حُكْمُهُ خلافَ الأَوْلى، فَفَهَّمَ اللهُ سليمانَ المسألَةَ، وأَلهمه الحُكْمَ الأَصَحَّ والأَوْلى. فحُكْمُ داودَ صحيحٌ صواب، ولكنَّ حُكْمَ سليمانَ هو الأَصَحُّ الأَصوبُ.. والله أعلم!!.

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣/ ١٨١.

٥٢

بين هاجر ومريم

أَخْبَرَنا اللهُ عن ما جَرى لمريمَ العذراء رضي الله عنها، بعدما نَفَخَ فيها الروحُ جبريلُ، وحَمَلَتْ بعيسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٢ ـ ٢٦].

وقد سَبَقَ أَنْ ناقَشْنا الفادي المفتري في تخطئَتِه القرآنَ في كلامِهِ عن انتباذِ مريمَ عن أَهْلِها، وعن النخلةِ وجِذْعِها ورُطَبِها، وعن وَليدِها عيسى الذي كَلَّمها بعد لحظةٍ من ولادتِه.

وقد اعترضَ على القرآنِ من زاويةٍ أُخْرى، حيثُ زَعَمَ أَنَّ القرآنَ خَلَطَ بينَ مريمَ وهاجر، فنَسَبَ لمريمَ ما حَصَلَ مع هاجر. قال: «وفي هذا خَلْطٌ بينَ مريمَ العذراء وهاجرَ أُمِّ إسماعيل.. فهاجر هربت إلى البرية بإسماعيل، ولما عطشت هيَّأ الله لها عين ماء فشربت. أَمّا العذراءُ فلم تَهْرُبْ إلى بَرِّيَّة، ولا احتاجَتْ إلى الماء، ولا كانَتْ تحتَ نَخْلَة...»[1].

واعتراضُه مردود، لأَنَّنا نتحفَّظُ على ما ذَكَرَهُ الأَحبارُ في سِفْرِ التكوين، بالنسبةِ لهربِ هاجرَ بابنِها إسماعيلَ إلى البرية، بسببِ اضطهادِ سارةَ لها، فما ذَكروهُ ليس في مصادِرِنا ما يُؤَيِّدُه ويُصَدِّقُه، ولذلك نتوقفُ فيه بدونِ تصديقٍ أَو تكذيب، ونقول: اللهُ أَعلمُ بذلك.

ويتجرأُ الفادي المفتري على حديث القرآنِ عن مريم العذراء، فيُكَذِّبُه

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٤٩.

قائِلاً: «وأمّا العذراءُ فلم تَهْرُبْ إلى بَرِّيَّة، ولا احتاجَتْ إلى ماء، ولا كانتْ تَحْتَ نَخْلَة»!.

وقد أَخْبَرَنا اللهُ في القرآنِ أَنَّ مريمَ العذراءَ ﷺ اعتزلَتْ أَهْلَها، وابتعدتْ عنهم، وانتبذَتْ بابنِها الذي حَمَلَتْه مكاناً قَصِيّاً.. وهناك جاءَتْها آلامُ المَخاض، فأَلجأَتْها إلى جذعِ نخلةٍ حَيَّة، فاعتمدَتْ عليه، واستندَتْ إليه، وازدادت الآلامُ بها حتى إنها تمنتْ أَنْ تكونَ ماتَتْ قبلَ هذا الوضع.. وما هي إلا لحظةٌ حتى وضعتْ مولودَها عيسى بيُسْر، وما هي إلّا لحظةٌ حتى سمعَتْ مولودَها يُكَلِّمُها وهو تَحْتَها، ويَدْعوها إلى عدمِ الحُزْن، ويُرشدُها إلى أَنْ تَشربَ من ماءِ الجدولِ الذي أَجراهُ اللهُ تحتَها، وأَنْ تَهُزَّ جذعَ النخلةِ إليها، حيث يتساقَطُ عليها الرُّطَبُ الجنيُّ الذي أَنضجَهُ اللهُ لها، وإذا رأَتْ أَمامها أَحداً لا تكلِّمُه، لأَنها صائمةٌ عن الكلام، وسيتولّى مولودُها مهمةَ الكلامِ نيابةً عنها.

هذا ما قالَه القرآنُ عن ولادةِ مريمَ ابنَها عيسى ﷺ، وهو الصحيحُ والصوابُ عندنا، ولا وَزْنَ لكلامِ الفادي المخالفِ له، ولا قيمةَ لاعتراضِه عليه!!.

٥٣

حول نزول المائدة على الحواريين

أَخبَرَنا اللهُ في القرآنِ أَنَّ الحوارِيّين طَلَبوا من عيسى ﷺ أَنْ يسأَلَ اللهَ إنزالَ مائدةٍ من السماءِ عليهم، فسأَلَ عيسى ﷺ ربَّه. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ

﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٢ ـ ١١٥].

وقد اعترضَ الفادي المفتري على كلامِ القرآنِ وخَطَّأَه، واتَّهَمه بعدمِ فهمِ كلامِ الأناجيل عن معجزاتِ عيسى عليه السلام أمامَ الحواريين، وقصةِ «العَشاءِ الرباني». قالَ: «لا يقولُ الإنجيلُ إنَّ تلامِيذَ المسيحِ طَلَبوا منه آيةً من السماء، ولا يَقولُ إنَّ مائدةً نزلَتْ من السماء، ولكنَّ الذين تبعوا المسيحَ ليَسْمَعوا تَعاليمَه في البَريةِ مَكَثوا مَعَه وَقْتاً طويلاً، ولم يُرِدِ المسيحُ أَنْ يَصْرِفَهم صائمين، لئلا يَخورُوا في الطريق، فأَخَذَ خَمْسَ خبزاتٍ وسَمَكَتَيْن، وبارَكَ وكَسَّرَ، وأَطْعَمَهم جميعاً، وزادت عن الآكلين اثنتا عشرةَ قُفَّة!!.

ولعلَّ قصةَ القرآنِ عن نزولِ مائدةٍ من السماءِ، نَشَأَتْ عن عدمِ فهمِ بعضِ آياتِ الإنجيل، فوردَتْ في «مَتّى: ٢٦/ ٢٠ ـ ٢٩»، و«مرقس: ١٤/ ١٧ ـ ٢٥»، و«لوقا: ٢٢/ ١٤ ـ ٢٠»، و: «يوحنا: ١٣/ ١ ـ ٣٠»، قصةُ العشاءِ الرّبّانيّ، الذي رسَمَه المسيحُ تذكاراً لصَلْبِه، فوردَ في «لوقا: ٢٢/ ٣٠» بخصوصِ مائدةِ المسيح، حيثُ قال لهم: «لتأْكُلوا وتَشْرَبوا على مائِدَتي في ملكوتي، وتَجْلِسوا على كراسي، لتُدينوا أَسباطَ إسرائيل الاثني عَشَرَ»[1].

يَعترفُ الفادي بالمائدة، التي أَكَلَ منها الحواريّون؛ بحضورِ عيسى عليه السلام، ويُحيلُ على الأَناجيلِ الأربعةِ في حديثِها عنها، ويذكُرُ أَنَّ تلك المائدةَ قامَتْ على تكثيرِ الطعامِ بين يَدَيْ عيسى عليه السلام، حيثُ كان معه خمسةُ أَرغفة وسمكَتان، فَدَعا اللهَ ليُبارِك فيها، فبارَكَ فيها، وتَعَشّى منها الحواريّون جميعاً «عَشاءً ربانياً»، زادَ عنهم اثْنَتا عَشْرَةَ قُفَّةً مليئةً بالطعام!.

وإنَّ اللهَ الذي كَثَّرَ الطعامَ أمامَ عيسى عليه السلام قادرٌ على إنزالِ مائدةٍ من الطعام من السماء، ليأكلَ منها الحواريّون، فلا داعيَ لإنكار إنزالِ المائدةِ من

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٤٩.

السماءِ في الوقْتِ الذي يتمُّ الإيمانُ بتكثيرِ الطعام، طالما أَنَّ كلا الأَمْرَيْنِ من فعْلِ الله، الذي هو على كلِّ شيءٍ قدير.

والإيمانُ بأنَّ القرآنَ كلامُ الله، يَدْعونا إلى الإيمانِ والتصديقِ بكلِّ ما وردَ في القرآن. وقد أخبرنا اللهُ أنه مُنَزِّلُ المائدة، في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾، والتعبيرُ عن إنزالها بصيغة اسمِ الفاعل: «مُنَزِّلُها»، لتأكيدِ حقيقةِ إنزالِها.

٥٤

أصحاب القرية والرسل الثلاثة

أَخْبَرَنا اللهُ في القرآنِ بقصةِ أَصحابِ القريةِ مع الرسلِ الثلاثة الذين أُرسلوا إليهم ليَدعوهم إلى الله. وخلاصَةُ تلك القصةِ أَنه كانَ أَهلُ قريةٍ من القرى كافِرين باللهِ، فأَرسلَ اللهُ إليهم رجلَيْن رسولَيْن، ولما وَصلا إليهم وَدَعواهم إلى اللهِ كَذَّبوهُما، فَعَزَّزَهما اللهُ برسولٍ ثالث، وقامَ الرسُل الثلاثةُ بإقامةِ الحُجةِ على أَهْلِ القَرية، ولكنَّهم لم يَسْتَجيبوا لهم.. وجاءَ رجلٌ مؤمنٌ من أَقصى المدينة، مُؤَيِّداً الرسلَ الثلاثةِ، ودَعا القومَ إلى الإيمان بالرسلِ وتصديقِهم والدخولِ في دينهم، وعبادةِ اللهِ وَحْدَه، لكنَّهم لم يَسْتَجيبوا له.. وأَمامَ إصرارِ أَهْلِ القريةِ على الكفرِ والتكذيبِ والإيذاء، حَقَّتْ عليهم كلمةُ الله، فأَوقعَ بهم العذاب.. كما ورد في الآيات (١٣ ـ ٢٩) من سورة يسٓ.

وقد أبهمَ القرآنُ تفصيلَ قصةِ أَصحابِ القرية، فلم يذكُر اسْمَها، ولا زمانَها، ولا مكانَها، ولا جِنسيةَ أَهْلِها، كما لم يبيِّن أسماءَ الرسلِ الثلاثة، ولا مَنْ أَرْسَلَهم، هل هم رسلٌ من اللهِ مباشرة، أم أَرسلَهم رسولٌ من عند الله، ولم يذكُرْ دِينَهم، ولا كيفَ وَصَلوا إلى القرية، ولم يذكُر اسْمَ الرجلِ المؤمنِ الذي جاءَ يسعى ويَنْصُرُ الرسل، ولا تفاصيلَ ما جَرى بينَه وبينَ القوم، ولا كيفَ كانَتْ نهايةُ الرسلِ الثلاثة والرجلِ المؤمن، هل قُتِلوا أَوْ نَجَوْا، ولا كيفَ

كانتْ تفَاصيلُ الصيحةِ الواحدةِ التي أَخذَتْهم وأَهلكَتْهم وجعلَتْهم خامدين!!.

ولم يَرِدْ حديثٌ صَحيحٌ عن رسولِ اللهِ ﷺ يُفَسِّرُ بعضَ المبهماتِ في قصةِ أَصحابِ القرية، ويُوَضِّحُ بعض التفاصيل، ولو وَرَدَ لَقُلْنا به.. فالواجبُ علينا أَنْ نبقى مع القرآنِ في حديثِهِ عن القصة، ونسكتَ عن ما سكَتَ عنه، ولا نُبيِّنَ بعضَ المبهماتِ التي أَبهمها القرآنُ عمداً!.

ولكنَّ كثيراً من المفسِّرين لم يَفْعَلوا ذلك، وذَهَبوا إِلى الأَخبارِ والرواياتِ التي لم تثبت، والإِسرائيلياتِ التي تُفَصِّلُ الكلام، وفَسَّروا بها كلامَ الله، وبَيَّنوا بها المبهماتِ التي أَبهمها القرآن.

ومن ذلك ما فعلَه الإِمامُ البيضاويُّ في تفسيرِ قصةِ أَصحابِ القريةِ في سورةِ يسٓ، مما جعلَ الفادي ينتقدُه، ويُحَمِّلُ القرآنَ خَطَأَه!.

قال: «﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾: القريةُ هي إِنطاكية. ﴿إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾: هم رسلُ عيسى عليه السلام. ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ﴾: لأنه فِعْلُ رسولِه وخليفتِه، وهما يَحيى ويونس، وقيل: غيرهما. ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ﴾: هو شمعون. ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾: وذلك أَنهم كانوا عبدةَ أَصنام، فأَرسلَ إِليهم عيسى عليه السلام اثْنَيْن، فلما قَرُبا من المدينةِ رأَيا حبيباً النجار يَرعى غنماً، فسأَلَهما فأَخبراه، فقال: أَمعكما آية؟ فقالا: نَشْفي المريضَ، ونُبرئُ الأَكْمَهَ والأَبرص، وكان له ولد، فَمَسحاه فَبرأ، فآمَنَ حَبيب، ففشا الخَبَرُ، وشُفيَ على أَيديهما خَلْقٌ كثير. وبَلَغَ حديثُهما إِلى الملك، فقالَ لهما: أَلَنا آلهةٌ سوى أَصنامِنا؟ قالا: نعم، مَنْ أَوجدَك وآلهتَك؟... قال: حَتّى أَنظرَ في أَمْرِكما، فحبَسَهما.. ثم بَعَثَ عيسى شمعون، فدخَلَ مُتَنكراً، وعاشَرَ أَصحابَ الملك...، فأَنس به الملك، فقالَ له يوماً: سمعتُ أَنك حبستَ رجلَيْن فهل سمعْتَ ما يَقولان؟ قال: لا. فَدَعاهما. فقال شمعون: مَنْ أَرسلكما؟ قالا: اللهُ الذي خَلَقَ كُلَّ شيء، وليس له شريك. فقال: صِفَاه وأَوْجزا. فقالا: هو يَفعلُ ما يشاءُ ويحكُمُ بما يُريد. فقال: وما آيَتُكما؟ قالا: ما يَتَمنّى الملِك. فدعا

بغُلام مَطموسِ العينَيْن، فدعَوَا اللهَ حتى انشقَّ له بَصَرُه، وأَخذا بُنْدُقَتَيْن، فوضَعاهُما في حَدَقَتَيْه، فصارا مقلَتَيْن ينظرُ بهما. فقالَ شَمعون للملك: أَرأيتَ لو سأَلْتَ آلهتَك هل تصنَعُ مثلَ هذا؟ فقالَ الملك: لا أُخفي عنك سِرّاً، آلهتُنا لا تَسمعُ ولا تُبصر، ولا تَضُرُّ ولا تَنْفَع.. ثم قال: إنْ قَدَرَ إِلٰهُكما على إحياءِ الميتِ آمَنّا به، فأَتَوا بغُلامٍ ماتَ منذُ سبعةِ أَيام، فدعَوَا الله، فقامَ حَيّاً، وقال: إني أُدخلتُ سبعةَ أَوديةٍ من النار، وأنا أُحَذِّرُكم ما أَنتم فيه.. فآمِنوا... وقال: فُتحتْ أَبوابُ السماء، فرأيتُ شابّاً حَسَناً يشفعُ لهؤلاءِ الثلاثة... فلما رأى شمعونُ أَن قولَه أَثّرَ في الملكِ نَصَحَه، فآمَنَ في جَمْع، ومَنْ لم يؤمنْ صاحَ عليهم جبريلُ فهَلَكوا..

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ هو حبيبٌ النَّجار، وكان يَنحتُ أَصنامَهم، وهو ممنْ آمَنَ بمحمد، وبَيْنَهما ستُّمئة سنة.. وقيل: كانَ في غارٍ يَعْبُدُ الله، فلما بَلَغَه خَبَرُ الرسولِ أَتاهم وأَظهر دينَه..»[1].

تُحَدِّدُ هذه الروايةُ الإسرائيليةُ القريةَ بأنها إنطاكية، والرَّجلينِ الرَّسولينِ بأَنهما يحيى ويونس، وأَنَّ الذي أَرسلَهما هو عيسى، وأَنَّ الرسولَ الثالثَ المؤَيِّدَ لهما هو شمعون. وأَنَّ الذي جاءَ يَسعى من أَقصى المدينة هو حَبيبُ النجار، وأَن حوارَهم كان مع ملكِ المدينة، وأَنهم قَدَّموا له الآياتِ من الشفاءِ والإِحياءِ حتى آمَن...

وقد اعترضَ الفادي على هذه الروايةِ الإسرائيلية، وحَمَّلَ القرآنَ مسؤوليتَها، قال: «معلومٌ أَنَّ إنطاكيةَ كانَتْ تحتَ حكْمِ الرومان، فكيفَ يقولُ القرآنُ: إن لها مَلِكاً؟ ويقولُ البيضاوي: إنَّ حبيباً النجارَ نَحّاتَ الأَصنام في إنطاكية آمَنَ بمحمد، فهل من المعقولِ أَنْ يؤمنَ برسالةٍ جاءَتْ بعْدَه بستِّمئة سنة؟ ثم إِنَّه ليسَ مِن تلاميذِ مَنْ يُدْعى شمعون أو يونس؟ فشمعونُ هو ابنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيم، ويونسُ أَو يونانُ هو أَحَدُ أَنبياءِ التوراة، الذي

(١) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥؛ وهل القرآن معصوم؟، ص٥٠ ـ ٥١.

ابْتَلَعه الحوت»[1].

ونحنُ لَسْنا مع البيضاويِّ في الروايةِ الإسرائيليةِ التي ذَكَرَها، ولا نُفَسِّرُ بها كلامَ الله، ونَبقى مع حديثِ القرآنِ عن قصةِ أَصحابِ القرية، لا نُضيفُ له أيَّ تفصيل.

وهذا معناهُ أَنَّ اعتراضَ الفادي على القرآنِ مَرْدودٌ من أَساسِه، لأَنَّ القرآنَ لم يَذكرْ أَنَّ القريةَ هي إنطاكية، ولا أَنه كان يحكُمُها مَلِك، ولم يُسَمِّ الرسلَ الثلاثة: يحيى ويونس وشمعون، ولم يتحدَّثْ عن حبيبِ النجار. ولقد كانَ الفادِي متحامِلاً على القرآن، عندما حَمَّلَه خَطأَ كلام البيضاوي، وادَّعى أَنَّ القرآنَ هو الذي قال: كان الملكُ يحكمُ إنطاكية! ومعلومٌ أَنَّ القرآنَ لا يتحمَّلُ مسؤوليةَ أيِّ فهمٍ خاطئ له!!.

٥٥

حول قوم عاد

أَخْبَرَنا اللهُ في القرآنِ عن قصةِ قومِ عاد، وكُفْرِهم بالله، وتكذيبهم نبيَّهم هوداً عليه السلام، ولما أَصرّوا على كفْرهم وتكذيبهم أَوقعَ اللهُ بهم عِقابَه، حيث أَخَذَتْهم الصيحةُ فقضَتْ عليهم وأَهلكَتْهم. وقد ذُكرتْ قصةُ عادٍ بالتفصيلِ في سور: الأَعرافِ وهودٍ والشعراءِ وفُصِّلت والقمر وغيرها.

وفَصَّلَتْ سورةُ الأَحقافِ ـ قليلاً ـ العذابَ الذي أَوقعَهُ اللهُ بهم. قالَ تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٥١.

﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف: ٢١ ـ ٢٥].

وقد اعترضَ الفادي على كلامِ القرآنِ عن قوم عاد، واعتبرَهُ غيرَ صَحيح، لأنه لا يتفقُ مع حديثِ العهدِ القديم.. وأَخذَ من تفسيرِ البيضاويِّ تفصيلَ العذابِ الذي أوقعَهُ اللهُ بهم. قال: «قال البيضاوي: هودٌ هو ابنُ عبدِ الله بنِ رباح بنِ الخلودِ بن عاد بن عوص بن إرَم بن سام بن نوح... وقومُ عادٍ كانوا يَعْبدونَ الأصنام، فبعثَ اللهُ إليهم هُوداً، فكَذَّبوه وازدادوا عُتُوّاً، فأمسكَ اللهُ المطرَ عنهم ثلاث سنين، حتى جهدَهم.. وأَنشأَ اللهُ سَحاباتٍ ثلاثاً، بيضاءَ وحمراءَ وسوداء، ثم نادىٰ مُنادٍ من السماء لزعِيمِهم «قِيلِ بنِ عَتَر»: يا قِيَل! اخْتَرْ لنفسِك وقومِك. فقالَ: اخترتُ السوداء، فإنها أَكْثرهُنَّ ماء!!.. فخرجَتْ على عادٍ من وادي المُغيث، فاستَبْشروا بها، وقالوا: هذا عارضٌ ممطِرُنا.. فجاءَتْهم منها ريحٌ عَقيم، فأَهلكَتْهم.. ونجا هودٌ والمؤمنونَ معه، فأَتَوْا مكّة، وعَبَدوا اللهَ فيها حَتى ماتوا».

وعَلَّقَ الفادي على كلامِ البيضاويِّ قائلاً: «ولا تذكُرُ التوراةُ أَنَّ نبياً قامَ بينَ نوحٍ وإبراهيم، وتذكُرُ بينَ ذريةِ نوحٍ رَجُلاً اسْمُه عاد، ولا تذكُرُ عقاباً بانقطاعِ المطرِ ثلاث سنوات، إلّا في أيامِ النبيِّ إيليا»(١).

وقد سبقَ أَنْ قَرَّرْنا القاعدةَ العلميةَ الموضوعيةَ في التعاملِ مع أَحداثِ الزمن الماضي، وهي أَخْذُها من المصادرِ الإسلاميةِ الموثوقة، المحصورةِ في الآياتِ القرآنيةِ الصريحة، والأحاديثِ الصحيحةِ المرفوعةِ إلى رسولِ الله ﷺ.

وخلاصَةُ ما ذكَرَهُ القرآنُ حولَ قصةِ عادٍ: أَنهم كانوا يسكنونَ في منطقةِ الأَحقافِ في جَنوبِ شرقِ الجزيرةِ العربية، وأَنهم كانوا بعدَ قومِ نوحٍ عليه السلام، وأَنهم كانوا كافرينَ بالله، وكانوا ظَالمين معتدين، أَقوياءَ أَشِدّاء. فبعثَ اللهُ لهم هوداً عليه السلام رسولاً، وجَرى بينَه وبينهم جدالٌ ونقاش، وأَصَرّوا على كفرهم،

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٥٢.

ولما أَوقعَ اللهُ بهم عذابَه أَنجى هوداً عليه السلام، والذين آمَنوا معه، وأَرسلَ على القوم الكافِرين ريحاً باردةً شديدةً قويةً عاتية، سَخَّرها عليهم سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أَيام حُسوماً، وأَرسلَ عليهم سَحاباً أَسود، اعترضَ جبالَهم ووديانَهم، فظنّوه سَحَاباً ممطراً، واستبْشَروا به، فأَهلكَهم الله.

ولَسْنا مع ما أَوردَه البيضاويُّ من نَسَبِ هودٍ إِلى نوح عليهما السلام، لأَنه لا دليلَ عندَنا على هذا النَّسَب، فلم يَرِدْ كلامٌ عنه في حديثِ رسولِ الله ﷺ.. كما أَننا لَسْنا مع البيضاوي في حديثِه عن السحاباتِ الثلاث، وعن اختيارِ زعيمِهم السحابةَ السوداء؛ لأَنها ممتلئةٌ مطراً.

لا نقولُ إِلا بما قالَ به القرآنُ حولَ هذا العارضِ الذي يَحملُ العذاب: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ...﴾.

وإِذا كانَ في كلامِ البيضاويِّ ما ليسَ عليه دليل، فإِنَّ القرآنَ لا يتحملُ ذلك، والقرآنُ لا يتحملُ إِلّا ما ذكَره ونَصَّ عليه بصراحة! فاعتراضُ الفادي على القرآن مردود.

وقد أخطأَ الفادي عندما شَكَّكَ في كلامِ القرآن عن قوم عادٍ، واعتبره من أخطاءِ القرآن التاريخية! وهو يَنفي وُجودَ قومِ عادٍ في التاريخ، ويُنكرُ نبوةَ هودٍ عليه السلام، والسببُ هو عدمُ حديثِ التوراةِ عن ذلك! وعدمُ حديثِ التوراةِ عن عادٍ لا يَعْني عدمَ وجودِهم في التاريخ، فلم تَذكر التوراةُ كُلَّ شيء من قَصصِ السابقين، وما سكَتَتْ عنه لا يَعني عدمَ وجوده! ثم إِنَّ الأَحبارَ حَرَّفوا التوراةَ وأَضافوا لها كثيراً من مزاعمِهم وأَكاذيبهم وأَخطائِهم، فليس كلُّ ما فيها صحيحاً!.

وبما أَنَّ القرآنَ تحدَّثَ عن عادٍ فهو الحديثُ الصحيح، لأَنه هو مرجعُنا المأمونُ الموثوقُ به، ولا وَزْنَ لاعتراضِ الفادي على حديثِه، وتخطئتِه له!.

٥٦

حول النبي ذي الكفل عليه السلام

ذو الكِفْلِ نبيٌّ من الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، وقد ذَكَرَهُ القرآنُ ضمنَ الأنبياء. قال تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥]. وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [صَ: ٤٨].

وذَهَبَ الفادي إلى تفسيرِ البيضاويِّ لينظرَ فيما أوردَه عن قصةِ ذي الكِفْلِ، ليشكِّكَ في ذِكْرِ القرآنِ له.

قال: «قالَ البيضاويُّ في تفسيرِ سورةِ صَ: ذو الكِفْلِ ابنُ عَمِّ الْيَسَع، أو بِشْرُ بنُ أيّوب، واخْتُلِفَ في نبوتِه ولَقَبِه. فقيل: فَرَّ إليه مئةٌ من أنبياءِ بني إسرائيلَ من القَتْل، فآواهُم وكَفِلَهم. وقيلَ: كُفِلَ برجلٍ عملَ صالحاً، وكان يُصَلّي كُلَّ يومٍ مئةَ صلاة».

وقالَ البيضاويُّ في تفسيرِ سورةِ الأنبياءِ: «ذو الكفلِ يَعْني إلياس، وقيل: يوشع، وقيل: زَكريا، سُمِّي به لأنه كانَ ذا حَظٍّ من اللهِ تعالى، أو تَكَفَّلَ أُمَّتَه!».

وجاءَ في بعضِ التفاسير أَنَّ ذا الكفلِ نبيٌّ من بَني إسرائيل، وحكايَتُه أَنَّ مَلِكاً أَوحى اللهُ إليه إنّي أُريدُ قَبْضَ روحِك، فاعْرِضْ مُلْكَكَ على بَني إسرائيل، فمنْ تَكَفَّلَ أَنْ يُصَلِّيَ الليلَ ولا يَفْترَ، ويَصومَ النهارَ ولا يُفْطِر، ويَقضيَ بينَ الناسِ ولا يَغْضَب، فادْفَع إليه مُلْكَكَ، فَفَعَلَ ذلك.. فقامَ شابٌّ، فقال: أنا أَتكفَّلُ لك بهذا.. فتكفَّلَ وَوَفّى، فَشَكَرَ اللهُ له، ونَبَّأَه.. وسُمِّيَ ذا الكفل..».

وعَلَّقَ الفادي على ما نَقَلَه بتخطئةِ القرآن، قال: «ولا تَذْكُرُ التوراةُ ذا الكفل، ولكنها تذكُرُ أَنَّ الرجلَ الذي عالَ مئةً من الأنبياءِ هو عوبديا، وزيرُ الملك أَخْآب، وكان يخشى الرَّبَّ جِدّاً، وخَبَّأَ هؤلاء المئة وَقْتَ أَنْ قَتَلت

الملكةُ إيزابلُ أنبياءَ الرب»[1].

لم يُفَصِّل القرآنُ الحديثَ عن ذي الكفل، واكْتَفى بذكْرِهِ ضِمنَ الأنبياء، وكُلُّ ما يتعلَّقُ بنبوَّتِه وقِصَّتِه فهو من مبهماتِ القرآن، التي لا نعرفُ عنها شيئاً، ولا نملكُ الوسيلةَ لبيانِها، وكلُّ ما نقولُه عنه: إنَّ ذا الكفل نبيٌّ من أنبياءِ بني إسرائيل.

وهذا مَعْناهُ أَنْ نتوقَّفَ في ما حكاهُ البيضاويُّ والمفسِّرونَ الآخرون عن قصته، كما نتوقَّفُ في كُلِّ ما تذكُرُه الإسرائيلياتُ، فلا نُصَدِّقُه ولا نُكَذِّبُه، والتوقُّفُ يعني أَنْ لا نذكُرَه ولا نعتمدَه ولا نقولَ به.

أَما منهجُ الفادي المفتري في النظرِ إلى ما ذَكَرَهُ القرآنُ، فإنه منهجٌ خاطئٌ مردود، فهو يُحاكمُ القرآنَ إلى التوراة، فما وافَقَ التوراةَ صَدَّقَه، وما لم تذكُرْه التوراةُ خَطَّأَهُ وكَذَّبَهُ ورَدَّه. ولذلك لا يَعتبرُ ذا الكِفْلِ نبيَّاً، لأَنَّ التوراةَ لم تذكُرْ ذلك!.

ذو الكفلِ في نظر الفادي ليسَ نبياً، والقرآنُ أَخْطَأَ عندما ذَكَرَهُ مع الأنبياء! أَما نحنُ فإننا نؤمنُ أَنَّ ذا الكفلِ نبيٌّ من أَنبياءِ بني إسرائيل، لأَنَّ الله أَخْبَرَنا عنه في القرآن، وتَفاصيلُ قِصَّتِه من مبهماتِ القرآن، ومَنْ أَنكرَ كونَه نبياً فهو كافر بالله لأَنه كَذَّبَ القرآنَ!!.

٥٧

من هم أصحاب الرَّسِّ؟

أَشارَ القرآنُ إشارةً إلى أَصحابِ الرّس. قال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَـٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَـٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ﴾ [قَ: ١٢].

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٥٢ ـ ٥٣.

وذهبَ الفادي إلى تفسيرِ البيضاوي، ليتعَرَّفَ منه على أصحابِ الرسّ. ونَقَلَ عنه قولَه: «أصحابُ الرسّ: قومٌ كانوا يَعبدونَ الأَصْنام، فبعثَ اللهُ لهم شُعَيْباً فكَذَّبوه، فبينما هم حَوْلَ الرَّسِّ (وهي البئرُ غيرُ المطويَّة) انهارَتْ، فَخُسِفَ بهم وبديارِهِم.. وقيل: الرسُّ: قريةٌ بجهةِ اليَمامة، كان فيها بقايا ثمود، فبُعث لهم نبيٌّ فقَتَلوه، فهَلكوا.. وقيل: الرسُّ: الأُخْدود. وقيل: الرسُّ: بئرٌ بإِنْطاكية، قَتَلوا فيها حَبيباً النجار.. وقيل: هم أَصحابُ حنظلةَ بنِ صفوان النبي، ابْتلاهم اللهُ تعالى بطيرٍ عَظيم، كان فيها من كُلِّ لون، وسَمّوها عَنْقاء، لطولِ عُنُقِها، وكانت تسكنُ جَبَلَهم الذي يُقالُ له: فَتْح أَو دمخ، وتنقضُّ على صبيانهم فتخطفُهم إِذا أَعوزَها الصَّيْد، فدعا عليها حنظلةُ فأَصابَتْها الصاعقة. ثم إِنهم قَتَلوه فأُهْلِكوا.. وقيل: هم قومٌ كَذَّبوا نبيَّهم وَرسّوه، أَيْ: دَسُّوهُ في بئر».

وشَكَّكَ الفادي في هذا الكلام، وهاجَمَ القرآنَ قائلاً: «ونحنُ نسألُ: ما هذه الرسّ؟ وفي أَيِّ بِلاد؟ وفي أَيِّ زمن؟ لماذا لم يُوَضِّحْ لنا القرآنُ ذلك، إِنْ كانَ للرسِّ وجود؟!»[1].

«الرّسّ»: مصدر. تقولُ: رَسَّ، يَرُسُّ، رَسّاً. وهو بمعنى الإِدْخال. تقول: رَسَّه. أَيْ: أَدْخَلَه. ويُطْلَقُ على البئرِ المحفورةِ في الأرض، ولكنَّها لم تُطْوَ، أَيْ: لم تُبْنَ من الداخل.

و«أَصحابُ الرسِّ»: هم قومٌ كانوا يُقيمونَ حولَ بئرٍ مطويّة، غيرِ مبنيةٍ بالحجارة. فقيل عنهم: أَصحابُ الرسِّ.

ولم يُفَصِّل القرآنُ الحديثَ عنهم، ولم يَقُصَّ قصتَهم، واكتفى بذكْرِ اسْمِهم ضمنَ مجموعةٍ من الأَقوامِ الكافرين السابقين، في سورَتَي الفرقان وقَ. فكانت قصةُ أَصحابِ الرسِّ من مبهماتِ القرآن. ولم يَرِدْ حديثٌ صحيحٌ عن رسولِ الله ﷺ يتحدثُ عنهم. ولذلك لا نتحدَّثُ عنهم، ونكتفي بالإِشارةِ القرآنيةِ المجملة.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٥٣.

ولَسْنا مع البيضاويِّ في ما نَقَلَه عنهم، لأَنه كلامٌ لا دَليلَ عليه، فقد ذَكَرَ خمسةَ أَقوالٍ في تَعيينهم، وكلُّها أَقوالٌ ظنية، والتفاصيلُ التي ذَكَرَها من بابِ الإِسرائيليات التي لم تصحّ عندنا، فنتوقَّفُ فيها، لا نُصدِّقُها ولا نُكذبُها ولا نَرويها.

وما نقلَه البيضاويُّ في تَعيينِ أصحابِ الرس لا يتحملُه القرآن، فإنْ كانَ خطأً فيتحمَّلُ مسؤوليتَه الذين رَووه وذَكروه!!.

وتشكيكُ الفادي في وُجودِ أَصحابِ الرسِّ اتهامٌ وتكذيبٌ منه للقرآن، وتَساؤُلُه عن مكانِ وزمانِ أَصحابِ الرسّ من بابِ خبثِه ولؤمِه: «لماذا لم يُوَضِّحْ لنا القرآنُ ذلك إنْ كانَ للرسِّ وُجود؟!».

إننا نؤمنُ أَنَّ للرسِّ وجوداً، وأنه كانَ قومٌ من الناسِ مُقيمونَ حولها، نؤمنُ بذلك لأَنَّ القرآنَ ذَكَرَ ذلك، وكُلُّ ما وردَ في القرآنِ فهو صادقٌ وصحيحٌ وثابت، لأنه كلامُ الله.

أَما لماذا لم يُوَضِّح القرآنُ زمانَ أَصحابِ الرسِّ أو مكانَهم، ولم يُفصِّلْ قصتَهم مع نبيِّهم، فإنَّ هذا يتفقُ مع منهج القرآنِ في حديثهِ عن قَصصِ السابقين. إنَّ القرآنَ ليس كتابَ تاريخ مُفَصَّل، وحديثُه عن قَصصِ السابقين ليسَ روايةً تاريخيةً فنيةً مفصَّلَة، إنه لا يذكُرُ من أَخبارِ السابقين إِلّا ما فيه عبرةٌ وعِظَة، وهو يعرضُ من أَخبارِهم ما يُحققُ أَهدافَه من الحديثِ عن قَصصِ السابقين، وما يَعرضُه يتناسقُ مع السياقِ الذي وَرَدَ فيه.

وهذا مَعناهُ أَنَّ ما وردَ في القرآنِ من أَخبارِ السابقين هو لَقَطاتٌ ومَشاهد ومواقف قليلة، وما لم يوردْه من تَفاصيلِ أَخبارِهم أَكثرُ مما أَورده، وقد تعَمَّدَ القرآنُ إِبهامَ الكثير من تَفاصيلِ حياتِهم، عن تَعَمُّدٍ وقَصْد، لأَنَّ اللهَ الحكيمَ العليمَ يَذكرُ للناسِ ما يَحتاجونَ إِليه ويستفيدونَ منه، وما طَواهُ عنهم يَعلم أَنهم لا يَحتاجون إِليه!.

المهمُّ أَنَّ ما ذَكَرَه القرآنُ من أَخبارِ السابقين صادقٌ صحيحٌ ثابت، ولا

يُلامُ القرآنُ على ما أَغفَلَه من تفاصيلِ قَصصِ السابقين، إنما يُلامُ أَوْ يتهم إِذا أَخطأَ فيما أَوردَه من قَصصهم!!.

٥٨

حول لقمان الحكيم

في القرآنِ سورةٌ سماها اللهُ سورةَ لقمان، وأَخبرَ المسلمين فيها عن طَرَفٍ من قصةِ لقمانَ الحكيم. وقال فيها: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٢ ـ ١٣].

وذَهَبَ الفادي إِلى تفسيرِ البيضاويِّ ليأخذَ منه مادَّتَه التشكيكيةَ بالقرآن، ونَقَلَ عنه قولَه: «لقمانُ بنُ باعوراء، من أَولادِ آزَرَ، ابنِ أُخْتِ أَيوب أَو خالتِه، وعاش حتّى أَدركَ داودَ عليه الصلاة والسلام، وأَخَذَ منه العلم، وكان يُفتي قبلَ مبعَثِه».

وعلقَ على كلام البيضاويِّ قائلاً: «فكيفَ يكونُ لقمانُ هذا نبيّاً؟ وكيفَ يعتبرُه البيضاويُّ أَنه عاصرَ أيوبَ وعاصَرَ داودَ، وبينَ أيوبَ وداودَ ما يقربُ من تسعمئةِ سنة؟! وأَينَ بلادُ عوصٍ حيث عاشَ أَيوبُ من بلادِ فلسطينَ حيثُ عاشَ داودُ؟!».

لم يُفَصِّل القرآنُ الحديثَ عن لُقمان، وكلُّ ما ذكَرَه عنه أَنه كان رَجلاً مؤمناً بالله، عابداً شاكِراً له، آتاهُ اللهُ الحكمةَ والعلمَ والفهم، وكان داعيةً ناصحاً، وكان له وَلد، فقامَ بواجبِه في نصحِه وتوجيهِه وتذكيرِه وتعليمِه. وقد ذَكرتْ سورةُ لقمانَ طَرَفاً مما وَعَظ ونصحَ به ابْنَه.

ولم تُضِفْ مصادرُنا الإِسلاميةُ اليقينيةُ على ما وردَ في القرآنِ عنه، ولذلك معظمُ ما يتعلقُ بقصتِه من مبهماتِ القرآن، التي لا نملكُ دَليلاً على بيانها، فلا دَليلَ على زمانِه أَو مكانِه، ولا على القومِ الذين كانَ يَعيشُ معهم،

ولا نَعرفُ هل كان نبيّاً أَمْ مجردَ مؤمنٍ عالمٍ حَكيم، ولا نَعرفُ من كلامِهِ ومواعِظِه وحِكمِهِ إِلّا ما وردَ في القرآنِ!.

وهذا معناهُ أَنْ نتوقَّفَ في القولِ بما وَرَدَ عنهُ من أَخبارٍ وأقوالٍ وحِكم، لأَنها من الإِسرائيلياتِ والرواياتِ التي لم تَثْبُت، فلا نُصدقُها ولا نُكذبُها ولا نَرويها.

ولَسْنا مع البيضاويِّ في حديثِه عن لُقْمان، لأَنه لا دليلَ عليه.

وقد كان الفادي مُتَحامِلاً على القرآنِ عندما اعترضَ على كلامِ البيضاوي، وجَعَلَه من أَخطاءِ القرآنِ التاريخية، فما دَخْلُ القرآنِ في كلامِ البيضاوي؟ لا يُسأَلُ القرآنُ إِلّا عن الكلامِ الذي يذكُرُه، ولا يُسْأَلُ عن كلامِ البَشَرِ المفَسِّرين، فهم قد يُخطئونَ وقد يُصيبون!.

لم يُصَرِّح القرآنُ بنبوةِ لقمان، كما أَنه لم يَنْفِ نبوَّتَه، وإِنما سَكَتَ عنها، ولذلك لا نَقولُ بنبوَّته، لأَنه قد لا يكون نبيّاً!! ولا نَنْفي عنه النبوّة، لأَنه قد يكونُ نبيّاً، فالأَسلمُ هو التوقُّفُ في هذا القول، والاعترافُ بقصورِ العِلْم، فنحنُ لا نَعلمُ إِلّا ما عَلَّمَنا اللهُ إِياه، أَو وَفَّقَنا إِليه!.

ثم إِنَّ ما ذكَرَهُ الفادي نَقْلاً عن العهد القديم لا دليلَ عليه، فلا دليلَ على أَنَّ أَيوبَ كانَ قبلَ داودَ عليه السلام بتسعمئة سنة، ولا دَليلَ على أَنَّ أَيوبَ كان ببلادِ عوصٍ العربية، ولم يَقُلْ لنا أَينَ تقعُ بلادُ عوصٍ في الجزيرةِ العربية.

فما عابَه الفادي على البيضاويِّ وَقَعَ هو فيه، وما وَجَّهَهُ إِليه من انتقادٍ يُوَجَّهُ إِليه.

٥٩

بين الإسكندر وذي القرنين

ذَكَرَ اللهُ طَرَفاً من قصةِ ذي القرنَيْن في سورةِ الكهف الآيات (٨٣ ـ ٩٨) وخلاصةُ ما ذكَرَه عنه: أَنه كانَ رَجُلاً مؤمناً صالحاً، وكان قويّاً شُجاعاً ظافراً منصوراً، وقامَ بثلاثِ رحلات، رحلةٍ نحو مغربِ الشمس، فَتَحَ فيها بلاداً،

وأَحسنَ معاملةَ أَهلها، ورحلةٍ نحو مشرقِ الشمس، وصلَ فيها إِلى أرضٍ مكشوفةٍ سهلةٍ منبسطة، ورحلةٍ نحو الشمال، وَجَدَ فيها قوماً ضِعافاً، شكوا إِليه هجماتِ يأجوج ومأجوج، فأَقامَ سَدّاً عالياً بين جبلَيْن، ليقيهم من هجماتِهم.

ورجعَ الفادي إِلى تفسيرِ البيضاوي، وأَخَذَ بعضَ ما قالَه عن ذي القرنَيْن، ونسبَ له قوله: «قالَ البيضاوي وابنُ هشام: إِنَّ ذا القرنَيْن هو إِسكندرُ الأَكبر. وقالَ البيضاوي: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾: يَعني إِسكندرَ الرومي، مَلَكَ فارس والروم، وقيل: مَلَكَ المشرقَ والمغرب، ولذلك سُمِّيَ ذا القرنين، أَو لأَنه طافَ قَرني الدنيا شرقَها وغربَها، وقيلَ: لأَنه انقرضَ قرنان من الناس، وقيلَ: كانَ له قرنان، أَيْ ضفيرتان، وقيل: كانَ لتاجه قَرْنان.. ويُحتملُ أَنه لُقِّبَ بذلك لشجاعتِه، كما يقال: الكبشُ للشُّجاع، كأَنه ينطحُ أَقرانَه. واختُلفَ في نبوَّته مع الاتفاقِ على إِيمانِه وصَلاحِه»[١].

ولا نُوافقُ البيضاويَّ على هذا الكلام، لأَنه ليس عليه دليلٌ من القرآنِ أَو الحديثِ الصحيحِ عن رسولِ الله ﷺ، ولا داعي للأَقوالِ السبعةِ المختلفة التي ذَكَرَها في سببِ تسميته بذي القرنَيْن، ولا داعيَ لترجيحِ أَحَدٍ منها، لأَنها كُلَّها مما لا دليلَ عليه!.

لم يَزِد القرآنُ على وصْفِ ذلك الرجلِ بذي القرنَيْن، وأَبهمَ اسْمَه وزَمانَه ومكانَه، فلا نَعرفُ هل كان نبيّاً أَم لا، ولا نَعرفُ اسْمَه ونَسَبَه، ولا نَعرفُ البلدَ الذي كانَ يحكُمُه، ولا نَعرفُ النبيَّ الذي كانَ في عصره، ولا نَعرفُ تَفاصيلَ رحلاتِه المذكورةِ في سورةِ الكهف، ولا يُمكنُنا تَحديدُ المكانِ الذي وَصَلَ إِليه في الغرب، ولا تحديدُ العينِ الحمئةِ التي وَقَفَ عندها، ولا تَحديدُ المكانِ في المشرق، ولا تَحديدُ المكانِ الذي وَصَلَه في الشمال، ولا السَّد الذي بَناه بين الجبلَيْن، فهذا كُلُّه من المبهماتِ التي لا تَبيينَ لها، لعدمِ وجودِ دليلٍ عليها.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٥٤.

ونَرُدُّ القولَ الذي أَوردَه البيضاوي من أَنَّ ذا القرنين هو الإسكندرُ الأَكبرُ الرومي، ملكُ اليونانِ المعروف، الذي فَتَحَ بلادَ اليونان والرومان وتركيا والشام ومصر وفارس، وماتَ في شبابِه في مدينةِ بابل، كما قالَ المؤرخون.

فهذا القولُ خطأ، وإِنْ قالَ به كثيرٌ من المؤرِّخين والإِخباريّين والمفَسِّرين، لأَنه يَتعارضُ مع القرآن، فالإِسكندرُ المقدونيُّ الرومي كان وثنياً كافراً مشركاً بالله، وذو القرنين كان رَجُلاً مؤمناً صالحاً داعياً إِلى الله، فأَيْنَ هذا من هذا؟!.

إِذنْ أَخْطَأَ البيضاويُّ رَحِمَهُ اللهُ ومَنْ معه عندما قالوا: ذو القرنين هو الإِسكندر! لكنَّهُ خطؤُهم وليسَ خَطَأَ القرآن.

وبهذا نَرُدُّ الأَسئلةَ والإِشكالاتِ التي أَثارها الفادي على حديثِ القرآنِ عن ذي القرنينِ في قوله: «ونحنُ نسأل: كيفَ يَجعلُ القرآنُ إِسكندرَ الأَكبرَ الملكَ اليونانيَّ الوثنيَّ نبيّاً يُخاطبُه اللهُ ويُوحي إِليه؟ وكيفَ يَعْزو إِليه زيارةَ سدودٍ تَحُدُّ الأَرضَ وآبارٍ تَغيبُ فيها الشمس؟ وإِذا كانَ إِسكندرُ عَمَّرَ جيلَيْن كما قالَ البيضاوي، فما كانَ أَقصر أَعمارِ أَهلِ زمانه؟ فالتاريخُ يقولُ: إِنَّ إِسكندرَ توفيَ ابنَ ثلاثٍ وثلاثين سنة في مدينة بابل سنة (٣٢٣ق.م)، وكيفَ يكونُ نبيّاً أَو صالِحاً مؤمناً، وقد كانَ من عبدةِ الأَوثان، وادَّعى أَنه ابنُ آمون إِلٰه المصريين؟!».

إِنَّ الفادي يَفتري ويُغالط وَيَتَلاعب، ويتهمُ القرآنَ بما ليسَ فيه، ويَحَمِّلُه أَخطاءَ المفسِّرين، ويَنسبُ كلامَ المفسِّرين إِلى القرآن.

إِنه يَكذبُ في قولِه: «كيفَ يجعلُ القرآنُ إِسكندرَ الأَكبرَ الملكَ اليونانيَّ الوثنيَّ نبياً يُخاطبُه اللهُ ويوحي إِليه؟». مع أَنَّ القرآنَ لم يَقُلْ ذلك، وإِنما أَخْبَرَ عن ذي القرنين، ولم يُصَرِّحْ بنبوةِ ذي القرنين، فضلاً عن أَنْ يَقول: إِنَّ ذا القرنين هو الإِسكندر، وإِنه نبيّ!.

إِنَّ الذي قَالَ بأَنَّ ذا القرنين هو الإِسكندرُ هو البيضاوي ومَنْ معه من

المفسرينَ والمؤرِّخين، وقد أَخْطَؤوا في كلامِهم كما سبقَ أَنْ قَرَّرْنا، فكيفَ يَنسبُ الفادي المفتري كلامَهم إلى القرآن، ويَجعلُ خَطَأَهم من أخطاءِ القرآن؟!.

وبمناسبةِ اتِّهامِه للقرآنِ وتشكيكِه في معلوماتِه، فقد شَكَّكَ في كلامِ القرآنِ عن العينِ الحمئةِ التي وَصَلَها ذو القرنين، وعن السَّدِّ الذي بَناه. قال: «وإنْ كانت الشمسُ تَغربُ في بئرٍ فهل تَدورُ الشمسُ حولَ الأَرض أَم الأَرضُ حولَ الشمس؟ أَمّا السَّدُّ الذي بَناهُ إِسكندر من زُبَرِ (قِطَعِ) الحَديدِ والنحاسِ بين جَبَلَيْن، أحدهما مأهولٌ بأُمَّةٍ صالحة، والآخَرُ بأُمَّةٍ متوحشةٍ، فلا نَجِدُ له أَثَراً»[1].

وقد سَبَقَ أَنْ نَاقَشْنا الفادي في تشكيكِه في غروبِ الشمسِ في عينٍ حمئة، التي أَخبرَ اللهُ عنها في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦].

أَما تشكيكُه في إِخبار القرآنِ عن سَدِّ ذي القرنين بحجةِ أَنَّ السَّدَّ ليس موجوداً؛ فلا وَزْنَ له، لأَنَّ عَدَمَ وجودِ السَّدِّ على الأَرضِ لا يَعْني أنه لم يُبْنَ ولم يَكُنْ موجوداً من قبل، فمن الراجح عندنا أَنَّ السَّدَّ قد تَمَّ نقضُه وهدمُه، ولم يَعُدْ له أَثَر، لكننا نوقنُ أَنَّ ذا القرنين بَناهُ بين الجبلَيْن من الحديدِ والنحاس، لأَنَّ اللهَ أَخبرَنا عن ذلك في القرآن.

٦٠

الكعبة ومقام إبراهيم عليه السلام

أَخْبَرَنا اللهُ أَنَّ الكعبةَ هي أَولُ بيتٍ وُضِعَ للناسِ لعبادةِ الله. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٦ ـ ٩٧].

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٥٤ ـ ٥٥.

وشَكَّكَ الفادي في هذا واعتبرَهُ من أخطاءِ القرآنِ التاريخية.

ونَقَلَ عن الدكتورِ علي حسني الخربوطلي قولَه: «إنَّ الوثنيّين هم الذين بَنَوُا الكعبةَ لعبادةِ زُحَل والأَصنام، وكان العربُ يحجّونَ إليها لتعظيمِ أَصنامِهِم».

ويُعَلِّقُ الفادي على كلامِ الخربوطلي بأنه من الخطأ اعتبارُ الكعبةِ بيتاً لعبادةِ الله، قال: «من الخَطَأ أَنْ يُقالَ: إنَّ الكعبةَ بيتُ اللهِ أَو مقامُ إبراهيم، فأين بيتُ اللهِ من بيتِ الأَصنام؟».

وما نسبَهُ الفادي إلى الخربوطلي مردود، والدكتورُ علي حسني الخربوطلي مسلمٌ، لا يُخالفُ ما وَرَدَ في القرآن، وهو في كتابه «الكعبة على مر العصور» يذكرُ بعضَ ما قيلَ عن تاريخِ الكعبةِ وماضيها، فذَكَرَ أَنَّ بعضَهم ذهبَ إلى أَنَّ الكعبة بُنيتْ لعبادةِ الكواكبِ والأَصنام، والخربوطلي لا يَقولُ بذلك، لكنه وجدَ هذا القول فسجَّلَه، ضمن أقوالٍ أُخرى، وباعتبارِه كاتباً مسلماً فقد رَجَّحَ ما وَرَدَ في القرآنِ، من أنها أَوَّلُ بيتٍ وُضِعَ لعبادةِ الله!.

ولكنَّ الفادي الخبيث، وَقَفَ أمامَ الأَقوالِ التي أوردَها الخربوطلي، وَرجَّحَ القولَ الذي يتفقُ مع هواه، فاختارَه من بين تلك الأَقوال، ليجعَلَه دَليلاً على خطأ القرآن. وكنا نتمنَّى على الدكتورِ الخربوطلي لو لم يذكُرْ تلكَ الأَقوالَ الباطلةَ المردودة المخالفةَ للقرآن، وأَنْ يكتفي بذكْرِ ما وَرَدَ في القرآن، حتى لا يحتجَّ أَصحابُ الأَهواءِ والمغرضون ـ كالفادي ـ بتلك الأَقوال!!.

والراجحُ في نشأةِ الكعبةِ هو ما قالَه القرآنُ، من أَنَّها أَوَّلُ بيتٍ وُضِعَ للناس لعبادةِ الله، وكان الموحِّدونَ المؤمنونَ يحجُّونَ إليها لعبادةِ اللهِ وحْدَه.

وخَطَّأَ الفادي المفتري القرآنَ في إخبارِهِ أَنَّ إبراهيمَ هو الذي بنى الكعبة، وبقيَ «مَقامُ إبراهيم» الذي كان يَقِفُ عليه أَثناءَ البناءِ بجانبها، قالَ تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾. وزَعَم أَنَّ إبراهيمَ عليه السلام كانَ يُقيمُ في فلسطين، فأَينَ هو من الحجاز؟!. قال: «ومعلومٌ أَنَّ إبراهيمَ كان يَسكنُ أَرضَ

كنعان، ولم يَذهبْ إلى بلادِ العرب، فمن الخطأ أنْ يُقالَ: إنَّ الكعبةَ بيتُ اللهِ أو مقامُ إبراهيم، فأينَ بيتُ اللهِ من بيتِ الأصْنام؟! وأينَ العِبْرِيُّ من العربي؟! وأينَ فلسطينُ من الحجاز؟ وقد أوردَ الدكتورُ طه حسين هذه الفكرةَ في كتابه الشعر الجاهلي»[1].

أمَّا أنَّ إبراهيمَ عليه السلام كان يُقيمُ في الأرضِ المقدَّسَة، فهذا حَقٌّ وصواب، نقولُ به لأنَّ القرآنَ أخبرَ عنه. وكونُه في بلادِ فلسطين لا يمنعُ ذهابَه إلى بلادِ الحجاز، وليسَ في هذا محذورٌ عقلاً، فقد كانَ في العراق، ثم توجَّهَ إلى فلسطين، والمسافةُ بين فلسطينَ والحجازِ ليستْ أبعدَ من المسافةِ بينَ فلسطينَ وجنوبِ العراق، فلماذا صَدَّقَ الفادي وطه حسين قُدومَ إبراهيمَ من العراقِ لفلسطين، ولم يُصَدِّقا ذهابَه من فلسطينَ إلى الحجاز؟ ألأنَّ الخبرَ الأولَ وَرَدَ في العهدِ القديم فَصَدَّقاه، ولأنَّ الخبرَ الثاني لم يَرِدْ في العهدِ القَديم، فلم يُصَدِّقا به؟ ومَنْ قالَ: إنَّ الحقيقةَ محصورةٌ بما وردَ في العهدِ القديم؟ ولماذا لم يُصَدِّقا ما وَرَدَ في القرآن؟ وهو كلامُ اللهِ الثابتُ المحفوظ!.

إنَّ مرجعيتَنا الأُولى هي القرآن، وكلُّ ما وَرَدَ في القرآنِ نُؤمنُ به، وقد نَصَّ القرآنُ على أنَّ إبراهيمَ أتى إلى بلادِ الحجاز، وأسكنَ بعضَ أَهْلِه فيها. قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

كما نَصَّ القرآنُ على أنَّ إبراهيمَ وإسماعيلَ هما اللذان بَنَيا البيتَ الحرام. قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وعلى ضوءِ هذا البيانِ القرآنيِّ الصادقِ يكونُ كلامُ الفادي خَطَأً وباطلاً ومردوداً.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٥٥.

٦١

يمين أيوب والضغث والضرب

أَشارَ القرآنُ إِشارةً مبهمةً مجملةً إِلى يمينٍ حَلَفَه أَيوب، فأَرشَدَه اللهُ إِلى كيفيةِ التحللِ من يمينهِ، وعَدَم الحنْثِ فيه، بأَنْ يأخذَ ضِغْثاً فيضربَ به الطرفَ الآخرَ. قال تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [صَ: ٤٤].

وذهبَ الفادي إِلى تفسيرِ البيضاوي، ليأخذَ منه دليلاً على تخطئةِ القرآنِ في حديثِه عن يمينِ أَيوب عليه السلام. قال: «قال البيضاوي: الضِّغْثُ: الحزمةُ الصغيرةُ من الحشيشِ ونحوه ﴿فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾: رُوِيَ أَنَّ زوجةَ أَيوبَ «ليا بنت يعقوب»، وقيل: «رحمة بنت أَفرايم بن يوسف» ذهبتْ لحاجةٍ فأَبطأَتْ، فحلَفَ إِنْ برئَ أَن يضربَها مئةَ ضربة، فحلَّلَ اللهُ يَمينَه بذلك، وهي رخصةٌ باقيةٌ في الحدود».

وأَثارَ الفادي تشكيكَه وشبهاتِه قائلاً: «ونحنُ نسأل: كيفَ يصحُّ لأَيّوب البارّ، الصبورِ على ضَياعِ أَولادِه وعبيدِه ومواشيه، أَنْ يغضبَ على زوجتِه، وهو المشهودُ له في التوراةِ باللطفِ والحِلْم، وخاصةً مع زوجته، إِذْ قالَ لها: «تتكلَّمين كَلاماً كإِحدى الجاهلات!! آلْخَيْرَ نقبلُ من عندِ اللهِ والشَّرَّ لا نَقْبَل؟». . وكيفَ يصحُّ لأَيوب أَنْ يتوعَّدَ زوجَتَه بالضربِ مئةَ ضربةٍ لمجردِ إِبطائِها؟ وكيفَ يحلفُ لِيَضْرِبَنَّهَا مئةَ سوط، فينصحُه اللهُ أَنْ يأخذَ حُزْمَةً فيها مئةُ عود، فيضربَها بها ضربةً واحدةً فلا تقعُ يمينُه؟ وأَينَ أَيوبُ من يعقوبَ حتى يتزوَّجَ ابنتَه؟ أَو من يوسفَ حتى يتزوَّجَ حفيدتَه؟ والمعروفُ أَنَّ أَيوبَ سابقٌ ليعقوبَ ويوسفَ تاريخياً؟. . وهذه القصةُ موجودةٌ في خرافاتِ اليهودِ القدماء»[1].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٥٥ ـ ٥٦.

لَسْنا مع الإمامِ البيضاويِّ في تبيينِه ما أَبهمه القرآن، لأَنَّه لا دليلَ له على ذلك. فلا نقولُ: إنَّ امرأَتَه هي لَيا بنتُ يعقوب، ولا نقولُ: إنها رحمةُ بنتُ أَفرايم، ولا نقولُ غيرَ ذلك، وبهذا يسقطُ اعتراضُ الفادي على تعيينِ اسمِ زوجتِه، واعتبارُه ذلك من أَخطاءِ القرآن، لأَنَّ القرآنَ لم يُبَيِّنْ ذلك أَصلاً.

ويُخطئُ الفادي في زَعْمِه أَنَّ أَيوبَ كانَ قبلَ يعقوبَ ويوسفَ بفترةٍ طويلة، وأَنه كانَ في بلادِ عوص العربية، والراجحُ من خلالِ حديثِ القرآنِ عن الأَنبياءِ أَنه كانَ من أَنبياءِ بني إِسْرائيل المتأَخِّرين، نقولُ هذا من بابِ الترجيحِ والاحتمال، وليسَ من بابِ الجزمِ واليقين.

ولَسْنا مع الإِمام البيضاويِّ في تَبيينِه سَبَبَ حَلْفِ أَيّوب، وكيفيةَ تكفيرِه عنه، فلا دليلَ عندنا من الآياتِ الصريحة والأَحاديثِ الصحيحة لرسولِ الله ﷺ، على أَنَّ أَيوبَ غضبَ على امرأَتِه لأَنها أَبْطَأَتْ عليه، فَحَلَفَ أَنْ يضربَها مئةَ سوط، وأَرشدَهُ اللهُ إِلى أَنْ يأخذَ غُصْناً به مئةُ عود، فيضربَها به ضربةً واحدةً، لئلا يحنثَ في يمينِه.

وبهذا يسقطُ اعتراضُ الفادي على ما أَوردَه البيضاوي، لأنه اعترضَ على كلامٍ لم يَصِحّ ولم يَثْبُت، وجَعَلَه دليلاً على إِدانةِ القرآنِ وتخطئتِه، مع أَنَّ القرآنَ لم يَقُلْه! وكيفَ يُدانُ القرآنُ ويُخَطَّأُ على كلامٍ لم يَقُلْه؟!.

وعلَينا أَنْ نبقى مع القرآنِ والحديثِ الصحيح في فهمِ ما ذَكَرَه القرآنُ عن قَصَصِ السابقين، ولا يَجوزُ أَنْ نُضيفَ إِليهما كلاماً لأَيِّ شخصٍ آخر، أَو من أيِّ مصدرٍ آخر.

وقد أَبهمَ القرآنُ الحديثَ عن يَمينِ أَيوبَ عليه السلام، واكتفى بإِشارةٍ مجملة: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾.

ومعنى الآية: إِنَّ أَيوبَ عليه السلام حَلَفَ يَميناً أَنْ يَضربَ شَخْصاً ضَرْباً، فَدَعاهُ اللهُ إِلى أَنْ لا يَحنَثَ في يمينِه، وذلك بأَنْ يأخذَ ضِغْثاً فيضربَ به الطرفَ الآخَر، والضِّغْثُ هو القبضةُ من الحشيشِ أَو العيدان؛ يمْسِكُ بها الكَفُّ.

فأَخَذَ أَيوبُ الضِّغْثَ من الحشيشِ أَو العيدانِ وضربَ به الطرفَ الآخَر، وبذلك أَمضى يمينَه ولم يَحْنَثْ!.

وكلُّ كلامٍ إِضافةً على هذا الكلامِ لا دليلَ عليه، ولا يَجوزُ أَنْ نُفَسِّرَ به كلامَ الله، ولذلك نَستبعدُ ما قيلَ بأَنَّ أَيوبَ حَلَفَ على امرأَتِه أَنْ يضربَها مئةَ سوط، وأَنَّ اللهَ أَمَرَهُ أَنْ يضربَها بغصْنٍ فيه مئةُ عودٍ كي لا يَحْنَث!.

٦٢

الصرح الذي بُني لفرعون

أَخْبَرَنا اللهُ أَنَّ فرعونَ أَصَرَّ على كُفْرِهِ وادَّعى الأُلوهية، وطلبَ من وزيره هامانَ أَنْ يَبنيَ له صَرْحاً ليبحثَ عن إِلٰه موسى. قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨].

وقد اعترضَ الفادي على القرآن، وخَطَّأَه، ووضعَ لكلامِه عِنْواناً استفزازيّاً هو: «فرعونُ بنى بُرْجَ بابلَ بمصر!». وهو تهكُّمٌ وسخريةٌ بكلامِ القرآن، فأَينَ برجُ بابلَ الذي في العراقِ من فرعونَ حاكمِ مِصر؟!.

قالَ الفادي في تخطئتِه للقرآن: «ومعلومٌ أَنَّ البرجَ الذي كانَ بنو آدم يَبنونَه ليمسَّ رأْسُه السَّماء، وقد صَنَعوهُ من الطِّينِ اللَّبِنِ المشويِّ بالنّار، هو برجُ بابلَ في بلادِ الكِلْدانيّين، وقد شَرَعوا في بنائِه عقبَ حادثةِ الكِلْدانيّين.. فلا يمكنُ أَنْ يكونَ الآمِرُ بالبرجِ هو فرعون، كما أَنَّ البرجَ لم يُبْنَ في مصر، ولا يُمكنُ أَنْ يكونَ وزيرُ فرعون هو هامانَ الوزيرَ الفارسيّ، وقد بُنِيَ برجُ بابلَ قبلَ فرعونَ بقرونٍ طويلة!»(١).

خَطَّأَ الفادي القرآنَ في حديثِهِ عن صَرْحِ فرعون، بينما اعتمدَ حديثَ سِفْر

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٥٦.

التكوينِ عن برجِ بابل، مع أنها أُسطورةٌ وخُرافة، لا تتفقُ مع الإيمانِ بالله، وخلاصَتُها: أنَّ الناسَ تجمعوا في سهل بابلَ بعدَ انتهاءِ طوفانِ قومِ نوحٍ، فاتفقوا على أنْ يَبْنوا بُرْجاً عالياً، يَمَسُّ رأْسُه السماء، ليخلِّدَ ذكْرَهم على الأرض، ولما شرَعوا في بنائِه، رآهم اللهُ وهو في السماء، وخافَ منهم أَنْ يَصْعَدوا إليه، فقال لمن حَوْلَه من الملائكة: هؤلاء بنو آدم يَبْنون بُرْجَهم إلى السماء، وإنْ تركْناهم وَصلوا إلينا، فَتَعالوا نَنْزِلْ ونُبَلْبِلْ أَلسنَتَهم ونُفرِّقْهم!! فنزل الرَّبُّ إليهم وبَلْبَلَ أَلسنَتَهم، فَتوقَّفوا عن البناء، وتَشتَّتوا وتَفرقوا في الأرض!!.

هذه الأُسطورةُ الخرافيةُ الكافرةُ يُصدِّقُها الفادي لأنها وردَتْ في العهدِ القديم، مع أَنها لا تتفقُ مع قوةِ اللهِ وقدرتِه وعظمتِه وعدلِه، وهي من تأليفِ الأَحبارِ المحَرِّفين للتوراة.

أَما حديثُ القرآنِ عن الصرحِ الذي طَلَبَ فرعونُ من وزيرِه هامانَ أَنْ يبنيَه فإنه يُخَطِّئُه ويَرفضُه، كما يَرفضُ أَنْ يكونَ هامانُ وزيراً لفرعون، لأنه كان وزيراً لملكِ الفرسِ، الذي كان بعدَ فرعونَ بقرون.

والصَّرْحُ هو البناءُ العالي، والأَبنيةُ العاليةُ موجودةٌ في كثيرٍ من المدنِ القديمة، وقد ذَكَرَ القرآنُ صرحَيْن:

الأول: صَرْحُ فرعونَ الذي بَناهُ له هامانُ من الطينِ المحروق، والذي أَخبرتْ عنه آيةُ سورةِ القَصَص: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا﴾ [القصص: ٣٨]. وأَخبرَتْ عنه آيةُ سورةِ غافر: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٦ ـ ٣٧].

الثاني: صرحُ سليمانَ العجيب، الذي فاجأَ به ملكةَ سبأ. قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وبما أَنَّ اللهَ أَخبرَنا عن صرحِ فرعونَ الذي بناهُ له وزيرُه هامانُ فإننا نُصَدِّقُ ذلك ونؤمنُ به، ومعلومٌ أَنَّ الفراعنةَ تركوا خَلْفَهم مجموعةً من الأهراماتِ الأَثرية، والذين بَنَوْا تلك الأَهراماتِ لا يَعجزون عن بناءِ صَرْحٍ عالٍ!!.

وقد سَبَقَ أَنْ ذَكَرْنا أَنه لا تَعارُضَ بين هامانَ المصري، الذي كان وَزيراً لفرعون، والذي ذَكَرَ القرآنُ اسْمَه صريحاً، وبينَ هامان الفارسي، الذي كان وزيراً لملكِ الفرس، فكثيراً ما تتشابَهُ الأَسْماء!.

٦٣

حول الطوفان على المصريين

أَخْبَرَنا اللهُ في القرآنِ أَنَّه لما أَصَرَّ فرعونُ وقومُه على الكفرِ واضطهادِ بني إسرائيل، أَرسَلَ اللهُ عليهم عدةَ آيات، وابتلاهم بعدةِ ابتلاءات، لعلَّهم يَتراجعونَ ويُؤمنون. قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [الأعراف: ١٣٢ ـ ١٣٦].

ذَكَرت الآياتُ خمسَ عقوباتٍ عاقبَ اللهُ بها فرعونَ وقومَه، وهي: الطوفانُ والجرادُ والقُمَّلُ والضفادعُ والدَّمُ، وقد كان عاقبَهم قبلَ ذلك بالمحلِ والجَدْبِ والسنين ونقصِ الثمرات، وَوَرَدَ ذلك في قولِه تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠].

ويبدو أَنَّ هذه العقوباتِ كانَتْ متتابعة: فعاقَبَهم اللهُ أَوَّلاً بالسنينَ والمحلِ ونقصِ الثَّمرات، حيثُ حُبستْ عنهم الأَمْطار، وقَلَّتْ مياهُ نهرِ النيل، وجَفَّتْ مزروعاتُهم، وتَلِفَتْ أَشجارُهم وثِمارُهم... ثم أَرسلَ اللهُ عليهم الطوفان، بأَن

امتلأ نهرُ النيلِ بالمياه، التي أدّى طوفانُها إلى إغراقِ أراضيهم ومزروعاتِهم بالمياه.. ولَمّا انْحَسَرت المياهُ ونَبَتَ الزرعُ أرسلَ اللهُ عليه الجرادَ فقضى عليه... وما سَلِمَ من الزرعِ من الجراد، وحَصَدوه، وخَزَّنوا حُبوبَه، أرسلَ اللهُ عليه «القُمَّلَ» ـ بتشديدِ الميم ـ وهو السّوسُ الذي أكَلَه ونَخَرَه وأفْسَدَه.. أمّا الضفادعُ والدمُ فهما عقوبتان منفصلتانِ عما قبلَهما، ولا نَعرفُ عن تفاصيلِهما، لأنَّ اللهَ لم يُخبِرْنا عن ذلك، فنَكْتَفي بالإشارةِ القرآنيةِ الإجمالية.

وقد رَفَضَ الفادي قَبولَ ذلك، واعتبرَهُ من أخطاءِ القرآنِ التاريخية، وحاكَمَ القرآنَ إلى العهدِ القديم، فوجَدَ فيه الحديثَ عن عَشْرِ ضَرْبات، ضَرَبَ اللهُ بها آل فرعون. قال: «معلومٌ أنَّ اللهَ ضَرَبَ المصريين على يَدِ موسى عَشْرَ ضربات، هي: الدَّمُ، الضفادعُ، البعوضُ، الذُّبّانُ، موتُ المواشي، الدماملُ، البَرَدُ، الجرادُ، الظلامُ، موتُ الأبكار... أمّا الطوفانُ فلم يُصِبْ مصرَ زمنَ فرعون، بل كانَ حَدَثاً مَشْهوراً حَلَّ بقومِ نوح»[1].

وكلامُ الفادي عندنا مَرْدود، وعودَتُه لسِفْرِ الخروجِ لاستخراجِ الضرباتِ الربانيةِ العشرة منه غيرُ صحيحة، لأنَّ الأحبارَ حَرَّفوا أسفارَ العهدِ القديم! فنحنُ لا نعتمدُ ما وردَ فيه، وإنما نعتمدُ ما وَرَدَ في القرآن، فنقول: أرسلَ اللهُ على فرعونَ وقومِهِ الطوفانَ والجرادَ وَالقُمَّلَ والضفادعَ والدم، بعد أنْ أخَذَهم بالسنين ونقصِ الثمراتِ، لعلَّهم يتذكرون!!.

وقد خَطَّأَ الفادي القرآنَ في حديثِه عن الطوفان، الذي عاقَبَ اللهُ به قومَ فرعون، لأنه لا يوجَدُ عندَه إلّا طوفانٌ واحد، وهو الذي عَمَّ الجبالَ والسهول، وأغرقَ قومَ نوحٍ الكافرين! وهذا بسببِ فكرِهِ القاصرِ وعقْلِه الصغير، فالطوفانُ زمنَ نوحٍ عليه السلام طوفانٌ عامٌّ شاملٌ كامل، عمَّ وَجْهَ الأرضِ كُلِّها، لكن هذا لا يَمنعُ وُجودَ وحدوثَ حوادثِ طوفانٍ أُخرى جزئية، ومنها ذلك الطوفانُ الذي أَرسلَه اللهُ على قومِ فرعون!!.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٥٧.

٦٤

حول طالوت وجيشه

أَخْبَرَنا اللهُ في القرآنِ عن قصةِ طالوت، وخلاصَتُها أَنَّ بَني إِسرائيل لما تسلَّطَ عليهم أَعداؤُهم، طَلَبوا من نَبيٍّ لهم أَنْ يجعلَ عليهم مَلِكاً، يَقودُهم لقتالِ أَعدائِهِمْ، فأَخبرهم أَنَّ اللهَ بَعَثَ لهم طالوتَ مَلِكاً، فاعْتَرَضوا عليه بأَنه ليسَ من بيتِ الملوكِ، وليسَ عندَه مال، فأَخبرهم أَنَّ آيةَ مُلْكِه أَنْ يَأْتِيَهم التابوتُ الذي سَلَبَهم إِياهُ أَعداؤُهم.. وخرجَ طالوتُ بالجيش، وطَلَبَ منهم أَنْ لا يَشْرَبوا من النهر، إِلا غَرْفَةً باليد، فشَربوا من النهر إِلا عَدَداً قليلاً منهم، وخاضَ بذلك العددِ القليلِ المعركةَ الفاصلة، وهَزَمَ اللهُ أَعداءَهم، وكانَ داودُ جنديّاً في جيشِ طالوت، وقَتَلَ جالوتَ قائدَ الكفار، وصارَ بعدَ ذلكَ نبياً ومَلِكاً على بَني إِسرائيل. [انظر: سورة البقرة: ٢٤٦ ـ ٢٥٢].

واعترضَ الفادي على عرضِ القرآنِ لقصةِ طالوت، وحاكَمَ القرآنَ إِلى أَسْفارِ العهدِ القديم، وحَكَمَ بخطَأِ ما جاءَ في القرآنِ مُخالِفاً لكلامِ الأَحْبار. وقال: «والقصةُ أَنَّ صموئيلَ النبيَّ مَسَحَ شاولَ الملك ـ الذي يُسميه القرآنُ طالوتَ لِطولِ قامتِه ـ ملكاً على بني إِسرائيل، وفي أَيامِه بارزَ داودُ جالوتَ ـ الذي هو جُولْيات ـ وقَتَلَه، ونَصَرَ اللهُ بني إِسرائيل.. غير أَنَّ القرآنَ خَلَطَ هذه القصةَ بحكايةِ جيشِ جَدْعون، الذي امتحنَهُ بالشربِ من النهر، عندما حارَبَ المدْيانيّين، واعتبرَ أَنَّ شاولَ أَو طالوتَ هو جَدْعون، واعتبرَ أَنَّ الحربَ مع الفلسطينيِّين هي الحربُ مع المديانيين، مع أَنَّ بينَ الحادثتين زَمَنٌ مديد!»[١].

إِنَّ المرجعَ والمعتمَدَ هو القرآن، فإِذا قالَ القرآنُ قَوْلاً، وقالَ الكتابُ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٥٨.

المقَدَّسُ قولاً خالفه، حَكَمْنا بخطأ قولِ الكتابِ المقَدَّس، واعتمدْنا قولَ القرآن.

الكتابُ المقدَّسُ سَمّى الملكَ شاول، والقرآنُ سماهُ طالوت! والصحيحُ أَنَّ اسْمَه طالوت. وسَمّى الكتابُ المقدسُ قائدَ الأَعداءِ جوليات، والقرآنُ سَمّاهُ جالوت! والصحيحُ أَنَّ اسْمَه جالوت. وأَخبرَ القرآنُ أَنَّ طالوتَ هو الذي امتحنَ جُنودَه بالنهرِ الذي مَرّوا به، وطلبَ منهم أَن لا يَشربوا منه إلّا غَرفةً باليد، فَشَربوا منه إلا قَليلاً منهم، وأَخبرَ الكتابُ المقَدَّسُ أَنَّ الذي امتحنَ الجنودَ بالنهرِ هو جدعون، وكان قائداً لبَني إسْرائيل، ظهرَ قَبْلَ طالوتَ بفترة! والصحيحُ هو ما ذكره القرآن.

ولذلك كان الفادي مخطئاً في تخطئةِ القولِ الصحيحِ في القرآن.

٦٥

حول كلام عيسى في المهد

أَخبرَ اللهُ أَنَّ عيسى عليه السلام تكلمَ في المهد، أَيْ كَلَّمَ الناسَ وهو على حضْنِ أُمِّه. قال تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٦] وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [المائدة: ١١٠].

وذَكَرَ القرآنُ أَنَّ عيسى تكلمَ في المهدِ مرتَيْن:

المرةُ الأُولى: بعد أَنْ وَلَدَتْه أُمُّه مباشرة، فناداها مِنْ تحتها، ودَعاها إلى عَدَمِ الحُزْن، وأَرشَدَها إلى الطعامِ والشرابِ، وعدم كلام الناس. قال تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٤ ـ ٢٦].

المرةُ الثانية: بعدما حملَتْه وذهبَتْ به إلى قومِها، وتَعَجَّبوا من الأَمْرِ، وسأَلوها عن تفسيرِ الأَمْر، فلم تُكلمْهم، وأَشارَتْ إليه وهو على حضْنِها،

فكلَّمهم بلسانٍ فصيح، وقَدَّمَ نفسه إليهم.. قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٢٩ ـ ٣٣].

ولكنَّ الفادي كَذَّبَ القرآنَ وخَطَّأه، وحاكَمَهُ إلى كتابه المقدَّس. قال: «ويقولُ الكتابُ المقدَّس: إنه لما جاءَ المسيحُ في الجَسَدِ كان يَنْمو نُمُوّاً طبيعياً، سواءٌ في بَدَنِه أو عَقْلِه وتفكيرِه. فقالَ الإنجيل: «وأَمّا يَسوعُ فكان يتقدَّمُ في الحكمةِ والقامةِ والنعمة، عندَ اللهِ والناس» فلم يَحدثْ أَنْ تكلمَ المسيحُ في المهد»(١).

وإن كلام الفادي المفتري مردود، ومحاكمته القرآن إلى الكتاب المقدس خطأ منهجي منه، لأن القرآن هو الأصل والمرجع، وبما أنه ذكر أن عيسى عليه السلام تكلم في المهد، فقد تكلم عيسى في المهد.. ثم إنه ليس في الأمر ما يدعو للاستغراب أو الإنكار، لأن كلامه في المهد لم يكن أمراً مألوفاً معتاداً، وإنما كان آية خارقة من آيات الله! والله الذي خلق عيسى عليه السلام من غير أب هو الذي أنطقه في المهد!!.

٦٦

عيسى ومعجزة خلق الطير

أَخبَرَنا اللهُ أَنَّ عيسى عليه السلام كان يَصنَعُ من الطينِ شَكْلاً على هيئةِ الطير، ثم ينفخُ فيه فيكونُ طائراً حَيّاً بإذْنِ الله. قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٥٨.

﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠].

وعَلَّق الفادي على هذا بِكلامٍ غامِض؛ قال فيه: «يَقولُ المسلمون: إِنَّ المسيحَ لما كان صَبِيّاً خَلَقَ من الطِينِ طَيْراً.. ويؤمنُ المسيحيّون أَنَّ المسيحَ كلمةُ الله، وهو الذي (كُلُّ شيءٍ به كان، وبغيرِه لم يكنْ شَيْءٌ مما كان)، ولكنّهم يؤمنونَ أَنَّ المسيحَ لما تَجَسَّدَ لبثَ ثَلاثينَ سنة قبلَ أَنْ يبدأَ في الكرازةِ وعَمَلِ المعجزات»[١].

لم يُصرح الفادي باعتراضِه على القرآن، ولم يُوَضِّحْ ما يريدُ من كلامِه عن المسيحِ عليه السلام، فما معنى جملة «كُلُّ شيء به كان، وبغيرِه لم يكنْ شيءٌ مما كانَ»!.

ظاهرُ هذه الجملةِ أَنَّ كُلَّ شيء في الوجودِ متعلقٌ ومرتبطٌ بعيسى عليه السلام، وبدونِه لا يوجَدُ شيء!! وهذا من صفاتِ اللهِ الخالق، وليسَ من صفاتِ عيسى المخلوق، فهذه صورةٌ من صورِ إِشراكِ النصارى، حيثُ أَشركوا عيسى بالله في الخلقِ والقوةِ والفعلِ والتصرُّف، وكأَنَّ عيسى عليه السلام هو المتصرفُ في الأَشياء، والقائمُ عليها، والحافظُ لها!!.

ومع ذلك اعترضَ الفادي على القرآن، وخَطَّأَهُ في إِخبارِه عن معجزةٍ باهرةٍ لعيسى عليه السلام، حيث كانَ يأْخُذُ طيناً، ويَصنعُ منه تِمثالاً على شَكْلِ طائر، ثم يَنفخُ فيه، فتدبُّ فيه الروح، ويَصيرُ طائِراً حيّاً، وهذا بإِذْنِ اللهِ سبحانه... فاللهُ في الحقيقةِ هو الذي جَعَلَه حَيّاً، ونفخةُ عيسى عليه السلام ما هي إِلّا سببٌ ماديّ، لأَنَّ المسبِّبَ والخالقَ والمريدَ هو الله عز وجل.

وبما أَنَّ القرآنَ صَرَّحَ بذلك، فإِنَّنا نؤمنُ به ونُصَدِّقُه، ونَعتبرُه معجزةً من معجزاتِ عيسى عليه السلام، أَجْراها اللهُ على يَدَيْه.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٥٩.

٦٧

من هو المصلوب؟

الْتَبَسَ على النَّصارى صَلْبُ عيسى عليه السلام، كما الْتَبَسَ على اليَهود.. وحَلَّ القرآنُ الإشكالَ، وأَزالَ اللَّبْسَ، لكنَّ النَّصارى لم يُصَدِّقوا القرآن.

قال الله عز وجل: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦ ـ ١٥٨].

واعترضَ الفادي على نَفْيِ القرآن قَتْلَ عيسى عليه السلام وصَلْبَه، واعتبرَه خَطَأً من أَخطاءِ القرآن، واستغربَ من إنكارِ القرآنِ أَمْراً مُجْمَعاً عليه بينَ اليهودِ والنصارى واليونان والرومان.

ونُسجلُ اعتراضَ الفادي قبلَ أَنْ نُفَنِّدَه: «لماذا ينكرُ القرآنُ صَلْبَ المسيحِ وقَتْلَه بأَيدي اليهود، مع أَنَّ اليهودَ يَعْترفون بذلك، والنصارى يُؤَكِّدونه ويَفْتَخرون به؟ والإنجيلُ كُلُّه هو خَبَرُ صَلْبِ المسيحِ والبشارةِ به، كَفادٍ للبشر؟.

ويذكُرُ القرآنُ في مواضعَ أُخرى موتَ المسيحِ وقيامتَه، وارتفاعَه إلى السماء. كقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٦]، وفيه يَقولُ المسيحُ: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ [المائدة: ١١٧]، ويقولُ أَيضاً: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣].

أَليسَ غريباً أَنْ يَجيءَ مَنْ يُنكرُ صَلْبَ المسيحِ بعدَ حدوثِه بستمئة سنة؟!. إنَّ حادثةَ الصَّلْبِ حقيقةٌ تاريخية، سَجَّلَها اليونانُ والرومانُ واليهودُ والمسيحيون.. وفي مجمع «نيْقية» الذي انعقدَ سنةَ (٣٢٥م) كتبَ أَساقفةُ العالَمِ المسيحيِّ قانونَ الإيمان، مُقَرِّراً صَلْبَ المسيحِ لأَجْلِ خَلاصِنا، وهو القانونُ

الذي يَتْلوهُ كُلُّ مسيحيٍّ في كُلِّ كنيسة، في كلِّ مكانٍ وزمان! وآثارُ المسيحيينَ في القرونِ العشرين الفائتة في كُلِّ أنحاءِ العالَم تحملُ شاراتِ الصليب؟ فكيفَ ينكرُ أَحَدٌ تاريخيةَ الصَّليب؟!»[1].

يُؤمنُ كُلُّ النصارى أَن اليهودَ والرومانَ قَتَلوا عيسى عليه السلام وصَلَبوه، وأَنَّ روحَه خرجَتْ على الصَّليب، وبعد ثلاثةِ أيامٍ من دفْنِه رُدَّتْ إِليه روحُه، فقام من قَبْرِه، وصَعَدَ إِلى السماء!.

وكانَ اليهودُ يَتَباهون ويَتَفاخَرون بقتْلِ عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾.. أَما النَّصارى فقد جَعَلوا الصليبَ جُزْءاً من عقيدتِهم ودينهم، والشعارَ المميزَ لهم عن باقي أَتْباعِ الأَدْيان، وَوَضَعوا الصليبَ في أَعناقِهم وعلى كنائِسهم وملابِسهم ومرافقِ حياتهم.. فإِذا نفى القرآنُ صَلْبَ عيسى عليه السلام نَفْياً صَريحاً فإِنَّ النصرانيةَ تَتَهاوى من أَساسِها، ولذلك كَذَّبَ الفادي القرآنَ في نفيهِ صَلْبَ عيسى عليه السلام!.

وعندَ النظرِ في كَلامِ القرآنِ عن الصَّلْبِ نَرى أَنه لم يَنْفِ الصَّلْبَ جملةً وتَفْصيلاً، وإِنما نفى صلبَ عيسى عليه السلام، وكَذَّبَ اليهودَ في ادِّعاءِ ذلك.. قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾؛ فنفى أَنْ يَكونوا قَتَلوا عيسى عليه السلام أَوْ صَلَبوه.

ويُقررُ القرآنُ أَنَّ المختَلِفين في موضوعِ القتلِ والصلبِ من اليهودِ والنَّصارى في شكٍّ منه، لم يَصِلوا إِلى اليقين، لأَنهم لا يَنْطَلقونَ من العِلْم، وإِنما يَتَّبِعونَ الظَّنَّ، والظَّنُّ لا يوصِلُ إِلى يقين: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ...﴾.

ويؤكِّدُ القرآنُ مرةً أُخرى أَنهم لم يَقْتُلوا عيسى يَقيناً، لأَنَّ اللهَ العزيزَ الحكيمَ رَفَعَهُ إِليه: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

وتَدلُّ الجملُ القرآنيةُ السابقةُ على أَنَّ القرآنَ لم يَنْفِ الصلبَ مُطْلَقاً،

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٥٩ ـ ٦٠.

وإنما نفى صَلْبَ عيسى عليه السلام، فاليهودُ والرومانُ أرادوا صَلْبَ عيسى عليه السلام، ولكنَّ الله حَماهُ وعَصَمه منهم، ورفَعَهُ إلى السماءِ حَيّاً بِجسْمِه وروحِه.. أمّا هم فقد صَلَبوا رَجُلاً آخر، وكُلُّ ظَنِّهم أنه عيسى! فقالَ اليهود مُتَبَجِّحين: إنّا قَتَلْنا المسيحَ عيسى ابنَ مريمَ رسولَ الله ﷺ.

معنى قوله تعالى: ﴿وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾: شُبِّهَ لهم أَمْرُ الصَّلْبِ والقَتْل، والْتَبَسَ عليهم، وَوَقَعوا في لَبْسٍ وشَبَهٍ بشأْنِه! وهذا معناهُ أنهم قَتَلوا وصَلَبوا شَخْصاً مَشْبوهاً، وكلُّ ظَنِّهم أنه عيسى، مع أَنَّ المقتولَ المصلوبَ لم يكنْ عيسى، إنما كانَ شَخْصاً آخر.

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾: لم يقتل اليهودُ عيسى عليه السلام يَقيناً، ولم يكن الشخصُ المقتولُ المصلوبُ عيسى حقيقة، إنما كانَ شَخْصاً آخَرَ غَيْرَه، بينما كان عيسى في السماء!!.

وهذا معناهُ أَنَّ هُناكَ شخصاً مقتولاً مصلوباً، يَجزمُ اليهودُ والنصارى والرومانُ وغيرُهم أنه المسيحُ عيسى ابنُ مريم رسولُ الله، ويَنفي القرآن الذي أَنزلَه اللهُ بعد ستمئة سنةٍ من الحادثةِ أَنْ يكونَ عيسى، ويُشيرُ إلى أَنَّه شخصٌ آخرُ غير عيسى!! فمن هو هذا الشخصُ الآخَرُ المقتولُ المصلوب؟!.

لم يتحدَّثْ عنه رسولُ اللهِ ﷺ في حديثٍ صحيحٍ مرفوع، وذَكَرَ قِصَّتَه الصحابيُّ الجليلُ عبدُ الله بن عباس رضي الله عنهما. وهو أَصَحُّ ما جاءَ في مصادِرِنا الإسلامية، بشأْنِ الأحداث الخطيرة في تلك الليلة، ورواية ابن عباس تتفق مع حديث القرآن عن عدم قَتْلِ عيسى وصَلْبِه، وتُشيرُ إلى شخصيةِ القَتيل.

ونسجل فيما يلي رواية ابن عباس، وتمهيد ابن كثير لها، وحديثه عن أحداث تلك الليلة المثيرة:

قالَ ابنُ كثيرٍ في تفسيره: «وكانَ من خبرِ اليهودِ ـ عليهم لَعائنُ اللهِ وسَخَطُه وغَضَبُه وعِقابُه ـ أَنه لما بَعَثَ اللهُ عيسى ابنَ مريم بالبيناتِ والهدى، حَسَدوه على ما آتاهُ اللهُ من النبوة، والمعجزاتِ الباهراتِ التي كان يُبرئُ بها الأَكْمَهَ والأَبرصَ

ويُحيي الموتى بإِذْنِ الله. . . فخالَفوه وكَذَّبوه، وسَعَوْا في أَذاهُ بكُلِّ ما أَمْكَنَهم، حتى جعلَ نبيُّ اللهِ عيسى عليه السلام لا يُساكنُهم في بلدة، بل يُكثِرُ السياحةَ هو وأُمُّه. . .

ثم لم يُقْنِعْهم ذلك حتى سَعَوا إِلى ملكِ دمشق في ذلك الزمان ـ وكانَ رَجُلاً مشركاً من عبدةِ الكواكب، وكانَ يُقالُ لأهْلِ مِلَّتِه: اليونان ـ وأَنْهَوْا إِليه أَنَّ في بيتِ المقدسِ رجلاً يَفتنُ الناسَ ويُضِلُّهم، ويُفسِدُ على الملكِ رعاياه. . فغضبَ الملكُ من هذا، وكتبَ إِلى نائبِه بالقُدْس، أَنْ يَحتاطَ على هذا المذكور، وأَنْ يَصْلُبَه، ويَضَعَ الشوكَ على رأسِه، ويكفَّ أذاهُ عن الناس. . فلما وَصَلَ الكتابُ امتثلَ والي القدس ذلك.

وذهبَ هو وطائفةٌ من اليهودِ إِلى البيتِ الذي فيه عيسى عليه السلام، وهو في جماعةٍ من أَصحابِه، اثْنَيْ عشر رجلاً.

فلما أَحَسَّ عيسى بهم، وأنه لا مَحالةَ من دخولِهم عليه، أَو خروجِه إِليهم، قالَ لأَصحابِه: أَيكم يُلْقىٰ عليه شَبَهي، وهو رفيقي في الجنة؟.

فانتدبَ لذلك شابٌّ منهم، فكأَنه استصغَرَه، فأَعادَها ثانيةً وثالثة، وكُلُّ ذلك لا يَنْتِدبُ إِلّا ذلك الشّابّ. . .

فقالَ له عيسى: أَنتَ هو!! وأَلقى اللهُ شَبَهَ عيسى عليه، فكأَنَّه هو!!.

وفُتِحَتْ «رُوزَنَةٌ» من سَقْفِ البيتِ، وأَخَذَتْ عيسى عليه السلام سِنَةٌ من النوم، فرُفعَ إِلى السماءِ وهو كذلك. . . فلما رُفعَ عيسى من سَقْفِ البيت، خَرَجَ أُولئك النفرُ من البيت.

فلما رأى اليهودُ والجنودُ ذلك الشابَّ ظَنّوه عيسى، فأَخَذوهُ في الليل وصَلَبوه، وَوَضَعوا الشوكَ على رأْسِهِ. . وأَظهرَ اليهودُ أنهم سَعَوْا في صَلْبِه، وتَبَجَّحوا بذلك. . وسَلَّمَ لهم طوائفُ من النصارى ذلك؛ لجهْلِهم وقلةِ عَقْلِهم. . ما عدا مَنْ كانَ في البيتِ مع المسيح، فإِنهم شاهَدوا رَفْعَه. . وأَما الباقونَ فإِنهم ظَنُّوا كما ظَنَّ اليهودُ أَنَّ المصلوبَ هو المسيحُ ابنُ مريم. . . حتى ذَكَروا أَنَّ مريمَ جَلَسَتْ تحتَ ذلك المصلوبِ وبَكَتْ.

وهذا كلُّهُ من امتحانِ اللهِ لعبادِه، لما لَه في ذلكَ من الحكمةِ البالغة.
وقد أَوضحَ اللهُ الأَمْرَ وجَلّاه وأَظْهَرَه وبَيَّنَه في القرآنِ العظيم، الذي أَنزلَه على رسولِه الكريم ﷺ، حيثُ بَيَّنَ أَنهم ما قَتَلوا عيسى عليه السلام وما صَلَبوه، ولكن شُبِّهَ لهم، حيثُ أَلْقىٰ اللهُ شَبَهَه على ذلك الشّابّ، فَبَدا لهم عيسى، فقَتَلوه وصَلَبوه، ظانّينَ أَنَّه عيسى! وأَخبرَ اللهُ أَنَّ الذينَ اخْتَلَفوا في عيسى عليه السلام من اليهودِ الذين ادَّعَوْا قَتْلَه، والنصارى الجُهّالِ الذين سَلَّموا لهم بذلك، كُلُّهم في شَكٍّ وحَيْرةٍ وضَلالٍ من ذلك! وأَخبرَ أَنهم ما قَتَلوه مُتَيَقِّنين أَنه هو، وإِنما كانوا شاكّين مُتَوَهِّمين. . .
قالَ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: «لما أَرادَ اللهُ أَنْ يرفعَ عيسى عليه السلام إِلى السماء، خَرَجَ على أَصحابِه، وفي البيتِ اثْنا عَشَرَ رَجُلاً من الحواريِّين، خَرَجَ عليهم من عينٍ في البَيْت، ورأْسُه يَقطرُ ماءً، فقالَ: إِنَّ منكم مَنْ يكفرُ بي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مرة، بعد أَنْ آمَنَ بي!.
ثم قال: أيكم يُلْقىٰ عليه شَبَهي، فيُقْتَلُ مكاني، ويَكونُ معي في دَرَجتي؟.
فقامُ شابٌّ من أَحْدَثِهم سِنّاً، فقالَ له: اجلسْ! ثم أَعادَ عليهم، فقامَ ذلك الشابُّ، فقالَ له: اجلسْ! ثم أَعادَ عليهم، فقامَ ذلك الشاب، فقال: أنا! فقالَ له عيسى عليه السلام: هو أَنت!!.
فأُلْقِيَ عليه شَبَهُ عيسى عليه السلام، ورُفِعَ عيسى من «روزَنَةٍ» في البيتِ إِلى السماء، وجاءَ الطَّلَبُ من اليهود، فأَخذوا الشَّبَهَ، فقَتَلوه، ثم صَلَبوه. .»[١].
وعلى ضوءِ كلامِ ابن عباسٍ رضي الله عنهما وابنِ كثيرٍ رحمه الله، يمكنُ أَنْ نَتَصَوَّرَ أَحداثَ تلك الليلةِ المثيرةِ كما يَلي:
١ ـ نجحَ اليهودُ في إِقناعِ الحاكمِ الروماني في إِلقاءِ القبضِ على عيسى عليه السلام.

(١) تفسير ابن كثير: ١/ ٥٤٣ ـ ٥٤٤.

٢ ـ توجَّهَتْ مجموعةٌ من الجنودِ الرومانِ واليهودِ إلى المكانِ الذي فيه عيسى عليه السلام.

٣ ـ كان عيسى عليه السلام في أَحَدِ بيوتِ القُدْس في تلك الليلة، وكانَ معه اثْنا عَشَرَ رَجُلاً من الحوارِيّين.

٤ ـ عَلِمَ عيسى عليه السلام بقدومِ الجنودِ لاعْتِقالِه وقَتْلِه، فلم يَخَفْ ولم يَقْلَقْ ولم يَحْزَنْ، لأَنَّه يوقِنُ أَنَّ اللهَ معه، بِحِفظِه وعنايتِه ورعايتِه.

٥ ـ أَخبرَ اللهُ عيسى عليه السلام أَنهم لن يَصِلوا إِليه، وطَلَبَ منه أَنْ يَنتدبَ من أَتْباعِه شاباً، ليُلقيَ شَبَهَهُ عليه.

٦ ـ أَخبرَ عيسى عليه السلام الحواريّين أَنَّ الله سيحميه، وعَرَضَ عليهم أَنْ ينتدبَ أَحدهم ليفديَه بنفسِه، بأَنْ يُلْقىٰ عليه شَبَهُه، فيُؤْخَذَ ويُقْتَلَ ويَموتَ شهيداً، ويكونَ معه في الجنة.

٧ ـ استجابَ لعيسى عليه السلام شابٌّ من أَصْغَرِ الحوارِيّين سِنّاً، وبقيَ اسْمُه مبهماً.

٨ ـ أَجرى اللهُ على ذلك الشابِّ الفدائيِّ آيَته الخارقة، فَحَوَّلَه إِلى عيسى، بأَنْ أَلْقىٰ شَبَهَه عليه، بحيثُ لا يَشُكُّ مَنْ رآهُ أَنه عيسى.

٩ ـ رَفَعَ اللهُ رسولَه عيسى عليه السلام إِلى السماء، بعدَ أَنْ أَلْقى عليه النَّوْم، وكانَ الحواريّون معه في البيت، فرأَوْه وقد أُلْقِيَ عليه النوم، ورأَوْهُ وهو يُرْفَعُ من فتحةٍ في البيت!.

١٠ ـ لما دخلَ الجنودُ واليهودُ البيتَ، رأَوْا أَمامَهم «عيسى»، وهو في الحقيقةِ «عيسى المُتَحَوِّلُ»، شبيهُ النبيِّ عيسى الذي رُفِعَ إِلى السماء.

١١ ـ أَخَذَ الجنودُ عيسى المتحوِّلَ، وهم لا يَشُكّونَ أَنه عيسى المطلوبُ، ولم يَنْفِ الشّابّ أَنَّه عيسى.

١٢ ـ لا نَعرفُ ماذا جَرى للحوارِيّين الأَحَدَ عَشَرَ الذين كانوا في البيت، هل هَرَبوا أَم اعْتُقِلوا، أَم اعْتُقِلَ بعضُهم وهربَ آخرون.

١٣ ـ أَخَذَ الجنودُ «عيسى الثاني الشّبيه»، وصَلَبوهُ على الخشبة، وقَتَلوهُ على الصَّليب، ولقيَ وَجْهَ اللهِ شهيداً، بينما كان عيسى الرسولُ عليه السلام في السماء.

١٤ ـ كان الناسُ يَأْتونَ إلى الشّابِّ المقتولِ المصلوب، ولا يَشُكّونَ أنه عيسى، لأَنَّ اللهَ أَلْقى شَبَهَه عليه، فأَنزلوه عن الصَّليبِ ودَفَنوه.

١٥ ـ كان اليهودُ فَرِحين شامِتين، لأَنهم قَتَلوا عيسى وصَلَبوه، وأَذاعوهُ في الناس، وقالوا: إنا قَتَلْنا المسيحَ عيسى ابنَ مريمَ رسولَ الله.. بينما كانَ القتيلُ عيسى الشبيه.

١٦ ـ لَم يَعلم النَّصارى ماذا جَرى من معجزاتٍ ربانيةٍ في تلك الليلة، وأَيْقَنوا أَنَّ الشابَّ الذي خَرَجَتْ روحُه على الصليب، ودُفِنَ في الأَرضِ هو عيسى رسولُ الله، عليه الصلاة والسلام، وقالوا: قَتَلَ اليهودُ رسولَنا وصَلَبوه.

١٧ ـ صَبَّ اليهودُ والرومانُ العذابَ على الحواريّين والمؤمنين بعيسى عليه السلام، وقَتَلوا منهم وصَلَبوا، وشَرَّدوا وطَرَدوا.. ولم يلتقطْ ذلك الجيلُ من النصارى أَنفاسَهم ليُفَكِّروا بتَأَنٍّ وتَمَهُّلٍ فيما جرى في تلك الليلةِ المثيرة.

١٨ ـ بقيتْ حقيقةُ ما جَرى في تلك الليلةِ خافيةً على اليهودِ والنصارى، وهم يوقنون أَنَّ المقتولَ المصلوبَ هو عيسى رسولُ الله عليهِ الصلاة والسلام، حتى بَعَثَ اللهُ محمداً رسولاً صلى الله عليه وسلم، بعد ستة قُرون، وأنزل عليه القرآن، وَوَضَّحَ حقيقةَ الأَمْرِ وأَزالَ اللبس، وذَكَرَ أَنَّ المصلوبَ هو ذلك الشابُّ الفدائيُّ الشهيد، وأَنَّ عيسى الرسولَ عليه السلام في السماء!!.

معنى قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾

ادّعى الفادي أَنَّ القرآنَ ذَكَرَ موتَ عيسى عليه السلام. قال: «ويذكُرُ القرآنُ في مواضِعَ أُخرى موتَ المسيح، وقيامتَه وارتفاعَه إلى السماء، كقوله: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ

أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [المائدة: ١١٧]، وقوله: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ [مريم: ٣٣]»[1].

وهذا فهمٌ خاطئٌ للآياتِ الثّلاث، فهي لا تتحدَّثُ عن موتِ عيسى عليه السلام على الصليب، ثم دفنِه وقيامتِه، وإنما تتحدَّثُ عن موتِه، وبعثِه يومَ القيامة.

معنى آيةِ سورةِ مريم: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾: أَنَّ اللهَ سيمنَحُه السلام، ويُنْجيه من الخَطَرِ في المواطنِ الثلاثةِ التي يتعرَّضُ فيها الإنسانُ لخطرٍ كبير: يومَ ميلادِه، ويومَ موتِه، ويومَ بعثِه حَيّاً يومَ القيامة!.

والمرادُ بقولِه: ﴿وَيَوۡمَ أَمُوتُ﴾: موتُه الحقيقيُّ بعدَ إنزالِه على الأرضِ قُبَيْلَ قيامِ الساعة، حيثُ سيُنزلُهُ اللهُ حاكِماً بدينِ الإسلام، وسيكسرُ الصَّليب ويقتلُ الخنزير، ويضعُ الجزية، ويُقاتلُ النَّصارى، ولا يقبلُ منهم إلّا الإسلام.. ثم يموتُ الموتةَ التي كَتَبَها اللهُ على كُلِّ مخلوقٍ حيٍّ، ثم يُصَلي عليه المسلمونَ ويَدفنونه.

والمرادُ بقولِه: ﴿وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾: بَعْثُه يومَ القيامة، معَ باقي الأنبياءِ والإنسِ والجِنّ.

فليس المرادُ بقولِه: ﴿وَيَوۡمَ أَمُوتُ﴾: موتَهُ على الصليبِ وخروجَ روحِه عليه. كما أنه ليس المرادُ بقولِه: ﴿وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾: قيامَه من قبرِه الذي دَفَنوهُ فيه، بعد ثلاثةِ أَيامٍ من صَلْبِه ودَفْنِه.

أمّا معنى آيةِ سورةِ آلِ عمران: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ فإنه يَحتاجُ إِلى توضيح، لنفي اللَّبْسِ وحَلِّ الإشكال.

﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ في الآيةِ خبرُ «إنَّ» مرفوعٌ بضمةٍ مقدَّرةٍ على الياء، وهو اسْمُ فاعلٍ من الفعلِ الخُماسيّ: تَوَفّى. تقول: تَوَفّى، فهو المتوفّي.

والتوفّي في القرآنِ قد يُسْنَدُ إلى الله. قالَ تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٥٩.

ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠].

وقد يُسْنَدُ إلى الملائكة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النساء: ٩٧].

وقد يُسْنَدُ إلى مَلَكِ الموت؛ قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١].

وقد يُسْنَدُ إلى الموتِ نفسِه؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥].

والتَّوَفّي المسنَدُ إلى اللهِ في القرآنِ ليس كُلُّه بمعنى الموت، بل إنه يَرِدُ فيه بمعنَيَيْن:

الأوّل: الموتُ. فاللهُ يتوفّى الناسَ؛ أيْ: يُميتُهم ويَقبضُ أرواحَهم. قال تعالى: ﴿فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ [يونس: ١٠٤] وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ...﴾ [النحل: ٧٠].

الثاني: النّومُ. فاللهُ يتوفّى النّاسَ. أي: يجعلُهم ينامون. قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الأنعام: ٦٠].

ومعنى الآية: اللهُ يجعلُكم تَنامون في الليل، ويَقبضُ أرواحَكم أثناءَ نومِكم، ثم يُعيدُ أرواحَكم إلى أجسادِكم عند استيقاظِكم، ويبعثُكم في النهار.

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢].

اعتبرت الآيةُ النومَ مَوْتاً، وقَسَّمت الناسَ بالنوم إلى قسمَيْن:

هناك أُناسٌ يَنامونَ، ويَموتون أثناءَ النّوم، لأن اللهَ أنهى آجالَهم أثناءَ النوم، وقبضَ أرواحَهم، ولم يُرْجِعْها إلى أبدانِهم: ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾.

وهناك أُناسٌ يَنامونَ، ويتوفّى اللهُ أرواحَهم أثناءَ النوم، ثم يُعيدُها إلى

أجسادِهم عند الاستيقاظ، لأنه بَقيَتْ في أعمارِهم بقية: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾.

والفريقان يتوفّاهم اللهُ أثناءَ نَومِهم: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَاۖ﴾.. والتوفّي معناه القبضُ، أيْ: اللهُ يَقبضُ أرواحَ الأنفس كُلِّها حينَ نومِها، فإن انتهى عُمْرُ بعضِ الأنفسِ أمسكَ أرواحَها أثناءَ نومِها، وإنْ بقيتْ في عمرِ بعضِ الأنفسِ بقيةٌ أعادَ لها أرواحَها.

وتدلُّ الآياتُ السابقةُ على أنَّ التوفّي في القرآنِ بمعنى: «القبضِ» والتغييب. وهذا القبضُ والتغييبُ نوعان: قبضُ نَوْمٍ.. وقَبْضُ مَوْت.

فالتوفّي في القرآنِ نوعان: تَوَفّي نَوْم.. وتوفّي مَوْت.

والمعْنَيانِ مذكورانِ في قصةِ عيسى ﷺ: فاللهُ تَوَفّى عيسى ﷺ تَوفّي نَوم، ثم سيتوفّاهُ توفّي مَوْت...

التوفّي الأوّل: وَرَدَ في قولِهِ تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾: أي: إنَّني أُلقي عليكَ النَّوْم، وأتَوَفّاكَ تَوَفّي النَّوْم، وأقبضُكَ أثناءَ نومك، وأرفعُك إليَّ وأنت نائم، وأُطَهِّرُكَ من الذينَ كفروا.

التوفّي الثاني: وَرَدَ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ﴾ [المائدة: ١١٧] أيْ: لما أمَتَّني وقَبَضْتَ روحي، كنتَ أنْتَ الرقيبَ عليهم.

والخلاصةُ: توفّى اللهُ عيسى ﷺ تَوَفّي نَوْم، وذلك عندما أتاهُ الجنودُ واليهودُ لقَتْلِه وصَلْبِه، فحماهُ اللهُ منهم، وألْقى عليه النوم، وتوفّاهُ وقَبَضَه أثناءَ نومِه، ورَفَعَه إليه، وجَعَلَه في السَّماء، وهو حيٌّ بروحِه وجسمِه في السماءِ، حياةً خاصةً معجزة، ليستْ كحياتِنا.. وسيَنزلُ قُبيلَ قيامِ الساعة.

وسوفَ يَتَوَفّى اللهُ عيسى ﷺ تَوَفّي الموت، عِندما يُنزلُه في آخِرِ الزمان، ويَعيشُ بين المسلمين ما شاءَ اللهُ له أنْ يَعيش.. ثم يتوفّاهُ اللهُ بقبضِ روحِهِ وموته...

هذا ما قَرَّرَهُ القرآنُ بشأنِ تَوَفّي عيسى ﷺ، وهو الحَقُّ الذي لا خَطَأَ فيه والله أعلم!!.

❖ ❖ ❖

الفصل الثالث

نقض المطاعن الأخلاقية

٦٨

الرخصة لمن أكره على الكفر

رَخَّصَ اللهُ لمنْ أُكْرِهَ على الكفرِ أنْ يَنطقَ بكلمةِ الكُفْر. قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النحل: ١٠٦].

تُهَدِّدُ الآيةُ من ارْتَدَّ عن الإسلام، وعادَ إلى الكفر، وشَرَح صَدْرَه بالكفر، وتتوعَّدُه بالغضبِ من الله، والعذابِ العظيمِ في الآخرة. و«مَنْ» في أوَّلِ الآيةِ اسْمُ شَرْط. وجملةُ ﴿كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾ فعْلُ الشرط، وجَوابُ الشرطِ مَحْذوف، والتقدير: فهو مُؤاخَذٌ مُعَذَّب. والمعْنى: مَنْ كَفَرَ باللهِ مُخْتاراً راضياً، وعادَ إلى الكفرِ بعدَ الإيمان، برضاهُ واختيارِه، فهو الملعونُ المغضوبُ عليه الخاسرُ.

وتَستثني الآيةُ من التهديدِ والوعيدِ الذي أُكْرِهَ على الكفر، وتُرَخِّصُ له بالنطقِ بكلمةِ الكفرِ بسببِ الإكراه: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾.

ونزلت الآية في ما جَرى لعمارِ بنِ ياسر رضي الله عنه، عندما أَكْرَهَه الكفارُ على النطقِ بكلمةِ الكفر.

قالَ ابنُ كثير: «عَنْ أبي عبيدةَ محمدِ بنِ عمارِ بنِ ياسر قال: أَخَذَ المشركونَ عمّارَ بنَ ياسر، فَعَذَّبوهُ حتى قارَبَهم في بعضِ ما أرادوا، فشكا ذلك إلى النبيِّ ﷺ فقالَ النبيُّ ﷺ: «كيفَ تَجِدُ قَلْبَك؟». قال: مطمئنّاً بالإيمان. قال: «إنْ عَادوا فَعُدْ..» فأنزلَ اللهُ قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ..﴾[1].

(١) تفسير ابن كثير: ٢/٥٦٨.

ولما أرادَ الفادي أَنْ يُثيرَ إشكالاً على الآية، ذَهَبَ إلى تفسيرِ البيضاوي، ونَقَلَ منه ما قيلَ عن نُزولِ الآيةِ فيما جَرى لعمارِ بنِ ياسر رضي الله عنه، وهو بمعنى الروايةِ السابقةِ عندَ ابنِ كثير في تفسيره. وعَلَّقَ البيضاويُّ على الآيةِ والروايةِ بقوله: «وَهوَ دَليلٌ على جَوازِ التكلم بالكفرِ عندَ الإكراه. . .».

وعَلَّقَ الفادي على كلامِ البَيْضاويِّ بقوله: «ونحنُ نسأل: هل من الأَمانَةِ أَنْ يُزَوِّرَ الإنسانُ في عقيدتِه ويُنْكِرَ إلهه الحَيَّ في سبيلِ إرضاءِ النّاس؟ قالَ المسيحُ: ومَنْ أَنْكَرَني قُدّامَ الناس، يُنْكَرُ قُدّامَ ملائكةِ الله»[1].

واعتراضُ الفادي على الآيةِ لا قيمةَ له، لأَنَّ الآيةَ تتحدَّثُ عن رخصةٍ رَخَّصَ اللهُ بها لبعضِ المسلمين، أَنْ يَنْطِقوا بكلمةِ الكفر، عندما يُكْرَهون على ذلك، بمعنى أنهم إنْ لم يَنْطِقوا قُتِلوا، وبعضُ الناسِ قد يُحِبُّ الحياةَ، فتُجيزُ له الآيةُ ذلك بشرطِ أَنْ تكونَ كلمةً باللسان، للنَّجاةِ من القَتْل، وأَنْ يكونَ القلبُ مطمئِنّاً بالإيمان.

ومع أَنَّ الإسلامَ يُجيزُ النطقَ بكلمةِ الكفْرِ للنجاةِ من القَتْلِ إلّا أَنَّ الأَوْلى والأَفضلَ للمسلمِ أَنْ لا يَنطقَ بها، وأَنْ يَثْبُت على الإيمانِ حتى لو أَدّى ذلك إلى قَتْلِه.

قالَ ابنُ كثير: «. . اتفقَ العلماءُ على أَنَّ المكْرَهَ على الكفرِ يَجوزُ له أَن يُوالي، إبقاءً لمهْجَتِهِ، ويَجوزُ له أَنْ يأْبىٰ، كما كانَ بلالٌ رضي الله عنه يأْبىٰ عليهم ذلك، وهم يفعلونَ به الأَفاعيل، حتى إنهم ليَضَعُونَ الصخرةَ العظيمةَ على صَدْرِه، في شدةِ الحَرّ، ويأْمرونَه بالشِّرك، فيأْبىٰ عليهم وهو يقول: أَحَدٌ، أَحَدٌ. . ويقول: واللهِ لو أَعلمُ كلمةً هي أَغيظُ لكم منها لقُلْتُها. رضيَ اللهُ عنه وأَرضاه. وكذلك حَبيبُ بنُ زَيْدٍ الأنصاري، لما قالَ له مسيلمةُ الكذاب: أَتشهدُ أَنَّ محمداً رسولُ الله؟ فيقولُ: نعم. فيقولُ: أتشهدُ أَني رسولُ الله؟ فيقولُ: لا أَسمع! فلم يَزَلْ يُقَطِّعه إِرْباً إِرْباً وهو ثابتٌ على ذلك»[2].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٦٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢/٥٦٨.

وقد كان الفادي صاحبَ هوى خبيثاً في نَقْلِه عن تفسيرِ البيضاوي، حيثُ أَخَذَ منه ما يوافق هواه، ليتَّهمَ القرآنَ ويُخَطِّئَهُ. فبعدَما ذَكَرَ البيضاويُّ نُزولَ الآيةِ في حادثةِ عمارِ بن ياسر، واستدلَّ بها على جوازِ التكلم بالكفر عند الإكراه، ذكَر أَنَّ الأَوْلى والأَفضلَ للمسلم أَنْ لا يَنطقَ بالكفر، وأَنْ يَثبتَ على الإِسلام، حتى لو أَدّى ذلك إلى قَتْلِه.. قال: «.. وهو دليلٌ على جَوازِ التكلمِ بالكفرِ عندَ الإكراه.. وإنْ كانَ الأَفْضَلَ له أَنْ يَتَجَنَّبَهُ عنه، إعْزازاً للدين، كما فعلَه أَبُو عمار، ولِما رُوِيَ أَنَّ مسيلمةَ أَخَذَ رجلَيْن، فقالَ لأَحَدِهما: ما تقولُ في محمد؟ قال: هو رسولُ الله ﷺ. قال: فما تقولُ فِيَّ؟ قال: أَنتَ أَيضاً رسولُ الله!! فَخَلّاه. وقالَ للآخَر: ما تقولُ في محمد؟ قال: هو رسولُ الله ﷺ. قال: فما تقولُ فِيَّ؟ قال: أَنا أَصَمّ. فأَعادَها عليه ثلاثاً، فأَعادَ جوابَه، فقَتَلَه.. فبلغَ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «أَمّا الأَوّلُ فقد أَخَذَ برخصةِ الله، وأما الثاني فقد صَدَعَ بالحقِّ، فَهنيئاً له»(1).

ولو كان الفادي يَتصفُ بالموضوعيةِ والأَمانةِ العلميةِ لَذَكَرَ كَلامَ البيضاويِّ كاملاً، وَذكَرَ ما رَجَّحَه البيضاويُّ من أَنَّ الأَفضلَ للمسلمِ أَنْ لا يأخذَ بالرخصة، وأَنْ يَثبتَ على الحَقِّ حتى لو قُتِل! ولكنه غيرُ أَمينٍ على العلمِ والنقل.

٦٩

العفو عن لغو اليمين

قال الله ﷻ: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

تُخبرُنا الآيةُ أَنَّ اللهَ يَعفو عن لَغْوِ اليَمين، ولا يُؤاخِذُ بها، ولا يُحاسِبُ

(١) تفسير البيضاوي: ٣/ ٢٤١ ـ ٢٤٢.

عليها، وهو يُؤاخِذُ باليمينِ المقصودَة، التي يَعقدُها القلبُ ويَقصدُها ويتعمدُها.

وحتى يُثيرَ الفادي الشبهاتِ حول الآيةِ ذَهَبَ إلى تفسيرِ البيضاوي، لعلّه يَجدُ عندَه ما يُريد. قالَ: فَسَّرَها البيضاويُّ بقولِه: «اللَّغْوُ: هو الساقطُ الذي لا يُعْتَدُّ به من كلامٍ وغيرِه.. ولَغْوُ اليمين ما لا عَقْدَ له، كالذي سَبَقَ به اللِّسان، أو تكلمَ به جاهِلاً لمعناه، كقولِ العرب: لا واللهِ، وبلى واللهِ، لمجردِ التأكيدِ لقولِه.

﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: المعنى: لا يُؤاخذُكم اللهُ بعقوبةٍ ولا كَفارة بما لا قَصْدَ منه، ولكن يُؤاخِذُكم بهما أو بإِحداهما بما قصدتُم من الأَيْمان، وواطَأَتْ فيها قلوبُكم أَلسنَتَكم.

وقالَ أَبو حنيفة: اللغوُ هو أَنْ يَحلفَ الرجلُ بناءً على ظَنِّه الكاذبِ. والمعنى: لا يُؤاخذُكم بما أَخطأْتُم فيه من الأَيْمان، ولكنْ يعاقبُكم بما تعمدتُم الكذبَ فيه»[1].

ذَكَرَ البيضاويُّ قولَيْن في معنى لَغْوِ اليمينِ الذي لا يُؤاخَذُ صاحِبُه به:

الأول: هو الكلامُ الذي يَسبقُ به اللسانُ عندَ الكلام، فينطقُ به بدونِ قَصْدٍ ولا تَعَمُّد، كقولِ الرجلِ أثناءَ كلامِه: لا والله، وبلى والله. وهذا هو قولُ الجمهورِ من الفقهاءِ والمفَسِّرين. ويُؤَيِّدُهُ ما صَحَّ عن عائشة ﵂ أنها قالت: «إنما اللغوُ في المزاحِ والهزل، وهو قولُ الرجل: لا والله، وبلى والله، فذاك لا كفارةَ فيه، إنما الكفارةُ فيما عَقَدَ عليه قَلْبُهُ أَنْ يَفْعَلَه ثم لا يَفْعَلُه».

الثاني: هو أَنْ يَحلفَ الرجلُ اليمينَ بناءً على ظَنِّه، وهو يَعتقدُ أَنه صادِق. ثم يَظهرُ له أَنَّهُ أَخطأَ في ظَنِّهِ ويمينِه، فهذا لا يُؤاخَذُ به مع أَن يمينَه غيرُ صحيح، لأَنَّ اللهَ لا يُؤاخِذُ بالخَطأ. وهذا هو فهمُ أَبي حَنيفة. ويُؤَيِّدُه ما صَحَّ عن عائشةَ أَيضاً ﵂ أنها قالَتْ: «لَغْوُ اليمينِ هو الشيءُ يَحلفُ عليه

(١) تفسير البيضاوي: ١/ ١٤٠.

أَحَدُكُم لا يُرِيدُ منه إلّا الصِّدْق، فيكون على غيرِ ما حَلَفَ عليه»(١).

وهذا الكلامُ الواضحُ لم يعجب الفادي المفْتَري، واعْتَرَضَ عليه وخَطَّأَهُ قائلاً: «ونحنُ نسأَلُ: هل من مُقَوِّماتِ النّبل والشَّرفِ أَنْ يَكْذِب الإِنسانُ؟! يقولُ المسيح: ليكنْ كلامُكُم: نَعَمْ، نَعَمْ.. لا، لا.. وما زادَ على ذلك فهو من الشِّرِّير»(٢).

ولا أَدري كيفَ فهِمَ الفادي الغبيُّ من كلامِ البيضاويِّ السابقِ أَنَّ القرآنَ يُجيزُ للإِنسانِ المسلمِ الكذبَ، ولذلك خَطَّأَ القرآنَ!!.

القرآنُ لا يُجيزُ الكذبَ، ولا يُشَجِّعُ عليه، ولا يَدْعو إِليه، كما فَهِمَ هذا الغبيّ، وقد حَرَّمَ الكذبَ، وتَوَعَّدَ الكاذبين والمكَذِّبين بالعَذابِ الشديد يومَ القيامة، وعلى هذا آياتٌ كثيرة.

وما قالَه أَبو حنيفة في بيانِ لَغْوِ اليمينِ ليسَ معناهُ مَدْحَ الكذبِ أَو الدعوةِ إِليه أَو التشجيعِ عليه! إِنَّ الإِنسانَ قد يُخطئُ في ظَنِّه، ومن ثم قد يَحْلِفُ على ما ظَنَّه، فَيُخطئُ في يمينِه، بناءً على خطئِه في ظَنِّه.. ويكونُ هذا اليمينُ الخطأُ من بابِ اللَّغْو في اليمين، وهو ليس كذِباً، لأَنَّ الكذبَ هو ما قَصَد الإِنسانُ أَنْ يَنطقَ به، وتَعَمَّدَ أَنْ يَكونَ كلامُهُ غيرَ صحيح! وهذا أَمْرٌ بَدَهيٌّ مُقَرَّرٌ لا شَكَّ فيه.

٧٠

حول إعطاء المؤلفة قلوبهم

أَجازَ الإِسلامُ إِعطاءَ المؤلَّفةِ قُلوبُهم من الزكاة، وَوَرَدَ هذا في قولِه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

(١) تفسير ابن كثير: ١/ ٢٥٣.

(٢) هل القرآن معصوم؟، ص٦٤.

وذَهَبَ الفادي إلى تفسيرِ البيضاويِّ ليُثِيرَ الشبهاتِ على المؤلَّفةِ قلوبُهم. قال: فَسَّرَها البيضاويُّ بقوله: «المؤلفة قلوبهم»: قومٌ أَسْلَموا ونيتُهم ضعيفةٌ فيه، فَيَسْتَأْلِفُ قُلوبَهم.. أو هم أشرافٌ قد يَترقَّبُ بإعطائِهم ومراعاتِهم إسلامَ نُظرائِهم. وقد أَعطى رسولُ اللهِ ﷺ عيينةَ بنَ حِصْن والأَقرعَ بنَ حابس والعباسَ بن مرداس لذلك. وقيل: هم أَشرافٌ يُسْتَأْلَفون على أَنْ يُسْلموا، فإنَّه ﷺ كان يُعطيهم.. والأصحُّ أنه ﷺ كان يُعطيهم من خُمُسِ الخُمُس، الذي كانَ خاصَّ مالِه، وقد عَدَّ منهم مَن يُؤَلِّفُ قَلْبَه بشيءٍ منها على قتالِ الكفارِ ومانعي الزكاة.. وقيل: كان سهمُ المؤلَّفَةِ لتكثيرِ سَوادِ الإِسلام، فلما أعزه اللهُ وأَكثرَ أَهْلَهُ سقط[1].

ذَكَرَ البيضاويُّ ثلاثةَ أَصنافٍ من المؤلَّفةِ قلوبُهم الذين يُعْطَوْنَ من الزكاة:

١ ـ منهم من دَخَلوا في الإِسلام، لكنَّ نيتَهم في الإِسلامِ ضعيفة، فيُعطونَ من الزكاةِ لتتأَلَّفَ قلوبُهم، ويتقوّى إِيمانُهم، ويَثْبُتوا على إسلامِهم.

٢ ـ ومنهم مَنْ هم أشرافٌ في أَقوامِهم، فيُعْطَوْنَ من الزكاةِ طَمَعاً في إِسلامِهم وإِسلامِ أَتْباعهم.

٣ ـ ومنهم مَنْ يُرْجىٰ منه قِتالُ الكافرين ومانِعي الزكاة، فيُعْطَوْنَ من الزكاةِ للاستفادةِ منهم ومن قُوَّتِهم.

وذَكَرَ البيضاويُّ قَوْلاً آخَرَ يَرَىٰ أَنَّ المؤلَّفَةَ قلوبُهم أُعْطوا من الزكاة، لما كانَ المسلمونَ قَلائل، وكانَ الإِسلامُ ضعيفاً، فلما أَعَزَّ اللهُ الإِسلامَ والمسلمين لم يَعودوا يَحتاجونَ إلى تأليفِ قُلوبِ الناس، وبذلك سَقَطَ سهمُ المؤلَّفَةِ قلوبُهم من الزكاة!.

وقد اعترضَ الفادي على هذا، وجَعَلَ عنوانَ اعتراضِه مُثيراً، هو «تَحليلُ الإِغراءِ بالمال». وقالَ في اعتراضِه وتشكيكِه: «ونحنُ نسأَلُ: هل يُبيحُ الدينُ الإِغراءَ بالمالِ للدُّخولِ فيه؟ وهل يُؤْجَرُ النّاسُ ويُرْشَوْنَ لِيُهَدِّدوا ويَقْتُلوا الذينَ

(١) تفسير البيضاوي: ٣/ ٨٦.

لا يَرغبونَ فيه؟ وهل هذا المالُ يُعْتَبَرُ زكاةً وصدقة، أَمْ يُعتَبَرُ رشوةً ومفسدة»[١].

إنَّ إعطاءَ المؤلَّفَةِ قلوبُهم نَصيباً من الزكاةِ ليس رشوةً لهم، ولا إغراءً لهم بالمال، ولا اسْتِئْجاراً لهم ليَقْتُلوا الآخَرين، إنما هو تأليفٌ لقلوبِهم، وترغيبُهم للإقبالِ على الإسلام، وتقديمُ هديةٍ ماليةٍ لهم، وهذه الهديةُ لمصلحةِ الإسلامِ والمسلمين. وإنَّ اللهَ الذي شَرَعَ هذا الحكم، وأَذِنَ للمسلمينِ أَنْ يُعْطوا المؤَلَّفَةَ قلوبُهم، جُزءاً من زَكَواتِهم، يَعلمُ أَثَرَ المالِ في النفوس وتغييرِ مواقِفِها، وترسيخِ وتَثبيتِ قناعاتِها، ولذلك أَذِنَ بإعطاءِ المؤلَّفَةِ قلوبُهم من الزكاةِ، لتثبيتِ الإيمانِ في قلوبِهم.

ثم إنَّ هذا التشريعَ ليسَ للوجوب، وإنما هو للإباحَة، ويُمكنُ أَنْ يَتَوَقَّفَ المسلمون عنه أَحياناً، ولذلك ذَهَبَ بعضُ العلماءِ إلى توقيتِه بأَيّامِ الإسلامِ الأُولى، حيث كان المسلمونَ ضُعفَاء، أَما بَعْدَما انتصرَ المسلمونَ وانتشرَ الإسلامُ فلم تَعُدِ الحاجةُ قائمةً لتأْليفِ قلوبِ الناس، فأَسْقَطوا سهمَ المؤلَّفَةِ قُلوبُهم، قالوا: لا نَحتاجُ إلى تأْليفِ قلوبِهم، فمن شاءَ فلْيُؤْمن، ومَنْ شاءَ فليكْفُر!!.

٧١

حول آيات الجهاد والقتال

اعترضَ الفادي على آياتِ الجهادِ والقتالِ في القرآن، فأَوردَ سِتَّ عشرةَ مجموعةً من تلك الآيات، تحت عنوانِ «تَحْليل القتل»، أَيْ أَنَّ القرآنَ يُحَرِّضُ على القَتْل، ويجعلُه حلالاً، ويَجعلُ صاحبَه مأْجوراً.

والآياتُ التي أَوردَها هي:

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٦٤.

١ - قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ [الأنفال: ٦٥].

٢ - قولُه تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧].

٣ - قولُه تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

٤ - قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣].

٥ - قولُه تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٤ - ٦].

٦ - قولُه تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

٧ - قولُه تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

٨ - قولُه تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٤].

٩ - قولُه تعالى: ﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ١٢ - ١٣].

١٠ - قولُه تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ

كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٣٩].

١١ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

١٢ ـ قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

١٣ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦۚ﴾ [التوبة: ١١١].

١٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢١].

١٥ ـ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

١٦ ـ قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧].

اعترضَ الفادي المفتري على هذه الآيات، وأَنْكَرَها وخَطَّأَها، ونفى أَنْ تكونَ من عند الله، لأنها تَدعو إِلى القَتْلِ وسَفْكِ الدماءِ ونَهْبِ الأَموال! قال: «ونَحنُ نَسأل: هل يُكْرِهونَ الناسَ على قَبولِ الدينِ بالسَّيْف؟ وإذا كانَ القَتْلُ مُحَلَّلاً فما هو الحَرام؟ وكيفَ يُحَرِّضُ نبيٌّ على القِتالِ وانتهاكِ الأَشهرِ الحُرُم، وتَجهيزِ القبائل بالعَتادِ والسُّيوفِ ليَقْتُلَ ويَنْهَب؟ ويَقولُ: إِنَّ هذا في سبيلِ اللهِ والدّين؟ ويُغْري أَتْباعَه بالغنائم، وأَخْذِ الجزيةِ في الدنيا، والجنةِ والحورِ العينِ في الآخِرة؟! ولقد جاءَ في حديثِ مسلمٍ أَنَّ محمداً قال: «اغْزُوا باسْمِ الله،

في سبيلِ الله، واقْتُلوا مَنْ كَفَرَ بالله، اغْزُوا ولا تَغْدُروا ولا تُمَثِّلوا، ولا تَقْتُلوا وَليداً»[1].

إنّنا نَعلمُ أَنَّ اليهودَ والنَّصارى وباقي طوائفِ أَعداءِ المسلمينِ تُزْعِجُهم آياتُ الجِهادِ والقِتال، وهم يُحاربونَ مبدأَ الجهادِ والقتالِ في الإِسلام، ويَحرصونَ على قَتْلِ روحِ الجهادِ في نفوسِ المسلمين.. في الوقتِ الذي لا يتوقَّفون هم عن الطمعِ في بلادِ المسلمين، وحشْدِ الجيوشِ للعُدوانِ عليهم، ومحاربتِهم واحتلالِ بلدانِهم، ونَهْبِ خيراتِهم، والقضاءِ على دينهم.. كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧].

ولا عَجَبَ في أَنْ يَشُنَّ الأَعداءُ حربَهم الشرسةَ على الجهادِ والقتالِ في الإِسلام. ولا عَجَبَ في أَنْ يُشارِكَ الفادي المفتري في هذه الحربِ الفكريةِ التدميرية، ولا عَجَبَ في أَنْ يَعترضَ على الآياتِ التي سَجَّلَها، وأَنْ يُنكرَها ويَرفضَها، وأَنْ يَعتبرَها من أَخطاءِ القرآنِ الأَخلاقية!.

أَما نحنُ فإِننا نعلمُ أَصالةَ الجهادِ في الإِسلام، وكونَه من مقاصدِ القرآن، وهو يُشغلُ جانباً كبيراً في الفكْرِ والتصورِ والعلمِ والمعرفةِ والثقافةِ في الإِسلام.

وإِذا كانَ الكفارُ المعادون لا يتوقَّفون عن العدوان على المسلمين، فكيفَ يُريدُ الفادي المفتري وإِخوانُه، من المسلمين أَنْ يُلْغوا هذا الجانبَ الإِسلاميَّ الكبير، وأَنْ يَتَحَوَّلوا إِلى مسالمين ومستسلمين، يَفْتَحون للمحتلّين بِلَادهم وبيوتَهم، فإِنْ فَكَّروا في جهادِهم ومواجهتِهم ورَدِّ عدوانِهم وتحريرِ البلادِ منهم كانوا مجرمين إِرهابيّين؟!.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٦٥ ـ ٦٦.

٧٢

حول إباحة الغنائم

الغنائمُ هي ما يأخذُه المجاهدون من الأعداء المحاربين، عندما يَهزمونَهم، وهذه الغنائمُ تَشملُ الأموالَ والسِّلاحَ والدّوابّ، ومختلفَ الأشياءِ المنقولة.

وقد أباحَ اللهُ للمجاهدينَ أَخْذَ تلك الغنائم، فقالَ تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٩].

وبَيَّنَ في القرآنِ كيفيةَ توزيعِ الغنائم، وذلك في قولِه تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١].

واعترضَ الفادي على إباحةِ الغنائم للمجاهدين، وذلك في قوله: «ونَحنُ نَسألُ: هل يَأْمُرُ اللهُ بقَتْلِ النّاسِ ونَهْبِ أَموالِهم، ويَقولُ: إنَّ هذا حلالٌ طَيِّب؟ هل يُحَلِّلُ اللهُ أموالَ الغَيْر؟»(١).

لم تَكن الغنائمُ مُباحَةً عندَ السابقين، كاليهودِ والنَّصارى، وعندما كانوا يُقاتِلونَ أَعداءَهُم ويَهزمونَهم كانوا يَأْخُذونَ الغنائمَ منهم، ويَجمعونها، ثم يُشعلونَ فيها النارَ ويَحرقونَها، وكانوا يُعاقِبونَ مَنْ أَخَذَ منها.

ولذلك أَخْبَرَنا رسولُ الله ﷺ أَنَّ اللهَ أَحَلَّ الغنائمَ له ولأُمَّتِه، فقال: «وأُحِلَّتْ ليَ الغَنائم، ولم تُحَلَّ لأَحَدٍ منْ قَبْلي».

ولا معنى لاعتراضِ الفادي المفتري على إباحةِ الغنائم، وعلى أَخْذِ الغنائمِ من الأعداء، فالأَعداءُ يَعْتَدونَ على المسلمين ويُحاربونَهم ويَهجمونَ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٦٦.

عليهم، وأَمَرَ اللهُ المسلمينَ بردِّ عُدوانِ المعْتَدين، ومحاربةِ المحاربين، والوقوفِ أَمامَ الطامِعين فيهم، وأَوجبَ على المسلمين جهادَهم وقِتالَهم وقَتْلَ مَنْ يَقْدِرونَ عليه منهم. وجَميعُ الأَديانِ والشرائعِ والمذاهبِ والمناهجِ توجبُ على الناسِ مواجهةَ المعْتَدين، والدِّفاعَ عن الأَوطانِ والأَمْوال. ومن غيرِ المقبولِ والمعقولِ أَنْ يُشَجِّعَ المعْتَدون المحتلّون، وأَنْ يُدْعىٰ المعْتَدىٰ عليهم إِلى محبةِ المعْتدين، واستقبالهم بالورودِ وأَغْصانِ الزيتونِ والأَحْضان!!.

يُريدُ الفادي من قومِهِ أَنْ يُحاربوا المسْلِمين، وأَنْ يَحْتلوا بلادَهم ويَنْهبوا أَموالَهم، فإِنْ قامَ المسلمونَ بواجِبِهم في الجهادِ وردِّ العُدْوان، رَفَعَ صوتَه بالاعتراضِ والإِنكارِ، وقال: «هل يأْمُرُ اللهُ بقَتْلِ الناسِ ونَهْبِ أَموالِهم، ويَقولُ: إِنَّ هذا حَلالٌ طَيِّبٌ؟! هل يُحَلِّلُ اللهُ أَموالَ الغير؟!».

ونحنُ بالمقابلِ نَسْأَلُ المفتري: هل أَباحَ اللهُ للصليبيّين ـ الذينَ يَزْعمُونَ الإِيمانَ بالنصرانيةِ والإِنجيل ـ احتلالَ بلادِ المسلمين، وسَفْكَ دمائِهم، ونَهْبَ أَموالِهم؟! وهل أَباحَ اللهُ للمستعْمِرينَ الإِنجليزِ والفرنسيينِ والإِسبانِ والطليانِ والأَمريكانِ احتلالَ بلادِ المسلمين في هذا الزمان ونَهْبَ أَموالِهم ومواردِهم؟!.

لماذا يُنكرُ الفادي على المسلمينَ جهادَ وقِتالَ المعتدينَ المحاربينَ المحتلّين، ولا يُنْكِرُ على أُولئك المعتدينَ عُدْوانَهم واحتلالَهم ونَهْبَهم؟!.

وعندما يحاربُ الأَعداءُ المسلمينَ فإِنهم يستخدمونَ الأَموالَ والسلاحَ لحربِهم، وعندما ينتصرُ المسلمونَ عليهم ويَهزمونَهم، فإِنهم يَسْتَوْلون على بَعْضِ الأَموالِ والسلاحِ والعَتادِ والمَتاع، فماذا يَفعلونَ بها؟ هل يُعيدونَها للأَعداءِ المقاتلين، ليستَعينوا بها على قتالِ المسلمين؟ أَمْ يَحرقونَها بالنارِ كما كانَ يَفعلُ اليهودُ في العهد القديم؟.. لقد أَباحَ اللهُ للمسلمين أَخْذَ تلك الغنائم، والاستفادةَ منها والانتفاعَ بها، وقالَ لهم: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾.

واللهُ حكيمٌ في أَمْرِ المؤمنين بقتالِ المقاتِلين، لأَنَّ البادئَ أَظْلَم، وهو حكيمٌ في إِباحةِ الغنائمِ للمجاهدين، لأَنَّ في أَخْذِها من الأَعداءِ المقاتلينَ

إِضْعافٌ لهم. واعتراضُ الفادي على حكْمِ اللهِ الحكيم دليلُ جَهْلِه وتحامُلِه! وهو لا وَزْنَ له، لأَنه يعترضُ على الصحيحِ، ويُخَطِّئُ الصَّواب!!.

٧٣

حول قسم الله بمخلوقاته

أَقسَمَ اللهُ بكثيرٍ من مخلوقاتِه في القرآن، بحيثُ أَصبحَ القَسَمُ بها ظاهرةً من ظواهرِ التعبيرِ القرآني.

وقد ذَكَرَ الفادي بعضَ الآياتِ التي أَقْسَمَ اللهُ فيها ببعضِ مخلوقاتِه؛ منها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ١ ـ ٥].

وعَلَّقَ الفادي المفتري على هذه الآياتِ بقولِه: «فصاحِبُ القرآنِ يُقسِمُ بالفجرِ، والليالي العشرِ الأَخيرةِ من رمضان، وبالأَشياءِ كُلِّها شَفْعِها وَوَتْرِها، وبالليلِ المدْبِر، ويقولُ: إِنَّ أَقسامَه هذه لذي عَقْل!»[(١)].

ومن كَيْدِ الفادي ولُؤْمِه أَنه لم يَقُل: «الله يقسم بالفجر»، وإِنما قالَ: «فصاحبُ القرآنِ يُقسِمُ بالفجر»! ومن هو صاحبُ القرآنِ في نظرِه؟ إِنه لا يُقِرُّ أَنَّ القرآنَ كلامُ الله، أوحىٰ به إِلى رسولِه محمدٍ ﷺ، وإِنما يجعلُ القرآنَ من تأليفِ محمدٍ ﷺ، فهو صاحبُ القرآنِ في نظرِ هذا المفتري!.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ١ ـ ١٠].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٦٦.

وعَلَّقَ الفادي على هذا القَسَمِ بقولِه: «في هذه الآياتِ يُقسمُ صاحبُ القرآنِ بالشمسِ والقمر، والنهار والليل، والسماء والأرض، والنفس».

٣ ـ قولُه تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ١ ـ ٣].

٤ ـ قولُه تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾ [التين: ١ ـ ٣].

٥ ـ قولُه تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ [الطارق: ١ ـ ٣].

اعترضَ الفادي المفتري على قَسَمِ اللهِ بهذهِ المخلوقات. فقال: «ونَحنُ نسأَلُ: لماذا يَحلفُ صاحبُ القرآن، ويُقسمُ بكلِّ شيء، بالشمسِ والقمرِ، والنهارِ والليلِ، والسماءِ والأرض، والنفس والضحى، والتين والزيتون، وجبل سيناءَ ومكة، وغيرِ ذلك؟! هل يَحتاجُ صاحبُ القولِ الصادقِ إلى قَسَمٍ يُؤَكِّدُ كلامَه؟.

قالَ المسيح: «لا تَحْلِفوا الْبَتَّة، لا بالسماءِ لأنها كرسيُّ الله، ولا بالأَرضِ لأَنها موطئُ قدمَيْه، ولا بأورشليمَ لأَنها مدينةُ الملكِ العظيم، ولا تَحْلف برأْسِك، لأَنك لا تقدرُ على أَنْ تجعَل شعرةً واحدةً بيضاءَ أَو سوداء.. بل ليكُنْ كلامُكم: نَعَم، نَعَم، لا، لا.. وما زادَ على ذلك فهو من الشِّرِّير» [متى: ٥/ ٣٤ ـ ٣٧].. فما الذي دَعا صاحبَ القرآنِ ليحلفَ بكلِّ شيء؟!»[١].

يتوقَّحُ الفادي المفتري على اللهِ وعلى القرآن، وعلى رسولِ الله ﷺ، عندما يُصِرُّ على استخدامِ كلمةِ «صاحبِ القرآن»، وهذا بسببِ تحامِله على الإِسلامِ وكرهِه له وحقْدِه عليه، بحيثُ لا يُطيقُ استخدامَ كلمةِ «قالَ اللهُ في القرآن، كما يَدَّعي المسلمون»!.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٦٧.

واعْتَبَرَ قَسَمَ اللهِ بمخلوقاته في القرآن من أَخطاءِ القرآنِ الأخلاقية، لأَنَّ الصادقَ يَذكرُ كلامَه بدونِ قَسَم، فهو لا يَحتاجُ إِلى توكيدِ كلامِه بالقَسَم، ولا إِلى أَنْ يُصَدِّقَه السامعُ بالقَسم!.

وليدللَ الفادي على صِدْقِ كلامِه وانتقادِه للقرآن، أَوردَ من إِنجيل مَتّى كَلاماً مَنْسوباً للمسيحِ يَنهىٰ فيه أَتْباعَه عن القَسَمِ بأَيِّ شيء، لا بالسمٰواتِ ولا بالأَرضِ ولا بالقدسِ ولا بالرأْس!.

وعندما نَنظرُ في الكلامِ المنسوبِ لعيسى عليه السلام فإِنّنا نَرى أَنّه - إِنْ صَحَّتْ نسبتُه لعيسى عليه السلام - يتوافَقُ مع نهي المسلمين عن القسم بغير الله، فعيسى عليه السلام يَنهىٰ عن القَسَمِ بالمخْلوقات: السمٰواتِ والأَرضِ والقُدْسِ والرأس. والرسولُ ﷺ نَهانا عن القَسَمِ بغيرِ الله، واعتبرَهُ صورةً من صورِ الشركِ بالله، فَصَحَّ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ حَلَفَ بغيرِ اللهِ فقد أَشْرَكَ».

على أَننا نرفضُ اعتبارَ السماءِ كُرْسِيّاً لله! لأَنَّ كُرْسِيَّه سبحانه وسعَ السمٰواتِ والأَرض. قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ونرفضُ اعتبارَ الأَرضِ موطئَ قَدَمْي الله، فلا نَجعلُ قَدَمَيْنِ لله، يَطَأُ بهما على الأَرض! لأَنَّ هذا تَجسيمٌ لله، ووصْفٌ له بصفاتِ المخلوقين! واللهُ يقولُ في القرآن: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

واعتراضُ الفادي على قَسَمِ اللهِ بمخلوقاتِه في القرآن مَرْدود، ومن غبائِه وجهلِه أنه جَعَلَ القَسَمَ دليلاً على حرصِ الحالفِ المقْسِمِ على تأْكيدِ كَلامِه، وتصديقِ السامعِ له، فيلجَأُ للقَسَمِ لتحقيقِ ذلك!.

هذا ينطبقُ على قَسَمِ المخلوقين، ولذلك لا يَجوزُ لَهم أَنْ يُقْسِموا بغيرِ الله! لكنه لا يَنطبقُ على قَسَمِ اللهِ بمخلوقاتِه، فهو عندما يُقسمُ بها لا يُريدُ منّا أَنْ نُصَدِّقَه، فهو الصادقُ في كَلامِه سبحانه، وهو الذي يقول: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

عندما يُقسمُ اللهُ ببعضِ مخلوقاتِه فإنه يريدُ أنْ يَلْفِتَ أَنظارَنا إليها، لنلاحظَ عَظَمَتها وفائدتَها لنا، وكونَها آيةً دالةً على وحدانيةِ اللهِ وعظمتِه وقوتِه ورحمتِه وإنعامِه، وعندما نتذكَّرُها نذكُرُ خالقَها العظيمَ ونشكُرُه على تسخيرِها لنا!.

وبهذا نعرفُ الفرقَ بين قَسَمِ اللهِ بهذه المخلوقاتِ وبين قَسَمِ المخلوقين بها، ونعرفُ سببَ قَسَمِ اللهِ بها!!.

٧٤

حول الترخيص بالكذب

زَعَمَ الفادي المفتري أَنَّ الإِسلامَ يُرَخِّصُ في الكذبِ ويُحَلِّلُه، ويَدْعو المسلمينَ إلى أَنْ يَكْذِبوا.. وأَوردَ آيتَين، ليسَ فيهما أَدْنى إِشارةٍ إلى ذلك:

الأولى: قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

تَتَحدَّثُ الآيةُ عن عَدَمِ مؤاخذةِ المسلمينَ باللَّغْوِ في أَيْمانِهم، وهي اليمينُ التي تَخرجُ من أفواهِهِم بدونِ تَعَمُّدٍ وقَصْد، كقولِ أَحَدِهم: لا وَالله، وبَلى واللهِ. ثُمَّ تُبَيِّنُ كفارةَ اليمينِ المنعقدة، إذا حَنَثَ فيها صاحبُها. ولا تتحدثُ عن الكَذِبِ!.

الثانية: قولُه تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٠٦].

لا تَتَحَدَّثُ الآيةُ عن الكَذِب، وإنما تُشيرُ إلى رخصةِ إباحةِ النطقِ بكلمةِ الكفر، لمن كانَ مُكْرَهاً، مع أَنَّ الأَوْلى أَنْ لا يَنطقَ بها، حتى لو أَدّى ذلك إلى قَتْلِه. وقد سَبَقَ أَنْ ناقَشْنا هذه الفكرةَ مع الفادي.

فلا أدري لماذا ذَكَرَ الفادي الآيتَيْن السابقتَيْن في اعتراضِه على الترخيص بالكذبِ في الإسلام. وكتابُه كُلُّه خَصَّصَه لكشْفِ أَخطاءِ القرآن، فالآيتانِ في مَوْضوعٍ آخَر غير الموضوعِ الذي يتحدَّثُ هو عنه.

وزَعْمُ الفادي أَنَّ الإِسلامَ حَلَّلَ الكذبَ وأَباحَه، أَخَذَهُ من حديثِ رسولِ الله ﷺ. قال: قالَ الربيعُ بنُ سليمان. . . عن أُمِّ كلثوم بنتِ عُقْبَة، قالَتْ: ما سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يُرخصُ في شيءٍ من الكَذِبِ إِلّا في ثَلاث: كان رسولُ الله ﷺ يقول: «لا أَعُدُّه كاذِباً: الرجلُ يُصْلِحُ بينَ الناسِ، يقولُ القولَ ولا يُريدُ به إِلّا الإِصلاح، والرجلُ يَقولُ في الحَرْبِ، والرجلُ يُحَدِّثُ امرأَتَه، والمرأةُ تُحَدِّثُ زَوْجَها».

يُرَخِّصُ الحديثُ بالكذبِ في ثلاثِ حالات: في الإِصلاحِ بينَ الناس، وفي الحربِ، وفي بعضِ الحديثِ بينَ الزوجَيْن.

ونَسَبَ إِلى الرسولِ ﷺ حَديثاً غَريباً، لم يَذْكُرْ مَنْ أَخْرَجَه من أَصحابِ السُّنَن، فقال: «وقالَ محمد: إِذا أَتاكم عَنّي حَديثٌ يَدُلُّ على هُدى، أَو يَرُدُّ عن رَديّ فاقْبَلوه، قُلْتُه أَو لم أَقُلْه، وإِنْ أَتاكم عَنّي حديثٌ يَدُلُّ عَلى رَدِيّ، أَو يَرُدُّ عن هُدَى فلا تَقْبَلوه، فإِنّي لا أَقولُ إِلّا حَقاً»!!.

وهذا حَديثٌ غامض، ومَعناهُ غيرُ واضح، وأَخشى أَنْ يَكونَ من وَضْعِ الوَضّاعين!.

وقد اعترضَ الفادي على حديثِ الترخيصِ بالكذبِ في الحالاتِ الثلاث بقوله: «أَلا تَفْتَحُ هذه الأَقوالُ البابَ للكذبِ على مِصْراعَيْه؟ وهل الأَخلاقُ الكريمةُ وصنعُ السَّلامِ يَقومُ على الأَكاذيب؟ وكيفَ يكونُ حالُ بيتٍ يكذبُ فيه الزوجانِ على بَعْضِهما؟ وكيفَ يكونُ حالُ الأَبناءِ فيه؟. . يقولُ الإِنجيل: وأَمّا الزناةُ والسحرةُ وعَبَدَةُ الأَوثانِ وجميعُ الكذبةِ فَنصيبُهم في البُحيرةِ بنارٍ وكبريتٍ، الذي هو الموتُ الثاني»(١).

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٦٨.

واعتراضُ الفادي على الحديثِ مَرْدود، فَضْلاً عن أنّه لا يَندرجُ ضمنَ موضوعِ كتابِه الذي خَصَّصَهُ للحديثِ عن الأخطاءِ في القرآن.. وزعْمُه أنَّ الإسلامَ يُبيحُ الكذبَ، ويُؤَدّي هذا إلى فسادٍ أخلاقيٍّ؛ افتراءٌ منه على الإسلام! فالإسلامُ يُحَرِّمُ الكذبَ تَحريماً قاطعاً.. قالَ رسولُ الله ﷺ: «إيّاكم والكذبَ فإنَّ الكذبَ يَهْدي إلى الفُجور، وإنَّ الفُجورَ يَهْدي إلى النّار، وما زالَ الرجلُ يَكْذِبُ ويَتَحَرّى الكذبَ، حتى يُكْتَبَ عندَ اللهِ كَذّاباً».

وترخيصُ الكذبِ في ثلاثِ حالات: الإصلاحِ، والحربِ، وبينَ الزوجين، وهي ليست كذباً حقيقياً، وإنما هي من بابِ «المعاريض». والمعاريضُ من بابِ التعريض، وهو أَنْ يتكلمَ الرجُل بكلامٍ غير صريح، فيفهمُ منه السامعُ شيئاً آخَرَ، وهذا من بابِ الفطنةِ وفصاحةِ الكَلام، كأَنْ تقولَ لمن دَعاكَ إلى تناولِ الغداء: لقد تغدَّيْت. فيفهمُ هو أنك تغدَّيْتَ اليوم، لكنك تَقصدُ أنك تغدَّيْتَ بالأمس.

وقد دَعانا رسولُ الله ﷺ إلى استخدامِ المعاريضِ بقوله: «إنَّ في المعاريض لمندوحةً من الكذب».

فما وَرَدَ من الترخيصِ بالكذبِ في الحالاتِ الثلاث هو من بابِ المعاريض، وليسَ من بابِ الكذب، فليس فيه ما يُعابُ عليه!!.

٧٥

إباحة رد العدوان

أَباحَ اللهُ للمسلمينَ المعتدىٰ عليهم رَدَّ العدوان، وإيقافَ المعْتَدين. ولكنَّ هذا لم يُعجب الفادي المفتري، واعتبرَهُ من أَخطاءِ القُرآنِ.

أَعطى اعتراضَه عنواناً مُثيراً هو «تحليلُ الانتقام»! أَيْ أَنَّ القرآنَ يُبيحُ ويُحللُ للمسلمينَ الانتقام، وهذا يَفتحُ بابَ القَتْلِ والتخريبِ والأَخْذَ بالثأر!.

والآيةُ التي اعترضَ عليها هي قولُ اللهِ ﷻ: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ

﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].

وعَلَّقَ الفادي المفتري على الآيةِ بقولِه: «ونحنُ نَرى الأَثَرَ السيِّئَ لمبدأ الأَخْذِ بالثَّأر متفَشِّياً بسببِ هذا القول، وكم تَعِبَ رجالُ الشرطةِ من نتائجِه، وبُحَّتْ أَصواتُ المعلمينَ في التعليم ضدَّه! وهل الاعتداءُ على من اعتدى علاجٌ للجريمة؟! إنَّ العنفَ يُوَلِّدُ المزيدَ من العنف.

قالَ المسيح: «أَحِبُّوا أَعداءَكم، بارِكوا لاعِنيكُم، أَحْسِنوا إِلى مُبْغِضيكم، وصَلّوا لِأَجْلِ الذين يُسيئونَ إِليكم ويَطردونكم» [متى: ٥/٤٤].. وقالَ أيضاً: «سمعْتُم أنه قيل: عَيْنٌ بعَيْنٍ، وسِنٌّ بسِنٍّ.. وأَما أَنا فأَقولُ لكم: لا تُقاوِموا الشَّرَّ، بل مَنْ لَطَمَكَ على خَدِّكَ الأيمن فَحَوِّلْ له الآخَرَ أَيْضاً» [متى: ٥/٣٨ ـ ٣٩]. وقالَ الرسولُ بولس: «لا تَنْتَقِموا لأَنفسِكم أَيها الأَحبّاء، بل أَعْطوا مَكاناً للغَضَب، لأَنه مكتوبٌ: لي النِّقْمَة، أَنا أُجازي.. فإِنْ جاعَ عَدُوُّكَ فأَطْعِمْه، وإِنْ عَطِشَ فاسْقِه، لأَنك إِنْ فعلْتَ هذا تَجمعُ جمرَ نارٍ على رأسِه، لا يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ، بل اغلب الشَّرَّ بالخير» [رومية: ١٢/١٩ ـ ٢١].. وقال بطرسُ الرسول: «المسيحُ أَيضاً تَأَلَّمَ لأَجْلِنا، تارِكاً لنا مثالاً لكي تَتَّبعوا خطواتِه: الذي لم يَفْعَلْ خطيئة، ولا وُجِدَ في فَمِه مكر، الذي إذا شُتِمَ لم يكن يَشْتِمُ عِوَضاً، وإِذا تَأَلَّمَ لَمْ يكنْ يُهَدِّدُ، بل كانَ يُسَلِّمُ لمن يَقْضي بالعَدْل» [بطرس: ١٢/٢١ ـ ٢٣]»[1].

نَقَلَ أَربعةَ أَقوالٍ عن المسيحِ وبولس وبطرس تَذُمُّ العنفَ والعُدْوان، وتَمدحُ العفوَ والتسامحَ والصَّفْح، وهي أَقوالٌ مأخوذةٌ من الإِنجيل، وكلُّ النَّصارى في العالَمِ يُؤْمِنون به، فهل التزمَ النَّصارى بهذه التوجيهاتِ الأَخلاقية؟ وهل تعامَلوا مع غيرهم على أَساسِها وهَدْيِها؟ وهل كانَتْ صِلَتُهم بالمسلمين تَقومُ على العفوِ والتسامح؟ وهل رَدّوا إِساءَةَ المسلمين بالإِحسان؟!.

التاريخُ القديمُ والمعاصرُ يَشهدُ بعكْسِ ذلك، فالنَّصارى الصليبيّون هم

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٦٨.

الذينَ بَدَؤوا بالعُدوانِ على المسلمين، واحتلّوا بلادَهم عشراتِ السنين، وقَتلوا من المسلمين مَنْ قَتلوا في حملاتِ الحروبِ الصليبية، وهم الذينَ اجْتاحوا بلادَ المسلمين واستعْمَروها في مطلعِ القرنِ العشرين، وخضعَتْ كُل بلادِ المسلمين للاستعمارِ الصليبي: الإنجليزيّ والفرنسيّ والإسبانيّ والبرتغاليّ والإيطاليّ والهولنديّ والروسي... وها هي أَمريكة الصليبيةُ تُعيدُ احتلالَ بلادٍ إسلامية واستعمارَها في مطلعِ القرنِ الحادي والعشرين.

وكلُّ ممارساتِ الصليبيين القديمةِ والمعاصرةِ ضدَّ المسلمين تُخالفُ توجيهاتِ الإنجيلِ الأَخلاقية، ومع ذلك يَأْتي الفادي المفتري ويَتَغَنّى بجمالِ تلك التوجيهات، ويَتَناسى أَنَّ قومَه الصليبيّين هم الذين خالَفوها ونَقَضوها!!.

إِنَّهُ خَبيثٌ ماكر، يُريدُ أَنْ يَكونَ المسلمونَ أَغبياءَ بُلَهاء، في تعامُلِهم مع النصارى الصليبيين، فقومُه يَعْتَدونَ على المسلمين، ويحتلّون بلادَهم، ويَنْهَبون خيراتِهم، ويَسفكون دماءَهم، وهو يَدْعو المسلمين المعتدىٰ عليهم إلى عدمِ مواجهتِهم وكرهِهم، وعليهم أَنْ يُحِبّوا أَعداءَهم، ويُبارِكوا لاعِنيهم، ويُحْسِنوا إلى مُبْغِضيهم، ويَشكروا الذين يحتلونَ بلادَهم ويَطردونَهم منها! هكذا يَجبُ أَنْ يفعلَ المسلمون، إنْ أَرادوا أَنْ يكونوا حَضاريّين متقدِّمين، دعاةَ سَلامٍ وأَمان!!.

من هذا المنطلقِ خَطَّأَ الفادي المفتري القرآنَ، لأَنه يُجيزُ للمسلمينَ المعتدىٰ عليهم أَنْ يَرُدّوا على العدوانِ بالمثْل، وأَنْ يوقِفوا المعْتَدين، وأَنْ يَنْتَصِفوا منهم.. ولا يوجَدُ دينٌ أَو مبدأٌ ـ حتى الديانة النصرانية ـ يَطلبُ من أَتْباعِه المعتدىٰ عليهم مُقابلةَ المعتدينَ بالمحبةِ والأَحضانِ والورودِ والرَّياحين، ويأْمُرُهم بالتنازلِ لهؤلاءِ المعْتَدين عن كُلِّ شيء. فمواجهةُ المعْتَدين والرَّدُّ على عُدْوانِهم فِطْرَةٌ في النفسِ الإنسانية، لا يتخلّى عنها إلّا مَنْ كانَ ناقصَ الإنسانية!!.

ولذلك لا يُلامُ القرآنُ إذا أَجازَ للمسلمين رَدَّ العُدْوانِ عليهم، ولا يُعْتَبَرُ هذا مأْخَذاً يُؤْخَذُ عليه.

وعَبَّرَ القرآنُ عن رَدِّ العدوانِ بالعدوان، وذلك في قوله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]. وهذا يُسَمّى «مشاكلةً»، وهي الاتفاقُ في اللفظِ مع الاختلافِ في المعنى! فاعتداءُ المعْتَدين مَذْموم، لأَنَّهُ يَقومُ على البغيِ والظلمِ، واعتداءُ المسلمين على المعتدين محمودٌ ممدوح، لأنه يقومُ على مواجهةِ العُدوانِ والقضاءِ عليه!.

٧٦

حول إباحة تعدد الزوجات

أَباحَ القرآنُ تَعَدُّدَ الزوجاتِ في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ [النساء: ٣].

واعترضَ الفادي على هذه الرخصة، وهاجَمَ إباحةَ القرآنِ لها. قال: «ونحنُ نسأَلُ: هل يُبيحُ دينٌ من عندِ الله تَعَدُّدَ الزوجات، بخلافِ شريعةِ الله، الذي في البدءِ خَلَقَ الإنسانَ، ذَكَراً وأُنْثى، وجعلَهما جَسَداً واحداً؟»[(١)].

وهو في هذا الكلام القبيحِ يَنفي أَنْ يكونَ الإِسلامُ ديناً من عندِ الله، ويَنْفي أَنْ يكونَ القرآنُ الذي أَباحَ التعددَ كلامَ الله، ويَعتبرُ التعدُّدَ مخالِفاً لسنةِ الله، في أَنْ يكونَ للرجلِ امرأةٌ واحدة! فاللهُ خَلَقَ لآدمَ أُنثى واحدةً هي حواء! فلماذا الزوجتان والثلاث والأربع؟!.

واعتراضُه مجردُ كلامٍ تافِه لا وَزْنَ له. وليسَ في إباحةِ تَعَدُّدِ الزوجاتِ في القرآنِ ما يُخالفُ الفطرةَ أَو يتصادَمُ مع العقل والمنطق، وإذا جازَ أَنْ يكونَ للرجلِ زوجةٌ واحدة، جازَ أَنْ يكونَ له زوجتان أَو ثلاثٌ أَو أَربع، وهناك حالاتٌ خاصةٌ قد يَمُرُّ بها الرجل، أَو تمرُّ بها المرأةُ، أَو يمرُّ بها

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٦٩.

المجتمعُ الإسلامي، تجعلُ تَعَدُّدَ الزوجاتِ ضرورةً لا بُدَّ منها!.

ثم إنَّ تَعَدُّدَ الزوجاتِ رخصةٌ لمن يَرْغَب، وليسَ واجباً على كلِّ مسلم! ومعظمُ الرجالِ المسلمين لا يُعَدِّدونَ زوجاتِهم.. وهذه الرخصةُ مباحةٌ بشرطِ العدلِ بين الزوجات، فإنْ لم يَعْدِل الرجُل كان آثِماً مُعَذَّباً.

وبما أَنَّ اللهَ أَباحَ التعدُّدَ، ونَصَّ على ذلك في القرآنِ، فهو الصحيحُ والصواب، وتَتَحَقَّقُ فيه المصلحةُ والحكمة، لأَنَّ اللهَ حكيمٌ عليمٌ سبحانه، لا خَطَأَ في أَحكامِه وتَشريعاتِه!.

وقومُ الفادي الغربيّون الذينَ يُحاربونَ تَعَدُّدَ الزوجاتِ المشروعَ الطاهرَ النظيف، لا يَكْتَفي الرجلُ منهم بواحدة، كما ادَّعى الفادي أَنها سنةُ الله، وإنما يَذهبُ إِلى العشيقات، ويُمارسُ تَعَدُّدَ العشيقاتِ بالحَرام، وليس لهنَّ عددٌ مُعَيّن، وتُعَدِّدُ المرأةُ عندهم عاشِقيها أَيضاً، ومن النادرِ جدّاً عندَهم أَنْ تَجدَ رجلاً غَيْرَ زانٍ، أَو أَنْ تَجدَ امرأةً غيرَ زانية، فالعفةُ وحفظُ الفرج عن الزنى نقصٌ وعيبٌ وذَمٌّ عندهم!!.

أَبَعد هذه الإِباحيةِ الجنسيةِ عند الغربيّين، قومِ الفادي المفتري، يأَتي هؤلاء الملَوَّثون المدَنَّسون، الغارِقون في الرذيلةِ والزِّنى إِلى آذانِهم، يَعْتَرِضون على الإِسلامِ الذي أَباحَ تَعَدُّدَ الزوجات!!.

ويَعترِضُ الفادي على قولِ اللهِ ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٥٠].

قالَ في اعتراضِه بوقاحة: «كيفَ يُبيحُ كتابٌ من عندِ اللهِ لرسولٍ من عندِ الله، أَنْ يتزوَّجَ بمنْ ملكَتْ يَمينُه من الأَسرى، وبأَيةِ امرأَةٍ تَهواهُ فتهبُه

نَفْسَها، إنْ وَقَعَ هو في هواها؟!..»[1].

ما حكمةُ الزواجِ بالأَسيراتِ اللّواتي أَصبحنَ ملكَ اليمين؟:

الإمامُ مخيَّرٌ في الكافرينَ المقاتلينَ اللذين يَقَعون أَسْرى بأيدِي المسلمين، فهو إمّا أَنْ يُطلقَ سَراحَ بعضِهم مَنّاً بدونِ مُقابل، وإمّا أَنْ يُطلقَ سراحَ آخَرينَ بالفِداء، مقابلَ مبلغٍ من المال، وإمّا أَنْ يسترقَّ آخَرين، ويجعلَهم أرقّاءَ عَبيداً للمسلمين لأنهم حارَبوهم. وهو يَختارُ من هذه الخياراتِ ما يُحققُ مصلحةَ المسلمين.

والذينَ يَتَّخِذُ القرارَ باسترقاقِهم يُوَزَّعونَ على الرجالِ المجاهِدين، ليكونوا عَبيداً عندهم، يُؤَمِّنونَ لهم تكاليفَ حياتِهم مقابلَ خدمتِهم لهم.. ويُرَغِّبُ الإسلامُ المسلمين في إطلاقِ سَراحِهم وتَحريرِهم لوجْهِ الله، وأَوجبَ على مَنْ وَجَبَتْ عليه بعضُ الكَفّارات تَحريرَ هؤلاءِ العَبيد، كما في كَفّارةِ القَتْلِ والظهارِ واليَمين.

وإذا كانت الأَسيرةُ المسترَقَّةُ امرأةً، فإنها تَكونُ مِلْكاً لسيِّدها، وتُسَمّى «مِلْكَ اليَمين»، ولسيدِها أَنْ يُعاشِرَها، كما أَنَّ له أَنْ يتزوَّجَها، أَو يزوِّجَها لغيرِه، فإذا أَنجبَتْ منه وَلَداً وَجَبَ عليه عتقُها وتَحريرُها. وقد رَتَّبَ الإسلامُ نظامَ الرِّقِّ والعتقِ بشروطٍ وقواعدَ وضوابط، في الوقتِ الذي كانَ العالَمُ القديمُ فيه يمارسُ ضدَّ العبيدِ أَشَدَّ صورِ الظلمِ والعُدْوان!!.

ولا يُلامُ الإسلامُ عندما أَجازَ للمسلمِ معاشرةَ الأَمَةِ أَو الزواجَ منها، لأَنها تَحتاجُ إلى مَنْ يُؤْويها، ويتكفَّلُ بحاجاتِها، فهي ليس لها أَهل، فمن أَيْنَ ستؤَمِّنُ حاجاتِها؟ هل سَتُتْرَكُ الإماءُ والجواري في الشَّوارع، يُتاجِرْنَ بأَجسادِهِنَّ مقابلَ تأْمينِ حاجاتِهِنّ؟ ويَنشُرْنَ الفَسادَ والرذيلةَ والفاحشةَ بين المسلمين؟ الحَلُّ أَنْ يتكفَّلَ رجلٌ بكلِّ مجموعةٍ منهن، ويَبقى المجتمعُ الإسلاميُّ مُحافِظاً على طهارتِه وعفَّتِه!.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٦٩.

وقد أباحَ اللهُ لرسولِه ﷺ أنْ يتزوَّجَ مَنْ وَهَبَتْ نفسَها له، وجعلَ هذا الحكْمَ خاصّاً به، وليس عامّاً لجميعِ المؤمنين، فقالَ له: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ﴾.

وليس الأَمْرُ أَمْرَ عِشْقٍ وَهَوى كما زَعَمَ المفْتَري، فلا تهوى امرأةٌ مسلمةٌ رجلاً أَجنبيّاً، ولا تعشَقُه، حتى لو كانَ رسولَ الله ﷺ، والرسولُ ﷺ عنوانُ العفَّةِ والطهر، ولا يَقَعُ في هوى امرأةٍ أَجنبية! ولذلك كانَ الفادي مُفترياً مُتوقحاً عندما قال: «يتزوجُ بأيةِ امرأةٍ تَهواهُ فتهبُه نَفْسَها، إنْ وقعَ هو في هواها!!».

وتتحدَّثُ الآيةُ عن حالةٍ خاصة، لظروفٍ خاصة، وحكْمٍ خاصٍّ لرسولِ الله ﷺ.. روى البخاريُّ ومسلمٌ عن سهلِ بنِ سعدٍ الساعديِّ رضي الله عنه قال: إنّي لفي القومِ عندَ رسولِ الله ﷺ، فجاءَته امرأةٌ، فقالَتْ: يا رسولَ الله إنّي قد وَهَبْتُ نفسي لك، فَرَ فِيَّ رَأْيَكَ! فقامَتْ قِياماً طويلاً، فقالَ رَجل: يا رسولَ الله! زَوِّجْنيها.. فقالَ رسولُ الله ﷺ: «هل عندَك من شيء تصدُقُها إيّاه؟» قال: لا. قال: «التمسْ ولو خاتَماً من حَديد!» فالْتَمَسَ فلم يَجِدْ شيئاً، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «هل مَعك من القرآنِ شيء؟» قال: معي سورةُ كذا وسورةُ كذا.. قال: «زَوَّجْتُكَها بما مَعك من القرآن».

فرغمَ أَنَّ اللهَ أَباحَ لرسولِه ﷺ أَنْ يتزوَّجَ مَنْ وَهَبَتْ نفسَها له، إلّا أنه لم يَتَزَوَّجْها، وإنما زَوَّجَها لأَحَدِ أَصحابِه. ولم تتكررْ تلك الحادثةُ معه.

وإباحةُ الزواجِ للرسولِ ﷺ عن طريقِ الهبةِ خاصٌّ به، كما أُبيحَ له الزواجُ بأكثرَ من أَربعِ نساء، وكان زَواجاً بدونِ وَلِيٍّ ولا مَهْر، وهذا لا يَجوزُ لغيرِه، مع أنه زواجٌ لم يَتَحَقَّقْ!.

ولهذا قالَ قَتادة: ليسَ لامرأةٍ تَهَبُ نفسَها لرجُلٍ بغيرِ وَلِيٍّ ولا مَهْر، إلّا للنبيّ ﷺ، لقوله: ﴿خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ﴾.

وقالَ ابنُ عباس رضي الله عنهما: لم يكنْ عندَ رسولِ الله ﷺ امرأةٌ وَهبَتْ نَفْسَها له.

أيْ أَنَّ الرسولَ ﷺ لم يَقْبَلْ تلك المرأةَ التي وَهَبَتْ نفسَها له، مع أَنَّ الأمر كانَ مُباحاً له ومَخْصوصاً به، لأنه مردودٌ إلى مشيئتِه: ﴿إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾.

واعترضَ الفادي المفتري على حديثِ القرآنِ عن الحورِ العين في الجنة، التي يَتنعَّمُ بها المؤمنون، والتي وَرَدَ الحديثُ عنها في قولِه تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: ٢٠ ـ ٢٣].

وهذا في رأيه خَطأ، لأَنَّ المؤمنين لا يَتزَوَّجونَ فيها!! ولذلك قال: «وهل جَنَّةُ اللهِ مكانٌ لِلَّهوِ مع الحورِ العين؟! قال المسيح: (لأَنهم في القيامةِ لا يُزَوِّجونَ ولا يَتزوَّجون، بل يَكونونَ كملائكةِ اللهِ في السماء)»[1].

واعتراضُ الفادي مردود، لأَنَّ اللهَ أَخْبَرَنا في القرآن عن استمتاع المؤمنين في الجنةِ بالحورِ العين، وهو صادِقٌ فيما قال، ونحنُ نؤمنُ بكلِّ ما وردَ في القرآن! وما نَسَبَهُ إلى المسيح عليه السلام من أَنَّ المؤمنينَ في الجنة يَكونون كالملائكة، لا يَستمتعونَ بالنِّساءِ مشكوكٌ فيه، لأَنَّ الرهبانَ حَرَّفوا الأَناجيل؛ وأَضافوا إلى كلامِ اللهِ فيها الكثيرَ من كلامِهم ومزاعِمِهم وافتراءاتِهم!!.

والآياتُ التي تَحَدَّثَتْ عن استمتاعِ المؤمنين بالحورِ العين والنساءِ عديدة، منها قولُه تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥]، ومنها قولُه تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٨ ـ ٤٩].

ومنها قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٦٩.

يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان: ٥١ ـ ٥٥].

وما المانعُ من أنْ يَلهوَ المؤمنون مع أزواجِهم والحورِ العين في الجنة؟! إنَّ الجنةَ دارُ جزاءٍ ونعيم، ومتعةٍ وسَعادة. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٥ ـ ٥٨].

❖ ❖ ❖

الفصل الرابع

نقض المطاعن اللاهوتية

٧٧

التوحيد والتثليث والأقانيم

اعترضَ الفادي على الآياتِ التي تُبطلُ التثليث، وتَكَفِّرُ النَّصارى القائلين بأَنَّ اللهَ ثالثُ ثَلاثة.

والآياتُ التي ذَكَرها هي قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١].

وقولُه تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣].

وقولُه تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ﴾ [المائدة: ١١٦].

تَنهى الآيةُ الأُولى النَّصارى عن الغُلُوِّ في دينِهم، وعن المبالغةِ في النظرِ إلى عيسى عليه السلام، وتَدْعوهُم إلى عَدَمِ تأْليهه، وعدمِ إشراكِه مع الله، فإنْ قالوا: الآلهةُ ثَلاثَة، كانوا كافِرين، وتُخبرُهم عن حقيقةِ عيسى عليه السلام، فهو رسولُ الله، وكلمتُه أَلْقاها إلى مريم، فَحمَلَتْ به ووضَعَتْه، وهو روحٌ من عندِ الله، جَعَلَها في جَسَدِه، فصارَ عيسى الرسولَ البَشَرَ عليه السلام.

وتُصرحُ الآيةُ الثانيةُ بكفرِ النَّصارى الذين آمنوا بالتَّثْليث، وقالوا: إنَّ اللهَ

ثالثُ ثلاثةِ آلِهة، هي: الله وعيسى وأمُّه مريم، أو: اللهُ وعيسى وجبريل.

وتُخبرُ الآيةُ الثالثةُ عن السؤالِ الذي سيوجِّهُه الله إلى عيسى عليه السلام يومَ القيامة، حيث سيقولُ له: أَأَنْتَ قُلْتَ للناس: اتَّخذوني وأُمِّيَ إلٰهَيْنِ من دونِ الله؟ وسيتبرأُ عيسى عليه السلام ممن عَبَدوهُ وأَلَّهوه.

وتَلتقي الآياتُ مع آياتٍ غيرها على تقريرِ وحدانيةِ الله، ونفيِ وُجودِ شركاءَ معه، وكُفرِ النَّصارى القائلين بالتثليث أَو الثالوث!.

يَعترضُ الفادي على هذه ٱلآيات، وينكرُ كونَ النصارى قائِلين بثلاثةِ آلهة. قال: «يَتَّضِحُ من هذه الآياتِ أَنَّ مُحَمَّداً سمعَ من بعْضِ أَصحابِ البدعِ من النَّصارى أنه يوجَدُ ثلاثةُ آلهة، هم: اللهُ ومريمُ وعيسى، فَرَدَّ على هذه البدعة، وكَرَّرَ المرةَ بعدَ المرةِ أَنَّ اللهَ إِلٰهٌ واحد!»[1].

يعترفُ الفادي في هذه الفقرةِ بوجودِ فرقةٍ من النَّصارى يقولون: اللهُ ثالثُ ثلاثة، هم: اللهُ، ومريمُ، وعيسى عليه السلام، ويَعتبرُ هذه الفرقةَ النصرانيةَ مبتدعَة... وقد ذَكَرَ القرآنُ ذلك وأَبْطَلَه وكَذَّبَ قائِليه، وهذا ما ظَهَرَ واضحاً صريحاً في الآياتِ السابقة: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ...﴾، و﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَـٰثَةٌ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ...﴾، و﴿يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ...﴾.

ويُصرحُ الفادي في عبارتِه بأَنَّ القرآنَ من تأليفِ الرسولِ ﷺ وليْس من عندِ الله، وذلك في قوله: «.. أَن محمداً سمعَ من بعضِ أَصحابِ البدعِ من النَّصارى أنه يوجَدُ ثلاثةُ آلهة.. فَرَدَّ على هذه البدعة»! فالرسولُ ﷺ هو الذي سمعَ تلك البدعة بأُذُنَيْه، وهو الذي رَدَّ على تلك البدعة، وكَرَّرَ في القرآنِ المرةَ بعد الأُخرى أَنَّ اللهَ إِلٰهٌ واحد! فالكلامُ كلامُه والرَّدُّ رَدُّه، والقرآنُ من تأليفِه، وليس وحياً من عندِ الله مُنَزَّلاً عليه!!.

مع أَنَّ الآياتِ صريحةٌ في أَنَّ اللهَ هو الذي أَخْبَرَ عن كُفْرِ النَّصارى

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٧٣.

وتَثْليثهم. ولنقرأ هذه الآياتِ التي تتحدَّثُ عن نفسِ الموضوع. قال الله ﷻ:
﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ
ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ
وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ
كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ
يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ
هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٢ ـ ٧٦].

وزَعَمَ الفادي أَنَّ الوحدانيةَ هي أَساسُ الدينِ النصراني، وأَنه لا يوجَدُ نصرانيٌّ يَعْبُدُ ثلاثةَ آلهة، قال: «وكُلُّ مَنْ له إِلمامٌ بالتوراةِ والإِنجيلِ يَعرفُ أَنَّ وحدانيةَ اللهِ هي أساسُ الدينِ المسيحيّ.. فقد قالَت التوراةُ والإِنجيل: «الرَّبُّ إِلٰهنا رَبٌّ واحِد» [التثنية: ٦/ ٤. ومرقس: ١٢/ ٢٩] ولم يَقُلْ مسيحيٌّ حقيقيٌّ قَطّ إِنَّ العذراءَ مريمَ إِلٰه، مع كلِّ التقديرِ والمحبَّةِ لها»(١).

وهذه دعوى كبيرةٌ ادَّعاها الفادي، ونَرجو أَنْ تكونَ صحيحةً صادقة، لكنَّ واقِعَهم لا يُصَدِّقُها ولا يتوافَقُ معها.

ويَشرحُ الفادي الثالوثَ، ويجعلُه بمعنى التوحيد، ويَزعمُ أَنَّ القرآنَ اتفقَ مع الإِنجيلِ على القولِ به!!. قال: «المسيحيّون لا يَعبدونَ ثلاثةَ آلِهة، بلْ إِلٰهاً واحداً في وحدانيةٍ جامعةٍ: هو الآبُ والابنُ والرّوحُ القُدُس، أَو بعبارةِ القرآن: الله وكلمتُه وروحُه!! والكلُّ في ذاتٍ واحدة»(١).

النصارى حسبَ زعمِ الفادي يَعْبُدونَ إِلٰهاً واحداً في وحدانيةٍ جامِعَة، تتعدَّدُ فيها الأَقانيمُ الثلاثة: الآبُ والابنُ والروحُ القُدُس!.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٧٣.

علماً أنَّ الأَقانيمَ الثلاثةَ هي ثلاثُ ذواتٍ مُنفصلَة، فالآبُ عندهم هو الله، والابنُ عندَهم هو عيسى، والروحُ القُدُسُ هو جبريلُ ﵇، فكيف صارَتْ هذه الذواتُ والشخصياتُ المتباينةُ إلٰهاً واحداً جامعاً؟!.

وزَعَمَ الفادي المفتري أنَّ القرآنَ يقولُ بالثالوث المقَدَّس مثلُ الإنجيل، والثالوثُ القرآنيُّ هو: اللهُ وكلمتُه وروحُه!!.

وأينَ وردَتْ هذه الكلماتُ الثلاثُ بهذا اللفظِ في القرآن؟ إنّ الفادي كاذبٌ مُفْترٍ مُدَّعٍ. قالَ اللهُ في القرآن: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ﴾.

لا تتكلمُ الآيةُ عن ثلاثةِ أَقانيم، وإنما تُبطلُ الأَقانيمَ الثلاثة، وتَذْكُرُ حقيقةَ عيسى ابنِ مريمَ ﵇. وتَصِفُه بثلاثِ صِفات:

الأُولى: أَنَّهُ رسولُ الله: جعلَه اللهُ نبيّاً رَسولاً، وأَرسلَه إلى بني إسرائيل.

الثانية: أَنَّهُ كلمةُ الله: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾. ومعنى كونِ عيسى ﵇ كلمةَ اللهِ: أنَّ اللهَ خَلَقَه بكلمةِ «كُنْ» الكونيةِ التكوينيّة، التي يَخْلُقُ بها سبحانَه جميعَ المخلوقين. وهي الكلمةُ التي خَلَقَ بها أَبا البشر آدم ﵇، وقد أَشارَ لها في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]. أَيْ: أَنَّ اللهَ خَلَقَ عيسى بكلمتِه «كُنْ»، فكانَ كما أَرادَ الله، كما خَلَقَ آدمَ بكلمتِه «كُنْ»، فكانَ كما أَرادَ الله!.

أَلْقى اللهُ العظيمُ كلمتَهُ «كُنْ» إلى مريم، فكانت المخلوقَ عيسى الرسولَ ﵇، حيثُ تَخَلَّقَ عيسى في رحمِها، ولما نفخَ اللهُ فيه الروح، وضعَتْه مولوداً بشراً.

وكلُّ المخلوقاتِ يخلُقُها اللهُ العظيمُ بكلمتِه «كن»، التي خَلَقَ بها عيسى ﵇، وجاءَ هذا صَريحاً في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يسٓ: ٨٢].

الثالثة: أنَّهُ روحٌ من عند الله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾. أَيْ: أَنَّ الله خَلَقَ روحَ عيسى ﷺ، كما خَلَقَ روحَ أيِّ إنسان، سواءٌ كانَ نبيّاً أو إنساناً عاديّاً، وأَمَرَ جبريلَ الروحَ القُدُسَ أَنْ يحملَ روحَ عيسى المخلوقة، وأَنْ ينفُخَها في مريمَ العذراءِ البتولِ ﵂، ففعل، وحملَتْ بعيسى بأَمْرِ الله.

و«مِنْ» في قوله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ بيانيَّة، وليستْ تبعيضيَّة، تُبَيِّنُ أَنَّ روحَ عيسى التي نُفخَتْ في فَرْجِ مريمَ إنما هي من عندِ الله.

وقد حَرَّفَ الفادي المفتري صفاتِ عيسى ﷺ الثلاثةَ: «رسولُ اللهِ وكلمتُه أَلْقاها إلى مريم وروحٌ منه» لتكونَ أَقانيمَ ثلاثةً يؤمنُ بها النصارى: «اللهُ وكلمتُه وروحُه»، وكَذَبَ المفتري في قولِه: «والكلُّ في ذاتٍ واحدة». فالأَقانيمُ الثلاثةُ: الآبُ والابنُ والروحُ القُدُسُ ثَلاثُ شخصياتٍ منفصلة، وليستْ ذاتاً واحدة.

أَما الصفاتُ الثلاثةُ المذكورةُ في القرآن: «عيسى ابنُ مريم: رسولُ الله، وكلمتُه أَلْقاها إلى مريمَ، وروحٌ منه» فهي ثلاثُ صفاتٍ لِذاتِ المسيحِ وشخصِه ﷺ. فالمسيحُ رسولُ الله، وهو نفسُه كلمةُ الله، خُلِقَ بكلمةِ «كُنْ» الإلٰهية، وهو نفسُه روحٌ من الله، الروحُ التي في بَدَنِه من عندِ الله.

وانتقلَ الفادي المفتري إلى افتراءٍ آخَرَ يتعلَّقُ بالثالوث، زَعَمَ فيه التقاءَ القرآنِ مع الإنجيلِ في القولِ بالثالوث!! قال: «وقد اتفقَ القرآنُ مع الكتابِ المقَدَّسِ في إسنادِ الفعلِ وضميرِ المتكلمِ في صيغةِ الجَمْعِ إلى الله.. ولم يَرِدْ في الكتابِ المقَدَّسِ ولا في القرآنِ كلامُ مخلوقٍ كائناً مَنْ كان تَكَلَّمَ عن نفسِه بصيغةِ الجَمْع، مما يدلُّ على وحدةِ الجوهرِ مع تَعَدُّدِ الأَقانيمِ في الذاتِ العلية. فمثلاً وَرِدَ في سورةِ البقرة: ﴿نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣] بصيغةِ الجمع، وَوَرَدَ في سورةِ الأعراف: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [الأعراف: ١٩٦] بصيغةِ المفرد.. فتُشيرُ الصيغةُ الأُولى إلى جمعِ الأَقانيم، وتُشيرُ الصيغةُ الثانيةُ إلى توحيدِ الذات..»(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٧٣.

يَزعمُ المفتري الجاهلُ أَنَّ إِسنادَ ضميرِ الجمعِ إِلى اللهِ الأَحَدِ في القرآنِ دليلٌ على «الثالوثِ المقدَّسِ»، وعلى تَعَدُّدِ الأَقانيم في الذاتِ العليةِ الواحدةِ وِحدَةَ جَوْهَر! وما دَرى الجاهلُ أن هذه النونَ في ﴿نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ لا تُسَمّى نونَ الجمعِ، وإِنما تُسمى «نونَ العَظَمَة»، فاللهُ المتكلمُ واحدٌ أَحَدٌ، فَرْدٌ صَمَد، وعندما يتكلمُ بضميرِ «نحنُ» ـ المنفصلِ أَو المتصلِ أَو المستتر ـ فإِنما يُريدُ أَنْ يُعَظِّمَ نَفْسَه.. وليسَ في الأَمْرِ تَعَدُّدُ أَقانيم أَو شخصياتٍ أَو جواهر أَو إِرادات.. إِنما هو إِلٰهٌ واحدٌ سبحانه!!.

ويَزعمُ المفتري أَنَّهُ لم يَرِدْ في القرآنِ كلامُ مخلوقٍ كائناً مَنْ كانَ تكلَّمَ عن نفسِه بصيغةِ الجمع، وهذا زعمٌ باطلٌ منقوض، ويَكفي في تكذيبِه تذكُّرُ قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

لما حَرَّضَ الملأُ من قومِ فرعونَ فرعونَ على محاربةِ موسى، والقضاءِ عليه هو وأَتْباعه، رَدَّ فرعونُ عليهم بضميرِ الجمع، مع أَنه شخصٌ واحد، وأَوردَ في كلامِه أَربعَ كلماتٍ بصيغةِ الجمع: «سَنُقَتِّلُ»، و«نَسْتَحْيي»، و«إِنّا»، و«قاهرون».

فكيفَ يَدَّعي الفادي المفتري أنه لم يتكلمْ فَرْدٌ مخلوقٌ بصيغةِ الجمعِ في القرآن؟!.

وحتى يُقْنِعَنا بأَنَّ التثليثَ توحيدٌ لله، وأَنَّ القرآنَ قالَ بالتثليث، قَدَّمَ كلامَ القرآنِ عن أسماءِ اللهِ الحسنى دليلاً على التثليث، وخَصَّ اسْمَ «الوَدود» بالذِّكْر.. قال: «ومن أَسماءِ الله الحسنى أنه الوَدود، لقوله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤] فالوُدُّ صفةٌ من صفاتِه، ومن معرفتِنا أَنَّ هذه الصفةَ أَزلية، نستدلُّ أَنَّ هناكَ تَعَدُّد أَقانيم في الوحدةِ الإِلٰهية، لتَبادُلِ الوُدِّ بينَها قبلَ أَنْ يُخْلَقَ شيء.. وإِلّا ففي الأَزَلِ اللّانهائي كانت صفةُ الوُدِّ عاطلةً عن العمل، وابتدأَتْ تَعمل، فبدأَ اللهُ «يَوَدُّ»، بعدَ أَنْ خَلَقَ الملائكةَ والناس!. وحاشَ لِلّه أَنْ يكونَ

قابلاً للتَّغيُّر!»[١].

الوَدودُ من أَسماءِ الله، والوُدُّ من صفاتِ الله، وتَقومُ هذه الصفةُ على المحَبَّة، فاللهُ وَدودٌ يُحِبُّ عبادَهُ، ويُحسنُ إليهم ويُنعمُ عليهم. وعلى هذا تكونُ «وَدود» صفةً مُشَبَّهَة بمعنى اسم الفاعل، فهي بمعنى «وادّ»، والوادُّ هو المحِبُّ المنعمُ المحسِنُ. ويمكنُ أَنْ تَكونَ «ودود» بمعنى اسْم المفعول «مَودود». أَي: هو سبحانَه المودودُ المحْبوب، يَوَدُّهُ عِبادُه ويُحبونَه، ويَدْعونَه ويَتَقَرَّبونَ إليه.

ولا يَلزمُ من كونِ اللهِ وَدوداً تَعَدُّدُ الأَقانيم، لأَنَّ الوُدَّ صفةٌ قائمةٌ بالموصوف، ﷻ، لا تَنفصلُ عنه، ولا تتحوَّلُ إلى «أُقنوم» آخَرَ غيرِ الله!. وهكذا باقي صِفاتِ الله، كالعِلْمِ والرحمةِ والسمعِ والبَصَرِ، فهي صفاتٌ متعدِّدَةٌ لموصوفٍ واحد، فاللهُ عليم، وهو نفسُه رَحيم، وهو نفسُه سميعٌ بَصير وَدود.

ويُغالِطُ الفادي في زَعْمِ الشراكةِ بينَ المؤمنين وربِّهم، عندَ إيمانِهم بصفاتِ الله، تلك الشراكةُ التي تَقودُ للإيمانِ بالأَقانيم الثلاثة. قال: «وهل نَستطيعُ أَنْ نُوَفِّقَ بينَ الإيمانِ بصفاتِ اللهِ الأَزليةِ كالسَّمعِ والتكلُّم، دونَ الإيمانِ بثلاثةِ أَقانيمَ في إلهٍ واحد؟ ولا نَستطيعُ أَنْ نملأَ الفجوة الهائلةَ بين علاقةِ الإنسانِ باللهِ على غيرِ قاعدةِ الأُبوة والبُنُوَّة، وحياةِ الشركةِ المعلنةِ في عقيدةِ الثالوثِ القويمة»!!.

ولا أَدري كيفَ يَقودُ الإيمانُ بأَسماءِ الله وصفاتِه إلى الإيمانِ بالأَقانيم الثلاثة، إنَّ اللهَ الواحدَ الأَحَدَ الصمد، هو العليمُ الحكيمُ الحليمُ السميعُ الحيُّ القَيوم... فهو سبحانَه مُتَّصِفٌ بهذه الصفاتِ العظيمةِ الجليلة، ولهذهِ الصفاتِ الجليلةِ آثارٌ عملية، ومظاهِرُ إيجابية، تتعلَّقُ بحياةِ البشرية، وهذه المظاهِرُ الإيجابيةُ لا تَعني الأَقانيمَ الثلاثةَ التي يُؤْمِنُ بها النصارى، لأَنَّهُ فَرْقٌ بين الآثارِ

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٧٣ ـ ٧٤.

العمليةِ لصفاتِ الله، وبين الزعمِ بوجودِ ثلاثةِ كيانات، انبثقَ كلُّ كيانٍ عن الذي قَبْلَه، وكأننا أمامَ شخصياتٍ ثلاثة: الآبُ والابنُ والروحُ القُدُس!!.

ويَدْعو الفادي الجاهلُ إلى مَلْءِ الفجوةِ الهائلةِ بين اللهِ والإنسانِ بالتثليثِ والشراكة: «ولا نَستطيعُ أَنْ نملأَ الفجوةَ الهائلةَ بين علاقةِ الإنسانِ بالله على غيرِ قاعدةِ الأُبُوَّةِ والبنوةِ، وحياةِ الشركةِ المعلنةِ في عقيدةِ الثالوث القويمة»!!.

وهذا هو أَساسُ الانحرافِ عند النصارى، الذي دَفَعَهم إلى الإيمانِ بالأَقانيمِ الثلاثةِ والقولِ بالتثليث: إنه ملءُ الفجوةِ بينَ اللهِ والإنسان، بحيثُ أَدّى ذلك إلى اتِّحادِ الخالقِ والمخلوق، وصارتْ حياةُ المخلوقِ انعكاساً للخالق، ومَظْهَراً مادّياً عملياً له!.

وهذا هو ما تَمَيَّزَ به الإسلام، حيثُ حَرَصَتْ نصوصُه على عدمِ مَلْءِ الفجوةِ بين اللهِ والإنسان، بل التأكيدُ المتواصلُ على الفصْلِ الدقيقِ بين الخالقِ والمخلوق، والعابدِ والمعبود، ولذلك قامَت العقيدةُ الإسلاميةُ على الإيمانِ بحقيقتَيْن منفصلتَيْن: حقيقةِ الأُلوهية، وحقيقةِ العبودية.. فالرَّبُّ هو اللهُ وحْدَه، وما سواه ليسَ رَبّاً ولا إلهاً ولا مَعْبوداً، إنما هو عبدٌ مخلوقٌ ضعيفٌ عاجز!!.

ووردَ هذا في آياتٍ عديدةٍ في القرآن، في مقدمتِها سورةُ الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤].

ولا يلزمُ من الفصْلِ التامِّ بين الخالقِ والمخلوق، والعابدِ والمعبود، واللهِ والإنسان تعطيلُ صفاتِ الله، أَو السيرُ في الحياةِ بعيداً عن الله، فالمؤمنُ يستحضرُ دائماً عظَمةَ الله، ويشعُرُ بمعيَّتِهِ، ويأْنَسُ به، ويَعيشُ مظاهرَ صفاتِه الإيجابية، ويَرىٰ آثارَها فيه وفيما حولَه، فيعيشُ بالله ولله وفي الله ومع الله... لكنْ مع استحضارِه الفرقَ البعيدَ بينَه وبينَ الله، ويَقينه بأَنَّ الله متفردٌ في ذاتِه وصفاتِه وأَفعالِه. قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وبهذا نعرفُ جهلَ الفادي الجاهلِ وخَطَأه عندما زَعَمَ أَنَّ عَدَمَ القولِ بالثالوثِ معناهُ الإيمانُ بالله بدونِ الأُنسِ الروحيِّ به، وهذا إيمانُ الشياطين. قال: «إنَّ الإيمانَ بالتوحيدِ المجَرَّدِ بدونِ أُنسٍ روحيٍّ بالله هو إيمانُ الشياطين أَنْتَ تؤمنُ أَنَّ اللهَ واحِد؛ حَسَناً تفعل.. والشياطينُ يُؤْمنونَ ويَقْشَعِرّون!»[1].

إننا نؤمنُ بالله، ونُوحِّدُ الله، ونعتقدُ أَنه متفرِّدٌ في ذاتِه وصفاتِه وأَسمائِه وأَفعالِه، ونُنكرُ الأَقانيمَ التي يؤمنُ بها النَّصارى، ولا نَجعلُ ذواتاً متولِّدَةً عن ذاتِه، ولا نجعل أَشخاصاً مُتَفَرِّعينَ عن شخصِه، ونؤمنُ أَنه سبحانَه خَلَقَ كُلَّ المخلوقاتِ بكلمةِ «كُنْ» التكوينية.. ونحنُ المسلمونَ أَكثرُ النّاسِ أُنْساً بالله، وسعادةً بذكْرِه، وملاحظةً للآثارِ العمليةِ لصفاتِه العلية، واسْتِحْضاراً لعظمتِه ورعايتِه وقيوميَّتِه سبحانه.

ويُجهدُ الفادي الجاهلُ نَفْسَه في إِقناعِنا بأَنَّ الثالوثَ يَعْني الوحدانية، وأَنَّ التَّثْليثَ يَعْني الوحدة، فيقول: «ومثل التثليثِ مثل العقلِ والفكرِ والقولِ، فهذه ثلاثَةُ أَشياءَ متميزةٌ غيرُ منفصلةٍ لشيء واحد؟ والنارُ والنورُ والحرارةُ ثلاثةُ أَشياءَ متميزةٌ غيرُ منفصلةٍ لشيء واحد! فهل نَستبعدُ وُجودَ ثلاثةِ أَقانيمَ متميزةٍ غيرِ منفصلةٍ في إِلهٍ واحد حسبَ إِعلانِ كتابِه المقَدّس؟»[1].

إنَّ الفادي الجاهلَ يُشَبِّهُ الأَقانيمَ الثلاثةَ: الآبَ والابنَ والروحَ القُدُس، بالعقلِ والفكر والقول، ويُشَبِّهُها بالنار والنورِ والحرارة. وَوَجْهُ الشَّبَهِ هو التثليثُ والتميزُ، وعدمُ الانفصال، والتَّوَحُّد!.

يريدُ الجاهلُ أَنْ يُقْنِعَنا أَنَّ العقلَ والفكرَ والقول، وأَنَّ النارَ والنُّورَ والحرارة، مِثْلُ اللهِ وعيسى وجبريل! صحيحٌ أَنَّ العقلَ والفكرَ والقولَ ثلاثُ صفاتٍ لموصوفٍ واحد، وهو ما يقولُه الإنسان بعد تفكير، حيثُ يفكِّرُ الإنسانُ، ثم يُعملُ عَقْلَه، ثم يَنطقُ بما فَكّرَ به، وكأَنَّ القولَ يَمُرُّ بثلاثِ محطات: الفكرِ والعقلِ والفمِ. لكنّه شيءٌ واحد، هو القول!!.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٧٤.

وكذلك النارُ والنورُ والحرارة، فهي نارٌ، لكنَّها موصوفةٌ بأَنها نورٌ نظراً لإِضاءَتِها، وموصوفةٌ بالحرارةِ نَظَراً لحرارَتِها، فالنورُ والحرارةُ صفتانِ لموصوفٍ واحدٍ، هو النار.

إنَّ المثَلَيْن اللذَيْنِ أوردَهما الفادي يُوَضِّحانِ إيمانَ المؤمنِ بصفاتِ الله، كالعلم والحياةِ والسمعِ والبَصَر، فهي صفاتٌ لموصوفٍ واحدٍ هو اللهُ سبحانه، ولا يَلْزَمُ من تَعَدُّدِ الصفاتِ تَعَدُّدُ الذات، كما أنها ليستْ صفاتٍ متميزة، لأَنَّ كُلَّ صفةٍ تَلْحَظُ معنىً من معاني الذات الإِلٰهية، فصفةُ العلمِ تَلْحَظُ هذا المعنى، وصفةُ السمعِ تَلْحَظُ هذا المعنى، وهكذا باقي الصفات. ولا تَمَيُّزَ ولا انفصال بين هذه الصفات، وإنما بينها تكامُلٌ وتَناسُق، لأَنها كُلَّها تَدُلُّ على ما يَتصفُ به اللهُ من صفاتِ الكمالِ والجلال.

ومَنْ قال: إنَّ صِفَتَي النورِ والحرارةِ متميِّزَتان؟ إنهما صِفَتانِ مُتكامِلَتان للنّارِ المشتعلة، لا يُمكنُ التمييزُ بينهما ولا التفريق، فالنُّورُ في النارِ مُتَداخِلٌ مع الحرارة، إذْ كُلُّ جُزْءٍ من النّار حارٌّ مضيء، وتَجتمعُ فيه الإِضاءَةُ مَعَ الحرارة!.

أَما الأَقانيمُ الثلاثةُ التي يؤمنُ بها النصارى فإِنَّها ليستْ صفاتٍ لموصوفٍ واحد، إنما هي ثلاثَةُ كياناتٍ متميِّزة منفصلَة، فالآبُ عندهم هو الله، والابنُ عندهم هو المسيحُ عيسى ابنُ مريم، والروحُ القُدُس عندهم هو جبريل، فهلْ هذه الكياناتُ الثلاثةُ مثلُ: النارِ والنورِ والحرارة، أَو مثلُ الفكرِ والعقلِ والقولِ؟ اللهم لا!!.

مَنْ هم الجاهلونَ إذَنْ؟ هل هم المسلمون الذين يَقولون: اللهُ أَحَد، اللهُ الصَّمَد، لم يَلِدْ ولم يولَدْ ولم يَكُنْ له كُفُواً أَحَد؟ أَم هم النصارى الذين يقولون: الآبُ، والابنُ، والروحُ القُدُس. ثلاثةُ أَقانيمَ متميزةٌ غيرُ منفصلةٍ عن الذات الواحدة؟ مع أَنها منفصلةٌ عن الذاتِ الواحدة!!.

وكَذَبَ المفتري الفادي في اتِّهامِه للقرآنِ وتخطئتِه له، وصَدَقَ اللهُ القائلُ

في القرآن: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾.. وصَدَقَ اللهُ في نصحِه للنصارى قائلاً: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾!!.

٧٨

الذنوب بين الاستغفار والتكفير والفداء

وَعَدَ اللهُ المؤمنين أَنْ يُكَفِّرَ عنهم الصغائرَ إن اجْتَنَبوا الكبائر. قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]. وجاءَ في صفاتِ المؤمنين الفائزين قولُه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢].

وأثارت الآيتانِ اعتراضَ الفادي، واعتبرَهما من مبادئِ القرآنِ الخاطئة، لأَنَّهما تَتَعارضانِ معَ مَبدأ «الفِداء» عند النَّصارى، وسَجَّلَ اعتراضَه وتخطئتَه بقولِه: «ونحنُ نسأل: هل من المعقولِ أَنْ يَغفرَ اللهُ أَو القاضي لمذنبٍ ارتكبَ السرقةَ لأَنه تجنَّبَ القتْلَ؟ يؤكِّدُ الكتابُ المقدَّسُ لنا أَنه لا غُفرانَ بغيرِ الفادي المسيح، الذي قالَ عنه القرآنُ: ﴿ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ [مريم: ٢١]، فالإِلٰه القُدّوسُ العادلُ لا يَمنحُ الغفرانَ للخاطئ بدونِ كَفّارة، ولا يَصفحُ عنه بدونِ فِداء! إِنَّ الغفرانَ بغيرِ حساب استهتارٌ بصفاتِ اللهِ القُدّوسَةِ الكاملة، فالعَدْلُ يَطلبُ قِصاصَ الخاطئ، والرحمةُ تَطلبُ العفْوَ عنه، وإِجابةُ أَحَدِ المطلَبَيْنِ تَعني تَعطيلَ إِحدى الصفتَيْن!»[١].

لا يُصَدِّقُ الفادي المفتري القرآنَ في وَعْدِه غفرانَ الصغائرِ باجتنابِ الكبائر، مع أَنه وَعْدٌ قرآنيٌّ صريح، يَجزمُ به المؤمنُ ويَفرحُ له، لأَنه وَعْدُ اللهِ الذي لا يُخلفُ الميعاد.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٧٤.

وهذا من رحمةِ اللهِ بالمؤمنين، فهو يَعلمُ أَنه لا بُدَّ للمؤمنِ أَنْ يَضعفَ ويَزِلَّ ويُخطئَ ويُذْنِب، وهو غيرُ معصومٍ من الأَخطاءِ والذنوب، وبما أَنَّه يتجنبُ الكبائر، كالقتْلِ والزِّنى والرِّبا والسرقةِ والخَمْر، فإِنَّ اللهَ يَغفرُ له الصغائرَ اللَّمَم، التي يُلِمُّ بها بدونِ قَصْدٍ أَو تَعمُّد، كالكلمةِ الخَطَأ، والنظرةِ الخَطَأ، والموقفِ الخَطَأ، والشعورِ الخَطَأ، على أَنْ يعترفَ بذنْبِه ويُسارعَ إِلى التوبةِ والاستغفار، ويُتبعَ السيئاتِ الحسناتِ لتَمحوَها وتَذهبَ بها.. قالَ تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤].

هذا المبدأُ القرآنيُّ لا يُعجبُ الفادي المفتري، واعْتَبَرَه لا يتفقُ مع العقلِ والمنطق، ومنطقُه العقليُّ يُقَرِّرُ أَنَّ اللهَ القُدّوسَ العادلَ لا يَغفرُ للمخطئ بدونِ كَفّارَة، ولا يَصفَحُ عنه بدونِ فِداء! وإِذا ظَنَّ المسلمُ أَنَّ اللهَ يُمكنُ أَنْ يغفرَ له بدونِ فداءٍ أَو كفارةٍ فهذا استهتارٌ منه بالله، لأَنَّ اللهَ العادلَ لا يَرحمُ بدونِ قِصاص، ولا يَغفرُ بدونِ كَفارةٍ أَو فداء.

وهل يَقْتُلُ المذنبُ نَفْسَه لتكونَ كَفارة؟! وهل يَسفكُ دَمَه ليكونَ فداء؟!.. لا داعي لذلك، فقد فَدى اللهُ ذُنوبَ المذنبينَ السابقينَ واللاحقينَ بابنِه الفادي المسيح، الذي أَذِنَ لليهودِ أَنْ يَقْتُلوهُ ويَصْلبوه، ليكونَ قَتْلُه كفارةً لذنوبِ المذْنبين جميعاً، ويكونَ دَمُه المسفوكُ على الصليبِ كفارةً لجميعِ الذنوب!!.

وعلى المذنبينَ والعصاةِ والمخطئين أَنْ يَفْرَحوا ويَطمئنوا، فاللهُ فَداهم بابنِه الفادي، وروحُ الفادي كفارةٌ لذنوبهم، ولا يُطْلَبُ منهم شيءٌ! لا توبةٌ ولا استغفار، ولا اجتنابٌ للكبائر، ولا تَرْكٌ للصغائر، ولا دَفْعٌ للكفارات!! ليَعْمَلوا ما شاؤوا من الذنوبِ الكبيرةِ والصغيرة ولا يخافوا، فالمسيحُ الفادي فَداهم وفَدى ذنوبَهم بنفسِه!.

اعتبرَ الفادي المفتري القرآنَ مخطِئاً عندما دَعا المسلمين إِلى تَجَنُّبِ الكبائر، وإِلى فعْلِ الحسنات، وإِلى التوبةِ والاستغفار، هذا كلُّه لا داعيَ له، والبركةُ في المسيحِ الفادي، الذي فداهم بنفسه!!.

واستشهدَ الفادي المفتري على هذا الفداءِ العجيبِ بالقرآن، حيثُ أَخْبَرَ أَنَّ اللهَ جعلَ المسيحَ آيةً ورحمة. قال تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٢١]. فالمسيحُ رحمةٌ من اللهِ للناس، لأنه فداهم بنفسِه، ورضيَ أَنْ يُقْتَلَ ويُصْلَبَ ليخلِّصَهم من ذنوبهم!!.

وهذا فهمٌ خاطئ وتفسيرٌ منحرفٌ للآية، فاللهُ أَخبرَ أنه سيجعلُ المسيحَ عليه السلام آيةً منه للناس، لأنه خَلَقَه بدونِ أب، وبغيرِ الطريقةِ المعتادةِ للولادةِ والنَّسْل، فكانَ خَلْقُه ونُمُوُّه في رَحِمِ أُمِّه آيةً دالَّةً على وحدانيةِ اللهِ وقدرتِه.

واللهُ جعلَه رحمةً منه للناس، وليستْ رحمةُ الناسِ به لأَنه فدى الناسَ بدمِه، وقُتِلَ وصُلِبَ من أَجْلِهِم، فهذا لم يَحْصُل، وهو الآنْ حَيٌّ في السماءِ.. إنما هو رحمةٌ لهم بنبوَّتِه ورسالتِه، وبالإِنجيلِ الذي أَنزلَه اللهُ عليه ليكونَ هدىً للآخَرين.

وكلُّ رسولٍ أَرسلَه اللهُ رحمةً للذينَ أُرسلَ إِليهم. ولهذا خاطَبَ اللهُ رسولَنا محمداً ﷺ بهذا، فقالَ له: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وأَكَّدَ الفادي فِكْرَه الكنسيَّ في جعْلِ قَتْلِ عيسى وصَلْبِه ـ كما يَفهمُ النَّصارى ـ توفيقاً بين عَدْلِ اللهِ في القصاصِ ورحمتِه بالعفو! قال: «والمسيحيةُ تَكشفُ الستارَ عن حكمةِ اللهِ المطْلَقَة، فعن طريقِ قُدرةِ اللهِ غيرِ المحدودة جاءَ التَّجَسُّدُ، وعن طريقِ الصلبِ جاءَ التوفيقُ بين عدلِ اللهِ الكاملِ ورحمتِه الكاملة. قالَ الإِنجيل: «إِنَّ الناموسَ بموسى أُعْطِيَ، أَما النعمةُ والحقُّ فبيسوعَ المسيحِ صارا..» [يوحنا: ١/١٧]»[1].

إِننا نرفضُ هذا الفكْرَ الكنسيَّ حولَ الخَلاصِ والتكفيرِ والفداء، لأَننا نؤمنُ أَنَّ اللهَ عَصَمَ رسولَه عيسى عليه السلام من أَعدائِه، فلم يَقْتُلوه ولم يَصْلبوه، فليسَ هناك قَتْلٌ ولا صَلْبٌ ولا فداءٌ ولا تكفير!!.

وهذا معناهُ أَنَّ كُلَّ مَنْ عصى أَو أَذْنَبَ عليه أَنْ يَتوبَ إِلى اللهِ ويَستغفرَهُ،

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٧٤ ـ ٧٥.

ليغفِرَ اللهُ له ذَنْبَه، وعليه أَنْ يجتنبَ الكبائرَ ليكُفِّرَ اللهُ له الصغائر، وعليه أَنْ يُكْثِرَ من الحسناتِ التي تُذْهِبُ السيئاتِ.

وقد اعترضَ الفادي المتحاملُ على القرآنِ في تقريره أَنَّ الحسناتِ يُذْهِبنَ السيئات، واعتبرَ هذا لا يَتفقُ مع عدلِ الله، ولا يُريحُ ضميرَ المسلم العاصي. لِنقرأْ قولَه العجيب: «أمّا قولُ القرآن: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤] فهو لا يتفقُ مع قَداسةِ اللهِ وعَدْلِه، ولا يُعطي الضميرَ راحةً ولا سَلاماً ولا شُعوراً بفَرَحِ الغفران»[١].

وهذا تَوَقُّحٌ من الفادي على القرآن، وتخطئةٌ صريحةٌ له، واتهامٌ له بأنه لا يَتفقُ مع عدلِ اللهِ وقداستِه، ولا أَدري لماذا؟! أَليس اللهُ الرحيمُ هو الذي قضى أَنْ تُذْهِبَ الحسناتُ السيئاتِ؟! وماذا في ذلك طالما أَنه أَمْرُ اللهِ وقَضاؤُه؟! وهو الفَعّالُ لما يُريدُ سبحانه.. أَليس اللهُ هو العزيزُ الغفور، الذي يَغفرُ لمن يشاء؟ أَليس اللهُ هو التوّابُ الذي يَتوبُ على عبادِه التّائبين؟ لماذا يَدَّعي المفتري أَنَّ هذا كلَّه لا يَتفقُ مع عدلِ الله؟!.

وادَّعى الفادي المفتري أَنَّ مفهومَ الذنبِ والتوبةِ والاستغفارِ في الإِسلام لا تُعطي ضميرَ المسلمِ راحةً ولا سَلاماً ولا فرحاً.. وقد نَقَلَ أَقوالاً عن رسولِ الله ﷺ وأَصحابه، كأَبي بكرٍ وعمرَ وعلي رضي الله عنهم، تُعَبِّرُ عن ما كانوا يَعيشونَه من قَلَقٍ واضطرابٍ واكتئابٍ وإِحباط.. وهذه الأَقوالُ مكذوبةٌ لم تَصْدُرْ عنهم، أَو لعلَّ بعضَها صَدَرَ عنهم لكنَّ الفادي المفتري أَساءَ فَهْمَها وتأْويلَها وتفسيرَها[٢].

٧٩

ما هي مصادر القرآن البشرية؟

يَرى الفادي المفتري أَنَّ القرآنَ ليس كلامَ الله، وإِنما أَخَذَهُ رسولُ اللهِ ﷺ من مصادِرَ بشريةٍ حولَه! وزَعَمَ أَنَّ القرآنَ لا يَثبتُ أَمامَ التدبرِ والبحثِ والفحص.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٧٥.
(٢) المرجع السابق، ص٧٥ ـ ٧٦.

وقد دَعانا اللهُ أَنْ نتدبَّرَ القرآنَ لمعرفةِ تناسُقِه وصحَّتِه وصَوابِه، وخُلُوِّه عن الخطأ والتناقضِ والاختلافِ والاضطراب، وذلك في قولِه تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وعلق الفادي على الآية بقوله: «وهل يَحتملُ القرآنُ التدبُّرَ والفحصَ؟ وهل يَقبلُ المسلمونَ مبدأَ البحثِ للوقوفِ على حَقيقةِ القرآن؟.. لقد دَلَّت الأَبحاثُ أَنَّ محمداً أَخَذَ القرآنَ وشرائعَه من الصابئين، وعربِ الجاهلية، واليهودِ، والمسيحيين، وعن تَصَرُّفاتِه التي جعلَها سُنَّةً لغيرِه»[1].

هكذا إذن! القرآنُ في نظرِ المفتري لا يَصْمُدُ أَمامَ الفحصِ والبحثِ والتدبُّر! وقد دَلَّت الأَبحاثُ على أَنَّ القرآنَ بشريُّ المصدر، أَخَذَهُ محمدٌ ﷺ من الناس الذين حولَه، كالعربِ واليهودِ والصابئين.. ولم يُخْبرنا الفادي المفتري من هم الذينَ قاموا بتلك الأَبحاث، ولا كيفيةَ قيامِهم بها، ولا مكانَها وزمانَها ونتائجَها.

وللتَّدليلِ على دَعواهُ عَرَضَ نماذجَ من ما أَخَذَهُ محمدٌ عن كل من: الصابئين والعربِ واليهودِ والنصارى وعاداتِه الشخصية! لِننظرْ في النماذجِ التي قَدَّمَها:

أولاً: ما أخذه عن الصابئين:

زَعَمَ الفادي المفتري أَنَّ الرسولَ ﷺ اعتبرَ الصابئين أَصحابَ دينٍ سماوي، وأَدخلَهم الجنة، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩]. وقال أيضاً بنفسِ الفكرةِ في سورة البقرة (٦١)، وسورة الحج (١٧)...

هل هذه الآيةُ اعترافٌ بدينِ الصابئين، وتَقريرٌ أَنهم على حق، وأَنهم من

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٧٦.

أَهلِ الجنة؟ إنها تَذْكُرُ الصابئين مع اليهودِ والنصارى، فهل كُلُّ اليهودِ مؤمنون في الجنة؟ وهل كُلُّ النصارى مؤمنونَ في الجنة؟ كلا. لا يُعْتَبَرُ مؤمناً مَقْبولاً من الصابئين واليهودِ والنَّصارى إلّا مَنْ آمنَ باللهِ واليومِ الآخرِ وعملَ صالحاً!.

ومتى يكونُ الإيمانُ بالله صَحيحاً كاملاً؟ لا يَكونُ صحيحاً مقبولاً إلا إذا آمنَ صاحبُه بكلِّ رسلِ اللهِ وأنبيائِه، وبكلِّ كتبه، فمنْ لم يؤمنْ بنبوةِ رسولٍ من رسلِه لم يُقْبَلْ إيمانُه كُلُّه، ومَنْ لم يُؤمِنْ بأَحَدِ كُتُبه التي أَنزلَها على رسلِه لم يُقْبَلْ إيمانُه كُلُّه.. فهل الصابئون واليهودُ والنصارى يؤمنونَ بكلِّ كُتُبِ الله ورسلِه؟ الجوابُ بالنفي!!.

لا يؤمنُ الصابئونَ بدينِ اليهودِ والنصارى والمسلمين، فهم كافرونَ مُخَلَّدونَ في جهنم.. ولا يؤمنُ اليهودُ بدينِ النصارى، وينكرونَ رسالةَ عيسى وكتابَه الإنجيلَ، كما يُنكرونَ رسالةَ محمدٍ ﷺ والقرآنَ المنزَّلَ عليه. فهم كفارٌ لم يؤمنوا باللهِ حقّاً.. أمّا النَّصارى فإنهم لا يؤمنون باللهِ حَقّاً، لأَنهم لا يؤمنونَ أَنَّ القرآنَ كَلامُ الله، ولا أَنَّ محمداً هو رسولُ الله ﷺ.

أَما نحنُ المسلمين فإنَّنا وَحْدَنا الذين نؤمنُ باللهِ حَقّاً، ونُحققُ أَركانَ الإيمانِ كاملة، فإننا نؤمنُ بكُلِّ الرسلِ الذين أَرسلَهم الله، وفي مقدمتِهم موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، ونؤمنُ بكلِّ الكتبِ التي أَنزلها الله، ومنها التوراةُ والإنجيلُ والقرآن.

وعندما ننظرُ في الآيةِ موضوعِ الحديث، فإننا نَراها تُقَدِّمُ لنا المسلمين باعتبارِهم الأُمَّةَ التي حَقَّقت الإيمانَ الصحيحَ الكامل، أَمّا الأُمَمُ الأُخرى فإنَّ الواحدةَ منها لا تُقْبَلُ إِلّا إذا كانَ إيمانُها مثْلَ إيمانِ المسلمين. قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾ [البقرة: ١٣٧].

وتتكوَّنُ الآيةُ من جملتَيْن: الجملة الأُولى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾. والمرادُ بالموصولِ وصلَتِه ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ المسلمون. وخَبَرُ «إِنَّ» محذوف، والتقدير: إِنَّ المؤمنين مفلحون...

والجملة الثانية: ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾.. فالواوُ في: ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ حرفُ استئناف وليسَ حرفَ عَطْف. ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ مبتدأ. ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ معطوفٌ عليه. والخَبرُ هو: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾.

ومعنى هذه الجملةِ الاسمية: ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾: المؤمنونَ من هذهِ الطوائف: اليهود والصابئين والنصارى، هم الذينَ آمَنوا بالله واليوم الآخر.. ولَنْ يَكونوا مؤمنين باللهِ حقّاً إلّا إذا آمَنوا بكلِّ كتبِه وخاتمِها القرآنِ، وآمَنوا بكلِّ رسلِ الله، وخاتمِهم محمدٍ ﷺ.

وليسَ في هذه الآية ثناءٌ على الصابئين، وشهادةٌ لهم بأنهم من أهلِ الجنة، كما زَعَمَ الفادي المفتري.

وكَذَبَ الفادي المفتري عندما زَعَمَ أَنَّ الإسلامَ أَخَذَ عقيدتَه عن الصابئين! وذلك في قوله: «وقد نَقَلَ الإسلامُ عنهم عقائدَهم، المعمولَ بها فيه إلى الآن!!»[1].

ولم يَجِد المفتري دَليلاً على دعواهُ الكبيرةِ الضالّة، إلّا كَلاماً مُجْمَلاً نقلَه من كتاب «بلوغ الأَرَب في أَحوالِ العرب» للآلوسي، ولم يُقَدِّم الآلوسي دَليلاً على كلامِه، واكتفى بادِّعاءِ أَنَّ للصابئةِ خمسَ صلواتٍ مثْلَ صلواتِ المسلمين، ويُصَلُّونَ على الجنازةِ مثلَ صلاةِ المسلمين عَلَيْها، ويصومون ثلاثينَ يوماً مثلَ المسلمين، ويتوجَّهون في صلاتهم نحو الكعبة، ويُحَرِّمونَ الميتةَ والدمَ ولحمَ الخنزير، ويُحَرِّمونَ زواجَ المحرمات من القريبات مثل المسلمين!!

وَهَبْ أَنَّ هذا الكلامَ صحيحٌ فهل مَعْناهُ أَنَّ الإسلام أَخَذَ عنهم عقائِدَهم؟ إنَّ «الصابئينَ» فرقةٌ صغيرةٌ قليلةُ العدد، لا يتجاوزُ عَدَدُ أَفرادِها بضعةَ آلاف، وهم مُقيمونَ في العراق، ولعلَّهم تَأَثّروا بالإسلام على مَدارِ التاريخِ الإسلامي، فأَخذوا منه بَعْضَ أَحكامِه وتَشريعاتِه.. أَمّا أَنْ يكونَ الإسلامُ هو الذي أَخَذ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٧٦.

عنهم عقائِدَهم وأحكامَهم، فهذا ادِّعاءٌ كبيرٌ ليس عليه دَليل.

وبهذا نَرى أَنَّ القرآنَ لم يَأْخُذْ من الصابئين شيئاً، وأَنَّ الفادي كاذبٌ مُفْتَرٍ عندما ادَّعى ذلك!!.

ثانياً: ما أَخَذَه عن عرب الجاهلية:

نَقَلَ الفادي المفتري أَقوالاً عن بعضِ العلماءِ المسلمين عن أَحوالِ العربِ الجاهليِّين الدينية، مثلِ الشهرستاني في المِلَلِ والنِّحَل، والآلوسي في نهايةِ الأَرب، وزَعَمَ أَنَّ الإِسلام جاءَ بها واعتَمَدَها، وأَنَّ محمداً ﷺ أَخَذَها عنهم، وبذلك صارَتْ حياةُ العربِ الجاهليةُ من مصادرِ القرآن، وهذا معناهُ أَنَّ القرآنَ من عندِ محمدٍ ﷺ، وليس من عندِ الله!!.

ومما نَقَلَه عن الشهرستاني والآلوسي عن أحوال العرب الدينيةِ في الجاهليةِ: كانوا يُحَرِّمونَ الجمعَ بين الأُختين، ويُحَرِّمونَ نِكاحَ زوجةِ الأَب، ويَحُجّون ويَعْتَمرون، ويَطوفون ويَسعون، ويَغْتَسِلون من الجنابة، ويقومونَ بتقليمِ الأَظفار، ونَتْفِ الإِبْط، وحَلْقِ العانة، ويَقْطعون يَدَ السارقِ اليمنى.. وكانوا يَلتزمونَ بدينِ إِبراهيم وإِسماعيل عليهما السلام، وكانوا يُوَحِّدونَ اللهَ ولا يُشركونَ به أَحَداً، ويُصَلّون ويَصومون ويُزَكّون ويَحُجّون، ثم طَرَأَ عليهم الشركُ بعد ذلك[1].

وليس غريباً أَنْ يَلتزمَ العربُ الجاهليّون بدينِ إِبراهيمَ وإِسماعيلَ عليهما السلام، فقد بَعَثَ اللهُ إِسماعيلَ رسولاً إِليهم عليه السلام، والبيتُ الذي بَناهُ إِبراهيمُ وإِسماعيلُ عليهما السلام ما زالَ موجوداً بينهم، وقد كانوا مُوَحِّدينَ لله فترةً من الزمان، ثم طرأَ عليهم الشركُ بعد ذلك، عندما أَدخَل عمرُو بنُ لُحَيّ عبادةَ الأَصنام عليهم، ووضعَ الأَصنامَ في الكعبة، وحَتّى بعد شِرْكِهم بالله، بقيتْ فيهم بعضُ الأَحكامِ والقيمِ والأَعرافِ الصحيحة، التي أَخَذوها عن شريعةِ إِسماعيلَ عليه السلام.

---

(١) انظر: هل القرآن معصوم؟، ص٧٧.

وليس غريباً أَنْ يأْتيَ الإِسلامُ بتلك الأَحكام والتشريعات، وأَنْ يكونَ مُصَدِّقاً لها، لأَنَّ اللهَ بعثَ إِسماعيل عليه السلام رسولاً، كما بَعَثَ محمداً ﷺ رسولاً، فالشريعةُ التي جاءَ بها إِسماعيلُ هي من عندِ الله، والشريعةُ التي جاء بها محمدٌ ﷺ هي من عندِ الله أَيضاً، والشرائعُ التي بَعَثَ اللهُ بها الرسلَ يُصَدِّقُ بعضُها بعضاً، مع أَنَّ كُلَّ شريعةٍ قد تختصُّ بما لم يوجَدْ بالشرائعِ قبلَها.

وقد جاءَ عيسى مُصَدِّقاً لما جاءَ به موسى قبلَه، عليهما الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].

وجاءَ القرآنُ مُصَدِّقاً وموافقاً لما سَبَقَه من الكتبِ الربانية، فيما لم يُحَرَّفْ منها، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

وكونُ القرآنِ مُصَدِّقاً للتوراةِ والإِنجيلِ ليس معناهُ أَنه أَخَذَ حقائِقَه وأَحكامَه منهما، ولا يقولُ هذا إِلّا جاهلٌ متحاملٌ مثلُ هذا الفادي المفتري.

وكونُ الإِسلامِ موافِقاً لشريعةِ إِسماعيل عليه السلام لا يَعني أَنَّ محمداً ﷺ أَخَذَ رسالتَه من العربِ الجاهليّين، كما قالَ هذا المفتري، إِنما يَعني توافُقَ الرسالتَيْن والشريعتَيْن: رسالةِ إِسماعيلَ وشريعتِه، مع رسالةِ محمدٍ وشريعتِهِ، عليهما الصلاة والسلام، لأَنهما من عند الله.

ثالثاً: ما أخذه عن اليهود:

ادَّعى الفادي المفتري أَنَّ التوراةَ وأَسفارَ العهدِ القديم كانت أَحَدَ مصادرِ القرآن، وأَنَّ الرسولَ ﷺ أَخَذَ القصصَ الكثيرةَ التي سَجَّلَها في القرآنِ عن أَسفارِ العهدِ القديم!! وهذا يَعني أَنها كانَتْ بينَ يَدَيْه، يقرأُ فيها ويَختارُ منها، ويَنقلُ عنها، ويَنسبُها إِلى الله! وما كان الرسولُ ﷺ قارئاً ولا ناقلاً ولا كاتباً. وأَشارَ اللهُ إِلى أُمِّيَّتِه الدالةِ على نبوَّتِه ورسالتِه، فقالَ تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن

كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

ولْنقرأْ دعوى الفادي الباطلة؛ قال: «في التوراةِ قصةُ آدمَ وقايينَ وهابيلَ ونوحٍ وإبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ولوطٍ ويوسفَ وموسى وفرعونَ وبني إسرائيل والمَنِّ والسَّلوى والوصايا العشر والتّابوت، وشريعةِ العين بالعين والذبائح، وقصة الجواسيس وقورحَ وبلعامَ وجَدعونَ وصموئيلَ وشاولَ وداودَ وسليمانَ وإيليا واليشعَ وأيوب. واقتطفَ القرآنُ من أقوالِ دوادَ وأشعياءَ وحزقيالَ ويونان وغيرهم. وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾»[1].

القَصَصُ المذكورةُ في القرآنِ أخَذَها محمدٌ ﷺ من التوراة، في زعْمِ هذا المفتري، ودليلُه على هذه الدعوى وجودُ تلك القَصَصِ في التوراةِ ووجودُها في القرآن، وهذا يعني أنَّ الكتابَ المتأخِّر أخَذَها من الكتابِ المتقَدِّم!!.

وعندما ننظرُ في حديثِ القرآنِ عن القصةِ من قَصَصِ السابقين وحديثِ التوراةِ عنها فإننا نجدُ فَرْقاً واضِحاً بين الحديثَيْن، ولا يَلْتَقيانِ إلّا في ذكْرِ عنوانِ القِصَّةِ ومُجْمَلِها، ولكنَّهما يَختلفانِ في التفاصيل، ويَظهرُ هذا في كلِّ قصةٍ ذَكَرَها القرآن، كقصةِ آدمَ وقصةِ نوحٍ وقصةِ إبراهيمَ وقصةِ يوسف وقصة موسى!.

والفادي نفسُه اعترفَ بالفَرْقِ بين حديثِ القرآنِ وحديثِ التوراةِ عن قَصَصِ السابقين، واعتبرَ هذا الفرقَ دليلاً على وُقوعِ الأخطاءِ التاريخيةِ في القرآن، وسَبَقَ أنْ ناقَشْناه في تلك الادِّعاءات.

وعجيبٌ موقفُ هذا الفادي وفهمُه الأعوج، فإذا وافَقَ القرآنُ التوراةَ في حديثِه عن قَصَصَ السابقين قال: أخَذَ محمدٌ القرآنَ عن التوراة، ونَقَلَ ما فيها! وإذا خالَفَ القرآنُ التوراةَ في بعضِ التفاصيل قال: أخطأَ القرآنُ في حديثِه لأنه خالَفَ التوراة!! المهمُّ أنَّ القرآنَ عندهُ متَّهَمٌ على كلِّ حال، سواءٌ وافَقَ التوراة أو خالَفَها!.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٧٧ ـ ٧٨.

إنَّ وجودَ فروقٍ بينَ حديثِ القرآن وحديثِ التوراةِ عن قَصَصِ السابقين دليلٌ على أنَّ القرآنَ وحيٌّ من عند الله، ولو كانَ من تأليفِ محمدٍ ﷺ لنَقَلَ كُلَّ ما وَجَدَهُ أمامَه، سواء كانَ خَطَأً أَوْ صَواباً.

وأشارَ القرآنُ إلى هذهِ الحقيقة، واعتبرَ ذِكْرَ أحداثِ القصةِ في القرآنِ دليلاً على أنه من عندِ الله. قال تعالى في خاتمةِ قصةِ نوحٍ في سورةِ هود: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ﴾ [هود: ٤٩].

وقالَ في خاتمةِ قصةِ يوسف: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢].

وقالَ في حديثِه عن قصةِ موسى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [القصص: ٤٤ ـ ٤٦].

ومن مُغالطاتِ الفادي المفتري أنه أرادَ أَنْ يَجعلَ القرآنَ نفسَه شاهداً على أنه مأخوذٌ من التوراة، فَذَكَرَ قولَه تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦] شاهداً على ذلك.

قَطَعَ الآيةَ عن سياقِها ليُسيءَ الاستدلالَ بها، وهي واردةٌ في سياقِ آياتٍ تتحدَّثُ عن مصدرِ القرآن، وتَجزمُ بأنه من عندِ الله. قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٧].

وليس معنى قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أَنَّ مادةَ هذا القرآن مأخوذةٌ من زُبُرِ الأَوَّلين، وكتبِ الأنبياءِ السابقين، كالتوراةِ والزبور والإنجيل، ولكن معناها أَنَّ القرآنَ مُصَدِّقٌ للكتبِ الربانيةِ السابقة، المنزَّلَةِ على الأنبياءِ السابقين،

وموافقٌ لها في ما قَدَّمَتْه من حقائقَ عقيديةٍ وأَخلاقيةٍ وعلمية.

رابعاً: ما أخذه عن النصارى:

زَعَمَ الفادي أَنَّ الإنجيلَ كان أَحَدَ المصادرِ التي أَخَذَ محمدٌ ﷺ منه مادَّةَ القرآن! وقالَ في زعمه: «أَخَذَ القرآنُ عن الإنجيلِ قصةَ بشارةِ الملاكِ لزكريا عن يوحَنّا، وقصةَ بشارةِ المَلاكِ لمريمَ العذراءِ عن ميلادِ المسيح، وعن اسمِه الكريمِ كلمةِ الله، وعن مَسْحِه بالروحِ القُدُس وتعاليمِه، ومعجزاتِه من حيثُ شفاءُ الأَبرص، وتفتيحُ عينِ الأَعمى، وإِقامةُ الموتى، ورفضُ اليهودِ له، وموتُه، وارتفاعُه للسماء، وشهادةُ الرسلِ والكنيسةِ والقساوسة.. واقتطفَ من أَقوالِ بولس الرسول من رسائِلِه لأَهْلِ رومية وكورنثوس وغلاطية وفيلبي وتسالونيكي والعبرانيين.. واقتطفَ من أَقوالِ يعقوب الرسول وبولس الرسول ويوحَنّا الرائي..»[١].

وما قلناهُ في المبحثِ السابقِ نقولُه هنا، فالقرآنُ موافقٌ للإنجيلِ الحَقِّ الذي أَنزلَه اللهُ على عيسى ﷺ، ومُصَدِّقٌ له، لأَنَّ الاثنينِ من عندِ الله، وكُتُبُ اللهِ يُصَدِّقُ بعضُها بعضاً، وتتوافقُ فيما تَعرضُه من معلوماتٍ وأَخبارٍ وحقائق.

صَدَّقَ القرآنُ الإنجيلَ في الإِخبارِ عن بشارةِ زكريا بيحيى ﷺ، وعن نَذْرِ أُمِّ مريمَ وولادتِها لها، وعن بشَارةِ مريمَ بعيسى، ومجيءِ جبريلَ ﷺ لها، وعن حملِها بعيسى وولادَتِه، وعن كونِ عيسى ﷺ عبدَ اللهِ ورسولَه، وعن آياتِه التي آتاهُ اللهُ إِياها، وعن دعوتِه لبني إِسرائيل، وعداوتِهم له، ومحاولتِهم صَلْبَه، وإِنجاءِ اللهِ له، وعن تبشيرِه بالنبيِّ الخاتمِ محمدٍ ﷺ.

ومع كونِ القرآنِ مُصَدِّقاً للإنجيل في هذه الموضوعات، إِلّا أَنَّ هناكَ فروقاً بين القرآنِ والأَناجيلِ الموجودةِ في ذكْرِ بعضِ التفصيلات، ولعلَّ السببَ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٧٨.

في ذلك هو تَحريفُ النصارى لأَناجيلِهم، وإِضافةُ كلامِهم إِلى كلامِ الله فيها، وتَسَرُّبُ الخطأ إِليها، ولذلك لا يُتابِعُها القرآنُ في تلك الأَخطاء!!.

ووجودُ هذه الفروقِ بين القرآنِ والأَناجيلِ دليلٌ على أَنَّ القرآنَ وَحْيٌ من عندِ الله، فلو أَخَذَ محمدٌ ﷺ مادَّتَه من الأَناجيلِ لأَخَذَ كُلَّ ما فيها، سواء كان خَطَأً أَو صواباً! وهذا أَمْرٌ يعترفُ به كلُّ مُنْصفٍ محايد، يُفكرُ بعقلِه ويَبحثُ عن الحق!!.

خامساً: ما أخذه من تصرفاته:

زَعَمَ الفادي المفتري أَنَّ محمداً ﷺ مَلأَ القرآنَ بأَخبارِه وسيرتِه وتصرفاتِه وأَعمالِه. قال: «يَحوي القرآنُ الكثيرَ من أَحوالِ محمدٍ الشخصية، التي جعلَها سُنَّةً لأَتْباعِه، فَذَكَرَ فيه غزواتِه وحوادثَ زوجاتِه، عائشة وزينب وخديجة ومارية القبطية وحفصة وأم هانئ وغيرهن.. ودَوَّنَ ما أَصابَه من أَثَرِ السِّحْرِ وتعوُّذاتِه منه، وسَجَّلَ بعضَ أَقوالِ الصحابة، وقالَ: إِنها تنزيلُ الحكيم العليم!!»[1].

إِنَّ مزاعمَ الفادي باطلةٌ تافهة، فالقرآنُ ليس «سيرةً ذاتيةً» لمحمدٍ ﷺ، سَجَّلَ فيها تفاصيلَ حياتِه ودقائقَ أَعمالِه، وليس كتابَ «مذكَّرات»، دَوَّنَ فيها كلَّ ما جرى له، كما يفعلُ الذين يكتبونَ مُذَكَّراتِ حياتِهم!! وإِنَّ الحديثَ عن حياةِ الرسولِ الخاصةِ ﷺ قليلٌ في القرآن. فقد حَزِنَ ﷺ كثيراً لموتِ زوجِه خديجةَ رضي الله عنها قبلَ الهجرة، حتى سُمِّيَ ذلك العامُ عامَ الحزن، وحَزِنَ لموتِ ابنِه إِبراهيمَ بعد الهجرة.. ولم يَتحدث القرآنُ عن موتِهما، ولا عَنْ حُزْنِ الرسولِ ﷺ، ولو كان القرآنُ من تأليفِه لوجَدْنا فيه صفحاتٍ في رثائِهما ونعيِهما ومشاعرِه تجاههما!.

أَمّا حديثُ القرآنِ عن جهادِ الرسولِ ﷺ لأَعدائِه فهذا لا غرابةَ فيه. فقد تَحَدَّثَ القرآنُ عن دعوةِ الرسولِ ﷺ وتبليغِه، وعن موقفِ أَعدائِه المشركين

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٧٨.

والمنافقينَ واليهودِ منه، وعن مواجهتِهم له، ومحاولاتِهم القضاءَ عليه وعلى دعوتِه، وعن جهادِه لهم وانتصارِه عليهم، وجَعَلَ ذلك كُلَّه عِبرةً وعِظَةً لأَصْحابِه الذين عاشوا معه، والمؤمنينَ الذين سيأْتونَ من بعدِه، ولذلك قال تعالى في تعقيبِه على أَحداثِ إجلاءِ بني النضير: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢].

إنَّ القرآنَ كتابُ تعليمٍ وتوجيه، وكتابُ هدايةٍ وبَيان، وكتابُ تربيةٍ وتزكية، وكتابُ تشريعٍ وتكليف، وكتابُ جهادٍ ومواجهة، وحَقَّقَ القرآنُ هذه المقاصدَ الحيةَ بمختلفِ الوسائلِ والأَساليب، ومنها ذِكْرُ أَحوالِ الرسولِ ﷺ وأَحوالِ أَصحابِه وأَحوالِ أَعدائِه، وجعلَ ذلك وسيلةً لبيانِ فضْلِ اللهِ على المسلمين، ومعيتِه لهم، وحفظِه لهم ورعايتهم، وتوجيهِهم إلى محبةِ اللهِ وذكْرِه وشكره.

وقد أَخطأَ الفادي المفتري عندما عَدَّ أُمَّ هانئ رضي الله عنها ضمنَ أَزواجِ النبيِّ ﷺ، مع أنه لم يتزوَّجْها. وكَذَبَ كِذْبَةً فاجرةً عندما ادّعى أَنَّ محمداً ﷺ سَجَّلَ في القرآنِ بعضَ أَقوالِ الصحابة، زاعِماً أَنها وحيٌ من اللهِ إليه! ونتحدّاهُ أَنْ يُثبِتَ هذا الافتراء!!.

٨٠

هل صلاة الجمعة من تشريع الجاهلية؟

اعترضَ الفادي المفتري على مشروعيةِ صلاةِ الجمعةِ في القرآن، وادّعى أَنها منْ تَشريعِ الجاهلية.

وقد أَمرَ اللهُ المؤمنين بصلاةِ الجمعةِ في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝١٠ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة: ٩ ـ ١١].

نَقَلَ الفادي عن تفسيرِ البيضاويِّ أَنَّ يومَ الجمعةِ في الجاهليةِ كان يُسَمّى يومَ العَروبَة، وقيلَ: إِنَّ أَوَّلَ مَنْ سَمّاهُ يومَ الجمعة كعبُ بنُ لُؤَيّ، أَحَدُ أَجدادِ قريش، لأَنَّ الناسَ كانوا يَجتمعونَ إِليه فَيحدِّثَهم عند الكعبة. وقالَ البيضاويُّ: إِنَّ أَوَّلَ جُمُعَةٍ صَلّاها رسولُ الله ﷺ كانت عندَ قدومِه المدينة حيثُ أدركَتْه صلاةُ الجمعةِ قُبيلَ المدينة، فصَلّاها في تجمعٍ للمسلمين في وادٍ لبني سالم بن عوف.

وَنَقَلَ عن كتابِ بُلوغِ الأَربِ للآلوسي أَنَّ كَعْبَ بنَ لُؤَيٍّ كانَ يَجمعُ قريشاً في ذلك اليومِ حولَ الكعبةِ، ويَخطبُ فيهم، ولذلك سماهُ يومَ الجُمُعَة.

وعَلَّقَ الفادي الجاهلُ على ذلك النقل بقولِه: «فيومُ الجمعةِ مصدَرُه عَرَبُ الجاهلية، ومن وَضْعِ كعبِ بنِ لُؤَي، وليس من وحيِ السماء»[1].

نُبادرُ إِلى القول: لم يَثْبُتْ بروايةٍ معتمدةٍ ما قالَه البيضاويُّ والآلوسيُّ عن وجودِ اسمَيْن ليومِ الجمعة، وعن سببِ تغييرِه من يومِ العَروبة إِلى يومِ الجمعة، وعن أَنَّ كَعْبَ بنَ لُؤَيٍّ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ قريشاً وخطبَ فيهم حولَ الكعبة، وكانَ هذا قبلَ ولادةِ الرسولِ ﷺ بعشراتِ السنين. وبما أَنَّ هذا القولَ لم يَثْبُتْ عندنا، فإِننا نتوقفُ فيه، فلا نُكَذِّبُه ولا نُصَدِّقُه.

وَهَبْ أَنَّ القولَ صحيح، فإِنه لا يُؤَدّي إِلى النتيجةِ الخاطئةِ التي خرجَ بها الفادي الجاهلُ منه!! وأَقْصى ما يَدُلُّ عليه أَنَّ يومَ الجمعةِ سُمِّيَ بذلك قبلَ ميلادِ الرسولِ ﷺ بعشراتِ السنين، وأَنَّ العربَ الجاهليّين كانوا يَجتمعونَ فيه ويتحدَّثون!! وأَينَ هذا من مشروعيةِ صلاةِ الجمعة، التي أَمَرَ اللهُ المسلمين أَنْ يُؤَدّوها فيه؟!.

نعمْ مصدرُ يومِ الجمعةِ عربُ الجاهلية، وهم سَمّوهُ بهذا الاسمِ قبلَ الإِسلامِ بعشراتِ السنين، كما أَنهم سَمّوا باقي أَيامِ الأُسبوعِ بأَسمائِها في ذلك الزمنِ البعيد.. ولم يَدَّعِ المسلمونَ أَنَّ اسمَ يومِ الجمعةِ جاءَ وَحْياً

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٧٩.

من السماء، حتى يُسَجِّلَ الجاهلُ اعتراضَه وتخطئتَه للقرآن!.

لما بَعَثَ اللهُ محمداً رسولاً ﷺ وأَنزلَ عليه القرآن، كانَ هذا اليومُ يُسَمّى يومَ الجمعة، ولم يُسَمِّهِ القرآنُ يومَ الجمعة، والجديدُ في الأَمْرِ أَنَّ اللهَ شَرَعَ فيه صلاةَ الجمعة، وكان تشريعُها قُبيلَ دُخولِ الرسولِ ﷺ المدينةَ يومَ الهجرة، ثم أَنزلَ اللهُ سورةَ الجمعةِ بعد الهجرة، وأَمَرَ المسلمينَ بأَداءِ الصلاة، وكان الأَمْرُ في آياتِ سورة الجمعة تأكيداً لمشروعيتِها يومَ الهجرة!.

وبهذا نَعْرِفُ جهلَ الفادي في عدمِ تفريقِه بين اسْمِ يومِ الجمعة الذي سُمِّيَ به قبلَ الإِسلامِ بعشراتِ السنين، وبين مشروعيةِ الصلاةِ فيه، التي شَرَعَها اللهُ وأَمَرَ المسلمينَ بها يومَ الهجرة!.

ونقلَ الفادي خَبَراً نَسَبَهُ إِلى كتابٍ مجهول، سَمّاه «السيرة النبوية المَلكيَّة»، زَعَمَ أَنَّ المسلمينَ هم الذين اقْتَرَحوا على النبيِّ ﷺ صلاةَ الجمعة. قال: «وَرَدَ في كتابِ (السيرة النبوية الملكية) أنه لما هاجَرَ محمدٌ إِلى المدينةِ قال له المسلمون: إِنَّ لليهودِ يَوْماً يَجتمعونَ فيه للعبادةِ وسَماعِ الوعظِ هو يومَ السبت، وللنصارى يوماً يجتمعونَ فيه للعبادةِ وسَماعِ الوعظ، ونحنُ المسلمينَ لا يومَ لنا نجتمعُ فيه لعبادةِ اللهِ تعالى أُسوةً بأَهْلِ الكتاب، فأَشارَ عليهم بيومِ الجمعة».

وهذا الخَبَرُ موضوعٌ مكذوبٌ باطل، ولذلك لم يَرِدْ في حديثٍ صحيحٍ أَو حَسَنٍ أَو ضَعيف، وهو يوحي بأَنَّ تشريعَ صلاةِ الجمعةِ بَشَرِيّ، وليس ربّانيّاً من عندِ الله، خَضَعَ فيه الرسولُ ﷺ لرغبةِ المسلمين، المتأَثِّرين باليهودِ والنصارى، فلما طَلبوا منه استجابَ لهم وشرعَ لهم صلاةَ الجمعة!!.

وقد كانَ الفادي خَبيثاً عندما عَلَّقَ على خبرِه الموضوعِ قائلاً: «ونحنُ نَسأل: إِذا كانَ اليهودُ يَجتمعونَ للعبادةِ يوم السبت، لذكْرِ خَلْقِ اللهِ العالَمَ في ستةِ أَيام، واستراحتِه في اليومِ السابع، وإِذا كان النَّصارى يَحفظونَ يومَ الأَحَدِ لذكْرى قيامةِ المسيح فيه، فما الذي يَجعلُ المسلمينَ يَجتمعونَ يومَ الجمعة؟

هل لِيُحاكوا أَهْلَ الكتاب؟ لِمَ لَمْ يَختاروا اليومَ الذي صنَعَه الربّ، بل اليومَ الذي وَضَعَتْهُ عربُ الجاهلية؟!»[1].

يُريدُ الفادي الخبيثُ من تعليقِه أَنْ يَجعلَ المسلمين مُقَلِّدين لليهودِ والنصارى، راغبينَ في محاكاتِهم، فبما أَنَّ اليهودَ والنَّصارى يَجتمعونَ يَوْماً في الأُسبوع فلماذا لا يَفعلُ المسلمون مثلَهم؟ وهو بهذا يُؤَكِّدُ على بشريةِ القرآن، وبشريةِ التشريعِ الإسلامي.

وعندما ننظرُ في الآيةِ التي أَمرت المؤمنين بصلاةِ الجمعة، فَسنجدُها تَكْليفاً مباشِراً من اللهِ للمؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾.. فاللهُ هو الذي خاطَبَهم وكَلَّفَهم وأَمَرَهم، وشرعَ لهم صلاةَ الجمعةِ في يومِ الجمعة، ولم يكن الآمِرُ هو الرسولَ ﷺ بناءً على طلبٍ منهم، كما زَعَمَ الفادي المفتري!.

وقد أَخْبَرَنا رسولُ الله ﷺ أَنَّ يوم الجمعةِ هو أَفضلُ أيامِ الأُسبوع، جعلَه اللهُ أَفْضَلَ الأَيام قبلَ وجودِ اليهودِ والنصارى، وأَنَّ اليهودَ والنصارى كانوا مأمورين بيومِ الجمعة، لكنَّهم تركوه، فاختارَ اليهودُ السبت، واختارَ النصارى الأَحَد، وكانوا مُتَّبِعين لهواهم!.

روى مسلمٌ عن أَبي هريرةَ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «نَحنُ الآخِرون، السابقونَ يومَ القيامة، بيد أَنهم أُوتوا الكتابَ من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، وهذا يومهم الذي فَرَضَ اللهُ عليهم، فاخْتَلَفوا فيه، فَهدانا اللهُ له، فهم لنا فيه تَبَع، اليهودُ غداً، والنَّصارى بعدَ غد».

وروى مسلم عن أَبي هريرة وعن حذيفةَ بنِ اليمان رضي الله عنهما قالا: قالَ رسولُ الله ﷺ: «أَضَلَّ اللهُ عن الجمعةِ مَنْ كانَ قَبْلَنا، فكانَ لليهودِ يومُ السبت، وكانَ للنصارى يومُ الأَحَد، فجاءَ اللهُ بنا، فهدانا اللهُ ليومِ الجُمُعَة،

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٧٩.

فجعلَ الجمعةَ والسبتَ والأحد، وكذلك هم تَبَعٌ لنا يومَ القيامة، نحنُ الآخِرون من أهلِ الدنيا، والأوَّلونَ يومَ القيامة، المقضيُّ بينهم قبلَ الخلائِق».

وروى مسلمٌ عن أبي هريرة ﷺ عن رسولِ الله ﷺ قال: «خَيْرُ يومٍ طَلَعَتْ فيه الشمسُ يومُ الجمعة، فيه خُلِقَ آدم، وفيه أُدخلَ الجَنة، وفيه أُخرجَ منها».

ولا وَزْنَ لكلامِ الفادي المفتري واعتراضِه، بعدَ هذه الآياتِ الصريحةِ والأحاديثِ الصحيحة عن رسول الله ﷺ، حولَ فَضْلِ يومِ الجمعةِ وصلاةِ الجمعة!.

٨١

هل يباح القتال في الأشهر الحرم؟

جَعَلَ اللهُ أربعةَ أَشهر في السنةِ أَشْهُراً حُرُماً، حَرَّمَ فيها القتال. وهذه الأَشهرُ هي: ذو القعدة وذو الحجة ومُحرمٌ ورجب. قالَ تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [التوبة: ٣٦].

واعترضَ الفادي على القرآنِ في حديثِه عن حرمةِ القتالِ في الأَشهرِ الحُرُم، ثم إباحتِه القتالَ فيها بعدَ ذلك. قال: «يُحَرِّمُ الإسلامُ القتالَ والقَتْلَ والثَّأْرَ تحريماً مُطْلَقاً في الأَشْهُرِ الحُرُم، وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم، مهما كانت الدواعي إلى ذلك، ويعودُ أَصْلُ ذلك إلى عربِ الجاهليةِ قبلَ الإسلام»!.

وبعدَ أَنْ نَقَلَ كَلاماً للآلوسيِّ في نهايةِ الأَرَبِ أَكَّدَ مُغالَطَته واتِّهامَه السابقَ بقولِه: «فالإسلامُ أَخَذَ هذا التحريمَ عن عربِ الجاهلية، ولم يَأْتِ بجديد»[١].

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٧٩ ـ ٨٠.

وقد سَبَقَ أَنْ ناقَشْنا الفادي في زعمهِ أَخْذَ القرآنِ تشريعاتِه من الجاهلية.

صحيحٌ أَنَّ العربَ الجاهليّين كانوا يُحَرِّمونَ القتالَ في الأَشْهُرِ الحُرُم، لكنَّ هذا ليسَ تشريعاً منهم، وإِنما أَخَذوهُ عن شريعةِ إِسماعيلَ عليه السلام، ضمنَ الكثيرِ من الموروثاتِ الدينيةِ التي وَرِثوها عنه عليه السلام، كالحَجِّ إِلى الكعبة.. ولكنَّهم تَلاعَبوا بحرمةِ الأَشهرِ الحُرُمِ بالنسيء، فإِذا كانَتْ مصلحَتُهم بالقتالِ في أَحَدِ الأَشهرِ الحُرُم، نَسؤُوا حُرْمَتَه إِلى شهرٍ آخر.

وقد ذَمَّهم اللهُ بقولِه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٣٧].

ولما جاءَ الإِسلامُ حَرَّمَ النسيءَ الذي كان يمارسُه الجاهليّون، وثَبَّتَ حرمةَ الأَشهرِ الأربعةِ الحُرُم. قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦].

وقد أَكَّدَ رسولُ اللهِ ﷺ على حُرمةِ الأَشهرِ الحُرُم، وثَبَّتَها، ومنعَ النَّسيءَ فيها، في خطبةِ الوَداع، التي أَلْقاها يومَ عرفةَ في حَجَّةِ الوداع؛ روى البخاريُّ عن أَبي بَكْرَةَ رضي الله عنه عن رسولِ اللهِ ﷺ قال: «إِنَّ الزمانَ قد اسْتَدار، كهيئَتِهِ يومَ خَلَقَ اللهُ السمٰواتِ والأَرض، السنةُ اثْنا عَشَرَ شَهْراً، منها أَربعةٌ حُرُمٌ، ثَلاثٌ مُتواليات: ذو القعدةِ وذو الحجةِ والمحرم، ورجبُ مضرَ الذي بينَ جمادى وشعبان».

وبهذا نَعرفُ أَنَّ القرآنَ لم يأخذْ تشريعَ حرمةِ الأَشهرِ الحُرُم عن الجاهليةِ العربية، وإِنما هو تَشريعٌ ذاتيٌّ منه، توافَقَ مع شريعةِ إِسماعيل عليه السلام، على اعتبارِ أَنَّ شريعةَ إِسماعيلَ وشريعةَ محمدٍ ﷺ من عندِ الله.

وبهذا نعرفُ افتراءَ الفادي في قولِه: «فالإِسلامُ أَخَذَ هذا التحريمَ عن عَرَبِ الجاهلية، ولم يَأْتِ بجديد»!.

وقد افْتَرى الفادي على الإِسلام افتراءً آخَرَ عندما زَعَمَ أَنَّ الإِسلامَ يُحَرِّمُ القِتالَ والقَتْلَ تَحريماً مُطْلَقاً في الأَشهرِ الحُرُم، مهما كانَت الدواعي: «يُحَرِّمُ الإِسلامُ القَتْلَ والقِتالَ والثَّأْرَ في الأَشهرِ الحُرُم، مهما كانت الدواعي إِلى ذلك»[1].

والصحيحُ أَنَّ الإِسلام حرمَ على المسلمين أَنْ يَبْدَؤوا هم بالقتالِ في الأَشهرِ الحرم، لكنَّه يُبيحُ للمسلمين أَنْ يُقاتِلوا الكُفارَ في الأَشْهرِ الحُرُم، إِذا بدأَ الكفارُ بالقتال، وعلى هذا قولُه تعالى: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟﴾ [البقرة: ١٩٤].

ومعنى الآية: التزامُ المسلمينَ بحرمةِ الشهرِ الحرامِ مشروطٌ بالتزام المشركين، لأَنه لا بُدَّ على الطَّرَفِ الآخرِ من الالتزام، فإِذا لم يلتزم المشركونَ بذلك وهاجَموا المسلمين واعْتَدَوْا عليهم، كانَ المسلمون في حِلٍّ من الالتزام، لأَنه لا معنى لأَنْ يُواجِهَ المسلمونَ عُدْوانَ الكافرين بالكَفِّ عن قتالِهم والرَّدِّ على عدوانِهم، لأَنَّ هذا الشهرَ حرام! فالحُرُماتُ قِصاص، بمعنى أَنَّ المسلمين مُلْتَزمون بحرمَتِها إِذا التزمَ الكفارُ بها، فإِن انتهكوا حُرْمَتَها واعْتَدَوْا على المسلمين، جازَ للسلمين قتالُهم، والبادئُ أَظْلَم!.

واستشهدَ الفادي الجاهلُ على حُرْمَةِ الأَشهرِ الحُرُم بآيةٍ من سورةِ التوبة، زَعَمَ أَنها نفسها في سورةِ محمد. قال: «جاءَ في سورةِ محمد: ٤، وسورة التوبة: ٥ : ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾»[2].

وبمراجعةِ سورةِ محمدٍ لم نَجد الآيةَ الرابعةَ فيها بهذا النَّصِّ كما زَعَمَ المفتري، ونَصُّها هو: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ﴾ [محمد: ٤]. فإِحالةُ الفادي المفتري على آيةٍ ليستْ بالنَّصِّ الذي أَوردَه صورةٌ من صورِ تَحريفِه وتَلاعُبِه بكتابِ الله!.

واستشهادُ الفادي بالآيةِ الخامسةِ من سورةِ التوبة على حُرْمَةِ القتالِ في

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٧٩. (٢) المرجع السابق نفسه

الأشهرِ الحُرُم دليلٌ على جهلِه، والراجحُ أَنَّ الأشهرَ المذكورةَ فيها غيرُ الأشهرِ الحُرُمِ التي تَحَدَّثْنا عنها.

لقد ذَكَرَ القرآنُ نوعَيْنِ من الأشهرِ الأربعةِ الحُرُم:

النوع الأول: الأشهرُ الأربعةُ الحُرُمُ، التي حَرَّمَ اللهُ على المسلمينَ البدءَ بقتالِ الكفارِ فيها، وأَجازَ لهم الرَّدَّ على عدوانِهم، وهي: ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب. والتي ثَبَّتَ الرسولُ ﷺ حُرْمَتَها، ومنعَ النَّسيءَ فيها.

النوع الثاني: الأشهرُ الأَربعةُ الحُرُم، التي جعلَها الرسولُ ﷺ مهلةً للمشركين لتَصويبِ أَوضاعِهم وتَرتيبِ أُمورِهم.. حيثُ سيعلنُ الحَرْبَ عليهم بعد انْقضائِها، لتطهيرِ الجزيرةِ العربيةِ من الشركِ والكفر.

وهي المذكورةُ في مقدمةِ سورةِ التوبة؛ قالَ تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٤ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١ ـ ٥].

وقد كانَ نزولُ مقدمةِ سورةِ التوبة في أَواخِرِ السنةِ التاسعةِ من الهجرة، حيثُ وَجَّهَ رسولُ اللهِ ﷺ أَبا بكر الصديق رضي الله عنه ليحُجَّ بالمسلمين في موسمِ السنةِ التاسعة، وبعدما تَوَجَّهَ أَبو بكرٍ رضي الله عنه بالحُجّاجِ إلى مكةَ أَنزلَ اللهُ على رسولِه ﷺ مطلعَ سورةِ التوبة، بتحديدِ العهودِ بين رسولِ اللهِ ﷺ وبين المشركين، وإِعطائِهم مُهْلَةَ أَربعةِ أَشهر، تبدأُ من يومِ عرفةَ من السنةِ التاسعةِ، لترتيبِ أُمورهم، حيثُ سيُعلنُ عليهم الحربَ بعد انقضائِها، لتحريرِ الجزيرةِ

العربيةِ من الشرك.. فأَرسلَ رسولُ اللهِ ﷺ عليَّ بْنَ أَبي طالبٍ رضي الله عنه ليلحقَ بأَبي بكرٍ رضي الله عنه، ويُخبرَ الناسَ في موسمِ الحج بمضمونِ الآيات. وكانَ عليٌّ ومعه بعضُ الصحابة يَصيحونَ في تَجَمُّعاتِ الحُجّاجِ في عرفاتٍ ومِنى ومكةَ بمضمونِها. قالَ عليُّ بنُ أَبي طالب رضي الله عنه: بَعَثَني رسولُ اللهِ ﷺ في موسم الحَجِّ أُنادي في الناسِ بأَربعةِ أُمور: لا يَدخلُ الجنةَ إِلّا نفسٌ مؤمنة، ولا يَحُجُّ بعدَ هذا العام مشرك، ولا يَطوفُ بالبيتِ عريان، ومَنْ كانَ بينه وبينَ الرسولِ ﷺ عهدٌ فمدَّتُه أَربعةُ أَشهرٍ فقط.

وكان بدءُ الأَربعةِ أَشهرٍ المذكورةِ في قوله تعالى: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ هو العاشرَ من ذي الحجة من السنةِ التاسعة، وتنتهي في العاشرِ من شهرِ ربيعِ الثاني من السنةِ العاشرة!!.

والذي حَصَلَ أَنَّ كُلَّ القبائلِ العربيةِ أَسلمتْ في كُلِّ الجزيرةِ العربيةِ خلالَ الأَشهرِ الأَربعة، وبَعَثَتْ وُفودَها ومَندوبيها إِلى رسولِ الله ﷺ في عامِ الوفود، وهو السنةُ العاشرةُ من الهجرة.

ولكنَّ الفادي الجاهلَ لا يَعرفُ هذه المعلومات، فجعلَ الأَربعةَ أَشهرٍ المذكورةَ في الآيةِ الخامسةِ من سورة التوبة، هي نفسَها الأَربعةَ أَشهرٍ المذكورةَ في الآيةِ السادسة والثلاثين من السورة!!.

وقد تَوَقَّحَ الفادي المجرمُ على الرسولِ ﷺ، وشَتَمَهُ وشَتَمَ الإِسلامَ والقرآن، وذلك في قولِه الفاجر: «... فالإِسلامُ أَخَذَ هذا التحريمَ عن عربِ الجاهلية، ولم يأْتِ بجَديد.. وأَمّا الجديدُ في الأَمْرِ فهو أَنه بعد أَنْ وافَقَ الإِسلامُ العربَ على الأَشهرِ الحُرُمِ التي جَعلوها فُرصةً للسَّلامِ والتعايشِ والهدوءِ النِّسْبِيّ، وجعلَ هذا التحريمَ شريعةً من الله، رأى محمدٌ أَنَّ هذا يَتعارضُ مع رغبتِه في الغزوِ والانتقام، فَغَدَرَ بأَعدائِه، وأَباحَ ما سبق تحريمُه، وناقَضَ نفسَه بقولِه في سورة البقرة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ...﴾ [البقرة: ٢١٧]».

تَأَمَّلْ مَعَنا الجُمَلَ الخبيثَةَ في كلامه، التي هاجَمَ فيها الإسلامَ والقرآن، وأَصرَّ على بشريةِ القرآن، وأَنَّ الرسولَ ﷺ أَخَذَهُ من عربِ الجاهلية، ثم نَسَبَهُ إلى الله، وجَعَلَ أحكامَه شريعةً من الله! وتَأَمَّلْ شَتْمَهُ للرسولِ ﷺ، عندما زَعَمَ أَنَّ رغبَتَه قائمةٌ على الغزوِ والانتقام، وَوَصَفَهُ بالغَدْرِ! وناقَضَ نفسَه حيثُ أَباحَ ما سبقَ أَنْ حَرَّمَه على نفسِه من القتالِ في الأَشهرِ الحُرُم.

وزَعَمَ الفادي المجرمُ أَنَّ القرآنَ من تأليفِ محمدٍ ﷺ، حيثُ قال: «وناقَضَ نفسَه بقولِه في سورةِ البقرة...». أَيْ أَنَّ سورةَ البقرةِ من تأليفِه، والقرآنَ كُلَّه من تأليفِه.. وكُلُّ كتابِ الفادي المفتري يُؤَكِّدُ على تكذيبِه القرآن، ونَفْيِ أَنْ يكونَ من عندِ الله، وتأكيدِ أَنه من كلامِ وتأليفِ محمدٍ ﷺ، ولذلك وَقَعَ في الأَخطاءِ والتناقُض!!.

وَوَصْفُ الفادي الرسولَ ﷺ بالغَدْرِ دليلٌ على بذاءَتِه ووَقاحتِه، وقد شهدَ أَبو سفيانَ الذي كانَ زعيمَ مكةَ الكافرة وأَشَدَّ الناسِ عداوةً لرسولِ اللهِ ﷺ بأنه لم يَغْدِر. فعندما سَأَلَه هِرَقْل: هل يَغْدِر؟ أَجابَه قائلاً: إنه لا يَغْدِر!. ويأتي هذا الدَّعِيُّ المفتري اليومَ ليقولَ: إنه يَغْدِر!!.

٨٢

ما هو أصل التكبير؟

يَرى الفادي المفتري أَنَّ أَصْلَ التكبيرِ جاهليّ، وأَنَّ الجاهليّين كانوا يقولون: اللهُ أكبر!.

أَوردَ قولَ اللهِ ﷻ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١] ومعنى قولِه: «كبره تكبيراً»: قل: اللهُ أكبر!.

كما أَوردَ قولَ اللهِ في الإِخبارِ عن ما جرى بينَ إِبراهيمَ ﵇ وبينَ قومِه، عندما أَبْطَلَ كونَ الكواكبِ آلهة: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨].

وفَهِمَ الفادي الجاهلُ من كلامِ إبراهيمَ عليه السلام أنه كانَ يؤمنُ بوجودِ آلهةٍ مع الله، وأنَّ بعضَ تلك الآلهةِ صغير، وأَنَّ الشمسَ أكبرُ من تلك الآلهة.

وخَرَجَ من هذا بافتراءٍ كبير، هو أَنَّ التكبيرَ من أَصْلٍ جاهليّ، وأَنَّ المسلمينَ عندما يَذكرونَ اللهَ قائِلين: «الله أكبر»، إنما أَخَذوا هذا عن الجاهليّين المشركين! وأَنَّ معنى «الله أكبر» عندَه أَنَّ اللهَ أكبرُ من الآلهةِ الصغيرة، التي تُساعِدُه في إدارةِ هذا العالم! فالمسلمونَ في نظره مشركون، يُؤمنونَ بوجودِ آلهةٍ صغيرةٍ بجانبِ اللهِ الأكبر!!.

قالَ في افترائِه: «كان عَرَبُ الجاهليةِ يُكَبِّرونَ اللهَ في بعضِ الأَحوالِ قائلين: اللهُ أكبر.. بناءً على اعتقادِهم بوجودِ إلٰهٍ في السماء، أو اللهُ بينَ كُلِّ الآلهةِ هو إلٰهُها وربُّها، والآلهةُ الأُخرى أعوانُه وعُمّالُه في أَرضِه.

وزَعَمَ النَّقْلَ عن كتابِ بلوغِ الأَرَب للآلوسي أنه لما افْتَدى عبدُ المطلب ـ جَدُّ الرسولِ ﷺ ـ ابْنَه عبدَ الله بمئةٍ من الإِبِلِ ونجا ابْنُه من الذَّبْحِ صاحَ عبدُ الله قائلاً: اللهُ أَكْبَر. وكَبَّرَتْ قريشٌ معه!»[1].

إنَّ كلامَه عن إيمانِ العربِ الجاهليّين بوجودِ آلهةٍ مع اللهِ صَحيح، فهذا معروفٌ عنهم، وقد ذَكَرَهُ القرآنُ في آياتٍ عديدة، وأَبْطَلَه وفَنَّدَه، وعَرَضَ الأَدلةَ العديدةَ على أَنَّ اللهَ هو الإلٰهُ وَحْدَه، لا شريكَ له.

أَمّا زعْمُه أَنَّ العربَ الجاهليّين كانوا يُكَبِّرونَ اللهَ في بعضِ أَحوالِهم فهذا باطل، وزَعْمُه أَنَّ عبدَ الله كَبَّرَ اللهَ لما نَجا من الذَّبْحِ باطل، وهو يَعتمدُ على بعضِ الأَخبارِ والرواياتِ غير الثابتة، ومعلومٌ أنه ليس كُلُّ قولٍ أو خبرٍ في كتبِ المؤَرِّخين أَو المحَدِّثين أو المفسرين معتمداً، ولا بُدَّ من تخريجِ تلك الأَقوالِ والأَخبار، واعتمادِ ما صَحَّ منها!!.

وقد كانتْ فريةُ الفادي كبيرةً، عندما زَعَمَ أَنَّ المسلمين أَخَذوا قولَهم: «الله أكبر» عن العربِ الجاهليّين، واعتبرَ هذه العبارةَ صورةً من صورِ الشركِ بالله، لأَنها تدلُّ على وُجودِ آلهةٍ صغارٍ بجانبِ اللهِ الأكبر!!.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٨٠.

إنَّ كلمةَ «اللهُ أكبر» عنوانُ التوحيد، بجانبِ الكلمةِ الطيبة: «لا إلٰه إلّا الله»، ولذلك جعَلها الإسلامُ عنوانَ الدخولِ في الصلاة، والانتقال فيها، وفي العيدَيْن وغيرهما.

٨٣

حول عالم الجن

تَحدَّثَ القرآنُ عن عالَمِ الجِنّ، وأَخبرَ عن استماعِ نَفَرٍ من الجِنِّ القرآنَ من رسولِ اللهِ ﷺ، وإيمانِهم به، ودخولِهم في الإسلام. قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩ ـ ٣١].

وقد خَطَّأَ الفادي المفتري القرآنَ في حديثِه عن عالَمِ الجن، ونفى وجودَ جِنٍّ مؤمنين، لأَنَّ عالَمَ الغيب عنْدَه إما ملائكةٌ وإمّا شياطين، وأَثارَ حولَ القرآنِ أَسئلةً تشكيكيةً. قال: «ويُعَلِّمُنا الكتابُ المقَدَّسُ بوجودِ ملائكةٍ وشياطين، ولكنَّه لا يُعَلِّمُ بوجودِ الجِنّ، الذي يَقولُ المسلمونَ: إنهم جنسٌ عاقلٌ بينَ الإنسِ والشياطين، وإنهم لما سَمعوا القرآنَ آمَنوا به وبالله، وبَشَّروا الجِنَّ الآخَرين، وقالوا: إنَّ القرآنَ جاءَ من بعدِ موسى.

فلماذا لم يُسمع اللهُ الجِنَّ رسالةَ موسى وعيسى؟ ولماذا خَصَّ الجِنَّ بالقرآنِ وَحْدَه؟ ولماذا يَقولُ الجِنُّ: إنَّ القرآنَ جاءَ من بعْدِ موسى؟ ولم يَقُلْ من بعدِ الزبورِ والإنجيل، مع أَنَّ الإنجيلَ أَقربُ إليهم من عَهْدِ موسى؟ وكيف يَتَصَوَّرُ صاحبُ القرآنِ أَنَّ الجِنَّ وهم أَرواحٌ يَتَزَوَّجونَ وَيَتَناسلونَ مع أَنهم يقولون: إن إبليسَ من الجن؟»(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٨١.

يَزعمُ الفادي أَنَّ الكتابَ المقَدَّسَ لا يتحدَّثُ إلا عن الملائكةِ والشياطين، وهو لا يتحدثُ عن الشياطينِ وطبيعتِهم والمادةِ التي خُلِقوا منها، ويَنفي الفادي وجودَ عالَمِ الجِنِّ، لأَنَّ الكتابَ المقَدّسَ لم يتحدثْ عنه.

وقد كانَ القرآنُ صريحاً في حديثِه عن الجِنّ، حيثُ ذَكَرَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ الجِنَّ قبلَ الإِنْس، وأَنَّه خَلَقَهم من مارجٍ من نار. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٦ ـ ٢٧].

وأَخْبَرَنا رسولُ اللهِ ﷺ عن المادَّةِ التي خُلِقَ منها كلٌّ من الملائكةِ والجِنِّ والإِنس: «خَلَقَ اللهُ الملائكةَ من نور، وخَلَقَ الجِنَّ من النار، وخَلَقَ آدَمَ مما وَصَفَ لكم».

والمخلوقاتُ العاقلةُ في هذا الكونِ ثلاثةٌ هي: الملائكةُ والجِنُّ والإِنس. وسُمِّيَ الجِنُّ جِنّاً لأَنهم يَسْتَتِرون عن الإِنسِ ولا يَرونَهم. قالَ تعالى عن إِبليسَ والجِنّ: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].

والشياطينُ ليسوا جِنْساً مستقلّاً كالإِنْس والجِن، وإِنما وَصْفٌ يُطْلَقُ على الكافرين، سواء كانوا إِنساً أَو جِنّاً، فهناك شياطينُ الإِنس وهناك شياطينُ الجن. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢] ووُصِفَ الكفارُ بأَنهم شياطينُ لأَنهم مُتَمَرِّدونَ بَعيدونَ عن رحمةِ الله. وإِبليسُ شيطانٌ لأَنه أَولُ كافر، وهو من الجِنِّ بنَصِّ القرآن. قالَ تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠] فهو جِنّيٌّ من حيثُ النَّسَبِ والجنس، وهو شيطانٌ من حيثُ الوصف.

والجِنُّ مُكَلَّفون كالإِنس، لأَنهم عقلاءُ مثلُهم، ومَنَحَهم اللهُ من وسائلِ العلمِ والمعرفةِ والقدرة والإِرادةِ ما أَهَّلَهم للمسؤوليةِ والتكليف.

وبعثَ اللهُ رسلاً للجِنِّ كما بَعَثَ رُسُلاً للإِنسِ، والراجحُ أَنَّ رُسُلَ الجِنِّ

من الجِن، لأن اللهَ بعثَ كلَّ رسول بلسانِ قومِه، ليُبينَ لهم الدعوة، ويَفْهَموا عليه كلامَه. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ﴾ [إبراهيم: ٤].

وأخبرَنا اللهُ أنه بعثَ للجنِّ رُسُلاً من الجنِّ. قال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

ولذلك لم يُبْعَثْ أَحَدٌ من الرسلِ السابقين المذكورين في القرآن إلى الجن، ولم يُبْعَثْ رسولاً للناسِ كافَّة، وإنما بُعِثَ كُلٌّ منهم إلى قومِه خاصّة، يَنطبقُ هذا على نوحٍ وإبراهيم، كما ينطبقُ على موسى وهارون، وعلى داودَ وسليمان، وعلى زكريا وعيسى عليهم السلام.

وخصَّ اللهُ أفضلَ الخلقِ وأشرفَهم محمداً ﷺ بخاصيةٍ، دالَّةٍ على فضْلِه على باقي الأنبياءِ والمرسلين، فبعَثَه للناسِ كُلِّهم، على اختلافِ الزمانِ والمكان، حتى قيام الساعة، ونَسَخَ برسالتِه جميعَ الرسالاتِ السابقة. وَوَرَدَ هذا صريحاً في أكثرَ من آية، منها قولُه تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ولم يَبْعَثْهُ للإنس كلِّهم فقط، وإنما بَعَثَه للإنسِ والجنِّ جميعاً، وأَمَرَ الجن بأَنْ يُؤمنوا به كالإنس، واستجابَ فريقٌ منهم وآمَنوا به، وصاروا مسلمين، والذين لم يَدْخُلوا في الإسلامِ كافرون مخلَّدون في نار جهنم، ككفارِ الإنس. قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

ولذلك ساقَ اللهُ إلى رسولِه نَفَراً من الجنّ، فسمعوا القرآنَ منه، وتأثَّروا

به، وأعلنوا إيمانَهم وإسلامَهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ﴾.

بعدَ هذا البيانِ نَعرفُ سخافةَ وغباءَ الفادي الجاهلِ في اعتراضِه على حديثِ القرآنِ عن الجن، وفي أَسئلتِه التشكيكيةِ التي أَثارَها حولَ الجنِّ وموسى وعيسى عليهما السلام، والجنِّ والتوراةِ والزبورِ والإِنجيل!! فلم يكونوا مكَلَّفين بالإِيمانِ بموسى وعيسى عليهما السلام، ولا الإِيمانِ بالكتبِ السابقةِ كالتوراةِ والإِنجيل، لأَنهم مأمورونَ بالإِيمانِ بالقرآنِ فقط.

وحديثُهم عن التوراةِ النازلةِ على موسى عليه السلام لا غَرابةَ فيه، وهو الذي أَشارَ له قولُه تعالى: ﴿يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

فرغْمَ أَنَّ الجنَّ لم يكونوا مكَلَّفين بالتوراةِ وبموسى عليه السلام، إِلّا أَنهم كانوا يَعرفونَ أَنَّ اللهَ بعثَ موسى عليه السلام رسولاً، وأَنزلَ عليه التوراةَ، لأَنَّ الجنَّ يعلمونَ أَخبارَ الإِنسِ وأَحوالَهم، وأَخبرَهم رسلُهم من الجنِّ بهذه الأَخبارِ عن موسى والتوراة.

المهمُّ عندنا أَنَّ مرجعيَّتَنا هو القرآن، وكلُّ ما وردَ فيه فهو حَق، نؤمنُ به ونُصَدِّقُه، لأَنه كلامُ اللهِ الذي لا يأْتيه الباطلُ من بينِ يَدَيْه ولا من خلْفِه.

٨٤

هل يأمر الله بالفسق والفحشاء؟

اعترضَ الفادي على قولِ اللهِ عز وجل: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

وأَثارَ حولَ هذه الآيةِ أَسئلةً خبيثة، تدلُّ على تخطئتِه لها. قال: «فهل

يُريدُ اللهُ إهلاكَ النّاس؟ وهل يأْمُرُ مُتَنَعِّميهم بالفسق، لتحقَّ العقوبةُ عليهم وعلى الفقراءِ بينَهم؟ وهلْ يُناسبُ هذا عدلَ اللهِ وقداستَه وأَمانتَه؟ وكيفَ يُنْسَبُ للهِ الجورُ والفسقُ والظلم؟».

وذَكَرَ آياتٍ أُخرى تُناقضُ الآيةَ السابقةَ في نظره. قال: «ويُناقضُ القرآنُ قولَه السابقَ بقولِه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ﴾ [البقرة: ١٦٨ ـ ١٦٩] وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ﴾ [النحل: ٩٠] وقوله: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨].

ولا تَناقُضَ بينَ آيةِ سورةِ الإسراءِ والآياتِ الثلاثِ التي أَوردَها، لأَنه لا تناقُضَ بينَ آياتِ القرآن، وهذه بدهيَّةٌ مُقَرَّرة. فتتفقُ الآياتُ الثلاثُ مع آيةِ سورةِ الإسراءِ على أَنَّ اللهَ لا يأْمرُ بالفحشاء، ولا يأْمرُ بالفسق، ولا يأْمرُ بالحرام، ولذلك كَذَّبَ القرآنُ المشركين الذينَ فعلوا الفحشاءَ، وزَعموا أَنَّ اللهَ هو الذي أَمرهم بها، وأَخبرَ أَنه لا يأْمُرُ إِلّا بالقسطِ والعدلِ والخير: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِۖ﴾.

أَما آيةُ سورةِ الإسراءِ فإِنَّ الفادي الجاهلَ لم يفهمْ معناها، ولذلك خَطَّأَها وأَثار حولَها أَسئلتَه التشكيكيةَ الخبيثة.

إِنَّ الآيةَ تُخبرُ عن سُنَّةٍ ربانيةٍ مطردة، بشأْنِ فسقِ المترفين وبطرِهم، وتكبرِهم على أَوامرِ ربِّهم، ونشرِهم الفسادَ في البلاد، مما يُؤَدّي إِلى العقابِ والإِهلاكِ والتدمير.

تُخبرُ الآيةُ عن إِنعامِ اللهِ على أَهلِ القريةِ بالمال، وغنى مجموعةٍ منهم، وتحوُّلِهم إِلى أَغنياءَ مُترفين، ويأْمُرُ اللهُ هؤلاء المتْرَفين بعبادتِه وطاعتِه، وتنفيذِ أَوامره، واجتنابِ مُحَرَّماتِه، لكنهم يَتَكَبَّرونَ على الله، ويرفضونَ طاعتَه،

ويُخالفون أَمره، ويَفسقونَ في القرية، ويَنْشُرون فيها الفسادَ والمعاصي والفسوق، ويُفْسِدونَ بذلك أَهْلَها، فيحقُّ عليها القول، وتنطبقُ عليها السنةُ الربانية، ويوقعُ بها العقابَ، ويُدَمِّرُها تَدْميراً.

في معنى الآيةِ جُمَلٌ مُقَدَّرَة، لتوضيح المعنى، ومعلومٌ أَنَّ الحذفَ والذكْرَ ملحوظانِ في القرآن، ومرادانِ لحكمةٍ مقصودة، فإِذا ذَكَر القرآنُ الجملةَ ذَكَرَها لحكمةٍ مقصودةٍ مرادة، وإِذا حَذَفَها حَذَفَها لحكمةٍ مقصودةٍ مرادة، فهو معجزٌ في ما يَذْكُر، ومعجزٌ في ما يَحْذِف!.

وتقديرُ الآية: إِذا أَرَدْنا أَنْ نهلكَ أَهْلَ قرية، أَمَرْنا مُتْرَفيها بالطاعة، لكنَّهم يَرفضون أَمْرَنا، ويَفْسُقونَ فيها، وبذلك يحقُّ عليها قولُنا، وتنطبقُ عليها سُنَّتُنا، ونُدَمِّرُها تَدْميراً.

وتَهدفُ الآيةُ إِلى أَنْ تُقَرِّرَ قاعدةً مطردة، وهي ارتباطُ الترفِ بالتمردِ والعصيانِ والمخالفةِ والفسقِ، وانتشارُ الفسادِ ثمرةٌ للترفِ والفسق، وهذا كلُّه طريقٌ للهلاكِ والعقابِ والتدمير.

وبهذا نعرفُ غَباءَ أَسئلةِ الفادي التي اعترضَ بها على الآيَة. فاللهُ لا يُريدُ إِهلاكَ الناسِ ابتداءً، لأَنه مُنَزَّهٌ عن الظلمِ سبحانه، ولكنَّه يُرتِّبُ الإِهلاكَ على العصيانِ والفسقِ والذنوب، فإِذا عصى الناسُ عاقَبَهم اللهُ وقَرَّرَ إِهلاكهم، وهذا عدلٌ منه سبحانه!.

ولم يأْمر اللهُ المتْرَفين بالفسقِ كما فهمَ الفادي الجاهل، وإِنما أَمَرهم بالطاعة، لكنَّ الفسقَ ناتجٌ عن عِصيانِهم لأَمْرِ الله، وعِقابُ اللهِ للفاسقين المترفين المجرمين عَدْلٌ منه سبحانه.

ومَنْ قالَ: إِنَّ الآية تَنسبُ الجورَ والفسقَ والظلمَ إِلى الله؟! هذا هو فهمُ الفادي الجاهل! إِنَّ الآيَةَ تنسبُ العَدْلَ إِلى الله، وتُرَتِّبُ العِقابَ على الفسق الناتجِ عن معصيةِ الله!.

٨٥

لم يشك الرسول ﷺ بالوحي

وَضَعَ الفادي المفتري عِنواناً مثيراً هو: «الوحيُ الذي يَشُكُّ فيه مُبَلِّغُه» اعترضَ فيه على آيتَيْن من القرآن، ووظَّفهما دليلاً على عَدَمِ نبوةِ محمدٍ ﷺ، وعلى سيطرةِ الوساوسِ عليه بشأْنِ الوحي:

الأولى: قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٢].

اعتبرَ الفادي الآيةَ دَليلاً على شَكِّ الرسولِ ﷺ بالوحيِ والنبوة، وزعم أَنه ملأَ الحرجُ والشَّكُّ صَدْرَه، وسيطرت الوساوسُ عليه، ولذلك تَدْعوه الآيةُ إِلى إِخراجِ الحَرَجِ من صَدْرِه، وإِزالةِ الشّكّ والوساوسِ عنه!.

ونَقَلَ كَلاماً عن البيضاوي يُؤَيِّدُ ما ذَهَبَ إِليه. قال: «وقالَ البيضاويُّ في تفسيرِ الآية: ﴿حَرَجٌ مِّنْهُ﴾: أَيْ شَكٌّ فيه. فإِنَّ الشّاكّ حَرِجُ الصَّدْرِ وضَيِّقُ القَلْبِ مَخافَةَ أَنْ يُكَذَّبَ فيه..»[(١)].

وقد تَصَرَّفَ المفْتَري في كلامِ البيضاوي! والذي قالَه البيضاويُّ هو: ﴿فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾: أَيْ: شَكٌّ، فإِنَّ الشّاكَّ حَرِجُ الصَّدْرِ. أَو: ضِيقُ قَلْبٍ من تبليغِه، مخافَةَ أَنْ تُكَذَّبَ فيه، أَو تُقَصِّرَ في القيامِ بحقِّه.. وتَوجيهُ النهيِ إِليه للمبالغة..»[(٢)].

لا تدلُّ الآيةُ على أَنَّ الرسولَ ﷺ كان عندَه شَكٌّ في الوحْيِ، كما فهِمَ الفادي منها ذلك، إِنما تَنهى الآيةُ الرسولَ ﷺ عن التحرج من تَبليغِ الوحْيِ وإِنذارِ الناسِ به: ﴿فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾. أَيْ: لا تتحرجْ من إِنذارِ الناسِ به.. وفَرْقٌ بين القول: كانَ عنْدَه شَكٌّ في الوحيِ والنبوة. وبينَ القول: يَدْعوهُ اللهُ إِلى عدمِ التحرجِ من إِنذارِ الناسِ به!.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٨٢.
(٢) تفسير البيضاوي: ٣/ ٥.

وإذا تحرجَ من الإنذارِ والتبليغِ، يكونُ التحرجُ خشيةَ أَنْ يُكَذِّبَه الكافرون، أَو خشيةَ تقصيرِه من القيامِ بِالحَقِّ وأداءِ الواجب.

ولا تَدُلُّ الآيةُ على أَنَّ الرسولَ ﷺ تحرجَ من الإنذار، إنما تدلُّ على أنه إذا أَصابَه التحرجُ من الإنذارِ فعليه أَنْ يُزيلَه. علماً أَنَّ الرسولَ ﷺ لم يتحرجْ من الإنذارِ أبداً!!.

الثانية: قولُه تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤].

إنْ شَكَّ الرسولُ ﷺ بالوحيِ الذي أَنزلَه اللهُ إليه فعليه أَنْ يُزيلَ هذا الشَّكَّ، بسؤالِ أَهْلِ الكتابِ من قَبْلِه، أَمّا إنْ لم يَشُكّ بالوحيِ فلا داعي لسؤالِ أَهْلِ الكتاب.. فهلْ شَكَّ بالوحْيِ واضطرَّ إلى السؤالَ؟ الجوابُ بالنَّفْي، فلم يَشُكَّ بالوَحي، ولم يضطرَّ إلى السؤال.

ولما أَرادَ الفادي المفتري أَنْ يُوَظِّفَ الآيةَ لافترائِه، ويجعلَها إدانةً للنبيِّ ﷺ بأَنَّه شاكٌّ بالوحيِ والنبوة، ذَهَبَ إلى تفسيرِ البيضاويِّ كعادتِه، فلما لم يَجدْ عنْدَه ما يُريدُ؛ تَرَكَه، وتَوَجَّهَ إلى تفسيرِ الرازي! فلماذا الرازي في هذه المرة؟ لأَنَّ المفتري يظنُّ أَنَّ عنده ما يوافقُ هواه!.

قالَ الفادي: «قالَ الإمامُ الرازي في تفسيرِ سورة يونس: من الوجوهِ في تفسيرِ النّصّ: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ الخطابُ لمحمد. وأَنَّ محمداً من البشر، وكان حصولُ الخواطرِ المشوِّشةِ والأَفكارِ المضطربة في قلبِهِ من الجائزاتِ، وتلكَ الخواطرُ لا تندفع إلّا بإيرادِ الدلائلِ وتقريرِ البينات، حتى إنَّ بسببِها تَزُولُ عن خاطرِه تلك الوساوس»(١).

ولما رَجَعْنا إلى تفسيرِ الرازي وَجدْنا الأَمْرَ على غيرِ ما ذَكَرَه الفادي المفتري. فقد ذَكَرَ الرازي قولَيْن في تحديد المخاطبِ بالآية:

الأول: الخطابُ للنبيِّ ﷺ في الظاهرِ، والمرادُ غيرُه.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٨٢.

الثاني: الخطابُ للإنسانِ الشّاكِّ في نبوةِ محمدٍ ﷺ. والتقديرُ: إنْ كنتَ أيها الإنسانُ في شَكٍّ مما أَنزلْنا إليك من الهدى على لسانِ محمدٍ ﷺ، فاسأَلْ أَهْلَ الكتابِ لِيَدُلُّوكَ على صحةِ نبوَّتِه.

ونفى الرازي أَنْ يكونَ الخطابُ في الحقيقةِ للنبيِّ ﷺ، ورَجَّحَ أَنْ يكونَ الخطابُ في الظاهرِ له، لكنَّ المرادَ غيره. وقالَ كَلاماً رائعاً في توجيهِ ذلك: «والذي يَدُلُّ على صحةِ ما ذَكَرْناهُ من وجوه:

الأَوَّل: قولُه تعالى في آخرِ السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى﴾. فَبَيَّنَ أَنَّ المذكورَ في الآيةِ السابقة هم المذكورونَ في هذه الآيةِ على سبيلِ التصريح.

الثاني: أَنَّ الرسولَ ﷺ لو كانَ شاكّاً في نبوةِ نفسِه لكانَ شَكُّ غيرِه في نبوتِه أَوْلى، وهذا يوجبُ سُقوطَ الشريعةِ بالكلية.

الثالث: بتقديرِ أَنْ يكونَ شاكّاً في نبوةِ نفسِه، فكيفَ يزولُ ذلك الشَّكُّ بإخبارِ أَهْلِ الكتابِ عن نبوَّتِه، مع أَنهم في الأَكثرِ كُفّار؟! وقد ثَبَتَ أَنَّ ما في أَيديهم من التوراةِ والإنجيلِ مُصَحَّفٌ مُحَرَّف... فثبتَ أَنَّ الحَقَّ هو أَنَّ هذا الخطابَ وإِنْ كانَ في الظاهرِ لرسولِ الله ﷺ، إلا أَنَّ المرادَ به أُمَّتُه».

حذف الفادي هذا الكلامَ كُلَّه، لأَنه لا يُساعدُ في ما يريدُه من اتهامِ النبيِّ وتخطئةِ القرآن.

حتى الوجهُ الذي قالَه الرازي، ونقلَه الفادي عنه ليس كما نَقَلَه الفادي، لأَنه أَخَذَ منه الجزءَ الذي يتفقُ مع هواه، وأَسقطَ الجزءَ المهمَّ منه، وهو قولُ الرازي: «وتَمامُ التقرير في هذا الباب: إنَّ قولَه: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ﴾ فافعلْ كذا وكذا قضيةٌ شرطية، والقضيةُ الشرطيةُ لا إشعارَ فيها البتة بأَنَّ الشرطَ وَقَعَ أَو لم يَقَعْ، ولا بأَنَّ الجزاءَ وَقَعَ أَو لم يقع، وليس فيها إِلّا بيانُ أَنَّ ماهيةَ ذلك الشرط مستلزمةٌ لماهيةِ ذلك الجزاء.

... إنَّ الآيَةَ تدلُّ على أَنه لو حَصَلَ هذا الشّكّ لكانَ الواجبُ عليه هو،

فِعْلَ كذا وكذا، فأما أَنَّ هذا الشَّكَّ وَقَعَ أو لم يقع، فليسَ في الآيةِ دلالةٌ عليه. والفائدةُ في إنزالِ هذه الآيةِ على الرسولِ ﷺ أَنَّ تكثيرَ الدلائلِ وتقويتَها مما يَزيدُ في قوةِ اليقينِ وطمأنينة النفس وسكون الصدر، ولهذا السببِ أَكثرَ اللهُ في كتابِه من تقريرِ دلائلِ التوحيدِ والنبوة»(١).

ذَكَرْنا ما قالَه الرازي في تفسيرِ الآيةِ لنُطلعَ القراءَ على مزاجيةِ الفادي وافترائِه، وتلاعُبه وتحريفِه، وافتقادِه الأَمانةَ العلميةَ في النقلِ والإِحالة، مع أَنه يلبسُ ثوبَ الموضوعيةِ والمنهجيةِ والحيادِ والبحثِ عن الحقيقة.

واستخرجَ من كلامِ الرازيِّ والبيضاوي أُكذوبةً مفتراة، لم يذكُرْ أَيٌّ منهما حَرْفاً واحداً منها؛ قال: «واضحٌ من هذا أَنَّ محمداً كان يَشُكُّ في مصدَرِ وَحْيِه، وأَنَّ كلامَه من عندِ الله أَم ليس بوحي، حتى نَصَحَهُ مَصْدَرُ وَحْيِه أَنْ يَسأَلَ في ذلك اليهودَ والنصارى، الذين يَقْرَؤونَ الكتابَ من قبلِه، فإِن كانَ الرسولُ يشكُّ في رسالتِه، والمبلِّغُ يَرتابُ في صِدْقِ بَلاغِه فكيف يَتوقَّعُ من سامِعيه أَنْ يُصَدِّقوه؟»(٢).

ولقد كانَ الفادي كاذباً مفترياً في كلامِه، وفي هذه النتيجةِ التي خَرَجَ بها، وسَبَقَ أَنْ نفاها كُلٌّ من الرازي والبيضاوي.

ونفى الرسولُ ﷺ الشّكَّ عن نفسِه، ولذلك قال: «واللهِ لا أَشُكُّ ولا أَسْأَلُ» أَي: أَنا لستُ في شَكٍّ مما أَوحى اللهُ إِليَّ، ولستُ بحاجةٍ إِلى سؤالِ أَهْلِ الكتاب.

وادَّعى الفادي المفتري دَعوى كاذبةً، زَعَمَ فيها أَنَّ محمداً ﷺ اعترفَ أَنَّ مرجعَ القرآنِ هو الكتابُ المقدَّس. قال: «وفي الوقتِ الذي كانَتْ فيه الشكوكُ تُساورُ محمداً في وحْيِه اعترفَ أَنَّ المرجعَ والمحكَّ لأَقوالِه هو الكتابُ المقدَّس، ولذلك قالَ في القرآن: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾»(٣).

---

(١) تفسير الرازي: ٩/ ١٦٧ ـ ١٦٩.
(٢) هل القرآن معصوم؟، ص٨٢.
(٣) المرجع السابق، ص٨٣.

ولا نُعيدُ ما قلناهُ قبلَ قليلٍ عن دلالةِ الجملةِ الشرطية: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾. إنما نُشيرُ إلى افتراءِ وكَذِبِ الفادي في فريتِه، التي جعلَ فيها الكتابَ المقدَّسَ مَرْجعاً للقرآنِ، وحَكَماً عليه.

وقد أَخْبَرَنا اللهُ أَنَّ القرآنَ هو المرجعُ والحَكَم، وأَنَّ الكتبَ السابقةَ كالتوراةِ والإِنجيل لا بُدَّ أَنْ تُحاكَمَ إلى القرآن، وأَنْ تُعْرَضَ على القرآن، فما اتفقَ مع القرآنِ منها أَخَذْناهُ، وما خالفَ القرآنَ رَدَدْناه، وجَزَمْنا بوضعِه وكَذِبِه واختلاقِه، وأَنه ليسَ من كلام الله، وإِنما هو من كلام الأَحبارِ أَو الرهبان. قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ..﴾ [المائدة: ٤٨].

وافترى الفادي كذبةً أُخرى عندما نَسَبَ إِلى القرآنِ إِقرارَه بأَنَّ توراةَ يهودِ عصْره صحيحةٌ سليمة، قال: «وأَكَّدَ القرآنُ أَنَّ التوراةَ التي بينَ يَدي يهودِ عصْرِه صحيحةٌ سليمة، فيها حُكْمُ الله، والأَوْلى أَنْ يَرْجِعوا إِليها، لا أَنْ يَرْجِعوا إِلى محمد، فقال: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٣]. وأَوصى القرآنُ المسيحيين أَنْ يُلازِموا أَحكامَ إِنجيلِهم، وحَكَمَ بالفِسْقِ على مَنْ لا يُقيمُ أَحكامَ الإِنجيل. فقال: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]».

لم يُقِر القرآنُ أَنَّ التوارةَ التي مع اليهودِ في عصْرِ التنزيلِ صحيحةٌ سليمةٌ، فيها حُكْمُ اللهِ الذي يَجبُ أَنْ يُتَّبَع، وإِنما جَزَمَ أَن هذه التوارةَ محرفةٌ مَكْذوبة. وجاءَ هذا في عدةِ آيات، منها قولُه تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩] وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ﴾ [الأنعام: ٩١].

وأَنكرَ اللهُ على اليهودِ احتكامَهم إِلى رسولِ الله ﷺ، لأَنهم أَرادوا بذلك التلاعُبَ والتحايلَ والمكْرَ والخِداع، بهدفِ الحُصولِ على حُكْمٍ مُخَفَّفٍ منه، وقد عَرَفَ الرسولُ ﷺ هذا التلاعُبَ والمكر، فحكَمَ فيهم بحكْمِ اللهِ في التوراة، وأَقامَ حَدَّ الرجمِ على اليهوديِّ واليهوديةِ اللَّذَيْنِ زَنَيا.

ودعوةُ القرآنِ النصارى إلى الاحتكامِ للإنجيل، ليقودَ ذلك إلى الاعتقادِ بأنَّ القرآنَ كلامُ الله، وأنَّ محمداً هو رسولُ الله ﷺ، لأنَّ الإنجيلَ بَشَّرَ بالنبيِّ الخاتمِ ﷺ، فاحتكامُهم الصحيحُ للإنجيل معناهُ دخولُهم في الإسلام!!.

٨٦

هل في القرآن أقوال للناس؟

هل أَخَذَ محمدٌ ﷺ القرآنَ من النّاس؟ وهل وَضَعَ فيه أَقوالاً للنّاس؟ هذا ما يؤكِّدُه الفادي المفتري، ولذلك بَدَأَ اعتراضَه السادسَ والثمانينَ على القرآنِ بنَفْيِ كونِ القرآنِ وَحْياً من عندِ الله، قال: جاءَ في سورةِ المدثر: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥] فقالَ محمدٌ: إنَّ قرآنَه وحيٌ من الله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤].

وهذه مغالطةٌ من الفادي المفتري، فآيةُ سورةِ المدَّثرِ التي سَجَّلَها، ذَكَرَ اللهُ فيها اتهامَ زعيمِ مكةَ الوليدِ بنِ المغيرةِ للقرآنِ بأنه سِحْر، والآيةُ ضمنَ آياتٍ تتحدَّثُ عن حادثةِ الوليدِ واتِّهامِه، يَعرفُها الفادي عن يَقين، لكنَّه لم يُشِرْ إليها.

وخلاصةُ حادثةِ الوليدِ بن المغيرة أَنَّ زعماءَ قريشٍ اجْتَمعوا قُبيلَ موسمِ الحَجِّ، ليتَّفِقوا على كلامٍ موحَّد، يَقولونَه في القرآن، ليصُدّوا الناسَ عنه، فقالَ لهم الوليد: قولوا وأَنا أَسمع. فقالوا: نَقولُ عنه: إنَّه شِعْر. قال: إنَّه ليس شِعْراً. فقالوا: نقول: إنه سِحْر. قال: إنَّه ليس سِحْراً. فقالوا: نقول: إنه كَذِب. قال: إنه ليس كَذباً.. وكُلَّما ذَكروا قولاً رَدَّه الوليدُ بأَنه غيرُ منطقي، وأَنَّ الذين يَسمعونَه لا يُصَدِّقونه!.

فقالوا له: قُلْ أَنتَ يا أَبا الوليد! فماذا تَقول في القرآن؟.

قال: دَعوني أُفَكِّرْ... ولما فَكَّرَ لم يَجِدْ إلّا أَنْ يَتَّهمه بأَنه سِحْر! وهو ما نَفاهُ عنه من قَبل. وقالَ لهم: قولوا: إنه سِحْرٌ يُؤْثَر، يُفَرِّقُ بينَ المرءِ وزوجِه.

وقد أنزلَ اللهُ آياتٍ من سورةِ المدَّثّر تُصَوِّرُ الوليدَ بنَ المغيرة صورةً ساخرةً وهو يُفكِّرُ ويُقدِّرُ، ويَقولُ كلاماً لا يُصدقُه هو. قال تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ١١ ـ ٢٦].

فالذي قالَ عن القرآن: «إنْ هذا إلّا قولُ البشر» هو الزعيمُ القرشيُّ الكافر، الوليدُ بنُ المغيرة، واعتمدَ الفادي المفتري كلامَه، لأنه يوافقُ هوىً في نفسه!!.

ولاحِظْ قَصْدَ المفتري الخبيث من قولِه: «فقالَ محمدٌ: إنَّ قرآنَه وحيٌ من الله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾. فهو يُؤَكِّدُ على بشريةِ القرآنِ، وأَنَّ محمداً ﷺ هو الذي يُؤَلِّفُ الآيات، ويَضَعُها في السُّوَر، ويَدَّعي أنها من عندِ الله»!!.

وأثارَ الفادي المفتري الشبهاتِ حولَ «موافقات عمر»، واستشهدَ بها على فكرتِه الشيطانيةِ حولَ بشريةِ القرآن!.

ومُوافقاتُ عمرَ هي حوادِثُ محدَّدَةٌ، كانَ عمرُ بن الخطابِ رضي الله عنه يقترحُ على رسولِ الله ﷺ فعْلَ شيء مُعَيَّن، فتنزلُ الآيةُ توافِقُه على اقتراحِه، ويَدعو اللهُ فيها إلى الأَخْذِ به.

قالَ الفادي المفتري: «أمّا أنَّه قولُ البشرِ فواضحٌ من أنَّ القرآنَ حوى أقوالَ عمرَ بنِ الخطابِ التي دوَّنَها محمد، باعتبارِ أنها نَزلَتْ من السماء».

ويَقصدُ المجرمُ من هذا الكلامِ الاستفزازيِّ الوقحِ أنَّ القرآنَ من قولِ البَشر، وأنَّ محمداً ﷺ أَخذَه من قولِ الناسِ وكلامِهم وعباراتِهم، وادَّعى أنها نازلةٌ عليه من عندِ الله، ونَسَبَ القرآنَ كلَّه لله!!.

وهو بهذا الاتهامِ يَنفي الجريمةَ التي وَقَعَ هو وأَهْلُ مِلّتِه وأَسيادُه اليهودُ بها عن نفسِه وشياطينِه، ويوجِّهُها للنبيِّ ﷺ.

اليهودُ والنصارى هم الذين حَرَّفوا التوراةَ والإنجيل، وقد أَدانَهم اللهُ على جريمتِهم، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

أَمّا الرسولُ ﷺ فقد رَدَّ على الكفارِ الذين طَلَبوا منه تغييرَ القرآنِ أَو تَبديلَه، بأَنه لا يُمْكِنُهُ أَن يَفعلَ ذلك، لأَنه مُتَّبِعٌ للوحْيِ الذي يَأْتيه من عندِ الله. قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٥ ـ ١٦].

وهَدَّدَ اللهُ بأَنه لن يسمحَ لأَحَدٍ أَنْ يَتقوَّلَ عليه، ويَنسبَ له ما لم يَقُلْه، حتى لو كانَ هذا الشخصُ هو رسولَ اللهِ ﷺ، قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٣٨ ـ ٤٧].

وقد نَسَبَ الفادي المفتري خمسةَ أَقوالٍ لعُمر، وزَعَمَ أَنَّ النبيَّ ﷺ أَخَذَها منه وأَثْبَتَها في القرآن.

قالَ عن القولِ الأَول: «مَرَّةً قالَ عُمر: يا رسولَ الله! لو اتَّخذْنا من مَقامِ إِبراهيمَ مُصَلّى. فجاءَ قرآنٌ يَقول: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]».

والروايةُ صحيحة، ومقامُ إِبراهيمَ هو الحجرُ الذي كانَ إِبراهيمُ عليه السلام يقومُ

ويَقِفُ عليه وهو يَبْني الكعبة، حيثُ كانَ ابنُه إسماعيلُ عليه السلام يُناولُه الحجارة، وكان هو يَقِفُ على الحَجَر، وكان ذلك الحجرُ مُلْتصقاً بالكعبة، ثم أَبْعَدَه عمرُ عن الكعبة لئلا يَشُقَّ الطوافُ على الطائفين.

وقد اقترحَ عمرُ رضي الله عنه على رسول اللهِ ﷺ أَنْ يُصَلِّيَ الطائفون ركعَتي الطوافِ عندَ مَقامِ إبراهيم، وهما ركْعَتا السنَّةِ اللَّتان يُصَلّيهما الطائفُ بعد الانتهاءِ من الطواف، فأَقَرَّه الرسولُ ﷺ على اقتراحِه. وأَنزلَ اللهُ قولَه تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾. وهو يَدُلُّ على صحةِ اقتراحِ عمرَ رضي الله عنه وفطنتِه وبُعْدِ نَظرِه.

وقالَ عن القولِ الثاني لعُمَر: «ومَرَّةً قالَ عمر: يا رسولَ الله! إِنَّ نِساءَك يَدخلُ عليهن البَرُّ والفاجر، فلو أَمرتَهن أَنْ يحتجبْنَ. فجاءَ قرآنٌ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩]».

والروايةُ صحيحة، دالّةٌ على بُعْدِ نَظرِ عمرَ رضي الله عنه، فَرغْمَ أَنَّ أَزواجَ الرسولِ ﷺ مُحَرَّماتٌ على المسلمين، إِلَّا أَنَّ بعضَ المسلمين قد تَخطرُ لهم خواطرُ السوءِ نحوهن، ولذلك اقترحَ عمرُ على رسولِ الله ﷺ أَنْ يأْمرهن بالحجاب، لأَنه يدخلُ عليهنَّ البَرُّ والفاجر، وهذا من فَرْطِ غيرتِه عليهن. وأَنزلَ اللهُ الآيةَ يأْمُرُه بذلك، مما يدلُّ على صحةِ اقتراحِ عمر رضي الله عنه.

وقالَ الفادي عن القولِ الثالث: «ومَرَّةً اجتمعَ نساءُ محمدٍ في الغيرة. فقالَ عمرُ لهنّ: عسى ربُّه إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَه أَزواجاً خيراً منكن. فجاءَ قرآنٌ يقول: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم: ٥]».

والروايةُ صحيحة، فقد اجْتمعَتْ أَزواجُ النبيِّ ﷺ، واتَّفقْنَ على أَنْ يُطالبنَه بالتوسعةِ عليهن، وزيادةِ نفقتِهنَّ، فتأَلَّمَ النبيُّ ﷺ من مَطالبهن، فوعَظَهُنَّ عمرُ رضي الله عنه وذَكَّرَهُنَّ وهَدَّدَهُنَّ، وقال لهنّ: إِنْ طَلَّقَكُنَّ فعسى ربُّه أَنْ يُبدلَه أَزواجاً خيراً منكُنّ. فأَنزلَ اللهُ تعالى قولَه: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾.

وقال الفادي عن القولِ الرابع: «ومَرَّةً جاءَ قرآنٌ يقول: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ...﴾، فقال عمر: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾، فسجَّلَ محمدٌ قولَ عمرَ في القرآن: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٤]».

وهذه الروايةُ أوردَها الحاكمُ وابنُ مردويه وابنُ المنذر، لكنَّها لم تَصِحّ. فلا تُصَنَّفُ ضمنَ موافقاتِ عمر.

وقالَ الفادي عن القولِ الخامس: «ومَرَّةً لقيَ يهوديٌّ عمرَ بنَ الخطاب، فقالَ: إنَّ جبريلَ الذي يَذْكُرُه صاحبُكم عَدوٌّ لَنا! فقال له عمرُ: مَنْ كانَ عدوّاً للهِ وملائكتِه ورسلِه وجبريلَ وميكال فإنَّ اللهَ عدوٌّ للكافرين. فَسَجَّلَ محمدٌ أَقوالَ عمر هذه بنصِّها: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]».

وهذه الروايةُ أوردَها الحاكم، ولكنَّها لم تصح. والحادثةُ وَقَعَتْ بينَ رسولِ الله ﷺ وبينَ اليهود، وليسَ بين عمرَ رضي الله عنه وبين اليهود.

روى البخاريُّ عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما عن حوارٍ بينَ رسولِ الله ﷺ وبينَ اليهودِ حولَ أَسئلةٍ ثَلاثةٍ سأَلوهُ عنها، لا يَعلمُ جوابَها إلّا نبيّ، فلما أَجابَهم عليها الجوابَ الصحيحَ قالوا له: حَدِّثْنا مَنْ وليُّك من الملائكة، فعندها نجامِعُك أَو نُفارِقُك.. قال: فإنَّ وَلِيّي جبريلُ، ولم يَبعث اللهُ نبيّاً قَطّ إلّا وهو وليُّه.. قالوا: عندها نفارقُك، ولو كَانَ وَلِيُّكَ سِواه من الملائكةِ تابَعْناكَ وصَدَّقْناك!. قال: فما يمنعُكُم أَنْ تُصَدِّقوه؟ قالوا: إنه عَدُوُّنا!.. فأَنزلَ اللهُ قولَه تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾.

وبهذا نعرفُ أَنَّ نسبةَ القولَيْن الرابعِ والخامسِ لعمرَ ﷺ لم تَصِحّ، رغم أَنَّهما ذُكِرا في بعضِ الروايات، ونقلَهما عنها السيوطيُّ في «الإتقان»، ومعلومٌ أَنَّ السيوطيَّ لا يتحرّى الدِّقَّةَ في ما يَنقل، وأَنَّ صحةَ الروايةِ عن رسولِ الله ﷺ وأَصحابِه شرطٌ لقَبولِها واعْتمادِها.

أَمَّا الأَقوالُ الثلاثةُ السابقة فقد ذَكَرَها البخاريُّ في صحيحه، وهي من موافقاتِ عمر. روى البخاريُّ عن أَنَسِ بنِ مالك ﷺ قالَ: قالَ عمرُ بنُ الخطاب ﷺ: وافَقْتُ رَبّي ـ أَو وافَقَني ربّي ـ في ثلاث: قلتُ: يا رسولَ الله! لو اتّخَذْتَ من مَقامِ إِبراهيمَ مُصَلّى، فنزلَتْ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾. وقلتُ: يا رسولَ الله! يدخلُ عليك البَرُّ والفاجر، فلو أَمرتَ أُمَّهاتِ المؤمنين بالحجاب، فأَنزلَ اللهُ آيةَ الحجاب. وبَلَغَني مُعاتبةُ النبيِّ ﷺ بعضَ نسائِه، فدخَلْتُ عليهنّ فقُلْتُ: إِن انتهيْتُنَّ أَو لَيُبْدِلَنَّ اللهُ رسولَه خيراً منكن، فأَتَتْ إِحْدى نسائِه، فقالَتْ: يا عُمَر! أَما في رسولِ اللهِ ما يَعِظُ نِساءَه، حتى تَعِظَهُنَّ أَنت؟ فأَنزلَ اللهُ قولَه تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ . .﴾.

ولا تَدُلُّ موافقاتُ عمرَ ﷺ ـ وما نَزَلَ من القرآنِ على لسانِ بعضِ الصحابة كما ذكرَ السيوطيُّ في الإِتقان ـ على أَنَّ في القرآنِ أَقوالَ الناس. وأَنَّ القرآنَ صناعةٌ بشرية، كما قالَ الفادي المفتري! فكلٌّ مسلمٍ يُؤمنُ أَنَّ القرآنَ كُلَّه كلامُ الله، وأَنَّ ما فيه من موافقاتٍ إِخبارٌ من اللهِ عن بعضِ ما قالَه الصحابةُ أَو فَعَلوه، وهذا عِلْمٌ معروفٌ بعِلْمِ «أَسبابِ النزول». وهو أَنْ تَقَعَ الحادثةُ، فتنزلَ الآيةُ عَقِبَها.

وموافقاتُ عمرَ التي نَزَلَت الآياتُ مُقَرِّرَةً لكلام عمرَ واقتراحِه، تَدُلُّ على فَضْلِ ومنزلةِ وفطنةِ عمرَ ﷺ، بحيثُ يُنزلُ اللهُ الآيةَ في اعتمادِ كلامِهِ والأَخْذ به.

ومن هذا البابِ ما «حكاهُ» القرآنُ في قصصِه، ونَسَبَهُ لأُناسٍ من السابقينَ، من كلماتٍ وأَقوالٍ وحِوارات، حيث نَقَلَ ما قالوه بلغاتِهم السابقةِ غيرِ العربية بلسانٍ عربيٍّ مبين!!.

ولقد شَتَمَ الفادي المجرمُ القرآنَ والرسولَ ﷺ في عباراتٍ استفزازية، مثل قولِه: «فَسَجَّلَ محمدٌ قولَ عمرَ في القرآن»، وقولُه: «فَسَجَّلَ محمّدٌ أَقوالَ عمرَ هذه بنَصِّها».. وهو يَجزمُ في هذه العباراتِ بأَنَّ محمداً ﷺ هو الذي صاغَ القرآنَ وأَلَّفَه، ونَقَلَ فيه من أَقوالِ الناس، ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه!!.

٨٧

حول سور الخَلْع والحَفْد والنّورين

يَرى الفادي المفتري أَنَّ المسلمينَ حَرَّفوا القرآن، وأَسقطوا منه بعضَ سُوَرِه، وأَنَّ بعضَ المسلمين أَلَّفَ بعضَ السورِ القرآنية، وهو بهذا يُكَذِّبُ آياتِ التحدي، التي قَرَّرَتْ أَنَّ البَشَرَ لا يمكنُ أَنْ يأتوا بمثْلِ القرآن.

قال: «جاءَ في سورةِ البقرة: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣ ـ ٢٤].

وجاءَ في سورةِ يونس: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨].

وجاءَ في سورة الإسراء: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]».

ولم يُصَدِّق الفادي المفتري مضمونَ آياتِ التحدي، وزَعَمَ أنه تَمَّ الإتْيانُ بسُوَرٍ مثلِ القرآن. قال: «فماذا يَحدثُ لو أَنَّنا أَتينا بسورةٍ واثنتينِ وثلاثِ سُوَرٍ مثلِ القرآن، دونَ حاجةٍ إلى اجتماعِ الإنسِ والجِنِّ؟».

والسورُ الثلاثُ التي زَعَمَ الفادي المجرمُ أَنها مثْلُ القرآن، هي سور: الخَلْعِ والحَفْدِ والنُّورَيْن، وزَعَمَ أَنَّ سورتي الحَفْدِ والخَلْعِ كانتا في مصحفِ أُبَيِّ بنِ كَعْب وابنِ عباس، وذَكَرَ كلماتِ السُّوَرِ الثلاث.

ونَصُّ سورةِ الخلْعِ الذي ذَكَره هو: «اللهمَّ إنّا نَستعينُك ونَستغفرُك، ونُثْني عليكَ ولا نَكْفُرُك، ونَخلعُ ونَتركُ مَنْ يَفجرُك».

ونَصُّ سورةِ الحَفْدِ الذي ذَكَره هو: «اللهمَّ إيّاك نَعْبُد، ولك نُصَلّي ونَسجد، وإليكَ نَسْعى ونَحْفِد، نَرجو رحمتَك ونَخشى عَذابَك، إنَّ عذابَك بالكفارِ مُلْحِق».

وعَلَّقَ على كلماتِ السورتَيْن المزعومتَيْن بقوله: «ومعلومٌ أَنَّ سورتَي الخَلْعِ والحَفْدِ جاءَتا في مصحفِ أُبَيِّ بنِ كعب، وفي مصحفِ ابنِ عباس، وأَنَّ محمداً عَلَّمَهُما لعليِّ بن أَبي طالب، الذي كان يُعَلِّمُهما للناس، وصَلّى بهما عمر بن الخطاب.. فلماذا لا تُوجدَانِ في القرآن المتداوَلِ اليوم؟ ولماذا أَسْقَطَهُما المسلمون؟..»[1].

وهذا التعليقُ كَذِبٌ وافتراء، ومَصاحفُ الصحابةِ الشخصيةُ لا تُخالفُ المصحفَ الإمامَ، الذي أَجمعَ عليه الصحابة، ولم يكنْ لأُبَيِّ بنِ كعبٍ، ولا لابْنِ عَبّاس ولا لابنِ مسعود ﷺ مصاحِفُ خاصَّة، فيها سورتا الخَلْعِ والحَفد، كما زَعَمَ الفادي المفتري.

وأَلْفاظُ سورتي الخَلْعِ والحَفْدِ التي سَجَّلَها الفادي الجاهلُ، كان عمرُ بنُ الخطاب ﷺ يَقرأ بها في الصلاةَ! وعَلَّمَها الرسولُ ﷺ علياً، ليقرأَ بها في الصلاة!! نعم، هذا صحيح!! لكنْ ليسَ على أنها من القرآن، وإنما على أنها دعاءٌ لله.

أَلفاظُ السورتَيْن المزعومتَيْن جزءٌ من دعاءِ القُنوت، كانَ رسولُ الله ﷺ يَدْعو به في الصلاة، وعَلَّمَه لعمرَ وعليٍّ وغيرهما من الصحابة ﷺ، وكانوا يَدْعونَ اللهَ به في الصلاة، وسمعَه منهم المسلمون، ورَوَوه عنهم، وذُكِرَ هذا في الكتب.. وقَرأَ قومُ الفادي من المستشرقين أَلْفاظَ هذا الدعاء، وأَنهم كانوا يَذْكُرونَه في الصلاة، فاعْتَبَروهُ من القرآنِ لجَهْلِهم وغَبائِهم!!.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٨٤ ـ ٨٥، ٨٧.

دُعاءُ القنوتِ الذي يَدْعو به المؤمنون في صلاةِ الفجر، وفي صلاةِ الوِتْر هو: «اللهمَّ إنّا نَستعينُك، ونَستهديك، ونستغفرُك، ونَتوبُ إليك، ونُؤمنُ بك، ونتوكّلُ عليك، ونُثْني عليكَ الخيْرَ كُلَّه، نَشكُرُك ولا نَكفُرُك، ونَخلعُ ونَتركُ مَنْ يَفجرُك، اللهمَّ إيّاك نَعْبُد، ولكَ نُصَلّي ونَسْجُد، وإليكَ نَسْعى ونَحْفِد، نَرجو رَحْمَتَك، ونَخشى عَذابَك، إنَّ عذابَكَ الجِدَّ بالكُفّارِ مُلْحِق».

أَمّا كلماتُ سورةِ النورَيْن التي زعمَ المفْتري وقومُه أَنَّها من القرآنِ المحذوفِ فإنها كلماتٌ ركيكةٌ ضعيفة، لا تَرْقى إلى مستوى الكلامِ العربيِّ الفَصيحِ البليغ، فَضْلاً عَنْ بُلوغِها مستوى القرآنِ العظيمِ المعجز، وهي كلماتٌ صاغَها قومٌ ضُعفاءُ في التعبيرِ البيانيِّ المشرق!.

وأَضَعُ بين يدي القراءِ كلماتِ هذه السورةِ المفتراة، وأَدْعوهم إلى إمعانِ النظرِ فيها، ليَعْرِفوا صِدْقَ ما أَقول:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم:

يا أيها الذين آمَنوا: آمِنوا بالنورَيْن، أَنزلناهما، يَتْلُوان عليكم آياتي، ويُحَذِّرانكم عذابَ يومٍ عظيم.. نُورانِ بعضُهما من بعض، وإنّا لَسميعٌ عليم.. إنَّ الذين يعرفون بعَهْدِ اللهِ ورسوله في آياتٍ لهم جَناتُ النعيم.. والذين كفروا من بعدِ ما آمَنوا بنقْضِهم ميثاقَهم وما عاهَدهم الرسولُ عليه يَقذفونَه في الجحيم.. ظَلموا أَنفسهم، وعَصوا الوحيَ الرسولَ أُولئك يُسقَوْنَ من حميم.. إن اللهَ الذي نَوَّرَ السمٰواتِ والأَرض بما شاء، واصطفى الملائكةَ والرسل، وجَعَلَ من المؤمنين أُولئكَ من خَلْقِه، يَفعلُ اللهُ ما يشاء، لا إلَه إلا هو الرحمٰنُ الرحيم.. قد كفر الذين من قبلِهم برسلهم، فأَخَذْتُهم بمكْرِهم، إنَّ أَخْذي أَليمٌ شديد.. إنَّ اللهَ قد أَهلكَ عاداً وثمود بما كَسَبوا، وجعَلَهم لكم تذكرة، أفلا تتقون.. وفرعونُ بما طغى على موسى وأَخيه هارون أَغرقْتُه ومَنْ تَبِعَه أَجمعين.. ليكونَ لكم آية، وإنَّ أَكثركم فاسقون.. إنَّ اللهَ يَجمعُهم يومَ الحشر فلا يَستطيعونَ الجوابَ حين يُسأَلون.. إنَّ الجحيم مأواهم، وإنَّ اللهَ حكيمٌ عليم.. يا أَيها الرسولُ بَلِّغْ إنذاري فسوفَ يَعلمون.. قد خَسِرَ الذين

كانوا عن آياتي وحُكْمي مُعْرضين.. مثل الذينَ يوفون بعهدِك إني جزيتُهم جناتِ النَّعيم.. إني لذو مغفرةٍ وأَجرٍ عظيم.

... وإنَّ عليّاً لمن المتَّقين.. وإنّا لنُوَفِّه حَقَّه يومَ الدين.. وما نحنُ عن ظُلْمِه بغافِلين.. وكَرَّمْناهُ على أَهلِكَ أجمعين.. وإنَّه وذريتَه لَصابرون.. وإنَّ عَدُوَّهم إمامُ المجرمين.. قل للذينَ كَفَروا بعدما آمَنوا: طَلَبْتُم زينةَ الحَياةِ الدنيا، واستعجَلْتُم بها، ونَسيتمُ ما وَعَدَكُم اللهُ ورسولُه، ونقضتمُ العهودَ من بعدِ توكيدِها، وقد ضَرَبْنا لكم الأَمثالَ لعلكم تهتدون.. يا أَيها الرسولُ: قد أَنزلْنا إليكَ آياتٍ مُبيِّنات، فيها مَنْ يَتَوَفَّهُ مُؤْمِناً، ومَنْ يتولَّه من بعدِك يَظْهَرون.. فأَعرضْ عنهم إنهم مُعرضون.. إنّا لهم مُحَرِّضون، في يوم لا يُغْني عنهم شيءٌ، ولا هم يُرْحَمون.. إنَّ لهم في جهنَّم مقاماً عنه لا يَعْدلون.. فَسَبِّحْ باسم رَبِّك وكُنْ من الساجدين.. ولقد أَرسلْنا موسى وهارون، فبَغَوْا هارون، فصَبْرٌ جَميل، فجعلْنا منهم القِرَدَةَ والخَنازير، ولَعَنّاهم إلى يوم يُبْعَثون.. فاصْبِرْ فسوفَ يُبْلون، ولقد آتينا بك الحُكْم، كالذينَ من قبلِك من المرسلين.. وجعلْنا لك وَصِيّاً منهم لعلَّهم يَرجعون.. ومَنْ يَتَولَّ عن أَمْري فإني مُرجعُه، فلْيتمتَّعوا بكفْرهم قليلاً، فلا تسأَلْنِ عن الناكثين.. يا أَيها الرسولُ قد جعَلْنا لك في أَعناقِ الذين آمَنوا عهداً، فَخُذْهُ وكُنْ من الشاكرين.. إنَّ علياً قانتاً بالليلِ ساجِداً، يَحذرُ الآخرةَ ويَرجو رحمةَ ربِّه. قل هل يَستوي الذين ظَلموا، وهم بِعذابي يعلمون.. سيَجعلُ الأَغلالَ في أَعناقِهم، وهم على أَعمالِهم يندمون.. إنا بشرناك بذرية الصالحين.. وإنهم لأمرنا لا يخلفون.. فعليهم مني صلاة ورحمة، أَحياءً وأَمواتاً ويومَ يُبْعَثون.. وعلى الذين يَبْغونَ عليهم من بعْدِك غَضَبي، إنهم قومُ سوءٍ خاسرين.. وعلى الذين سَلَكوا مَسْلَكَهم منّي رحمة وهم في الغُرُفات آمِنون.. والحمدُ لله ربِّ العالمين.. آمين..»[1].

هذا هو النصُّ الركيكُ لسورة النّورَيْن، وقد تَعَمَّدْتُ أَنْ أَذكُرَه كما هو في كتابِ الفادي المفتري، بأَخطائِه النحويةِ واللغوية، وأَدْعو القُرّاءَ إلى الصبرِ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٨٥ ـ ٨٧.

على قراءتِه، ليعرفوا المستوى الهابط الذي انحدر إليه الذين كتبوه.. وزعموا أنه وحي من الله، وأنه كانَ في القرآن، ثم حَذَفَه منه المسلمون زَمَنَ عثمانَ رضي الله عنه. ولا وَجْهَ للمقارنةِ بينَ هذا الكلامِ وبينَ القرآن، لأنه لا مُقارنَةَ بين الثّرى على الأَرْضِ والثُّرَيّا في السماء!!.

وكم كان الفادي غَبِيّاً سَخيفاً عندما جَعَلَ عنوانَ كلامِه: «سُوَرٌ مِثْلُه»، وادَّعىٰ أَنَّ هذا الكلامَ مِثْلُ القرآن! ولا أتحرجُ من ذِكْرِ وتَسجيلِ ما زَعَمَه بعضُهم من أَنَّه قرآن، وما ادَّعاهُ بعضُهم من القدرةِ على معارضةِ القرآنِ والإِتيانِ بسوَرٍ مثلِه، ولا أَخافُ منه على القرآن. ولدى قراءتِنا لكلامِهم التافهِ الذي كَتَبوه نَزْدادُ ثقةً بالقرآن، ومحبةً له، ويَقيناً بأَنَّه كلامُ الله، وعجز البشرِ الأَبَدِيِّ عن معارضتِه!!.

٨٨

كيف يشاء الله الكفر؟

اعترضَ الفادي المفتري على قولِ اللهِ عز وجل: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: ٨٩].

ونَقَلَ من تفسيرِ البيضاويِّ كَلاماً، خُلاصتُه: «﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ﴾: ما يَصِحُّ لَنا ﴿أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ خِذلانَنا وارْتِدادَنا.. وفيه دليلٌ على أَنَّ الكفرَ بمشيئةِ الله!»[١].

وسَجَّلَ اعتراضَه وتساؤلَه قائلاً: «ونحنُ نسأل: كيفَ يَشاءُ اللهُ الكفر، وهو أَكبرُ المعاصي؟! وهل يتفقُ هذا معَ قداسةِ اللهِ وصَلاحِه وعَدْلِه؟ أَليسَ الأَوفقُ والأَكرمُ لمجدِ اللهِ أَنْ نعتقدَ بقولِ التوراةِ وقولِ الإِنجيل: اللهُ يُريدُ أَنَّ جميعَ الناس يُخْلِصون، وإِلى معرفةِ الحَقِّ يُقْبِلون»[٢].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٨٧.

(٢) المرجع السابق، ص٨٧ ـ ٨٨.

الآيةُ التي اعترضَ عليها المفتري ضمنَ آياتٍ تتحدثُ عن قصةِ شعيبٍ ﷺ مع قومِه، وتُسَجِّلُ رَدَّ شعيبٍ على تهديدِ قومِه الكافرين له ولأَتْباعِه المؤمنين، بإخراجِهم من قريتِهم إنْ لم يَعودوا في مِلَّتِهم. قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ﴾ [الأعراف: ٨٨ ـ ٨٩].

أَخبرَ شعيبٌ ﷺ قومَه بأَنه لنْ يعودَ هو وأَتباعُه المؤمنون في ملَّتِهم الكافرة، وأَنه لا يكونُ ولا يَنْبَغي له ولأَتْباعِه المؤمنين أَنْ يَعودوا إلى الكفر بعدَ أَنْ نَجَّاهم الله منه، ومَنَّ عليهم بالإِيمان.

ثم رَبَط شعيبٌ ﷺ الأَمْرَ بمشيئةِ الله: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ﴾.

والمعنى: نحنُ قَرَّرْنا أَنْ لا نعودَ في ملَّتِكم، لكن لا نَدري ما الذي يَشاؤُه اللهُ ويُريدُه، فإنْ شاءَ خِذْلانَنا وردَّتَنا فإنَّ مشيئَتَه نافذةٌ ماضية.

والمصْدَرُ «أَنْ يشاءَ اللهُ ربُّنا» في محلِّ نصب مستثنى، والاستثناءُ هنا منفصل، غيرُ مرتبط مع ما قَبْلَه، والمفعولُ به لفعل «يشاء» محذوف، تقديرُه: يَشاءُ اللهُ ربُّنا عودَتَنا. وتقديرُ الاستثناء: ما يكونُ لنا أَنْ نعوَد فيها إلا مشيئة ربِّنا ذلك.

وحكمةُ ذكْرِ الاستثناءِ هنا، رَبْطُ كُلِّ شيء بمشيئةِ اللهِ وإِرادتِه، وعلمه وقَدَرِه وقَضائِه، وبيانُ أَنَّ مشيئةَ الله هي النافذة، وأَنَّ إِرادتَه هي الماضية، وأَنه إذا أَرادَ شيئاً أَوجَده كما أَراد، وأَنَّه لن يَقَعَ شيءٌ في الوجودِ كُلِّه إلا بمشيئتِهِ سبحانَه وإِرادتِه. وهذا معناه أَنْ يُسَلِّمَ المؤمنُ أَمْرَهُ إلى الله، وأَنْ يحسنَ التوكلَ عليه، والتفويضَ إليه، والرضا بقدرِه!.

وخاطَبَ إِبراهيمُ ﷺ قومَه بكلامٍ قَريب مما خاطَبَ به شعيبٌ ﷺ قومَه

قال تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ﴾ [الأنعام: ٨٠].

فبعدَ أَنْ واجَهَهم بعدمِ خوفِه مِنهم ومِن آلهتِهم، رَبَطَ الأَمْرَ بمشيئةِ الله، والمعنى: أنا لا أَخافُ آلهتَكم لأَنها لا تَضُرُّ ولا تَنْفَع، فإنْ شاءَ اللهُ رَبّي أَنْ تَضُرَّني، وَقَعَ الضُّرُّ بي، لأَنَّ اللهَ شاءَ ذلك، وليس لأَنها هي تَضُرُّ، فهي سببٌ في هذه الحالة، والمسَبِّبُ والمقَدِّرُ هو الله!!.

ولم يَفْهَم الفادي الجاهلُ معنى إرادةِ اللهِ ومشيئتِه، وادَّعى أَنَّ اللهَ لا يَشاءُ الكفر! وهذا ادِّعاءٌ كبير، وخَطَأٌ فادح!.

إذا كانَ اللهُ لا يَشاءُ الكفر، فمعنى ذلك أَنَّ الكفارَ يَكْفُرون رَغْماً عن الله، وهذا يَقودُ إلى إثباتِ العجزِ لله، لأَنه لا يَستطيعُ مَنْعَ كُفْر الكفار، وأَنَّهُ تَحدثُ في مُلْكِه أَشياءُ بدونِ إِذْنِه!! وهذا اتِّهامٌ للهِ بالنقصِ والضَّعفِ والعَجْز!!.

ولا إِشكالَ في قولِنا: الكافرُ يكفُرُ بمشيئةِ الله، واللهُ هو الذي يَشاءُ الكفر، لأَنه لا يَقعُ شيءٌ في الوجودِ بدونِ إِذْنِ اللهِ وإِرادتِه ومشيئتِه سبحانه، ومَنْ هو ذلك الشخصُ المخلوقُ القادرُ على تعجيزِ الله؟!.

ومشيئةُ اللهِ كُفْرَ الكافرِ تَعْني عِلْمَه بأَنه سيكفُرُ، وإِرادَتَه في أَنْ يَكْفُر، ولو لم يُرِدْ ذلك لَمَنَعَ الكافرَ من الكفر، ومَنَعَ العاصي من المعصية.

ولا يَعْني هذا أَنَّ اللهَ يَرضى ذلك الكفر، ويحبُّ الكافرَ عندما يكفر، فإِنَّ اللهَ لا يَرضى ذلك، ولا يُحِبُّه، وقد نَهى الكافِرَ عنه، وهَدَّدَه بالعذاب، وسيحاسِبُه ويعاقِبُه ويُعَذِّبُه.

ومعنى هذا أَنَّ مشيئةَ اللهِ وإِرادتَه نوعان:

الأَول: مشيئةٌ كونيَّة: وهي مشيئَةٌ تَقومُ على مجردِ العِلْم، وهي المتعلقةُ بكفرِ الكافرِ، ومعصيةِ العاصي.. فاللهُ شاءَ ذلك الكفرَ وأَرادَه، بمعنى أَنه عَلِمَه، لكنَّه لا يرضى ذلك ولا يَقْبَلُه، وقد نَهىٰ عنه وحَذَّر منه، وتَوَعَّدَ فاعِلَه بالعذاب.

الثاني: مشيئةٌ شرعية: وهي تقومُ على العِلْمِ أَوَّلاً، ثم يَنتجُ عنها الرضا والمحبة، وهي المتعلقةُ بإيمانِ المؤمنِ وعبادتِه وطاعتِه لله. فاللهُ شاءَ إيمانَ المؤمن وعبادتَه، بمعنى أَنَّه عَلِمَ أَنَّه سيؤمن، وقَدَّرَ له أَنْ يُؤمن، وأَرادَ له أَنْ يُؤمن، وأَعانَه على أَنْ يُؤمن، ورضيَ له أَنْ يُؤمن... ولَمّا آمَنَ المؤمنُ أَحَبَّهُ الله، وأَثابَه على إيمانِه، وأَعطاهُ على ذلك الأَجْرَ والثواب!.

والقرآنُ صَريحٌ في حديثِه عن هاتَيْن المشيئَتَيْن، وذَكَرَ ذلك في آياتٍ عديدة، نكتفي منها بقولِ اللهِ ﷻ: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٧].

وبهذا نعرفُ أَنَّه لا مَحْذورَ في الحديثِ عن مشيئةِ الله، وتَقْريرِ أنه يَشاءُ الكفر، بالمعنى الذي وَضَّحْناه، وإِنما المحذورُ في نفي ذلك عن الله، لأَنه يُؤَدّي إلى إثباتِ العَجْزِ والضعفِ لله، وهو ما يُؤَدّي إليهِ كلامُ الفادي الجاهل!!.

٨٩

الله يبتلي عباده بالخير والشر

تحدثَتْ آياتُ سورةِ الأَعراف عن قصةِ أَصحابِ السبت، وهم سُكّانُ قريةٍ من اليهود، نَهاهم اللهُ عن صيدِ الأَسْماكِ يومَ السبت، فتَحايَلُوا على ذلك، وارْتَكَبوا المحْذور، ولم يَسْتَجيبوا للنّاصِحين الذين نَصَحوهم ونَهوهم عن ذلك، فعاقَبَهم اللهُ بأَنْ مَسَخَهم قردةً خاسِئين، وأَنجى الدعاةَ الذين نَهوهم عن ارتكابِ ما حَرَّمَ الله!.

ومما قالَهُ اللهُ عن أَصحابِ السبت: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

تُخبرُ الآيةُ أَنَّ اللهَ ابْتَلى أَصحابَ القرية، فَوَجَّهَ الأَسماكَ والحيتانَ إِليهم

يومَ السبت، الذي حُرِّمَ عليهم صَيْدُها فيه، حيث كانت تأْتيهم على وجْهِ الماء، وكأَنها شُرَّعٌ تَسيرُ على وَجْهِ الماء، وفي باقي الأَيامِ كانت لا تَأْتيهم، وكانوا يُتْعِبونَ أَنفسَهم في البحثِ عنها في البحرِ لصَيْدِها.

واعترضَ الفادي على الآية، وخَطَّأَها، واعتبرها لا تتفقُ مع عَدْلِ الله. قال: «ومعنى هذا أَنَّ اللهَ أَوصى بني إِسرائيل أَنْ يسْتَريحوا من أَعمالِهم للعبادةِ يومَ السبت، وجَعَلَ الحيتانَ تأْتي ظاهرةً يَوْمَ السبت، لإِغرائِهم بصيدها، وتَخْتَفي باقي أَيام الأُسبوع... فكيف نتصوَّرُ إِلٰهاً يُجَرِّبُ عبادَه بالشُّرور، ويُسَهِّلُ لهم العصيان بإِظهار الحيتانِ يومَ السبت؟.. مع أَنَّ الإِنجيلَ يَقول: لا يَقُلْ أَحَدٌ إِذا جُرِّبَ إِني أُجَرَّبُ من قِبَلِ الله، لأَنَّ اللهَ غَيْرُ مُجَرِّبٍ بالشُّرور، وهو لا يُجَرِّبُ أَحَداً، ولكن كلُّ واحِدٍ يُجَرَّبُ إِذا انْجَذَبَ وانْخَدَعَ من شهوتِه»(١).

يَرى الفادي الجاهلُ أَنَّ اللهَ لا يَبْتَليَ عبادَه ولا يَمتحنُهم ولا يُجَرِّبُهم، لأَنَّ هذا لا يتفقُ مع عَدْلِه، أَيْ كيفَ يُقَدِّمُ لهم الشرورَ والمغرياتِ، ويُسَهِّلُ لهم الحصولَ عليها، ثم يمنَعُهم منها ويُحَرِّمُها عليهم؟!.

واعتراضُه مرفوض، وكلامُه مردود، فاللهُ خَلَقَ عبادَه وكَلَّفَهم بالتكاليف، وذلك ليبتَلِيَهم ويمتحِنَهم، ويُجَرِّبَهم ويَختبرَهم، فالتكاليفُ والشرائعُ ابتلاءٌ من اللهِ لعبادِه.. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

واللهُ يَبْتَلِي عبادَه بالخير، كما يَبْتَليهم بالشَّرِّ، ليَميزَ الخبيثَ من الطَّيِّب؛ فالمؤمنُ يشكرُ اللهَ عند الخير والسَّرّاء، ويَصبرُ عندَ الشَّرِّ والضَّرّاء، وبذلك ينجحُ في هذا الابتلاءِ والاختبار. أَمّا الكافرُ والفاسقُ فإِنه يَطْغى عندَ الخَيْرِ والنعمة. ويَيْأَسُ عند الشَّرِّ والمصيبة، وبذلك يَخسرُ ويَرسبُ في الابتلاءِ والامتحان. قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٨٨.

على ضوءِ هذه الآيةِ نَعرفُ ابتلاءَ أَهْلِ القرية، حيثُ امتَحَنَهم بعدمِ صَيْدِ الحيتان يوم السبت، ومبالغةً في الابتلاءِ كان يَسوقُ إليهم الأسماكَ والحيتانَ في يومِ السبت، وكانت هذه الحيتانُ لا تأْتيهم في باقي أيام الأُسبوع.

ورسب معظم أَصحابِ القريةِ في الامتحان، حيث تَحايَلوا على حُكْمِ الله، وارْتَكَبوا ما حَرَّمَ الله.

وكما ابْتَلى اللهُ بني إسرائيلَ بالتكليف، ومَنَعَهم من الصيدِ يومَ السبت، ابْتَلى اللهُ المؤمنين، ومَنَعَهم من صَيْدِ البَرِّ أثناءَ إحرامِهم بالحَجِّ أو العمرة. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٤].

فاللهُ قَرَّبَ الصيدَ للمسلمين المُحْرِمين، كما قَرَّبَ الحيتانَ لليهودِ من أَصحابِ القرية، وعَبَّرَت الآيةُ عن هذا التقريب: ﴿تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾. وقد نجحَ المسلمونَ في هذا الابتلاءِ والامتحان، والْتَزموا بحُكْمِ الله.

٩٠

حديث القرآن عن المسيح عليه السلام

تحدَّثَ القرآنُ عن المسيح عيسى ابنِ مريمَ عليه السلام كما تَحدَّثَ عن غيرِه من الرسل، وكان حَديثُه عن أُولي العزمِ من الرسلِ أكثرَ من حديثِه عن غيرِهم. وأُولو العزمِ من الرسلِ خمسةٌ هم: نوحٌ وإبراهيمُ وموسى وعيسى ومحمدٌ، عليهم الصلاةُ والسلام.

وقد كَذَبَ الفادي المفتري عندما قالَ: «إنَّ الذي ذَكَرَهُ القرآنُ عن المسيحِ يَفوقُ ما ذَكَرَهُ عن سائرِ البَشَر، بمنْ فيهم محمدٌ! ألا يُشيرُ هذا إلى تَفَرُّدِ المسيحِ عن سائرِ البشر؟ وهذا ما يقولُه الإِنْجيلُ عن لاهوتِ المسيح»[١].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٩٢.

إنَّ ما ذَكَرَهُ القرآنُ عن محمدٍ ﷺ أكثرُ مما ذَكَرَه عن عيسى عليه السلام، وكذلك ما ذَكَرَهُ عن إبراهيمَ وموسى عليهما السلام أكثرُ مما ذَكَرَهُ عنه.

أولاً: مثل عيسى كمثل آدم:

أَخْبَرَ اللهُ أَنَّ مَثَلَ عيسى كَمَثَلِ آدم عليهما السلام. قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]. خَلَقَ اللهُ آدمَ عليه السلام من تراب، ثم نَفَخَ فيه من روحِه، وقالَ له: كُنْ إنساناً حَيّاً، فكانَ إِنْساناً حَيّاً.. وهكذا عيسى عليه السلام، أَرادَ اللهُ أَنْ يَخْلُقَه بدونِ أَبٍ، فأَمَرَ جبريلَ عليه السلام أَنْ يَنفخَ روحَه في مريم عليها السلام ففَعَل، وقالَ الله لعيسى: كُنْ إنساناً حَيّاً في رَحِمِ مريم، فكانَ كما أَرادَ الله. فلا غَرابةَ في خَلْقِ عيسى عليه السلام بدونِ أَبٍ، كما أَنه لا غَرابةَ في خَلْقِ آدمَ بدونِ أَبٍ أَو أُمّ.

ولكنَّ هذا الكلامَ لم يُعْجِب الفادي المفتري، ولذلك اعترضَ على الآيةِ بقولِه: «ونحنُ نَقولُ: إِنَّ آدَمَ مِثْلُ المسيحِ في أَنه أَبو الجِنْسِ البشريِّ ووكِيلُه ونائبُه، ولكنَّ آدمَ بمعصيتِه جَرَّ ذريتَه جَميعاً للهَلاك. أَمّا المسيحُ فهو أَبٌ ووكيلٌ ونائبٌ جَديدٌ للمؤمنين به، الذين مَنَحَتْهُم كفارتُه وعملُه النيابيُّ وطاعتُه خلاصَهم، ولهذا قالَ الإِنجيل: آدمُ الذي هو مِثالُ الآتي»[١].

أَمّا أَنَّ آدمَ عليه السلام أبو البشر فهذا متفقٌ عليه، لأَنه أَوَّلُ مخلوقٍ من البشر. وأَمّا أَنّ عيسى المسيحَ عليه السلام أَبو البشرِ فهو أَمْرٌ مَرْفوض، لأَنه وُلِدَ بعدَ آدمَ بفترةٍ طويلة، تَزيدُ عن مئاتِ الآلافِ من السنين. ولقد كانَ الفادي وأَهْلُ ملَّتِه مُغالين مُبالغين عندما اعْتَبَروا عيسى عليه السلام أَباً للبشر، ووكيلَهم ونائباً عنهم، لدرجةِ أَنْ فَداهم بنفسِه، وجَعَلَ دَمَه كفارةً لذُنوبهم، وتَخْليصاً لهم!! وقد سبقَ أَنْ ناقَشْنا الفادي في موضوعِ الكفارةِ والفداءِ والخلاص.

ويُخَطِّئُ الفادي الآيةَ، لأَنها شَبَّهَتْ عيسى عليه السلام بآدمَ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾. فهو يرى أَنَّ خَلْقَ

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٨٨.

عيسى ليسَ كخلْقِ آدم، قال: «أمّا تَشبيهُ المسيح بآدَم، بما يُفيدُ أَنَّ المسيحَ مخلوقٌ كآدمَ بأَمْرِ الله، فهذا خَطَأ.. لأَنَّ المسيحَ ليس بكائنٍ من كلمةِ الله، بل هو ذاتُه كلمةُ اللهِ الأَزليّ، الذي تَجَسَّدَ من مريمَ العذراء، وظَهَرَ بينَ الناسِ ليخلِّصَهم..»[1].

يَرى الفادي أَنَّ آدمَ عليه السلام خُلِقَ بكلمةٍ من الله، وكُلُّ بَشَرٍ خُلِقَ بكلمةٍ من الله، إِلّا المسيحُ عليه السلام، فإِنه ليسَ مَخْلوقاً بكلمةٍ من الله، وإِنما هو كلمةُ اللهِ ذاتُها، التي يَخْلُقُ بها الناس، وهي كلمةٌ أَزليةٌ غيرُ مَخلوقة، وَجَّهَها اللهُ إِلى مريم، وتجسَّدَتْ هذه الكلمةُ في عيسى!!.

ومعنى هذا الكلامِ أَنَّ عيسى ليسَ مخلوقاً، وإِنما هو أَزَليّ، والأَزَليُّ هو الله، لأَنَّ كُلَّ ما سوى اللهِ مَخْلوق، فإِنْ لم يكنْ عيسى مخلوقاً، وإِنْ كانَ أَزَلِيّاً، فسيكونُ إِلٰهاً، لأَنَّ الموجودَ إِمّا أَنْ يكونَ مَخلوقاً حادِثاً، وإِمّا أَنْ يَكونَ أَزَلِيّاً خالِقاً، فإِنْ لم يكنْ مَخْلوقاً حادِثاً كان أَزَلِيّاً خالقاً!!.

إِنَّ جملةَ الفادي السابقةَ تأْليهٌ منه لعيسى عليه السلام. وقد أَدانَ اللهُ الذين أَلّهوا عيسى عليه السلام وكفَّرَهم، وذلكَ في قولِه تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧].

ثانياً: وضوح حديث القرآن عن المسيح:

كانَ القرآن واضحاً صريحاً في تقريرِه خَلْقَ عيسى كخلقِ آدمَ عليهما السلام، وَوَجْهُ الشَّبَهِ بينَهما أَنَّ كُلّاً منهما خُلِقَ بكلمةِ اللهِ الأَزلية، التي خَلَقَ بها باقي المخلوقين، وهي كلمةُ «كُنْ» التكوينية: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

ورغْمَ تقريرِ القرآنِ الواضحِ بشأْنِ خَلْقِ عيسى عليه السلام، وأَنه عبدُ اللهِ ورسولُه، إِلّا أَنَّ الفادي اتَّهَمَهُ بالتناقض. قال: «ويقولُ القرآنُ في المسيحِ

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٨٨ ـ ٨٩.

كَلاماً متناقضاً. تقولُ سورةُ المائدة: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ١٧]. وَوَرَدَ في سورةِ الزخرف: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩]، وفي الوقْتِ نفسِهِ توجَدُ آياتٌ أُخرى تُشيرُ إلى لاهوتِ المسيح، كشخصٍ غريبٍ وعَجيب بين البشر، وتُعطيهِ أعظمَ الألْقاب، التي لم تُعْطَ في القرآنِ لغيره»[(١)].

إنّ الفادي يَفتري على القرآن عندما يَتهمُه بالتناقضِ في حديثِه عن عيسى عليه السلام، وهو الذي لم يُحْسِنْ فهمَ حديثِ القرآن!.

ومن أرادَ أنْ يَعرفَ حديثَ القرآن عن عيسى عليه السلام، وأنْ يَتعَرَّفَ على شخصيتِه من خلالِ القرآن، فعليهِ أنْ يَجمعَ الآياتِ التي تحدثَتْ عنه من مختلفِ السُّور، وأنْ يَنظرَ فيها مجتمعة، وأنْ يَجمعَ بينها، ويستخرجَ دلالتَها. ومعلومٌ أنه لا تَعارُضَ ولا تَناقُضَ في آياتِ القرآن.

عيسى عليه السلام خَلَقَهُ اللهُ بدونِ أَب: وخَلَقَ روحَه بكلمتِه التكوينية، «كُنْ»، وأَمَرَ جبريلَ أنْ يَحملَ روحَه المخلوقَة، وأنْ يَتوَجَّهَ إلى مريمَ العذراء، وأنْ يَنفخَ تلك الروحَ فيها، فحملَتْ مريمُ بعيسى بأَمْر الله، وكانَ حملَ معجزةٍ بأَمْرِ الله، وبعدَ ولادةِ عيسى بلحظاتٍ كَلَّمَ أُمَّه، وبعدَ ذلك كَلَّمَ قومَها، فهو عبدُ اللهِ ورسولُه، وهو كلمتُه التكوينيةُ «كُنْ»، والروحُ التي فيه روحٌ من عندِ الله، وهو خَيْرُ مَنْ يُقدِّمُ نفسَه، عندما كَلَّمَ قومَ أُمِّه بعدَ ميلادِه. قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٠ ـ ٣٣].

وقد وَقَفَ الفادي أمامَ كلماتٍ قرآنيةٍ وَرَدَتْ في حديثِ القرآنِ عن

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٨٩.

عيسى عليه السلام، واستشهدَ بها على عقيدةِ أَهْلِ مِلَّتِه في المسيح، وحَرَّفَ مَعْناها ودلالتَها، وهذه الكلماتُ هي:

١ ـ المسيح كلمة الله:

ذَكَرَ القرآنُ أَنّ عيسى عليه السلام كلمةُ الله. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].

وفهمَ الفادي الآيتين فَهْماً خاطئاً، قال: «كلمةُ اللهِ: هذا الاسْمُ الكريمُ لا يَصِحُّ أَنْ يُسَمّى به مخلوق، فهو خاصٌّ بالمسيح، انفردَ به عن سائرِ البشرِ والملائكة»[١].

يُصَرِّحُ الفادي بأَنَّ عيسى ليس مخلوقاً، لأَنه سُمِّيَ باسم لا يُطْلَقُ على المخلوقين، فلا يَجوزُ لأَيِّ مخلوقٍ من البشر والملائكةِ أَنْ يُسَمّى «كلمةَ الله»، وبما أَنَّ المسيحَ سُمِّيَ كلمةَ الله، فهذا يَعني أنه ليسَ مخلوقاً، وإذا لم يكنْ مَخْلوقاً كان خالِقاً، لأَنَّ الموجودَ إِنْ لم يكنْ مَخْلوقاً كان خالِقاً، وهذا يؤكِّدُ إيمانَ الفادي وأَهْلِ مِلَّتِه بأُلوهيةِ عيسى وأَزليتِه!.

وزعْمُهُ أَنَّ «كلمةَ الله» لم تُطلقْ على غيرِ المسيح في القرآنِ كَذبٌ وافتراء، وهو يَعلمُ أَنه كاذبٌ مفترٍ، لأَنه يَعلمُ أَنَّ «كلمةَ الله» في القرآنِ أُطلِقَتْ على غير المسيح.

ذُكِرَتْ «كلمةُ الله» في مقابلِ «كلمةِ الذين كفروا»، وذلكَ في سياقِ الحديثِ عن نصرِ اللهِ رسولَه محمداً صلى الله عليه وسلم في رحلةِ الهجرة. قال تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٨٩.

كلمةُ الكفار: هي رغبتُهم وإرادتُهم في محاربةِ الحَقِّ والقضاءِ عليه.

وكلمةُ اللهِ: هي إرادةُ اللهِ في نَصْرِ الحَقِّ وهزيمةِ الباطل، وسُميتْ إرادَته سبحانه «كلمة»، لأنها أَمْرٌ من اللهِ ﷻ، حيثُ يأمرُ بإنفاذِ قدرتِه وإرادتِه، وتحقيقِ علمه، فيكونُ ما أَرادَه سبحانه وأَمَرَ به. قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يسۤ: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [الأعراف: ١٣٧] وكلمةُ رَبِّك: هي إرادَتُه وأَمْرُه بنَصْرِ بني إسرائيل وإهلاكِ أعدائِهم.

فعبارةُ «كلمةِ الله» ليستْ خاصةً بالمسيحِ ﵇، إنما أُطلقَتْ في القرآن على عيسى وعلى غيره.

ومعنى كون عيسى ﵇ كلمةَ الله: أَنَّ اللهَ أرادَ أَنْ يَجعلَ خَلْقَه معجزةً، عن غيرِ طريقةِ الخَلْقِ المعروفةِ المألوفة، عن طريقِ التزاوجِ والاتِّصالِ والمعاشرةِ والإخصاب! فأَنْفَذَ إرادَتَه وخَلَقَ عيسى في رَحِمِ مريمَ العذراء. وكان خَلْقُه بكلمتِه التكوينيةِ التنجيزية، التي تُحَوِّلُ إرادةَ اللهِ من صورتِها العلميةِ النظريةِ إلى صورتِها العمليةِ الحادثة، التي تَمَّ بها إيجادُ عيسى ﵇!.

وفَرْقٌ بينَ إخبارِ القرآنِ أَنَّ عيسى كلمةُ (الله)، أَيْ أَنَّه خُلِقَ بكلمةِ اللهِ وإرادتِه، وبين كَلامِ الإنجيلِ المحَرَّفِ أَنه كلمةُ الله: «في البدءِ كان الكلمة، والكلمةُ كانَ عندَ الله، وكانَ الكلمةُ الله، هذا كانَ في البدءِ عندَ الله!». فالمسيحُ كلمةُ الله، أَيْ أنه هو الله! كما سَبَقَ أَنْ صَرَّحَ الفادي بذلك، لأَنَّهُ يَعتقدُ أَنَّ الكلمةَ ليستْ مخلوقة، وإنما هي أَزليةٌ مثلُ الله، ملازِمَةٌ لله، لا تنفصلُ عن الله، وهذا هو الكفرُ الصريح. وقد قاس الفادي الجاهلُ كلمةَ اللهِ على كلمةِ الإنسان، فقال: «ولقد سُمِّيَ المسيحُ كلمةَ الله، لأَنَّ كلمةَ الإنسانِ هي منه، ومن مقوماتِ شخصيتِه، فهي صورةُ عَقْلِه وفِكْرِه، والمترجمةُ له، والمنفذةُ لسلطانِه وقوَّتِه.. فالمسيحُ هو ذاتُ كلمةِ الله، وهذا يُثبتُ لاهوتَه،

لأَنَّ كلمةَ الله من اللهِ وفي اللهِ منذ الأَزل. وهل يُمكنُ أَنْ يكونَ قد مَرَّ وَقْتٌ على الله كان فيه بلا كلمة؟»[1].

كلمةُ اللهِ في نظرِ الفادي وأَهْلِ ملته أَزَلِيَّةٌ ملازمةٌ لله، وهي اللهُ نفسُه: «وكانَ الكلمةُ الله» كما وردَ في إِنجيلِ يوحَنّا، وبما أَنَّ عيسى كلمةُ الله فهو أَزليٌّ مثلُ الله، وليسَ مخلوقاً مثلُ المخلوقاتِ التي خَلَقَها الله.. وبما أَنَّ المسيحَ هو كلمةُ الله، وبما أَنَّ الكلمةَ هي الله، فإِنَّ المسيحَ هو الله!! وهذا ما يؤمنُ به الفادي وقومُه! وهذا هو كفر النصارى الذي أَدانهم اللهُ به، في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢].

٢ ـ المسيح روح من الله:

أَخبرَ اللهُ أَنَّ المسيحَ عيسى ابنَ مريمَ عليه السلام روحٌ من الله. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].

وَوَقَفَ الفادي المفتري الخبيثُ أَمامَ الآية، واستدلَّ بها على عقيدتِه الباطلة! قال: «لم تكتفِ الآيةُ بنعتِ المسيحِ بالرسالة، بل شهدَتْ أَنه كلمةُ الله. ولكي لا نتوهَّمَ خلافَ المقصودِ باللفظِ «كلمةُ الله»، أَتْبَعَها بما يُزيلُ الشّكّ، وهو «وروحٌ منه»، لنفهمَ أَنَّ المسيحَ ليس مجردَ رسولٍ عادي، بل ابنٌ مرسَلٌ من أَبيه إِلى عالمِ الدُّنيا، كأَشعةِ الشمسِ المنبعثةِ إِلى الأَرضِ من الشمس!! وما الفرقُ بين القول: إِنَّ المسيحَ نورٌ من نورِ إِلهٍ حَقٍّ من إِله حق، والقول: روحُ الله، أَو: روحٌ من الله؛ أَليسَ أَنَّه من ذاتِ اللهِ ومن جَوْهَرِه؟»[2].

يُؤَكِّدُ الفادي على فكرتِه الباطلةِ وعقيدتِه المخالفةِ للحق، التي تقومُ على أَنَّ المسيحَ جزءٌ ماديٌّ من ذاتِ اللهِ المادية!!.

إِنه يرى أَنَّ المسيحَ ليس مجردَ رسولٍ عاديٍّ! ومعنى هذا أَنه ليسَ رسولاً بَشَراً، كباقي الرسلِ البشر!.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٨٩.
(٢) المرجع السابق نفسه.

وهذا كلامٌ مرفوضٌ مردود؛ فعيسى عليه السلام رسولٌ عاديٌّ كباقي الرسل، كلُّ ما في الأَمْرِ أَنَّ اللهَ الحكيمَ خَلَقَه بدونِ أَب، وأَنطقَه وهو في المهد، وهو في هذا يَختلفُ عن باقي الرسل، وفي ما سوى ذلك هو رسولٌ عاديٌّ كباقي الرسل.. وشَبَّهَ القرآنُ خَلْقَ عيسى بخَلْقِ آدم عليه السلام، ليُزيلَ استغرابَ النصارى من خَلْقِه بدون أَب. قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٩ ـ ٦٠].

ونَظرةُ الفادي إِلى المسيح عليه السلام نظرةٌ باطلة، إِنّه يرى أَنه «ابنٌ مرسَلٌ من أَبيه إِلى عالمِ الدنيا». أَي أَنه ابْنُ الله، واللهُ أَبوه هو الذي أَرْسَلَه إِلى الدنيا!! وهذا هو الكفرُ والشركُ بالله! وقد نفى القرآنُ أَنْ يكونَ لله وَلَدٌ. قالَ تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]. وقال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠١].

صلةُ عيسى باللهِ عندَ الفادي كصِلَةِ أَشعةِ الشمسِ بالشمسِ! وانظرْ ما أَسْخَفَ هذا التشبيه، وما أَجهلَ مَنْ ذَكَرَه! أَينَ الشمسُ وأَشعتُها من اللهِ ورسولِه عيسى عليه السلام؟ الشمسُ كوكبٌ مخلوقٌ مرئيٌّ في السماء، إِننا نرى الشمسَ المخلوقةَ بعيونِنا، ونرى أَشعَّتَها المنبعثةَ منها. وفرقٌ بين الشمسِ المخلوقة، وبينَ اللهِ الذي خلَقَها، إِن اللهَ لا يُمكنُ أَنْ يُرى بالعينِ المجردةِ في الدنيا، كما تُرى الشمسُ! وفَرْقٌ بينَ عيسى الذي خَلَقَه الله، وبينَ أَشعةِ الشمسِ المتولدِة عنها والمنبعثةِ منها! لأَنَّ هذه الأَشعةَ منفصلةٌ عن الشمسِ انفصالاً ماديّاً مُشاهداً، فهل انفصلَ عيسى عن اللهِ انفصالَ الجزءِ الصغيرِ من الكُلِّ الكبير؟.

إِنّ الفادي الكافرَ يرى أَنَّ عيسى انفصلَ عن اللهِ انفصالَ الجزءِ عن الكُلِّ! لأَنَّه جُزْءٌ ماديٌّ صَغيرٌ من ذاتِ اللهِ الكبيرة! قال: «أَليسَ أَنه من ذاتِ اللهِ ومن جوهرِه» فهو يؤمنُ أَنَّ للهِ ذاتاً ماديَّة، وجَوْهَراً وجوديّاً، يُمكنُ أَنْ يُحصَرَ ويُجَسَّمَ ويُحَدَّدَ، ويُمكنُ أَنْ يَنفصلَ عنه جزءٌ صغير، فيه روحٌ وحياة، اسْمُه المسيح.

وهذا كُفْرٌ بالله، وتجسيمٌ وتَحديدٌ له، وتَجزئةٌ وتَقسيمٌ له، وفَصْلُ جُزْءٍ منْه عَنْه!.

ولقد كانت الآيةُ دقيقةً في الإخبارِ عن المسيح ﷺ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾. وتكلَّمْنا عن معنى كون عيسى ﷺ كلمةً في المسألةِ السابقة، ونُبيِّنَ هنا معنى قولِه تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾: فقد وَصَفَ اللهُ عيسى ﷺ بأنه روحٌ من الله. وفَرْقٌ بعيدٌ بين قولِه: روحٌ من الله، وقوله: روحُ الله.

لو قالَ: إنه روحُ الله لكانَ المعنى أَنَّ لله روحاً مادية، كانَتْ فيه، موجودةً داخِلَه، كما توجَد روحُ أَحَدِنا في كيانِه، ثم أَخرجَ اللهُ روحَه من داخِلِه وجَعَلَها عيسى، وهذا الكلامُ لا يَقولُه عاقل!.

عيسى ﷺ «روحٌ من الله». أَيْ خَلَقَ اللهُ روحَ عيسى ﷺ، كما يَخلقُ روحَ أَيِّ إنسانٍ آخَر، وهذا معناهُ أَنَّ هذه الروحَ غيرُ الله! وحَرْفُ الجَرِّ «مِنْ» في الآيةِ للبيان، كما أَنه للابتداء. أَي: الروحُ التي جعلَها اللهُ في عيسى ﷺ هي روحٌ من عندِ الله.

حَرْفُ الجَرِّ «من» في قوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ عند الفادي وأَهْلِ ملَّتِه للتبعيض، أَيْ أَنها جزءٌ وبعضٌ انفصلَ عن الله ودَخَلَ مريم وصارَ عيسى! بينما هذا الحرفُ عند المسلمين للبيانِ والابتداء، كما وَضَّحْنا!.

٣ ـ عيسى ابن من؟:

عيسى هو ابنُ مريمَ ﷺ، وذَكَرَ القرآنُ ذلك أَكثر من مَرَّة، وقد شاءَ اللهُ أَنْ يَخْلُقَه بدونِ أَب.. ولكنَّ الفادي الكافرَ يَقولُ: إِنَّه ابنُ الله. قال: «انفردَ المسيحُ عن سائرِ البشرِ بولادتِه من عذراء! فلماذا تَميَّزَ عن سائرِ الأنبياءِ بدخولِه عالَمَنا بهذه الطريقةِ المعجِزيَّة؟.. إنه كلمةُ الله وروحُ الله، حَلَّ في أَحشاءِ العذارء، وتَجسَّدَ وظهرَ بينَ الناسِ، آيةً ورحمةً للعالَمين... فهو ابنٌ. مَنْ أُمُّه؟ مريمُ.. ومَنْ أَبوه؟ الله. ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١]».

سَبَقَ أَنْ تكلَّمنا عن معنى كونِ عيسى كلمةَ اللهِ، وروحاً من اللهِ، والجديدُ في كُفْرِ الفادي هنا أَنَّهُ نَصَّ على أَنَّ المسيحَ ابنُ الله: «ومَنْ أبوه؟.. الله!».

وأَرادَ بالبُنُوَّةِ البنوَّةَ الحقيقيةَ المادية، لأَنه قال: أُمّه مريمُ وأَبوهُ الله! وهذا كُفْرٌ صريحٌ بالله، لادِّعاءِ أَنَّ له ابناً وولداً هو المسيح.

وقد كان القرآنُ صريحاً في رفْضِ كونِ عيسى ابناً لله، وكُفْرِ الذينَ جَعلوا له وَلَداً، وإِنكارِ كونِ المسيحِ ابناً لله على وَجْهِ الخصوص. قالَ تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

ودَعا اللهُ النَّصارى إِلى التَّخَلّي عن فكرةِ التثليثِ وزَعْمِ كونِ ولدٍ لله. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١].

وبعدَ ما تحدَّثَتْ آياتُ سورةِ مريمَ عن قصةِ حَمْلِ مريمَ بعيسى وولادتِه وكلامِه في المهد، عقَّبَتْ على ذلك بنفي بُنُوَّته لله. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٤ ـ ٣٥].

٤ ـ عيسى بدون ذنب!:

تحدَّثَ الفادي في المسألةِ الرابعةِ عن تميُّزِ المسيحِ عن باقي الرسلِ عليهم السلام، وجَعَلَ عنوانَ الحديثِ: «قُدّوسٌ بدونِ شَرٍّ». أَيْ أَنه لم يرتكبْ شَرّاً ولا ذَنْباً، في الوقتِ الذي ارتكبَ فيه الرسلُ الآخَرونَ الشرورَ والذُّنوبَ والمعاصي والأَخْطاءَ! وبعدما أَوردَ آيةً قرآنية وحديثاً عن رسولِ الله ﷺ وكَلاماً لأَبي حامد

الغزالي عن تميُّزِ عيسى عندَ ولادتِه بإبعادِ الشيطانِ عنه، قال: «ونحنُ نسألُ: ما سِرُّ هذه القداسةِ المطلقةِ والكمالِ الفائق؟ ولماذا لا يَذكرُ القرآنُ للمسيح خَطَأً كما ذَكَرَ لغيرِه من الأنبياء؟ ولماذا لا توجَدُ في القرآنِ إشارةٌ إلى أَنَّ المسيحَ تابَ إلى الله، ولا أَنَّ اللهَ تابَ عليه، ولا قَدَّمَ استغفاراً، ولا أَنَّ اللهَ غَفَرَ له، كما جاءَ عن سائرِ الأنبياءِ والرسلِ؟ أليس لأَنَّ المسيحَ ذاتٌ قدسية، وهو كلمةُ اللهِ وروحُه؟»(١).

أَمّا أَنَّ اللهَ أَعاذَ عيسى عليه السلام من الشيطان، فهذا صَحيحٌ، لأَنه ذُكِرَ في القرآنِ وفي الحديث. قالَ اللهُ عز وجل عن دُعاءِ أُمِّ مريمَ عند ولادتِها: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

واستجابَ اللهُ دعاءَها، فحمى ابنتَها مريمَ عند ولادتِها من الشيطان. روى البخاريُّ ومسلمٌ عن أَبي هريرةَ رضي الله عنه عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، قال: «ما مِنْ مَوْلودٍ يولَدُ إِلّا والشيطانُ يَمَسُّه حينَ يولَد، فيستهلُّ صارِخاً من مَسِّ الشيطانِ إيّاه، إلّا مريم وابْنها». ثم قالَ أَبو هريرة: اقرؤوا إِنْ شِئْتُم قولَه تعالَى: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾.

وأَمّا أَنَّ عيسى عليه السلام لم يرتكبْ معصيةً ولا ذَنْباً، فهذا صحيحٌ أَيْضاً، لأَنه عبدُ اللهِ ونبيُّه ورسولُه، فاللهُ عصمهُ من الأَخطاءِ والذُّنوبِ والمعاصي، ولم يَجعلْ للشيطانِ سُلْطاناً عليه!.

وأَمّا أَنَّ الرسُلَ الآخرين وَقَعوا في الأَخطاءِ والذنوبِ والمعاصي، فهذا خَطَأٌ وباطل، فكما عَصَمَ اللهُ رسولَه عيسى، كذلك عَصَمَ باقي الأَنبياءِ والمرسلين، ونَزَّهَهم من الأَخطاءِ والذنوبِ والمعاصي، واصْطَفاهم لنفسِه، وصَنَعَهم على عينِه، فلم يكنْ للشيطانِ سَبيلٌ ولا سلطانٌ عليهم.

وأَخْطَأَ الفادي في اتهامِه للمرسلين: «ولماذا لم يَذْكُر القرآنُ للمسيحِ خَطَأً كما ذَكَرَ لغيرِه من الأَنبياء؟».

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٩٠.

والراجحُ أنَّ القرآنَ لم يَذْكُرْ للأنبياءِ أخطاءً أو ذُنوباً، إنَّما ذَكَرَ بَعْضَ المآخذِ التي أُخِذَتْ عليهم، وعاتَبَهم اللهُ عليها.. وهم لم يُخْطِئوا في تلك المواقف، ولم يُذْنِبوا في تلك الأفْعال، وما صَدَرَ عنهم صواب، ولكنَّ اللهَ أرشَدَهم إلى ما هو أَوْلى، لأنَّ اللهَ يُحِبُّ لهم الأَوْلىٰ والأفضلَ والأَصْوَبَ والأكمل(١).

إنَّ عيسى عليه السلام معصومٌ كَباقي الأنبياء، وليسَ للشيطانِ سُلطانٌ عليه كباقي الأنبياء، ولذلك لم يَعْصِ ولم يُخْطِئ ولم يُذنب، كباقي الأنبياء.

٥ ـ حول معجزات عيسى عليه السلام:

من مظاهِرِ كُفْرِ الفادي بالله، وجَعْلِه المسيحَ عيسى عليه السلام ابْناً لله، حديثُه عن معجزاتِه، التي تَمَيَّزَ بها عن باقي الأنبياء. قال: «يَشهدُ القرآنُ للمسيحِ بقدرتِه المطلقةِ على إتيانِ المعجزاتِ بصورةٍ ليس لها مثيلٌ بين سائرِ الأنبياء» [ص٩٠].

وهذا كَذِبٌ من المفتري على عيسى عليه السلام، لأَنَّهُ نَسَبَ له القدرةَ المطلقةَ على إتيانِ المعجزات، وهذا مَعناهُ أَنّه هو الذي يَأْتي بالمعجزاتِ ويَخْتارُها ويَصْنَعُها! وهذا خطأ كبير!!.

معجزاتُ الأنبياءِ ليستْ من اختيارِهم، وإنما هي من اللهِ وَحْدَه. وقد كانَ القرآنُ صريحاً في تأكيدِ هذه الحقيقة، وجاءَ هذا في آياتٍ عديدة. منها قولُه تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [العنكبوت: ٥٠].. وقالَ تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَاۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

وليس هذا خاصّاً بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم، بل هو عامّ، يَشملُ جَميعَ الأنبياءِ والمرسلين، ومنهم المسيحُ عليه السلام. قالَ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: ٣٨].

---

(١) خصصت كتابين لتوجيه مواقف الأنبياء التي جاء الاستدراك عليها في القرآن؛ هما: «مواقف الأنبياء في القرآن: تحليل وتوجيه»، و«عتاب الرسول في القرآن»، وهما مطبوعان في دار القلم بدمشق.

ولما طَلَبَ الأقوامُ السابقونَ من رسلِهم آياتٍ ومُعْجزاتٍ أخبرهم رسلُهم أَنَّ الآياتِ والمعجزاتِ بيدِ الله. قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ١٠ ـ ١١].

فإذا كان الرسُل جميعاً يَعترفونَ أنهم لا يُمكنُ أنْ يأتوا بالمعجزاتِ من أنفسِهم، لأنَّ اللهَ وَحْدَه هو الذي يَأْتيهم بها فكيفَ يَقولُ الفادي المفتري بأنه كان للمسيحِ قدرةٌ مطلقةٌ على الإتيانِ بالمعجزاتِ بصورةٍ ليس لها مَثيلٌ بين سائرِ الأنبياء؟! إنَّ هذا افتراءٌ على القرآن، وكَذِبٌ على المسيح عليه السلام!.

ولما تكلمَ الفادي على معجزاتِ المسيحِ عليه السلام في القرآن قَدَّمَ مجموعةً من الافتراءات، ونَسَبَها إلى القرآن:

أ ـ زَعَمَ المفتري أَنَّ القرآنَ نَسَبَ لعيسى عليه السلام العلمَ بالغَيْب، وذلك ليَخرجَ بنتيجتِه من أَنَّ المسيحَ إِلٰه، لأَنَّ عِلْمَ الغيبِ خاصٌّ بالله، وبما أَنَّ عيسى يَعلمُ الغيبَ فهو إِلٰه!! قال: «نَسَبَ القرآنُ له العلمَ بالغَيب، وذلك في قولِه: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩] مع أَنَّ عِلْمَ الغيبِ خاصٌّ باللهِ وَحْدَه: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ ..﴾ [يونس: ٢٠]»(١).

عِلْمُ الغيبِ خاصٌّ باللهِ وَحْدَه، ولا يَعلمُ أَيُّ مخلوقٍ شيئاً من الغيبِ، إلّا ما عَلَّمَهُ اللهُ إياه. قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨] وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧].

فعيسى عليه السلام لم يَعْلَمْ شيئاً من الغيبِ إلّا ما عَلَّمَهُ اللهُ إياه. وكانَ من

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٩٠.

معجزاتِه لبني إسرائيلَ أنه كانَ ينبئُهم ويُخبرُهم بما أكَلوهُ من طعام، وما ادَّخروه في بيوتِهم من الطعام، وجَعَلَ ذلك دَليلاً على نبوَّتِه. وهو لم يَعْلَمْ ذلك بنفسِه، لأنه لا يَعلمُ الغيب، وإنما أعلمه اللهُ بذلك، وهو بدورِه أنبأَهم به. فاللهُ هو الذي عَلِمَ الغيب، واللهُ هو الذي أعْلَمَه بالغيب!!.

وآتى اللهُ يوسفَ عليه السلام وهو في السجنِ مع الفتيَيْن نفسَ المعجزة، وذكَرَها القرآنُ في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾ [يوسف: ٣٧]. كان يوسفُ يخبرُ السجينَيْن اللذَيْن معه بنوعِ الطعام الذي سيأْتيهِما في السجنِ قبلَ تقديمِه لهما. وهذا علمٌ بالغيب، لكنَّه لم يعلَمْه بنفسِه، إنما أعلمَه به الله، ولذلك صَرَّحَ بقوله: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾.

ب ـ زعمَ المفتري أنَّ القرآنَ نَسبَ لعيسى عليه السلام القدرةَ على الخلق، والخلقُ خاصٌّ بالله، وبما أنَّ عيسى يَخلقُ خَلْقاً سويّاً فهو إلٰه، لأنَّه لا خالقَ إلّا الله. قال: «ونسبَ القرآنُ للمسيحِ القدرةَ على الخلقِ. قال: ﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩]».

ومعلومٌ أنَّ الخلْقَ خاصٌّ باللهِ وَحْدَه: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧].

وزَعْمُ المفتري مردودٌ عليه، وعيسى عليه السلام لم يَخْلُقْ شيئاً خَلْقاً حقيقياً ماديّاً، يوجِدُ فيه المخلوقَ الحيَّ من العَدَم، لأنَّ هذا الخلْقَ خاصٌّ باللهِ وَحْدَه، ولا يُمكنُ أنْ يَفعلَه عيسى عليه السلام ولا غيرُه، وقد جعلَه اللهُ دليلاً على وحدانيتِه. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ [النحل: ٢٠ ـ ٢١].

وقد نَسبَ القرآنُ الخلْقَ إلى عيسى عليه السلام، لكنْ أيُّ خَلْقٍ؟ وبإذْنِ مَنْ كان يَتِمُّ الخلق؟ كان عيسى عليه السلام يَخلقُ الطيرَ من الطين، لكنْ بإذن الله، وليس بقدرتِه الذاتية. قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩].

ما الذي كان يفعلُه عيسى عليه السلام؟ كان يَأْخذُ المادَّةَ الأوليةَ التي خَلَقَها الله، يأخذُ حفنةً من الترابِ الذي خَلَقَه الله، ويأْخُذُ إناءً من الماءِ الذي خَلَقَه الله، ويَجبلُ الترابَ بالماءِ حتى يَصيرَ طيناً، ثم يأخذُ ذلك الطينَ، ويَشَكِّلُه على هيئةِ الطائر، ويُصَوِّرُه على صورتِه، ويَجعُله تمثالَ طائِر، ثم ينفخُ فيه، ويطلبُ من اللهِ أَنْ يَبُثَّ فيه الروح، فيَجعلُ اللهُ فيه الروح، ويكونُ طيراً حيّاً. فعيسى لم يَخْلُقْ في الطائرِ روحاً، ولم يَجعلْه حيّاً، إنما اللهُ الذي فَعَلَ ذلك.

وبمعنى آيةِ سورةِ آلِ عمران السابقة قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى﴾ [المائدة: ١١٠]. وقد نَصَّت الآيَتانِ من سورةِ آلِ عمران وسورةِ المائدة على أَنَّ وَضْعَ الروحِ في الطيرِ كان بإِذْنِ الله، فاللهُ هو الخالقُ في الحقيقة، وليس عيسى عليه السلام، فهو كانَ مجردَ سببٍ ماديّ، يُشَكِّلُ ويُصَوِّرُ ويَنفخ، والمسبِّبُ والمريدُ هو الله سبحانه.

جـ - زَعَمَ الفادي أَنَّ القرآنَ نَسَبَ لعيسى عليه السلام القدرةَ على إحياءِ الموتى! وإِحياءُ الموتى خاصٌّ بالله، وبما أَنَّ عيسى عليه السلام فَعَلَ ذلك فهو إِله، لأَنه نجحَ في فعْلِ شيءٍ خاصٍّ بالله!.. قالَ: «وَنَسَبَ القرآنُ له القدرةَ على شفاءِ المرضى وإِحياءِ الموتى. قال: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩]. وإِحياءُ الموتى خاصٌّ بالله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [المؤمنون: ٨٠]».

وكما قُلْنا في خَلْقِه من الطينِ كهيئةِ الطيرِ نَقولُ في إِحيائِه الموتى، فاللهُ هو الذي آتاهُ معجزةَ إِحياءِ الموتى.. أَيْ كانَ عيسى عليه السلام يَقِفُ أَمامَ الميت، ويَدْعو اللهَ أَنْ يُحييَه، ويَستجيبُ اللهُ له. فالذي أَحيا الميتَ في الحقيقةِ هو الله، ولم يَكُنْ عيسى عليه السلام إِلّا سَبَباً. وهذا ما أَكَّدَهُ القرآن، في قولِه عن هذه المعجزة. قال تعالى: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩]. وقال تعالى: ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾ [المائدة: ١١٠].

قالَ اللهَ لعيسى عليه السلام: إِنكَ ستُخرجُ الموتى بإِذْني. فأَخْبَرَ عيسى عليه السلام بَني إسرائيلَ بذلك، وقالَ لَهم: أَنا سأُحيي الموتى بإِذْنِ الله.

٦ ـ رفع عيسى عليه السلام إلى السماء:

وَقَفَ الفادي المفتري أمامَ حديثِ القرآنِ عن رفْعِ عيسى عليه السلام إلى السماء، وأساءَ فَهْمَهُ، واستدلَّ به على عقيدتِه الباطلةِ في أُلوهيةِ المسيح! قال: «يَشهدُ القرآنُ أَنَّ المسيحَ رُفِعَ من الأَرضِ إِلى الله، وهو حَيٌّ خالدٌ في السماء، فجاءَ في سورةِ آل عمران (٥٥): ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾».

وقد سَبَقَ أَنْ ناقَشْنا كلامَ الفادي حولَ معنى الآية، وذَكَرْنا مَعْناها الصحيح. وقد أَلْقى اللهُ على عيسى عليه السلام النومَ، ورَفَعَهُ إِليه وهو نائم، والتَّوَفّي هنا تَوَفّي نَوْم وليس تَوَفِّيَ مَوْت، وعيسى عليه السلام حَيٌّ الآنَ في السماء. وهو ليس خالِداً في السماء، لأَنَّ اللهَ لم يَجعل الخلودَ لأَيِّ مَخْلوقٍ من البَشَر، ولذلك أخطأَ الفادي في قولِه: «وهو خالدٌ في السماء».

كُلُّ المخلوقين سَيَموتون، حتى رسولُ اللهِ محمدٌ ﷺ سيموت، والوحيدُ المخلَّدُ الذي لن يَموتَ ـ في نظرِ الفادي ـ هو عيسى عليه السلام، وهذا دليلٌ عندَه على أُلوهيتِهِ!! قال: «وقيلَ عن محمدٍ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنبياء: ٣٤ ـ ٣٥] فلماذا انتصَرَ المسيحُ على المَوْت، وقد ماتَ الناسُ في كلِّ جيل، وهو حَيٌّ خالد، وله الخُلْدُ، وله الرفعةُ والمجد؟»[١].

صحيحٌ أَنَّ عيسى عليه السلام حَيٌّ الآنَ في السماء، بروحِه وجسمِه، ولكنَّه ليس مُخَلَّداً، ولنْ ينتصرَ على الموت، كما ادَّعى الفادي، وسيُنزلُه اللهُ إِلى الأَرضِ في آخرِ الزمان، وسَيموتُ مَوْتاً طبيعيّاً كما ماتَ البَشَر، ثم يُبْعَثُ معهم يومَ القيامة.

ونَصَّ القرآنُ على أَنَّ عيسى عليه السلام سَيموت. قال تعالى: ﴿وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣] وقالَ تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٩١.

٧ ـ المسيحُ وجيهٌ في الدنيا والآخرة:

ذَكَرَ القرآنُ أَنَّ عيسى عليه السلام وجيهٌ في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥ ـ ٤٦].

واستخرجَ الفادي المفتري من الآيةِ ما يتفقُ مع هواهُ من تأليهِ عيسى عليه السلام. قال: «قال في تفسير الجلالين: «﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: ذا جاهٍ في الدُّنيا بسببِ النبوة، وفي الآخرةِ بسببِ الشفاعةِ والدَّرجاتِ العُلا». فلماذا يَخُصُّ القرآنُ المسيحَ بالوجاهةِ في الدنيا والآخرة؟»(١).

لم يَخُصّ القرآنُ المسيحَ بالوجاهةِ في الدنيا والآخرةِ، كما ادَّعى المفتري، وإنَّما أخبرَ أنه وجيهٌ في الدنيا والآخِرة، والإخبارُ بوجاهتِه لا يَعْني اخْتِصاصَه بها. فقد أخبرَنا اللهُ أنَّ موسى عليه السلام وجيهٌ عندَ الله. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩].

والشفاعةُ في الآخرةِ مَقامٌ محمود، خَصَّ اللهُ به أشرفَ الخلقِ محمداً ﷺ. قالَ اللهُ عنه: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

ويوضِّحُ المرادَ بالمقامِ المحمودِ في الآخرة بأنه الشفاعةُ، ما رواهُ البخاريُّ عن أَنسِ بن مالك رضي الله عنه، عن رسولِ الله ﷺ أنه قالَ في حديثِ الشفاعةِ الطويل: «... يَجتمعُ المؤمنونَ يومَ القيامة، فيقولون: لو استشفَعْنا إلى رَبِّنا، فيأتون آدمَ فيقولون: أنتَ أبو الناس.. فاشْفَعْ لنا عنْدَ رَبِّك، حتى يُريحَنا من مكانِنا هذا، فيقول: لستُ هُناكم...» إلى أنْ «يأتوا عيسى عليه السلام، فيقولون: يا عيسى: أنتَ عبدُ اللهِ ورسولُه، وكلمتُه أَلْقاها إلى مريمَ وروحٌ منه، اشفعْ لنا عندَ رَبِّك، فيقول: لستُ هُناكم، ولكن ائْتُوا مُحَمَّداً، عَبْداً غفرَ اللهُ له

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٩١.

ما تقدَّمَ من ذنبِه وما تَأَخَّر. . . فيأْتوني. فأنطلقُ، حتى أستأذنَ على رَبّي، فَيُؤْذَنَ لي، فإذا رأيتُ رَبّي وَقَعْتُ ساجداً، فيَدَعُني ما شاءَ اللهُ، ثم يُقال: ارْفَعْ رأْسَكَ، وسَلْ تُعْطَهْ، وقُلْ يُسْمَعْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ».

لم يَخُصّ اللهُ عيسى ﷺ بالشفاعةِ كما ادَّعى المفْتري، إنما خَصّ بها عبدَه ورسولَه محمداً ﷺ.

وارتكبَ الفادي المحَرِّفُ جَريمةً نكراء، عندما حَرَّفَ معنى آيةٍ تتحدَّثُ عن اللهِ رَبِّ العالمين، وجَعَلَها تتحدثُ عن المسيح ﷺ. . قال: «جاءَ في سورةِ السجدةِ (٤): ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾. تَذْكُرُ الآيةُ أَنَّ اللهَ هو الذي خَلَقَ السمٰواتِ والأرضَ في ستةِ أيام، وأنه استوى على العرش، وتُبَيِّنُ أنه لا يوجَدُ للناسِ وَلِيٌّ ولا شَفيعٌ من دون الله».

وقد ادّعى المفتري أَنَّ الآيةَ خَصَّتْ عيسى ﷺ بالشفاعةِ. قال: «فلماذا لم يُعْطِ اللهُ سُلْطاناً لأَحدٍ من البَشَرِ بالشفاعةِ إلّا المسيح؟ أليس لأَنه ابْنُ اللهِ المتجسِّدُ، والوسيطُ الوحيدُ بينَ اللهِ والناس؟»؟.

آيةُ سورةِ السجدةِ لا تتحدَّثُ عن المسيحِ، وإنما تتحدَّثُ عن الله، والهاءُ في ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ لا تعودُ على المسيح، وإنما تعودُ على الله. والمعنى: ليسَ للناسِ وليٌّ ولا شفيعٌ من دونِ الله.

وذَكَرَ الفادي المفتري الكافِرُ باللهِ عبارةً كافرةً فاجرة، جعلَ فيها المسيحَ ابْناً لله: «أَليس لأَنهُ ابْنُ الله المتجسِّدُ». ويؤمنُ المؤمنونَ أن اللهَ ليسَ له ابْنٌ ولا صاحبة. حتّى الجنُّ يؤمنون بذلك، وقد أَخبَرَنا اللهُ عن إيمانِهم بقولِه تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣].

وكَذَبَ الفادي المفتري عندَما قال: «والمسيحُ هو الوسيطُ الوحيدُ بينَ اللهِ والناس» ولقد رحمَ اللهُ النّاس، فلم يجعلْ أَيَّ شَخصٍ وَسيطاً بينَهم وبينَه، لا عيسى ولا محمداً ولا مَلَكاً. . وأَذِنَ اللهُ لأَيِّ إنسانٍ أَنْ يتصلَ به مباشرة، عن طريقِ ذِكْرِه وشُكْرِه وعبادتِه ومناجاتِه.

٨ ـ هل المسيح هو المخلِّص وحده؟:

أَساءَ الفادي المفتري فَهْمَ اسمِ عيسى الذي ذَكَرَهُ القرآنُ خَمساً وعشرين مرة، حيثُ جعلَه بمعنى «يَسوع»، ومَعنى عيسى ويَسوع عنده هو: «المخُلِّص». أَمّا معنى المسيحِ عنده فهو: «المعَيَّنُ مَلِكاً ونَبياً وكاهِناً». وقد ذُكِرَ المسيحُ في القرآنِ ثماني مرات: ومعنى «الإِنجيل» هو: «الخبرُ المفرح». وقد ذُكِرَ في القرآنِ اثنتيْ عشرةَ مرة.

وخرجَ الفادي من هذا بنتيجةٍ خاطئة، اعتبرَ فيها المسيحَ يَسوعَ عيسى عليه السلام هو وَحْدَه المخلِّصَ للجنسِ البشري!!.

وهذا خَطَأٌ مردود، فليسَ المخلِّصُ والمنقذُ هو عيسى عليه السلام وحْدَه، فكُلُّ نبيٍّ ورسولٍ هو مُخَلِّصٌ أَيضاً، يُخَلِّصُ الناسَ من الخَطَر، ويُنقذُهم من الأَذى، ويُخرجُهم من ظلماتِ الكفرِ إِلى نورِ الهُدى والإِيمان.

قالَ اللهُ لنبيِّه محمدٍ ﷺ: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

وآخِرُ ما قالَه الفادي المفتري عن تَميُّزِ وتَفَرُّدِ عيسى عليه السلام عن سائرِ الأَنبياء، مما يدلُّ على أُلوهيتِه وعدمِ بشريتِه؛ قولُه: «إِنَّ الذي ذَكَرَهُ القرآنُ عن المسيح، يَفوقُ ما ذَكَرَهُ عن سائرِ البشر، بمن فيهم محمدٌ.. أَلا يُشيرُ هذا إِلى تَفَرُّدِ المسيحِ عن سائرِ البشرِ؟ وهذا ما يقولُه الإِنجيلُ عن لاهوتِ المسيح»[(١)].

إِنَّ الذي ذَكَرَه القرآنُ عن عيسى عليه السلام لا يَفوقُ ما ذَكَرَهُ عن سائرِ البشر، كما ادَّعى الفادي المفتري، فهناك رُسُلٌ تحدثَ القرآنُ عنهم أَكثرَ مما تَحَدَّثَ عن عيسى عليه السلام، مثلُ نوحٍ وإِبراهيمَ وموسى ومحمدٍ عليهم الصلاة والسلام. ويُمكنُ الخروجُ بهذه النتيجةِ عندَ المقارنةِ بين ما ذَكَرَهُ القرآنُ عنهم وعن عيسى عليهم الصلاة والسلام، ولا نَنْسى أَنَّ هؤلاء الرسلَ الخمسةَ هم أُولو العزمِ من الرسل، وهم أَفضلُ الرسلِ عند الله عز وجل، وأَفْضَلُهم وأَشرفُهم هو نبيُّنا محمدٌ ﷺ.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٩٢.

أمّا عن تَفَرُّدِ المسيحِ عليه السلام عن سائرِ البشرِ فإنه خاصٌّ بولادتِه، التي اختلَفَ فيها عن ولادةِ سائرِ البشر، ونُطْقِهِ وهو بالمهد، ورَفْعِه بعدَ ذلك إلى السماءِ بروحِه وجسمه، وإبقائِه هناك حَيّاً، وهو الآنَ ينتظرُ إنزالَه إلى الأَرْضِ قُبيلَ قيامِ الساعة، وهو فيما سوى ذلك مِثْلُ باقي الأنبياءِ والمرسلين. إنسانٌ له جسمٌ وروح، وهو عبدُ اللهِ ورسولُه، يَعْتَريه ما يَعْتَري الآخَرينَ من صحةٍ ومَرَضٍ، وحُزْنٍ وفَرَحٍ، ونَوْمٍ ويَقَظَة، وطعامٍ وشراب. قالَ تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ﴾ [المائدة: ٧٥].

٩١

موقف الملائكة من خلق آدم عليه السلام

أساءَ الفادي فَهْمَ آيةٍ تتحدَّثُ عن موقفِ الملائكةِ من خَلْقِ آدمَ عليه السلام، وهي قولُ اللهِ عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

ما معنى إخبارِ اللهِ الملائكةَ أنه جاعلٌ في الأرضِ خليفة؟ وما معنى سؤالِ الملائكةِ عن الخليفةِ الذي سيفسدُ ويسفكُ الدماءَ؟ وما معنى إخبارِهم عن أنفسِهم أنهم يُسَبِّحونَ اللهَ ويَحمدُونه ويُقَدِّسونه؟.

وقفَ الفادي الجاهلُ أمامَ الآية، وفَكَّرَ في هذه الأسئلة، فاعْتَبَرَها خطأً من أخطاءِ القرآن! قال: «فلماذا يَستشيرُ اللهُ الملائكة، وهو غنيٌّ عن أن يُشيرَ عليه أَحَد؟... وهل يُعْقَلُ أنَّ الملائكةَ الأبْرارَ يَعْصون، ويُعارِضونَ رَغَباتِ الله، ويَدَّعونَ العلمَ بالغيبِ بغيرِ حَقٍّ، ويَطْعَنونَ في آدمَ من قَبْلِ خَلْقِه؟ ويُزَكّونَ أنفسَهم بألسنتِهم؟»(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٩٢.

فَهِمَ من قولِ اللهِ للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أنه يستشيرُهم، ويقولُ لهم: ما رَأْيُكم؟ أَشيروا عَلَيَّ أيها الملائكةُ، هل من المناسبِ أَنْ أَجعلَ في الأَرضِ خليفةً؟ ولذلك عَلَّقَ على ذلك بأَنَّ اللهَ لا يَحتاجُ إِلى أَنْ يُشيرَ عليه أَحَد!.

والصحيحُ أَنَّ قولَ اللهِ للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ليسَ من بابِ استشارتِهم، لأَنَّ اللهَ سبحانَهُ لا يَحتاجُ إِلى مشورةِ أَحَد، لأَنَّه أَحاطَ بكلِّ شيءٍ علماً، وهو الأَعلمُ بالأَنسبِ والأَفضلِ والأَحكم، وكُلُّ فِعْلٍ يفعلُه فهو صَواب!.

إِنَّ قولَه للملائكةِ من بابِ إِخبارِهم بما سيفعَلُه، ليكونَ عندهم علمٌ وخَبَرٌ بما قررَ سبحانَه أَن يفعلَه، ولذلك جاءت الجملةُ بصيغةِ الجَزْمِ والقطعِ، حيثُ قالَ لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾، ولم يقل: «إني سأجعل» ومن المعلوم أَنَّ اللهَ يُخبرُ مَنْ شاءَ مِنْ خَلْقِهِ بما شاءَ أَنْ يَفعلَه، سواء كانَ المخلوقُ مَلَكاً مُقَرَّباً أَوْ نبيّاً مُرْسَلاً!!.

وفَهِمَ الفادي من سؤالِ الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾: أَنه اعتراضٌ منهم على فِعْلِ الله، فهم يُنكرونَ على اللهِ فِعْلَه، ويُخَطِّئونَه في ما سيفعَلُه، وهذه معصيةٌ منهم لله، وتَمَرُّدٌ عليه! فكيفَ يفعلونَ ذلك؟.

وهذا فَهْمٌ خاطئٌ مردود! فلم يكن سؤالُهم من بابِ الاعتراضِ والإِنكار، وإِنما كانَ من بابِ الاستفسارِ والاستِعلام، وكأَنَّهم قالوا: يا رَبَّنا: إِنّا نَعلمُ أَنك عليمٌ حكيم، وأَنَّ فِعْلَكَ هو الصواب، لكننا نريدُ منك أَنْ تُخبرنا عن حكمةِ ذلك، فما حكمةُ جَعْلِكَ خليفةً في الأَرض، يُفسدُ فيها ويَسفكُ الدماء؟.

ولم يكن قولُهم عن آدمَ: ﴿مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ طَعْناً في آدمَ واتِّهاماً له قَبْلَ خَلْقِه، كما أَنه لم يكن ادِّعاءَ العِلْمِ بالغيب منهم، كما فَهِمَ الفادي الجاهل، فإِنَّه لا يَعلمُ الغيبَ إِلّا الله. وكلامُهم عن الخليفةِ أَنه سيُفسدُ في الأَرضِ ويَسفكُ الدِّماءَ صحيح، بدليلِ إِقرارِ اللهِ له، ولو كانَ خَطَأً لأَخبرهم اللهُ أَنه خطأ، ولذلك اكتفى بقولِه لهم: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

أيْ: أنا أَعلمُ أَنَّ ذرية الخليفةِ سيُفسدونَ ويَسفكونَ الدماء، لكنَّ الخلافةَ في الأرضِ وتَعميرَها لا بُدَّ أَنْ يُصاحبَها إِفسادٌ وسَفْكٌ للدماء!.

أَما كيفَ عَرَفَ الملائكةُ ذلك، فليس في مصادِرِنا الإِسلامية اليقينيةِ المتمثلةِ في القرآنِ وما صَحَّ من حديثِ رسولِ اللهِ ﷺ ما يدلُّ على ذلك، ونحنُ لا نأخذُ شيئاً عن الإِسرائيليات، ولا نُفَسِّرُ بها كلامَ الله!.

ولعلَّ الراجحَ أَنَّ كلامَهم عن إِفسادِ الخليفةِ وسَفْكِه الدماءَ من بابِ الاستشرافِ وفراسةِ المؤمنين، فَهُمْ قد شاهَدوا مراحلَ خَلْقِ آدم، من الترابِ والطين. ومعلومٌ أَنَّ الترابَ يَعْني الالتصاقَ بالأَرض والهبوطَ إِليها، والمخلوقُ من الترابِ قد تنحدرُ نفسُه إِلى الأَسْفَل، فيرتكبُ المُحرَّمات، ويُفْسِدُ ويَقْتُل!.

ولم يَقصد الملائكةُ من قولِهم: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ أَنْ يُزَكّوا أَنفسَهم بأَلسنتِهم، كما فهمَ الفادي ذلك منه، كما أَنهم لم يكونوا طامِعين في أَنْ يَكونوا هم الخلفاء!.

كلُّ ما يُؤْخَذُ من قولِهم أَنَّ اللهَ خَلَقَهم من نور، وفَطَرَهم على ذِكْرِه وتَسبيحِه وتقديسِه، ولعلَّهم قاسوا الأَمْرَ عليهم، فَفَهِموا أَنَّ كُلَّ مخلوقٍ سيخلُقُه اللهُ لا بُدَّ أَنْ يكونَ مثلَهم، لا يَعرفُ إِلّا ذِكْرَ اللهِ وتَسبيحَه، فكيفَ سيكونُ الخليفةُ مُهْتَمّاً بالعملِ في الأَرض؟!.

وبهذا نعرفُ أَنه ليسَ في الآيةِ التي اعترضَ عليها الفادي ما يَدْعو للاعتراض، وأَنْ تخطئَتَه لها بسببِ جَهْلِه!!.

٩٢

ما معنى سجود الملائكة لآدم عليه السلام؟

ذَكَرَ القرآنُ أَنَّ اللهَ عَلَّمَ آدمَ الأَسماءَ كُلَّها، ولما عَجزَ الملائكةُ عن معرفتِها، عَرَفَها آدمُ، فتميَّزَ عليهم بعلْمِه، ولذلك أَمرهم اللهُ أَنْ يَسْجُدوا له. قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ

إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣١ ـ ٣٤].

وقد اعترضَ الفادي على هذهِ الآيات وخَطَّأها، لأَنَّها تَتعارضُ مع توحيدِ اللهِ وعدْلِه! قال: «ونحنُ نسأَل: في أَوَّلِ الأَمْرِ عَلَّمَ اللهُ آدَمَ الأَسماءَ، ثم عَرَضَهم على الملائِكةِ فَعَجَزوا عن التَّسمية، واعْتَرَفوا بالعَجْز! فكيف يمتحنُ اللهُ الملائكةَ في ما لا يَعرفونَه، ويُعطي الإِجاباتِ لآدمَ ليَعْلَمَ ما لا يَعْلَمون؟ وكيفَ أَمَرَ اللهُ الملائكةَ أَنْ يَسْجُدُوا لآدَم؟ وحاشَ للهِ القُدْوسِ أَنْ يأْمُرَ بالسجودِ لغيرِ ذاتِه العليَّة! قال اللهُ في الخروج: لا تَسْجُدْ لإِلٰهٍ آخر، لأَنَّ الربَّ اسْمُه غَيور، إِلٰهٌ غَيورٌ هو»(١).

واعتراضُه لا وَزْنَ له، فليسَ في الآيةِ ما يَدْعو للاعتراضِ والإنكار.

أَرادَ اللهُ أَنْ يُبَيِّنَ للملائكةِ الحكمةَ من جعْلِه آدَمَ وذريَّته الخلفاءَ في الأَرض، مع أَنه قد يَصدُرُ عن هؤلاءِ الخلفاءِ إفسادٌ في الأَرضِ وسفَكٌ للدماء. فلما طَلَبوا من الله أَنْ يُخْبرَهم بحكمةِ استخلافِ آدَمَ أَجْرى لهم ولآدَمَ الامتحان، الذي أَشارتْ له هذه الآيات، وهي مرتبطةٌ مع الآيةِ السابقة التي تَحَدَّثْنا عنها في المبحث السابق: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

رَدَّ على سُؤالِهم بأنه يَعلمُ ما لا يعلمون، أَيْ أَنَّه يَعلمُ أنه لا يَصلحُ للخلافةِ في الأَرض إِلَّا هذا الخليفة، لِأَنه سيُزَوِّدُه بوسائلَ ومواهبَ وطاقاتٍ وقُدُرات، يتمكَّنُ بها من حُسْنِ الخلافةِ في الأَرض، وفي مقدمتِها العلمُ الذي وَهَبَهُ اللهُ إِياه، والنطقُ الذي مَكَّنَهُ منه، بحيثُ يَستطيعُ أَنْ يُعَبِّرَ عما في نفسِه،

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٩٣.

ويَرْمُزَ بالأَسماءِ للمسَمَّيات، والملائكةُ المسَبِّحونَ لله لا يَستطيعونَ ذلك، فالعلمُ والنطقُ والتفكيرُ والتعبير أُمورٌ ضروريةٌ للخلافةِ في الأَرض!.

عَلَّمَ اللهُ آدم الأَسماءَ كُلَّها، وجَعَلَ فيه النطق، والقدرةَ على التعبيرِ عما في نفسِه، والرَّمْزِ بالأَسماءِ للمسَمَّيات، والملائكةُ لا يَعلمونَ ذلك، لأَنهم لا يَحْتاجونَ إِليه فِي مهمَّتِهم في عبادةِ اللهِ وتسبيحِه.. وبعد ذلك أَرادَ اللهُ أَنْ يُبَيِّنَ للملائكةِ الحكمةَ من استخلافِ آدم، وأَنه مَيَّزَهُ عليهم بالعلمِ والنطقِ والتفكيرِ والتعبير.. فالموضوعُ ليس موضوعَ امتحانِ الملائكة بما لا يَعرفون، و«تَغْشِيشَ» آدمَ بتقديمِ الإِجاباتِ له قبلَ دُخولِه الامتحان، كما فَهِمَ الفادي الجاهل، إنما الموضوعُ تَوجيهٌ وتَعليلٌ وبيانٌ للحكمةِ والعِلَّة، وهذا ما فهِمَه الملائكة، ولذلك صَرَّحوا بعجْزِهم عن الجواب، لأَنَّ اللهَ لم يمنَحْهم ذلك العلم، وقالوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

ولما أنبأَهم آدَمُ بالأَسماءِ المطلوبة عَرَفوا حكمةَ استخلافِه في الأَرض، وذَكَّرَهُم اللهُ بشمولِ عِلْمِه. قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

أَما سجودُ الملائكةِ لآدمَ عليه السلام فهو ليسَ من بابِ السجودِ لغيرِ الله، ولا عبادةِ آدمَ من دونِ الله، ولا الشركِ بالله، كما فَهِمَه الفادي الجاهل، ثم اعترضَ عليه وخَطَّأَهُ وأَنْكَره.

إنه سجودٌ لله في الحقيقة، لأَنَّ الله هو الذي أَمَرهم أَنْ يَسْجُدوا لآدَم، أَيْ هو الذي كَلَّفَهم بذلك، ولو كان عبادةً لغيرِه لما أَمَرَهم به سبحانَه، لأَنَّ اللهَ لا يأْذَنُ لأَيِّ مَخْلوق أَنْ يَعْبُدَ غيرَه.

وعندما سَجَدَ الملائكةُ لآدَمَ كانوا عابِدينَ لله، وكان آدَمُ كَأَنه قِبْلَةٌ لهم في عبادتِهم لله، كما يُصَلي أَحَدُنا صلاتَه لله، ويَجعلُ الكعبةَ قِبْلَةً له، فهو لا يَعَبُدُها ولا يَسجدُ لها، وإنما هي مجردُ قِبْلَة، واللهُ أَمَرَه بالتوجُّهِ إِليها واستقبالِها، وهكذا كان آدمُ بالنسبةِ للملائكة.

لم يَكنْ سُجودُهم لآدمَ عبادةً له من دونِ الله، إنما كانَ سُجودَ تكريمٍ وتَشريفٍ لآدَم، واعترافاً منهم بفَضْلِ آدَمَ عليهم، لأنَّ الله مَيَّزَهُ عليهم بالعِلم.

٩٣

هل جهنم لجميع الأبرار والأشرار؟

وَقَفَ الفادي أَمامَ آيتَيْن تتحدَّثانِ عن جهَنَّم، واعترضَ عليهما، وقارَنَهما بكلامِ الكتابِ المقدَّس، وخَرَجَ بخَطَأِ القرآنِ وصَوابِ الإنجيل.

والآيتانِ هما قولُ الله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٣ ـ ٤٤]. وقولُ الله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١ ـ ٧٢].

لجهَنَّمَ سبعةُ أبوابٍ كما وَرَدَ في سورةِ الحِجْر، ونَقَلَ الفادي عن بعضِ العلماءِ تحديدَ أَسماءِ تلكَ الأَبوابِ السَّبْعَة، وتحديدَ الأَصنافِ الذين يَدْخُلونَ من كلِّ بابٍ منها، وهذا كلامٌ لَيسَ عليه دَليل، فلا نَخوضُ فيه ولا نَتوقَّفُ عِنْدَه.

وفَهِمَ الفادي الجاهِلُ من الآياتِ أَنَّ القرآنَ يُخبرُ أَنَّ جهنَّم للجَميع، سواء كانوا أَبْراراً أَوْ أَشْراراً، مؤمنين أَو كافرين! ولذلك خَطَّأَ القرآنَ في ذلك. قال: «ونَحنُ نَسأَل: كيفَ يَذْهَبُ المؤمنُ إلى جهنم؟ وما قيمةُ التوبةِ والغفرانِ الإِلٰهي؟ يقولُ الكتابُ المَقدَّسُ بوجودِ مكانٍ للأَبرار، وهو السماء، ومكانٍ للأَشْرار، وهو جهنَّم: «فَيَمضي هؤلاء إلى عذابٍ أَبَديّ، والأَبرارُ إلى حياةٍ أَبديّة» [٢٥ ـ ٤٦] فلا يَذهبُ الأَبرارُ إلى جَهَنَّم، لأَنَّ اللهَ بَرَّرَهم ببرِّهِ الكامل، وبالتالي لا يَخْرُجون من جهنَّم إلى السماء. . . وإذا كانَ جميعُ الناس سَيَذْهبون إلى جهنَّمَ كما يقولُ القرآن، وإذا كانت أُمَّةٌ واحدة من الطوائفِ الإسلاميةِ هي التي تَخْلُصُ كقولِ الحَديث، أَفَلا يُخَيِّمُ الخوفُ من الموتِ والدينونةِ على حَياةِ

كُلِّ المسلمين؟ ما أعظمَ الفرقَ بين حياةِ المسلم الخائِفِ الحائِر، وبينَ حياةِ المسيحي، الذي يَشْتَهي أَنْ يَنطلقَ من الدُّنيا ليكونَ مع المسيح، ويَنتظر يومَ القيامةِ بفَرَح، حيثُ يَنالُ إكليلَ الحياة!».

لم يَقُل القرآنُ إنَّ جَميعَ الناسِ سَيَذْهَبونَ إلى جهنَّم، والنتائجُ التي بَناها الفادي على هذا الزعم باطلةٌ مَردودة، لأَنَّ ما بُنِيَ على الفاسدِ فهو فاسد.

ولا تَتَحدَّثُ آياتُ سورةِ الحِجْر التي خَطَّأَها الفادي الجاهِلُ عن الأَبرارِ والأَشرارِ، إنما تتحدَّثُ عن الأَشْرارِ الغاوين فقط، الذين اسْتَسْلَموا للشيطان، وتُقَرِّرُ أَنَّ جهنَّمَ موعدُ هؤلاء الغاوين أَجمعين، وتَسْتَثْني الصالحينَ الأَبرار. والآياتُ وارِدةٌ في سياقِ الحديثِ عن ما جَرى بين آدمَ عليه السلام وبينَ إبليس، وتَعَهُّدِ إبليسَ بإغواءِ مَن استجابَ له من بَني آدم. قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٣٩ ـ ٤٦].

لا أدري كيفَ فَهِمَ المفتري من الآياتِ الواضحةِ الصريحة دُخولَ الأَبرارِ والأَشرارِ جهنم، مع أَنها صَريحةٌ في دُخولِ الكفارِ فَقَطْ جَهَنَّمَ.. إنَّ الضميرَ المتَّصِلَ «هم» في قوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يَعودُ على «الغاوين» في الجملة السابقة: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾. والمعنى: إنَّ جهنَّمَ موعدُ الغاوينَ الذينَ اتَّبعوك.

ثم إنَّ الآياتِ اللاحقةَ صَرَّحَتْ بأَنَّ المتَّقينَ آمِنون في جناتٍ وعيون: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾.

لقد تَعَمَّدَ الفادي المجرمُ أَنْ يُحرِّفَ معنى الآياتِ الواضحِ، وأَنْ يَتْرُكَ الآياتِ والكلماتِ الصريحة، وأَنْ يَتلاعَبَ بها، ليخرجَ منها بنتيجةٍ خاطئة، يُخَطِّئُها بها، مع أَنَّها لا توحي بها!!.

ولا تَدُلُّ آياتُ سورةِ مريم على دُخولِ الأبرارِ والأشْرارِ النار، كما ادَّعى الفادي المفتري. قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨ ـ ٧٢].

الكلامُ في الآياتِ الأُولى عنِ الكافرين، حيثُ سيَحْشُرُهم اللهُ مع شَياطينِهم، ثم سيُحْضِرُهم إلى جهَنّم، وسَيَجْثُونَ فيها على رُكبِهم، ثم يُخرجُ اللهُ منهم زُعماءَهم الذين هم أَشَدُّ عَداوةً لله، ثم سَيزيدُ عَذابَ هؤلاءِ الزعماء، ولا يَدْخُلُ المؤمنون ضمنَ هذه الآيات، لأنهم مُؤْمِنون أبرار صالحون.

وبعدما قَرَّرَتِ الآياتُ دُخولَ الكفارِ جَهَنَّم توجَّهَتْ للمؤمنينَ بالخطاب، وأَدمجَتْهم في الخطابِ مع الآخرين، وأخبرتْ عن وُرودِ جَميعِ الناسِ جهَنَّم، ولم تستَثْنِ أَحَداً من هذا الورود، سواء كانَ مُؤْمِناً أو كافراً، وقَرَّرَتْ بعدَ ذلك نَجاةَ المتقين وهلاكَ الكافِرين الظالمين: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾.

فالمرادُ بالورودِ في الآيةِ المرورُ فوقَ جَهَنَّم، بدليلِ ذِكْرِ نَجاةِ المتَّقين بَعْدَه.

وهذا مَعْناهُ أنه يُنْصَبُ الصِّراطُ على شَفيرِ جَهَنَّم، ويمُرُّ عليه جميعُ البَشَر، مؤمنين وكافرين، أمّا المتقونَ فيُنْجيهم اللهُ برحمتِه، وأمّا الظالمونَ فيُسْقِطُهم اللهُ فيها.

وفَسَّرَ رسولُ اللهِ ﷺ الورودَ بالمُرور؛ فقد روى مسلمٌ عن أُمِّ مُبَشِّر الأنصاريةِ رضي الله عنها: أنها سمعَتْ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ عندَ حَفْصَةَ رضي الله عنها: «لا يَدْخُلُ النّارَ ـ إنْ شاءَ اللهُ ـ مِنْ أَصحابِ الشَّجرةِ أَحَد! الذينَ بايَعوا تَحْتَها». قالَتْ حَفْصَة: بلى يا رسولَ الله! فانْتَهَرها رسولُ اللهُ ﷺ. فقالَتْ حفصة: قالَ اللهُ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾! فقالَ لها النبيُّ ﷺ: «قالَ الله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾».

لقد فَهمت حفصةُ ﵂ الورودَ بأنه بمعنى الدُّخول، وأَنَّ المؤمنين والكافرين سيَدْخُلونَ جهنَّم جَميعاً، ولكنَّ رسولَ اللهِ ﷺ فَسَّرَ الوُرودَ بالمرور، وأَخْبَرَها أَنَّ اللهَ يُنجي المؤمنينَ برحمتِه، فلا يُدْخِلُهم جَهَنَّم، وإِنما يَمُرّونَ عليها مُروراً سَريعاً، في طريقِهم إِلى الجنة.

وروى مسلم عن أَبي سعيدٍ الخدريِّ ﵁ حديثَ رَسولِ اللهِ ﷺ الطويلَ في الشفاعة: «... ثم يُضْرَبُ الجِسْرُ على جَهَنَّم، وتَحِلُّ الشَّفاعَة، ويقولون: اللهمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ، قيلَ: يا رسولَ الله! وما الجِسْرُ؟ قال: دَحْضٌ مُزِلَّةٌ، فيه كَلاليبُ وخَطاطيفُ وحَسَك، تَكونُ بنَجْد، فيها شُوَيْكَة، يُقالُ لها: السَّعْدان، غيرَ أَنه لا يَعلمُ ما قَدْرُ عِظَمِها إِلّا الله. تَخْطِفُ الناسَ بأَعمالِهم، فمنهم الموبَقُ بعَمَلِه، ومنهم المُجازى حتى يَنْجو، فَيَمُرُّ المؤمنون كَطَرْفِ العَيْن، وكالعَيْن، وكالرّيح، وكالطَّيْر. وكأَجاويدِ الخَيْلِ والرِّكاب، فنَاجٍ مُسْلَّمٌ، ومَخْدوش مُرسَلٌ، ومَكْدوسٌ في نارِ جَهَنَّم...».

بهذا البيانِ القاطعِ مِن رسولِ اللهِ ﷺ يَتَّضِحُ أَنْ المرادَ بالورودِ هو المرورُ وليس الدخول، فالمتَّقونَ لا يَدْخُلونَ جَهَنَّم مُطْلَقاً! وبهذا نَعْرِفُ جَهْلَ وخَطَأَ الفادي في ادِّعائِه وافترائِه.

٩٤

مظاهر نعيم المؤمنين في الجنة

اعترضَ الفادي المفتري على حديثِ القرآنِ عن الجنة، ومظاهر النعيمِ التي فيها، واعتبرَ هذه المظاهرَ لا تَليقُ بالمؤمنين، وأَثْنى على حديثِ الكتابِ المَقَدَّسِ عن الجنة، وسَخِرَ مِن آياتِ القرآنِ التي ذَكَرَتْ صفاتِ الجنة.

وقالَ في بدايةِ اعتراضِه وتهكُّمِه: «هذه جنةٌ تُناسِبُ الميولَ الجسدية، وتُوافِقُ رغباتِهم الماديّة».

وفَصَّلَ الحديثَ في اعتراضِه قائلاً: «بَدَلَ الصحراءِ المحرقة، وَعَدَهم بجنةٍ تَجْري من تَحتِها الأَنهار.. وبَدَلَ النومِ على الرمالِ، وَعَدَهم بجنةٍ فيها

سُرُرٌ مرفوعة. . وبَدَلَ لبسِ وَبَرِ الجِمال، وَعَدَهم بجنةٍ يُحَلَّونَ فيها من أساورَ من ذهبٍ ولؤلؤاً ولباسُهم فيها حرير. . وبَدَلَ القحطِ والمَحْل، وَعَدَهم بجنَّتَيْن ملآنَتَيْن بالفاكهة. . وبَدَلَ الخيامِ التي لا تَقي من حَرِّ الصيفِ وزَمْهريرِ الشتاء، وَعَدَهم بِقُصورٍ مُشَيَّدَة، فيها غُرَفٌ من فوقِها غُرَفٌ مبنية، ولا يَرَوْنَ فيها شَمْساً ولا زَمْهَريراً. . وبَدَلَ النساءِ البدويّات، وَعَدَهم بأزواجٍ من الحورِ العين، لم يطمثْهُنَّ إنسٌ قَبْلَهم ولا جانٌّ، وجعلهنَّ أبكاراً عُرُباً أَتْراباً. . وبدلَ الحرمانِ من الخَدَم وَعَدَهم بولدانِ الحور، يُقَدِّمونَ لهم ما لَذَّ من الشَّراب. . وبَدَلَ طعامِ الفاقة وَعَدَهم بلحْمِ الطير. . وبَدَلَ الجوعِ والفاقةِ وشَظَفِ العيش، وَعَدَهم بجناتٍ فيها أَنهارٌ من ماءٍ غيرِ آسِن، وأَنهارٌ من لبنٍ لم يتغيَّرْ طعْمُه، وأنهارٌ من خمرٍ لذةٍ للشاربين، وأَنهارٌ من عَسَلٍ مُصَفّى. . .»[1].

إنَّ الجنةَ التي يراها الفادي خاليةٌ من النعيمِ الماديّ، فليس فيها أَشجارٌ ولا أَنهارٌ، ولا قُصورٌ وغُرَف، ولا أَسِرَّةٌ وبُسُط، ولا ملابسُ وأَساور، ولا نِساءٌ ولا وِلْدان، ولا خَدَمٌ ولا حورٌ عين، ولا طَعامٌ ولا شَراب، ولا استمتاعٌ ولا شَهوة، ولا مُلْكٌ ولا أَرض. . . ومع هذا يُسَمِّيها جنة، ولا أدري كيفَ تكونُ جَنَّةً وهي خاليةٌ من كلِّ هذه المظاهرِ للنعيمِ والاستمتاع؟.

وزَعَمَ الفادي المفتري أَنَّ المسيحَ ﷺ نفى وُجودَ نعيم ماديٍّ في الجنة. قال: «أين هذه الصفاتُ من قولِ المسيح: «في القيامة لا يُزَوِّجون ولا يَتزَوَّجون، بل يَكونونَ كملائكةِ اللهِ في السماءِ» [متى: ٢٢ ـ ٣٠]. وقولِه أيضاً: «لأَنَّه ليسَ ملكوتُ اللهِ أَكْلاً وشُرْباً، بل هو بِرٌّ وسَلامٌ وفَرَحٌ في الروح القدس». [رومية: ١٤ ـ ١٧]»[2].

يَنسبُ الفادي للمسيحِ ﷺ أَنَّ المؤمنين يَكونونَ في الجنة بدونِ طَعامٍ أَوْ شرابٍ أو زواج، فهم كالملائكةِ الذين لا يَأكلُون ولا يَشْرَبون ولا يتزوَّجون، وحياتُهم في الجنةِ مُجَرَّدُ فَرَحٍ وسُرورٍ وبِرٍّ وسَلام!!.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ٩٤ ـ ٩٥.

(٢) المرجع السابق، ص٩٥.

وأوردَ الفادي خرافاتٍ حولَ نعيم الجنة، نَسَبَها لرسولِنا محمدٍ ﷺ، وزَعَمَ أَنَّ رسولَنا قال: إنَّ لكلِّ مؤمنٍ قصوراً كثيرةً في الجنة، في كُلِّ قَصْرٍ سَبْعون داراً من ياقوتٍ أَحْمر، في كلِّ دارٍ سَبْعونَ بيتاً من زُمُرُّدٍ أَخْضَر، في كُلِّ بيتٍ سَرير، على كُلِّ سَريرٍ سَبْعون فِراشاً من كُلِّ لون، على كُلِّ فراشٍ سَبْعون زوجةً من الحورِ العين، وفي كُلِّ بيتٍ سَبْعون وَصيفة، وسَبْعون مائدة، وعلى كُلِّ مائدةٍ سَبْعون لَوْناً من الطعام، ويتزوَّجُ الرجلُ في الجنةِ خمسَمئةِ حوراء، وأربعةَ آلافِ بِكْر، وثمانيةَ آلافِ ثَيِّب!.

وهذا كلامٌ مَكْذوبٌ على رسولِنا محمدٍ ﷺ، لم يَقُلْه، وفيه طابَعُ المبالغةِ والمغالاة... وهو كَلامٌ مَرْفوضٌ عندنا لأنه لم يَصِحَّ عن رسولِ اللهِ ﷺ ومعلومٌ أَنَّ الجنةَ من عالمِ الغيب، ولا نأخذُ عالَمَ الغيبِ إلّا من آياتِ القرآنِ الصريحة، وما صَحَّ من حديثِ رسولِ اللهِ ﷺ!.

وأَنهى الفادي المفتري اعتراضه على حديثِ القرآنِ عن الجنةِ بادّعاءٍ كاذب، قال: «ولم يَذْكُر القرآنُ أَنَّ في هذه الجنةِ سعادةً روحيةً في محبةِ الخالقِ وتسبيحه!»[1].

ولقد ذَكَرَ القرآنُ السعادةَ العاليةَ التي يَكونُ عليها المؤمنونَ في الجنة، والفرحَ والسرورَ الذي يُظَلِّلُ حياتَهم.

فوجوهُهم ناضرة، ضاحكةٌ مستبشرة. قالَ تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]. وقالَ تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨ ـ ٣٩]. وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٢ ـ ٢٤].

ويَحمدونَ اللهَ على ما أنعمَ به عليهم، ويتذكَّرونَ ما كانوا عليه في الدنيا. قالَ تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٥ ـ ٢٨].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٩٥.

ومِنْ سُرورِهم وسَعادتِهم الروحيةِ في الجنة إذْهابُ الحَزَنِ عنهم فيها. قالَ تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٤ ـ ٣٥]، ومن سعادتِهم الغامرةِ في الجنةِ أنهم لا يَسمعونَ فيها إلّا ما يُحبون سَماعَه. قالَ تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا﴾ [الواقعة: ٢٥ ـ ٢٦].

وتَأْتيهم الملائكةُ، يَدْخلونَ عليهم، ويُرَحِّبونَ بهم ويُبَشِّرونَهم. قالَ تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢ ـ ٢٤].

ومن سعادتِهم الغامرةِ أَنَّ اللهَ يُحِلُّ عليهم رِضوانَه، ويُخبرُهم بذلك، وهذا الرضوانُ أكبرُ من كُلِّ مظاهرِ نعيم الجنة، من طَعامٍ وشَرابٍ وزَواجٍ ولِباس. قالَ تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

تنصُّ الآيةُ على أَنَّ الرضوانَ الذي يُحِلُّهُ اللهُ على المؤمنين والمؤمناتِ في الجنةِ أكبرُ مِن كُلِّ مظاهرِ النعيمِ الماديِّ فيها.

ووَضَّحَ رسولُ اللهِ ﷺ هذا المعنى؛ فقد روى البخاريُّ ومسلمٌ عن أبي سعيدِ الخُدْريِّ رضي الله عنه، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ تَبارَكَ وتعالى يَقولُ لأَهْلِ الجَنَّة: يا أَهْلَ الجَنَّة. فيقولون: لَبَّيْكَ رَبَّنا وسَعْدَيْك. فيقول: هل رضيتُم؟ فيقولون: وما لَنا لا نَرْضى، وقد أَعْطَيْتَنا ما لم تُعْطِ أَحَداً من خَلْقِك. فيقول: أَنا أُعطيكُم أَفْضَلَ من ذلك. قالوا: يا رَبَّنا: وأَيُّ شيءٍ أفضلُ من ذلك؟ فيقول: أُحِلُّ عليكم رِضْواني، فلا أَسْخَطُ عليكم بعدَه أَبَداً».

أَبَعْدَ هذه الآياتِ القرآنيةِ الصريحة، التي تُصَوِّرُ ما يكونُ عليه المؤمنونَ

في الجنةِ من سَعادةٍ ونَضْرَةٍ وفَرَح وسُرور، يَأْتي الفادي المفْتَري لِيَتَّهِمَ القرآنَ بأنه لم يَذْكُرْ شيئاً عن هذه السَّعادَة؟!.

إنَّ اللهَ يُكرِمُ المؤمنينَ في الجنة، بكُلِّ مَظاهِرِ النعيم، سواء كان نَعيماً مادّيًا، مُمَثَّلاً في الجَنّاتِ والأَشْجارِ والأَنْهار والقُصورِ واللِّباسِ والطَّعامِ والشَّرابِ والحُورِ العين. أو كان نَعيماً معنويًا، مُمَثّلاً في سَعادتِهم وفَرحِهم وسُرورِهم ونَضْرَتِهم.. قال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٦٨ ـ ٧٢].

٩٥

أرواح الشهداء وأجواف الطيور الخضر

خَطَّأَ الفادي المفتري القرآنَ في حديثِه عن حياةِ الشهداءِ عندَ رَبِّهم، كما خَطَّأَ رسولَ اللهِ ﷺ في إخبارِه عن كونِ أَرواحِ الشهداءِ في أَجوافِ طُيورٍ خُضْر، واعترضَ على كلامِ القرآنِ عن البرزَخ.

قالَ اللهُ عن البرزخ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠].

والبرزَخُ هو المرحلةُ الانتقاليةُ التي يَكونُ عليها الأَمواتُ من البَشَرِ في قُبورِهم، بانتظارِ قيامِ الساعة، وهم إمّا مُنَعَّمونَ في قُبورِهم إنْ كانوا مُحْسنين، وإمّا مُعَذَّبون في قُبورِهم إنْ كانوا مُسيئين، والقَبْرُ إمّا روضَةٌ من رياضِ الجَنَّة، وإمّا حُفْرَةٌ من حُفَرِ النّار، كما أَخبرَ رسولُ اللهِ ﷺ.

وعَلَّقَ الفادي على كلامِ القرآنِ عن البرزخِ بقوله: «والبرزَخُ هو مكانُ

الأرواح، فيه تُحْفَظُ أَرواحُ الأشْرار، فلا يَقْدِرونَ على الرُّجوعِ إلى الحياةِ الدنيا»[1]. وكلامُه غيرُ صَحيح، فالبرزخُ ليسَ مَكاناً لحفْظِ أرواحِ الأشْرارِ فقط، وإنَّما هو مكانٌ لكُلِّ النّاس، مُؤْمِنين وكافِرين، ومُحْسِنين ومُسيئين، لأنه مرحَلَةٌ حتميةٌ لما بَعْدَ الموت.

كما أَنَّ البرزخَ ليسَ مَكاناً للأَرْواحِ فقط، وإنما هو مكانٌ لكُلِّ إنسان، بجسْمِه وروحِه وكيانِه كُلِّه. وقد أَخبَرنا رسولُ اللهِ ﷺ أَنَّ كُلَّ إنسَانٍ عندما يوضَعُ في قَبْرِه، تُرَدُّ له روحُه في جَسدِه، ويأْتيهِ الملَكانِ فَيُجْلِسانِه ويَسأَلانِه، فإنْ أَجابَ كانَ مُنَعَّماً في قَبْرِه، وإنْ لم يُجِبْ كان مُعَذَّباً. فنَعيمُ القبرِ أَو عَذابُه ليسَ للروحِ فقط، لكنَّه للروحِ مع الجَسَدَ.

لكنَّ البرزخ من عالَم الغيب، ولا يُقاسُ بمقاييسِنا الماديةِ الدنيوية، فلو فَتَحْنا قَبْراً ماتَ صاحِبُه قبلَ عشراتِ السنين فلنْ نَجدَ فيه جِسْماً ولا روحاً، ولا نَعيماً ولا عَذاباً، ولن نَجدَ فيه إلا تُراباً، ولا يَعْني هذا أَنَّ صاحبَه صارَ تُراباً حقيقة، إنما هو بروحِه وجَسَدِهِ في عالَمِ الغيب، وهو مُنَعَّمٌ أَو مُعَذَّبٌ في قبرِه، ويَعِيشُ حياتَه البرزخيةَ بانتظارِ قِيامِ الساعة!.

أَما حياةُ الشهداءِ عندَ الله، فقد ذَكَرَها القرآنُ في قولِه تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧٠].

وهذه الآياتُ نازلةٌ بعدَ غزوةِ أُحُد، في السنةِ الثالثةِ من الهجرة، التي استُشْهِدَ فيها مَن استُشْهِدَ من الصحابة، فأَخْبَرَ اللهُ أَهْلَهم عن حياتِهم. وهذا ما أَكَّدَهُ وَوَضَّحَهُ رسولُ اللهِ ﷺ.

روى مسلمٌ عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: سأَلْنا رسولَ اللهِ ﷺ عن هـذه الآيـة: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٩٦.

يُرۡزَقُونَ﴾. . فقال: «أرواحُهم في جوفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لها قناديلُ مُعَلَّقَةٌ بالعرش، تَسرحُ من الجنةِ حَيْثُ شاءَتْ، ثم تَأْوي إلى تلك القناديل».

وروى أبو داود عن ابنِ عباسٍ ﵄، قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لما أُصِيْبَ إخوانُكُم بأُحُد، جَعَلَ اللهُ أرواحَهم في جوفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أنهارَ الجنة، تَأكُلُ من ثِمَارِها، وتَأوي إلى قناديلَ من ذَهَب مُعَلَّقَةٍ في ظِلِّ العرش. . فلما وَجَدوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ ومَشْرَبِهم ومَقِيلِهم، قالوا: مَنْ يُبَلِّغُ إخوانَنا عَنّا أَنّا أحياءٌ في الجَنَّةِ نُرْزَقُ، لِئَلّا يَزْهَدوا في الجهاد، ولا يَنْكُلوا عندَ الحرب؟ فقالَ الله: أنا أُبَلِّغُهُم عنكم! فأنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢا . . .﴾».

وقد اعترضَ الفادي على كَلامِ رسولِ الله ﷺ، واعتبرَ جَعْلَ أرواحِ الشُّهداءِ في أَجْوافِ طُيورٍ خُضْرٍ لا يَتفقُ مع كرامَةِ الإنسان. قال: «ونَحنُ نسألُ: إنْ كانَ اللهُ خَلَقَ الإنسانَ على أَحْسَنِ تَقْويم، فكيفَ إذا ذَهَبَ إلى الجنةِ يُنَزِّلُهُ مَنزلةَ الطير؟ ويَتناسَخُ الأشرارُ في النارِ إلى قردةٍ وخَنازير، والأبرارُ في الجنةِ إلى طيورٍ وعصافير؟»[1].

واعتراضُه يَدُلُّ على جَهْلِه وسَخافَةِ تَفْكيره، فلا يَدُلُّ حَديثُ رسولِ اللهِ ﷺ على أَنَّ اللهَ يُحَوِّلُ الشُّهداءَ من بَشَر إلى طيورٍ وعَصافير، إنما يَدُلُّ على أَنَّ اللهَ يُكْرِمُهم بعدَ استشهادِهم، فلا يُبقي أَرواحَهم مع أجسادِهم في الدنيا، وإنما يَستقدِمُها إلى الجنة، ويَجعلُها في حواصلِ طيورٍ خُضْر، تتمتَّعُ في الجنةِ حيثُ شاءت، وتَسرحُ فيها بينَ أَنْهارِها وأَشْجارِها وثمارِها، وتأوي لَيْلاً إلى قناديلَ مُعَلَّقَةٍ في ظِلِّ العرش.

وهذا كُلُّهُ في الدنيا، فأَجسادُهم بَقِيَتْ في قُبورِهم، وأَرواحُهم هي التي اسْتَقْدَمَها اللهُ إلى الجنة، فليسَ في الأَمْرِ تناسُخٌ ولا اسْتِنْساخ، ولا إهانَةٌ واحْتقارٌ للشهيد، بتحويلِه من إنسانٍ مُكَرَّمٍ إلى عُصفور!.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٩٦.

أَمَّا يومُ القيامة فإنَّ اللهَ يَبعثُ الشُّهداءَ كما يَبعثُ الناسَ الآخرين، ويَسيرونَ إلى الموقفِ بأَرواحِهم وأَجسادِهِم، ثم يُدخِلُهم اللهُ الجنةَ برحمتِه، ويكونونَ فيها بَشَراً أَسْوياء، مُعَزَّزين مُكرَّمين، على أَرقى وأَكملِ الصُّوَرِ البشرية!!.

٩٦

حول تأخر الوحي عن رسول الله ﷺ

ذَكَرَ الفادي المفتري خُرافةَ مَوْتِ جَرْوٍ تحتَ سريرِ رسولِ اللهِ ﷺ، مما جَعَلَ الوحْيَ يتأَخَّرُ عنه أَياماً، ولم يَنزلْ عليه إلا بعدَ إخراجِ جُثَّةِ الجرو، وجَعَلَ المفتري عنوانَ الموضوعِ تَهَكُّمِيًّا: «جَرْوٌ يُعَطِّلُ الوَحْيَ!». ونَسَبَ هذه الخرافةَ إلى تَفسيرِ البيضاوي.

وزَعَمَ أَنَّ خُرافةَ الجَرْوِ الميِّتِ سببٌ في نُزولِ قولِه تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ١ ـ ٣]

قالَ الفادي: «قالَ البيضاوي: رُوِيَ أَنَّ الوحْيَ تَأَخَّرَ عن رسولِ اللهِ أَياماً.. لأَنَّ جَرْواً مَيِّتاً كانَ تَحْتَ سَريرِه.. فقالَ المشركون: إنَّ محمداً وَدَّعَهُ رَبُّه وقَلاه، فنَزَلَت رَدّاً عليهم»(١).

وجعل الفادي المفتري نفسَه عالِماً بالحديث، خَبيراً بالتَّصحيحِ والتضعيف، فَزَعَمَ أَنَّ روايةَ الجَرْوِ المَيِّتِ مرويةٌ بسَنَدٍ صَحيح! قال: «... ورُوِيَ بإسنادٍ صَحيحٍ أَنَّ جَرْواً دَخَلَ بيتَ محمد، فاتَ تحتَ السرير، فماتَ، فانْقَطَع الوحْيُ عنه، فقال محمدٌ لخادمتِهِ خَوْلَة: يا خَوْلَة! ماذا حَدَثَ في بيتي؟ جبريلُ لا يَأْتيني.. فَقُلْتُ في نَفسي: لو هَيَّأْتُ البيتَ فَكَنَسْتُه، فأَهويتُ بالمكنسَةِ تَحْتَ السَّرير، فأَخْرَجْتُ الجَرْوَ... فجاءَ محمدٌ يَرْعَدُ بجُبَّتِه، وكانَ إذا نَزَلَ الوَحْيُ أَخَذَتْه الرعدةُ، فقال: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾».

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٩٦ ـ ٩٧.

وهذه الروايةُ مكذوبةٌ موضوعة، رَغْمَ وِرْودِها في بَعْضِ كُتُبِ المأثور، ومِن غَيْرِ المقبولِ والمعقولِ أَنْ يَموتَ جَرْوٌ تَحْتَ سَرِيرِ رسولِ الله ﷺ، وأَنْ تَبْقى جُثَّتُه تحتَ السَّرير أياماً عَديدةً، بدونِ أَنْ تَخْرُجَ رائحتُها المنتنة، أَو أَنْ يَنْتَبِهَ لها أَحَد.

وأَثارَ الفادي المفتري على الروايةِ المكذوبةِ أَسئلةً تهكميةً خبيثة، قال: «ونحنُ نسأَلُ: أَيُّ نوعٍ من الوحي هذا الذي يَنقطعُ عن البَشَر بسببِ جَرْوٍ؟ وأَيُّ مَلاكٍ هذا الذي يُقاطِعُ نبيًّا بسببِ جَرْوٍ؟ وما دَخْلُ الجَرْوِ في الوحي؟ أَلَمْ يَكُنْ أَغْلَبُ الأَنبياءِ كإِبراهيمَ وإِسحاقَ ويعقوب وموسى وداودَ رُعاةَ أَغْنامٍ وتَحْرُسُها الكلاب؟ فلماذا لَمْ نَسمعْ بمقاطعة السَّماءِ لهم من أَجْلِ كِلابِهم؟...»[1].

وكلُّها أَسئلةٌ متهافتةٌ لأَنها تتعلقُ بروايةٍ مَكْذوبةٍ موضوعة، وهي تَدُلُّ على جَهْلِ الفادي وتحامُلِه، وحِرْصِه على إِثارةِ الشبهاتِ ضدَّ القرآن، ولو لم يَكُنْ عليها دَليلٌ أَوْ بُرْهان!.

٩٧

هل تذهب الحسناتُ السيئاتِ؟

أَخْبَرَنا اللهُ أَنَّ الحسناتِ يُذْهِبْنَ السيِّئات، فقالَ تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

وقد اعترضَ الفادي المفتري على هذهِ الآية، وعلى استشهادِ الرسولِ ﷺ بها. قال: «روى الترمذيُّ عن أَبي البُسْرِ قال: أَتَتْني امرأَةٌ تَبْتاعُ تَمْراً، فقلتُ: إِنَّ في البيتِ تَمْراً هو أَطْيَبُ منه، فدخلَتْ معي البيتَ، فأَهْوَيْتُ عليها،

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٩٧.

فقبَّلتُها... ثم ذَهَبَ إلى محمد ﷺ وأَخْبَرَه بما كان، فأَطْرَقَ محمدٌ طويلاً، ثم قـــالَ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾. فقالَ: يا رسولَ الله! أَهي لي خاصَّة أَمْ للنّاسِ عامة؟ قال: بل للنّاسِ عامة»(1).

والـذي صَـحَّ فـي نُـزولِ الآيـةِ مـا رواهُ الـبـخـاريُّ عـن عـبـدِ اللهِ بـنِ مسعودٍ ﷺ: أَنَّ رَجُلاً أَصابَ من امرأةٍ قُبْلَة، فأَتى رسولَ الله ﷺ فذَكَرَ له ذلـك، فـأنـزلَ اللهُ الآيـةَ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾.

تَدُلُّ الحادثةُ على أَنَّ أَحَدَ المسلمين زَلَّتْ قَدَمُه، وارتكبَ ذَنْباً، حيثُ قَبَّلَ امرأةً قُبْلَةً مُحَرَّمَة، ثم استيقظَ ضَميرُه، وشَعَرَ بِذَنْبِهِ، واستغفَرَ اللهَ، وتابَ إليه، وأَتى النبيَّ ﷺ مُسْتَسْلِماً، واضِعاً نَفْسَه بينَ يَدَيْه، ليَحْكُمَ فيه بأَمْرِه. ولاحَظَ الرسولُ ﷺ صِدْقَ الرجلِ في تَوبتِه، وإقلاعَهُ عن ذَنْبه، وحِرْصَه على الإكثارِ من الحسنات، فأَخبره أَنَّ الحسناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئات!!.

وقد صَرَّحَ الرسولُ ﷺ في حديثٍ آخَرَ أَنَّ الصلواتِ الخمس تُكَفِّرُ الذُّنوبَ، وشَبَّهَها برَجُلٍ يَغْتَسلُ في نَهْرٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ في اليوم. روى البخاريُّ ومسلمٌ عن أَبي هريرة ﷺ، أنه سَمِعَ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «أَرأَيْتُم لو أَنَّ نَهْراً ببابِ أَحَدِكم يَغتسلُ فيه كُلَّ يومٍ خَمْسَ مَرّات، هل يَبقى من دَرَنِه شَيْءٌ؟» قالوا: لا يَبْقى من دَرَنِهِ شيء. قال: «فذلك مَثَلُ الصلواتِ الخمسِ يمحو اللهُ بهنَّ الخَطايا».

وروى مسلمٌ عن أَبي هريرةَ ﷺ، عن رسولِ اللهِ ﷺ قال: «الصلواتُ الخمسُ، والجمعةُ إلى الجمعةِ، كَفَّارَةٌ لما بينهنّ، ما لم تُغْشَ الكَبائِر».

وقد رَفَضَ الفادي ما قَرَّرَتْه الآية، وما أَكَّدَهُ رسولُ الله ﷺ، وطَرَحَ حولَها أَسئلتَه التشكيكية، فقالَ: «ونحنُ نَسأَلُ: كيفَ يَقترفُ الناسُ الشُّرور، ثُمَّ يُكَفِّرونَ عنها بالصلواتِ الخمس؟ أَلا يُنافي هذا قداسة اللهِ وعَدْلَه؟ فإنه لا يُمكنُ التكفيرُ عن الخطيئةِ إلّا بَسَفْكِ دَمٍ، كقولِ الإنجيلِ: «بدون سَفْكِ دَمٍ لا تَحْصُلُ

(1) هل القرآن معصوم؟، ص٩٧ - ٩٨.

مَغْفِرَة» وكيفَ يَسْتَخِفّونَ بخطيئةٍ هي أَشنَعُ وأَفظعُ شَيْءٍ أَمامَ الله»[(١)].

لقد قَدَّمَ الفادي طريقاً شاقّاً للتوبةِ والتكفير، لا تَتَّفِقُ مع عقيدَتِه النصرانية، إنَّه لا توبةَ ولا تَكْفيرَ إلّا بسَفْكِ دَم، وبدونِ سَفْكِ دَمٍ لا تَحصُل مغفِرة!! فما مَعْنى هذا؟ هل يَجِبُ على المذنبِ أَنْ يَقتلَ نَفْسَه ليغفرَ اللهُ له؟ أَلا يؤمنُ النَّصارى أَنَّ المسيحَ هو الفادي؟ وأَنَّ اللهَ شاءَ أَنْ يُصْلَبَ ابْنُه ليكونَ فِداءً للبَشَرِ جَميعاً حتى قِيامِ السّاعة؟ وأَنه لا داعِيَ لأَنْ يَستغفرَ المذْنبون، فقد فَداهُم الفادي بنفسِه.. فكيفَ يَقولُ المفْتَري الآنَ: إنه لا مَغفرةَ إلّا بسَفْكِ دَمٍ؟!.

أَمّا ادِّعاؤُه أَنَّ الآيةَ وحديثَ رسولِ اللهِ ﷺ تُجَرِّئُ المسلمينَ على ارتكابِ الذُّنوب، وتَدْعوهم إِلى الاسْتِخفافِ بالمعاصي، فهذا افتراءٌ باطل، لأَنَّ الآياتِ القرآنيةَ وأَحاديثَ رسول الله ﷺ تَدْعو إِلى تَقْوى الله ومراقبتِه وتعظيم مقامِه، وعَدَمِ معصيتِه، فإِذا أَخْطَأَ المسلمُ بدونِ قَصْدٍ، وَوَقَعَ في ذَنْبٍ بدون تَعَمُّد، ثم استغفرَ اللهَ وأَكثر مَن مَظاهر عبادتِه وطاعتِه فإِنّ اللهَ يغفرُ له.

لهذا المسلم التائبِ، المنيبِ لرَبِّه، المقْلعِ عن ذَنْبِه، الذي عَملَ الحسناتِ بعدَ السيئات، تُوَجِّهُ الآيةُ، تَرغيباً له في الاستمرارِ على طريقِه الإِيجابيِّ بعدَ التوبة: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، كما تُوَجِّهُ له أَحاديثُ رسولِ الله ﷺ المرغبةُ في فِعْلِ الحسناتِ بعدَ السيئات.

٩٨

من الذي صُلب: المسيح أم شبيهه؟

سَبَقَ أَنْ ناقَشْنا الفادي المفتري في مسأَلة صَلْبِ المسيح عليه السلام وموتِه ورَفْعِه إِلى السماء، عندما أَثارَ موتَ المسيحِ ثم حياتَه بعدَ موتِه، وذَكَرْنا ما قالَه القرآنُ حولَ ذلك.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٩٨.

وقد عادَ الفادي إلى هذا الموضوع، وخَصَّصَ له مَبْحثاً خاصّاً، وهو السؤالُ الثامنُ والتسعون، الذي جَعَلَ عنوانه: «خِدْعَة إِلْقاءِ شبهِ المسيحِ على غيرِهِ».

اتهمَ الفادي المفتري القرآنَ بالتناقُضِ في حديثِه عن عيسى ﷺ، فأَحياناً يَذْكُرُ أَنَّ اليهودَ لم يَقْتُلوهُ ولم يَصْلُبوهُ، وإنما قَتَلوا وَصَلَبوا شَبَهَه، وأَحياناً يذكُرُ أَنهم قَتَلوا المسيحَ ودَفَنوه، ثم أحياهُ اللهُ بعدَ موتِهِ، ورَفَعَهُ إلى السَّماء!!.

قالَ: «جاءَ في سورةِ النساء: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧ ـ ١٥٨]

بسببِ هذه الآيةِ القرآنيةِ الواحدةِ يُنْكِرُ بعضُ المسلمين صَلْبَ المسيح، مع أَنَّ في القرآنِ ثلاثَ آياتٍ تقطعُ أَنَّ المسيحَ تُوُفِّيَ ومات، وبُعِثَ حَيّاً، ورُفِعَ إلى السماء. وهي: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ٥٥]. و﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧]. ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم: ٣٣]».

ثم قال: «ونحنُ نَسأل: كَيْفَ يَقولُ القرآنُ مرةً: إنَّ المسيحَ لم يُصْلَبْ ولم يُقْتَل، بل رُفِعَ حَيّاً، ويقولُ مِراراً: إنه تُوُفِّيَ وماتَ ثم رُفِعَ حَيّاً؟!.

وإنْ جازَ أَنْ يُقالَ: إنَّ اللهَ يُلقي شَبَهَ إنسانٍ على آخر، أَلا يَفتحُ هذا بابَ الشَّكِّ في كلِّ شَيء؟ فإذا رأيتَ زيداً، يُحتملُ أنه ليسَ بزَيْد، بل أُلْقِيَ شَبَهُ زيدٍ عليه، وعند ذلك لا تَبْقى على الأَرضِ حقيقة! بل إنّنا نَشُكُّ في التَّواتر، لأَننا نتساءل إنْ كانَ ما رواهُ الأَوَّلونَ حقّاً أَو شَبيهاً بالحَق، بل إنَّنا نَشُكُّ في الشرائعِ التي جاءَ بها أَشباهُ الأَنبياءِ، بل الأَنبياءُ أَنفسُهم! وهل في إِلْقاءِ الشَّبهِ

على آخرَ ليَقْتُلَه اليهودُ بَدَلَ المسيح شيءٌ من العَدْلِ على الرجلِ المقْتول؟ أَلَا يَظُنُّ اليهودُ أَنَّ اللهَ يُعِزُّ المسيحَ ويُكْرِمُه؟ إِنَّ الذينَ يُنكرونَ الصَّلْبَ يَرسمونَ لنا اللهَ إِلٰهاً يَرضىٰ بالغِشِّ والكذِب»[1].

لقد أَثارَ الفادي المفتري في كلامِه مجموعةً من الإِشكالاتِ والمغالطات، ويُمكنُ الرَّدُّ عليها في النقاط التالية:

١ ـ زَعَمَ أَنَّ القرآنَ مُتَناقِضٌ في حديثِه عن نهايةِ المسيح ﷺ، فقالَ: إِنَّ اليهودَ لم يَقْتُلوه ولم يَصْلبوه، وإِنما شُبِّهَ لهم، وقالَ: إِنّ عيسى تُوُفِّيَ وماتَ ثم بُعِثَ حَيّاً، وصَعَدَ إِلى السّماء.

وهذا زَعْمٌ باطلٌ مردود، فلم يَتَناقض القرآنُ في حديثِه، ولا تَناقُضَ بين الآياتِ القرآنيةِ التي تتحدَّثُ عن الموضوعِ الواحد، وإِذا كان هناكَ تَناقُضٌ أَو تَعارضٌ فهو موهومٌ، ناتِجٌ عن سوءِ فَهْمِها، ويُمكنُ إِزالةُ ذلك التعارضِ بإِمْعانِ النظرِ فيها، وإِحسانِ فَهْمِها، ودِقَّةِ الجَمْعِ بينها.

٢ ـ المعْتَمَدُ في أَمْرِ المسيحِ ﷺ آياتُ سورةِ النساء، التي تُصَرِّحُ أَنَّ اللهَ حمى رسولَه عيسى ﷺ، وعَصَمَه من كيدِ اليهود، فلما أَتَوْا بالجنودِ الرومانِ لصَلْبِه وقَتْلِه، أَلْقى اللهُ شَبَهَهُ على أَحَدِ تلاميذِه المتبَرِّعين، فأَخَذوا المؤمنَ المتبَرِّعَ، وقَتَلوهُ وصَلبوهُ على أَنه عيسى، ثم أَنْزَلوهُ ودَفَنوه! أَمّا عيسى ﷺ فقد أَنْجاهُ اللهُ وعَصَمَه وحَماه، ورَفَعَه إِلى السماءِ مُباشَرَة، فلم يُصَبْ بأَذى.

٣ ـ لم يَتَحدث القرآنُ عن صَلْبِ عيسى ودَفْنِه وموتِه، ثم قيامَتِه حَيّاً من قَبْرِه، كما ادّعى الفادي ذلك ونَسَبَهُ للقرآن. وقد سَبَقَ أَنْ ناقَشْناهُ في مَعْنى قولِه تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾. وخُلاصةُ مَعْنى الآيةِ: أَنه بعدَ أَنْ أُلْقِيَ شَبَهُ عيسى ﷺ على ذلك الشابِّ المتطوّع، بحيث صارَ كَأَنَّه عيسى تَماماً، أَلقى اللهُ النومَ على

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٩٨ ـ ٩٩.

عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فنامَ وهو وسطَ تَلاميذِهِ الحَوارِيّين، في تلك الليلةِ المثيرة، وتوفّاهُ اللهُ بأَنْ أنامَه، ثم رَفَعَه إلى السماءِ وهو نائم، وكان ذلك بروحِه وجَسَدِه، وتَمَّ بآيةٍ خارقةٍ ومعجزةٍ باهرةٍ من الله!.

فليسَ معنى قولِه: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾: سأَسْمَحُ لليهودِ بصَلْبِك وقَتْلِك ودَفْنك، وأكونُ بهذا قد أَمَتُّكَ وَتَوَفَّيْتُكَ، ثم أُحْييكَ بعدَ دفنِك مباشرة، وأَرفعكَ إِلَيَّ حَيّاً. كما يؤمنُ بذلك الفادي وأَهْلُ مِلَّتِهِ من النصارى. وإنما مَعْناها: إِنّي مُنيمُك، ورافِعُكَ إِلَيَّ وأَنتَ نائِم، وبذلك أُطهِّرُكَ من الذين كَفَروا، فلم تَمتدَّ أَيديهم إِليكَ بسوء.

٤ ـ لا يَدُلُّ قولُه تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾: لما أَمَتَّني عَلى الصليب، كما فهِمَ ذلك الفادي المفتري، إِنّما المرادُ بها هنا الوفاةُ الحقيقيةُ، التي سَيَتَوَفّى اللهُ بها عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، عندَ انتهاءِ أَجَلِه، وذلك بعدَ نزولِه في آخرِ الزمان، حيث سيتوَفّاهُ اللهُ ويُميتُه كما يَتوَفّى ويُميتُ أَيَّ إِنْسان!.

٥ ـ أَمّا قولُه تعالى: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ فليس كما فهِمَه الفادي المفتري، بما يَتفقُ مع هَواه، من أَنه ماتَ ودُفِنَ، ثم بَعَثَه اللهُ حَيّاً بعد ذلك ورَفَعَه إلى السماء، وإنما يُخبرُ عن المراحلِ الثلاثةِ التي يَمُرُّ بها عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما يَمُرُّ بها كلُّ إِنسان، وهي ميلادُه، ثم موتُه، ثم بعثُه حيّاً يومَ القيامة. فعيسى الحيُّ الآنَ في السماءِ، سيُنْزِلُهُ اللهُ في آخرِ الزمان، ثم يُميتُه، ثم يَبْعَثُه حَيّاً يومَ القيامة كما يَبْعَثُ باقي الناس.

وبهذا نُزيلُ التناقضَ الموهومَ بين الآيات، ونَعْرِفُ من القرآنِ أَنَّ اليهودَ لم يَقْتُلوا عيسى ولم يَصْلبوه، وأَنامَه اللهُ، وتوفّاه تَوَفِّيَ نَوْمٍ، ورَفَعَه إِليه وهو نائم، وسيُنزِلُهُ في آخرِ الزمان، ويُميتُه كما يُميتُ باقي البشر، ويبعثُه حَيّاً يوم القيامة كما يَبْعَثُ باقي البَشر!!.

٦ ـ لا يَتَرَتَّبُ على إلقاءِ شَبَهِ عيسى عليه السلام على تلميذه المتطوِّع الإشكالاتُ التي ذَكَرَها الفادي، لأَنَّ هذا أَمْرٌ خاصٌّ أَرادَهُ الله، ومعجزةٌ خاصَّةٌ قَدَّرَها الله، ليحميَ بها عَبْدَه ورسوله عيسى عليه السلام، ولا يَصيرُ ذلك الشابُّ المؤمنُ على شَكْل عيسى عليه السلام إلّا بأَمْرِ الله، ولا يُؤَدي هذا إلى الشَّكِّ في الحقائقِ والأَشياءِ والأَشخاص، لأَنَّ هذه المعجزةَ لا تُعَمَّمُ على الجميع! كما أنه ليسَ في الأَمر ظلمٌ للشابِّ المتطوِّع، الذي أُخِذَ وقُتِلَ وصُلِبَ على أَنه عيسى عليه السلام، لأَنه تبرعَ بذلك ورضيَ به، طالِباً الأَجْرَ من الله، حيثُ استَجابَ لدعوةِ عيسى عليه السلام: «مَنْ منكُم يَرْضَى أَنْ يُلقى عليه شَبَهي، فيؤْخَذَ ويُقْتَلَ، ويكونَ معي في الجنة؟». فقالَ ذلك الشاب: أنا.

٧ ـ الجملةُ الأَخيرةُ من كلام الفادي فاجرةٌ قَبيحةٌ مرذولة: «إنّ الذينَ يُنْكرونَ الصَّلْبَ يَرسمونَ لنا اللهَ إِلٰهاً يَرضى بالغِشِّ والكَذِب!». أيْ أَنَّ ذلك الشابَّ الفدائيَّ المتطوِّعَ كان كاذِباً غَشّاشاً عندما صارَ شَبيهاً بعيسى عليه السلام، علماً أَنَّ الأَمْرَ لم يَتِمَّ بفعْلِه، إنما تَمَّ بفعلِ الله، وبما أَنَّ اللهَ الذي أَرادَ ذلك وفَعَلَه فهو الصوابُ الذي لا خَطَأَ فيه!.

٩٩

حول تكفير الصوم للخطايا

وَقَفَ الفادي المفتري أَمامَ تكفير صومِ رمضانَ للخطايا، وفَضْلِ ليلةِ القَدْرِ فيه، التي هي خيرٌ من أَلْفِ شَهْر، وأوردَ أَحاديثَ لم تَصح عن رسولِ اللهِ ﷺ، ثم اعترضَ عليها.

بعدَما سَجَّلَ آياتِ سورةِ القَدْرِ قال: جاءَ في حديثٍ عن ابنِ عباس: «إذا كانَتْ ليلةُ القَدْرِ أَمَرَ اللهُ جبريلَ أَنْ يَنزلَ إلى الأَرض، ويَنزلَ معه سَبعُونَ أَلْفَ مَلَك، سُكان سدرةِ المنْتهى، ومعهم أَلويةٌ من النّور، فيُرَكِّزونَ أَلويتَهم في

المسجدِ الحرام ومسجدِ محمد وبيتِ المقدس، ويُرَكِّزُ جبريلُ لواءً أخضرَ على ظهرِ الكعبة.. ثم تَتفرقُ الملائكةُ في أقطارِ الأرضين، فيَدْخلونَ على كُلِّ مؤمن، يَجِدونَه في صلاةٍ أو ذِكْرٍ، يُسَلِّمون عليه ويُصافحونَه، ويُؤَمِّنونَ على دُعائِه، ويَستغفرونَ لجميعِ أُمَّةِ محمدٍ حتى مَطْلَعِ الفجر...»!!وفي حديث آخَر: «إنَّ اللهَ يُعتقُ في كُلِّ يَوْمٍ من رمضان ستَّمئةِ أَلْفِ عَتيقٍ من النار، فإذا كانَ آخْرُ يومٍ منه أعتقَ بقَدْرِ ما مَضىٰ!»!

والحَديثان اللّذان ذَكَرَهما لَيْسا صحيحين، ولم يَقُلْهما رسولُ الله ﷺ، وفيهما مبالغةٌ واضحةٌ غيرُ مقبولة.

وانظرْ إلى شيطنةِ وخُبْثِ الفادي المجرم، في قولِه عن المساجدِ الثلاثة: «فيُرَكِّزونَ ألويتَهم في المسجدِ الحرام ومسجدِ محمدٍ وبيتِ المقدس». الروايةُ التي نقلَها تقول: «المسجدُ الحرامُ والمسجدُ النبويُّ وبيتُ المقدس». فَحَذَفَ المفتري المحَرِّفُ كلمةَ «المسجدِ النبوي»، وَوَضَعَ مكانها «مسجدَ محمد»!. وذلك ليَنْفي نُبُوَّةَ محمدٍ ﷺ، لأنه لا يؤمنُ بأنه رسولُ الله، وإنما هو كاذبٌ مُفْتَرٍ مُدَّعٍ، ادّعى أنه نبيّ، وألَّفَ القرآن، ولذلك يَحرصُ في كتابه على حَذْفِ أيِّ كلمةٍ تُشيرُ إلى نبوَّتِه، فيحذفُها ويَضَعُ مكانَها اسْمَه المجرَّدَ! حتى لو أَدّى ذلكَ إلى التلاعبِ بالنَّصِّ الذي أمامَه وتحريفِه، وهذا مما لا يتفقُ مع الأمانةِ العلميةِ في التعامُلِ مع النصوصِ المخالفة!.

وقد اعترضَ الفادي على الحديثَيْن اللذين أوردَهما، وخَطَّأَ القولَ بأَنَّ الصومَ يُؤَدّي إلى مغفرةِ الخطايا. قال: «ونحنُ نَسْأَل: هل مجردُ صومِ رمضانَ يُؤَدّي إلى الخَلاصِ، ويَغفرُ الخَطايا؟ ألا يُنافي هذا عَدْلَ اللهِ وقَداسَتَه؟ لقد وَفَّقَ اللهُ بحكمَته بينَ عَدْلِه ورحمتِه، وجَعَلَ المسيحَ بتجسُّدِه يَموتُ عن الخُطاة، ليخَلِّصَهم من الخطيَّة، ويَمنحَهم القوةَ للعيشةِ بالبِرِّ والقَداسَة. إنَّ الاتكالَ على رحمةِ اللهِ فقط دونَ النظرِ للفداءِ يَطْعَنُ في عَدْلِ الله، فيكونُ اللهُ كمَلِكٍ يُصدرُ قانوناً، ويَتهاونُ في تنفيذِه، فلا يُعاقِبُ كاسِريه!»[1].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٩٩.

واعتراضُ الفادي على تَكفيرِ الصَّوْمِ للخَطايا دَليلٌ على جهْلِه، فالمؤمنُ عندما يَصومُ يَقومُ بجهدٍ وعَمَلٍ وكَسْب، ويَفعلُ الخير، مُتَقَرِّباً به إلى الله، ويُكافؤُه اللهُ على جهدِه وعملِه بتكفيرِ خطاياه، ومضاعفةِ حَسَناتِه، وماذا في ذلك؟ ولماذا لا يَتفقُ هذا التكفيرُ مع عَدْلِ الله؟ ولماذا يُؤَدّي القولُ بهذا إلى اتِّهامِ اللهِ بالتهاونِ في تَنفيذِ عِقابِه والتراجعِ عنه؟!.

إنَّ اللهَ واسعُ المغفرة، يتقبَّلُ الصالحاتِ من عبادِه الصالحين، ويَتعامَلُ معهم برحمتِه وكَرَمِه، فيضاعِفُ لهم الحسنات، وهو يُريدُ منهم أَنْ يَتَّقوهُ ويُطيعوه، فإذا أَذْنَبوا ثم تَابوا واسْتَقاموا، وعَمِلوا الطاعات، فيقبَلُهم ويَعفو عنهم، واللهُ غفورٌ رحيم، يَغمرُ التائبين العابدين برحمتِه وفَضْلِه!!.

وأَيُّهما الأَدْعى للإنكارِ والاعتراضِ والتخطئة؟ فكرةُ الإسلام عن تكفيرِ العباداتِ من صلاةٍ وصوم للذنوبِ والخطايا، أَو فِكرةُ النصرانيةِ عن الخَلاص والفداء؟ التي تَقومُ على أَنَّ اللهَ ضَحّى بابنِه المسيح، وأَذِنَ أَنْ يُقْتَلَ ويُصْلَبَ ليكونَ فادياً للناسِ جميعاً، وكان دَمُ ابنِه المسيح المسفوكُ تَكفيراً لجميع ذُنوبِ المذنبين حتى قيامِ الساعة! ولا داعي لأَنْ يَتوبَ هؤلاء المذنبون، ولا أَنْ يَسْتَغْفِروا الله، ولا أَنْ يَعْمَلوا الصالحات، ولا أَنْ يَتَوَقَّفوا عن المعاصي! فاللهُ ضَحّى بابنِه المخَلِّصِ الفادي من أَجْلِهم!! باللهِ هذا كلامٌ؟! وهذا دين؟! وقائلُ هذا الكلامِ هل هو مُوَحِّدٌ لله؟ وهل هو مُؤَهَّلٌ للاعتراضِ على الإسلام وتخطئتِه في كلامِه عن تكفيرِ الخطايا بالعملِ الصالح؟ صَدَقَ في كلامِ الفادي الجاهلِ قَولُ الشاعر:

هـذا كَـلامٌ لَـهُ خَـبِـيءٌ مَـعْـنـاهُ لَـيْـسَـتْ لـنـا عُـقـولُ

١٠٠

نفي النبوة عن نسل إسماعيل عليه السلام

يَحصرُ الفادي المفتري وأَهْلُ مِلَّتِه النبوةَ في بني إسرائيلَ من نَسْلِ إبراهيمَ عليه السلام، ويَنْفونَ النبوةَ عن نَسْلِ إسماعيل عليه السلام، وهذا مَعْناهُ أَنهم يَنْفونَ نُبُوَّةَ محمدٍ ﷺ.

وبَحَثَ الفادي المفتري في القرآنِ نفسِه عن دليلٍ يَحصرُ فيه النبوةَ ببني إسرائيلَ، وينفي نبوةَ محمدٍ ﷺ! وادَّعى أنَّه وَجَدَ آيتَيْن تُصرِّحانِ بذلك!.

قالَ: جاء في سورة الجاثية (١٦): ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الجاثية: ١٦]، وجاء في سورة العنكبوت (٢٧): ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [العنكبوت: ٢٧].

وخَرَجَ من الآيتَيْن بنتيجةٍ فاجرة! قال: «وهذا تَصريحٌ بأَنَّ النبوةَ محصورةٌ في بَني إسرائيلَ دون سواهم، وهي تُوافقُ رَأيَ التوراة، التي تُحذِّرُ بَني إسرائيلَ مِنْ قَبولِ مَنْ يَدَّعي أنه نبيٌّ من ذريةِ إسْماعيل»[1].

ثم ذَكَرَ الفادي المفتري نُصوصاً من سِفْرِ التكوينِ تُصَرِّحُ بذلك، منها: «قالَ إبراهيمُ لله: ليتَ إسْماعيلَ يَعيشُ أمامَك! فقال الله: بل سارةُ امرأَتُك تَلِدُ لك ابْناً وتَدْعو اسْمَه إسحاق، وأُقيم عَهدي معه عَهْداً أَبدِياً لنَسْلِه منْ بَعْده!».

هذا النَّصُّ يَنفي نُبُوَّةَ إسْماعيل عليه السلام، ويَرفعُ البركةَ عنه، وكأَنَّه ليس ابنَ إبْراهيمَ عليه السلام، ويَخُصُّ البركةَ والنبوَّةَ بإسحاقَ عليه السلام ونَسْلِه وذرِّيَّتِه!! وهذا كَلامٌ باطل، وهو من تأليفِ الأحبار، وهو مَردودٌ لأَنَّهُ يَتعارَضُ مع القرآنِ الذي صَرَّحَ بنبوةِ إسْماعيلَ عليه السلام.

ويَنقلُ الفادي المفْتري من سِفْرِ التكوينِ المفترى قولَ اللهِ لإسْحاق: «وأُكَثِّرُ نَسْلَكَ كَنُجوم السماء، وأُعْطي نَسْلَكَ جميعَ هذه البلادِ، وتَتَبارَكُ في نَسْلِكَ جَميعُ أُمَمِ الأَرض».! كما يَنقلُ قولَ اللهِ ليعقوبَ الهاربِ من أخيه عيسو: «ويكونُ نَسْلُكَ كَتُرابِ الأَرض، وتمتَدُّ شَرْقاً وغَرْباً وشمالاً وجَنوباً، ويَتَبارَكُ فيك وفي نَسْلِكَ جميعُ قبائلِ الأَرض».

وقد كَذَّبَ القرآنُ كَلامَ الأَحبار، فاللهُ لم يُعْطِ إبراهيمَ عليه السلام وَعْداً مُطْلَقاً مَفْتوحاً، له ولذريَّتِه من نَسْلِ إسحاقَ فقط، إنما جعلَ الإمامةَ في الصَّالحينَ من

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٠٠.

ذريتِه، سواءٌ كانوا من نَسْلِ إسماعيلَ أو من نَسْلِ إسْحاق، وحَرَمَ الظالمين الكافرين من عَهْدِه وفَضْلِه. قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

ثم مَنْ قال: إنَّ نَسْلَ إسحاقَ ويَعقوبَ أكثرُ الأقوامِ نَسْلاً، وأَنَّهم لا يُحْصَوْنَ لكثرتِهم، وأنَّهم كتُرابِ الأرضِ ونُجومِ السماء؟ إنَّ الواقعَ يُكَذِّبُ ذلك، فاليهودُ في هذه الأيامِ لا يَزيدونَ عن خمسةَ عَشَرَ مَلْيوناً في العالمِ أَجْمع، وكثيرٌ منهم لَيْسوا من أُصولٍ يَهوديةٍ إسرائيلية، أيْ ليسوا من نَسْلِ إسحاقَ ويَعقوبَ عليهما السلام، وإنما هم من أُصولٍ غير إسرائيليةٍ دَخَلَتْ في الديانةِ اليهودية!.

وقد ادَّعى الفادي المفتري أَنَّ النبوةَ محصورةٌ في نَسْلِ إبراهيمَ وإسحاقَ ويَعقوبَ عليهم السلام قال: «فالبركَةُ للعالَمِ والعهدُ الإلهيُّ عن النسلِ الموعودِ به يَنحصرُ في نَسْلِ إبراهيمَ وإسحاقَ ويَعقوبَ إلى المسيح»(١).

ومعنى قولِه هذا نفيُ نُبوَةِ الأنبياءِ السابقين من غيرِ بَني إسرائيل، والكفرُ بهم، مثلُ هودٍ وصالحٍ وشعيبٍ عليهم الصلاة والسلام، والكفرُ بهم كفرٌ بالله، فهذا مظهرٌ من مظاهر كُفْر الفادي بالله.

وصَرَّحَ الفادي المفتري بعدَ ذلك بنفي نُبُوَّةِ محمدٍ ﷺ. قالَ: «فإذا كانت النبوةُ محصورةً في بَني إسرائيل، حسبَ شَهادةِ التوراةِ والإنجيلِ والقرآن، فكيف يكونُ محمدٌ نبياً؟»(٢).

إنَّ المفْتَري يَفْتَرِي ويَكْذِبُ على القرآن، ويَدَّعي أَنَّ القرآنَ حَصَرَ النبوةَ في بَني إسرائيل، وهذا كَذِبٌ على القرآن، فقد ذَكَرَ القرآنُ قَصَصَ أَنبياءٍ من غيرِ بَني إسرائيل، مثلُ: نوحٍ وهودٍ وصالحٍ ولوطٍ ومحمد، عليهم الصلاة والسلام.

وقد صَرَّحَ المفتري بكفْرِهِ الصريح في نَفْيِ نبوةِ محمدٍ ﷺ: «فكيفَ يَكونُ محمدٌ نبياً؟» وهو بهذا يُكَذِّبُ الآياتِ القرآنية الكثيرة التي تُصَرِّحُ بنبوةِ

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٠٠. (٢) المرجع السابق، ص١٠١.

محمدٍ ﷺ؛ كقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾ [الفتح: ٢٩]. وهذا مظهرٌ آخَرُ من مظاهر كُفْرِه بالله!.

ويُكَذِّبُ الفادي المجرمُ القرآنَ في تصريحِه بنبوةِ إسماعيلَ عليه السلام.

قال: وكيفَ يقولُ القرآن: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤]، ثم يَقولُ: إنَّ محمداً وَحْدَه نبيُّ العرب، وقَبْلَه لم يُرْسَلْ لهم نبيٌّ: ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾﴾ [سبأ: ٤٤]، وقال: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة: ٣].

يُريدُ المفْتَري أَنْ يَتَّهِمَ القرآنَ بالتناقُضِ، فهو يَذْكُرُ أَنَّ إسماعيلَ عليه السلام كانَ رسولاً نبياً، ثم يَذْكُرُ أَنَّ الله لم يَبْعَثْ رسولاً نبيّاً للعَرَبِ قبل محمدٍ ﷺ!.

مع أنه لا تَناقُضَ بين آياتِ القرآن، فإسماعيلُ بنُ إبراهيمَ عليهما السلام بَعَثَهُ الله رسولاً إلى العربِ الذين كانوا في مكةَ، عندما تَمَّ بِناءُ الكعبة، وبذلك ثَبَتَتْ نُبُوَّتُهُ ورسالتُه!.. ولما نفى اللهُ وُجودَ رسولٍ نذيرٍ للعرب في الحجازِ قبلَ نبوةِ محمدٍ ﷺ إنما أَرادَ نَفْيَ وُجودِ نبيٍّ من زَمنٍ قريب، لأَنَّ آخِرَ الأنبياءِ هو عيسى عليه السلام، وهو خاتَمُ أَنبياءِ بني إسرائيل. وأَخْبَرَنا رسولُ اللهِ ﷺ عن عدمِ وُجودِ أَنبياءَ بينَه وبينَ عيسى عليه السلام، وهي مدةُ ستةِ قُرونٍ تقريباً، فالآياتُ التي نَفَتْ إرسالَ نَذيرٍ للعَرَبِ في الحجازِ تحدَّثَتْ عن الفترةِ بينَ عيسى ومحمد عليهما السلام، ولا تَمتَدُّ هذِه الفترةُ لتَنْفي نبوةَ إسماعيل، الذي كانَ قبلَ محمدٍ عليهما الصلاة والسلام بأكثرَ من أَلْفَيْ سنة!.

إنَّ إسماعيلَ نبيٌّ رسولٌ عليه الصلاة والسلام، وإنَّ محمداً رسولُ الله وخاتَمُ النبيين ﷺ، هذا ما ذَكَرَهُ القرآن، وهذا ما نُؤمنُ به، ومَنْ أَنكرَ نُبُوَّتَهما - كالفادي المجرمِ - فهو كافرٌ بالله، لأَنه كَذَّبَ ما قالَه اللهُ في القرآن.. وليست النبوةُ محصورةً في بني إسرائيلَ كما ادَّعى الفادي المفتري، فهناكَ أَنبياء من غيرِ بني إسرائيل، مثلُ هودٍ وصالحٍ عليهما السلام، لأَنَّ الله بَعَثَ لكلِّ أُمَّةٍ نذيراً، كما قالَ

تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]. مع أنَّ معظمَ الأنبياءِ المذكورين في القرآنِ إنما بُعِثوا لبني إسرائيل، وكانوا من بَني إِسْرائيل!!.

ووقفَ الفادي المفتري أمامَ بعضِ الآياتِ التي تُثْني على إسحاقَ ويعقوب، واستدلَّ بها على عدمِ نبوةِ إسماعيل. قال: «وذَكَرَ القرآنُ مِراراً أَنَّ إسحاقَ (الابنَ الثاني لإبراهيم) ويَعقوبَ (حفيدَه) هما هبةُ اللهِ لإبراهيم، دونَ ذِكْرِ إسماعيلَ (مع أنه بِكْرُ إبْراهيم) فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا﴾ [الأنعام: ٨٤] وقال: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤٩]».

وما خَرَجَ به الفادي المفتري من الآياتِ غَيْرُ صَحيح، فبينما اكْتَفَتْ بعضُ الآياتِ بذكْرِ إسحاقَ ويعقوب، فقد ذَكَرَتْ آياتٌ أُخرى إسماعيل، وأَثْنَتْ عليه كما أَثْنَتْ عليهما، عليهم جميعاً الصلاة والسلام.

فالآياتُ التي ذَكَرَتْ إسحاقَ ويَعقوبَ عليهما السلام في سورةِ مريم، تَلَتْها آياتٌ أَثْنَتْ على إسماعيلَ عليه السلام، حيثُ قالَ اللهُ عنه: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٤ ـ ٥٥].

وسورةُ الأَنبياءِ التي أَثْنَتْ على إسحاقَ ويعقوب عليهما السلام: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٢] أَثْنَتْ بعدَ ذلك على إسماعيلَ عليه السلام: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥].

وسورةُ الأنعامِ التي ذَكَرَتْ إسحاقَ ويَعقوبَ عليهما السلام: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا﴾ [الأنعام: ٨٤] ذَكَرَتْ إسماعيلَ عليه السلام بعد ذلك: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٦].

وسورةُ الصافات التي تحدثَتْ عن إسحاقَ: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾

[الصافات: ١١٢ ـ ١١٣] تحدّثت عن إسماعيل عليه السلام قبل ذلك، وذكرت قصة الذبح والفداء: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١ ـ ١٠٧].

ولما حَضَرَ يعقوبَ عليه السلام الموتُ وأرادَ أنْ يطمئِنَّ على تديُّنِ أولادِه، سألَهم عن مَنْ سيَعْبُدونَ من بعده؟ فذكروا أنهم سيعبدونَ إله آبائِه، ومنهم عَمُّه إسماعيلُ، قال تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وقُدِّمَ إسماعيلُ على إسحاقَ ضمنَ ذِكْرِ مجموعةٍ من الأنبياء، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

١٠١

هل بلاد العرب للمسيح عليه السلام؟

ذَكَرَ الفادي الآيةَ التي تُخْبِرُ أَنَّ نصارى مَخْصوصينَ هم أَقربُ الناسِ مَودَّةً للمؤمنين. قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢].

ولا ننسى أَنَّ هذه الآيةَ لا تتحدثُ عن كُلِّ النَّصارى، وإنما عن نصارى مخصوصين، هم القِسّيسون والرُّهبانُ الذينَ كانوا مع النَّجاشيِّ مَلِك الحبشة،

والذين تأثَّروا بالقرآنِ عندما سَمِعوه، وفاضَتْ أَعْيُنُهم من الدَّمْع، وأَعْلَنوا إيمانَهم بالقرآنِ وبالنبيِّ ﷺ. وهذا ما صَرَّحَتْ به الآياتُ التي بَعْدَ تلك الآية:
﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٨٣ ـ ٨٥].

ولا تَتَحدَّثُ الآياتُ عن النَّصارى الأعداءِ المقاتلين الصليبيّين، الذين جَهّزوا الجيوشَ وغَزَوا بلادَ المسلمين، وسَفَكوا دِماءَهم! كما أنها لا تتحدَّثُ عن النَّصارى الذين حارَبوا القرآن، وشَكَّكوا فيه، وخَطَّؤوه، وذمّوه وانتهكوه، من أَمْثالِ هذا الفادي المُعادي!.

وقد جَعَلَ الفادي عنوانَ سُؤالِه الواحِدِ بَعْدَ المئة: «بلادُ العَرَبِ للمسيح»! وهو عنوانٌ خطيرٌ مُثير، سَجَّلَ فيه الفادي آمالَه في أَنْ تكونَ بِلادُ العَرَبِ للنَّصارى، بأَنْ يَتنَصَّرَ أَهْلُها!.

وقالَ المفتري في كلامِه: «انتشرت المسيحيةُ في بلادِ العَرَب، ودَخَلَتْ قبائِلُها فيها، حِمْيَرُ وغَسَّانُ ورَبيعُ ونَجرانُ والحيرة، وكان بعضُ العربِ حاضِرين عيدَ الخمسين في أُورشليم، فحملوا أَخبارَ المسيحيةِ لبلادِهم... فلماذا اضطهدَ المسلمون المسيحيّين، فَقَتَلوا بعضَهم، وأَجبروا بعضَهم على الإِسلام، ونَفَوا الباقين؟»[1].

وكلامُ الفادي غيرُ صَحيح، فلم تَنْتَشر النصرانيةُ في بلادِ العَرَب، ومعظمُ القبائلِ العربيةِ لم تَتَنَصَّرْ، وبَقِيَتْ على وثنيتِها، والذين تَنَصَّروا بعضُ القبائلِ العربية على أَطْرافِ بلادِ العَرَب، مثلُ نجران في منطقةِ تهامة والغساسنةِ في شمالِ الجزيرة على حدودِ الشام والرومان، والمناذرةِ على حُدودِ فارس.

ولما جاءَ الإِسلامُ، وجاهَدَ المسلمونَ الكافِرين، وفَتَحوا بلادَ الشامِ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٠١ ـ ١٠٢.

والعراق، طَرَدوا الرومانَ من مِصْرَ والشام، وجَعَلوها بلاداً إسْلامية، وأَخْضَعوا سُكّانَها لسلطان المسلمين، ولم يَضطهدوا النَّصارى فيها، ولم يُجْبِروهم على الدخولِ في الإسلام، لأَنه لا إكْراهَ في الدين. ومَكَّنوا النَّصارى من حريةِ الاختيارِ بدونِ إكْراه، فدخَلَ معظمُهم في الإسلام، والذين بَقوا على النصرانيةِ لم يَتَدَخَّلْ بهم المسلمون!.

ثم ما دَخْلُ هذا الكلامِ عن النَّصارى في بلادِ العرب بأخطاءِ القرآن؟ والفادي خَصَّصَ كِتابَه لاكتشافِ وتَسجيلِ أَخطاءِ القرآن!!.

١٠٢

هل أكلت الشاة القرآن؟

ذَكَرَ الفادي المفتري آيَةَ سورةِ الحِجْرِ التي تَكَفَّلَ اللهُ فيها بحفْظِ القرآن، وهي قولُه تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وذَكَرَ خرافةً تَتَناقَضُ مع الآية، تَقومُ على أَكْلِ شاةٍ للوَرَقِ المكتوبِ عليه القرآن! قال: «روى ابنُ ماجه: قالَتْ عائشة: إنَّ آيةَ الرَّجْمِ والرَّضاعةِ نَزَلَتا... وكانَ القرطاسُ المكتوبتانِ فيه تَحْتَ فِراشي. وماتَ رسولُ اللهِ ﷺ حينئذٍ، وفيما أَنَا مشغولةٌ بموتِه دَخَلَتْ بَهيمةٌ وأَكَلَت القرطاس»!.

وهذه خُرافةٌ مكذوبةٌ موضوعةٌ باطلة، لم تَرِدْ في حديثٍ صَحيح، ورَدَّها علماءُ الحديث. ولا يَعْتَمِدُها إلّا صاحبُ هوى مثلُ الفادي المفتري!! وهَب الحادثةَ حَصَلَتْ، وأَنَّ الشاةَ أَكَلَت الورقَ المكتوبَ عليه بعضُ آياتِ القرآن، الموجودِ في بيتِ عائشة، فهل معنى هذا أَنه ضاعَ بعضُ آياتِ وسورِ القرآن؟ التي أَكَلَتْها الشاة لم تَكُنْ هي النسخةَ الوحيدةَ المدوَّنَةَ من القرآن، بل كانَتْ هناك عشراتُ النُّسَخِ في بيوتِ الصحابة، يمكنُ أَخْذُ الآياتِ المأكولةِ من أَيِّ نسخةٍ منها! إلّا إذا هاجَمَت الغنمُ البيوتَ كُلَّها في وقتٍ واحد، وبَلَعَت النُّسَخَ كُلَّها في لحظةٍ واحدة!!.

وكم كانَ الفادي بَذيئاً فاقِدَ الذوقِ والأدَبِ والحياءِ في تَعليقِه السَّمِجِ على تلكَ الأُكذوبة، حيثُ قال: «فإذا كان القرآنُ أقوالَ الله، فلماذا لم يَحْفَظْهُ اللهُ من الضَّياعِ في جوفِ بَهيمة؟».

١٠٣

حول إحراق عثمان المصاحف

أَثارَ الفادي الشبهاتِ حولَ إِحراقِ عثمانَ ﷺ المصاحفَ المخالفةَ لمصحَفِه، واعتبرَ هذا طَعْناً في صحةِ القرآنِ وحِفْظِه، ودَليلاً على أَنَّ القرآنَ ليسَ من عندِ الله. ويَتناقَضُ مع قوله تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٣]. فالآيةُ تُقررُ أن سنةَ اللهِ لا تَتَبَدَّل، وعثمانُ بَدَّلَ القرآن، وهذا معناهُ أَنَّ القرآنَ ليس كلامَ الله، فلو كان كلامَ اللهِ لمنَعَ اللهُ عُثمانَ من تَبديلِهِ!!.

قال الفادي المفتري في تَعْليقِه على الآيةِ السابقة: «أحرقَ عثمانُ بنُ عَفّان ـ ثالثُ الخلفاءِ الراشدين ـ جميعَ نُسَخِ القرآنِ التي تَختلفُ عن نسخَتِه، وأَبقى على نسختِهِ التي كَتَبَها هو.

ونحنُ نسأل: أَليستْ جَميعُ الأَقوالِ التي تَختلفُ عن نسخةِ عُثْمان قُرآناً؟ فلماذا أَحْرَقَها؟ ولماذا لم تُحْفَظْ من الضَّياعِ بالنار إِنْ كانَتْ أَقوالَ الله؟ ولماذا بَدَّلَ قرآناً بقُرآن، وأَحرقَ الواحدَ وأَبقى على الآخر؟»[١].

يَكذبُ الفادي عندما يَدَّعي أَنَّ عُثمانَ كَتَبَ نسخَتَه من القرآن، وأَنه حَرَقَ كُلَّ النسخِ المخالفةِ لها، ومَنْ يقرأُ هذا الكلامَ يَظُنُّ أَنَّ عُثمان أَلَّفَ القرآنَ من عنده، وأَنه حَرَّفَه وغَيَّرَه وبَدَّلَه، واستَغَلَّ منصبَه باعتباره خليفَةً، لإقرارِ واعتمادِ نسختِهِ المبَدَّلَة المحَرَّفَة، وإتلافِ جميعِ النسخِ الأُخْرى المخالفةِ لها.

ولا يَتَّسِعُ المجالُ للحديثِ المفَصَّلِ عن جَمْعِ القرآنِ وحِفْظِه والمراحلِ التي مَرَّ بها، إنما نُشيرُ إِشارةً سريعةً إِلى ذلك.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٠٢.

لقد جُمِعَ القرآنُ أيامَ رسولِ الله ﷺ بطريقَتَيْن: جَمْعُهُ في الصُّدور، بإِتْقانِ حِفْظِه من قِبَلِ الآلافِ الحُفّاظِ من الصحابة. وجَمْعُهُ في السُّطور، بكتابتِه على أدواتِ الكتابةِ الميَسَّرةِ في عصرِهم، وهذا تَمَّ على أَيْدي العشراتِ من الصحابة. . حيث كان الصَّحابيُّ يَكتبُ على أوراقِهِ بعضَ سورِ القرآن التي يَخْشى نِسيانَها، فمنهم مَنْ كَتَبَ كُلَّ القرآن، ومنهم مَنْ كَتَبَ نِصْفَه أو ثلثَه أو ربعَه أو بعضَ سورِه.

وفي خلافةِ أَبي بكرٍ الصديقِ ﷺ بدأَتْ حركَةُ الجهاد، واستُشْهِدَ كثيرٌ من حُفّاظِ القرآن في المعارك، فدعَت الحاجةُ إلى جَمْع القرآن، وأَلْهَمَ اللهُ عمرَ ﷺ أَنْ يُشيرَ على أبي بكرٍ ﷺ بذلك، وكَلَّفَ أبو بكرٍ زيدَ بنَ ثابتٍ ﷺ بذلك. فكتبَ زيدٌ النسخةَ الأُولى من المصحف، وسَجَّلَ فيها القرآنَ مُرَتَّبَ السورِ والآياتِ كما أَمَرَ اللهُ رسولَه ﷺ، في العَرْضَةِ الأَخيرةِ التي حَضَرَها زيدُ بنُ ثابت ﷺ. وكان زيدٌ لا يكتبُ أيةَ آيةٍ في المصحف إلا بعدَ أَنْ يأْتِيَه صحابيٌّ يَحفظُها حِفْظاً مُتْقَناً، ويأتيهِ بها مكتوبةً عنده، ومعه شاهِدٌ آخرُ من الصحابة، وكان زيدٌ نفسُه حافظاً مُتْقِناً. وبهذا كان يشهدُ على كلِّ آيةٍ أربعةٌ من الصحابةِ الحافظين، وكانت الآية مُدَوَّنَةً مكتوبة.

ووُضِعت النسخةُ المعتَمَدَةُ من المصحفِ والتي أَجمعَ عليها جميعُ الصحابةِ عندَ أَبي بكر، ثم عندَ عُمر، ثم عندَ حفصة بنت عمر ﷺ.

والذي دَعا إِلى الجمعِ الثالثِ للقرآنِ في خلافةِ عثمانَ هو بَقاءُ النُّسَخِ الخاصَّةِ مِن مصاحفِ بعضِ الصحابة في بيوتِهم، ولم تَكنْ على طريقةٍ واحدةٍ كما ذكرنا، فأَدّى هذا إِلى اختلافٍ في بعْضِ تلك النُّسَخ، في ترتيبِ بعضِ السور والآيات، للأَسبابِ التي أَشَرْنا لها، وكانَ كُلُّ واحدٍ يُقْرِئُ الآخرين من نسختِه التي قد تخالفُ بعضَ النسخ، فأَلهم اللهُ حذيفةَ بنَ اليمانِ ﷺ أَنْ يُشيرَ على الخليفةِ عثمان بجمعٍ جديدٍ للقرآن، لاعتمادِ النسخةِ الجديدةِ وإِلغاءِ ما سِواها من النسخ المخالفة!.

فشكَّلَ عثمانُ لجنةً من الصحابةِ برئاسةِ زيدِ بنِ ثابتٍ لإعادة جَمْع القرآن، على أَساسِ النسخةِ التي كَتَبَها زيدٌ زمنَ الصديق، وأجمعت اللجنةُ على النسخةِ الجديدة، ثم نَسَخَ منها عدةَ نُسَخ، أُرسلَتْ إلى العواصم الإسلامية في مكةَ واليمن والبصرة والكوفة والشام، وأَجمعَ الصحابةُ على اعتمادِ تلكَ النُّسْخَة، بعدَ تَرَدُّدٍ من بعضِهم كعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، الذي عادَ ووافقَ الصحابةَ على إجماعهم. وسُمِّيَ ذلك المصحفُ «المصحفَ العثمانيَّ»، نسبةً إلى الخليفةِ عثمانَ الذي جُمِعَ في عهده، وبما أنه نالَ إجماع جميعِ الصحابة وإِقْرارَهم، لذلك سُمّيَ «المصحفَ الإمامَ»!.

عند ذلك أَمَرَ عُثمانُ رضي الله عنه أيَّ صَحابيٍّ عِنْدَه مصحفٌ كاملٌ أو جزءٌ منه، أَو بعضُ سورٍ منه أَنْ يَحرقَ ما عندَه؛ لأَنه قد يختلفُ في ترتيبِ بعضِ آياتِه وسورِه عن ما جاءَ في «العَرْضَةِ الأَخيرة»، التي عَرَضَ فيها جبريلُ القرآنَ على رسولِ الله ﷺ. وبذلك أُحْرِقَتْ تلكَ النُّسَخُ غيرُ الكاملةِ للقرآن، واعْتُمِدَ المصحفُ العثماني الإمامُ، وكان هذا من مظاهرِ حفظِ اللهِ للقرآن!.

ولقد مَدَحَ عليُّ بنُ أَبي طالب عندما كان أَميراً للمؤمنين جَمْعَ عثمانَ للمصحف، وإِحْراقَه المصاحفَ المخالفة بقولِه: لا تَقولوا في عثمانَ إلّا خَيْراً، فواللهِ ما فَعَلَ ما فَعَلَ إِلّا عن موافقةٍ مِنّا، ولو كنتُ مكانَ عُثْمانَ لفعلْتُ ما فَعَلَ عُثْمان!!.

١٠٤

كيف يضل الله الإنسان ثم يعذبه؟

ذَكَرَ الفادي سِتَّ آياتٍ تُخبرُ أَنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ ويَهْدي مَنْ يشاء؛ منها قولُه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [المدثر: ٣١] وقولُه تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ﴾ [الأعراف: ١٧٨ ـ ١٧٩].

واعترضَ على ما تُقَرِّرُهُ هذه الآيات، واعتبرَه لا يَتفقُ مع رحمةِ اللهِ وعَدْلِه؛ قال: «ونحنُ نَسأل: أَيُّ إلٰهٍ هذا، الذي يُضِلُّ الناسَ الذينَ خَلَقَهم، ليَملأَ بِهم جهنَّم، بعدَ أَنْ قضى بهذا منذُ الأَزَل قضاءً مُبرماً لا مَفَرَّ منه بالضَّلالةِ والعذاب؟ فأينَ كَرامةُ الإِنسان؟ وأَينَ حريةُ إرادتِه؟ وما معنى الأَوامِرِ والنَّواهي والشرائعِ، والترغيبِ بالثوابِ والتحذيرِ بالعقاب؟»[1].

يُريدُ الفادي أَنْ يَقول: كيفَ يُضِلُّ اللهُ النّاسَ الذينَ خَلَقَهم؟ وكيفَ كَتَبَ عليهم الضلالَ منذُ الأَزَل؟ وكيف خَلَقَهم إلى النار؟ وإذا كانوا مَخْلوقينَ إلى النارِ فأَين إرادَتُهم واختيارُهم؟ وما فائدةُ التكاليفِ والشرائعِ والأَوامر؟.

يتكلمُ الفادي عن قضيةٍ معروفةٍ في الفكر الإِسلاميِّ بقضيةِ «الجَبْرِ والاختيار» وهل الإِنسانُ مُسَيَّرٌ أَو مُخَيَّر؟ وكَثُرَ حولَها الكلامُ عند رجالِ الفرقِ الإِسلامية.

وقد كانَ كَلامُ القرآنِ واضِحاً حولَ هذه القضية. ونُلَخِّصُ الكلامَ عنها بالإِشاراتِ السريعةِ التالية:

اللهُ الخالقُ لكُلِّ شيءٍ في هذا الوُجود، وكُلُّ شيء يكونُ بإِذْنِ الله ومشيئتِه وإِرادتِه، وحاشَ لله أَنْ يَقعَ شيءٌ في الكونِ رَغْماً عنه، فالخيرُ والشرّ، والكفرُ والإِيمان، والطاعةُ والمعصية، كلُّ ذلك بإرادتِه سبحانه، لكنَّه لا يَرضىٰ الكفْرَ والمعصيةَ والشَّرّ، ولا يَقْبَلُ ذلك من أَصحابِه، ولذلك يُعاقِبُهم عليه، أَمّا الإِيمانُ والطاعةُ فإنه يَرضاهما، ويقبَلُهما من أصحابهما، ويثيبُهُم عليهما!.

وكَرَّمَ اللهُ الإِنسانَ الذي خَلَقَه، ومَنَحَه القدرةَ على اختيارِ ما يُريد، ولم يُجْبِرْه على أَيِّ شيء، إيماناً أَو كفراً، طاعةً أَو معصية، فالإنسانُ يخْتارُ طريقه بحريتِه وإرادتِه، يُمكنُ أَنْ يَختارَ الإِيمانَ والطاعةَ بحريتِه وإرادتِه، ويمكنُ أَنْ يَختارَ الكفرَ والضلالَ بإرادتِه وحريتِه، واللهُ لا يُجْبِرُه على هذا، ولا على هذا!!.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٠٣.

لكنَّ الإنسانَ لا يَختارُ إحدى الطريقَيْن إلّا بمشيئةِ اللهِ وإذنِه وإرادتِه؛ لأنه لا يَحدثُ شيءٌ في الكونِ إلّا بإذْنِه ومشيئَتِه كما قَرَّرْنا، فالمؤمنُ يؤمنُ بمشيئةِ الله، والكافرُ يكفرُ بمشيئةِ اللهِ أَيضاً!.

ومشيئةُ اللهِ مشيئَةُ علْم أَوّلاً، أَيْ أَنَّ اللهَ يَعلمُ أَنَّ فُلاناً سيؤمن، وأَنَّ فلاناً سيكْفُر، وعِلْمُه بذلك منْذُ الأَزَل، قبلَ خَلْقِه سبحانه السمٰواتِ والأَرض، فيكونُ إيمانُ المؤمنِ وكُفْرُ الكافرِ تَحْقيقاً لما عَلِمَه اللهُ وشاءَه وقَدَّرَه وأَرادَه!.

ومن المعلومِ أَنَّ اللهَ لا يُحاسِبُ الإنسانَ إلّا على ما كَسَبَه وعَمِلَه وفَعَلَه، فهو سبحانه لا يُحاسِبُه على ما عَلِمَه منه، ولكنْ يُحاسبُه بعد فِعْلِه المتفقِ مع ما عَلِمَه منه، وهو مُخَيَّرٌ في ما سيفْعَلُه ويَختارُه!.

من الآياتِ الصريحةِ التي تُقَرِّرُ هذه الحقيقةَ قولُه تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧ ـ ١٠]، ومنها قولُه تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

ومنها قولُه تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإنسان: ٢٩ ـ ٣١].

وإذا كانَ الإنسانُ يؤمنُ بإذْنِ الله، ويكفُرُ بإذْنِ الله، بالمفهومِ الذي وَضَّحْناه، كان الإيمانُ والهُدى بيدِ الله، وكانَ الكفْرُ والضَّلالُ بيدِ الله، فاللهُ هو الذي يَهْدي مَنْ يَشاءُ هدايتَه، واللهُ هو الذي يُضِلُّ مَنْ يشاء إضْلالَه، بالمفهوم الذي أوضحناه... بهذا نفهمُ معنى إسنادِ الهُدىٰ والضَّلالِ إلى الله، كما في قولِه تَعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [المدثر: ٣١]، وكما في قولِه تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

بقيتْ في هذه القضيةِ مسألة؛ وهي: مَنْ هو الذي يَشاءُ اللهُ هدايتَه؟ ومَنْ هو الذي يَشاءُ اللهُ إضْلالَه؟.

يَشاءُ اللهُ هدايةَ الشخص الذي يَختارُ الإيمانَ والهدى ويُريدُه، ويتوَجَّهُ إليه، ويَرغبُ فيه، فهذا يُعينُه اللهُ ويُثَبِّتُه عليه، ويُحِبُّه ويَرضى عنه، ويُثيبُه على ما فعلَ جَنّاتِ النعيم.

ويَشاءُ اللهُ إضْلَال الشخصِ، الذي يَختارُ الكفرَ والضَّلال، ويَرفضُ الإيمانَ والهدى، ويَسيرُ في طريقِ الانحرافِ والفساد، ويُحصي اللهُ عليه جرائمَه، ويُحاسبُه على أفعالِه، ويُعَذِّبُه في نارِ جهنَّم.

ومن الآياتِ الصريحةِ في تقريرِ هذه الحقيقةِ قولُه تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ١٨ ـ ٢١].

١٠٥

بين قدر الله وإرادة الإنسان

ذَكَرَ الفادي أَربعَ آياتٍ تُقَرِّرُ أَنَّ كُلَّ شيء يَقعُ في هذا الوجودِ إِنَّما يكونُ بقَدَرِ اللهِ ومشيئَتِه وإِرادَتِه، سواء كانَ الشيءُ خَيْراً أَو شَرّاً. منها قولُه تَعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣]. وقولُه تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: ٤٩ ـ ٥٠].

وخَطَّأَ المفتري هذه الآياتِ ورَفَضَ ما تُقَرِّرُه، واعترضَ عليها قائلاً: «من هذهِ الآياتِ وغيرها كثيرٌ يَرى الإِسلامُ أَنَّ كُلَّ ما يَقعُ في الوجودِ من خيرٍ وشَرٍّ هو من عندِ الله! فيكونُ اللهُ عِلَّةَ الشُّرورِ ابتداءً، وتكونُ رسالةُ الأَنبياءِ وتكليفهُم

بالكرازةِ والدعوةِ عَبَثٌ لا ضَرورةَ له ولا فائدَة فيه!.. وهذا بعكْسِ تعاليمِ الكتابِ المقدَّس».

وبعدما أَوردَ بعضَ كلامِ المسيحِ في الأَناجيل عن حريةِ الإنسانِ وإِرادتِه قال: «وقال الفلاسفةُ في البيانِ النظريِّ عن الحيوان: إِنَّه الجسمُ الحَسّاسُ المتحركُ بالإِرادَة.. فإِذا كان حَدُّ الحيوانِ البهيميِّ أَنه متصرِّفٌ بالإِرادة، فكيفَ نتصوَّرُ أَنَّ الإِنسانَ ـ أَشْرَفَ مخلوقاتِ اللهِ في عالَمِ الحِسِّ ـ عاجِزٌ، مَجْبُورٌ على العصيانِ أَو الطاعة؟ وإِذا كان هناك إِجبارٌ فما فائدةُ العَقْل؟»[1].

يَتَحدَّثُ الفادي المفتري عن قضيةِ الإِيمانِ بالقَدَر، ولذلك جَعَلَ عنوانَها: «اللهُ قَدَّرَ الشُّرور»! وهذه القضيةُ مرتبطةٌ بالقضيةِ السابقة، التي أَثارَها في السؤالِ السابق، قضيةِ «الجَبْرِ والاختيار».

ونَدْعو إِلى استصحابِ ما قُلْناهُ في المسألةِ السابقةِ ونحنُ نناقشُ الفادي في كلامِهِ عن الإِيمانِ بقَدَرِ الله.

نقررُ بدايةً أَنَّ الإِيمانَ بالقَدَرِ جُزْءٌ سادسٌ من أَركانِ الإِيمانِ، وإِذا لم يؤمن الإنسان بالقدرِ كان كافراً، حَتّى لو آمَنَ بأَركانِ الإِيمانِ الخمسةِ الأُخرى: الإِيمانُ بالله، وملائكتِه، وكتبِه، ورسلِه، واليومِ الآخِر.

ويَقومُ الإِيمانُ بالقَدَرِ على حقيقةِ أَنَّ كُلَّ شيء يَقَعُ في هذا الوجودِ يكونُ بقَدَرِ اللهِ، وحاش لله أَنْ يقعَ شيءٌ في الوجودِ رَغْماً عنه، فاللهُ هو الذي قَدَّرَ كُلَّ شيءٍ وأَرادَه وشاءَه.

والآياتُ التي تُقَرِّرُ هذه الحقيقةَ كثيرة. منها قولُه تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: ٤٩ ـ ٥٠]. وقولُه تعالى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٠٣ ـ ١٠٤.

وهذا معناهُ أَنَّ اللهَ قَدَّر كُلَّ شيءٍ في الوجودِ وأَرادَه، وجاءَ هذا الشيءُ كما قَدَّرَهُ اللهُ وأَرادَه، سواءٌ كانَ هذا الشيءُ خيراً أَو شَرّاً، هُدى أَو ضَلالاً، طاعةً أَو معصية.. وهذا معناهُ أَنَّ الشُّرورَ والمصائبَ تكونُ بقَدرِ اللهِ سبحانه؛ لأَنها إِنْ لم تَكُنْ بقَدَرِ اللهِ وإِرادتِه يكونُ أَصحابُها قد فَعلوها رَغْماً عن الله، ويَكونونَ بذلك قد قَهروهُ وغَلَبوهُ، وأَعْجَزوهُ وهَزموه!!.

وليس معنى كونِ الشُّرورِ واقعةً بقَدَرِ اللهِ وإِرادتِه أَنَّ اللهَ راضٍ عنها مُحِبٌّ لأَصحابِها، أَو أَنَّ اللهَ مُحِبٌّ لهذه الشرورِ راغبٌ فيها وآمِرٌ بها، فإِنَّ اللهَ لا يَرضى عن الشرور، ولا يُحِبُّ أَصحابَها، ولا يَأْمُرُ بها سبحانَه. ولذلك رَدَّ الله على الذين بَرَّروا فواحِشَهم بأَنَّ اللهَ يُحِبُّها ويأْمُرُهم بها بقولِه: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ [الأعراف: ٢٨ ـ ٢٩].

ولقد فَرّقَ القرآنُ بينَ تقديرِه للكفرِ وعَدَم رضاهُ به، وبينَ تقديرِه للإِيمانِ والشكرِ ورِضاهُ به. قالَ تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ﴾ [الزمر: ٧].

وهذا مَعناهُ أَنَّ القرآنَ يُفَرِّقُ بينَ القَدَرِ والرِّضا والإِرادةِ والمحَبَّة، فليس كلُّ ما يُقَدِّرُهُ يَرضىٰ عنه ويَأْمُرُ به، وليس كُلُّ ما يُريدُهُ اللهُ يُحِبُّه، فالشُّرورُ يُقَدِّرُها اللهُ ويُريدُها، لكنَّه لا يَرضى عنها ولا يُحِبُّها، ولذلكَ يُعاقبُ أَصحابَها، أَمّا الطاعاتُ فإِنَّ اللهَ يُقَدِّرُها ويَرضى عنها، ويُريدُها ويحبُّها، ولذلك يُثيبُ أَصحابَها!!.

ومِن كُرْهِ اللهِ للشُّرورِ أَنه نهى عنها، ومن محبتِه للطاعاتِ أَنه أَمَرَ بها، وأَرسلَ رسلَهُ بالدعوةِ إِلى الخيرِ، والأَمْرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكر.

ومن جانبٍ آخَر، فإِنَّ اللهَ مَنَحَ الإِنسانَ حريةَ الاختيار، والقدرةَ على الاختيار، وتمكينه من الاختيار، ولم يُجْبِرْه على شيء، ولم يُكْرِهْهُ على اختيارِ شيء.

عند الإنسانِ الكافرِ قدرةٌ على اختيارِ الكفر، وعندَ الإنسانِ المؤمنِ قدرةٌ على اختيارِ الإيمان، لم يَمنع اللهُ الكافرَ عن كُفْرِه بالقَسْرِ والإكراه، ولم يُجبر اللهُ المؤمنَ على الإيمانِ إجباراً، فالكافرُ كَفَرَ باختيارِه، والمؤمنُ آمَنَ باختيارِه.

لكنَّ اللهَ شاءَ كُفْرَ الكافرِ وأرادَه، بمعنى أنه عَلِمَهُ منذُ الأزل، وقَدَّرَهُ بقدرته، وأرادَه بإرادتِه الكونيةِ العامة، وكان الكافرُ بكفرِه مُتوافقاً مع علمِ اللهِ وقدرتِه وإرادتِه، ويُحاسبُه اللهُ عليه؛ لأنَّه نَهاهُ عنه وكَرِهَهُ ولم يَرْضَهُ منه.

أمّا إيمانُ المؤمنِ فإنَّ اللهَ شاءَهُ وأرادَه، بمعنى أنَّه عَلِمَه منذُ الأزل، وقَدَّرَهُ بقدرَتِه، وأرادَه بإرادتِه الكونية والشرعية، والمؤمنُ بإيمانِه متوافقٌ مع عِلْمِ اللهِ وقدرتِه وإرادتِه، واللهُ يُحِبُّ ذلك ويَرْضاهُ، ويتقبَّلُهُ منه، ويُثيبُه عليه.

بهذا البيانِ الواضحِ يتمُّ التوفيقُ والتنسيقُ بين قَدَرِ اللهِ وقُدْرَةِ الإنسان، وبينَ إرادَةِ اللهِ واختيارِ الإنسان، وكُرْهِ اللهِ للشرورِ التي يَختارُها الإنسانُ الشّرّير، ومحبةِ اللهِ للطاعاتِ التي يَخْتارُها الإنسانُ المطيع!! وعلى هذه الحقيقةِ آياتٌ عديدة، منها قولُه تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾ [الإنسان: ٢٩ ـ ٣١].

وقولُه تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٧ ـ ٢٩].

وقولُه تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٤ ـ ٥٦].

وبعدَ هذا نعرفُ جهلَ الفادي الجاهلِ في اعتراضِه على قدرِ اللهِ قائلاً: «كيف نَتصَوَّرُ الإنسانَ أشرفَ مخلوقاتِ الله في عالمِ الحِسّ، أنه عاجزٌ مَجْبورٌ على العصيانِ أو الطاعة؟! وإذا كانَ هناكَ إجبارٌ فما فائدةُ العَقْل؟!».

❖ ❖ ❖

الفصل الخامس

نقض المطاعن اللغوية

١٠٦

ذكر المرفوع بعد المنصوب

قـال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩].

خَطَّأَ الفادي الجاهلُ الآية، لأنَّ كلمةَ ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ فيها مرفوعةٌ بالواو، مع أَنها معطوفةٌ على اسم «إِنَّ» المنصوب، ولذلكَ جَعَلَ عنوانَ تخطئتِه: «رَفْعُ المعطوفِ على المنصوب»، وهذا خَطَأٌ نحويّ؛ لأَنَّ المعطوفَ على المنصوبِ منصوب، وقالَ الجاهلُ في تخطئتِه: «وكانَ يجبُ أَنْ يُنْصَبَ المعطوفُ على اسم «إِنّ» فيقول: «والصابئين» كما فعلَ هذا في سورةِ البقرةِ وسورةِ الحج...»[(١)].

لقد ذَكَرَ القرآنُ أَصحابَ الدياناتِ المعروفةِ في ثلاثٍ من سُوَرِه:

١ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الحج: ١٧].

٣ ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ...﴾ [المائدة: ٦٩].

ولا إِشكالَ على آيةِ سورةِ البقرة؛ لأَنَّ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في محلِّ نَصْب اسمِ «إِنَّ» و﴿ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ معطوفةٌ عليها في محلِّ نَصْب، و﴿ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ معطوفةٌ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٠٧.

عليها منصوبة، ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾: معطوفةٌ عليها منصوبةٌ بالياء. وخَبَرُ «إنَّ» اسْمُ الموصولِ ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾. والتقدير: إنَّ المؤمنين واليهودَ والنَّصارى والصابئين المقبولُ منهم هو المؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِر.

ولا إشكالَ على آيةِ سورةِ الحج؛ لأنَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾ معطوفةٌ على اسم «إنَّ»، وهو ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وخَبَرُ «إنَّ» جملةُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ والتقدير: إنَّ المؤمنينَ واليهودَ والصابئين والنَّصارى والمجوسَ والمشركين مَفْصولٌ بينهم يومَ القيامة.

والمشكلةُ في آيةِ سورةِ المائدة، لأنَّ ظاهِرَها عَطْفُ المرفوعِ ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ على المنصوبِ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الذي هو اسْمُ «إنَّ»، وهذا لَا يَجوزُ في اللغةِ والنحو، ولذلك اعْتَبَرَهُ الفادي خطأً نحوياً!.

والراجحُ أَنَّ آيةَ سورةِ المائدةِ مُكَوَّنَةٌ مِن جملتَيْن:

الجملةُ الأُولى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾. وهي تتحدَّثُ عن المؤمنينَ المسلمينَ من أُمَّةِ محمدٍ ﷺ، وتُقَرِّرُ فلاحَهم عندَ الله. والراجحُ أَنَّ خبرَ «إنَّ» محذوف، والتقديرُ: إنَّ المؤمنين مفلحون.

الجملةُ الثانية: ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾.

والراجحُ أَنَّ الواوَ في ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ حرفُ استئنافٍ وليستْ حَرْفَ عَطْف، والجملةُ بَعْدَها استئنافيةٌ وليستْ معطوفةً على ما قبلَها، والراجحُ أَنَّ ﴿ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ في محلِّ رفْع مبتدأ. والواوُ في ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ حرفُ عطف، ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ مرفوعةٌ لأَنَّها معطوفةٌ على المبتدأ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، و﴿ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ مرفوعةٌ لأنها معطوفةٌ على المبتدأ. والراجحُ أَنَّ خَبَرَ المبتدأ هو اسْمُ الموصول ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾. والتقدير: واليهودُ والصابئون والنَّصارى المؤمنون بالله واليوم الآخِرِ منهم هم المفلحون!!.

وعلى هذا التوجيهِ يكونُ مَعْنى الآية: المؤمنونَ من أُمَّةِ محمدٍ ﷺ

مُفْلِحون فائزون. واليهودُ والصابئون والنصارى لا يُقْبَلُ منهم إلَّا مَنْ آمَنَ باللهِ واليومِ الآخر.

وبهذا نعرفُ أنه لا خَطَأَ نحوياً في الآية، وأَنها ليستْ من عَطْفِ المرفوعِ على المنصوب كما فهمَ الفادي الجاهل، وإِنما هي من استئنافِ جملةٍ بعدَ جملة!.

١٠٧

الفاعل لا يكون منصوباً

قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

زَعَمَ الفادي الجاهلُ أَنَّ ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ في جملةِ ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فاعلُ الفِعْل ﴿يَنَالُ﴾، وبما أنه فاعلٌ فلا بُدَّ أَنْ يكونَ مَرْفوعاً، ولا بُدَّ أَنْ تكونَ الجملةُ هكذا: لا يَنالُ عهدي الظالمون! وقد أَخْطَأَ القرآنُ في نَصْبِ ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لأَنَّ الفاعلَ لا يكونُ منصوباً!.

وهذا الكلامُ دَلَّ على جَهْلِ الفادي باللغةِ العربيةِ وقواعدِها. إنَّ ﴿عَهْدِى﴾ هو الفاعل، و﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ مفعولٌ به منصوب. ومَعْنى ﴿يَنَالُ﴾ هنا: يَصِلُ ويُصيبُ. أَيْ: لا يَصِلُ عهدي الظالمين من ذريتِك. وليسَ مَعْنى ﴿يَنَالُ﴾ هنا: يَأْخذ، إِذْ لو كانَ كذلك لكانَ فاعِلُه «الظالمون»، ولكان المعنى: لا يَأْخُذُ عَهْدي الظالمون.

فجملةُ ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ تُريدُ أَنْ تُقرِّرَ أَنَّ عَهْدَ اللهِ لا يَصِلُ الظالمين.

١٠٨

المبتدأ مؤنث والخبر مذكر

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٧] خَطَّأَ الفادي الجاهلُ الآيةَ لأَنَّ خَبَرَ «إنَّ» مُذَكَّرٌ ﴿قَرِيبٌ﴾، مع أَنَّ اسْمَها مُؤَنَّث

﴿رَحۡمَتَ ٱللَّهِ﴾، والأَصْلُ أَنْ يَتْبَعَ الخَبرُ المبتدأَ في التذكيرِ والتأنيث، فالأَصْلُ أَنْ تكونَ الآيةُ هكذا: إِنَّ رحمةَ الله قريبةٌ من المحسنين.

ولتَوجيهِ تَذْكيرِ خَبَرِ «إِنَّ» في الآية نَقول: يَجبُ أَنْ يَتبعَ الخَبَرُ المبتدأَ في التذكيرِ والتأْنيث، إذا كانَ المبتدأُ مُؤَنَّثاً تَأْنيثاً حَقيقياً، ولم يَفْصِلْ فاصلٌ بينَ المبتدأ والخَبَر. تَقُولُ: عائشةُ قريبةٌ منا.

فإذا كانَ تأنيثُ المبتدأ غيرَ حقيقيّ جازَ في خَبَرِه التَّذكيرُ والتَّأْنيث. وتَأنيثُ ﴿رَحۡمَتَ﴾ غيرُ حقيقيّ؛ لأَنها ليستْ أُنثى حقيقية. وقد فَصَلَ لَفْظُ الجلالةِ ﴿ٱللَّهِ﴾ بين اسْمِ «إِنَّ» وخَبَرِها: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾.

وهذه الآيةُ كقولِه تعالى: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٢] فتأنيثُ الساعةِ غيرُ حقيقي، وفَصَلَ فعلُ ﴿تَكُونُ﴾ بين الكلمتَيْن، فجاءَتْ كلمةُ ﴿قَرِيبًا﴾ مُذَكَّراً وليستْ مؤنثة!.

وهناكَ حكمةٌ أُخرى لتذكيرِ خَبَرِ «إِنَّ» في الآية، وهي أَنَّ كلمةَ ﴿قَرِيبٌ﴾ مجاورةٌ لكلمةِ «الله»، فمن غيرِ المناسبِ أَنْ تُؤَنَّث ﴿قَرِيبٌ﴾، لهذه المجاورة اللفظية، من بابِ تنزيهِ اللهِ عن شُبهةِ التأنيثِ اللفظي!!.

١٠٩

تأنيث العدد وتذكير المعدود

قالَ اللهُ عن أَسباطِ بني إِسرائيل: ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمًاۚ﴾ [الأعراف: ١٦٠].

العددُ في الآيةِ مُؤَنَّث ﴿ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ﴾. والمعدودُ مذكَّر ﴿أَسۡبَاطًا﴾ لأَنَّه جمعُ «سَبْط» وهو مذكَّر.

وقد خَطَّأَ الفادي الجاهلُ الآية، وقال: «كانَ يَجبُ أَنْ يُذَكِّرَ العَدَدَ ويَأْتي بالمعدود مُفْرَداً، فيقول: وقَطَّعْناهم اثْنَيْ عَشَرَ سَبْطاً»(١).

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٠٧.

والراجحُ أنَّ ﴿ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ﴾ حالٌ منصوب، وصاحبُ الحالِ ضميرُ «هُمْ» الذي هو في مَحَلِّ نَصْب مفعول به، في ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمُ﴾، وهو يَعودُ على بني إسرائيل. والراجحُ أنَّ ﴿أَسۡبَاطًا﴾ بَدَلٌ من ﴿ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ﴾ منصوب. أيْ: قَطَّعْناهم أسباطاً.. والراجحُ أنَّ ﴿أُمَمٗاۚ﴾ بَدَلٌ من ﴿أَسۡبَاطًا﴾ منصوب. أيْ: قَطَّعناهم أُمماً.

ولا تَصلحُ ﴿أَسۡبَاطًا﴾ أنْ تكونَ تمييزاً للعَدَدِ ﴿ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ﴾ لأَنَّ شَرْطَ تمييزِ العَدَد أنْ يَكونَ مُفْرَداً، فالراجحُ أنَّ تمييزَ العددِ محذوف، والتقدير: قَطَّعناهم اثنتيْ عَشْرَةَ فرقةً أو قبيلةً أو أُمَّةً.

وبما أَنَّ التمييزَ المحذوفَ مؤنَّثٌ مُفْرَد، فقد زالَ اعتراضُ الفادي. وصارَ تركيبُ الآيةِ هكذا: وقَطَّعْناهم اثْنَتَي عشرةَ فِرْقَةً أسباطاً أُمماً.. واتَّفَقَ العددُ مع المعدودِ في التأنيث، وجاءَ المعدودُ التمييزُ مفرداً، فلا إشكالَ في الآية.

١١٠

جمع الضمير العائد على المثنى

قال تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ...﴾ [الحج: ١٩].

خَطَّأَ الفادي صياغَةَ الآية، فكلمةُ ﴿خَصۡمَانِ﴾ مُثَنّى، والجملةُ الفعليةُ بَعْدَها صفةٌ لها، والفاعلُ في ﴿ٱخۡتَصَمُواْ﴾ واوُ الجماعة يَعودُ على المثنّى ﴿خَصۡمَانِ﴾ قال: «وكانَ يَجِبُ أَنْ يُثَنّى الضميرُ العائدُ على المُثنّى، فيقول: هذانِ خصمانِ اخْتَصَمَا في ربهما...»[1].

﴿هَٰذَانِ﴾: اسْمُ إشارةٍ مُثَنّى في مَحَلِّ رفْع مبتدأ. و﴿خَصۡمَانِ﴾ خَبَرُه مرفوع، والكلمتانِ مُثَنّى لَفْظاً، لكنهما تُشيرانِ إلى جَمْع، لأَنهما ليسا رَجُلَيْن مُخْتَصِمَيْن، وإنما فَريقان مختصمان، وكلُّ فريق مُكَوَّنٌ من عِدَّةِ أَفْراد، فريقُ الكافرين وفريقُ المؤمنين.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٠٧.

ولذلك جاءَ الخَبَرُ ﴿خَصْمَانِ﴾ مثنى مراعاةً لاسم الإشارةِ المثنّى «هذان»، وجاءَ الضميرُ العائدُ عليه جمعاً ﴿ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ مراعاةً لعَدَدِ أفرادِ الفريق، والفريقُ جَمْع. ولذلك جاءَ بعد ذلك قولُه: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ...﴾ بصيغة الجمع!.

١١١

اسم الموصول المفرد العائد على الجمع

قال تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾ [التوبة: ٦٩].

اعترضَ الفادي على الآيةِ بقوله: «كانَ يجبُ أنْ يَجمعَ اسْمَ الموصولِ العائدَ على ضميرِ الجمعِ، فيقول: خُضْتُم كالذينَ خاضوا»[1].

ولا مَعْنى لاعتراضِه، لأَنَّ شبْهَ الجملةِ ﴿كَٱلَّذِى﴾ صفةٌ لمفعولٍ مطلقٍ محذوف، والتقدير: خُضْتُم خَوْضاً كالذي خاضوه. أَيْ: خُضتُم خَوْضاً كخوضِ الذينَ من قبلِكم. وبهذا يكونُ اسْمُ الموصول «الذي» عائداً على مُفرد، وليس على جَمْع، وبهذا تَناسَقَ الموصولُ وما عادَ عليه، فلا إِشكالَ في صياغةِ الآية.

والخوضُ في الآية معطوفٌ على الاستمتاع قبلَه. قال تعالى: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾.

والمعنى: استمتَعْتُم بخَلاقِكُم استمتاعاً كاستمتاعِ الذينَ من قبلِكم، وخضْتُم خَوْضاً كخوضِ الذينَ من قبلكم.

وبهذا نعرفُ جَهْلَ الفادي بقواعدِ اللغة.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٠٧.

١١٢

جزم فعل معطوف على منصوب

اعترضَ الفادي على تركيبِ وصياغةِ قولِه تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠].

قالَ في اعتراضِه على الآية: «وكان يَجبُ أنْ يُنْصَبَ الفعلُ المعطوفُ على المنصوب: «فَأَصَّدَقَ وأكونَ». أيْ أَنَّ فعْلَ «أَكُنْ» معطوفٌ على فعْلِ «أَصَّدقَ» وبما أَنَّ المعطوفَ عليه منصوبٌ فيجبُ أَنْ يُنْصَبَ المعْطوف. ولذلك كان جَزْمُ المعطوفِ خَطَأً نحويّاً وَقَعَ به القرآن!!»[١].

في قولِه: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ قراءتان صحيحتان:

الأُولى: قراءةُ أَبي عَمْرو البَصْري بِنصْبِ الفعلِ المعطوف: «فَأَصَّدَقَ وأكونَ»، وتوجيهُ هذه القراءةِ أَنَّ «أكونَ» معطوفٌ على «أَصَّدَّقَ» منصوبٌ مثْلُه؛ لأَنَّ المعطوفَ على المنصوبِ منصوبٌ.

الثانية: قراءةُ القراءِ التسعةِ بجَزْمِ الفعلِ «أَكُنْ». وهو ليس معطوفاً على «أَصَّدَّقَ»؛ لأَنه لا يَجوزُ عَطْفُ المجزومِ على المنصوب. ولكنه معطوفٌ على مَحَلِّ «أَصَّدَّقَ» الذي هو الجَزْم؛ لأَنه في معنى جوابِ الشرط، ففعْلُ «أَصَّدَّقَ» منصوبٌ لفظاً لكنه مجزومٌ مَحَلّاً!.

إِنَّ فعْلَ «أَصَّدَّقَ» منصوبٌ بحرفِ «أَنْ» المصدريِّ المقَدَّر، وهو واقعٌ في جوابِ التمنّي، فالجملةُ هكذا: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿يَأْتِيَ﴾: فعلٌ مضارعٌ مَنْصوبٌ بحرفِ «أَنْ»، و«يَقولَ»: مضارعٌ منصوبٌ لأَنه

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٠٨.

معطوفٌ على ﴿يَأْتِيَ﴾. و ﴿لَوْلَآ﴾: حرفٌ للتَّمني. وجوابُ التَّمَنّي جملة: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾. والتقديرُ: لولا أَخَّرْتَني إلى أَجَلٍ قريب فأَنْ أَصَّدَّقَ.

ومع أَنَّ «أَصَّدَّقَ» منصوبٌ لَفْظاً بحرفِ «أَنْ»، إِلّا أنه مجزومٌ مَحلّاً، على أنه جوابُ الشَّرط، فالجملةُ للتَّمَنّي في الظاهر، لكنَّها جملةٌ شرطيةٌ في الحقيقة، والتقدير: إِنْ أَخّرتني إِلى أَجَلٍ قريبٍ أَصَّدَّقْ.

وعلى هذا يكونُ ﴿أَكُنْ﴾ مجزوماً، لأَنه معطوفٌ على مَحَلِّ «أَصَّدَّقَ». الذي هو جوابُ الشرطِ في الحقيقة، والتقدير: إِنْ أَخَّرْتَني إِلى أَجَلٍ قريبٍ أَصَّدَّقْ، وأَكُنْ من الصالحين.

أَيْ أَنَّ الكافرَ يتعهَّدُ بفعْلِ أَمْرَيْن اثْنَيْن إِنْ أَخَّرَ اللهُ أَجَلَه: يتصدَّقُ في سبيلِ الله، ويكونُ من الصالحين.

١١٣

عود ضمير الجمع على المفرد

اعترضَ الفادي على قولِ اللهِ ﷻ: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧].

اعتراضُه على ضمير الجمع في ﴿بِنُورِهِمْ﴾، فكيفَ جاءَ بصيغةِ الجمعِ مع أَنَّهُ يَعودُ على المفرد، وهو الضميرُ المستتر في ﴿ٱسْتَوْقَدَ﴾. قال: «وكانَ يَجِبُ أَنْ يَجْعَلَ الضميرَ العائدَ على المفردِ مُفْرَداً، فيقول: استوقد ناراً فلما أَضاءتْ ما حوله ذهبَ اللهُ بنورِه»(١).

واعتراضُ الفادي دليلُ جَهْلِه بأَساليبِ التعبيرِ الرائعةِ البليغةِ في اللغةِ العربيةِ الشاعرة.

إِنَّ التشبيهَ في الآيةِ تَشبيهٌ تَمثيليّ، شَبَّهَ حالاً بحال، حالَ المنافقينَ في عدمِ انتفاعِهم بالإِيمانِ، بحالِ الذي استوقَدَ ناراً ثم أَطْفَأَها اللهُ، فلم ينتفعْ هو بها.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٠٨.

وجاءَ ضمير «هُمْ» في قوله: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ جَمْعاً، مراعاةً للحالِ المشَبَّهَة، وهي حالُ المنافقين، وليس الحالَ المشَبَّهَ بها، وهي حالُ المستوقِدِ ناراً؛ لأَنَّ الهدفَ من هذا التشبيهِ التمثيلي هو المَشبَّهُ وليس المشبَّه به، وبيانُ عَدَمِ استفادةِ المنافقين من الهدى والنور.

لقد عادَ ضميرُ «هم» في ﴿بِنُورِهِمْ﴾ على ضميرِ «هُمْ» في ﴿مَثَلُهُمْ﴾، والمرادُ بهذا الضميرِ المنافقون.

ولو عادَ الضميرُ على المفردِ، وقالَ: «ذهب الله بنوره وتركه في ظلمات» لكانَ التركيزُ على التشبيهِ والتمثيل، وهذا ممكِن، ولكنه ليسَ فصيحاً.

إِنَّ الأَفصحَ والأَبلغَ الانتقالُ من التمثيل والتشبيهِ إلى الحقيقة، ليدُلَّ على أَنَّ اللهَ أَذهبَ نورَ الإِيمانِ من قلوبِ المنافقين؛ لأَنَّ هذا هو المقصودُ من التشبيه.

وصارَ التقدير هكذا: مَثَلُ المنافقين في عَدَمِ استفادتِهم من الإِيمانِ كَمَثَلِ رجلٍ استوقدَ ناراً، فلما أَضاءَتْ ما حولَه، ذهبَ اللهُ بنارِه، فلم يَسْتَفِدْ منها، وكذلك المنافقون ذَهَبَ اللهُ بنورِهم، فلم يستفيدوا من الإِيمان.

وقد جاءَ ضميرُ الجمعِ في ﴿بِنُورِهِمْ﴾ بين ضميرَيْ جَمْع: الضميرِ في ﴿مَثَلُهُمْ﴾ قبلَه. والضمير في ﴿وَتَرَكَهُمْ﴾ بعدَه!!.

وعلى هذا يكونُ اعتراضُ الفادي لا معنى له، فالأَفصحُ والأَبلغُ هو ما وردَ في القرآن!.

١١٤

هل يجوز نصب المعطوف على المرفوع؟

اعترضَ الفادي على قولِ اللهِ ﷻ: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٦٢].

خَطَّأَ نَصْبَ ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ لأَنها في نَظَرِهِ القاصِرِ معطوفةٌ على ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾، والأَصْلُ أَنْ تَكونَ مرفوعة: لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون... والمقيمون الصلاة والمؤتون الزكاة...

وتَخطئةُ الفادي للآيةِ دَليلُ جهلِه بقواعِدِ اللغةِ العربية.

الآيةُ مُكَوَّنَةٌ من الجملِ التالية:

الأُولى: الجملةُ الاسمية: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾: ﴿لَّٰكِنِ﴾: حرفُ استدراكٍ مُلْغى لأَنه مُخَفَّف. ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ﴾: مبتدأٌ مرفوع. ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: مَعطوفٌ على ما قبله مرفوع. والجملةُ الفعليةُ ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ في مَحَلِّ رفْع خبَر. والتقدير: الراسخونَ في العلمِ والمؤمنون هم المؤمنونَ بما أُنزلَ إِليك.

الثانية: الجملةُ الفعليةُ: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾. وهي معطوفةٌ على الجملةِ السابقة. ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ﴾ منصوبٌ على المدْح. أَيْ أَنَّه مفعولٌ به لفعْلٍ محذوف، تَقديرُه: أَمْدَحُ المقيمين الصَّلاةَ، و﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ مفعولٌ به منصوبٌ لاسْمِ الفاعل ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ﴾.

الثالثة: ﴿وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. وهي معطوفَةٌ على الجملةِ الأُولى: ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾.

﴿وَٱلْمُؤْتُونَ﴾: مبتدأ مرفوع. و﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾: مفعولٌ به لاسْمِ الفاعل ﴿وَٱلْمُؤْتُونَ﴾. و﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ معطوفٌ على ﴿وَٱلْمُؤْتُونَ﴾ مرفوع. وجملةُ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ في محلِّ رفْع خبَرِ المبتدأ ﴿وَٱلْمُؤْتُونَ﴾.

وبهذا نَعرفُ أَنَّ ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ﴾ ليستْ معطوفةً على ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ﴾، من بابِ عَطْفِ كلمةٍ على كلمة، لتكونَ مرفوعةً مثلَها. والعَطْفُ من بابِ عَطْفِ جُملةٍ على جُمْلَة.

والعُدولُ عن الجملةِ الاسمية إِلى الجملةِ الفعلية، ونَصْبُ اسْمِ الفاعلِ

بفعْلٍ مُقَدَّرٍ، جَمالٌ رائع في الأُسلوبِ القرآني، وتَعبيرٌ بَليغٌ معجزٌ رَفيع. لكنَّ الجاهلينَ من أمثالِ الفادي لا يَرْتَقون إلى مستوى فهمِه فيُخَطِّئونَه!.

١١٥

هل ينصب المضاف إليه؟

خَطَّأ الفادي نَصْبَ «ضَرّاءَ» في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠].

وبما أَنَّ ﴿بَعْدَ﴾ ظَرْفُ زمان، وهي مضاف، فإِنَّ ﴿ضَرَّآءَ﴾ مُضافٌ إليه. والمضافُ إليه مجرور، فلا بُدَّ أَنْ تكونَ كلمةُ ﴿ضَرَّآءَ﴾ مجرورةً بالكسرة!!.

إِنَّ اعتراضَ الفادي على الآيةِ وتَخْطِئَتَه لها دليلٌ على جَهْلِه المطبقِ بأَبسطِ قواعدِ اللغةِ العربية.

إنه لا يَعرفُ الشيءَ المسَمّى «الممنوع من الصرف». وهو الاسْمُ الذي لا يَلْحَقُه التَّنْوين، والذي يُجَرُّ بالفتحةِ بَدَلَ الكسرة. وتَحكمُ الممنوعَ من الصرفِ قواعدُ وضوابط دقيقة.

ومن الأَسماءِ الممنوعةِ من الصَّرْفِ كُلُّ اسمٍ مُؤَنَّثٍ مختومٍ بأَلِفٍ ممدودةٍ بَعْدَها همزة، على وَزْنِ «فَعْلاَء».

وفي الآيةِ التي خَطَّأَها الجاهلُ كَلِمتَانِ مَمْنوعَتان من الصَّرْفِ هما ﴿نَعْمَآءَ﴾ ﴿ضَرَّآءَ﴾. وهما كلمتانِ مُتَقابلتان.

﴿نَعْمَآءَ﴾: مفعولٌ به ثانٍ للفعْلِ ﴿أَذَقْنَٰهُ﴾. وهو منصوبٌ بالفتحةِ وليس بالتنوين؛ لأَنه ممنوعٌ من الصرف.

و﴿ضَرَّآءَ﴾ في قوله: ﴿بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾ مضافٌ إليه مجرورٌ بالفتحةِ بَدَلَ الكسرة؛ لأَنه ممنوعٌ من الصَّرْف.

ولكنْ أَنّى للفادي الجاهلِ أَنْ يَعرفَ هذه القواعد؟ ومع ذلك نَصَّبَ نَفْسَه قاضياً على القرآن!!.

١١٦

جمع الكثرة بدل جمع القلة

خَطَّأَ الفادي الإتيانَ بجمعِ الكثرةِ بَدَل جمعِ القِلَّة، في قولِ الله ﷻ: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠].

قالَ في اعتراضِه على الآية: «وكانَ يَجبُ أَنْ يَجْمَعَها جمعَ قِلَّة؛ لأَنَّهم أَرادوا القِلَّة، فيقول: أَياماً معدودات»(١).

يَرى الفادي أَنَّ «معدودات» جمعُ قِلَّة، وأَنَّ ﴿مَّعۡدُودَةً﴾ جمعُ كثرة! وهذا الكلامُ باطل، فالصّيغَتان جمعُ قِلَّة. لكنَّ ﴿مَّعۡدُودَةً﴾ تدلُّ على عددٍ أَقَلَّ من «معدودات». فإذا أُريدَ العددُ الأَقَلُّ ذُكِرَتْ صيغةُ ﴿مَّعۡدُودَةً﴾، وإذا أُريدَ العددُ الأَكثرُ ذُكِرَتْ صيغةُ «معدودات».

وهذا عكسُ ما قالَه الفادي الجاهلُ باللغةِ العربية.

والآيةُ التي خَطَّأَها الجاهلُ تتحدَّثُ عن اليهود، واستخفافِهم بعذابِ الله، وادِّعائهم أَنهم أَبناءُ اللهِ وأَحِبّاؤه. قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠].

واللطيفُ في التعبيرِ القرآنيِّ المعجزِ أَنَّه أَوْرَدَ الصيغتَيْن «معدودة، ومعدودات» في نفسِ الموضوع، وهو زَعْمُ اليهودِ عدمَ تعذيبِهم إِلّا أَيّاماً قليلةً في جهنَّم.

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣ ـ ٢٤].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٠٨.

ما حكمةُ وَصْفِ الأيّامِ في سورةِ البقرة بالصيغةِ الدالَّةِ على العَدَدِ الأَقلِّ: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾، وَوَصْفِ الأيّام نفسِها في سورةِ آل عمران بالصيغةِ الدالةِ على العددِ الأكثر: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾؛ مع أنَّ الأيّامَ في السورتَيْن واحدة، والقائلين فيهما اليهود؟.

إنَّ السياقَ هو الحَكَم، وهو في سورةِ البقرة غيرُه في سورةِ آل عمران!.

إنَّ الكلامَ في سورةِ البقرة مختَصَر، والهدفُ منه ذِكْرُ زَعْمِ اليهودِ ثم الرَّدُّ عليه بإيجاز، ولذلك وُصِفَت الأيّامُ بالصيغةِ الدالَّةِ على القِلَّة، لِتَتَناسَبَ مع الهدفِ من الكلام، وهو الاختصارُ الدالُّ على التقليل: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾.

أمّا الكلامُ في سورةِ آل عمران فإنه مُفَصَّلٌ مُطَوَّل قليلاً، فهو لا يَكتفي بمجردِ تسجيلِ زَعْمِ اليهود، وإنَّما يَدْعو إلى التعجبِ من موقفِ اليهودِ الاستعلائي، فإنهم عندما يُدْعَون إلى الاستجابةِ لحُكْمِ الله، يَرْفُضون تلك الدعوة، ويَتَوَلُّونَ ويُعْرِضون، ويُصرّونَ على باطِلهم، والسببُ في هذا زَعْمُهم أنهم لن يُعَذَّبوا في النارِ إلّا أياماً معدودات، واغترارُهم في دينهم، وتصديقُهم مزاعِمَهم.

وبما أنَّ الكلامَ في سورةِ آلِ عمران مُطَوَّلٌ مُفَصَّل، في عَرْضِ بعضِ صفاتِ اليهودِ وتصرفاتِهم وأقوالِهم، جاءَ بالصيغة الدالَّةِ على تكثيرِ الأيام، لتتناسبَ مع السياقِ الذي وَرَدَتْ فيه: ﴿قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾.

١١٧

جمع القلة بدل جمع الكثرة

بناءً على تَفريقِ الفادي الجاهلِ بينَ ﴿مَّعْدُودَةً﴾ و﴿مَّعْدُودَاتٍ﴾ على أَنَّ ﴿مَّعْدُودَةً﴾ جمعُ كَثْرَة، و﴿مَّعْدُودَاتٍ﴾ جمعُ قِلَّة، تابَعَ اعتراضه على القرآن، فأثارَ سُؤالَه السابعَ عَشَرَ بعد المئة، وجَعَلَه تابعاً لسؤالِه السابق، الذي ناقَشْناهُ فيه.

قال: «جاء في سورة البقرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٤] وكانَ يَجبُ أَنْ يَجمعَها جمعَ كَثْرَة، حيثُ إِنَّ المرادَ جمعُ كثرةٍ عِدَّتُه ثَلاثون يوماً، فيقول: أياماً معدودةً»[1].

ومعنى اعتراضِه أَنَّ شَهْرَ رمضانَ الواجبَ صيامُه ثلاثون يوماً، وهي أيامٌ كثيرة، فمن غيرِ المناسبِ أَنْ توصَفَ أَيّامُهُ بجمعِ القِلَّة ﴿مَّعْدُودَٰتٍ﴾، وإِنما توصَفُ بجمْعِ الكثرةِ: ﴿مَّعْدُودَةً﴾.

وعلى هذا يكونُ القرآنُ ـ في نظرِ الفادي ـ قد أَخْطَأَ، عندما قال عن أيامِ رمضان: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾، وكان الواجبُ أَنْ يَقول: أَياماً معدودة!!.

وقد سبقَ أَنْ ناقَشْناهُ في المبحثِ السابق، ورَفَضْنا كلامَه أَنَّ ﴿مَّعْدُودَٰتٍ﴾ جمعُ قلة، و﴿مَّعْدُودَةً﴾ جمعُ كثرة، وذَكَرْنا أَنَّ اللفظَيْن جمعُ قِلَّة. وأَنَّ ﴿مَّعْدُودَةً﴾ تُستعملُ مع العددِ الأَقل، و﴿مَّعْدُودَٰتٍ﴾ مع العَدَدِ الأَكْثر!.

نقول مثلاً: هذه عشرةُ أيامٍ معدودةٍ. وتقول: هذه ثلاثون يوماً معدودات!!.

ولذلك ذَكَرَ القرآنُ صفةً «معدوداتٍ» مع أَيامِ شهرِ رمضان الثلاثين: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾!.

١١٨

هل يجمع الاسم العلم؟

ذَهَبَ الفادي إلى أَنَّ القرآنَ جَمَعَ اسْمَ العَلَمِ المفردَ الأَعجميّ، وهذا لا يَجوزُ في اللغة، ولذلك خَطَّأَ القرآنَ.

قال: «جاءَ في سورةِ الصافات: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: ١٣٠ ـ ١٣٢]، فلماذا قال: ﴿إِلْ

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٠٩.

يَاسِينَ﴾ بالجمع عن «إلياس» المفرد؟ فمِنَ الخَطَأِ لغويّاً تَغييرُ اسْمِ العَلَمِ حُبّاً في السَّجْعِ المتكَلَّف.

وجاءَ في سورةِ التين: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: ١ ـ ٣]؛ فلماذا قال: ﴿سِينِينَ﴾ بالجمعِ عن سيناء؟ فمِن الخطأ لغويّاً تَغييرُ اسْمِ العَلَمِ حُبّاً في السَّجْع المتكَلَّف؟»[1].

﴿إِلْ يَاسِينَ﴾ في نظرِ الفادي جمعُ الاسْمِ الأعجميِّ «إلياس». و﴿سِينِينَ﴾ جمعُ الاسمِ الأعجميِّ ﴿سَيْنَاءَ﴾؛ فهل هذا صحيح؟.

نَقفُ أمامَ كلمةِ ﴿إِلْ يَاسِينَ﴾ أوّلاً.

في كلمةِ ﴿إِلْ يَاسِينَ﴾ قراءَتان صحيحتان:

الأولى: قراءةُ نافع وابنِ عامر: «سلام على آل ياسين». بإضافة «آل» إلى «ياسين». و«ياسين» هو «إِلْياس». و«آل ياسين» هم أَتْباعُهُ المؤمنون الذين آمَنوا به ودَخَلوا في دينِه. والسَّلامُ على آلِ ياسين سَلامٌ على إِلْياس نفسِه؛ لأَنَّه هو السببُ في هدايتِهم!.

الثانية: قراءةُ عاصم وحمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ بكسْرِ الألفِ وسكونِ اللّام.

و ﴿إِلْ يَاسِينَ﴾ ليس جمعَ إِلْياس، وإنما هو لغةٌ ثانيةٌ في «إِلْياس»، تقول: إِلْياس وإِلْياسين، كما نقول: إسماعيل وإسماعين، وجبرائيل وجبرائين، وميكائيل وميكائين، وإسرائيل وإسرائين. فتُقْلَبُ اللامُ نوناً في هذه الأسماءِ بهدفِ التسهيل. وفي إِلْياس، أُضيفَتْ له الياءُ والنونُ للتسهيلِ وليس للجمع.

وقد يُرادُ بكلمةِ ﴿إِلْ يَاسِينَ﴾ آلُ إلياس الذين آمَنوا به واتَّبعوه. وعلى هذا تكونُ ﴿إِلْ يَاسِينَ﴾ جمع، مفردُه «إِلْيَاسِيٌّ» بياءِ النِّسْبَة. تقول: إِلْياس. وعندما تَنْسِبُ إليه مَن اتَّبعَه تقولُ: إِلْياسِيٌّ. كما تقول: شافِع، ومع الياء تقول: شافِعِيّ.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٠٩.

وجمعُ «إلْياسِيّ»: «إلْياسِيّون» بالياءِ المشَدَّدَة. كما تقولُ في «شافِعيّ» شافِعِيّونَ. ثم حُذِفَتْ إحدى الياءَيْنِ للتَّسهيل، فصارت الكلمةُ «إلْياسون» وعندما جُرَّتْ بحرفِ الجَرِّ صارَتْ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾.

والمرادُ بكلمةِ ﴿إِلۡ يَاسِينَ﴾ على هذا التوجيه «آلُ إلْياس»، فآلُ إلياس هم «إلْياسون»، وهم المؤمنونَ به.

أَمَّا ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾: فهو اسْمٌ مكَوَّنٌ من جزأَيْن: ﴿طُورِ﴾: وهو اسْمُ جَبَلِ الطورِ الذي ذُكِرَ عدةَ مراتٍ في القرآن، وهو الموجودُ في سيناء، وناجى عليه موسى عليه السلام رَبَّه.

و﴿سِينِينَ﴾: وهو اسْمٌ لصحراءِ سيناءَ المعروفة، التي تَفْصِلُ بينَ مصرَ وفلسطين. وهي المرادَةُ في قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٍ لِّلۡأٓكِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٠]

وبالجمع بينَ آيةِ سورةِ المؤمنون ﴿طُورِ سَيۡنَآءَ﴾ وآيةِ سورةِ التين ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ نعرفُ أَنَّ للصحراءِ الواقعةِ بينَ مصرَ وفلسطين اسْمَيْنِ في القرآن: سيناء، وسينين، والكلمتان أعجميتان.

وبهذا نعرفُ أَنَّ القرآنَ لم يَجْمَع اسْمَ العلم الأعجميِّ المفرد؛ لأَنَّ هذا لا يَجوزُ في اللغة، وأنَّه لم يَفعلْ ذلك حُبّاً في السَّجْعِ المتكَلَّف، كما اتَّهمه الفادي الجاهلُ بذلك!!.

١١٩

بين اسم الفاعل والمصدر

اعترضَ الفادي على صياغةِ قولِ الله: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، واعتراضُه على جملةِ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾، حيثُ جاءَ خَبَرُ «لكنَّ» اسْمَ موصول، والموصولُ وصلتُه هنا بمعنى اسم الفاعل. والتقدير: ولكنَّ البرَّ المؤمنُ بالله!.

قال: «والصوابُ أَنْ يُقال: «ولكنَّ البِرَّ أَنْ تُؤمِنوا بالله»، لأَنَّ البِرَّ هو الإِيمانُ وليس المؤمنَ»[1].

صَحيحٌ أَنَّ البِرَّ هو الإِيمانُ وليس المؤمنَ، ولكنَّ الخَبَرَ في الحقيقةِ ليس اسْمَ الموصول «مَنْ»، وإِنما هو مَحذوف، و«مَنْ» في الحقيقةِ مضافٌ إِليه لمضافٍ محذوف. والتقدير: ولكنَّ البِرَّ بِرُّ مَنْ آمَنَ بِالله. أي: ولكنَّ البِرَّ بِرُّ المؤمن.

فلم يأْتِ اسْمُ الفاعل «المؤمن» في الآية بَدَل المصدر، كما فَهم الفادي الجاهل، وإِنما هو مُضافٌ إِليه لمضافٍ مَحْذوف: ولكنَّ البِرَّ بِرُّ مَنْ آمن.

١٢٠

لا يعطف المنصوب على المرفوع

اعترضَ الفادي على صياغةِ قولِه تعالى: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُواْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

واعتبرَ ﴿ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ المنصوب معطوفٌ على ﴿وَٱلْمُوفُونَ﴾ المرفوع، وهذا خَطَأ. قال: «وكانَ يجبُ أَنْ يُرفعَ المعطوفُ على المرفوع، فيقول: والموفونَ بعهدِهم... والصابرون...»[2].

﴿ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ ليستْ معطوفةً على ﴿وَٱلْمُوفُونَ﴾، وإِلّا لكانَتْ مرفوعة؛ لأَنه لا يَجوزُ عَطْفُ المنصوبِ على المرفوع.

إِنَّ ﴿ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ مفعولٌ به منصوبٌ بالياء، لفعلٍ محذوف، تقديرُه: «أَمدح» أَي: وأَمدحُ الصابرين في البأساء والضراء.

وقد سبقَ أَنْ ناقَشْنا الفادي المفتري في آيةٍ قريبةٍ من هذه الآية، وهي قولُه تعالى: ﴿لَّـٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٠٩.
(٢) المرجع السابق نفسه.

قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٦٢]؛ حيثُ ظَنَّ الفادي أنَّ ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ﴾ منصوبٌ لأنَّه معطوفٌ على المرفوعِ قبلَه: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ﴾، مع أنه منصوبٌ؛ لأنَّه مفعولٌ به لفعلٍ محذوفٍ تقديره: أَمْدَحُ المقيمين الصلاة.

١٢١

حكمة وضع المضارع بدل الماضي

اعترضَ الفادي على قولِ اللهِ تعالىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

قالَ في اعتراضِه: «كانَ يَجِبُ أَنْ يُعتبرَ المقامُ الذي يَقْتَضي صيغةَ الماضي لا المضارع، فيقول: ثم قالَ له: كُنْ، فكان»[1].

الكلامُ في الجملةِ عن خَلْقِ أَبي البشر آدمَ عليه السلام، فاللهُ خَلَقَه بكلمتِه التكوينية، ولَمّا سَوّاهُ من تُراب، قالَ له: ﴿كُن﴾، فكان، وصارَ إنساناً حَيّاً. و﴿كُن﴾ فعْلُ أَمْرٍ تامّ، يَحتاجُ إِلى فاعلٍ فَقَط، وهو ضميرٌ مستترٌ تَقديرُه: أَنْتَ. وهو بمعنى الوجودِ والتكوين. أَيْ: تَكَوَّنْ وتَشَكَّلْ كما نُريدُ.

والفاءُ في ﴿فَيَكُونُ﴾ حَرْفُ عطف. وجملةُ ﴿يَكُونُ﴾ معطوفةٌ على جملةِ ﴿كُن﴾. و﴿يَكُونُ﴾ فعلٌ مضارعٌ تامٌّ، وفاعلُه تقديرُه «هو» وجملةُ «يكونُ» في محلِّ رَفْعِ خبر لمبتدأ محذوف، تقديرُه: فهو يَكون. أَيْ: قالَ له: كُنْ، وتَكَوَّنْ، فهو كائِنٌ مُتَكَوِّنٌ كما أَمَرَهُ الله.

وكانَ المتوقَّعُ أَنْ يُعَبِّرَ بالماضي: ثم قالَ له: كُنْ فكان. لأَنه أَخْبَرَ عن خَلْقِ آدَمَ عليه السلام في بدايةِ تاريخِ البشريةِ، لكنَّهُ عَدَل عن الماضي إِلى المضارع، فقال: ثم قالَ له: كُنْ، فيكون. وذلك لكي نستحضرَ نحنُ في خيالِنا خَلْقَ أَبينا آدمَ عليه السلام؛ لأَنَّ المضارعَ يدلُّ على التجدُّدِ والاستمرارِ، والحيويةِ والتفاعل.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١١٠.

١٢٢

حكمة حذف جواب الشرط

اعترضَ الفادي على صياغةِ قولِه تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥]، وتساءَلَ عن جوابِ «لَمّا» وقال: «أينَ جوابُ لَمّا؟ ولو حَذَفَ الواوَ التي قبلَ ﴿أَوْحَيْنَآ﴾ لاستقام المعنى»(١).

اعتراضُه على حَذْفِ جوابِ «لَمّا». واقترحَ على القرآنِ حَذْفَ الواوِ من جملةِ ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾، لتكونَ هي جوابَ الشرط، فيكونَ التقديرُ: فلما ذهبوا به وأَجْمَعوا أَنْ يَجْعَلوهُ فِي غيابةِ الجُبِّ أوحينا إليه!!.

واعتراضُه متهافت، والأَفصحُ والأَبلغُ حذفُ جوابِ الشَّرْط... إنَّ «لَمّا» ظَرْفُ زمان للماضي، يتضمَّنُ مَعْنى الشرط. وجملةُ ﴿ذَهَبُواْ بِهِۦ﴾ فعلُ الشرط. وجملةُ ﴿وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّۚ﴾ معطوفة عليها. وجوابُ الشرطِ محذوف، تقديرُه: جَعَلوهُ في غيابةِ الجُبِّ. وجملةُ ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ استئنافية، ولا تَصْلُحُ أَنْ تكونَ جوابَ الشرط.

فيكون معنى الآية: لما ذَهَبَ الإِخوةُ بأَخيهم الصغيرِ يوسف، وأَجْمَعوا على التخلُّصِ منه، نَفَّذوا ما أَجْمَعوا عليه، وَوَضَعوه في غيابة الجب. ولما استقَرَّ الصغيرُ يوسفُ في غيابةِ الجُبِّ واسَيْناهُ وطَمْأَنّاه، وأَوحينا إليه بأنه سيتجاوزُ تلك المحنة، ويكونُ في وضعٍ مُريح، حيثُ سَيُنَبِّئُهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرونَ به، ولا يتوقَّعونَ أَنْ يكونَ هو.

وقد يكونُ من البلاغةِ ذِكْرُ جوابِ الشرطِ في الجملة، ولكنَّه قد يكونُ حَذْفُ جوابِ الشرطِ أحياناً هو الأَفصحَ والأَبلغَ. وبهذا يكونُ اعتراضُ الفادي على حَذْفِ جواب الشرط دليلَ جهلِه وغبائِه.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١١٠.

١٢٣

توهم الاضطراب بسبب عودة الضمائر

اعترضَ الفادي على قولِ اللهِ ﷻ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٨ ـ ٩].

ولْنقرأْ ما سَجَّلَه في اعتراضِه وانتقادِه وتخطئتِه. قال: «وهُنا نرى اضطراباً في المعنى، بسببِ الالتفات، من خِطابِ محمدٍ إلى خطابِ غيره. ولأنَّ الضميرَ المنصوبَ في قولِه: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ عائدٌ على الرسولِ المذكورِ آخِراً، وفي قوله: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ عائدٌ على اسم الجَلالةِ المذكورِ أوّلاً. هذا ما يَقتضيهِ المعْنى، وليسَ في اللفظ ما يُعَيِّنُهُ تَعييناً يُزيلُ اللَّبْس.

فإنْ كانَ القولُ: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ عائداً على الرسولِ يكونُ كُفْراً؛ لأنَّ التَّسبيحَ لله فقط. وإنْ كانَ القولُ: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ عائداً على اللهِ يَكونُ كُفْراً؛ لأنَّه تعالى لا يَحتاجُ لمنْ يُعَزِّرُهُ ويُقَوِّيه..»[1].

المشكلةُ عند الفادي في عودةِ الضمائرِ في الأفعالِ الثلاثة: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾؛ لأنَّ الضمائرَ في الأفعالِ الثلاثةِ لا بُدَّ أَنْ تَعودَ على واحِد، إمّا اللهُ وإمّا رسولُه، المذكوران في: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾... فإنْ عادت الضمائرُ الثلاثةُ على الرسولِ ﷺ كانَ القرآنُ مُخْطِئاً، لأنه يَدعو المؤمنينَ إلى تسبيحِ الرسولِ ﷺ، وتَسبيحُ البَشَرِ كُفْر... وإنْ عادت الضمائرُ الثلاثةُ على اللهِ كانَ القرآنُ مُخْطِئاً، لأنه يَدعو إلى تعزيرِ الله وتوقيرِه، وهذا كُفْرٌ، لأَنَّه يدلُّ على أنَّ الله يَحتاجُ إلى تعزيرٍ وتَوقيرٍ واحْتِرام!.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١١٠.

وقبلَ حَلِّ المشكلة نَقول: إنَّ تَعزيرَ اللهِ وتَوقيرَه سبحانه ليسَ كفراً؛ لأَنَّ التعزيرَ مَعْناهُ النَّصْرُ والتأْييد، والتوقيرَ مَعْناهُ التعظيمُ والإِجلال، وهل نَصْرُ الله وتَأْييدُه كُفْر؟ وهل تَعظيمُ اللهِ وإِجلالُه كُفْر؟!.

لقد دَعا اللهُ المؤمنين إِلى نَصْرَه، وربَطَ نَصْرَهُ لهم بنصْرِهم له، فقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧] فهل معنى هذا أَنَّ اللهَ ضَعيفٌ يَحتاجُ إِلى مَنْ يَنصُرُه؟ حاشَ لله. وهكذا نَفهمُ تَعزيرَ اللهِ وتأْييدَه، فهو لا يَحتاجُ إِلى تعزيرِ وتَأْييدِ أَحَد، والإِنسانُ هو المستفيدُ عندما يُعَزِّرُ اللهَ ويُؤَيِّدُه ويَنصرُه.

ولقد ذَمَّ اللهُ الكفارَ الذين لم يَقْدُروهُ حَقَّ قَدْرِه. قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١]. وأَنكرَ نوحٌ عليه السلام على قومِه الكافرين عَدَمَ توقيرِ اللهِ. قال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٣ ـ ١٤]. وهذا مَعناهُ أَنَّ توقيرَ اللهِ وتعظيمَه وإِجلالَه واجب.

بعد هذا البيانِ نَقول: للعلماءِ قولان في مَنْ عادَتْ عليه الضَّمائِرُ الثلاثة:

القولُ الأَوَّل: عادَ الضميرُ الأَوَّلُ والثاني على الرسولِ ﷺ: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾. بمعنى نَصْرِه واحترامِه وتوقيرِه وتَقديرِه. أَمّا الضميرُ الثالث: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ فإِنَّهُ يَعودُ على الله؛ لأَنَّ التسبيحَ لا يَكونُ إِلّا لله.

فتكونُ الواوُ في ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ حرفَ استئناف وليستْ حَرْفَ عَطْف؛ لأَنَّ ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ ليسَ مَعْطوفاً على ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾، فالتَّعزيرُ والتوقيرُ للرسولِ ﷺ. أَمّا التَّسبيحُ فإِنَّه لله.

القولُ الثاني: الضمائرُ الثلاثةُ تَعودُ على الله: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، والأَفعالُ الثلاثةُ معطوفةٌ على ﴿لِّتُؤْمِنُواْ﴾. ويكونُ المعْنى دعوةً إِلى الإِيمانِ بالله، وتَعْزيرِه، وتَوقيرِه، وتَسبيحه.

والراجحُ هو القولُ الثاني، فنحنُ مأمورونَ بالإِيمانِ بالله وتعزيرِه وتوقيرِه وتسبيحِه، على المعْنى الذي ذَكَرْناهُ في التعزيرِ والتوقير.

وبهذا يكونُ الفادي جاهلاً عندما ادَّعى اضطرابَ معنى الآية، وخَطَّأَ تَركيبَها وعودةَ ضمائرِها، وكان جاهلاً عندما ادَّعى أَنَّ توقيرَ اللهِ وتَعْزيرَه كُفْر!!.

١٢٤

هل صرف القرآن الممنوع من الصرف؟

اعترضَ الفادي على تنوينِ ﴿قَوَارِيرَاْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ ۝١٥ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان: ١٥ ـ ١٦]، كما اعترضَ على تنوينِ ﴿سَلَٰسِلَاْ﴾ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: ٤].

يرى الفادي أَنَّ ﴿قَوَارِيرَاْ﴾ ممنوعةٌ من الصرف، لأَنَّها على وَزْنِ «مَفاعيل»، مثلُ «مصابيح». والممنوعُ من الصرفِ لا يُنَوَّن، إلّا بشروط، لذلك أَخْطَأَ القرآنُ، في نظر الفادي في تنوين ﴿قَوَارِيرَاْ﴾ وصَرْفِها، كذلك أَخْطَأَ القرآنُ في ـ نظر الفادي ـ في تنوينِ وصَرْفِ ﴿سَلَٰسِلَاْ﴾، مع أَنها ممنوعةٌ من الصَّرْف، لأَنها على وَزْنِ «مفاعل».

وتوجيهُ تَنوينِ الكلِمَتَيْن الممنوعتَيْن من الصَّرْفِ «سلاسل» و«قواريرَ» سهل.

في كلمةِ «سلاسلَ» قراءتان صحيحتان:

الأُولى: قراءةُ نافع والكسائي وأَبي جعفر المدني، وروايةُ أَبي بكرٍ عن عاصم، وهشام عن ابنِ عامر: «سلاسلاً» بالتنوين.

والكلمةُ مُنَوَّنَةٌ على هذه القراءة، مع أَنها ممنوعةٌ من الصرفِ في الأَصْلِ، لوقوعِ كلمتَيْن مصروفتَيْن بعدها: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾، وحكمةُ تنوينها وصرفها مراعاةُ المزاوجةِ والجوار، ومراعاةُ المزاوجةِ طريقةٌ فصيحةٌ بليغةٌ ملحوظة، ولا تُسَمّى خطأً نحوياً في اللغةِ والقرآن، كما زَعَمَ الفادي الجاهل!.

الثانيةُ: قراءةُ ابنِ كثير وحمزةَ وأَبي عمرو ويعقوب وخلف وروايةُ حفصٍ عن عاصم: «سَلاسِلَ» بالفتحة فقط. على أَنه ممنوعٌ من الصَّرْف، لأَنه على صيغةِ منتهى الجموع.

وعليه يكونُ اعتراضُ الفادي الجاهل مَرْدوداً، فالكلمةُ ممنوعَةٌ من الصَّرْفِ على القراءتين، لكنها مُنَوَّنَةٌ على القراءةِ الأُولى للمزاوجةِ والمجاورة.

وفي كلمةِ قوارير في قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ ۝١٥ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ﴾ ثلاثُ قراءات:

الأُولى: قراءةُ نافع والكسائي: ﴿قَوَارِيرَاْ﴾.. ﴿قَوَارِيرَاْ﴾ بتنوينِ الكلمتَيْن، والوقوفِ عليهما بالأَلفِ، اتِّباعاً لرسْمِ المصحف؛ لأَنَّ الكلمتَيْن مكتوبَتان في المصحفِ بالأَلِف.

وتوجيهُ هذه القراءةِ أَنَّ تنوين «قواريرا» الأُولى ليس صَرْفاً لها، لأَنها ممنوعةٌ من الصَّرف، وإِنما تنوينُها مراعاةً للفاصلةِ في الآياتِ التي قَبْلَها وبَعْدَها، حيثُ خُتمتْ آياتُ السورةِ الواحدةُ والثلاثون كلُّها بكلماتٍ مُنَوَّنَة، فمن غيرِ المناسبِ أَنْ تأْتِيَ «قواريرَ» وَحْدَها ممنوعةً من الصَّرْف، وسْطَ ثلاثينَ آيةً مُنَوَّنَة! وهذا من روائعِ التناسقِ في السياقِ القرآني، وليس مَأْخَذاً عليه! وأَمَّا تَنوينُ ﴿قَوَارِيرَاْ﴾ الثانية فلمجاوَرَتِها ﴿قَوَارِيرَاْ﴾ الأُولى المنوَّنَة.

الثانية: قراءةُ ابنِ كثير وخَلَف: ﴿قَوَارِيرَاْ﴾ الأُولى بالتنوين. و﴿قَوَارِيرَاْ﴾ الثانية بالفتحةِ وليسَ بالتنوين. وحُجَّةُ تَنوينِ الأُولى موافقتُها للفاصلةِ في آيات السورةِ كما قَرَّرْنا، وحُجَّةُ عدمِ تنوينِ الثانيةِ عدمُ الاعتدادِ بالمجاورةِ والمزاوجة، واعتمادُ المنع من الصرف.

الثالثة: قراءةُ أَبي عمرو وابن عامر وحمزة، وروايةُ حفصٍ عن عاصم بعدمِ التنوينِ في الكلمتين: ﴿قَوَارِيرَاْ﴾... ﴿قَوَارِيرَاْ﴾. واعتمادِ القاعدةِ في منعِ الكلمتَيْن من الصرف؛ وتقديم القاعدةِ النحوية على رؤوس الآياتِ والمجاورةِ.

ولكنهم وقفوا على «قَوارير» الأُولى بالأَلِفِ، لأَنها رأسُ آية: ﴿وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ﴾.

بهذا التوجيهِ للقراءاتِ الثّلاثِ نَعرفُ خَطأَ وجهلَ الفادي المفتري في اعتراضه على القرآن، وأنه تكلَّمَ بشيء لا يَعرفُ عنه شيئاً، ورحمَ اللهُ امرأً عَرَفَ قَدْرَ نفسه!.

١٢٥

حول تذكير خبر الاسم المؤنث

اعترضَ الفادي الجاهلُ على قولِ اللهِ ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧]. وقال في اعتراضِه: «لماذا لم يُتْبِعْ خَبَرَ «لَعَلَّ» اسْمَها في التأنيث؟ ولماذا لم يَقُلْ: «قَريبة»؟»(١).

﴿ٱلسَّاعَةُ﴾ مُؤَنَّثة، وهي في الآية: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ اسْمُ «لَعَلَّ» منصوب. و: «قريبٌ»: خَبَرُ «لَعَلَّ» مرفوع.

والإشكالُ عند الفادي في تَذكيرِ الخبرِ ﴿قَرِيبٌ﴾ مع أَنَّ الاسْمَ ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾ مُؤَنَّث، ولا يَجوزُ أَنْ نَقولَ: الساعةُ قريب، وإنما نقولُ: الساعةُ قَريبة، ولذلك أَخْطَأَ القرآنُ ـ في زَعْمِه ـ لإخبارِه عن المؤنَّثِ بالمذكَّر!.

وفي توجيهِ هذا قولان:

الأول: ﴿قَرِيبٌ﴾ في الجملة: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ ليسَ خَبَرَ «لَعَلَّ»، ومن ثم ليس إِخْباراً عن الاسمِ المؤنَّثِ ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾. وإنما هو خَبَرٌ لمبتدأ محذوف، تقديرُه: موعد. فتكونُ جملةً اسميةً من مبتدأ وخبر: موعِدُها قريبِ. وهذه الجملةُ الاسميةُ في محلِّ رَفْع خَبَرِ «لعلَّ». فيكونُ السياقُ هكذا: وما يدريكَ لَعَلَّ الساعةَ موعِدُها قريب.

الثاني: ﴿قَرِيبٌ﴾ في القرآنِ وَصْفٌ لم يَأْتِ إِلّا مُذَكَّراً، فهو وَصْفٌ على وَزْنِ «فعيل»، لكنَّه بمعنى «فاعِل». أَيْ: قارِب. ولذلك جاءَ مُذَكَّراً، سواءٌ كانَ المخبَرُ عنه مُذكَّراً أَو مُؤَنَّثاً. ولم تَأْتِ صفةُ «قريبة» المؤنثةُ في القرآن.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١١١.

ومن مجيئِه وَصْفاً لمذكَّرٍ في القرآن قولُه تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ [البقرة: ٢١٤]. أَيْ: أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ موعدُه قريب.

ومن ذلك أيضاً قولُه تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا﴾ [الإسراء: ٥١].

ومن مجيئِه وَصْفاً لمؤنَّث، على تقديرِ كلمةٍ محذوفةٍ قولُه تعالى: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]. أَيْ: يكونُ موعدُها قريباً.

ومن ذلك أيضاً قولُه تعالى: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

ويمكنُ الجمعُ بين القولينِ بأنَّه بما أَنَّ ﴿قَرِيبٞ﴾ لم يأتِ إلّا مُذَكَّراً في القرآن. فهو صفةٌ لموصوفٍ مذكَّرٍ محذوف، هو «موعِد». أي: موعدُه قريب.

ولكنَّ الفادي الجاهلَ لا يَعرفُ أُسلوبَ القرآن، ولا مظاهرَ التعبيرِ فيه.

١٢٦

هل القرآن يوضح الواضح؟

اتَّهَمَ الفادي القرآنَ بأنَّه يُوَضِّحُ الواضِحَ، وهذا مَطْعَنٌ فيه، فما الدّاعي لذلك. واستشهدَ على ذلكَ بقولِه تعالى: ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ﴾ [البقرة: ١٩٦]. قال: «فلماذا لم يَقُلْ: «تلكَ عشرة» مع حَذْفِ «كامِلَة»، تلافياً لإيضاحِ الواضح؟ ومَنْ يَظُنُّ أَنَّ العشرةَ تِسْعَةَ؟!»[1].

تتحدثُ الآيةُ عن الواجبِ على مَنْ حَجَّ مُتَمتِّعاً، أَيْ يُؤَدّي مناسكَ العمرةِ من طَوافٍ وسَعْي، ثم يتحلَّل، وَيلبسُ ملابِسَه العادِيّة، ثم يُحرمُ بالحَجِّ يومَ الثامنِ من ذي الحجة، ويتوجَّهُ مع الحُجّاجِ إلى عَرَفَة، فهذا يَجبُ عليه أَنْ يَذبحَ هَدْياً، فإنْ لم يَجِدْ ثَمَنَ هَدْيٍ انتقلَ للصِّيام، بأَنْ يَصومَ في مكةَ ثَلاثةَ أيام، وإذا عادَ إلى بَلَدِه صامَ سبعةَ أَيام، فيكونُ المجموعُ عشرةَ أيام، يَصومُها

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١١١.

كاملة. قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌۗ﴾ [البقرة: ١٩٦].

ومعلومٌ أنَّ ناتجَ الثلاثةِ معَ السبعةِ عشرةٌ، فلماذا قال: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌۗ﴾؟ وهل هذا من بابِ تحصيلِ الحاصلِ وتوضيحِ الواضحِ؟.

الإشارةُ في ﴿تِلْكَ﴾ إلى حاصلِ جَمْعِ الثلاثةِ والسبعة. والتقديرُ: نتيجةُ جمع الأيامِ الثلاثةِ والسبعة هي عشرةُ أيّام.

وحكمةُ ذكْرِ الجملةِ: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌۗ﴾ هي التوكيدُ، ولإفادةِ تَقريرِ الحكم مَرَّتَيْن: مرةً بالتفريقِ: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْۗ﴾، ومرةً بالجمع: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌۗ﴾. وهذا كقولك: كتبتُ بيدي. فإضافةُ شبْهِ الجملةِ «بيدي» للتوكيد؛ لأنَّ الكتابةَ لا تكونُ إلّا باليد، فهو يُريدُ التأكيدَ على الكتابةِ الحقيقيةِ الحسية.

ولذكْرِ الجملةِ حكمةٌ أُخرى، وهي نفيُ التخيير، والتأكيدُ على الإيجابِ والإلزامِ بصيامِ العشرة أيام، لأنَّ تَفريقَ الأيام: ثلاثة وسبعة قد يَتَوَهَّمُ منه بعضُهم بأَنَّ المرادَ التخييرُ بين الثلاثةِ والسبعة، فنفت الجملةُ الأخيرةُ التخيير، وأَكَّدَتْ على أَنَّ المرادَ هو الإيجاب، فليست الرخصةُ في إِنْقاصِها عن عشرة، وإنما الرخصةُ في تفريقها بين ثَلاثَةٍ وسَبعة.

ووصْفُ العشرةِ بأنها كاملة: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌۗ﴾ ليسَ من بابِ توضيحِ الواضح، كما فَهِمَ الفادي الجاهل، وإنما من بابِ الحَثِّ على صيامِها كُلِّها كاملة، وعدمِ إنقاصِ أيِّ يومٍ منها، فإنْ أَنقصَ يوماً منها لم تَكُن العشرةُ كامِلَة. فالمرادُ بكَمالِها كَمالُ صيامِها، وليس كمالَ عَدِّها، ولن يكونَ عَدُّها كامِلاً إلّا أَنْ يكونَ صيامُها كاملاً، فكمالُ عَدِّها بكمالِ صيامِها!.

١٢٧

هل يأتي فاعلان لفعل واحد؟

اعترضَ الفادي على قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْۖ﴾ [الأنبياء: ٣].

وفَهِمَ الجاهلُ من الآيةِ اجتماعَ فاعِلَيْن لفعْلِ «أَسَرَّ»، وهما واوُ الجماعة، واسْمُ الموصولِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾. واقترحَ على القرآنِ حَذْفَ الواوِ من ﴿أَسَرُّواْ﴾، والاكتفاءَ باسم الموصولِ فاعلاً![1].

بدايةً نَقولُ: لا يَجُوزُ ورودُ فاعِلَيْنِ لفِعْلٍ واحِد، إلّا على رأْيٍ ضَعيفٍ في اللُّغَة، يُسَمّى لغةَ «أَكَلوني البَراغيث». والقرآنُ المعجزُ يُوَجَّهُ إلى أقوى اللغاتِ وأفصحِ الاختيارات، وأَرجحِ الاحتمالات، ويُرْبَأُ به عن اللغاتِ الضعيفةِ، والتَّأْويلات المتكَلَّفَة!.

وفي توجيهِ وُقوعِ الموصولِ بعدَ الضميرِ في ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أقوالٌ عديدة، تَعَرَّضَ لها معظمُ الذين فَسَّروا القرآنَ وأَعْرَبوه.

والراجحُ أنَّ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في مَحَلّ رفع بَدَلٍ من الضمير الفاعلِ في ﴿أَسَرُّواْ﴾. و﴿ظَلَمُواْ﴾ صلةُ الموصول. والتقدير: وأَسروا النَّجوى، الظالمون. وبما أنّها بَدَلٌ فإنَّه يُمكنُ ذِكْرُها بَدَلَ الفاعِل، فيصحُّ أَنْ تَقولَ: أَسَرَّ الذين ظَلَموا النجوى. أيْ: أَسَرَّ الظالمون النجوى.

واللطيفُ في الآية مجيءُ كلمتَيْنِ بَدَلَيْن من قبلِهما: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْۖ﴾. فجملةُ ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بَدَلٌ من الفاعل. وجملة ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْۖ﴾ بَدَلٌ من المفعول به ﴿ٱلنَّجْوَى﴾ ولو وَضَعْنا البَدَلَيْنِ مَكانَ المبْدَلِ منهما لكانَ التقدير: وأَسَرَّ الظالمونَ قَوْلَهم: هل هذا إلّا بشرٌ مثلُكم!.

وأنّى للفادي الجاهلِ أَنْ يَتَذَوَّقَ هذا التعبيرَ القرآنيَّ الرائع! ولأنه عجزَ عن الارتقاءِ إلى مستواهُ قامَ بانتقادِه وتخطئتِه.

١٢٨

اعتراض على الالتفات

اعترَضَ الفادي الجاهِلُ على قولِ اللهِ ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۖ

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١١١.

حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢].

قالَ الفادي: «لماذا الْتفتَ عن المخاطَبِ إلى الغائبِ قبلَ تمامِ المعنى؟ والأَصَحُّ أَنْ يَستمرَّ على خطابِ المخاطب!»(١).

بَدأَت الآيةُ بالخطاب: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾، والخطابُ للنّاسِ جميعاً، الذين يَسيرونَ في البَرِّ، ويَسيرونَ في البَحْر، سواء كانوا مسلمين أَو كافرين.

وعَرضت الآيَةُ مَشْهداً لهم وهم يَركبونَ في السفينةِ في البَحْرِ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾، وهذا المشهدُ يشملُ كُلّ الذين في السفينة، سواء كانوا مسلمين أَو كافرين.

وخطابُهم من بابِ الامتنانِ عليهم، وذِكْرِ نعمةِ اللهِ عليهم بتَسْييرِهم في البَرِّ والبَحْر.

ثم انتقلت الآيةُ للإخبارِ عن الكفارِ، وموقِفِهم من الخَطَرِ والكَرْب: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [يونس: ٢٢ ـ ٢٣].

والدليلُ على أَنَّ الكلامَ عن الكفار، في قولِه: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ قولُه في آخر المشهد: ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾، والمؤمنون لا يَفْعلونَ ذلك.

والوقفةُ الآنَ أَمامَ الجملةِ التي اعترضَ عليها الفادي: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١١١.

الالتفاتُ فيها من المخاطب: ﴿إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ إلى الغائب: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا﴾.

واللطيفُ في صياغةِ الآيةِ أَنَّ أَوَّلَ جملتَيْن فيها بصيغةِ الخِطاب: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾، ولعلَّ الخطابَ فيهما دَعوةُ السامعين إلى تَصوُّرِ المشهدِ وتَخيُّله واستحضارِه، فإذا استَحْضَروه وتَخيَّلوه، جاءَ الكلامُ بصيغةِ الغائب؛ لأَنَّ السامعين مُراقبونَ مُشاهدونَ، رُواة مُخْبِرون، وجاءَتْ سِتُّ جُمَل للروايةِ والإخبار: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾. والمشهدُ المعروضُ يناسبُه الإِخبارُ بصيغةِ الغائب، وليس الخطابَ المباشر.

واللطيف في الآية أَيْضاً أَنَّ فِعْلَ الشرط جاءَ بصيغةِ الخِطاب: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾، وجوابَ الشرطِ جاء بصيغةِ الغائب: ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾.

وهذا مَعناهُ أَنَّ القرآنَ المعجز «يُنَوِّعُ» في أَساليبِ تعبيرِه، و«يتفنَّنُ» في تَصويرِه وتَأْثيرِه.

١٢٩

حكمة إفراد الضمير العائد على المثنى

اعترضَ الفادي على عودةِ ضميرٍ مفردٍ على اثْنَيْن مذكورَيْنِ قَبْلَه. قال: جاء في سورة التوبة: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢]، فلماذا لم يُثَنِّ الضميرَ العائدَ على الاثنَيْن، اسمِ الجلالةِ ورسوله، فيقول: «أَنْ يُرْضوهما»[1].

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١١١.

تَذُمُّ الآيةُ المنافقين؛ لأَنَّهم يَحْرِصونَ على إرضاءِ المسلمين، فيحْلفونَ لهم الأَيْمانَ يَتبَرَّؤُونَ فيها من أَقوالٍ قالوها، وهم يَكْذِبونَ في تلك الأَيْمان، فترشدُهم الآيةُ إلى أَنه كانَ الأَوْلى بهم أن يَحْرِصوا على إِرضاءِ اللهِ ورسولِه.

لفظُ الجلالةِ ﴿ٱللَّهِ﴾ مبتدأ. و﴿رَسُولُهُۥٓ﴾ معطوفٌ عليه مرفوع. وأَفعلُ التفضيل: ﴿أَحَقُّ﴾ خبرٌ مرفوع. والمفَضَّلُ عليه محذوف، والتقديرُ: منكم. أيْ: اللهُ ورسولُه أَحَقُّ منكم أَنْ يُرْضوهُما. والمصدرُ المؤَوَّلُ من ﴿أَن يُرۡضُوهُ﴾ في مَحَلِّ رَفْعِ بَدَلٍ من المبتدأ والمعطوفِ عليه. والتقديرُ: إِرضاءُ اللهِ ورسولِه أَحَقُّ من إِرْضائِكم!.

ويُخَطِّئُ الفادي الآيَةَ لأَنَّ الضميرَ المفْرَدَ «الهاء» في «يُرْضوهُ» عادَ على الاثنَيْن: اللهُ ورسولُه. والأَوْلى عندَه أَنْ يَجيءَ الضميرُ مُثَنّى: «أَنْ يُرْضوهُما». أيْ: اللهُ ورسولُه أَحَقُّ أَنْ يُرْضوهُما.

وكلامُه مَرْدود، وهو دَليلُ جَهْلِه بقواعِدِ اللغةِ العربية، وأَساليبِ البيانِ فيها. فالهاءُ في ﴿يُرۡضُوهُ﴾ لا يعود على ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ معاً، وإنما يَعودُ على لفظِ الجلالةِ ﴿ٱللَّهُ﴾ أَوَّلاً، لأَنَّه أَوَّلُ المذكورَيْن، ثم يَعودُ على ﴿رَسُولُهُۥٓ﴾ بعدَ ذلك.. على أَنَّ العَطْفَ في ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ ...﴾ ليسَ من عَطْفِ الكلمات، وإِنما من عَطْفِ الجُمَل! وهذا هو الأَرْوَع والأَبْلَغ!.

إِنَّ جملةَ ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ جُملَتان في الحقيقة، والتقدير: اللهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضوهُ، ورسولُه أَحَقُّ أَنْ يُرْضوهُ. ولذلك عَبَّر بالضميرِ المفرد ﴿يُرۡضُوهُ﴾ ليعودَ على كُلِّ جملةٍ على حِدَةٍ!!.

وهناكَ حِكْمَةٌ أُخرى للتعبيرِ بالضميرِ المفرد ﴿يُرۡضُوهُ﴾، وهي الإِشارَةُ إِلى التفرقةِ بين الإِرضاءَيْن: إِرضاء اللهِ وإِرضاء رسولِه! فإِرضاءُ اللهِ هو الأَساس، وإِرضاءُ الرسولِ متفرِّعٌ عنه وتابعٌ له.

ومن غيرِ المناسبِ التعبيرُ بالضميرِ المثَنّى، العائد على اللهِ ورسولِه، لأَنه

يَجمعُ بين الخالقِ والمخلوقِ بضمير تثنيةٍ واحد، وهذا لا يَليقُ بتوحيدِ اللهِ، ولذلك كانَ التقدير: اللهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضوهُ، والرَّسولُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضوهُ.

وقد سمعَ رسولُ اللهِ ﷺ خطيباً يقول: «مَنْ يُطعِ اللهَ ورسولَه فقد رَشَد، ومَنْ يَعْصِهما فقد غوى!» فغضبَ رسولُ اللهِ ﷺ عَلَيْه وخاطَبَه قَائِلاً: «بئسَ خَطِيبُ القومِ أنتَ. وَيْحك، أَجعَلْتَني للهِ نِدّاً؟ قُلْ: ومَنْ يَعْصِ اللهَ ورسولَه فقد غوى!!».

فالرسولُ ﷺ اعترضَ على الخطيبِ عندما عَبَّرَ عن اللهِ ورسولِه بضميرِ التثنية، ودعاهُ إلى التعبير بالاسمِ الظاهرِ لِكُلٍّ منهما.

وهذا معنى ذَوقيٌّ توحيديٌّ، لا يَعرفُه الفادي، الذي تَقومُ عقيدتُه على المزْج بين الأُلوهيةِ والعبوديةِ في مبدأ التثليث، ولذلك دَعا القرآنُ إلى التعبيرِ بضميرِ التثنيةِ الجامعِ بين اللهِ ورسولِه!!.

١٣٠

كم قلباً للإنسان؟

اعترضَ الفادي على آيةٍ جمعَتْ قلْبَي امرأتَيْن، وعَنْوَنَ لاعتراضِه بقولِه: «أتى باسم جَمْعٍ بَدَلَ المثنّى». ومما جاءَ في اعتراضِه قولُه: «جاء في سورةِ التحريم: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] والخطابُ (كما يقولُ البيضاوي) موجَّهٌ لحفصةَ وعائشة. فلماذا لم يَقُلْ: «صَغا قَلْباكما»، بَدَلَ ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾، إذ إنَّه ليسَ للاثنتَيْن أَكثرُ من قَلْبَيْن؟»(١).

تَتحدَّثُ الآياتُ عن مشكلةٍ وَقَعَتْ بينَ ثلاثةٍ من أُمَّهاتِ المؤمنين، هُنَّ: حفصةُ وعائشةُ وزينبُ رضي الله عنهن، حيث تآمَرَتْ حفصةُ وعائشةُ على زينب، وأَشاعَتا حديثاً لرسولِ اللهِ ﷺ، فهدَّدَهما اللهُ بالعقاب، ودَعاهما إلى المسارعةِ

(١) هل القرآن معصوم؟ ص١١٢.

إلى التوبة. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٣ ـ ٤].

والذي أثارَ اعتراضَ الفادي إسنادُ القلوبِ للاثنَتَيْن: حفصةَ وعائشةَ رضي الله عنهما: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾. وإذا كان لكلٍّ واحدةٍ قلبٌ واحد، فكان المتوقَّعُ أَنْ يُعَبِّرَ بالمثنى، فيقول: فقد صَغَا قَلْباكما! ولذلك خَطَّأَ الفادي القرآن؛ لأنه ذَكَرَ الجمعَ بَدَلَ المثَنّى!.

وحكمةُ العُدول عن المثنى إلى الجمع: ﴿قُلُوبُكُمَا﴾ هي الرغبةُ في التخفيف والتسهيل، وكراهةُ اجتماعِ مُثَنَّيَيْن، فلو قالَ: «قلباكما» لاجتمعَ مُثَنَّيان: الاسْمُ البارزُ «قَلْبا»، وضميرُ التثنيةِ المضافُ إليه «كُما». والكلمةُ ثَقيلةٌ في النطق، وثَقيلةٌ على الأُذُن، فَعَدَلَ إلى الجَمْع ﴿قُلُوبُكُمَا﴾ طَلَباً للخِفَّة.

والقاعدةُ النحويةُ تُقَرِّرُ أَنه إذا أُضيفَ المثَنَّى إلى المثَنّى، فإنَّ المثَنّى الأَوَّلَ المضافَ يَصيرُ جَمْعاً للتخفيف: تقول: قلوبُكما، بَدَل: قَلْباكُما. وتقول: بيوتُكُما، بَدَل: بَيْتاكُما، وتقول: رؤوسُكما، بَدَل: رَأساكُما!!.

ثم إنَّ المرادَ بالجَمْع ﴿قُلُوبُكُمَا﴾ المثنى؛ لأَنَّ صيغةَ الجمعِ قد تُطْلَقُ على الاثنين، لأَنَّ أَقَلَّ الجمع اثْنان!.

وعندما يَقرأُ القارئُ قولَ الله: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ علم أَنَّ المرادَ قَلْبان وليسَ قُلوباً؛ لأَنَّ الخِطابَ لاثنَتَيْن، وبذلك أُمِنَ اللَّبسُ.

وهذه المعاني لا يَعرفُها الفادي الجاهلُ في اللغة، ولذلك اعترضَ على القرآنِ في استعمالِه الأَفصحَ والأَبلغَ.

❖ ❖ ❖

الفصل السادس

نقض المطاعن التشريعية

١٣١

لماذا قطع يد السارق؟

أَمَرَ اللهُ بقَطْع يدِ السارقِ والسارقةِ بشروطٍ خاصَّة. قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ [المائدة: ٣٨].

وقد اعترضَ الفادي على حُكْم اللهِ؛ لأَنَّه يُؤَدِّي إلى إصابةِ الإنسانِ بالإعاقةِ والبطالة، قال: «ونحنُ نَسأل: إذا كانَ القرآنُ وَضَعَ شريعةَ قَطْعِ يَدِ السارقِ، خِلافاً لكلِّ الشرائعِ السماويةِ والوضعية، أَلا يسيءُ هذا إلى الإنسانية؟ ويجعلُ أَصحابَ الأَيْدي المقطوعة، حتى بعدَ توبتِهم، عالَةً على المجتمع، يَعيشونَ فيه بمرارةٍ ناقِمينَ عليه؟ إنَّ قَطْعَ يَدِ السارقِ يَحرمُه من العمل، وكسبِ رزْقِهِ بعَرَقِ جَبينِه.. وجاءَ في كِتاب «الملل والنحل» للشهرستاني أَنْ قَطْعَ يَدِ السارقِ عُقوبةٌ جاهلية، فلماذا شَرَعَ محمدٌ عوائِدَ الوَثَنِيّين الذميمةَ في دينِه؟»[1].

واعتراضُ الفادي متهافتٌ مَرْدودٌ عليه، وإنه يتطوَّعُ للدِّفاع عن السارق، الذي يَظلمُ ويَطْغى، ويَسرقُ ويَتَعَدّى، ويأْخُذُ غيرَ حَقِّه، ويَترُكُ المسروقين المظلومين، الذينَ ذَهبَتْ أَموالُهم، وضاعَتْ جُهودُهم، وتلاشَتْ أَعمالُهم!! إنهم قد عَمِلوا واجْتَهدوا، وتَعِبوا وكَدّوا، حتى حَصَّلوا أَموالَهم، ثم جاءَهم رجلٌ كَسولٌ ظالم، لا يَملكُ إلّا العُدوان، فأَخَذَ ما تَعِبوا به، وتَمَلَّكَه في لَحظة! فماذا يُقَدِّمُ الفادي المعترضُ لهؤلاء؟.

وبماذا يُعاقِبُ الفادي هذا السارق، الذي اعْتَدى على غَيْرِه، وأَخَذَ ما لا يَحِلُّ له، وبذلك صارَ عالةً على العاملين المجتَهِدين، يأْخُذُ ثمرةَ كَدِّهم. لقد

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١١٥.

اكتفى الفادي بتخطئةِ القرآنِ الذي أَمَرَ بقَطْعِ يَدِه، ولم يَذْكُرْ لنا العقوبةَ الإِنسانيةَ الرحيمةَ الرقيقةَ التي تتفقُ مع الرأفةِ والرِّقَّة، إلّا إذا كانَ الفادي يَرى أَنْ لا يُعاقَبَ السارقُ مطلقاً؛ لأَنَّ عِقابَه لا يَتفقُ معَ إِنسانيةِ الإِنسان، أَمّا قِيامُه بالسرقةِ والاعتداء على الآخرينَ فلا شيءَ فيه!!.

إِنَّ قَطْعَ يَدِ السارق تأديبٌ له، فاللهُ هو الذي مَنَحَهُ اليَدَ ليكسبَ بها ويَعتاشَ ويرتزق، ولكنَّه حَوَّلَها إِلى أَداةٍ للعدوان، فناسَبَ أَنْ تُقْطَع، وأَنْ تُزالَ القُوَّةُ الباغيةُ التي يَعْتَدُّ بها، ويَعْتَدي بها على الآخرين، وهو الذي أَساءَ لنفسِه وليدِه، وهو الذي عَطَّلَها عن مهمتِها الإِيجابية، وحَوَّلَها إِلى وسيلةٍ تخريبية، ولذلك أَدَّبَهُ اللهُ بقَطْعِها.

وإِنَّ قَطْعَ يَدِ السارقِ ليس حُكْماً بشريّاً قابلاً للخَطَأ والصواب، والتَّغييرِ والتَّبديل، وإِنما هو حُكْمُ الله، الذي أَنزلَه اللهُ للتنفيذ، والذي لا يَقْبَلُ التبديل، ولا يَعْتَريه الخطأ، ولا يَقِفُ أَمامَه اعتراضٌ أَو تخطئةٌ أَو اقتراح؛ لأَنَّ كُلَّ مسلمٍ يوقِنُ أَنَّ ما أَمَرَ اللهُ بِه فهو الحَقّ، وما حَكَمَ به فهو الصّواب! واللهُ الحكيمُ الذي خَلَقَ الإِنسانَ يَعلمُ ما يُصلحُه فأَمَرَ به، ويَعلمُ ما يُفسِدُه فنَهىٰ عنه! ولعلَّه لأَجْلِ هذا خُتِمَتْ آيَةُ الأَمْرِ بقطعِ يَدِ السارقِ بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. ونقولُ للفادي الجاهل: أَأَنْتَ أَعلمُ أَم الله؟!.

أَمّا زَعْمُ الفادي المفتري أَنَّ قَطْعَ يَدِ السارقِ عُقوبةٌ جاهلية، وإِحالَتُه على كتابِ الشهرستانيِّ لنُصَدِّقَه، فهذا زُعْمٌ باطل، وافتراءٌ مردود، فلم يكن العربُ الجاهليّون يُعاقبونَ السارقَ أَصْلاً، فَضلاً عَنْ أَنْ يَقْطَعوا يَدَه! ولأَنَّ الفادي صاحِبُ هَوى، فإِنَّه يَبحثُ في كتبنا الإِسلاميةِ عن قولٍ يُوافِقُ هَواه وكَذِبَه، فإِنْ وَجَدَه سَجَّلَه وفَرِحَ به، كما فَعَلَ مع القولِ الذي نَسَبَه للشهرستاني، ولا يُهِمُّه إِنْ كانَ صحيحاً أَو باطلاً!.

إِنَّ قَطْعَ يَدِ السارقِ عُقوبةٌ إِسلاميةٌ مُتَميِّزَة، تَفَرَّدَ بها الإِسلام، فلم تَرِدْ في غيرِه منَ المبادئِ السماويةِ أَو الأَرضية، وهي حَقٌّ وصَوابٌ لأَنَّها من عندِ الله.

١٣٢

معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾!

اعْترضَ الفادي على حُكْم شَرْعيٍّ يَتعلّقُ بالطَّلاق، فللرجلِ على امرأتِه أنْ يُطَلِّقَها ثلاثَ طَلْقات، فإنْ طَلَّقَها الطلقةَ الثالثةَ حَرُمَتْ عليه، ولا تَحِلُّ له إلّا بعدَ أنْ يَتزوَّجَها رجلٌ آخر، ويُطَلِّقَها إنْ شاء! وقد وردَ هذا الحُكْمُ صَريحاً في قَـــولِ اللهِ ﷻ: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

وذَكَرَ الفادي خَبَراً عن البيضاويِّ يُعتبرُ سَبَباً في نزولِ الآية، وقد وَرَدَ هذا الخبرُ في الصحيحَيْن. روى البخاريُّ ومسلمٌ عن عائشةَ ﵂ قالت: تَزَوَّجَ رفاعَةُ القرظيُّ امرأة، ثم طَلَّقَها، فتزوَّجَتْ آخر، فأتَت النبيَّ ﷺ، فذكرَتْ أنه لا يَأْتيها، وأنه ليسَ معه إلّا مثْلُ هُدْبَةِ الثوب! فقالَ ﷺ: «لا، حَتّى تَذوقي عُسَيْلَتَه ويَذوقَ عُسَيْلَتَك».

ومعنى الحديثِ أنَّ رفاعةَ القرظيَّ طَلَّقَ امرأتَه ثَلاثَ تَطليقات، وبذلك حَرُمَتْ عليه، فتزوَّجَتْ رَجُلاً آخر ـ هو عبدُ الرحمن بنُ الزبيرِ في بعضِ الروايات ـ وكان مُصاباً بالعَجْز الجِنْسِيّ، وذَكَرُهُ مُتَراخٍ كقطعةِ القِماش، فلم يُعاشِرْها، فأَرادَتْ أَنْ تَعودَ لزوجِها الأَوّل، وأخبرتْ رسولَ اللهِ ﷺ، فمنعَ ذلك إلّا بَعْدَ أَنْ يُعاشِرَها زوجُها الثاني، وعَبَّرَ عن الجِماعِ بذَوْقِ العُسَيْلَة. ودَلَّ هذا على اشتراطِ جِماعِ الزوجِ الثاني لها، حتى تَعودَ إلى زَوْجِها الأَوّل: ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾.

واعترضَ الفادي على الحُكْم الذي تُقَرِّرُه الآية. قال: «وكثيراً ما تكونُ امرأةٌ، لها زَوْجٌ عظيم، وأولادٌ وبنات، هم سادَةُ مجتمعهم، وفي حالةِ غَضَبٍ يُطَلِّقُها زوجُها، ثم يَنْدَمُ على ما فَعَلَ، فإذا الشرعُ القرآنيُّ يُلْزِمُ هذه السيدةَ أَنْ تُجامعَ غيرَ زوجِها قبلَ أَنْ تَعودَ إليه!»[1].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١١٥.

إنَّ الفادي يَرفضُ الطلاقَ ويُحارِبُه ويُنكرهُ، ويُخَطِّئُ القرآنَ لأنه أباحَه، وهو يَعتبرُ زواجَ المرأةِ المطلَّقَةِ بزوجٍ آخَرَ جَريمة.

وانظرْ إلى عبارتِه البذيئةِ الوقحة، التي يعتبرُ فيها الزواجَ الثانيَ لها زِنى، ويَعتبرُ زوجَها الثاني زانياً، وهي زانية، ويَعتبرُ القرآنَ داعياً إلى الزنى! «فإذا الشرعُ القرآنيُّ يُلزِمُ هذه السيدةَ أَنْ تُجامِعَ غيرَ زوجِها قبلَ أَنْ تَعودَ إليه!».

اللهُ يَقولُ: ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ﴾، والنِّكاحُ هو عقْدُ الزواج، وما يَترتَّبُ عليه من جِماعٍ ومعاشرةٍ زوجيَّة، فلا بُدَّ لزوجِها الثاني من أَنْ يُجامعَها حتى تَعودَ لزوجها الأَوَّل، كما صَرَّحَ الرسولُ ﷺ لامرأةِ رِفاعة.

وحَرَّفَ الفادي المحَرِّفُ المجرمُ الجملة القرآنية إلى قوله: «يُلزم القرآن هذه السيدةَ أَنْ تُجامِعَ غيرَ زوجها»! فهو يَعتبرُ إتيانَ الرجلِ الثاني لها مُجَرَّدَ جِماع، والجِماعُ بدونِ زَواجٍ هو الزِّنَى بعينِه!! فالقرآنُ في نَظَرِ الفادي الفاجرِ يَدْعو إلى الزنى والفجور!!.

واللهُ حكيمٌ في تشريعِه الطَّلاق، وفي تحديدِ الأَحكامِ المترتبةِ على كُلِّ طَلْقَة، وحُكْمُه صحيحٌ وصَوابٌ في تحريمِ الزوجةِ على زوجِها بعدَ الطلقةِ الثالثة، وبَعْدَما تنتهي عِدَّتُها منه تكونُ هي بالخَيار، فإنْ تَقَدَّمَ لها رَجلٌ آخرُ جازَ أَنْ تتزوَّجَه، ولا بُدَّ أَنْ ينكحَها ويُعاشِرَها ويُجامعَها، وغالباً قد لا يُطَلِّقُها، فإنْ بَدا له أَنْ يُطَلِّقَها، فإنه يَجوزُ أَنْ يَتزوَّجَها زوجُها الأَوَّل، بعد انقضاءِ عِدَّتِها من زواجِها الثاني! وليس في هذه الأَحكامِ القرآنيةِ عيبٌ أَو ذَمٌّ أَو خَطأٌ واعتراض!!.

١٣٣

حول شهادة المرأة وضربها وميراثها

اعترضَ الفادي على القرآنِ في حديثِه عن المرأة، من حيثُ شهادتُها وميراثُها وإباحةُ ضَرْبِها، وجَعَلَ عنوانَ اعتراضِه: «هَضْمُ حقوقِ المرأةِ في المعاملةِ الزوجيةِ والشهادةِ والميراث».

قالَ عن إباحةِ ضَرْبِ المرأةِ في القرآن: «جاء في سورةِ النساء: ﴿وَالَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤]. فلماذا يُقَنِّنُ القرآنُ للرجلِ أَنْ يَضْرِبَ زوجَته؟!»(١).

يَرفضُ الفادي إباحةَ ضربِ المرأة، ويعتبرُ هذا الضربَ اعتداءً عليها، ويُخَطِّئُ القرآنَ في ذلك!!.

إنَّ الآيةَ تتحدَّثُ عن وسائلَ ناجعةٍ لعِلاجِ المرأة، عند ظهورِ بداياتِ النشوزِ والتمردِ عندها، وقبلَ أَنْ يَستفحلَ النُّشوزُ عندَها، وتُعلنَ تَمرُّدَها. وهذا لا يُصيبُ كُلَّ الزوجاتِ، إنما يُصيبُ بَعْضَهن، ومعظمُ الزوجاتِ المسلمات ملتزماتٌ بأَحكام الشرع، تَعرِفُ الواحدةُ منهنَّ واجِبَها فتؤَدّيه، وتَعرفُ حَقَّهَا على زوجِها فتأْخُذُه، فالآيةُ لا تضعُ تشريعاً لكلِّ الزوجات، وإنما للنسبةِ القليلةِ الناشزةِ منهن!.

وتُرشدُ الآيةُ زوْجَ الناشزِ إلى اتخاذِ ثَلاثِ خُطواتٍ مُتدرجة، فإنْ تَمَّ العِلاجُ في الأُولى فَبِهَا ونِعْمَتْ، وإلّا انتقلَ للثانية، والثالثةُ آخِرُ الخَيارات: ﴿فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾.

الخطوةُ الأُولى: وَعْظُ الزوجة، وتَذْكيرُها بالله، وتَحذيرُها من عاقبةِ نُشوزِها.

الخطوةُ الثانية: هَجْرُها في المضْجَع، بأَنْ يتوقَّفَ عن معاشرتِها.

الخطوةُ الثالثة: ضربُها تأديباً لها، وقد يكونُ عندَ بعضِ النساءِ انحرافٌ نفسيٌّ أَو سلوكي، ولا يُقَوِّمُ هذا الانحرافُ إلّا بضرْبها ضَرْباً خَفيفاً، واللهُ الذي خَلَقَ النساءَ يَعلمُ ذلك من بعضِهن، فشرعَ ضَرْبَها الخَفيفَ لتقويمِ ذلك الانحراف.

وعندَ الاضطرارِ إلى اللجوءِ إلى الخطوةِ الثالثةِ فإنَّ الإسلامَ يَدْعو الزوجَ إلى أَنْ يكونَ الضَّرْبُ خَفيفاً غيْرَ مُبرِّح، وأَنْ لا يتركَ آثاراً على الوَجهِ أَو البَدَن

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١١٥.

وأن لا يكون أمامَ الآخَرين، وأَنْ لا يَقترنَ بالسَّبِّ والشتْمِ والذَّمِّ والتقبيح، وأَنْ لا يَكونَ دائماً مُتَواصِلاً، وإنما في حالات استثنائيةٍ نادرة!.

وقالَ الفادي في اعتراضِه على حديثِ القرآنِ عن شهادةِ المرأة: «وجاءَ في سورةِ البقرة: ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

فلماذا تكونُ شهادةُ امرأتَيْن بشهادةِ رجلٍ واحد، مع أَنها في أَحيانٍ كثيرةٍ قد تَفوقُ رَجُلَها في العقلِ والثقافةِ والشخصيةِ»(١).

ليست الشهادةُ في الآيةِ مُطْلَقَة، وإنما هي شهادَةٌ مُقَيَّدَة، متعلقةٌ بموضوعِ الآيَة، وهو الكلامُ على «الدَّيْنِ» وكيفيةِ كتابتِه وإقرارِه والشهادةِ عليه. وَوَجَّهَ القرآنُ المسلمينَ إلى الإشهادِ على الدَّيْنِ بشاهدَيْن رجلَيْن، فإنْ لم يَجِدوا رجلَيْن، فيمكنُ أَنْ يستشهدوا برجُلٍ وامرأتَيْن.

لماذا شهادةُ امرأتَيْن مقابلَ الرجل؟ الجوابُ في الآية: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾. أَيْ أَنَّ المرأتَيْن تَتعاونانِ وتَتكاملانِ في الشهادة، فإنْ ضَلَّتْ إحْدى المرأتَيْن تَفاصيلَ القضيةِ الماليةِ المرفوعة، ذَكَّرَتْها صاحبتُها بتلك التفاصيل، وكُلٌّ واحدةٍ معرضةٌ للضَّلالِ والنسيان، فتُذَكِّرُها الأُخرى بما نسيَتْه!.

ولا يَعني شهادةُ المرأتَيْن بشهادةِ رجلٍ اتِّهامَ المرأةِ في عَقْلِها وشخصيتِها، كما فهمَ الفادي خطأً، فللمرأةِ عَقْلُها وتفكيرُها وحفْظُها، وقد تفوقُ الرجلَ في ذلك!.

إِنَّ المسألَةَ مالية، تتعلَّقُ بتفاصيلِ الدَّيْنِ وملابساتِه وكتابتِه وإجراءاتِه، وهذه أُمورٌ لا تَعني النساءَ غالِباً، ولا تَلفتُ انتباهَهُنّ، ولو اكْتُفِيَ بشهادةِ امرأةٍ

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١١٦.

واحدةٍ في هذا الموضوعِ المالي فقد تَنْسى كثيراً من التفاصيل، وبذلك قد تُضَيِّعُ حَقَّ الرجل، ولذلك اشترطَ القرآنُ اجتماعَ امرأتَيْن للشهادة، بحيثُ تُذَكِّرُ كُلُّ واحدةٍ الأُخْرى، وبذلك تُؤَدَّى الشهادةُ على وجْهِها، ولا تَضيعُ الحقوق.

أَما الرجالُ فإِنَّ التفصيلاتِ الماليةَ تَعْنيهم غالباً؛ لأَنها تَتفقُ مع مهمتِهم التي خَلَقَهم اللهُ لها، ولذلك يَحفظونَها ويَعرضونَها بدِقَّة!.

وقالَ الفادي في اعتراضِه على القرآنِ بشأْنِ نصيبِ المرأةِ من الميراث: «وجاءَ في سورةِ النساءِ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ﴾ [النساء: ١١] فلماذا يُعطي المرأةَ نصْفَ نَصيبِ الرجل، مع أَنَّ الحياةَ تَقْسو على المرأةِ أَحْياناً أَكثر من قسوتِها على الرجُل؟ إِنَّ القسمةَ ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ﴾ من أَصلِ الجاهلية، جاءَ في كتابِ بُلوغ الأَرب: وأَوَّلُ مَنْ قَسَمَ للرجلِ مثلَ حَظِّ الأُنثيَيْن عامرُ بنُ جَهْم الجُهَني».

الزعمُ بأَنَّ إِعطاءَ الرجُل مثلَ حَظِّ الأُنثيَيْنِ تَشريعٌ جاهِليٌّ زَعْمٌ باطِلٌ مردود، رَدَّدَهُ الفادي الجاهلُ، ونَسبَهُ إِلى كتابٍ غيرِ مُوثَّق! إِنهُ تَشريعٌ إِسلاميٌّ قرآني، وَرَدَ النَّصُّ عليه في القرآن.

وليس فيه هَضْمٌ لحقوقِ المرأةِ كما ادَّعى الفادي، وإِنما هو يتفقُ مع طبيعةِ المرأة ومهمَّتها ووظيفتِها في الحياة. فالإِسلامُ قد كَرَّمَ المرأةَ وصانَها واحترمَها، ومَنَحَها شخصيَّتَها الماليةَ المستقلة، وأَباحَ لها جمعَ الأَموال وتملُّكَها، في الوقتِ الذي لم يوجِبْ عليها إِنفاقَ شيءٍ من أَموالِها على الأُسرة.

جعلَ الإِسلامُ الإِنفاقَ على الرجلِ في البيت، سواء كانَ أَباً أَو زوجاً أَو أَخاً أَو ابناً، ولو كانت النساءُ في البيت يمتلكْنَ الأَموالَ فإِنَّه لا يَجبُ عليهنَّ إِنفاقُ شيءٍ من أَموالِهن، وعلى الرجلِ أَنْ يُرَتِّبَ أَمْرَه ويُنفقَ ولو بالاستدانة.

ولذلك ناسبَ أَنْ يُعطى الرجلُ المأمورُ بالإِنفاقِ مثلَ حَظِّ الأُنثيَيْنِ، اللتَيْن لا يجبُ عليهما إِنفاقُ شيء. وسبحان اللهِ الحكيم في خلْقِه وفعلِه وتشريعِه!.

١٣٤

حول تعدد الزوجات

اعترضَ الفادي المفتري على القرآنِ لإباحَتِه تَعَدُّدَ الزوجات. وقالَ في اعتراضِه: «جاءَ في سورةِ النساء: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ﴾ [النساء: ٣].

وقد فَسَّرَ البيضاوي: ﴿مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ﴾ بالسَّراري. ونحنُ نسأل: أليسَ تَعَدُّدُ الزوجاتِ والتَّسَرّي مُخالِفاً لسُنَّةِ اللهِ منذُ بَدْءِ الخَليقةِ؟ خَلَقَ اللهُ حَوَّاءَ واحدةً لآدمَ واحد.. ونحنُ نُكرمُ الرجولةَ باحترامِ الأُمَّهاتِ والأَخَواتِ والبَناتِ والزَّوجات، ومَنْ يُفْسِدِ البيتَ يُفْسِد الإنسانية، وفي تَعَدُّدِ الزوجاتِ إفسادٌ لأَخلاقِ الرجلِ بالمظالم، وتأْخيرٌ لنَجاحِ الأَولاد، وإهانةٌ للزوجات، وتدميرٌ للتقدمِ الاجتماعيِّ والسلامةِ القومية»[1].

تَعَدُّدُ الزوجاتِ في نظرِ الفادي المفتري جريمةٌ عظمى، ومفاسِدُها وأَخطارُها عديدة، فهو مُخالفٌ للفطرةِ والسنةِ الإلٰهية، لأَنَّ اللهَ خَلَقَ لكلِّ رجلٍ امرأةً واحدة، فإذا أَخَذَ الرجلُ امرأَتَيْن أَو أَكثرَ كان مُتَعَدِّياً على حَقِّ غيرِه، وتَعَدُّدُ الزوجاتِ إهانةٌ للمرأة، وإفسادٌ للأَخلاقِ وللأَولادِ وللبيوت، ونَشْرٌ للظُّلم، وتدميرٌ للمجتمع والإنسانية! يا لطيف! أَكُلُّ هذه الجرائمِ والمفاسدِ ناتجةٌ عن تعدُّدِ الزوجات؟!.

إنَّ تَعَدُّدَ الزوجاتِ مُباحٌ في الإسلام، وليسَ واجباً على كُلِّ رجلٍ متزوِّج، والواقعُ العمليُّ أَنَّ معظمَ المتزَوِّجين لا يَأْخذونَ بهذه الرخصة، وأَنَّ الذين يُعَدِّدونَ الزوجاتِ أَعدادٌ قليلةٌ جِدّاً.

ثم إنَّ الإسلامَ عندما أَباحَ تَعَدُّدَ الزوجاتِ اشترطَ على الرجلِ العَدْلَ والمساواةَ بين الزوجاتِ، وحَرَّمَ عليه أَنْ يَميلَ لامرأةٍ على حِسابِ الأُخْريات،

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١١٦.

كما اشترطَ عليه القدرةَ الماليةَ والجسدية والجنسية على التعدُّد، فإنْ لم تتحقَّقْ تلك الشروطُ كان التعدُّدُ حراماً.

وإنَّ تعدُّدَ الزوجاتِ حَلٌّ لمشكلاتٍ عديدةٍ عندَ الرجلِ والمرأةِ والبيتِ والمجتمع، ولا يكون الحَلُّ بغيره، وإنَّ اللهَ الذي أَباحَ تَعَدُّدَ الزوجاتِ وأَذِنَ به يَعْلَمُ حاجةَ الرجالِ إليه أَحياناً، ولكنه لم يَجْعَلْه مَفْتوحاً، وإنما وَضَعَ له الشروطَ، كي لا يتحوَّلَ إلى مفسدة!.

ولا أَدري لماذا يَشُنُّ النَّصارى والغربيّون عُموماً على تَعَدُّدِ الزوجاتِ هذه الحربَ الشَّرِسَة، ويثيرونَ حولَه الشبهاتِ والاتِّهامات، وماذا يَضيرُهم لو عَدَّدَ بعضُ الرجالِ زوجاتِهم، إذا كانَتْ مُشكلاتُهم ومُشكلاتُ النساءِ العوانس لا تُحَلُّ إلّا بالتَّعَدُّد!!.

ولماذا يُحاربونَ تَعَدُّدَ الزوجات، وقد كانَ التَّعَدُّدُ منتشراً بين الناس، من قديم الزمان. وقد ذَكَرَ العهدُ القديمُ ـ الذي يَعتبرُه النَّصارى جزءاً من دينِهم ـ أَمثلةً عديدةً لأَنبياء عَدّدوا الزوجات، وفي مقدمتِهم داودُ وسليمانُ ﵉! فهلَ كانَ النبيانِ داودُ وسليمانُ مخطئَيْنِ عندما عَدَّدا الزوجات؟ أَم أَنَّهما لم يُعَدِّدا؟ وهلّ يمكنُ للفادي أَنْ يُكَذِّبَ العهدَ القَديم ويبقَى مؤمناً؟!.

وإذا كان النَّصارى الغربيّون لا يُعَدِّدونَ الزوجات، ويَعتبرونَه جريمةً ومفسدةً ودَماراً، فإنهم يُمارسونَ فاحشةَ الزِّنى مع العشيقات والخليلات، يُخالِلُ الرجلُ منهم في الوقتِ الواحدِ أَكثرَ من عشيقة، ويُغَيِّرُ ويُبَدِّلُ في عشيقاتِه كما يَشاء، ولو عَدَّ الرجلُ الغربيُّ النساءَ العشيقاتِ اللّواتي زَنى بهنَّ فقد يصلُ العددُ إلى مئةِ عشيقةٍ أَو أَكثر! وقُلْ مثلَ هذا في عُشّاقِ المرأة، الذين تُعاشِرُهم وتَرتكبُ معهم الفاحشة، فقد يَزيدُ عددُ الرجالِ الذينَ زَنَوا بها عن مئة!.

فالذينَ يَرفعونَ أَصواتَهم في الاعتراضِ على تَعَدُّدِ الزوجات، وتخطئةِ القرآنِ الذي أَباحه، يُمارسونَ تَعَدُّدَ العشيقاتِ الزانيات، وتَحَدَّثْ عن امتهانِ المرأةِ العشيقةِ واحتقارِها، وتَحَدَّثْ عن المفاسدِ والمصائبِ والخسائر، التي

تَنتجُ عن تَعَدُّدِ العشيقات! ولا مُقارنةَ بين عظمةِ القرآنِ عندما حَدَّدَ العَدَدَ الأَقصى بأَربعِ زوجاتٍ عفيفات، وبينَ الإباحيةِ الغربيةِ التي لا تَجعلُ قَيْداً على عَدَدِ العشيقاتِ الزانيات!!.

١٣٥

هل الطلاق خطأ؟

خَطَّأَ الفادي القرآنَ في إباحتِه الطَّلاق. قال: «جاءَ في سورة البقرة: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [البقرة: ٢٣٦]. أباحَ القرآنُ للرجلِ بإرادتِه المنفردةِ، بدونِ رجوعٍ لأَحَدٍ في ما يُريد، أَنْ يَهدِمَ أُسرتَه، ويُقَوِّضَ أَركانها، ويُشَتِّتَها، فيوقعُ يَمينَ الطلاقِ على زوجتِهِ، ومن المبكياتِ أَنْ نَرى الرجل المسلمَ إذا تشاجَرَ خارجَ البيتِ وحَلَفَ اليَمينَ ثلاثاً يَطرُدُ زوجَتَهُ الآمنةَ من بيتِها، لا لسببٍ إلّا لأَنه حَلَفَ في مشاجرةٍ لا ناقةَ للمرأةِ فيها ولا جَمَل! ثم يَقولونَ: «إنَّ أَبغضَ الحلالِ عندَ اللهِ الطلاق»! فكيفَ يُحَلِّلُ اللهُ شَيْئاً يَكرهُه؟ أَليسَ الأَصَحُّ أَنَّ ما يَكرهُه يُحَرِّمُه؟»[١].

يمنعُ النصارى الطلاقَ، ولا يوقعونَه إلّا في حالاتٍ خاصةٍ نادرةٍ جدّاً، تُضبطُ فيها الزوجةُ متلبِّسَةً بالزِّنى، وإذا لم يكنْ تَفاهُمٌ بين الزَّوْجَين عندهم، فإنَّ كُلّاً منهما يَذهبُ في حالِ سَبيلِه، يَبحثُ الرجلُ عن عشيقاتِه يَزْني بهنّ، وتَبحثُ هي عن عُشّاقِها يَزْنونَ بها! ومعَ ذلك يَبْقى الزوجانِ أَمامَ الناسِ زوجَيْن، يَربطهُما رباطُ الزواجِ المقَدَّس! لأَنَّ المهمَّ عِندهم هو المحافَظَةُ على المظاهرِ الاجتماعية!!.

ولذلك يُحاربون الإسلامَ الذي أَباحَ الطَّلاقَ، ويُخَطِّئونَ القرآنَ الذي ضَبَطَه ونَظَّمَه، ويَعتبرونَ الطلاقَ عدواناً على المرأةِ وظُلْماً لها.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١١٦ ـ ١١٧.

وإنَّ اللهَ حَكيم، وهو يَعلمُ أَنَّ بعضَ الأَزواجِ قد لا يكونُ بينهم أُلْفَةٌ وائتلاف، وقد لا يَكتشفونَ هذا إلّا بعدَ الزواج، وقد تقعُ الخلافاتُ بين الزوجَيْن، ولا تنفعُ معها كُلُّ محاولاتِ الإِصلاح! فما هو الحَلُّ؟ هل الحَلُّ أَنْ يَذهبَ كُلٌّ منهما إِلى حالِ سبيله يَبحثُ عن قضاءِ شهوتِهِ عن طريقِ فاحشةِ الزنى؟ وهل الحلُّ أَنْ يتحوَّلَ بيتُ الزوجيةِ إِلى سجنٍ لهما، يَقضيانِ فيه عقوبةَ السجنِ المؤبَّدِ إِلى أَنْ يَموتَ أَحَدُهما فيَستريحَ الآخَر؟.

الحَلُّ الصحيحُ هو أَنْ يَفْترقا بإِحسان، كما اجْتَمعا بإِحسان، أَيْ أَنْ يُطلِّقَ الرجلُ امرأَتَه، وسوفَ يُعوِّضُه اللهُ خَيراً منها يَتفقُ معها، ويُعوضُها اللهُ خيراً منه تتفقُ معه.

وقد ذَكَرَ الفادي جملةً شائعةً تتردَّدُ على أَلسنةِ الناس، لكنها جملةٌ خاطئة، وهي: «إِنَّ أَبغضَ الحَلالِ إِلى اللهِ الطلاق!». وهي خاطئةٌ لأَنَّ اللهَ لا يُحَلِّلُ شيئاً ثم يُبغضُه ويكرهُه، وإِذا كانَ يَكرهُه فلماذا أَباحَه؟!.

اللهُ أَباحَ الطَّلاقَ، وجَعَلَه حَلّاً لمشكلاتٍ بينَ الزوجين، لا تُحَلُّ إِلّا به، وبهذا يكونُ الطلاقُ آخرَ العِلاج، وقد يكونُ آخر العلاج الكَيّ بالنَّار!.

ولا نُنكِرُ أَنَّ كَثيراً من الرجالِ يَتَعسَّفونَ في الطَّلاق، ويُسيئونَ استْخدامَه، فيُطَلِّقونَ لأَتْفَهِ الأَسباب، وبذلكَ يَظْلِمونَ الزوجات، ولكنَّ الخَطَأَ يَبْقى مَحْصوراً فيهم، ولا يُلامُ القرآنُ على إِباحته إذا أَساءَ الرجالُ استِخْدامَه، والحَلُّ هو أَنْ يُعَلَّمَ ويُرَبّى ويُؤَدَّبَ هؤلاء، بَدَلَ أَنْ يُتَّهَمَ الإِسلامُ بسببِ الطلاق!.

١٣٦

حول جلد الزاني والزانية

اعترضَ الفادي على حَدِّ الزِّنى المذكور في القرآن. قال: «جاءَ في سورةِ النور: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢]،

ونحنُ نسأَل: هل إِيقاعُ هذه العقوبةِ البدنيةِ عَلَناً يُصْلِحُ المخطئَ ويُطَهِّرُ قَلْبَه».

ثم أَوردَ قصةَ المسيح ﷺ عندما رُفِعَتْ له قضيةُ امرأةٍ زانية، فطلَبَ منه اليهودُ أَنْ يرجُمَها بالحجارة؛ لأَنَّ عقوبةَ الزنى في شريعةِ موسى ﷺ هي الرجم، فقالَ لهم عيسى: مَنْ كانَ منكم بلا خطيئة فلْيَرْمِها بحَجَر.. فانْسَحَبوا من حولِها، فعَفا المسيحُ عنها، ونَصَحَها أَنْ تتوقَّفَ عن الزِّنى[1].

أَيْ أَنَّ الفادي يَرى أَنْ لا يُعاقَبَ الزاني والزانيةُ بأَيةِ عقوبة، سواء كانت العقوبةُ رَجْماً أَو جَلْداً أَوْ غيرَ ذلك!.

أَليست العقوبةُ للردع والتأْديبِ والتربية؟ الفادي يَنفي ذلك، ويَكْتَفي بالنصحِ والوعظِ والتذكير، بأَنْ يُقالَ للزاني: لا تَزْنِ، ويُقالَ للزانية: لا تَزْني! وكأَنَّ هذا كافٍ للقَضاءِ على انتشارِ الزِّنى في المجتمعات!.

اللهُ الحكيمُ شرعَ عقوبةَ الزنى، ليرتدعَ الزناة، لا سِيَّما إِذا تَمَّ إِيقاعُ العقوبةِ على مشهدٍ من الناس! بحيثُ يُجْلَدُ كُلٌّ من الزاني والزانيةِ مئةَ جلدة: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقد رَدَّت الآيةُ على اعتراضاتِ الفادي وأَمثالِه، الذين قد يَتَّهِمونَ العقوبةَ بالشدَّةِ والعنف، ويَدَّعونَ الرحمةَ والرأفة. فقالت: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾. أَيْ: لا تَدَّعوا الرأفةَ بالزاني والزانية، فحمايةُ المجتمعِ من فاحشةِ الزنى وآثارها المدمرةِ أَوْلى من الرأفةِ بالذين يَرتكبونها، وعليكم أَنْ تُطَبِّقوا عليهم حكْمَ الله؛ لأَنَّ الحكمةَ والمصلحةَ مرتبطةٌ بحكم الله.

١٣٧

حول إباحة التسري

اعترضَ الفادي على إِباحةِ التَّسَرّي في القرآن. قال: «جاءَ في سورةِ

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١١٧.

النساء: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٣]، وجاءَ في سورة الأحزاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]. ونحنُ نسأل: هل هذا لكرامةِ النبيِّ والمسلمين؟ وهل هذا لكرامةِ الزوجاتِ والبناتِ والأَوْلاد؟ وهل هذا لتقدُّمِ الأُسرةِ والأُمةِ والمجتمع؟!»[١].

التَّسَرّي هو الاستمتاعُ بالجاريةِ الرقيقةِ التي هي «مِلْكُ اليمين»! ويَعْتبرُ الفادي هذا التَّسَرّيَ إِذْلالاً للمرأة، ولا يَتفقُ مع كرامتِها وكرامةِ المجتمعِ الإِسلامي!.

والتَّسَرّي بالجواري مرتبطٌ بنظامِ الرِّقِّ، الذي كان نظاماً سائِداً في العالَمِ القديم، فالإِسلامُ لم يَصْنَعْه، وإِنما وَجَدَهُ نظاماً عالميّاً، فعملَ الإِسلامُ على ضَبْطِهِ وتنظيمِه وتوجيهِه، كما عَمِلَ على التَّقليلِ منه وتَجفيفِه، تمهيداً للتخلُّصِ منه! ولذلك لا يُلامُ الإِسلامُ لضبطِ وتنظيمِ الرق، إِنما يُمْدَحُ ويُثْنى عليه لهذا الضبطِ والتنظيم!.

المصدرُ الوحيدُ المعترفُ به في الإِسلام للاسترقاقِ هو الكفارُ المقاتلون للمسلمين من الرجالِ والنساءِ، فإِذا انهزَمَ الكفارُ في الحربِ فقد يَقَعُ بعضُ رجالِهم ونسائِهم المقاتلين بأَيْدي المسلمين، فيكونون عَبيداً وأَرِقّاء، سواءً كانوا رجالاً أَو نساء!.

كيفَ يكونُ وَضْعُ هؤلاءِ العبيدِ بينَ المسلمين؟ هل يُتْرَكونَ على رُؤوسهم، لينْشُروا المفاسِدَ بين المسلمين؟ الحلُّ هو أنْ «يُوَزَّعوا» على المسلمين، ليكونوا عَبيداً لهم، تُؤَمَّنُ لهم حاجاتُهم! وبذلك تَكونُ السَّبايا المقاتِلاتُ الكافراتُ في بيوتِ المسلمين، وتُصبحُ الواحدةُ منهنَّ أَمَةً جارِيَةً في بيتِ سَيِّدِها، يتكفَّلُ سَيِّدُها بكلِّ حاجاتها. ومن ذلك حاجتُها الجنسية، حيثُ يَتَسَرَّى بِها ويُعاشرها وتكونُ «مِلْكَ يَمينِه»، فإِنْ أَنجبَتْ منه وَجَبَ عليه أَنْ

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١١٧ ـ ١١٨.

يُعتِقَها ويُحَرِّرَها، لأنَّها أُمُّ وَلَدِه! هل هذا إذلالٌ لها وإفسادٌ للمجتمع؟ كما يقولُ الفادي المفتري!.

ما هو الحَلُّ عند الفادي وأَمثالِه، الذينَ يُحاربونَ التَّسَرّي والاستمتاعَ بالجاريةِ مِلْكِ اليَمين؟ نساءٌ كافراتٌ مُقاتِلات انهزمْنَ في المعركةِ وأُلقيَ القبضُ عليهنّ؟ وبعدَ كُلِّ معركة تُؤْخَذُ عَشَراتٌ من النساءِ بهذهِ الطريقة، بحيثُ يَصِلُ عَدَدُهن إلى أُلوف!.

ماذا يُفْعَلُ بِهِنّ؟ هل يُتْرَكْنَ في مُدُنِ المسلمين، يَتَجَوَّلْنَ ويَعِشْنَ حياتَهُن كما يُرِدْن؟ ومَن المسؤولُ عنهنّ؟ ومَن المتكفِّلُ بهنّ؟ ومَنِ الذي يُراقبهُن؟ أَلا يتحَوَّلْنَ إلى مُخَرِّباتٍ فاسِداتٍ مُفْسِدات؟ أَلا يُتَاجِرْنَ بأَعراضِهنَّ لإغواءِ أَبناءِ المسلمين؟ أَلا يَنْشُرْنَ الفاحشةَ والرذيلةَ بين المسلمين؟ ومَنْ هو المسلمُ العاقلُ الذي يرضى بهذا؟.

لقد ضَبَطَ الإِسلامُ حياتَهُنّ، بأَنْ أَعطى كُلَّ واحدةٍ لرجلٍ مسلم، فصارَ مَسؤولاً عنها، ومتكفِّلاً بحاجاتِها، ومنها الحاجة الجنسية، ودَعاهُ إِلى عِتْقِ ما في مُلْكِ يَمينهِ من هؤلاء النساء بمختلفِ الأَسبابِ والصور! هذا هو الحَلُّ الصَّوابُ والتصرفُ السليم، وهو الذي شَرَعَهُ اللهُ العليمُ الحكيم.

١٣٨

الحجاب الحافظ للمرأة

اعترضَ الفادي على القرآنِ في دعوتِه المسلماتِ إِلى الحجابِ ليحفَظْنَ أَنفسهُنَّ من الخطر.

قال: «جاءَ في سورةِ النور: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. وجاءَ في سورةِ الأحزاب: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩].. ونحنُ

نَسألُ: هل يمنعُ حجابُ المرأةِ عينَ الرجلِ الشِّرّيرِ مِنْ أَنْ تَشْتَهي؟ إِنَّ عينَ الشِّرِّيرِ تَرى بعينِ الخَيال!.

ولقد تَحَدَّثَ الإنجيلُ عن الولادةِ الجديدةِ وتَغييرِ القلبِ بعَمَلِ الروحِ القُدُسِ، الذي نَتيجتُه: أَنْ تَخْلَعوا من جهةِ التصرفِ السابقِ الإِنسانَ العَتيقَ الفاسدَ بحسَبِ شَهَواتِ الغُرور، وتَتَجدَّدوا بروحِ ذِهْنكم، وتَلْبَسوا الإِنسانَ الجديد، المخلوقَ بحسبِ الله، في البِرِّ وقَداسَةِ الحَقّ»(١).

الحجابُ مُحافَظَةٌ على المرأةِ المسلمة، وتكريمٌ لها، وبه تَسْتُرُ المرأةُ عورَتَها، ولا تَفْتنُ بها الآخَرين. ولكنَّ الفادي يُنكرُ على القرآنِ دعوتَه المرأةَ المسلمة إِلى التَّحَجُّبِ والتَّعَفُّفِ والتَّسَتُّر والتَّطَهُّرِ، ويَرى أَنه لا داعيَ ولا حاجةَ له!

لماذا؟ لأَنَّ هذا الحجابَ لا يَمنَعُ عينَ الرجلِ الشِّرِّيرِ من أَنْ تَشتهيَ المرأَةَ المتحجِّبَة؛ لأَنَّ عينَ الشّرّيرِ تَرى بعينِ الخيال! أَيْ أَنَّ الرجلَ الشّريرَ يَنظرُ للمرأةِ المحجَّبَة، ويَشْتَهيها، ويتخيَّلُها بخَيالِه عارية!!.

الحَلُّ عندَ الفادي أَنْ لا تَتَحجَّبَ المرأةُ، وأَنْ لا تَسْتُرَ فتنَتَها وزينَتَها عن الرجلِ الشرير، وإِنما الحَلُّ في تربيةِ الرجُل، وإِزالةِ الشَّرِّ من قَلْبه، وإِماتةِ الشَّهَواتِ من نفسِه، وملءِ قلْبِه بالبِرِّ والحَقّ، ولذلك نَقَلَ نَصّاً من الإِنجيلِ يَدْعو فيه إِلى ميلادٍ جديدٍ للإِنسان، وتغييرِ قَلْبه وكيانِه ليتحوَّلَ من الشهواتِ إِلى الحَقِّ!.

والإِسلامُ الذي يَدْعو المرأَةَ المسلمةَ إِلى السِّتْرِ والتَّحَجُّبِ، يَعلمُ أَهميةَ الحجابِ في المحافظةِ على المرأة، وفي نَشْرِ العفافِ والفضيلةِ في المجتمع. وهو في نفسِ الوقتِ الذي يَدْعوها للحجابِ يَلتفتُ إِلى الرجُل، ويَدْعوهُ إِلى التعفُّفِ والتطهُّر، وعدمِ الاستعبادِ للشهوات، وعدمِ ارتكابِ المحَرَّمات. ولذلك أَمَرَ الرجالَ بغَضِّ البصرِ وحفظِ الفرْج قبلَ أَمْرِ النساءِ بذلك. قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠ ـ ٣١].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١١٨ ـ ١١٩.

وإذا نَظَرَ الرجلُ إلى المرأةِ نظرةً خِلْسَةً فعينُه خائِنَة، واللهُ يَعْلَمُ خِيانَتَها. قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

إنَّ التربيةَ القرآنيةَ متكاملةٌ متناسِقَة، فالقرآنُ يُرَبّي كُلّاً من الرجلِ والمرأة، ويأخُذُ بأَيْديهما، ويَرْتَقي بهما إلى عالمِ التَّسامي والفضائلِ والكمالات.

١٣٩

هل شعائر الحج من الوثنية؟

ادَّعى الفادي المفتري أَنَّ بعضَ شعائِرِ الحَجِّ أُخِذَتْ من الوثنية، مثلُ السَّعْيِ بينَ الصَّفا والمَرْوَة.

قالَ: «جاءَ في سورةِ البقرة: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ...﴾ [البقرة: ١٥٨]». قالَ البيضاوي: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾: هما عَلَما جَبَلَيْنِ بمكَّة. ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾: من أَعلامِ مناسِكِه، جمعُ شعيرة، وهي العَلامة. ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ﴾: الحَجُّ لغةً: القصد، والاعتمارُ: الزيارة، فَغَلَبا شَرْعاً على قَصْدِ البيتِ الحرام وزيارَتِه، عَلى الوجهين المخصوصَيْن. ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾: كانَ إساف على الصَّفا، ونائلة على المروة، وكانَ أَهْلُ الجاهلية إذا سَعَوا مَسَحوهُما، فلما جاءَ الإِسلامُ وكُسِرَت الأَصنامُ، تَحَرَّجَ المسلمونَ أَنْ يَطَّوَّفوا بينَهما لذلك، فنزلَتْ، والإِجماعُ على أَنَّه مَشروعٌ في الحَجِّ والعمرة!.

«ونحنُ نسأَل: كيفَ يَجعلُ القرآنُ الشعائِرَ الوثنيةَ شعائِرَ الله؟ وهل كان الوَثَنِيُّون مُلْهَمين فيها من الله؟»[1].

إنَّ تساؤُلَ الفادي خَبيث، وهو يَهدفُ إلى التشكيكِ في أَحكامِ القرآن، والاعتراضِ عليها، ونفيِ أَنْ تكونَ من عندِ الله.

---

(١) هل القرآن معصوم، ص١١٩.

كانَ العربُ في الجاهليةِ يَحُجّونَ على طريقتِهم، ويَطوفونَ بالبيت، ويَسعونَ بينَ الصَّفا والمروة، ويَقِفونَ بعَرَفات، ويُقيمونَ في مِنى. ولما جاءَ الإسلامُ أَمَرَ المسلمينَ بالحَجِّ، واعتَبَرَهُ رُكْناً من أركانِ الإسلام.

ومن أركانِ الحَجِّ السعيُ بينَ الصَّفا والمروة، بنَصِّ الآيةِ المذكورة، وبفعْلِ رسولِ اللهِ ﷺ. صَحيحٌ أَنَّ العربَ الجاهليّين الوثنيّين كانوا يَسعونَ بينَ الصَّفا والمروة، لكنَّ القرآنَ لم يَأْخُذ تشريعَه عنهم، كما يَزعمُ الفادي المفتري، فليس في مناسِكِ الحَجِّ شيءٌ من شعائرِ الجاهلية.

إنَّ الحَجَّ مرتبطٌ بإبراهيمَ وإسماعيلَ عليهما السلام، فهما اللَّذان بَنَيا البيتَ الحرام، أَوَّلَ بيتٍ وُضِعَ للناسِ في الأرضِ لعبادةِ الله، ولما فَرَغا من بنائِه أَمَرَ اللهُ إبراهيمَ عليه السلام أَنْ يُؤَذِّنَ في الناسِ بالحَجّ، فَفَعَل، وحَجَّهُ أَوَّلُ فوجٍ من الحُجّاجِ زمنَ إبراهيمَ عليه السلام. قالَ تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٦ ـ ٢٧].

واستمرَّ الناسُ يَحُجّون، منذُ إبراهيمَ عليه السلام، يَتوارَثونَ الحَجَّ منذُ ذلك التاريخ، لكنَّهم يَرتكبونَ فيه كَثيراً من مظاهرِ الشركِ والمخالفات. فلما جاءَ الإسلامُ طَهَّرَ الحَجَّ من ممارساتِ الجاهليّين الباطلة، وأَعادَ له صِلَتَهُ الإيمانية بإبراهيمَ عليه السلام، وأَعطاهُ طابَعَهُ الإيمانيّ، وجَعَلَه عبادةً خالصةً لله عز وجل. وبذلك صارَتْ شعائرُ الحَجِّ إسلاميةً ربانية، وليستْ وثنيةً جاهلية!.

ومما يُؤَكِّدُ هذا المعنى الحوارُ الذي دار بين عروةَ بنِ الزبير وخالتِه عائشة رضي الله عنها.

روى البخاريُّ ومسلمٌ عن عروةَ بنِ الزبير: أَنه قالَ لعائشةَ رضي الله عنها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾. فما أرى على أحد شيئاً أن لا يطوف بهما! فقالَتْ عائشة: لو كانَتْ كما تَقولُ لكانَتْ: «فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما». إنما أُنزلَتْ

هذه الآيةُ في الأنْصار، كانوا يُهلّونَ لمناة، وكانَتْ مَناةُ حَذْوَ قُدَيْد، وكانوا يتحرَّجون أنْ يَطَّوَّفوا بينَ الصفا والمروة، فلما جاءَ الإِسلامُ سألوا رسولَ اللهِ ﷺ عن ذلك، فأنزلَ اللهُ الآية. . .

تُصَحِّحُ عائشةُ ﵂ لابن أُخْتِها عروةَ بنِ الزبيرِ معنى الآية، فقد فَهِمَ عُروةُ من الآيةِ أنها تُبيحُ للحاجِّ أو المعتمرِ عَدَمَ الطَّوافِ بهما، فبيَّنَتْ له أَنَّ الآيةَ توجِبُ عليه الطوافَ بهما، وأنه لو كانَ مَعْناها كما فَهِمَ عروةُ لقالَتْ: «فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما».

ثم ذَكرتْ عائشةُ ﵂ مُناسبةَ نُزولِ الآية، وأَشارَتْ إلى بعضِ ممارساتِ العربِ الجاهليّين في الحج، فكانَ العربُ من أَهْلِ المدينة لا يَطوفونَ بينَ الصّفا والمروة، فلما أَسْلَموا ورأَوا المسلمينَ من المهاجِرين يَفْعلونَ ذلك سأَلوا الرسولَ ﷺ، فأنزلَ اللهُ الآيةَ يَأمرُ المسلمين أَنْ يَسْعَوْا بينَ الصَّفا والمروة، ويُزيلُ التحرجَ الذي كانَ عليه أَهْلُ المدينةِ قبلَ الإسلام: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾.

وبهذا نعرفُ افتراءَ الفادي المفتري عنْدَما جعلَ السعيَ بين الصَّفا والمروةِ شعيرةً وثنيةً جاهلية! فهو تَشريعٌ قرآني، وأَمْرٌ ربّاني، وعبادةٌ خالصةٌ لله!.

١٤٠

حول إباحة التجارة في موسم الحج

اعترضَ الفادي على وُرودِ آيةٍ قرآنيةٍ تُبيحُ التجارةَ في موسمِ الحَجِّ؛ لأَنَّ الأَمْرَ سَهْلٌ لا يَستدعي نَصَّ القرآنِ عليه!.

قال: «جاءَ في سورةِ البقرة: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٩٨]. كانَ العربُ في الجاهليةِ يَتَّجرون في أَسواقِ عُكاظ ومَجَنَّةَ وذي المَجاز، وكانَ لهم مواسم، فكانوا يُقيمونَ بعُكاظَ عِشْرين

يوماً من ذي القعدة، ثم يَنْتقلون إلى مَجَنَّة، وهي عند عَرَفَة، فيُقيمونَ بها ثمانيةَ عَشَرَ يوماً، عشرةُ أيامٍ من آخِرِ ذي القعدة، وثمانيةُ أيام من أَولِ ذي الحجة، ثم يَخْرُجون إلى عَرَفَة.

فلما كانَ الإسلام، فكأنهم تَأَثَّموا أَنْ يَتَّجروا في الموسمِ، فأَجازَ لهم محمدٌ ذلك.

وعن أَبي ماجه [الصحيح: أَبي أُميمَة] التيمي قال: كُنتُ رَجُلاً أُكْرىٰ في هذا الوَجْه، وكانَ الناسُ يقولونَ لي: إِنَّه ليسَ لَكَ حَجّ، فلقيتُ ابْنَ عُمَرَ وسأَلْتُه عن ذلك، قال: إنَّ لك حَجّاً. وجاءَ رجلٌ إلى محمد، فسأَلَه عن ذلك، فلم يُجِبْهُ، وأخيراً قال بالجَوَازِ... ونحنُ نَسأَلُ: هل كَانَ في الأَمْرِ شيءٌ جَديدٌ يَحتاجُ إلى وَحْي؟ أَليسَ إباحَةُ محمدٍ للتجارة في موسمِ الحَجِّ شيئاً عاديّاً يتَناسَبُ مع مَصالحِ العَرَبِ الدنيويَّة؟»[1].

الروايةُ الصحيحةُ في نزولِ الآيةِ ليستْ هكذا، فالفادي يأْخُذُ الروايةَ من مصادرَ غيرِ موثوقة، علاوةً على تصرُّفِهِ في كلماتِ النَّصِّ الذي أَمامَه.

روى البخاريُّ عن ابنِ عباس رضي الله عنهما قال: كانَتْ عُكاظُ ومَجَنَّةُ وذُو المجاز أَسْواقاً في الجاهلية، فتَأَثَّموا أَنْ يَتَّجِروا في المواسِمِ، فنزلَت الآيَة: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾: في مواسِمِ الحج.

والروايةُ في السببِ المباشرِ لنزولِ الآيةِ أخرجَها أبو داود وأَحمدُ عن أَبي أُمامَةَ التيمي قال: قُلْتُ لابنِ عُمَر: إنّا قَوْمٌ نُكْرى، فهل لنا حَجّ؟ قال: أَليسَ تَطوفونَ بالبيت، وتَأْتونَ المعَرَّفَ، وتَرمونَ الجِمارَ، وتَحْلِقونَ رُؤوسَكم؟ قُلْنا: بَلى.. قال: جاءَ رَجُلٌ إلى النبيّ ﷺ فسأَلَه عن الذي سأَلْتَني عنه، فلم يَدْرِ ما يَقولُ له، حتى نَزَلَ جبريلُ عليه السلام عليه بهذه الآية: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ...﴾ فقالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَنتم حُجّاج.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١١٩ ـ ١٢٠.

واعتراضُ الفادي على الآيةِ دَليلُ جَهْلِه، فقد ظَنَّ لجَهْلِهِ أَنَّ الأَمْرَ لا يَسْتَدعي نُزولَ الآيةِ بإِباحةِ التجارةِ في موسمِ الحج؛ لأَنَّ العَرَبَ في الجاهليةِ كانوا يُتاجرون، والأَصْلُ بَقاءُ الأَمْرِ على ما كانَ عليه، فما الدّاعي لإِنزالِ آيةٍ تُبيحُ شَيْئاً هو مُباح؟!.

لقد كانَ العربُ في الجاهليةِ يُتاجِرونَ في موسمِ الحَجّ، فلما أَسْلَموا تَحَرَّجوا من ذلك، وتَأَثَّموا منه، ولذلك توقَّفوا عَنْه، لأَنهم ظَنُّوه غيرَ جائِز، ولا يَتفقُ مع التَّجردِ للهِ أثناءَ أداءِ المناسك.

وجاءَ أَحَدُهم إِلى النبيِّ ﷺ يسأَلُه عن جواز ذلك، فتوقَّفَ النبيُّ ﷺ عن الجواب؛ لأَنَّه ليس عندَه فيه شيءٌ جَديد، فأَنزلَ اللهُ الآيَةَ جواباً على السؤال، مُبيحاً التجارةَ في الحج.

وهذا التحرُّجُ والتوقُّفُ من الصحابةِ بانتظارِ معرفةِ الحكْمِ الشرعيِّ شهادةٌ لصالحهم؛ لأَنه يدلُّ على التزامِهم بحكْمِ الله، وعدمِ مخالفَتِه، بحيثُ يتوقَّفون عَمَّا كانوا يَعملونَه، بانتظارِ حُكم الله فيه.

فلما أَنزلَ اللهُ الآيَةَ وأَباحَ فيها التجارةَ في موسمِ الحج، أَزالَ تَحَرُّجَهم وتَأَثُّمَهم، وأَعْطى تَصرُّفَهم السابقَ بُعْداً إِسلامياً.

١٤١

من الذي حدد وقت الحج؟

ذَهَبَ الفادي المفتري إِلى أَنَّ الرسولَ ﷺ هو الذي حَدَّدَ وَقْتَ الحَجّ، وأَنه في شهرِ ذي الحِجَّة! قالَ في افترائه: «كانَ بعضُ أَهْلِ الجاهليةِ يَقفُ بعَرَفَة، وبعضُهم بمزدَلِفة، وكان يَحُجُّ بعضُهم في ذي القعدة، وبعضُهم في ذي الحِجّة! وكلٌّ يَقول: الصوابُ فيما فَعَلْتُه! فقال محمد: لا شكَّ أَنَّ الحَجَّ في ذي الحِجّة»[1].

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٢٠.

ولا يَعْنينا اختلافُ القبائلِ العربيةِ الجاهليةِ في وَقْتِ الحَجِّ ومكانِه، فقد كانوا في الجاهلية يَخْتَلفون في كُلِّ شيء.

إنما يَعنينا تقريرُ حقيقةٍ إسلاميةٍ تشريعية، وهي أَنَّ اللهَ هو صاحبُ الحكْم والتشريع! فالأَوامرُ والتَّشريعاتُ من عند الله، أَمَرَ بها النبيَّ ﷺ، ولم يَشْرَعْها ويَبْتَدِعْها رسولُ اللهِ ﷺ!.

إنَّ اللهَ هو الذي حَدَّدَ مكانَ الحَجِّ وزمانَه وأفعالَه.. وكان الفادي كاذِباً مفترياً عندما زَعَمَ أَنَّ الرسولَ ﷺ هو الذي فَعَلَ ذلك! قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ﴾ [البقرة: ١٩٧].

واللهُ هو الذي شَرَعَ الحَجَّ منذُ أَيام إِبراهيمَ عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٦ ـ ٢٧].

وكم كانَ الفادي مُفْتَرِياً ومُجْرِماً عندما قال: «ونحنُ نَسْأَلُ: أَليسَ هذا القولُ هو من الأَدِلَّةِ على أَنَّ ديانَته هي من مُشْركي العرب؟».

وهذا الذي يُريدُ المجرمُ أَنْ يَصِلَ إِليه، فهو يَرى أَنَّ مُحَمَّداً ﷺ ليس رسولَ الله، وأَنَّ القرآنَ ليس كلامَ الله، وأَنَّ الإِسلامَ ليس دينَ الله، وإِنما أَخَذَهُ محمدٌ ﷺ من المشركين الذينَ حولَه!.

وقد كانَ القرآنُ واضحاً صَريحاً في تَقْريرِ حقيقةِ أَنَّ الإِسلامَ هو الدينُ الذي ارْتَضاهُ اللهُ لنا، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣].

واعترضَ الفادي على الأَمْرِ بالتزوُّدِ للحَجِّ، فقال: «إِنَّ باقي الآيةِ يَقول: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ﴾. وسببُ هذا أَنَّ أُناساً من أَهْلِ اليمن كانوا يَخْرُجون للحَجِّ من غيرِ زادِ، ويقولون: نحن متوكِّلون. ويقولون: نحنُ نحجُّ

بيتَ رَبِّنا أفلا يُطْعِمُنا؟! فإذا قَدِموا مكةَ تَسَوَّلوا طَعامَهم، وربَّما أَفْضى بهم الحالُ إِلى السَّلْبِ والنَّهْب، فقال لهم محمد: «فتزودوا».. وهو أَمْرٌ بَدَهي، ليس فيه شيءٌ فوق مستوى العقل، حتى يَحتاجَ إِلى وَحْي..»[1].

إِنَّه يَرى أَنَّ التزوُّدَ بالزادِ للحَجِّ أَمْرٌ بَدَهِيٌّ عاديّ، يَفعلُه كُلُّ إِنسانٍ يُريدُ السَّفر، ولا يَحتاجُ إِلى تَدَخُّلِ الوَحْي.

وهو يُخطئُ في النظرِ إِلى الوَحْي، عندما يَظُنّ أَنَّ الوحْيَ لا يتدَخَّلُ إِلّا في الأُمورِ الصعبة، التي هي فوقَ مستوى العقل!.

لقد عَرَفْنا من تَنَزُّلِ القرآن وأَسبابِ نزولِ بَعْضِ آياتِه، أَنَّ كَثيراً من آياتِ القرآنِ كانت تنزلُ ابتداءً، بدونِ حادثةٍ أَو سَبَب، ولا تَتحدَّثُ عن أُمورٍ فوقَ مستوى العَقْل، إِنما تتحدَّثُ عن أُمورٍ عادِيّةٍ حياتيةٍ خَبَرِيَّةٍ عملية.. وما نَزَلَ من الآياتِ على أَسبابٍ خاصَّة لم تكن تلكَ الأَسبابُ أو الحوادثُ فوقَ مستوى العَقْل، وإِنما كانت أَسْباباً مأْلوفةً عاديةً في حياةِ المسلمين.

ثم إِنَّ قولَه تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ نَزَلَ لِيُصَوِّبَ ويُصَحِّحَ نظرةَ بعضِ المسلمين في التوكلِ على الله، فقد كانَ بعضُ أَهْلِ اليمنِ يأتونَ للحج، وليس معهم شيءٌ من الزاد، ويقولون: نحنُ متوكِّلونَ على الله، ونحنُ ضُيوفُ الله وحُجّاجُ بيتِه، ومن غير المعقول أَنْ يَتَخلّى اللهُ عَنّا وأَنْ لا يَرْزُقَنا!.

فكانَ إِنزالُ هذه الجملة من الآيةِ لِتصحيحِ هذه النظرة، وإِبطالِ ما فيها من خَطَأ، وهَدَفت الآيةُ إِلى أَنَّ التوكُّلَ على اللهِ لا يَعني عدمَ الأَخْذِ بالأَسْباب، بل إِنه يوجِبُ على المتوكلِ الأَخْذَ بالأَسباب.

فقُدومُ الحُجّاجِ إِلى الحَجِّ متوكِّلينَ على اللهِ يوجِبُ عليهم التزوُّدَ بالزادِ المادي والزادِ المعنويّ الذي هو التقوى!.

ومن حِقْدِ الفادي وكُرْهِه وبُغْضِه لرسولِ اللهِ ﷺ، وحربه للقرآنِ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٢٠.

والإسلام، أنه كانَ حَريصاً على عدمِ الإخبارِ بأَنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ، والتأكيدِ على أنه كلامُ محمدٍ ﷺ، ويَبدُو هذا في قولِه: فقال لهم محمد: ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾! فهذه الكلمةُ في الآية، لكنَّ المفتري جعَلَها من كلامِ رسولِ الله ﷺ!.

١٤٢

هل الإفاضة من أعمال الجاهلية؟

اعتبرَ الفادي قولَ اللهِ ﷻ: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩]، دَليلاً على أَنَّ أَعْمالَ الحَجِّ التي يُؤَدّيها المسلمون من أَعمالِ الوثنيّين الجاهليّين، وليسَ تَشريعاً من الله رَبِّ العالمين!.

الأَمْرُ في الآيةِ لقريش، يَأْمُرُهم فيه بالتَّخَلّي عن عادتِهم التي كانوا عليها في الجاهلية، فقد كانَ القرشيّون في الجاهليةِ يُسَمّون أَنْفُسَهم «الحُمْس»، لأَنَّهم سَدَنَةُ بيتِ اللهِ الحرام، وكانوا لا يَقِفون مع النّاسِ في عَرَفات، ويتميَّزونَ عنهم بالوقوفِ في المزدلفة، ويَعتبرونَ الوقوفَ مع عامةِ الناسِ لا يَتفقُ مع منزلتِهم الدينية.

فلما أَوجبَ اللهُ على المسلمين الحَجَّ دَعا أَهْلَ قريشٍ المسلمين إلى عَدَمِ التميُّزِ عن باقي الحجاج، وأَوجبَ عليهم الوقوفَ بعَرَفَة معهم، والإفاضةَ من عرفاتٍ إلى مزدلفةَ ليلةَ العيدِ معهم، والسيرَ معهم، وعَدَمَ التميز عنهم.

قالَ الفادي: «.. قالَ أَهلُ التفسير: كانت قريشٌ ومن دانَ بدِينِها ـ وهم الحُمْسُ ـ يَقِفون بالمزدلفة، ويَقولون: نَحْنُ أَهْلُ الله.. وكانوا يَتعاظمون أَنْ يَقفوا معَ سائرِ الناسِ بعرفات، فإذا أَفاضَ الناسُ من عرفاتٍ أفاضَ الحُمْسُ من المزدلفة، فلما جاءَ محمدٌ أَمَرَهم أَنْ يَقِفوا مع سائرِ الناس، ثم يُفيضوا منها إلى جمع».

وخَرَجَ من ذلك بالنتيجةِ الشيطانيةِ الخبيثة، التي اعتبرَ بها الإسلامَ

مأخوذاً من الجاهلية، قال: «ونحنُ نسأل: أَليسَ الأَمْرُ بالوُقوفِ على عرفات والإِفاضةِ منها كسائرِ الناسِ في الجاهلية دَليلاً على أَنَّ أَركانَ الحَجِّ من أَصْلٍ وثنيّ، وأَنه ليس من التشريعِ السماويِّ في شيء؟»[1].

طريقةُ الفادي في البحثِ والاستدلالِ والاستنباطِ عجيبةٌ غريبة، مُثيرةٌ للسخريةِ. فالإسلامُ عنده مأْخوذٌ منَ الممارساتِ الجاهلية، والعاداتِ الوثنية، بدليل وجودِ آيةٍ في القرآن تُصَحِّحُ أَداءَ قريشٍ لمناسكِ الحج، فقد كانَ القرشيّونَ في الجاهليةِ لا يَحُجّونَ مع باقي الناس، فلما أَمَرَهم القرآنُ بالحجِّ مع الناس، والوقوفِ بعرفةَ مع الناس، والإِفاضةِ معهم إِلى مزدلفة، دَلَّ هذا على أَنَّ محمداً ﷺ أَخَذَ أَحكامَه من الجاهلية! مع أَنه يَدْعوهم إِلى التخلّي عن تلك الجاهلية!.

١٤٣

هل أركان الحج من الجاهلية؟

عادَ الفادي المفتري إِلى التأْكيدِ على أَنَّ كُلَّ أَعمالِ الحَجِّ ومناسِكِه مأخوذةٌ من الجاهلية، وهي المسألةُ التي تحدَّثَ عنها أَكثرَ من مرةٍ فيما مضى.

فبعدَ أَنْ ذَكَرَ أَربعَ آياتٍ من سورةِ البقرةِ تتحدَّثُ عن الحج [١٩٧ ـ ٢٠٠] استخرجَ منها دلالتَه العجيبةَ المعتادة: «كان اسْمُ شهرِ ذي الحِجَّةِ المخصَّصِ للحَجِّ موجوداً قبلَ الإسلام، وكذلك كان الإِحرامُ (وهو البُعْدُ عن الرَّفَثِ والصَّيْد) موجوداً قبلَ الإِسلام، كما كانت التجارةُ في الحَجِّ موجودةً قبل الإِسلام، وكذلك الإِفاضَةُ من عرفاتٍ وإلقاءُ الخُطَب وذِكْرُ المناقبِ عندَ المشْعَرِ الحرام... فاتَّخَذَ الإِسلامُ عاداتِه وشعائِرَه من عادات العرب المشركين..»[2].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٢٠ ـ ١٢١. (٢) المصدر السابق، ص١٢١.

الإسلامُ عند الفادي المفتري ليسَ من عندِ الله، وإنما هو من وَضْعِ واختيارِ محمدٍ ﷺ، أَخذَه وانْتقاهُ من عاداتِ العرب المشركين في الجاهلية، حيثُ كان يَلْتَقي بهم، ويَختارُ من حياتِهم ما يريد، ثم يُسجلُه ويقدمُه لأَصحابِه، زاعماً أَنَّ اللهَ أَوحى به إِليه!.

والدليلُ عندَ المفتري على ذلك، أَنَّ محمداً ﷺ أَخذَ شعائرَ وعاداتِ الحج من العربِ الجاهليّين، وزَعَمَ أَنَّ اللهَ هو الذي أَوحى به إِليه: أَبْقى اسْمَ شهرِ الحَجِّ «ذي الحجة» على اسْمِه الجاهلي، وأَبْقى الإِحرامَ على صورتِه الجاهلية، وأَبْقى التجارةَ في موسمِ الحَجِّ كما كانتْ عليه في الجاهلية، وأَبْقى الإِفاضةَ من عرفاتٍ على ما كان يَفعلُه أَهْلُ الجاهلية!!.

ولو كانَ الحَجُّ تشريعاً من عندِ الله لأَلْغى كُلَّ هذه الأَعمالِ الجاهلية، وأَمَرَ بأَعمالٍ إسلاميةٍ جديدة!!.

وقد سبقَ أَنْ ناقَشْنا الفادي المفتري في هذا الأَمْر، وبَيّنّا أَنَّ الحَجَّ ذو نَسَبٍ إيماني، وأَنه سابِقٌ على العَرَبِ الجاهليّين، وأَوَّلُ مَنْ حَجَّ هو إبراهيمُ الخليلُ ﷺ، والعَربُ المشركونَ في الجاهليةِ تَوارَثوا أعمالَ وشعائِرَ الحَجِّ عن إبراهيم ﷺ، وأَضافوا لها الكثيرَ من ممارساتِهم الخاطئة، التي تَقومُ على الشركِ بالله، فلما جاءَ الإِسلامُ أَزالَ الممارساتِ الجاهليةَ الخاطئةَ عن مناسكِ الحج، وأَعادها إلى أَصْلِها الإِيمانيِّ العريق، وأَبقى الأَعمالَ النظيفةَ والشعائِرَ الصحيحةَ؛ لأَنها إيمانيةُ الأَصل، كالوقوفِ بعَرَفَة والإِفاضةِ والإِحرام، فهي ليستْ عاداتٍ وشعائرَ مأخوذةً من الجاهليةِ كما زَعَمَ الفادي الجاهل!.

١٤٤

حول توزيع الزكاة

حَدَّدَ اللهُ الأَصنافَ الذين تُدْفَعُ لهم الزكاة، وبَيَّنَ أَنها ثَمانيةُ أَصْنافٍ فقط! قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ

وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

وقد اعترضَ الفادي المفتري على بَعْضِ مَصارفِ الزكاة، واعتبرَ دَفْعَها لبعضِ الأصنافِ المذكورين في الآية نوعاً من الرشوة، التي لا تَتفقُ مع دينِ الله! قال: «ومَعلومٌ أَنَّ الزكاةَ هي أَحَدُ أركانِ الدينِ الإسلاميِّ الخمسة، التي هي: الصلاةُ والزكاةُ والصومُ والحَجُّ والشهادتان. فهي من صَميم الدينِ الإسلامي، وهي ليستْ مخصَّصَةً للفقراءِ والمساكين، ولكن يُصْرَفُ منها في أَغراضٍ إسلاميةٍ بحتة، وصُرِفَ منها للمؤلَّفةِ قلوبُهم، ولو كانوا أَغنياء، لاستمالتِهم لقَبولِ الإِسْلام، وتُصْرَفُ في شراءِ الأَسلحةِ وتَجهيزِ الجُنْدِ لقتالِ الكفار، والجهادِ في سبيلِ الإِسلام...

وللمسيحيّين كتابُهم المقدَّس، الذي يَقْضي بتقديم العُشورِ للصَّرْفِ على الفقراء، وتَعمير الكنائس، وإِعالةِ رجالِ الدين، ونَشْرِ الكتابِ المُقَدَّس ومبادئ المسيحية.. ويُحَرِّمُ الكتابُ المقَدَّسُ الدعوةَ للدّين باستخدام المالِ للاستمالة، أَو السيفِ للإرهاب، فأَتْباعُ الدينِ المسيحيِّ قَدَّموا دعوتَه بالمحبةِ والشجاعةِ والتضحيةِ على مثال المسيح..»(١).

يَرى المفتري أَنَّ إِعطاءَ المؤلَّفَةِ قلوبُهم من الزكاة خَطأٌ؛ لأَنه لا يَجوزُ استخدامُ المالِ لنشْرِ الدعوةِ أَوْ ترغيبِ الآخرين، ويَذْكُرُ أَنَّ الكتابَ المقَدَّسَ يُحَرِّمُ ذلك على المسيحيّين، ويأْمُرُهم بالدعوةِ بالمحبةِ والشجاعةِ والتضحية!.

وإِنَّ اللهَ العليمَ الحكيمَ يَعلمُ أَثَرَ المالِ الإِيجابيَّ في بعضِ النُّفوس، ولذلك أَجازَ تأْليفَ قُلوبِ بَعْضِهم بجزءٍ من مالِ الزكاة، إِمّا بترغيبهم في الإسلام واستمالتِهم وتقريبِهم إِليه، وإِمّا بتحييدِهم أَوْ تَقليلِ عَداوتِهم للإِسلامِ والمسلمين. وليس في هذا شيء، فما زالَ الناسُ قَديماً وحَديثاً يُعْطون ويُهْدون، ويُوَثّقونَ روابطهم وعلاقاتِهم بشيءٍ من المالِ يدفعونَه لهذه الغاية!.

ويَفْتَري الفادي عندما يَزعمُ أَنَّ الكتابَ المقَدَّسَ حَرَّمَ على النصارى

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٢٢.

استخدامَ المالِ للدعوةِ والاستمالةِ والتَّبْشير، فالجمعيّاتُ التنصيريةُ النصرانيةُ هي أكثرُ الجمعياتِ استخْداماً للمالِ للتَّنْصير، والرهبانُ أكثرُ الناسِ دَفْعاً للأموال تَرْغيباً في اعتناقِ النصرانية، وتَرْصدُ الكنائسُ الملايينَ من الدولاراتِ لهذه الغاية، وتنتشرُ مجموعاتُ التَّنْصيرِ في كلِّ بِلادِ العالم، وتُركِّزُ على ممارسةِ التَّنْصيرِ بينَ المسلمين على وَجْهِ الخصوص، وتَقومُ على الدفعِ والإغراءِ بالمال.. ويقولُ لنا الفادي المفتري بعدَ ذلك: يَحرمُ على النصارى استخدامُ المالِ للدعوة. وهم يَنْشرونَ دعوتَهم بالمحبةِ والتضحية!!.

كما يَرى الفادي المفتري أَنَّ صرفَ جُزْءٍ من الزكاةِ لجهادِ وقتالِ الكفارِ خَطأ، ويعتبرُه نوعاً من سوءِ استخدامِ المال، وإنفاقِهِ للإِرْهاب!.

وكلامُه باطل، فاللهُ أَوْجبَ على المسلمين جهادَ الأَعداءِ الطّامعين فيهم، والشِّدَّةَ والغلظةَ في قتالِهم، وإيقافَ عُدْوانهم، وإبطالَ مكائِدِهم ومُخَطّطاتِهم ضدَّهم، وَوَعَدَهم على ذلك جزيلَ الأَجْرِ والثواب! ومعلومٌ أَنَّ الجهادَ في سبيلِ اللهِ يَحتاجُ إلى كثيرٍ من الأَموالِ للإنفاقِ عليه، ولذلك جعلَ اللهُ الإنفاقَ عليه سهماً من أَسهمِ الزكاةِ الثمانية، واللهُ عليمٌ حكيمٌ في تَشريعِه سبحانه!.

١٤٥

توجيه تفضيل الرجال على النساء

ذَكَرَ الفادي آيتَيْنِ تتَحدَّثانِ عن الصلةِ بينَ الرجالِ والنِّساء. هما قولُه تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. وقولُه تـعـالـى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ﴾ [النساء: ٣٤]. ونَقَلَ كَلاماً للبيضاويِّ في تفسيرِ الآيَتَيْن، وبيانِ معنى القوامةِ والدَّرَجة، وأسبابِ ذلك.

ثم عَلَّقَ على ذلك مُخطِّئاً القرآنَ والإسلام، فقال: «ونحنُ نَسأل: لماذا يَهْضِمُ الإِسلامُ حُقوقَ المرأة، فيعتبرُ من حَقِّ الرجلِ أَنْ يَملكَ نفسَها، بينما لا

تمتلكُ المرأةُ إلّا نَصيباً من مالِه؟ الطبيعيُّ أَنْ يكونَ جسدُ الرجلِ مِلْكَ المرأة، وجَسَدُ المرأةِ مِلْكَ الرجُل، ولماذا يستبدُّ الرجلُ بالفِراق، ولا يُسمحُ للمرأةِ بالفراق إذا رَأَتْ ذلك، في حالةِ خيانتِه، وإنْ كانَ من العيبِ أَنْ تَضربَ المرأةُ الرجلَ، فلماذا تَسمحُ الشريعةُ الإسلاميةُ للرجلِ أَنْ يَضربَ المرأة؟»[١].

يَجِبُ أَنْ نُفرقَ أَوّلاً بينَ القوامةِ والتَّفْضيل، فالقوامَةُ منزلةٌ دنيويةٌ، تَقومُ على المسؤوليةِ لمواهبَ وقُدُرات، أَمّا التفضيلُ فهو منزلةٌ دينيةٌ إيمانية، يَرتفعُ بها صاحِبُهَا عندَ الله.

لقد جعل اللهُ القوامةَ في الدنيا للرجالِ على النِّساء، بمعنى أَنه أَعطى مسؤوليةَ إدارةِ الأُسرةِ والبيتِ للرجُل، فهو صاحبُ القِوامةِ والمسؤوليةِ والقيادةِ والحكمِ في هذه المؤسسة. وذَكرت الآيةُ سَبَبَيْن لجعْلِ القوامةِ للرجال: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ . . .﴾:

السببُ الأَوّل: ما منحهُ اللهُ للرجالِ من مواهبَ وطاقاتٍ خاصّة، تَميَّزوا بها عن النساء، تُؤَهِّلُهم للقيامِ بواجبِ القوامة، وإدارةِ شُؤونِ الأُسْرَة، وفَضَّلَهم اللهُ بهذه المواهبِ تَفْضيلاً دُنيوياً.

السببُ الثاني: ما أَوجبهُ اللهُ على الرجال من إنفاقِ الأَموالِ على مُؤَسَّسةِ الأُسْرَة، فالإِنفاقُ واجبٌ على الرجل، ولا يَجبُ على امرأَتِه أَنْ تُنفقَ شيئاً ولو كانتْ تملكُ المالَ الكثير.

وكونُ القوامةِ الدنيويةِ بيدِ الرِّجالِ لا يَعْني أَنَّ جِنْسَ الرجالِ أَفْضَلُ من جنس النساءِ عندَ الله، فأَساسُ التفضيلِ عندَ الله ليس الجنسَ أَو اللون، إنما هو الإيمانُ والتقوى، كما قالَ الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] فإذا كانت المرأةُ صالحةً تقيةً كانتْ أَفضلَ عندَ الله من زوجِها غيرِ التَّقِيّ، أَو الأَدنى منها في التقوى.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٢٣.

وقد جَعَلَ اللهُ للرجالِ على النساءِ درجةً، بعدَما ساوى بينهما في الحقوق والواجبات، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ﴾.

والدرجةُ التي للرجالِ على النساء مرتبطةٌ بالقوامة، فالذي له القِوامَةُ له على الطَّرف الآخر درجة. فهذه الدرجةُ دنيوية، متعلِّقَةٌ بدفعِ المهر والنفقة وغيرِ ذلك من الأُمورِ الماليةِ الدنيوية، والدرجةُ الدنيويةُ لا تَعْني الدرجةَ الدينيةَ عند الله، فقد تكونُ المرأةُ أَعْلى درجةً عند الله من زوجها لتَقْواها.

وقد أَكرمَ الإِسلامُ المرأةَ عندما نَصَّ على أَنَّ لها على زوجِها حقوقاً، مثلَ ما عليها له من واجبات: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾.

وبعدَ هذه الآيةِ الصريحةِ يأْتي شَخْصٌ جاهِلٌ مثْلُ هذا الفادي، ليقولَ: لماذا يَهضمُ القرآنُ حُقوقَ المرأة؟.

وإِنَّ الأَسئلةَ التي يَطرحُها الفادي دالَّةٌ على جَهْلِه وغَبائِه، فهو يَقول: لماذا يَملكُ الرجلُ المرأَةَ بينما هي لا تملِكُه، إنما تَملكُ جُزْءاً من مالِه؟ وإِذا كان قَصْدُه من سؤالِه مِلْكَ الأَمْرِ والنهيِ والمسؤولية، فإِنَّ هذا مرتبطٌ بالقِوامة، ومؤسسةُ الأُسرةِ لا بُدَّ لَها من مسؤول، والمسؤوليةُ للرجل، والمرأةُ تابعةٌ له في المؤَسَّسة، وهذا لا يُنقصُ منزلَتَها، إنما هو شَرَفٌ لها.

وإِذا كان قَصْدُهُ مِلْكَ التَّلَذُّذِ والاستمتاعِ وقَضاءِ الشهوة، فكلٌّ منهما يملكُ جَسَدَ الآخَر، الرجلُ يَملكُ جَسَدَ المرأةِ ويتلَذَّذُ ويَستمتعُ بها، وهي تملكُ جَسَدَهُ وتتلذذُ وتستمتعُ به، مع أَنَّ الرجلَ صاحبُ القوامةِ والدرجةِ الدنيوية.

ويُطالبُ الفادي الجاهلُ أَنْ يَكونَ الطلاقُ والفراقُ بيَدِ المرأة، مثلَ ما هو بيدِ الرجل! وهذا خلافُ الفطرةِ وسُنَّةِ الحياة! فالذي يتزوجُ هو الذي يُطَلِّقُ، والذي يَدفعُ مهرَ الزواجِ هو الذي يَدفعُ نفقةَ الطلاقِ، وصاحبُ القوامةِ في مؤسسةِ الأُسْرَةِ هو الذي يُطَلِّقُ ويُفارقُ، ويَدفعُ ثَمَنَ فِراقِهِ وطَلاقِه.

أَما انتقادُ الفادي في آخرِ كلامِه مبدأَ ضَرْبِ الرجلِ لامرأَتِه فقد سبقَ أَنْ ناقَشْناه فيه، وَوَجَّهْنا الأَمْرَ، وبَيّنّا حكمتَه وصَوابَه!.

١٤٦

هل صلاة المسلمين تقليد وثني؟

وَضَعَ الفادي المفْتَري عنواناً استفزازيّاً مُثيراً، اسْتَفَزَّ به مشاعِرَ المسلمين: «الصلاةُ الإسلاميةُ تَقليدٌ وثنيّ»!!.

ذَكَرَ في تَساؤُلِه قولَ اللهِ ﷻ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، ثم زَعَمَ أَنَّ المسلمينَ أَخَذوا صَلَواتِهم الخمسَ عن الصابئين، فقال: «فرضَ الإسلامُ على المسلمين خمسَ صلواتٍ يومياً، وهي: صلاةُ الفجرِ والظهرِ والعصرِ والمغربِ والعشاء. وهي نفسُ مواقيتِ الصلاةِ عند اليهودِ والمسيحيّين والصابئين... وقالَ أَبو الفِداءِ في تاريخِه: للصَّابئين عبادات، منها سَبْعُ صَلَوات، منهنّ خمسٌ تُوافِقُ صلواتِ المسلمين، والسادسةُ صَلاةُ الضحى، والسابعةُ صلاةٌ يَكونُ وَقْتُها في تمامِ الساعةِ السادسةِ من الليل. وصلاتُهم كصلاةِ المسلمين من النية، وأَلّا يَخْلِطَها المصلي بشيءٍ من غيرِها، ولهم الصلاةُ على الميت، بلا ركوع ولا سجود..

ونحنُ نسأل: لماذا اقتبسَ المسلمون نِظامَ صَلواتِهم من الصابئين؟»[1].

بَدَأَ الفادي كلامَه بكذبةٍ كُبْرى، عندما زَعَمَ أَنَّ اليهودَ والنَّصارى والصابئين يُصَلّونَ كُلَّ يوم خَمسَ صَلَواتٍ مثلَ المسلمين! وسُؤالُ أَيِّ يهوديٍّ أَو نصرانيٍّ أَو صابئيٍّ كَفيلٌ ببيانِ كَذِبِ هذا المفْتَري.

ثم نَقَلَ كَلاماً أَوردَه أَبو الفِداء، زَعَمَ فيه أَنَّ الصّابئين يُصَلّونَ سَبْعَ صلواتٍ في اليومِ والليلة، وأَنَّ كيفيةَ صَلاتِهم كَصَلاةِ المسلمين، من الركوعِ والسجودِ والتلاوة، وأَنَّهم يُصَلّونَ على موتاهم كصلاةِ المسلمين على موتاهم!!.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٢٤.

وأُعجبَ الفادي بكلامِ أَبي الفِداء، وَوَظَّفَهُ دَليلاً على اتِّهامِ الإِسلام، بأَنَّه أَرضيٌّ بَشَرِيٌّ، وليسَ تشريعاً من عندِ الله، وعَلَّقَ عليه بسؤالِه المثيرِ الخطير: «لماذا اقتبس المسلمونَ نظامَ صَلَواتِهم من الصّابِئين؟».

كلامُ أَبي الفِداءِ غيرُ صحيح. ولا أَدْري من أَيْنَ أَخَذَ كَلامَه، وعلى أَيِّ مَصْدَرٍ اعتمد، المهمُّ أَنه لم يأْخُذْه من حديثٍ صحيحٍ مرفوعٍ عن رسولِ اللهِ ﷺ، ولا من قولٍ صحيحٍ لصحابيٍّ أَو تابعيّ.

فليس صحيحاً أَنَّ الصابئين يُصَلّونَ سَبْعَ صلوات، وأَنَّ صَلاتَهم كصلاةِ المسلمين، وها هم الصابِئون «الميدانيّون» موجودون في العراق، اسْأَلوهم عن عَدَدِ وكيفيةِ صَلاتِهم، إِنْ كانَ في دينهم صلاةٌ أَصْلاً!.

وهذا معناهُ أَنَّ المسلمينَ لم يَأْخُذوا صلاتَهم عن الصابئين أَو غيرِهم، وأَنَّ الصلاةَ الإِسلاميةَ ليستْ تَقْليداً وثنيّاً كما زَعَمَ هذا الكاذِبُ المفتري.

الصلاةُ ركنٌ من أَركانِ الإِسلام، واللهُ هو الذي أَمَرَ رسولَه ﷺ بها، منذُ أَيامِ الدعوةِ الإِسلاميةِ الأُولى في مكة، وفي ليلةِ المعراج أَمَرَ اللهُ رسولَه ﷺ بخمسِ صَلَواتٍ في اليومِ والليلة، وهُنَّ خَمْسُ صلواتٍ في العَدَدِ، ولكنهنَّ خُمسونَ صلاةً في الأَجْر، وثَبَتَ هذا عن رسولِ اللهِ ﷺ، في الصحيحين وغيرهما من كُتُبِ السنن.

واللهُ هو الذي حَدَّدَ مواقيتَ الصلوات، وأَشارَ إِلى هذا قولُه تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، وبَعَثَ اللهُ جبريلَ للنبيِّ ﷺ وحَدَّدَ له وَقْتَ كُلِّ صلاةٍ من الصلواتِ الخَمْس، بدايةً ونِهايَة.. واللهُ هو الذي حَدَّدَ للرسولِ ﷺ كيفيةَ كُلِّ صلاة، أَفعالَها وأَقوالَها وأَذكارَها وحَركاتِها، وأَركانَها وسُنَنَها وهيئاتِها.. وأَمَرَ الرسولُ ﷺ المسلمين أَنْ يُصَلّوا مثْلَ صلاته، فقال: «صَلّوا كما رأَيتُموني أُصَلّي».

إِنَّ كُلَّ ما يتعلَّقُ بالصلاةِ من قولٍ أَو فعل أَو حركةٍ من الله، أَوحى به

للرسولِ ﷺ، وإنَّ الإسلامَ اخْتصَّ وتَميَّزَ وتفَرَّدَ بالصلاة، ولا يُصَلّي أَصحابُ أيِّ دينٍ كما يُصَلّي المسلمون، سواء كانوا يَهوداً أَو نصارى أَو صابئين أَو غيرَهم!.

١٤٧

حول التطهر بالتيمم

أَثارَ الفادي المفتري عِدَّةَ إِشْكالاتٍ حولَ التَّطَهُّرِ بالتَّيمم، وتَلاعبَ في حديثِه عن سببِ نُزولِ آيةِ التَّيمم، وحَرَّفَ كَلامَ البيضاويِّ وغيرِه، كعادتِه في التَّلاعبِ والتَّحريف، والكذبِ والافتراء، والزَّعْمِ والادِّعاء.

الآيةُ التي شَرعت التيممَ هي قولُ اللهِ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

وكانَ نزولُ هذه الآية في حادثةِ عائشةَ ﵂، عندما أَضاعَتْ عِقْدَها.

ذَكَرَ الفادي روايةَ البخاري قائلاً: «روى البخاريُّ عن عائشةَ قالَتْ: سَقَطَتْ قِلادَةٌ لي بالبَيْداء، ونَحنُ داخلونَ المدينة، فأَناخَ محمدٌ ونَزَل، فَثَنى رأْسَه في حِجْري راقِداً، وأَقبلَ أَبو بكر، فَلَكَزني لَكْزَةً شديدة، وقالَ: حَبَسْتِ الناسَ في قِلادة.. ثم إِنْ محمداً استيقظ.. وحَضَرت الصُّبْحُ، فالْتُمِسَ الماءُ، فلم يوجَدْ، فاستعوضَه بالتُّراب.. وعن عائشةَ قالت: لما كانَ من أَمْرِ عِقْدي ما كان، وقالَ أَهلُ الإِفْكِ ما قالوا، خرجْتُ معَ محمدٍ في غزوةٍ أُخْرى، فسقَطَ أَيْضاً عِقْدي، حتى حَبَسَ الناسَ عن الْتماسِه، فقالَ لي أَبو بكر: بُنَيَّة! في كُلِّ سفر تكونينَ عَناءً وبَلاءً على الناس.. ولكنْ لما كانَتْ هي سببُ التيممِ رضيَ عَنْها أَبو بَكْر..»

هل هذه روايةُ البخاري؟ وهل كان الفادي أميناً في النّقل؟ لِنقرأ الروايةَ من صحيحِ البخاري، ولْنقارنْ بينَ الكلامِ الذي فيه، والكلامِ الذي نَقَلَهُ الفادي عنه.

روى البخاريُّ عن عائشةَ رضي الله عنها قالَتْ: «خَرَجْنا مع رسولِ اللهِ ﷺ في بَعْضِ أَسفارِه، حتى إذا كُنّا بالبَيْداء، أَوْ بذاتِ الجَيْش، انقطعَ عِقْدٌ لي، فأَقامَ رسولُ اللهِ ﷺ على الْتماسِه، وأَقامَ الناس معه، ولَيْسوا على ماء.. فأَتى الناسُ إلى أَبي بكر الصّدّيق، فقالوا: أَلا ترى ما صَنَعَتْ عائشةُ؟ أَقامَتْ برسولِ اللهِ ﷺ والناسِ، ولَيْسوا على ماء، وليس مَعهم ماءٌ. فجاءَ أَبو بكر، ورسولُ الله ﷺ واضعٌ رأْسَه على فَخِذي قَدْ نَام، فقال: حَبَسْتِ رسول اللهِ ﷺ والنّاسَ، ولَيْسوا على ماء، وليسَ معهم ماء! فعاتَبَني أَبو بكر، وقالَ ما شاءَ اللهُ أَنْ يَقول، وجَعَلَ يَطْعَنُني بيدِه في خاصِرَتي، فلا يَمنعُني من التحرُّكِ إلّا مَكانُ رسولِ اللهِ ﷺ على فَخذي، فقامَ رسولُ اللهِ ﷺ حينَ أَصبحَ على غيرِ ماء، فأَنزلَ اللهُ آيةَ التيمّم، فتيمموا.. فقال أُسَيْدُ بْنُ الحُضَيْر: ما هي بأولِ بركتِكم يا آلَ أَبي بكر... فَبَعَثْنا البعيرَ الذي كنتُ عليه، فأَصَبْنا العِقْدَ تَحْتَه»[1].

الفادي المفتري حَريصٌ على حَذْفِ كلمةِ «رسولِ اللهِ ﷺ» من الرواية، ووضْع الاسم المجرَّدِ «محمد» مكانَها. ولو كان أَميناً في النَّقْلِ لَنقلَ العبارةَ كما هي، مع أَنه لا يُؤمِنُ أَنَّ محمداً هو رسولُ اللهِ ﷺ!.

وصَرَّحَتْ عائشةُ رضي الله عنها بأَنَّ اللهَ أَنزلَ آيةَ التيمم في صَباحِ تلك الليلة، فتيممَ المسلمونَ بعدَ نزولِ الآية. والفادي المفتري لا يُريدُ الإِخبارَ عن إِنزالِ الوحي من عندِ الله، حتى لو كان يَنْقُلُ من نَصٍّ أَمامَه! ولذلك زَعَمَ أَنَّ محمداً ﷺ هو الذي أَمرهم بالتيمم من عندِ نفسه: «وحَضرت الصّبحُ فالتُمِسَ الماءُ فلم يوجَدْ، فاستَعْوَضَه بالتُّراب»! وهذه الجملةُ غيرُ مذكورةٍ في الأَصل! لكنَّها من تلاعُبِ الفادي وتحريفه.

(١) صحيح البخاري، كتاب التيمم، باب التيمم، حديث رقم: (٣٣٤)؛ وصحيح مسلم، كتاب الحيض، باب التيمم، حديث رقم: (٣٦٧).

ومِنْ تَلاعُبِ الفادي وتحريفه زَعْمُه أَنَّ أَبا بكر شَتَمَ ابنَتَه عائشة رضي الله عنها، وقالَ لها: «بُنَيَّة: في كُلِّ سَفَرٍ تكونينَ بَلاءً وعناءً على الناس!». ولا أدري من أَينَ جاءَ المفتري بهذه العبارة.

مع أَنَّ عائشةَ رضي الله عنها كانَتْ موضعَ ثَناء، وانظرْ ما أَجْمَلَ ما قالَه أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ رضي الله عنه: ما هي بأول بركاتِكم يا آلَ أَبي بَكْر.

واللهُ حَكيم، فهو الذي قَدَّرَ أَنْ يُقطعَ عِقْدُ عائشةَ رضي الله عنها، وقَدَّرَ أَنْ يَبْرُكَ عليه البَعيرُ، وأَنْ يتأَخَّرَ المسلمون في البحثِ عنه، وذلك ليضطرُّوا إِلى التيمم، ويُنزلَ اللهُ عليهم برحمتِه آيةَ التيمم، واللهُ عليمٌ حكيم! لكن هذا معنى لا يَنتبهُ له الفادي؛ لأَنه محجوبٌ عن الله!!.

وقَدَّمَ الفادي حَديثاً غَريباً في التيمم، لا أَدْري من أَينَ جاءَ به، قال: «جاءَ في الحديثِ: (الصَّعيدُ الطيبُ وضوءُ المسلم، ولو إِلى عَشْرِ سنين، حتى يَجِدَ الماءَ، وإِذا وَجَدَهُ فَلْيُمسَّه جِلْدَه)»!!.

وزعمَ المفتري أَنَّ عائشةَ رضي الله عنها خَرَجَتْ مع رسولِ اللهِ ﷺ في غزوةٍ أُخرى، وأَنها أَضاعَت فيها عِقْداً آخَرَ لها، وأَنَّ اللهَ أَباحَ للمسلمينَ التيمم: «وعن عائشةَ قالَتْ: لما كانَ من أَمْرِ عِقْدي ما كان، وقالَ أَهْلُ الإِفْكِ ما قالوا خَرَجْتُ مع محمدٍ في غزوةٍ أُخرى، فسقطَ أَيضاً عِقْدي، حتى حَبَسَ الناسَ عن التماسه..».

وعَلَّقَ المفتري على هذه الحادثةِ بكلامٍ خَبيث، فقال: «ونحنُ نسأَل: كانَتْ عائشةُ سببَ مشكلةٍ لمحمدٍ في الغزوةِ التي اتُّهِمَتْ فيها مع صفوانَ بن المعَطّل، فلماذا أَخَذَها معه في غزوةٍ أُخرى؟!».

وزَعَمَ الفادي المفتري أَنهما حادثَتان مُختلفتان، أَضاعَتْ عائشةُ في كُلِّ حادثةٍ عِقْداً، وأَنزلَ اللهُ في كُلِّ حادثةٍ آية تبيحُ التيمم، وهذا جهلٌ منه، فلم تكنْ إِلّا حادثةً واحدة، وهي التي رَواها البخاريُّ ومسلمٌ عن عائشة رضي الله عنها.

وادَّعى المفتري أَنَّ حادثةَ فَقْدِ العِقْدِ وإِنزالِ آيةِ التيمم هي نفسُ حادثةِ حَديثِ الإِفْك، عندما اتَّهمَ المنافقونَ عائشةَ رضي الله عنها، وهو ادِّعاءٌ باطل، فحادثةُ فَقْدِ العِقْدِ غيرُ حادثةِ حَديثِ الإِفْك.

والعبارةُ التي ذَكَرَها المجرمُ في اتهامِ عائشةَ ﵂ فاجرة، أَرادَ بها تأكيدَ اتِّهامِها في عِرْضِها. قال: «كانتْ عائشةُ سببَ مشكلةٍ لمحمدٍ في الغزوةِ التي اتُّهِمَتْ فيها مع صفوانَ بنِ المعَطّل».

وصَفوانُ بنُ المعَطّل صحابيٌّ جَلِيلٌ ﵁، وهو الذي اتَّهَمَ المنافقونَ المجرمونَ عائشةَ ﵂ به، وقد أَنزلَ اللهُ براءةَ عائشةَ في آياتِ سورةِ النور، وذَمَّ الذين اتَّهموها في عِرْضِها، وأُقيمَ عليهم حَدُّ القَذْف.

وقد تكلَمَ الفادي على التيمم بوقاحةٍ وسوءِ أَدَب. قال: «ما معنى الاستعاضة عن الماءِ بالتراب؟ أليستْ هذه قذارة ومَدْعاة للمرضِ لا للصحة؟ وأيُّ عاقلٍ يَتصوَّرُ في الماءِ أَو الترابِ تكفيراً عن الذنوب؟»[1].

إنه يُخَطِّئُ القرآنَ في تشريعِه التيممَ عند فَقْدِ الماء، أَو العجزِ عن استعمالِه، ويتهمُ التيممَ بأنه قَذارةٌ ومَدْعاةٌ للمرض، وهذا اتِّهامٌ للهِ سبحانَه، وتَخْطئةٌ له في أَحكامِه وتَشريعاتِه، وتَكذيبٌ له في أَوامِره وتوجيهاتِه. فاللهُ يَقولُ في بيانِ حكمةِ التيمم: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، وهو يُكَذِّبُ كَلامَ اللهِ فيقول: «وما معنى الاستعاضةِ عن الماءِ بالتراب؟ أَليستْ هذه قذارة ومَدْعاة للمرضِ لا للصحة؟».

والوُضوءُ أَو التيممُ تَطهيرٌ للمؤمن وتكفيرٌ له عن سيئاتِه وذُنوبه، والفادي المفتري يَرفضُ ذلك قائلاً: «وأَيُّ عاقلٍ يَتَصَوَّرُ في الماءِ أَو الترابِ تكفيراً عن الذنوب؟» وما درى الجاهلُ أَنَّ تَنفيذَ أَوامرِ اللهِ تطهيرٌ ومغفرةٌ للذنوب. وقد أَخْبَرَنا رسولُ الله ﷺ أَنَّ الوضوءَ تكفيرٌ للذنوب.

روى مسلمٌ عن أَبي هريرةَ ﵁: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «إذا تَوَضَّأَ العبدُ المسلمُ، فَغَسَلَ وَجْهَه، خَرَجَ من وجهِه كُلُّ خَطيئةٍ نَظَرَ إِليها بعيْنَيْه، مع الماءِ، أَو معَ آخرِ قَطْرِ الماءِ، فإذا غَسَلَ يَدَيْه، خرَجَ من يَدَيْه كُلُّ خطيئةٍ كانتْ

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٢٥.

بطشَتْها يَداهُ، مع الماء، أَو مع آخِرِ قَطْرِ الماءِ، فإذا غَسَلَ رجْلَيْه، خرجَتْ كُلُّ خطيئةٍ مَشَتْها رِجْلاه مع الماء، أَو معَ آخرِ قَطْرِ الماء، حتى يَخرجَ نقيّاً من الذُّنوب!».

١٤٨

تفسير سياسي لتحويل القبلة

وَقَفَ الفادي أَمامَ حادثةِ تَحويلِ القبلة، وتَحَدَّثَ عنها بسَفاهَةٍ وَوَقاحَة.

لما كانَ المسلمونَ في مكةَ كانَتْ قبْلَتُهم في صلاتِهم الكَعْبَة. ولما هاجروا إِلى المدينة جَعَلَ اللهُ قبلَتَهم بيتَ المقْدِس، وبعدَ ستةَ عَشَرَ شَهْراً أَوْ سبعةَ عَشَرَ شَهْراً، حَوَّلَ اللهُ القبلة، وأَعادَها إِلى الكعبة، وجاءَ هذا التحويلُ صَريحاً في قولِه تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ . . .﴾ [البقرة: ١٤٤].

واعتبرَ القرآنُ أَنَّ الذينَ يَعترضونَ على تحويلِ القبلةِ سُفَهاء، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢].

وتوقَّفَ الفادي السفيهُ مع آياتِ تَحويلِ القبلة من سورةِ البقرة، ونَقَلَ بعضَ كلامِ البيضاويِّ في تَفسيرِها. ثم سَجَّلَ اعتراضَه على ذلك التحويل بِسَفاهة. قال: «ونحنُ نسأل: إذا كانَت القبلةُ شريعةً وركناً من أَركانِ الصلاة، فلماذا تتغَيَّر؟ هل هي لعبةٌ سياسيةٌ لاستمالةِ قُلوبِ العربِ تارة، واستمالةِ قُلوب اليهودِ أُخْرى؟ فاتَّجَهَ مع العربِ في مكةَ إِلى الكعبة، ولما هاجَرَ إِلى المدينة حيثُ الكثيرُ من اليهودِ اتَّجَهَ إِلى بيتِ المقْدِس، ولما هاجَمَهُ اليَهودُ جَعَلَ قبلَتَه الكعبةَ مَرَّةً أُخْرى! لقد كَانَ لتغييرِ القبلةِ طَنَّةٌ وَرَنَّةٌ، حتى ارتَدَّ كثيرونَ عن الإِسلامِ إِلى اليهودية، وقالوا: رَجَعَ محمدٌ إِلى دينِ آبائِه، وتَرَكَ قبلةَ اليَهود، التي هيَ حَقّ!.. وعَيَّرَ اليهودُ المسلمين، فقالَ حُيَيُّ بنُ أَخْطَبَ وأَصحابُه من

اليهود: أَخْبرونا عن صلاتِكم إِلى بيتِ المقْدِس: إِنْ كانَتْ على هدى، فقد تخلَّيْتُم عنه، وإِنْ كانَتْ على ضَلالَةٍ، فقد دِنْتُم الله بها، وَمَنْ ماتَ عليها فقد ماتَ على ضَلالة... فلماذا طَعَنَ محمدٌ في الذينَ اعْتَرَضوا عليه بأَنهم من السُّفهاء؟ لقد كانَ لهم كُلُّ الحَقِّ أَنْ يَسْأَلوا...»[1].

لم ينظر الفادي السَّفيهُ لمسألةِ تَحويلِ القبلة على أَنها تشريعٌ رباني، وتوجيهٌ مباشِرٌ من الله سبحانه، وحَلَّلَها تَحْليلاً تافِهاً سَفيهاً، مرتبطاً مع نَظرتِه للقرآنِ والوحي.. إِنه لا يَعترفُ بنبوةِ محمدٍ ﷺ، ولا بأَنَّ القرآنَ وَحْيٌ من الله، ولذلك اعتبرَ القبلةَ اختياراً خاصّاً من الرسولِ ﷺ، فهو الذي يَختارُ ما يَشاء، ويَجعلُه قِبْلَة، ويأْمُرُ أَتْباعَه بالتوجُّهِ حيثُ يَشاء! وهذا تأكيدٌ منه على بَشَريةِ القرآنِ والإِسلام!.

ثم يَنتقلُ المجرمُ إِلى جريمةٍ أُخرى، حَيثُ يَجعلُ تَحويلَ القبلةِ «لُعْبَةً سياسية» من الرسولِ ﷺ... فلما كانَ في مكةَ جَعَلَ قبلَتَه الكعبةَ ليَستميلَ العربَ الجاهليّين، ولما هاجَرَ إِلى المدينةِ حَوَّلَ قبلَتَه إِلى اليهودِ ليَستميلهم، ولما لم يَنجحْ في ذلك وغَضِبَ منهم أَعادَ قبلتَه إِلى الكعبة!! بهذه السفاهةِ حَلَّلَ الفادي السفيهُ مَسألةَ تَحويلِ القبلة، ودافَعَ عن السفهاءِ السابقين من أَمثالِه، الذين اعْتَرَضوا على تحويلِ القبلة، واعْتبروه تَلاعُباً، ولما رَدَّ اللهُ عليهم اعْتَبَرَهم سُفَهاء. قال الفادي مُدافعاً عَنْهم: «فلماذا طَعَنَ محمدٌ في الذينَ اعْتَرَضوا عليه بأَنهم من السُّفهاء؟ لقد كانَ لهم كُلُّ الحَقِّ أَنْ يَسْأَلوا».

اعتبرهم اللهُ سُفهاءَ لاعتراضِهم على تَحويلِ القبلة، والفادي المفتري رَدَّ كَلامَ اللهِ، واعْتَبرهم حُكَماء، وعلى حَقٍّ في اعتراضِهم.

لِيَقُل الفادي السفيهُ عن تحويلِ القبلةِ ما يَشاء، فكلامُه وتحليلُه مَردودٌ عليه، ونحنُ نوقِنُ أَنَّ استقبالَ القبلةِ في الصلاة كانَ بأَمْرٍ من الله، وأَنَّ تَحديدَ القبلةِ كانَ بأَمْرٍ من الله، وأَنَّ تَحويلَ القبلةِ كان بأَمْرٍ من الله، لتحقيقِ حكمةٍ

---

(1) هل القرآن معصوم؟، ص١٢٦ ـ ١٢٧.

أرادَها الله.. إنَّ اللهَ هو الذي جَعَلَ القبلةَ في مكةَ الكعبة، واللهُ هو الذي أَمَرَ المسلمينَ بعدَ الهجرةِ بالتوجُّهِ إلى بيتِ المقدس، لحكمةٍ يُريدُها سبحانه، ولما تَحققتْ تلك الحكمةُ الربانيةُ هو الذي أَمرهم بالعودَةِ إلى القبلة الأُولى الكعبة.. فالأَمْرُ والتحويلُ والتوجيهُ من اللهِ سبحانه، الذي له الأَمْرُ والنَّهْي، وما الرسولُ ﷺ إلّا مُنفِّذٌ لأَمْرِ الله.

وقد كان هذا المعنى واضحاً صَريحاً في حديثِ القرآنِ عن تحويلِ القبلة. قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۚ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٢ ـ ١٤٥].

الدلالاتُ التي يمكنُ أَنْ تُؤْخَذَ من هذه الآياتِ الأَربعِ عديدة، ليس هذا مكانَ الحديثِ عنها، ونُشيرُ هنا إشاراتٍ خاطفةً إلى بعضِ حقائقِ الآياتِ حول القبلة:

١ ـ تَنُصُّ الآياتُ على أَنَّ الذينَ يَعْترضونَ على تحويلِ القبلةِ سُفَهاء، وهذا يَشملُ كُلَّ المعترضين في أَيِّ زمانٍ ومكان، فالفادي المفْتَري سَفيهٌ من السفهاء: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾.

٢ ـ كانَ تحويلُ المسلمين إلى بيتِ المقْدس امتحاناً من اللهِ لهم: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾.

٣ ـ كانَ الرسولُ ﷺ يتمنّى أَنْ تَتَحَوَّلَ القبلةُ عن بيتِ المقدسِ إلى الكعبة، لكنه كان متأدِّباً مع الله، فلم يَطْلُبْ منه ذلك، وإنما كان يُقَلِّبُ وجهه في السماء، متمنِّياً أَنْ ينزلَ جبريلُ بالتوجُّهِ إلى القبلةِ الجديدة: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ . . .﴾.

٤ ـ تُصرحُ الآياتُ بأَنَّ اللهَ هو الذي وَلّى رسولَه ﷺ إلى القبلةِ الجديدة: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ﴾.

إِنَّ هذه التعبيراتِ الصريحةَ تُبَيِّنُ كَذِبَ وسَفَهَ الفادي المفتري في اعتراضِه على تحويلِ القبلة، وتحليلِه المتهافتِ لذلك التحويل!.

١٤٩

اعتراض على الصلوات الخمس

أَمَرَ اللهُ المسلمينَ أَنْ يُصَلّوا خمسَ صَلواتٍ في اليومِ واللَّيلة، وحَثَّهم على المحافظةِ عليها في القرآنِ. قال تعالى: ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

والصلاةُ الوسْطى المذكورةُ في الآيةِ هي صَلاةُ العصر، لِما وَرَدَ في ذلك عن رسولِ اللهِ ﷺ.

واعترضَ الفادي الجاهلُ على تكليفِ المسلمينَ بالصلواتِ الخمس. قال: «ونَحنُ نَسْأَل: ما فائدةُ الصلواتِ المتكررةِ يوميّاً خمسَ مَرّات، وأُسبوعيّاً وشهريّاً وسنويّاً، وإِلى ما شاءَ اللهُ في الحياة، بدونِ زيادةٍ ولا نُقصان؟ إنَّ الصلاةَ تَعبيرٌ متجددٌ لمشاعرِ الإِنسانِ نحوَ الله. قالَ المسيح: وحينَما تُصَلّونَ لا تُكَرِّروا الكلامَ باطلاً كالأُمم، فإِنهم يَظُنّونَ أنه بكثرةِ كلامِهم يُستجابُ لهم، فلا تَتَشَبَّهوا بهم»[1].

إِنَّ هذا الجاهلَ يَرى أنه لا فائدةَ من أَداءِ خَمْسِ صلواتٍ يوميّاً، حتى

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٢٧.

انتهاءِ العمر؛ لأنه لا تَجديدَ فيها، ولا تَفاعُلَ معها، ولا بُدَّ أَنْ تُجَدِّدَ الصلاةُ مشاعرَ الإِنسان.

ولم يَذكر لنا الجاهلُ المفتري كيفَ يُصَلّي هو وأَهْلُ مِلَّتِه من النصارى، وكيفَ يُجَدِّدُ هو وأَهْلُ مِلَّتِه مشاعِرَهم نحو الله، وهل يَجْتَهدون ويُغَيِّرونَ ويُبَدِّلونَ في صَلاتِهم، بهدفِ تَجديدِ مشاعرِهم، أَم أَنهم يَستمرون على الكيفيةِ التي تَعَلَّموها؟!.

إِن الصلاةَ عند المؤمنين عِبادةٌ وذكرٌ لله، وتوثيقٌ لصلتِهم بالله، وهي ليستْ صلاةً جامدة، تُؤَدّى بطريقةٍ روتينيةٍ رَتيبة، وإِنما يَتفاعلُ المؤمنُ بها وهو يُؤَدِيها، وينشطُ لها، ويَسعدُ وهو يُناجي اللهَ فيها!... صحيحٌ أَنه لا يَجوزُ التغييرُ والتبديلُ والزيادةُ والنقصانُ في أَوقاتِها وأَعدادِها وأَركانِها وأَدائِها، لكنَّ التجديدَ في النظرةِ لها، والتفاعلَ في أَدائِها، وفي الحالةِ الإِيمانيةِ العاليةِ أَثناءَ أَدائِها، وفي الثمراتِ والنتائجِ التي تُؤْخَذُ منها.

ويَكفينا قولُ اللهِ تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥ ـ ٤٦]، ولذلك كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إِذا حَزَبَه أَمْرٌ فَزِعَ إِلى الصَّلاة.. وكانَ ﷺ يَقولُ: «أَرِحْنا بها يا بِلال».

ولمعرفةِ فَضْلِ الصلواتِ الخمسِ نتذكَّرُ ما رواهُ البخاريُّ ومسلمٌ عن أَبي هريرةَ رضي الله عنه عن رسولِ اللهِ ﷺ قال: «أَرأَيْتُم لو أَنَّ نهراً ببابِ أَحَدِكم يَغتسلُ منه كلَّ يومٍ خمسَ مَرّات، هل يَبْقى من دَرَنِه شيء؟ قالوا: لا يَبْقى من دَرَنِه شيء.. قال: فكذلك مَثَلُ الصلواتِ الخمس، يَمحو اللهُ بهنَّ الخطايا».

وإِنَّ اللهَ العليمَ الحكيمَ أَوجبَ علينا الصلواتِ الخمس، وجعلَ الصلاةَ ركناً مهمّاً من أَركانِ الإِسلام؛ لأَنه يَعلمُ آثارَ الصلاةِ الإِيجابيةَ في الشخصيةِ الإِسلامية. قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وبهذا نَعرفُ سَفَهَ الفادي عندما اعترضَ على الصلواتِ الخَمْس، وجعلَ عنوان اعتراضِه استفزازيّاً: «تِكرارُ الصَّلاةِ باطلٌ»!!.

١٥٠

الصلوات وليلة المعراج

أَثارَ الفادي المفتري اعتراضَه على فرضِ الصلواتِ الخمسِ ليلةَ المعراج، وعَرَضَ الحادثةَ بتحريفٍ وتَغييرٍ وتَبديل!.

قال: «قالَ علماءُ المسلمين: لما أَسرى اللهُ بمحمد، ورأى حورَ العين، وسَلَّمَ عليهنَّ، وقابَلَ موسى، سأَلَه موسى: ما فَرَضَ ربُّكَ عليك؟ وقيل: إِنَّه سأَلَه: بمَ أُمِرْتَ؟ قال: خمسينَ صلاة، قال: ارجعْ إِلى رَبِّك فاسْأَله التخفيفَ. وفي البخاري: إِنَّ أُمَّتَك لا تَستطيعُ خمسينَ صلاةً كُلَّ يَوْم، وإِنّي واللهِ جَرَّبْتُ الناسَ قَبْلَك، وعالَجْتُ بني إِسرائيل أَشَدَّ المعالَجَة. أَيْ: إِنَّه فُرِضَ عليهم صلاتان، فما قاموا بهما، رَكْعَتان بالغَداة، ورَكْعتان بالعشِيِّ! وفي تفسير البيضاوي أنه فُرِضَ عليهم خمسونَ صلاة، غيرَ أَنَّ السيوطي قال: إِنَّ هذا باطل... ثم قالَ موسى: ارجعْ إِلى رَبِّكَ فاسْأَله التخفيفَ لأُمَّتِك. قال: فرجَعْتُ إِلى رَبّي، فقلت: يا رَبِّ خَفِّفْ عن أُمتي. فحَطَّ عَنّي خَمْساً. فرجَعْتُ إِلى موسى، فقلْتُ: حَطّ عنّي خَمْساً. قال: إِنَّ أُمَّتَكَ لا تُطيقُ ذلك، فارجِعْ إِلى رَبِّك فاسْأَلْه التَّخْفيف.. قال: فلم أَزَلْ أَرجع بينَ ربّي وبين موسى، حتى قال الله: يا محمد! إنهنَّ خمسُ صَلَواتٍ في كُلِّ يومٍ وليلة، لكلِّ صلاةٍ عَشْرٌ، فذلك خمسون. قال: فنزلْتُ حَتى انتهيْتُ إِلى موسى فأَخبرْتُه، فقال: ارجِعْ إِلى رَبِّك فاسْأَلْه التخفيف. قلتُ: قد رجعْتُ إِلى رَبّي حتى استحييتُ منه!».

ولْنقرأ الحادثةَ من صحيحِ مسلم. فقد روى مسلمٌ عن أَنَسِ بنِ مالك رضي الله عنه، عن رسولِ اللهِ ﷺ أَنه حَدَّثَ عن ما جَرى في رحلةِ الإِسراءِ والمعراج، ومن ذلك قوله: «... فأَوحى اللهُ إِليَّ ما أَوحى، فَفَرَضَ عليَّ خمسين صلاةً في كُلِّ يومٍ وليلة، فنزلْتُ إِلى موسى عليه الصلاة والسلام،

فقال: ما فَرَضَ ربُّكَ على أُمَّتِك؟ قلتُ: خمسينَ صلاة. قال: ارجعْ إلى رَبِّك فاسْأَله التخفيف، فإنّ أُمَّتَك لا يُطيقون ذلك، فإني قد بلوْتُ بني إسرائيلَ وخَبَرْتُهم. فرجعْتُ إلى رَبي، فقلْتُ: يا ربّي! خَفِّفْ على أُمَّتي. فَحَطَّ عَنّي خَمْساً. فرجعْتُ إلى موسى فقلت: حَطَّ عَنّي خَمْساً. قال: إنَّ أُمَّتَكَ لا يُطيقونَ ذلك، فارْجِعْ إلى رَبِّك، فاسْأَلْهُ التخفيف. فلم أَزَلْ أرجعُ بينَ ربّي تَبارك وتَعالى وبينَ موسى ﷺ، حتى قال: يا محمد، إنهنَّ خمسُ صلواتٍ كُلَّ يوم وليلة، لكلِّ صلاةٍ عَشر، فذلك خَمسونَ صلاة. ومَنْ هَمَّ بحسنةٍ فلم يَعْمَلْها كُتبتْ له حَسَنَة، فإنْ عَمِلَها كُتبتْ له عَشْراً، ومَنْ هَمَّ بسيئةٍ فلم يَعْمَلْها لم تُكْتَبْ شيئاً، فإنْ عَمِلَها كُتبتْ سيئةً واحدة. فنزلْتُ حتى انتهيتُ إلى موسى ﷺ فأخبرتُه. فقال: ارْجِعْ إلى ربِّك فاسأَلْه التخفيف.. فقلْتُ: قد رجعْتُ إلى رَبّي فاستحييتُ منه»[1].

وقد اعترضَ الفادي المفتري على حادثةِ الصلواتِ الخمس، وأثارَ شُكوكَه حولَ الوحيِ والنبوةِ والإسلام، قال: «ونحنُ نَسأل: هل الأنبياءُ أكثرُ معرفةً بأَحوالِ الناسِ من اللهِ سبحانه؟ وهل يتبعُ اللهُ رأيَ الناس؟ أَليس هذا كلُّه ناشئاً عن عدمِ معرفةِ محمدٍ بصفاتِ الله، وأَنَّ الصلاةَ أُنْسٌ بالله، وليستْ فرضاً ولا عبودية؟ والمسلمُ الذي يهتمُّ بالوضوءِ ونظافةِ البدنِ أكثر من نظافةِ القلب لا يُدرِكُ معنى الصلاة؛ لأَنه يهتمُّ بالاتجاهِ للقبلةِ أَكْثَرَ من اتجاهِ ضميرِه لله، ويتمسكُ بأَلفاظٍ محفوظةٍ دونَ الاهتمامِ بالتعبير عن حاجاتِه الخاصة، ويَعتبرُ أَنَّ الصلاةَ في ذاتِها حَسنةٌ تُذْهِبُ السيئة، ويَهتَمُّ بالنَّحْرِ مع الصلاة، كقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾، دونما إدراكٍ لمعنى كفارةِ المسيح؟!».

إنه لجهلِه وغبائِه لا يَعرفُ الحكمةَ من تشريعِ الصلواتِ الخمس بهذه الطريقة، ولذلك أَثارَ أَسئلتَه التهكُّمية، وحَلَّلَ الحادثةَ تحليلاً استفزازياً، شَتَمَ فيه الرسولَ ﷺ والإسلامَ والمسلمين!.

---

(١) مسلم، برقم: (١٦٢).

كلُّ الأَوامرِ والنواهي والتكاليفِ الشرعية كَلَّفَ اللهُ بها رسولَه ﷺ بطريقةِ الوحي، إلّا الصلواتُ الخمس، فإنه شاءَ سبحانَه وتعالى أَنْ يكَلِّفَه بها بهذه الطريقةِ الخاصة، حيثُ استدعاهُ وعَرَجَ به إلى السماء، وكَلَّفَه بها، وذلك لأَهميةِ الصلواتِ الخمس وعِظَمِ منزلتِها في هذا الدين، وعِظَمِ مهمَّتِها وآثارها في حياةِ المسلمين.

وشاءَ اللهُ العليمُ الحكيمُ أَنْ يكونَ التكليفُ بالصلواتِ الخمسِ على هذه الصورةِ المتدرجةِ اللطيفة، ولو شاءَ أَنْ يُكَلِّفَه بخمسِ صَلَواتٍ من أَوَّلِ الأَمْرِ لفَعَل، لكنَّه سبحانه وتعالى شاءَ أَنْ يُكلفَه بخمسينَ صلاةً أَولاً. وأَنْ يُسْقِط بَعْضاً من أَعدادِها كلَّما ذَهَبَ محمدٌ ﷺ إلى موسى عليه السلام ثم عادَ إِليه، حتى أَنزلَ أَعدادَها من خمسينَ إلى خمس، مع إِبقائِهن في الأَجْرِ خمسين، أَيْ أَنهنَّ خمسٌ في العدد، وخَمسونَ في الأَجْر.

فَعَلَ اللهُ ذلك بالصلواتِ الخمس، ليمتَنَّ على المسلمين بذلك، ويُبَيِّنَ لهم رحمتَه بهم، رحمتَه في تخفيضِهن من خمسينَ إلى خمس، ورحمتَه في إبقائِهنَّ على خمسينَ في الأَجرِ. ولا نتصوَّرُ مقدارَ المشقةِ والحَرَجِ لو أَبْقاهُنَّ اللهُ خمسينَ صلاةً في اليوم! فإِذا كانَ بعضُ المسلمين قد يَتثاقَلُ عن الصلواتِ الخمس، فكيف لو كُنَّ خمسينَ صلاة؟!.

إِنَّ اللهَ الحكيمَ يتحببُ إلى المسلمين، ويقدمُ لهم مظاهرَ من رحمتِه ورأفتِه بهم، وذلك ليعرفوا فضلَه وكرمَه وإِنعامَه، ويتذوقوا مظاهرَ رحمتِه وبرِّه ومحبتِه، وبذلك يزدادونَ محبةً له، وذكراً وشكراً له، ونشاطاً وحيويةً في عبادتِه وطاعتِه ومناجاتِه.

وإِنَّ الجاهلَ السفيهَ محجوبٌ عن هذه المعاني الروحية، لكفرِه وضَلاله، ولذلك لم يَفهم الحكمةَ من فرضِ الصلواتِ الخمسِ بهذه الطريقةِ المحببة، ومن ثم كَذَّبَ القرآنَ وكَذَّبَ رسولَ الله ﷺ، وأَثارَ أَسئلتَه الاستفزازية.

إِنَّ الجاهلَ الغبيَّ يسأَل: هل الأَنبياءُ أَكثرُ معرفةً بأَحوالِ الناسِ من الله؟

أَيْ: كيفَ يَفرِضُ اللهُ خمسينَ صلاة، وموسى عليه السلام يقولُ: إنَّ الناسَ لا يتحملونَ ذلك؛ لأَنه جَرَّبَ بني إِسرائيل!؟. لم يَقُلْ مسلمٌ عاقلٌ: إِنَّ موسى عليه السلام أَعرفُ بأَحوالِ الناسِ من الله، فالله سبحانه وتعالى هو الأَعلم، وعِلْمُه شاملٌ لكلِّ شيء، ولكنَّ اللهَ الحكيمَ شاءَ أَنْ يكونَ الإِنقاصُ في عددِ الصلواتِ بهذه الطريقةِ التي حَلَّلْناها قبلَ قليل.

وكان الجاهلُ مجرماً عندما شتمَ نبيَّنا محمداً ﷺ في قوله: «أليس هذا كلُّه ناشئاً عن عدمِ معرفةِ محمدٍ بصفاتِ الله؟!». وإِذا كان نبيُّنا ﷺ لا يَعرفُ صفاتِ الله فمن الذي يعرِفُها؟! هل هو هذا الجاهلُ الغبيُّ المتعالم؟!.. لقد كان رسولُ اللهِ ﷺ أعرفَ الناسِ بالله، وأَكثرَهم تقوى لله، وأَقربَ الناسِ إِلى الله. ولذلك قال ﷺ: «أَلا إِنّي أَتْقاكُم لله وأَخشاكُم له»!.

وكان المجرمُ ضالّاً بَذيئاً عندما شَتَمَ المسلمين، واتهمَهم في نياتِهم وقلوبِهم وضمائِرِهم وإِخلاصِهم، وكأَنه مُطَّلِعٌ على ما في قلوبهم، ويَعلمُ ما في صدورِهم!!.

إِنَّ الإِسلامَ يَدْعو المسلمينَ إِلى الاهتمامِ بنظافةِ قلوبهم أَكثرَ من اهتمامِهم بنظافةِ أَبدانِهم، وإِنَّ الصلاةَ تزكيةٌ للنفس، وتطهيرٌ للقلب، وسُمُوٌّ بالروح، وعندما يُطَهِّرُ المؤمنُ بَدَنَه، يُقبلُ على ربِّه في صلاته، ويَسعدُ بذكْرِه ومناجاتِه.. ويكونُ حاضرَ العقلِ والقلبِ وهو يُصَلّي ويدعو ربَّه.. وما إِنْ ينتهي من صلاته حتى يكونَ قد تزوَّدَ بالزادِ الإِيمانيِّ العظيم.

١٥١

حول فرض صيام رمضان

أَعادَ الفادي المفتري اعْتِراضَه على صيامِ رمضان، ونفى عنه صفةَ الوَحْي، وزَعَمَ أَنَّ محمداً ﷺ أَخَذَه عن الصابئين.

ذَكَرَ خمسَ آياتٍ من سورةِ البقرة تتحدَّثُ عن بعضِ أَحكامِ الصيام، ثم نَقَلَ كلاماً من تفسير البيضاويّ، ذَكَرَ فيه أَنَّ صومَ رمضان كان واجباً على

النَّصارى، وأنهم نَقَلوا الصومَ إلى الربيعِ ليكونَ أَسهلَ عليهم، وزادوا عليه عشرينَ يوماً، فصارَ صِيامُهم خمسينَ يوماً!! ثم نَقَلَ كَلاماً للمؤرِّخِ أَبي الفِداء، ذَكَرَ فيهِ أَنَّ الصابئينَ كانوا يَصومونَ ثلاثين يوماً، وكانَ صيامُهم من الفجرِ إلى المغرب! «وقالَ أَبو الفداءِ في تاريخه: وللصّابئين عبادات، منها سَبْعُ صَلَوات، ويَصومون ثَلاثينَ يوماً، وإِنْ نَقَصَ الشهرُ الهلاليُّ صاموا تسعاً وعشرين يوماً، وكانوا يُراعون في صومِهم الفِطْرَ والهِلال، بحيثُ يكونُ الفطرُ وقد دَخَلت الشمسُ الحَمَل، ويَصومون من ربعِ الليلِ الأَخيرِ إلى غروبِ قرصِ الشمس».

ومعنى كلام أَبي الفِداء أَنَّ الصابئين كانوا يَصومونَ كصيامِ المسلمين، فكانَ صيامُهم ثلاثين يوماً أَو تسعةً وعشرين يوماً، وكانَ صيامُهم من الفجر إلى المغرب! وبما أَنَّ الصابئين كانوا قبلَ المسلمين، فإِنَّ المسلمينَ أَخَذُوا أَحْكامَ صيامِهم عن أولئك الصابئين!!.

وهذه هي النتيجةُ التي خَرَجَ بها الفادي المفتري! قال: «ونحنُ نَسْأَل: إِنْ كانَ صيامُ رمضانَ ليس شرعاً جَديداً، ولا هو من الدينِ السماويِّ في شيء، بل هو مأخوذٌ من الصابئين في بلادِ العَرَب، فكيفَ يَقول: إِنَّ مَصْدَرَه وحيٌ سماوي؟ ولا يوجَدُ دليلٌ واحدٌ على صحةِ القول: إِنَّ رمضانَ كُتِبَ أولاً على النَّصارى»[1].

لم يَثبتْ عندنا بحديثٍ صحيح أَنَّ صومَ رمضانَ كُتِبَ على النصارى، وما ذَكَرَهُ البيضاوِيُّ ليس عليه دَليل معتَمد، ولذلك نتوقَّفُ فيه ولا نَقولُ به.

وقد ذَكَرَ القرآنُ أَنَّ اللهَ كَتَبَ علينا الصيام كما كَتَبه على الذين من قبلِنا. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]. وهذه إِشارةٌ قرآنيةٌ مجملَة، لم يَرِدْ حِديثٌ

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٢٩.

صَحيحٌ بتفصيلها، فنُبْقيها على إجمالِها، ولا نخوضُ في بيانِها، لعدمِ وجودِ دليلٍ نعتمدُ عليه. فكلُّ ما نقولُه: أَوجَبَ اللهُ علينا الصيام، كما أَوجبه على الذينَ من قبلِنا، فكانَ المسلمون السابقونَ يَصومون، أَمّا كيفَ كانوا يَصومون؟ وكم كانوا يَصومون؟ ومِنْ أَيِّ شهرٍ كانوا يصومونَ؟ فعِلْمُ ذلك عندَ الله.

أَما ما ذَكَرَه أَبو الفداء في تاريخه عن صومِ الصابئين فإنه لا دَليلَ عليه عندنا، حيث لم يَرِدْ فيه نقلٌ صحيحٌ عن رسولِ اللهِ ﷺ أو الصحابة، ولذلك نتوقف فيه ولا نعتمدهُ، ولا نَعرفُ كيفَ كان يَصومُ الصابئون!.

بعد هذا البيانِ ننظرُ في ما قالَه الفادي الجاهل: «ونحنُ نسأَل: إنْ كانَ صيامُ رمضانَ ليس شَرْعاً جَديداً، ولا هو من الدينِ الإسلاميِّ في شيء، بل هو مأخوذٌ من الصابئين في بلادِ العرب، فكيفَ يقول: إِنَّ مصدرَه وحيٌ سماوِي؟».

إِنَّ هذا قولٌ متهافتٌ سخيفٌ، مبنيٌّ على كلامٍ غيرِ صَحيح ولا مَقبولٍ، والمهمُّ عند الفادي إِدانةُ القرآن، واتِّهامُه بالخَطأ، ونفيُ كونهِ من عندِ الله، والزعمُ بأَنَّه من البشر، ولذلك يَعتمدُ أيَّ كَلام يُحققُ له هذا الهدفَ الخبيث، حتى لو كانَ ذلك الكلامُ باطلاً مردوداً... وما بالُكَ في مَنْ يزعمُ أَنه باحِث، وهو يَعتمدُ على كلامٍ غير صحيح؟!.

إِنَّ صومَ شهرِ رمضان شرعٌ إسلاميٌّ جَديد، خاصٌّ بالمسلمين، واللهُ هو الذي كَتَبَه عليهم وأَمَرَهم به، كما وردَ في الآياتِ الصريحة، وخَصَّهم بأحكامِه التشريعية.. ولا يَنفي هذه الحقيقة القاطعة تشبيهُ صيامِنا بصيامِ مَنْ قبلنا: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾، فوجْهُ الشَّبَهِ هو في وُجوبِ الصِيام، وهو الامتِناعُ عن الطعامِ والشرابِ. أما كيفيةُ الصيامِ وأحكامُه وعَدَدُ أيامِه، فلكلِّ أُمَّةٍ تَشْريعُهَا الربانيُّ الخاصُّ بها، كما قالَ اللهُ تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [المائدة: ٤٨].

﴿١٥٢﴾

حول حرمة الأشهر الحرم

أَوردَ الفادي عدةَ آياتٍ تتحدَّثُ عن القتالِ في الأَشهرِ الحُرُم، والأَشهرُ الأَربعةُ التي وادَعَ عليها رسولُ اللهِ ﷺ المشركين المعاهَدين. والآياتُ التي ذَكَرَها سبعُ آياتٍ من سورة التوبة (١ ـ ٥) و(٣٦) و(٣٧)، وآية من سورة البقرة (١٩٤)، وآيتان من سورة المائدة (٢) و(٩٧).

وبعد ذلك أَثارَ أَسئلتَه الاعتراضيةَ التشكيكية، قال: «ونحنُ نسأل: لماذا يُحَرِّمُ القرآنُ القتالَ في الأَربعةِ أَشهرِ الحُرُم فقط، ويُحَلِّلُهُ في بقيةِ شُهورِ السَّنة؟ أَليسَ الأَجدرُ أَنْ يُحَرِّمَ القتالَ دائماً ليحيا الناسُ في سَلام؟ ولماذا يُخالفُ القرآنُ ما اصطلحَ عليه العربُ من منعِ القتالِ في الأَشهرِ الحُرُم، بعد اعترافِه أَنّ ذلك من شعائرِ الله؟ ويُلَطِّخُ الأَشهرَ الحُرُمَ بِسفْكِ الدِّماءِ، مما جَعَلَ العربَ يُعَيِّرونَه بالغَدْر والخيانة؟ وما بالُ القرآن بعد هذا يُدافعُ عن الأَشهر الحُرُم، فيخلط بين السَّنَةِ القمريةِ والسَّنَةِ الشمسيَّة، ويَزعمُ أَنَّ الاعتراف بالسَّنَةِ الشمسيةِ كُفْرٌ؟ وإذا كانَت الأَشهرُ الحُرُمُ من شعائرِ الله، فلماذا بَطَلَ اعتبارُها في جميعِ العالمِ الإسلاميِّ في الوقْتِ الحاضِر؟»[١].

يَعترضُ الفادي على تَحريمِ القِتالِ في الأَشهرِ الحُرُمِ فقط، ويَقترحُ تَعميمَ تَحريمِهِ على أَشهرِ السَّنَةِ كُلِّها، لِيَعيشَ الناسُ في سَلام! في الوقتِ الذي يُخَطِّطُ فيه الأعداءُ لقتالِ المسلمين، ولا يتوقَّفُ تَخطيطُهم أَو حَشْدُ جيوشِهم في أَيِّ شهرٍ من شُهورِ السَّنَة! فما معنى ذلك؟ إنها دعوةٌ خبيثةٌ من هذا الفادي وأمثالِه، لِيَقْتُلَ روحَ الجهادِ في نفوسِ المسلمين، لكي لا يُواجِهوا الأعداءَ الحريصينَ على قِتالِهم! وتَأَمَّلْ مَعَنا براءةَ دعوةِ الفادي: الأَعداءُ لا يتوقَّفون عن ضَرْبِنا ومواجهتِنا، ويَجبُ على قرآنِنا أَنْ يُحَرِّمَ علينا قتالَهم!!.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٣٠.

ثم يَعترضُ الفادي على القرآنِ في حديثِه عن الأَشهرِ الحُرُم، ويتهِمُه بالتناقُض! فبعدما اعترفَ القرآنُ أَنَّ الأَشهرَ الحُرُمَ من شعائرِ اللهِ التي يَحرمُ القِتالُ فيها، ونهى المسلمينَ عن استحلالِ القتالِ فيها، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢] عادَ وأَباحَ للمسلمين القتالَ في الشهرِ الحَرام، وذلك في قوله تعالى: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ [البقرة: ١٩٤].

مع أَنَّ الأَمْرَ ليس كما فهِمَه ذلك الجاهل، وإِنَّنا نوقنُ أَنه لا تَعارُضَ بين آياتِ القرآن.

فالقرآنُ حَرَّمَ على المسلمين بدءَ القتالِ في الأَشهرِ الحُرُم؛ لأَنها من شعائر الله التي لا يَجوزُ استحلالُ القِتال فيها، حتى العربُ في الجاهليةِ احترموها ولم يَتقاتَلوا فيها، ولذلك كان المسلمونَ أَكْثرَ احْتِراماً لها.

لكنَّ القرآنَ أَجازَ للمسلمينَ الرَّدَّ على قِتالِ الأَعداءِ لهم فيها، ولا يُلامُ المسلمونَ على رَدِّ العُدوانِ في الأَشهرِ الحُرُم، إِنما يُلامُ الأَعداءُ المعْتَدون، الذين انتهكوا حرمةَ تلك الأَشهر الحُرُم، وليس من المعقولِ أَن يُهاجِمَ الأَعداءُ المسلمين، وأَن يسكتَ عليهم المسلمونَ بحجةِ حرمةِ القِتالِ في الأَشهُرِ الحُرُم! وعلى هذا قولُه تعالى: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].

وبهذا الجمع بين الآيات التي تُحَرِّمُ بَدْءَ القتالِ في الأَشهر الحُرُم، والآياتِ التي تُبيحُ رَدَّ الاعتداءِ في الأَشهرِ الحُرُم نُدركُ حكمةَ التشريعِ الإِسلاميِّ الجهادي. والأَمْرُ في هذه المسألةِ مثلُ حُكْمِ القتالِ عند المسجدِ الحرام، فاللهُ حَرَّمَ على المسلمين البدءَ بقتالِ الكافرين عندَ المسجدِ الحرام، لكنه أَجازَ لهم الرَّدَّ على قتالِهم. قال تعالى: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩١].

ولكنَّ الفادي الجاهلَ مطموسُ البصيرة، محجوبُ القلب، لا يُوَفَّقُ لهذه المعاني لكفرِه وضَلالِه، ولذلك يُسارعُ بتخطئةِ القرآنِ واتهامِه بالتناقُض!!.

ولم يفهم الغبيُّ حديثَ القرآنِ عن شهورِ السنة، وما فيها من أَشهرٍ حُرُم، وما كانَ يَفْعَلُهُ الجاهليّون من نَسيءٍ فيها. قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٦ ـ ٣٧].

المعتَمَدُ في الإسلامِ هو الحسابُ القمري، والسَّنَةُ القمريةُ اثْنا عَشَرَ شَهراً، منها أَربعةُ أَشهرٍ حرم وهي: ذو القعدةِ، وذو الحجةِ، ومحرمٌ، ورجب. ودَعا اللهُ المسلمين إلى عدمِ ظُلْمِ أَنفسِهم بارتكابِ المعاصي، ومنها انتهاكُ حرمةِ الأَشهرِ الحُرُم، ببدءِ قِتالِ الأَعداءِ فيها، فَإِنْ قاتَلَهم الأعداءُ فيها جازَ لهم قِتالُهم والرَّدُّ على عدوانِهم، كما تُصرحُ آياتُ سورةِ البقرة وسورةِ التوبة: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ و ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾.

تَذُمُّ الآياتُ بعدَ ذلك المشركينَ في الجاهلية، لما كانوا يُمارسونَه من نَسيء، وذلك بنقلِ حُرْمةِ شهرٍ حَرامٍ إلى شهرٍ آخر، إذا احتاجوا لِقتالِ الآخَرين فيه، وقد زادَهم هذا النَّسيءُ والتلاعُبُ كُفْراً وضلالاً.

هذا ما تقرره الآيتانِ (٣٦ ـ ٣٧) من سورةِ التوبة، وكم كان الفادي الجاهلُ غبياً عندما استخرجَ منهما قولَه: «ما بالُ القرآنِ بعد هذا يُدافعُ عن الأَشهرِ الحُرُم، فيخلطُ بين السَّنَةِ القمريةِ والسَّنَة الشمسية، وَيزعمُ أَنَّ الاعتراف بالسَّنَةِ الشمسيةِ كُفْر؟».

لا أدري كيفَ خَلَطَ القرآنُ في الآيَتَيْن السابقتَيْن بين السنةِ القمريةِ والسنةِ

الشمسية! إنَّ كلامَه هو عن السَّنَةِ القمرية، ولم يَتكلمْ عن السَّنَةِ الشمسيةِ كلمةً واحدة! ولا أدري من أينَ أخذ الغبيُّ أَنَّ القرآنَ اعتبرَ الاعتراف بالسَّنةِ الشمسيةِ كفراً، مع أنه لم يَذْكُرْها أَصْلاً.

إنه من السهلِ توزيعُ الاتهاماتِ جزافاً، وقد يُخْدَعُ بها بعضُ الناسِ أَحياناً، لكن ماذا يكونُ موقفُ المفْتَري عندما تتلاشى اتهاماتُه، ويعرفُ المراقبونَ والمتابعون تَفاهتها؟!.

١٥٣

هل انتشر الإسلام بالسيف؟

ذَكَرَ المفتري قولَ اللهِ ﷻ: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٦].

ونَقَلَ كلاماً من تفسيرِ البيضاويِّ في تفسيرِ الآية، ووَقَفَ أَمامَ جملةِ: ﴿تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ﴾، ونَقَل تفسيرَ البيضاويِّ لها: «أَيْ: يكونُ أَحَدُ الأَمْرين: إمّا الإسلامُ أو المقاتَلَة، لا غير.. ومَنْ عَداهُمْ يقاتَلُ حتى يُسلمَ أو يعطيَ الجزية. ﴿فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ﴾ هو الغنيمةُ في الدنيا، والجنةُ في الآخرة». أيْ أَنَّ المشركين في بلادِ العرب يُقاتَلون، ولا يَتوقَّفُ قتالُهم إلّا بإسْلامهم.. أمّا أَهلُ الكتابِ من اليهودِ والنصارى فأَمامَهم خياران: إمّا الإسلامُ وإما دَفْعُ الجزية، وهو ما دَلَّ عليه قولُه تعالى: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

واعترضَ الفادي المفْتَري على هذه الدعوةِ القرآنية، واعتبَرَها دَليلاً على انتشارِ الإِسلامِ بالسيف. قال: «ونحنُ نسأَلُ: هل يقومُ دينٌ صادِقٌ إلّا على

الحُجةِ والبُرهان، لا على الإرهابِ والاستبداد؟ وإنْ كانتِ الآياتُ المكيةُ تَحُضُّ على السِّلْم، والآياتُ المدنيةُ تحضُّ على القتال، فأَيُّ آياتٍ منها أَرسخُ وأَثبتُ؟ وأَيُّها أَنسبُ من حيثُ الإيمانُ والثواب؟.

إنَّ الإرهابَ يَدْفَعُ للنفاق. قالَ الشاعر:

أَسْلَمَ الكافِرونَ بِالسَّيْفِ قَهْراً   وإذا ما خَلَوْا فَهُمْ مُجْرِمونَ

سَلِموا مِنْ رَواحِ مالٍ وَروحٍ   فَلا هُمْ سالِمونَ ولا مُسْلِمونَ

يَزعمُ المفتري وُجودَ تَعارضٍ بينَ الآياتِ المدنيةِ والآياتِ المكيَّة، فالآياتُ المكيةُ تحضُّ على السِّلْم، والآياتُ المدنيةُ تحضُّ على القِتال؛ فأَيُّها أَصْدقُ؟ وأَيُّها يُتَّبَعُ؟.

وهذا زَعْمٌ باطل، فالآياتُ المكيةُ سَكَتَتْ عن قِتالِ الكفار، فكانَ قِتالُهم من الأمرِ المؤَجَّل، الذي لم يَحِنْ وَقْتُ الحديثِ عنه، وليس معنى هذا أَنَّ الآياتِ المكيةَ كانتْ تَنْهى عن القِتال، وتحضُّ على السَّلام.

وبعدما أَقامَ المسلمونَ مجتمعَهم الإسلاميَّ بعد الهِجرة، واعتَدى عليهم الكافرون، أَذِنَ اللهُ لهم بالقِتال، وأمرهم به، وحَثَّهُم عليه. وأشارَت الآياتُ المدنيّةُ إلى ما كانَ عليه المسلمونَ في مكة. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧].

ويَقومُ سؤالُ الفادي على المغالطةِ والاتِّهام: «هلِ يقومُ دينٌ صادقٌ إلّا على الحُجَّةِ والبُرهان، لا على الإرهاب والاستبداد؟». . ومن المتفقِ عليه أَنَّ أَيَّ دينٍ لا يَقومُ إلّا على الحُجةِ والبرهان. والإسلامُ دينٌ يخاطبُ العقلَ والقلبَ والروح، ويقدمُ للناسِ حقائِقَه بالحُجَّةِ والبرهان، والدليلِ المقنعِ الذي يُخاطبُ العقل.

وانتشرَ الاسلامُ في العالمِ بالدعوةِ وليسَ بالسيفِ، وقامَ على الحُجَّةِ

والبرهان، وخاطَبَ الدعاةُ الناسَ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة، ودَخَلَتْ بِلادٌ واسعةٌ في الإسلام. لم تحدثْ فيها معركةٌ واحدة، مثلُ أندونيسيا وماليزيا..

ولو انتشرَ الإِسلامُ بالسيف، وأَسْلَمَ الناسُ مُكْرَهين، لارتَدّوا عن الإِسلام عندما ضَعُفَ سلطانُ المسلمينَ السياسي، وتَقلَّصَ نفوذُ الإِسلامِ من المجتمعات. وها هو الإِسلامُ يَكتسبُ عُقولاً وقُلوباً جديدةً في العالمِ الغربي، ويُسلمُ أُناسٌ من قادةِ الفكْرِ والرأيِ والعلمِ والمعرفةِ عندهم، مع أنه لا يوجَدُ للإِسلامِ دولةٌ تَتَبَنّاهُ بصدْق، وتَدعو إليه بإِخلاص، ومع اشتدادِ الهجمةِ الشرسة عليه من قِبَلِ قُوى البغيِ والعدوان، بقيادَةِ اليهوديةِ الخبيثةِ والصليبيةِ الحاقدة، فلو لم يُقَدِّمْ حقائِقَه بالحجةِ والبرهانِ لما أَثَّرَ في النّاس!.

والإِسلامُ لا يَقومُ على الإِرهابِ والاستبداد، ولم ينتشرْ بالسيفِ والعُنْفِ والإِكراه. وقد صَرَّحَ القرآنُ بعدمِ الإِكراهِ على اعتناقِ الإِسلام. قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ولم يكن القتال وسيلةً للدعوةِ إِلى الإِسلام ونَشْرِه بينَ الناس، إِنما القتالُ وسيلةٌ لردِّ عُدْوانِ الكافِرين على الإِسلامِ والمسلمين، ورَدِّ عُدوانِهم على بلادِ المسلمين، ورَدِّ عدوانِهم على الدعاةِ المسلمين المنتشرين بين الشعوب، يَدْعونَ إِلى الإِسلامِ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة!.

إِنَّ القتالَ في الإِسلامِ قِتالٌ للقوةِ الماديةِ الكافرة، التي تَقِفُ أَمامَ دينِ الله. ولم يكنْ هدفُ القِتالِ إِدخالَ الناسِ بالإِسلامِ مُكْرَهين، كما يَزعمُ الفادي المفتري، إِنما هَدَفُ القتالِ تَحطِيمُ قُوةِ الكفارِ العسكرية، المتمثلةِ في الجيشِ والأَسلحةِ والعَتاد! هَدَفُه إِزالةُ النظامِ الكافر، الذي يُحاربُ بكلِّ مؤسساتِه الإِسلامَ، ويَمنعُ شَعْبَه من اعتناقِ الإِسلام عن بصيرة! هَدَفُه تَحريرُ الشعوبِ الكافرةِ المستعْبَدَةِ من قِبَلِ الحكامِ الطواغيت.

وبعدَما يُحققُ القتالُ هَدَفَه ويُحَطِّمُ القوةَ الماديةَ العسكرية، ويُحررُ الشعوبَ المستعْبَدَة، يُقَدِّمُ الإِسلامُ نَفْسَهُ إِلى هؤلاءِ المحَرَّرين، ويُخاطِبُهم

بالحجةِ والبرهان ويَدعوهم إلى الدخولِ فيه عن قَناعةٍ واختيار.. فمن اقتنعَ ودَخلَ فيه فقد فازَ في الدنيا والآخرة، ومن رَفَضَ ذلك وأَصرَّ على كفرِه تَرَكَهُ المسلمون، وطالَبوه بدفعِ مبلغٍ من المال، اسْمُه «الجزية»، مُقابِلَ حمايتِهم له.

١٥٤

حول القصاص في القتل

وَقَفَ الفادي أَمامَ آيةِ القصاصِ في القَتْل، وهي قولُ اللهِ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [البقرة: ١٧٨].

وذَكَرَ تفسيرَ البيضاويِّ للآية، واختلافَ المذاهبِ في قَتْلِ الحُرِّ بالعَبْدِ والذَّكر بالأُنثى، مع أَنَّ الآية لا تَدُلُّ على جوازِ ذلكِ ولا على مَنْعِه، كما قال البيضاوي: «ولَا تدلُّ الآيةُ على أَنْ لا يُقْتَلَ الحُرُّ بالعَبْد، والذكَرُ بالأُنثى، كما لا تَدُلُّ على عكْسِه».

فمسأَلَةُ قَتْلِ الحُرِّ بالعَبْدِ، والذكْرِ بالأُنثى، والمؤمنِ بالكافر، لم يتكلَّمْ فيها القرآنُ كَلاماً صَريحاً، وإِنما اختلفَ فيها العلماء والمذاهبُ اختلافاً كبيراً.. ومع ذلك اعترضَ الفادي المفتري على القرآنِ فيها، وخَطَّأه وانْتَقَدَه، مع أَنه لم يتكلَّمْ فيها!! قال: «ونحنُ نسأل: لماذا سمحَ محمدٌ وأَبو بكر وعمرُ وعليٌّ للأَغنياءِ والسادةِ أَنْ يَقْتلُوا العبيدَ دونَ أَنْ يَقْتَصوا منهم، وجَعلوا عَدَمَ قَتْلِ الحُرِّ بالعبدِ والمسلمِ بذي عَهْد سُنَّةً أَقَرَّها المذهبُ المالكيُّ والمذهبُ الشافعي؟ ولماذا لم يَعْتبِروا قول التوراةِ المحكيَّ في القرآنِ ﴿ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾ قانوناً إِلٰهياً واجبَ الاتِّباع، مُدَّعين أَنَّ التوراةَ لا تَنسخُ القرآن، رغمَ أَنَّ عبارةَ القرآنِ تُنافي قواعدَ العدلِ والمساواةِ بين البشر؟ إِنَّ اللهَ واحد، وقانونَه واحد، فلماذا يُحابي الإسلامُ الأَغنياء، فلا يُطالبُ بدماءِ العبيدِ من أَعناقِ السادةِ؟ ومن الغريبِ أَنَّ الشرعَ الإِسلاميَّ يصرحُ أَنَه لا يُقْتَلُ مؤمنٌ بدمِ كافرٍ، ولا بدَمِ

ذي عَهْد. أَلا يُعتبرُ هذا رخصةً من الإسلامِ للعَبَثِ بأرواحِ جميعِ بني آدم، واعتبارِ العهودِ قُصاصةً على وَرَق؟!»[١].

اعتراضُ الفادي المفتري على القرآن لا يتناسبُ مع موضوعِ كتابِه، وكان الأولى به أَنْ لا يجعلَه في الكتاب، لأنه خَصَّصَ الكتابَ لاكتشافِ الأَخطاءِ في القرآن، وهذا ليسَ موضوعاً قرآنياً، ولكنه يُريدُ أَنْ يُسَجِّلَ كُلَّ ما يُثيرُ الشبهةَ والتشكيكَ في القرآن!.

إن مسألةَ الاختلافِ في قتلِ الحُرِّ بالعبدِ والذكَرِ بالأنثى والمؤمنِ بالكافرِ مسألةٌ فقهية، وليستْ مسألةً قرآنية أَو حديثية، والأَوْلى أَنْ تُبْحَثُ ضمنَ المباحثِ الفقهية، وقد اختلفَ فيها الفقهاء. فالشافعيةُ يرونَ أَنه لا بُدَّ من التكافؤ في القصاص، بمعنى أَنْ يَكونَ القتيلُ مُكافِئاً للقاتلِ ليتمَّ القِصاص، وبما أنه لا تَساويَ بين الحُرِّ والعبد، والمؤمنِ والكافر، والذكرِ والأُنثَى، فلا قصاصَ بينهم، فإذا قَتَلَ الحُرُّ عَبْداً، أَو المؤمن كافراً، أَو الرجلُ امرأة، دفعَ القاتِلُ الدِّيَةَ ولم يُقْتَصَّ منه.

أَما الأَحنافُ فإنهم لا يشترطونَ التكافؤَ في القصاص، ويَجوز قَتْلُ الأَعلى بالأَدنى، أَيْ أَنه يُقْتَلُ عندهم الحُرُّ إذا قَتَلَ عَبْداً، ويُقْتَلُ المؤمنُ إذا قتَلَ كافراً ذِمِّيّاً معاهِداً، ويُقْتَلُ الرجلُ إذا قَتَلَ امرأة.

ومع أَنَّ المسألةَ خلافية بين المذاهِب، فيجوزُ أَخْذُ أَيِّ قَوْل، وتَرجيحُه على الأَقوالِ الأُخرى، دونَ ذَمٍّ لأَصحابِ الأَقوال الأُخرى، أَو اتهامِ الإِسلامِ والقرآنِ بالخطأ أَو الظلمِ والمحاباة، كما فعلَ الفادي المفتري.

وإِنّني أَميلُ منذُ مُدَّة إلى ترجيح قولِ الأَحنافِ في هذه المسألة، مع أَني شافعيُّ المذْهَب، لأَنني أَراه أَكثرَ اتفاقاً مع المساواةِ وإنسانيةِ الإِنسان، وتحقيقِ العدالةِ الإنسانية، مع احترامي للأَقوالِ الأُخرى فيها.

وإِنَّ عَدَمَ قتلِ الحُرِّ بالعبدِ كما يُقررُ المذهبُ الشافعي لا يعني مُحاباةَ

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٣٢.

الأغنياءِ والسادة. ولا يَعني ذهابَ دِماءِ العبيدِ هَدْراً؛ لأَنَّ الحكم يَنتقلُ من القِصاصِ إلى الدِّيَة، يَدْفَعُها أهلُ القاتلِ إلى أَهلِ القتيل.

والفادي المفتري الذي شَنَّ على النَّسخ هُجوماً شَديداً، يَدْعو الآنَ إلى اعتمادِه والقولِ بِه، لأَنه يتفقُ مع هواه! فقد أَخْبَرَنا الله في القرآنِ عن حُكْمِهِ في التوراة بوجوبِ قَتْلِ أَيِّ نفسٍ بأَيِّ نفس. قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: ٤٥]. وعَلَّقَ الفادي على هذا بقوله: «ولماذا لم يَعْتَبِروا قولَ التوراةِ المحكيَّ بالقرآن: ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ قانوناً إِلٰهياً واجبَ الاتِّباعِ، مُدَّعين أَنَّ التوراة لا تَنسخُ القرآن!».

وكيفَ يُريدُ للتوراةِ النازلةِ قبلَ القرآن بمئاتِ السِّنين أَنْ تنسخَه، مع أَنه من المتفق عليه عند العُقَلاءِ أَنَّ السابقَ المتقدِّمَ لا ينسخُ اللاحقَ المتأَخِّر.

وإذا كان الله قد أَوجبَ القِصاصَ في التوراة، وأَوجبَ قَتْلَ النفسِ بالنفس، فقد أَوجبَ ذلك في القرآن، عندما أَمَرَ بالقصاصِ في القَتْلى، وفَصَّلَ ذلك بقولِه: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾. فهذه الحالاتُ الثلاثةُ في الآيةِ تفسيرٌ للنفسِ بالنفس.

أَما الجملةُ التي ذَكَرَها الفادي: «إِنَّ عبارةَ القرآنِ تُنافي قواعدَ العدلِ والمساواةِ بين البشر» فهي جملةٌ فاجرة، شَتَم المجرمُ بها القرآنَ، مع أَنَّ العبارةَ التي اعترضَ عليها لا تَتَنافى مع العدلِ والمساواةِ بينَ البَشَر، وإِنما تَعْمَلُ على إِقرارِها وسيادتِها.

وإِذا كانَ بعضُ المذاهبِ لا يُجيزونَ قَتْلَ المسلم بالذِّمّيّ قِصاصاً؛ فإِنَّ مذاهبَ أُخرى أَجازَتْ ذلك، وسبقَ أَنْ ذَكَرْنا أَنَّ المذهبَ الحنفيَّ يقولُ بذلك، وأننا رجَّحْنا هذا القول.

وحتى عندَ الذينَ لا يَقْتُلونَ المسلمَ بالذِّمِّيِّ المعاهَدِ قِصاصاً، فإِنَّ دَمَ الذِّمِّيِّ القتيلِ لا يَذهَبُ هَدْراً؛ لأَنَّ الواجبَ ينتقلُ إلى الديَة، يدفعُها أَهلُ القاتلِ لأَهلِ القتيل!.

وهذا لا يُؤَدّي إلى اعتبارِ العهدِ في الإسلامِ لا قيمةَ لها، فالإسلامُ دَعا إلى الالتزام بالعهودِ والوَفاءِ بها، والمسلمون من أكثرِ النَّاسِ التزاماً وَوَفاءً بالعهود. كما أنه يَعتبرُ المحافظةَ على الأَرواحِ والدِّماءِ من مقاصدِه الأَساسية، ولا يُجيزُ سَفْكَ دَمِ أَيِّ إنسانٍ أَو إزهاقِ روحِه إلّا بسببٍ مَشْروع، مثل الجهادِ للمُعتَدين، أو تطبيقِ الحَدِّ الشرعيِّ على المجرمين.

١٥٥

حكم قتل المرتد

أَوردَ الفادي المفتري آياتٍ تتحدَّثُ عن المرتدِّ عن الإسلام؛ منها قولُه تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وأساءَ الفادي فهمَ قول اللهِ ﷻ: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ٨٩].

فهمَ منها أَنها تحكمُ بالكفرِ على المؤمنين الذين تثاقلوا عن الهجرةِ إلى المدينة. قال: «والظاهرُ من سورة البقرة أَنَّ مَنْ يرتدّ عن الإسلامِ إلى أَيِّ دينٍ آخَرَ يُعتبر كافراً. والظاهرُ من سورة النساءِ أَنَّ الذين أَظْهَروا الإسلامَ ثم قعدوا عن الهجرة، أَوجبَ القرآنُ على المسلمين أَنْ يَقْتُلوهم حيث وَجَدُوهم، كسائرِ الكَفَرَةِ، فَأَيْنَ حريةُ العقيدةِ والدين؟! إنها وصمةُ عارٍ أن يُقْتَلَ الذي يرى في الإسلامِ غيرَ الذي يرونه!»(١).

إنَّ هذه الآيةَ من سورةِ النساءِ لا تَحكمُ بالكُفْر على مُسْلمين لأَنهم تَثَاقَلُوا عن الهجرة، ولا تَأْمُرُهم بالقتْلِ لمجردِ هذا السَّبَب، كما فهِمَ الفادي

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٣٣.

منها هذا، وإنما تتحدَّثُ عن مُنافقينَ كافِرينَ حقيقة، وكُفْرُهم ليسَ بسببِ عَدَم الهجرة، وإنما كُفْرُهم بنفاقِهم، والمنافقون كُفّارٌ في الحقيقة، رغْمَ إظهارِهم الإسلام. قال تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ٨٨ ـ ٨٩].

هم منافقونَ لقولِه: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾.. وهم كفارٌ حقيقةً لقوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾.. وتَنهىٰ الآياتُ المؤمنين عن اتخاذِ أولئك المنافقين الكافرين أولياء، حتى يُهاجِروا في سبيلِ الله، ومعنى هجرتِهم في سبيل الله أَنْ يَدْخُلوا في الإسلام أَوّلاً، ثم يُهاجِروا بعدَ ذلك؛ لأَنَّ الهجرةَ مبنيةٌ على الإسلام.

فإنْ رَفَضوا الدخول في الإسلام، ورَفَضُوا الهجرةَ في سبيلِ الله، فعلى المسلمينَ أَنْ يَأْخذوهُم ويَقْتُلوهُم حيث وَجدوهم! والسببُ هو كفْرُهم ونِفاقُهم وعداوتُهم للمسلمينَ وحربُهم لهم، وهذه جرائمُ استحقّوا بها القَتْلَ!!.

وتباكى الفادي على المُرْتَدّين الذينَ حارَبَهم أَبو بكر الصديقُ رضي الله عنه، واعْتَبَرَهم مظلومين معتدىٰ عليهم، قال: «أينَ حريةُ العقيدةِ والدين؟ إنها وصمةُ عارٍ أَنْ يُقتَلَ الذي يَرىٰ في الإسلامِ غيرَ الذي يروْنَه.. أَلَمْ يُلَطِّخْ أَبو بكر الصِّدّيقُ يَدَيْه بِدماءِ أُلوفِ المرتدين؟!».

كما تباكى على جَبَلَةَ بنِ الأَيْهم آخرِ مُلوكِ الغساسنة، الذي دَخَلَ في الإسلام بعدَ فتح بلادِ الشام، ولم يكنْ إسلامُه عن قَناعَة، ولما حَكَم عمرُ رضي الله عنه أَنْ يَقْتَصَّ منه ذلك الأَعرابيُّ الذي لَطَمَه أَثناءَ الطواف، اعتبرها جَبَلَةُ إهانةً له، وهَرَبَ من المدينة إلى بلادِ الروم مرتدّاً عن الإسْلام، عائِداً إلى النصرانية!.

واعتراضُ الفادي المفتري على قَتْلِ المرتَدّ لا يَتَّفِقُ مع موضوع كتابه، الذي خَصَّصَه لانتقادِ وتخطئةِ القرآن، وهذه المسألة مسألةٌ حديثيةٌ فقهية.

فالقرآنُ لم يتحدَّثْ عن قَتْلِ المرتَدِّ، والذي أَمَرَ بذلك هو رسولُ اللهِ ﷺ. وذلك في قوله: «لا يَحِلُّ دَمُ امرئ مسلم إلّا بإِحْدى ثلاث: النفسُ بالنفس، والثَّيِّبُ الزَّاني، والتاركُ لدينِهِ المفارقُ للجماعة».

مَن الذي أَمَرَ الإسلامُ بقَتْله؟ إنه ليس الكافرَ أَصْلاً، المصِرَّ على كُفْرِه، ولكنه الكافرُ الذي دَخَلَ في الإسلام، ثُمّ خَرَجَ منه وعادَ إلى الكفر. إنَّ الردةَ دليلٌ على التلاعبِ بالعقيدةِ والإيمان، والاستهزاءِ بالإسلامِ والقرآن، والكيدِ ضدَّ المسلمين.

إنَّ المرتَدَّ يُعْلِنُ بردَّتِه خطأَ الإسلام وبُطلانَه، وهو بردَّتِه يَدعو المسلمين إلى الاقتداءِ به، والارتدادِ عن الإسلام مِثْله!.

والإسلامُ حَقٌّ وصَواب، ودعوةٌ للعالَمين جميعاً، والمرتَدُّ عن الإسلام محاربٌ له بردَّتِه، وصادٌّ عنه، وهذه الجرائمُ استحَقَّ بها القَتْل.

والمرتَدُّ لا يُقْتَلُ فوراً، إنما يُناقَشُ أَوَّلاً، وتُزالُ الشبهاتُ التي عنده، وتُقَدَّمُ له الحججُ والبراهينُ على الحَقّ، وَيُدْعى للعودةِ إلى الإسلامِ، كلُّ ذلك بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة، فإنْ رَفَضَ هذا المنطقَ العقلانيَّ الدعوي، وأَصَرَّ على ارتدادِه وكُفْرِه، فيكون هذا من بابِ العِنادِ والاستكبار، ولا يَعتمدُ على دَليلٍ عقليٍّ مُقْنِعٍ، لأَنَّ الإسلامَ حَقٌّ يتوافَقُ مع الفطرةِ والمنطقِ والعقلِ السَّليم، وليس فيه ما يَتَصادَمُ أَو يتناقَضُ مع المنطق.

عند ذلك يكونُ ارتدادُه تَلاعُباً وكيداً وحَرْباً للإسلام، ويكونُ جزَاؤُه القتل. إنَّ حريةَ العقيدةِ والدين التي يَتَباكى عليها الفادي المفتري ليستْ مع هذا المرتَدِّ عن الإسلام، إنما هي معَ الكافِر، الذي لم يَدْخُلْ في الإسلام أَصْلاً، فهذا يُدعى للدُّخولِ في الإسلام بالمنطقِ والحجةِ والبرهانِ، فإن اقتنعَ واعتنقَ الإسلامَ يكونُ قد فازَ في الدنيا والآخرة، وإنْ رَفَضَ الدعوةَ وأَصرَّ على كفرِه تركَه المسلمون وشأْنَه، من بابِ حريةِ العقيدةِ والدين التي يُنادي بها الفادي، ولا يُجْبِرونَه على الدخولِ في الإسلام؛ لأَنَّ اللهَ يقول: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي

﴿ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].. مع اليقين بأن هذا الذي رفض الدخولَ في الإسلام كافرٌ ضالٌّ خاسِرٌ، فاسقٌ ظالم مجرم، ليس على هدى أو إيمانٍ أو حق، وهو في الآخرةِ مخلَّدٌ في نارِ جهنم.

١٥٦

حكم الزواج بالكتابيات

أباحَ اللهُ للمسلمينَ الزواجَ بالكتابيات، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥].

وعَلَّقَ الفادي على هذا بقولِه: «يُجيزُ القرآنُ للمسلمينَ أَنْ يَتزوَّجوا المسيحيات.. بينما يُحَرِّمُ الإِنجيلُ تَحريماً باتّاً زواجَ المسيحياتِ بغيرِ المسيحيّين، ويقول: «فهي حُرَّةٌ لكي تتزوج بمَنْ تُريد، في الرَّبِّ فقط».. وهذا إعلانٌ قرآنيٌّ باحترامِ الإيمانِ المسيحيّ؛ لأَنَّ الزوجةَ المسيحية سَتُرَبّي أولادَ الزوجِ المسلم»[1].

زَعَم الفادي أَنَّ الإنجيلَ حَرَّمَ زواجَ النصرانيةِ من غيرِ النصراني، فكيفَ تُوافقُ النصرانيةُ على الزواجِ من المسلم؟ إنها بذلك تُخالفُ أَحكامَ دينِها، فما رأيُ الفادي في هذه المخالفة؟ ولماذا يُجيزُ ـ وهو القِسّيسُ ـ للنصرانياتِ الزواجَ من المسلمين؟ إنه يَعْتَبِرُ إباحةَ زواجِ المسلم بالكِتابيَّةِ إعْلاناً قرآنياً باحترامِ الإيمانِ المسيحي، وتفويضَ المرأَةِ النصرانيةِ بتربيةِ أَولادِ زوجِها المسلم.

لقد أباحَ القرآنُ للمسلمِ الزواجَ بالكتابية؛ لأَنها تؤمنُ بالتوراةِ أو

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٣٤.

الإنجيل، وهما كتابان من كتبِ الله، صَحيحٌ أَنّ اليهود والنَّصارى حَرَّفوهما بعدَ ذلك، لكنَّ أَصْلَهما من عندِ الله، فهو يتعامَلُ معهما على هذا الأَساس.

ولا يَعني إباحةُ الزواجِ من الكتابيةِ الاعترافَ بأَنها مؤمنةٌ مُوَحِّدَة، بل هي كافرة؛ لأَنّ مَنْ لم يكنْ مسلماً فهو كافرٌ بنصِّ القرآن. قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ونُقَرِّرُ أَنَّ القرآنَ لم يُبحِ الزواجَ بالنصرانيةِ فقط، وإِنما أَباحَ الزواجَ باليهوديةِ والنصرانيةِ، لأنهما كتابيَّتانَ، والزواجُ بهما مُباحٌ، وليس واجباً أَو مندوباً أَو سُنَّةً مُتَّبَعَة، والأَوْلى والأَفْضَلُ أَنْ لا يكون، لكنه مُباحٌ لمن أَراده.

وهو ليس مباحاً مُطْلَقاً، إنما هو مباحٌ بشرطِ أَنْ تكونَ الكتابيةُ مُحْصَنَة لقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾. والمرادُ بالإحصانِ هنا العفةُ وإِحصانُ الفَرْج، وعدمُ ارتكابِ فاحشةِ الزنى، ولا بُدَّ للمسلمينَ الراغبينَ في الزواجِ من الكتابياتِ من أَنْ يكونوا مُحْصِنين عَفيفين، غيرَ زناةٍ مسافحين ولا متخذي أَخْدان.

والخلاصَةُ أَنَّ الزواجَ بالكتابياتِ اليهودياتِ والنصرانيات مُباحٌ إِباحة، مع أَنَّ الأَولى أَنْ لا يكون، وهو مباحٌ بشرْطِ الإحْصانِ في الطرفين، الإحصانُ في الرجلِ المسلمِ وعدمُ زِناه، والإحصانُ في المرأةِ الكتابيةِ وعَدَمُ زناها.. وفَتِّشْ عن امرأةٍ كتابيةٍ غربيةٍ محصَنَة غَيرَ زانيةٍ في هذا الزمان!.

❖ ❖ ❖

الفصل السابع

نقض المطاعن الاجتماعية

١٥٧

لماذا شهادة المرأة نصف شهادة الرجل؟

اعترضَ الفادي الجاهلُ على تفريقِ القرآنِ بينَ الرجلِ والمرأةِ في الشهادة، حيثُ جعلَ شهادةَ المرأةِ على النصفِ من شهادةِ الرجل؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

الموضوعُ الذي تأْمُرُ الآيةُ بالإشهادِ عليه هو الدَّيْن، وهو موضوعٌ ماليٌّ تفصيليٌّ إجرائيّ، يقومُ على المعاملاتِ بينَ الناس، ومعلومٌ أنَّ هذه التفاصيلَ الدقيقة تَعْني الرجالَ غالباً وتَستهويهم، أمّا النساء فإنهنَّ لا يَنتبهنَ لها غالِباً، لأنها لا تتفقُ مع ميولِهنَّ. وإذا طُلِبَ من المرأةِ أنْ تَنْتَبِهَ لهذه التفصيلات وتحفظَها فإنَّها لا تَضبطُ ذلك، وإنْ طُلِبَ منها أنْ تَذكرَ تلك التفصيلاتِ بعدَ فترةٍ فإنها لا تُحسنُ أداءَ ذلك.

فإذا جُعلت المرأةُ شاهدةً على تلك التفصيلاتِ المالية، وطُلبَ منها أداءُ الشهادة، فإنها غالِباً لا تَستحضرُ تلك التفصيلات، وبذلك لا تُؤَدِّي الشهادةَ على أُصولِها، وبذلك قد يَضيعُ الحَقُّ على صاحبِه!!.

وإنَّ اللهَ العليمَ الحكيمَ الذي خَلَقَ المرأةَ على هذه الصورة، يَعلمُ ذلك منها، ولذلك جعلَ شهادةَ المرأتين مُقابلَ شهادةِ الرجلِ الواحد، وعَلَّلَ ذلك بقوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾. أي: تَأْتي المرأتانِ لأداءِ شهادتِهما على تَفْصيلاتِ الدَّيْن، وتوقَفُ الشاهِدَتان معاً، فإذا نَسيتْ إحداهُما بعضَ تلك التفصيلاتِ ذَكَّرَتْها صاحبتُها، وبذلك تتكامَلُ شَهادَتاهما على تقريرِ الحقيقة!.

ولكنَّ الفادي لا يَعرفُ هذا المعنى، لذلك اعترضَ على القرآنِ وخطَّأَهُ،

واعتَبَرَهُ امتهاناً للمرأة. قال: «ونحنُ نَسأل: كم هو مقْدارُ الغبْنِ والمهانة، التي تَشعرُ بها السيداتُ من هذا المبدَأ المُهين، البَعيدِ كُلَّ البعدِ عن مبدأ المساواةِ في الشخصيةِ الإنسانية؟ كم من امرأةٍ واحدةٍ فاضِلةٍ خيرٌ من عديدٍ من الرجالِ الجُهّال؟!»(١).

وكلامُه دليلُ جَهْلِه وغبائِه، فالأَمْرُ ليس كما تَصَوَّرَه، وليس الكلامُ عن الغبنِ والظلم، والاحتقارِ والمهانَة، وليس فيه تفضيلُ جنسِ الرِّجالِ على جنسِ النساء، بل هو موضوعٌ ماليٌّ إجرائيٌّ تَفصيليٌّ خاصٌّ كما ذكرنا.

والمرأةُ مساويةٌ للرجلِ في الإنسانية، وفْقَ التصورِ الإسلامي، ثم تَفترقُ عنه بعدَ ذلك في فُروقٍ خاصَّةٍ بها، جعلَها اللهُ في كيانِها، لتُحققَ رسالتها الإنسانية، كما يفترقُ الرجلُ عنها في فروقٍ خاصَّةٍ به، ليُحققَ رسالتَه الإنسانية.

ولا ننكرُ أَنَّ بعضَ النساءِ المؤمناتِ الصالحاتِ الفاضلات، أَفضلُ مِن كثيرٍ من الرجالِ غيرِ الصالحين؛ لأَنَّ التَّقوى هي أَساسُ التكريمِ عندَ الله.

١٥٨

لماذا ميراث المرأة نصف ميراث الرجل؟

اعترضَ الفادي المفتري على قولِ الله ﷻ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١].

تجعلُ الآيةُ ميراثَ الرجلِ ضِعْفَ ميراثِ الأنثى، فالرجلُ يأخذُ مثلَ نصيبِ المرأَتَيْن. وهذا أَثارَ اعتراضَ الفادي، فقال: «ونحنُ نسأل: لماذا لا يَتساوى الولدُ والبنتُ في الميراث؟ أَليسَ لكلٍّ منهما جَسَدٌ يَحتاجُ للِكساء، ومعدةٌ تحتاجُ للقوت؟ أَليستْ مطالبُ المعيشةِ على كلَيْهما واحدة؟ بل قد تكونُ أقسى على البنتِ وهي قاصرٌ أو عانس أَو أَرملة!»(٢).

يَقترحُ الفادي أَنْ يَتساوى الرجلُ والمرأةُ في الميراث، بحجةِ تَساويهما في

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٣٧. (٢) المرجع السابق نفسه.

الحاجاتِ من طَعامٍ وشَرابٍ وكِساء، بل إِنَّ المرأةَ أكثرُ حاجةً في ذلك من الرجل. ويَعتبرُ أَخْذَ الرجل ضِعْفَ نصيبِها من الميراث ظُلْماً لها، وتفضيلاً للرجلِ عليها.

إنَّ إعطاءَ الرجلِ ضعْفَ نصيبِ المرأةِ ليس مرتَبطاً بالتفضيل، أيْ ليس الرجلُ أفضلَ من المرأةِ تَفْضيلاً جنسيّاً، فلا يُفَضَّلُ لِأَنَّه رَجُل.. ويَقومُ التفضيلُ عندَ اللهِ على أَساسِ العملِ، بدونِ اعتبارٍ للجنسِ أو اللونِ أو اللغةِ أو العمر أو التملكِ أو النَّسَبِ، فالأكرمُ عندَ اللهِ هو الأَتْقى، سواء كانَ رَجُلاً أو امرأة، غَنياً أو فقيراً، شَريفاً أو وضيعاً، أَبيضَ أو أسود. لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. وهذا معناهُ أَنَّ المرأةَ الصالحة التقية أفضلُ عند اللهِ من آلافِ الرجالِ غيرِ الصالحين.

وتوزيعُ الميراثِ لا يُنْظَرُ فيه إلى حاجاتِ الجسمِ من طَعامٍ وشَرابٍ وكساء، لأَنَّ الرجلَ والمرأةَ يَتَساويان في ذلك.

لقد أُعْطِيَ الرجلُ ضعفَ نَصيبِ المرأة بسببِ المسؤولياتِ الموكولةِ إليه، فالرجلُ هو المسؤولُ مَهْما كانَ وضْعُه العائليّ، سواء كان أباً أو زوجاً أو أخاً أو ابناً، هو المعيلُ لمن عنْدَه من النساء، الزوجاتِ والأُمهاتِ والأَخواتِ والعَمّاتِ، وهو المتكفلُ بحاجاتِهنّ، والمُنْفِقُ عليهن.. أما المرأةُ فإنه لا يجبُ عليها إنفاقُ أيِّ شيء من مالها، مهما كان وَضْعُها العائلي، ومهما كانَ مالُها، إلّا إذا أرادَتْ أَنْ تُنفقَ من مالِها كَرَماً منها!! أيْ أَنَّ الرجلَ هو الذي يَدفعُ دائماً، والمرأةُ هي التي تأخذُ وتَكْسِبُ دائماً...

ألا يتطلَّبُ ذلك إعطاءَ الرجلِ ضِعْفَ نَصيبِ المرأةِ من الميراث؟.

١٥٩

حول تعدد الزوجات

اعترضَ الفادي المفتري على الآيةِ التي تُبيحُ تَعَدُّدَ الزوجات، وهي قولُ الله ﷻ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٣].

وبعدما سَجَّلَ الفادي خُلاصَةَ تفسيرِ البيضاوي للآية أعلنَ رَفْضَه لها.

قال: «ونحنُ نسأل: أليست الأُسرةُ هي خليَّةً مصغَّرَةً للمجتمع؟ إنَّ وُجودَ رجلٍ واحدٍ بينَ أَربعِ نساء، وعَدَدٍ كبيرٍ من السَّراري مصنَعٌ للمظالم، وميدانٌ للبغضاءِ والمشاحنات، ومعملٌ لتخريجِ المطلَّقات والمشَرَّدينَ من الأَطفالِ الأَبرِياء، وإذا تزوَّجَ الرجلُ بأَربعٍ أو أكثرَ في آنٍ واحد، فلماذا لا تتطلَّعُ المرأةُ للتزوُّجِ بأربعةِ رجالٍ في آنٍ واحد؟ أَليسَ العدلُ أَنْ تُراعِيَ القانونَ الأَصْليَّ وهو: حواءٌ واحدةٌ لآدمَ واحد؟»[1].

وقد سبقَ أَنْ أَثارَ المفتري الشبهاتِ حولَ تَعَدُّدِ الزوجات، وناقَشْناهُ في ذلك، وذَكَرْنا أَنَّ التعدُّدَ رخصةٌ مشروطة، وليسَ واجباً عينياً على كُلِّ رجل، وهو مشروطٌ بعدْلِ الرجلِ بين زوجاتِه، فإنْ لم يعدلْ كان آثماً، وعندما يَعدلُ الرجلُ بين زوجاتِه تزولُ المخاطرُ التي أَثارَها المفتري حولَ التعدد، إذْ يجعلُ البيتَ الذي فيه أَكثرُ من زوجةٍ مَصْنَعاً للمَظالم، ومَيْداناً للبَغْضاءِ والمشاحنات، ومَعْملاً لتخريجِ المَطلَّقاتِ والمشَرَّدينَ من الأَطفالِ الأبرياء!! فبالعدلِ بين الزوجاتِ يكونُ البيتُ واحةَ سَلامٍ وأَمان، ومكانَ مودَّةٍ ومحبةٍ، ويَنشأُ الأَطفالُ فيه نشأةً سويةً سعيدة.. هكذا كانت بيوتُ الصحابة، الذين أخذوا برخصةِ التعَدُّد، وكانوا عادِلينَ بينَ زوجاتهم.

وإذا كان بعضُ المسلمينَ الآخِذين برخصةِ التَّعَدُّدِ يُسيئونَ استخدامَ هذه الرخصة ويَظلمونَ زوجاتِهم، فهم المؤاخَذونَ أَمامَ الله، وهم الذين يَتحمَّلونَ تبعةَ ظُلْمِهم وسوءَ تصرُّفِهم، ولا يتحمَّلُ ذلك القرآنُ الذي أَباحَ التعددَ مَشْروطاً بالعَدْل.

وافترى الفادي على الله عندما زَعَمَ أَنَّ سنةَ اللهِ هي تزوُّجُ الرجل بامرأةٍ واحدة؛ لأَنَّ آدَمَ تزوَّجَ بحواءَ فقط.. وهذا كذبٌ من المفتري، فآدمُ تزوَّجَ بحواءَ فقط، لأَنه لم يكنْ عنْدَه أُنثى غيرُها من البَشَر. وقد تَزَوَّجَ كثيرٌ من الأَنبياءِ بأَكثرَ من امرأةٍ واحدة، مثلُ سيدِنا محمد ﷺ، ومثلُ داودَ وسليمان عليهما السلام، اللَّذان تزوَّجا بأكثرَ من زوجةٍ واحدة.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٣٨.

وبما أَنَّ اللهَ أَذِنَ بتعدُّدِ الزوجاتِ في هذِهِ الآيةِ الصريحةِ، فهذا هو الحقُّ والصواب، والحكمةُ دائماً تتحقَّقُ من كلِّ ما أَباحَهُ اللهُ أَو أَمَرَ به. واعتراضُ الفادي على حُكْمِ اللهِ دليلُ جَهلِهِ، وكُفْرِه بالله، وعدم تقديرِه سبحانَهُ حَقَّ قَدْرِه.

وأَيُّهما أَفْضَلُ وأَطهرُ وأَكرمُ للمرأة، أهو تعدُّدُ الزوجاتِ، بِأَنْ تعيشَ أَكثرُ من امرأةٍ تحتَ رعايةِ رجلٍ واحد، أَمْ تعدُّدُ «العشيقات»، الذي يَقومُ على امتهانِ المرأةِ، وتحويلِها إلى مجردِ جَسَدٍ يُشْتَهى، ويُؤَدّي إِلى شيوعِ الفواحش؟.

أما ما يطالبُ به من تعدُّدِ الأَزواجِ للمرأةِ، مقابلَ تعدُّدِ الزوجاتِ للرجل، فهذا من فُحْشِه وبذاءَتِه، ودليلٌ على جهْلِهِ وغبائِه، فاللهُ خلقَ الرجل طالِباً للمرأة، وجَعَلَ المرأةَ تابعةً للرجل! فيكفي المرأةَ رجلٌ واحدٌ يقومُ عليها ويتكفَّلُ بها.

ثُمَّ إِنَّ تَعَدُّدَ الأزواجِ للمرأةِ يؤَدّي إِلى اختلاط الأنساب، فلا يَعرفُ الولَدُ مَنْ أَبوه، لاحتمالِ أَنْ يكون كلُّ واحدٍ من أزواجها أَباً له، وفي هذا من المفاسدِ الاجتماعيةِ والنفسيةِ والإنسانيةِ ما فيه!!.

١٦٠

ضرب الزوجات: لماذا؟ ومتى؟ وكيف؟

اعترضَ الفادي على إباحةِ ضربِ الزوجاتِ في بعضِ الحالات، وهي التي أشارَ لها قولُ اللهِ ﷻ: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤].

وعَلَّقَ على الآيةِ بقولِه: «يُصرحُ القرآنُ أنه إذا خافَت المرأةُ من إعراضِ زوجِها عنها فلْتلجأ إلى هيئةِ تَحكيم، من أَهْلِها وأَهْلِه، ليُصْلِحا بينَهما صُلْحاً: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]. ولكنَّه يقولُ: إنه إذا خافَ الرجلُ من إعراضِ زوجتِه عنه فعلَيْه أَنْ يَعِظَها، ثم يَهْجُرَها، ثم يضربَها، سواءٌ صَفْعاً باليد، أَو لَكْماً بجمعِ اليَد، أَو رَفْساً ورَكْلاً بالرِّجْل، أَو نهشاً بالكُرباج، أَو لَفْحاً بالعَصا...».

ثم أَوردَ نَصّاً من الإنجيلِ على محبةِ الرجلِ لامرأتِه، لأنها جُزْءٌ منه..

ويَهدفُ الخبيثُ من ذلك إلى المقارنةِ بينَ القرآنِ والإنجيلِ في النظرِ إلى الزوجة، واتِّهامِ القرآنِ بأنه دَعا إلى ظلمِ المرأةِ وإهانَتِها، بينما دَعا الإنجيلُ إلى مَحبَّتِها وتكريمها.

وقد دَعا القرآنُ الرجلَ إلى السكونِ إلى امرأتِه، وجَعلَ ذلك آيةً من آياتِ الله، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

ونهى اللهُ الرجالَ عن ظلمِ نسائِهم وإيذائِهن، وأوجبَ عليهم معاشرتَهُنَّ بالمعروف؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ١٩ ـ ٢١].

وفي حالاتٍ نادرةٍ قد تختلفُ المرأةُ مع زوجها، وتبدأُ بالنشوز والتمرُّدِ على زوجها، عند ذَلك لا بُدَّ أَنْ يُعالجَ زوجُها الأمْرَ، ويَقضي على النُّشوز، قبلَ أَنْ يَصِلَ إلى الطلاق.. وقد أَرْشدَه اللهُ في هذه الحالةِ إلى القيامِ بثَلاثِ خطواتٍ متدرِّجَة: يبدأُ بوعْظِها وتذكيرِها بالله، وتحذيرِها من عواقبِ النشوز، فإنَ لم تنفعْ معها هذه الوسيلةُ لجأَ إلى هجرِها في المضجع، فإنْ لم تتوقَّفْ عن نُشوزِها ضَربَها ضَرْباً خفيفاً غيرَ مُبرِّح!.

وإنَّ اللهَ الحكيمَ الذي شَرَعَ هذه الوسائلَ لعلاجِ النشوزِ لَيعلم أَنَّ بعضَ حالاتِ النشورِ والتمردِ لا يَنفعُ معها إلا الضربُ الخفيفُ، ولذلك شَرعَهَ وأَذِنَ به.

وقد كانَ الفادي مفترياً كاذباً عندما وَصفَ الضربَ وَصْفاً همجيّاً وحشيّاً. حيثُ قال: «ثم يَضربُها، سواءٌ صَفْعاً باليَد، أَوَ لَكْماً بجمْعِ اليَد، أو رفْساً وركْلاً بالرِّجْل، أَو نهشاً بالكرباج، أَو لَفْحاً بالعَصا».

ولم يَأْذَن القرآنُ ولا رسولُ اللهِ ﷺ بهذا الضرب، ولم يَصِفْهُ أيُّ عالم أو مفسِّر أَو فقيهٍ بهذا الوصف، ولا يَجوزُ استعمالُ الكرباجِ أَو العصا أَو الرِّجْلِ في ضربِ الزوجة؛ لأَنَّ هذا ضربُ انتقامٍ، وليسَ وسيلةَ تربيةٍ وأُسلوبَ علاج.

إِنَّ ضَرْبَ الزوجةِ الناشزِ كأُسلوبِ علاجٍ لا بُدَّ أَنْ يكونَ ضرباً خفيفاً، بِكَفٍّ أَو إِصبع، على أن يتجنب الوجه لأنه مكرم عند الله، وعلى أن لا يترك أثراً، وأن لا يكون مبرحاً، ونكرر أن معظم الأزواج لا يضطرون إلى هذا الأسلوب مع زوجاتهم، وأنه لا يستعمل إلا في حالات نادرة جدّاً.

١٦١

ماذا بعد الطلقة الثالثة؟

وَرَدَ في القرآنِ أَنه إذا طَلَّقَ الرجلُ زوجتَه الطلقةَ الثالثة، فإِنّها لا تحلُّ له إلّا بعدَ أَنْ تَنكحَ زوجاً غيرَه. قال تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

والمعنى أَنه إِنْ طَلَّقَها زوجُها الطلقةَ الثالثة فإنها لا تحلّ له حتى تنكحَ زَوْجاً غيرَه، وذلك بأَنْ يتزوَّجَها الثاني، ويدخُلَ بها، ويُجامعَها، فإِنْ طَلَّقَها زوجُها فلا جناحَ على زوجِها الأَوَّلِ أَنْ يتزوَّجَها من جَديد.

أَما إِذا عَقَدَ الزوجُ الثاني العقدَ عليها فقط، بهدفِ تحليلِ عودتِها إِلى زوجِها الأَول، ولم يُجامعْها، فهذا لا يَجوز، وقد لعنَ رسولُ اللهِ ﷺ الرجلَيْن، المحلِّلَ وهو الزوجُ الثاني، والمحلَّلَ له، وهو زوجُها الأَوَّل، وقال ﷺ: «لَعَنَ اللهُ المحلِّلَ والمحَلَّلَ له».

وهذا التشريعُ كُلُّه لم يُعْجب الفادي المجرِم، وأَثارَ عليه اعْتِراضَه وإِنْكارَه، وخَطَّأَ القرآنَ، وشَتَمَ رسولَ اللهِ ﷺ ببذاءَة. قال: «ونحنُ نَسأَل: أَلا يَستنكرُ العُقلاءُ هذا النظامَ الغَريب؟ لماذا يُصَرِّحُ القرآنُ بصُلْحِ المطَلَّقةِ

ورُجوعِها إلى زوجِها، بشرطِ أَنْ تُجامِعَ رَجُلاً غيرَه يُسَمَّى مُحَلِّلاً؟ ولماذا لَعَنَ محمدٌ المحَلِّلَ والمحَلَّلَ له؟ أَليسَ الأَحَقُّ باللَّعن هو المُشرِّع؟!»[1].

وكلامُ المجرم يَقومُ على التلاعبِ والتحريفِ، والتَّدْليسِ والتَّمويه، إنه لإِجْرامِه وشيطنَتِه يُريدُ أَنْ يُمَوِّهَ على القارئ!.

إنه يَدْعو العُقَلاءَ إلى استنكارِ هذا النِّظام الغَريب، ويزْعُمُ أَنَّه لا يتقبَّلُه العقلُ السَّليم.. ولا أدري أينَ مصادمَتُهُ للعقل. لقد شرَعَ اللهُ الطَّلاق، وحَدَّدَ عَدَدَ الطلقات بالثَّلاث، بعدَ أَنْ كانَ مَفْتوحاً مُطْلَقاً في الجاهلية، فقد يُطَلِّقُ الرجلُ منهم زوجَتَه مئةَ طَلْقَة، ويُبْقيها زوجةً له، فجاءَ الإِسلامُ وحَدَّدَه بثَلاثِ طَلْقات.. ويمكنُ للمرأةِ أَنْ تتزوَّجَ رجُلاً آخَرَ بعد انقضاءِ عِدَّتِها من زوجِها الأَوَّل. وماذا في هذا من تَصادُمٍ مع العقل؟ ويمكنُ لزوجِها الثاني أَنْ يُطَلِّقَها إذا أَراد، وماذا في هذا؟ وما المانعُ من أَنْ تَعودَ إلى زوجِها الأَوَّل بعدَ انقضاءِ عِدَّتِها من زوجِها الثاني؟ أَينَ الذي يرفُضُه العقلُ السَّليمُ من هذا التشريع؟ ثم أَليس هو شرعَ الله، جاءَ صَريحاً في القرآن؟ وهل في شرعِ اللهِ ما يتناقَضُ مع العقلِ السليم؟.

وجملةُ المجرمِ مَلْغومَة: «بشَرْطِ أَنْ تُجامِعَ رَجُلاً غيرَه يُسَمَّى المحَلِّل»، ويَقصدُ المجرمُ بالجماعِ هنا الجماعَ المُحَرَّمَ الذي هو الزِّنى؛ لأَنه يستنكرُ زواجَها الثاني ويعتبرُه زنىً، والجِماعُ المباحُ في الإِسلام هو الذي يكونُ بينَ الزوجَيْنِ زَواجاً شرعياً.

والزوجُ الثاني إنْ تزوَّجَ المرأةَ على الأُصولِ الشرعيةِ زوجٌ كاملُ المواصفاتِ الزوجيةِ وحقوقِ الزوج، ولا يُسَمّى محلِّلاً، إنما يُسَمّى مُحَلِّلاً إذا تزوَّجَها بهدف تحليلِ إعادتِها إلى زوجِها الأَوّل، واشترطَ عليه أَنْ لا يُجامِعَها!.

وكم كانَ الفادي مُجْرِماً بَذيئاً مَلْعوناً عندما وَجَّهَ لعنةً مباشرةً لرسولِنا ﷺ، وذلكَ في قوله: «ولماذا لَعَنَ محمدٌ المحَلِّلَ والمحَلَّلَ له؟ أَليسَ الأَحَقُّ باللعنةِ هو المشَرِّع؟».

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٣٩.

ولا نقولُ إلَّا أَنَّ هذا المجرمَ عليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أَجْمعين.

١٦٢

حول حجاب المرأة

اعترضَ الفادي المفتري على القرآنِ لأَنه أَمَرَ المرأةَ المسلمةَ بالاحْتِجاب، وذلكَ في قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

قال: «والخُمُرُ جمعُ خِمار، وهو ما تُغَطّي به المرأةُ رأْسَها. و«جيوبهن» جمعُ جيب، وهو القَلْبُ أَو الصَّدْرُ، والجيبُ أَيضاً هو طَوْقُ القَميص، فيكونُ المعنى: يَسْتُرْنَ أَعناقَهن بغطاء رؤوسهن.

ونحنُ نسأَل: كيفَ توضَعُ المرأةُ في حِجابٍ يُشْبِهُ السِّجْن؟ إِنَّ الحجابَ يقتلُ في المرأةِ روحَ العمل والنشاطِ والحريةِ الشخصية، ويَرجِعُ بالإِنسانيةِ إِلى عهودِ الرِّقِّ والعبودية»(١).

لا أَدري لماذا يُهاجِمُ الفادي الحِجابَ، ويَصِفُه بهذه الصفاتِ المذمومة؟ وهو رَجُلُ الدّينِ النَّصْراني، الذي يَزعمُ حِرْصَه على العَفافِ والطُّهْر، ومُحاربةِ الانحلالِ والعُهْر، وإِنَّ الحجابَ صيانةٌ وحفظٌ للمرأة، ونَشْرٌ للطهارةِ والفضيلةِ في المجتمع.

ومَن الذي قالَ: إِنَّ الحجابَ سجنٌ للمرأة؟ ولماذا يُرَدِّدُ الفادي دِعاياتِ الشَّياطِين. إِنَّ دُعاةَ الشهوات، الحريصين على نَشْرِ الفواحِش، يُريدونَ فتنةَ الناسِ بالمرأة، فيُخْرِجونَها متبرجةً متزينةً مغرية، ويُحاربونَ حِجابَها وسِتْرَها، وما الفادي إِلَّا واحدٌ من هٰؤلاءِ الشياطينِ المفسدين، ولذلك يُهاجِمُ الحجاب ويَجعلُه مُدمِّراً للمرأة، قاتِلاً لروحِ العمل والنشاطِ فيها، علماً أَنَّ المحَجَّباتِ من أَنشطِ النساءِ في المجتمع!.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٣٩.

١٦٣

حول قتال مانعي الزكاة

ذَكَرَ الفادي آياتٍ من سورةِ التوبة تتحدَّثُ عن إخراج الزكاة، ثم ذَكَرَ قِتالَ أبي بكرٍ الصِّدّيق ﷺ مانعي الزكاة، حيثُ أَرسلَ خالدَ بنَ الوليدِ ﷺ فقاتَلَهم وأعادَهم للإسلام.

ثم اعترض على ذلك بقولِه: «ونحنُ نسأل: إذا كانت الزكاةُ رُكْناً من أَركانِ الدين، والدينُ لله، فهل يُعْتَبَرُ الدِّينُ قَيِّماً إذا كُنّا نُمارسُهُ لا رغبةً وتَطَوُّعاً، بل جَبْراً وقَسْراً، وإِنَّ زكاةً يجمعُها سيفُ خالدِ بنِ الوليد وأَمثالِه، يَرفُضُها الله! لأنها ليستْ إِحْساناً»[١].

إِنَّ اعتراضَه هنا خارجٌ عن موضوعِ الكتابِ، فالكتابُ مُخَصَّصٌ للحديثِ عن أَخطاءِ القرآنِ في زَعْمِه، وهذا الاعتراضُ على ما فَعَلَه أَبو بكر وخالدٌ ﷺ من قِتالِ مانعي الزكاةِ من المرتَدين العرب!.

ومع ذلك نقول: صَحيحٌ أَنَّ الزكاةَ رُكْنٌ من أَركانِ الإِسلام، وأَنه لا بدَّ للمسلمِ من أَنْ يَدْفَعَها وهو منشرحٌ مُتفاعِل، وأَنْ يَتَفاعَلَ كيانُهُ كُلُّه بإِعطائِها، كما قالَ الله ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

والمسلمونَ يقومونَ بشعائِرِ الإِسلام رغبةً وتَطَوُّعاً؛ لأَنهم يَتَقَرَّبون بذلك إِلى الله، ويَفرحونَ لأنهم بذلك يَنالونَ جَنَّتَه ورِضْوانَه.

وقتالُ مانِعي الزكاةِ زمنَ الصِّدّيقِ ﷺ ليسَ من أَجْلِ إِكراهِهم على دفْع الزكاةِ جبراً وقَسْراً، كما ظَنَّ الفادي الجاهل، بل من أَجْلِ أَنهم مُرْتَدّون كُفّار؛ لأَنهم أَنكروا وُجوبَ الزكاة، وإِنكارُ وُجوبِها خروجٌ من دينِ الله.. ومن المعلومِ أَنَّ قِتالَ المرتَدّين واجب.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٤٠.

فلما عَادوا للإسلامِ دَفَعوا الزكاةَ راضين مُتَقَرِّبينَ بذلك إلى الله!.

١٦٤

حول توزيع الغنائم

اعترضَ الفادي المفتري على القرآنِ في توزيعِه الغنائم، وذلك في قولِه تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١].

والغنائمُ هي كُلُّ ما أَخِذَ من الكفارِ بعد هزيمتِهم واستسلامِهم. وهذه الغنائمُ أَحَلَّها اللهُ للمؤمنين المجاهدين، ولم يُبِحْها للمسلمين السابقين، فلما كان السابقونَ يُجاهدونَ الكافرين ويَهزمونَهم، ويَأْخُذون منهم الغنائم، كانوا يَجْمَعون تلك الغنائمَ ويَحْرِقونَها بالنار، وعلى هذا قولُ رسولِ اللهِ ﷺ: «وأُحِلَّتْ لي الغنائم، ولم تُحَلَّ لأَحَدٍ من قبلي...».

وأَمَرَ اللهُ بتَخْميسِ الغنائم. أَيْ: تَقْسيمها إلى خمسةِ أَخْماسٍ متساوية، تُعْطى أَربعةُ أَخْماسٍ منها للمجاهِدين تكريماً ومكافأةً لهم. والخُمسُ الخامسُ يَقَسَّمُ على خمسةِ أَصناف، ذَكَرَتْهم الآية: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

وقد اعترضَ الفادي على هذا، فقال: «ونحنُ نسأَلُ: كيفَ تُستباحُ أَموالُ الناسِ بعد إِراقةِ دمائِهم باسمِ الله؟ وكيفَ يأْخُذُ القائدُ الدينيُّ غنيمة؟!»(١).

يُنكرُ الفادي المفتري قِتالَ الكافرين، حتى لو بَدَؤوا هم بالعُدْوان على المسلمين وقتالِهم، ويَعتبرُ قَتْلَهُمْ سَفْكاً للدمِ بالباطل، ويعتبرُ المسلمين معتدين!.

وإذا كان الفادي الجاهلُ يَعترضُ على القرآنِ لإِباحتِه قِتال الكفار، فإنه

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٤١.

يعترضُ على القرآنِ أيضاً لأنه أباحَ أخْذَ الغنائم من الكفارِ المعتدين، وقَسَّم تلكَ الغنائمَ عليهم، وأعطى النبيَّ جُزْءاً من تلك الغنائم!.

واعتراضُ الفادي مردود؛ لأنه يعترضُ على أمْرٍ أباحَه الله، ووَرَدَ النصُّ عليه في كتابِ الله ﷻ؛ قال تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٩].

١٦٥

حول أخذ الجزية من أهل الكتاب

اعترضَ الفادي المفتري على قولِ الله ﷻ: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] لأَنَّ الآيَةَ تأمرُ المؤمنين بقتالِ الكفارِ من اليهودِ والنصارى من أهلِ الكتاب، وتُبَيِّنُ المبرراتِ التي تَدْعو إلى قِتالِهم، ولا يتوقفُ قِتالُهم إلّا بخضوعِهم للمسلمين، ودفعِهم الجزيةَ وهم صاغرون.

ونَقَلَ من تفسيرِ البيضاوي تفسيرَ الآية وبيانَ مَعْناها، ومعنى الجزية، ومَن الذين تُؤْخَذُ منهم، وكَيفيةَ أَخذِها منهم، واختلافَ المذاهبِ في ذلك.

وقالَ بعدَ ذلك: «ونحنُ نسأَل: كيفَ يُبيحُ قَوْمٌ لِأَنْفُسِهم أَنْ يُقاتِلوا الناس باسمِ الدين، ويُخَيِّروهُم بينَ الإِسلام أو الموت أو الجزية؟»[1].

أَيْ أَنَّ الفادي المفتري لا يُجيزُ قِتال الآخرين، ولا أَخْذَ الجزيةِ منهم؛ لأَنَّ هذا ظلْم لهم واعتداءٌ عليهم.

إنّ قِتالَ الكفارِ من أهلِ الكتابِ وأَخْذَ الجزيةِ منهم، ليس اجتهاداً من المسلمين، حَتّى نقولَ: إنْ هذا اجتهادٌ خاطِئ، وفَعْلٌ باطل، ولكنَّ هذا أَمْرٌ صريحٌ من اللهِ سبحانه وتعالى، أَنزلَه في كتابِه الكريم، والمسلمونَ مكُلَّفون

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٤٢.

بتنفيذِه.. وبما أَنَّه أَمْرٌ من اللهِ فهو صواب، لا خَطَأَ فيه، ولا اعتراضَ عليه؛ لأَنَّ اليقينَ عند كُلِّ مسلم وجوبُ الالتزامِ بأَحكامِ الله، وتنفيذِ أَوامِره.

لماذَا أَمَرَ اللهُ بقتالِ أَهل الكتابِ من اليهودِ والنصارى؟ لأَنَّهم كُفّارٌ أَوّلاً: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾.

ثم لأَنهم يتآمَرونَ على المسلمين، ويَعْتَدُونَ عليهم، ويَطْمَعون فِي بُلدانِهم، ولا يتوقَّفونَ عن قتالِهم، وإِنْ ظَهَروا عليهم وغَلَبوهم ارْتَكَبوا ضِدَّهم الجرائمَ الفَظيعة: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨].

ولماذا أَخْذُ الجزيةِ منهم؟.

إِنَّ دفْعَ هؤلاء الكافرين المعتدينَ الجزيةَ للمسلمين دليلٌ على خُضوعِهم لسلطانِ المسلمين، وتوقفِهم عن العدوانِ عليهم، وهذا معناهُ أَنْ يتكفَّلَ المسلمونَ بحمايتِهم والدفاعِ عنهم، والمحافظةِ على دمائِهم وأَموالِهم، وهم يَدْفَعون مبلغاً من المال للمسلمين، مقابلَ هذه الحماية، وسُمِّيَتْ جزيةً من الجَزاء، وهو دَفْعُ شيءٍ جَزاءً لشيء، فهم يكسبونَ من المسلمين الحماية والأَمان، ويَبْذُلونَ المال جزاءً ومكافأَةً لذلك!.

١٦٦

حول إكراه الجواري على الزنى

اعترضَ الفادي المفتري على قولِ الله ﷻ: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٣٣].

نَقَلَ الفادي عن تفسيرِ البيضاويِّ سببَ نُزولِ هذه الآيةِ وتفسيرَها. وخلاصَةُ ذلك أَنه كانَ لعبدِ الله بنِ أُبَيّ ستُّ جوارٍ من الإماء، وكان يُكْرِهُهُن

على الزنىٰ، ويُطالبهنَّ بِدْفعِ ضريبةٍ ماليةٍ له مقابل ذلك، فشكا بعضُهنَّ الأَمْرَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ . . فأنزلَ اللهُ الآيةَ لِذَمِّ ابنِ أَبيّ ومَنْعِه من فعْلِهِ.

والمعنى: لا يجوزُ إكراهُ الجواري على الزِّنىٰ أَصْلاً، ولا يَجوزُ إرسالُهنَّ إلى الزنى أصلاً، حتى لو لم تَكُنَّ مُكْرَهات، فالموافقةُ على زناهُنَّ حَرام، وإرسالُهنّ للزِّنى حَرام، وإكراههنَّ على الزِّنى حرام. والشرطُ في قولِه: «إنْ أردنَ تحصناً» ليس قَيْداً للنّهي؛ لأَنَّ النهيَ عن زناهُنَّ عامّ، سواءٌ أَرَدْنَ تَحَصُّناً أَمْ لا، لكنَّ هذا الشرط لبيانِ الواقع؛ لأَنَّ الآيةَ نَزَلَتْ في إماءٍ تَعَفَّفْنَ وأَرَدْن التحصُّن. . فإذا كُنَّ هؤلاء الإماءُ يُرِدْنَ التحصُّنَ والتعففَ وهنَّ إماء، فكيفَ بغيرِهن من الحرائر، اللَّواتي يَنْفُرْنَ من الزنَى أساساً؟!.

وقد اعترضَ الفادي على الآيةِ وصياغَتِها. قال: «ونحنُ نسأل: أليس الأَولى أَنْ يَأْمُرَ الفتياتِ أَنْ يُشْهِرْنَ الطاعةَ لله، والعصيانَ على البشر، فلا يَقْبَلْنَ ارتكابَ المنكر؟ وكان الأَوْلَى بدَلَ أَنْ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أنْ يقول: إن الله شديد العقاب، إلا على من تاب»[1].

واقتراحُ الفادي دَليلٌ على جهْلِه وغَبائِه، فهو يَرى أَنَّه كانَ الأَوْلى بالآيةِ أَنْ تَأْمُرَ أُولئك الفتياتِ الجواري بإعلانِ الطاعةِ لله، ورفْضِ ارتكابِ المنْكَرِ. ومَنْ قالَ: إِنَّهُنَّ لم يفعَلْنَ ذلك؟! لقد عَصَيْنَ سيدَهُن عبدَ الله بنَ أَبَيّ، ورفضْنَ تنفيذَ طَلَبه، وشَكَوْنَهُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، وفعَلْنَ ذلك من بابِ طاعَتِهنَّ لله! فلماذا يَقترحُ الغبيُّ على الآيةِ طَلَبَ شيءٍ منهنَّ فعلْنَه ونَفَّذْنَه؟!.

ويُنكرُ الجاهلُ على الآيةِ خَتْمَها بجملةِ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ويقترحُ خَتْمَها بجملةِ: (فإن الله شديد العقاب إلا على من تاب).

يَتعالَمُ الجاهلُ ويَتفاصَحُ على القرآنِ العظيم المعْجِز، ويَرى عِبارتَهُ أَبْلَغَ وأَفصحَ من عبارةِ القرآن، فيرَى أَنَّ خَتْمَ آيةٍ تَنهى عن الحَرام والمْنكرِ بالترغيبِ بالمغفرةِ والرحمةِ غَيْرُ مناسِب، وكانَ الأَوْلى أَنْ تُخْتمَ الآيةُ بالتهديدِ بالعِقاب!.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٤٢.

إنَّ الأنْسَبَ هو خَتْمُ الآيةِ بالترغيبِ بالمغفرةِ والرحمة، وهذا التَّرغيبُ ليسَ للذي يُكْرِهُهُنَّ على البِغاء، إنما هو ترغيبٌ لهن، فقد يَزْنين مُكْرَهاتٍ نافرات، فَتَدْعوهُنَّ الآيةُ إلى التوبةِ والاستغفار، واللهُ غفورٌ رحيم، يَغفرُ لهنَّ ويَرْحَمُهُن!.

أَمّا الذي يُكْرِهُهُنَّ فإنَّ الله سيحاسِبُه ويُعَذِّبُه. والتقدير: ومَنْ يُكْرِهْهُنَّ فسوفَ يُحاسبه الله، أمّا هُنَّ فإنّ اللهَ سيغفرُ لهنّ؛ لأَنَّه غَفورٌ رحيم.

١٦٧

حول الشهود على الزنى

اعترض الفادي المجرمُ على قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٤].

تُحَذِّرُ الآيةُ من الحديثِ عنِ الأعراضِ والاتِّهام بالزِّنى، وتُطالِبُ المُسْلِمِينَ بالاحتياطِ والحَذَرِ والتَّشَدُّد، وذلكَ بالإتيانِ بأَربعةِ شُهود، شاهَدوا الرجلَ يَزْني بالمرأة، فإنْ لم يَشْهد الأَربعةُ على ذلك جُلِدوا حَدَّ القَذْف.

وعَلَّق الفادي على ذلك مُعْتَرِضاً فقال: «ونحنُ نسأل: كيفَ يَتَسَنّى لأَربعةٍ أَنْ يكونوا شُهوداً لحادثةٍ فِيها دائماً كتمانٌ وسِرِّيَّة؟ وكيفَ يُحْكَمُ بالجلدِ ثمانينَ جلدةً على ثلاثةِ شُهود، ولو رأوْا بأَعْيُنِهم ارتكابَ الحادث وشهِدُوا عليه؛ لأَنَّه ليسَ معهم شاهِدٌ رابع؟ إنَّ المطالبةَ بأَربعةِ شهودٍ أَقربُ إلى المستحيل، وتعجيزٌ وتعطيل، بهدفِ تبرئةِ المذنب»[١].

يعترضُ الفادي على طلبِ إِحضارِ أَربعةِ شُهود، رَأَوُا الزِّنى بأَعينهم؛ لأَنَّ هذا شِبْهُ مستَحيل، ولأَنَّ الزِّنى يكونُ غالِباً في مكانٍ خاصّ، فالهدفُ من اشتراطِ أَربعةِ شُهودٍ هو تبرئةُ الزّانِيَيْنِ، وتَعطيلُ الحَدّ!.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٤٣.

إنّ ما ذكَرَتْه الآية من اشتراطِ أَربعةِ شُهودٍ هو الحَقُّ والصَّواب، وحكمَةُ ذلك المحافَظةُ على الأعراضِ وصِيانَتُها وعَدَمُ جَعْلِها وسيلةً للإشاعاتِ وأَحاديثِ المجالس. تَتَناقَلُها وتُرَدِّدُها الأَلسنة، وبهذا تنتشرُ الرذيلة، وتُوحي بسهولةِ ارْتِكَابِها بينَ الناس، وتُغْري رُوّادَ الفواحشِ بيُسْرِ الحصولِ عليها.

لذلك حَرَّمَ الإسلامُ الحديثَ في الأَعْراض، وقَذْفَ الناسِ بالزنى، واشْتَرَطَ على المتحدِّثِ تَقْديمَ أربعةِ شُهودٍ شاهَدوا ارتكابَ الفاحشةِ بعُيونِهم، فإِنْ لم يَتِمَّ ذلك أُقيمَ على المتكلِّمين حَدُّ القَذْف، وجُلِدَ كُلُّ واحدٍ منهم ثَمانين جلدة.

صحيحٌ أَنه من المتَعَذِّرِ رؤيةُ أَربعةِ رجالٍ الزَّانِيَيْنِ وهما يَزْنِيان؛ لأَنَّ الزِّنى فية إِسرارٌ وتكتُّمٌ واخْتِفاء، لكن لا بُدَّ من شهودٍ وبَيِّنَة، ثم إِنه ليس من هدفِ القرآنِ إِقامةُ حَدِّ الزِّنى على الزانِيَيْن، بل هدفُه تطْهيرُ المجتمعِ الإِسلاميِّ من فاحشةِ الزِّنى، ومحاربتُها ومطاردتُها، وإِبعادُها عن تفكير ومشاعرِ الراغِبين فيها، بحيثُ يضطرُّ المجرمان المتَّفِقانِ على الزِّنى إِلى الاختفاءِ عَن عيونِ الناس، وارتكابِ الفاحشةِ في غُرْفَةٍ محكمةِ إِغلاقِ الأَبوابِ والنوافذِ! وهما إِنْ نَجَيا من إِقامَةِ الحَدِّ في الدنيا، فلن يَنْجُوا من عذابِ اللهِ في الآخرة!.

وعجيبٌ أَمْرُ هذا الفادي المجرم: إِنَّ أَيَّ آيةٍ في القرآنِ تُثيرُ اعْتِراضَه وإِنكارَه، فاشتراطُ الآيةِ أَربعةَ شهودٍ جَعَلَها تلاعُباً وتبرئةً للزانِيَيْن، ولو تساهَلَت الآيةُ في إِثباتِ الزنى لجعَلَها قاسيةً شديدةً! فمهما قال القرآنُ فهو عنْدَه خطأ!!.

١٦٨

لماذا جلد الزاني أمام الناس؟

عندما أَمَرَ اللهُ بإِقامةِ حَدِّ الجَلْدِ على الزانيةِ والزاني، أَوجبَ أَنْ يَكونَ ذلك أَمامَ المؤمنين؛ قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

واعترضَ الفادي المفتري على ذلك، فقال: «ونحنُ نسأل: أليسَ الأَجْدَرُ أَنْ يُعالَجَ أمثالُ هؤلاء المذنبين بروحِ الوداعةِ والشفقة؟ والمسيحيةُ لا تأْمُرُ بطرْدِ المخطئ، بل بفرزِهِ من الجماعةِ تَخْجيلاً له، ثم قَبولُه والترحيبُ به إذا نَدِمَ وأَعْلَنَ توبَتَه»(١).

يَرى الفادي أَنَّ جَلْدَ الزاني عقوبةٌ قاسيةٌ شديدة، فيها انتقامٌ ووحشيةٌ وعُنْف، لا سِيَّما أَنَّ الجَلْدَ لا بُدَّ أَنْ يكون علنيّاً، وأَن يشهدَه طائفةٌ من المؤمنين. ويُفَضِّلُ الفادي عقوبةَ الزاني في الإِنجيلِ على عقوبتِه في القرآنِ، لأَنَّ العقوبةَ في الإِنجيلِ تتمُّ بروحِ الوَداعةِ والشفقة، وتقومُ على فرْزِهِ وفصْلِه عن الجماعةِ تَخْجيلاً له، وإِذا ندمَ وتابَ يُعادُ إِلى الجماعة!!.

وإِنَّ اعتراضَ الفادي مردودٌ باطل، لأَنه مُوَجَّهٌ إِلى حكم صادرٍ عن اللهِ، وإِنَّ اللهَ العليمَ الحكيمَ يَعلمُ أنه بتطبيقِ هذا الحكمِ يرتدعُ الزُّناةُ ويتأَدَّبونَ، لأَنهم يخشونَ الفضيحةَ العلنية، والعقوبةَ المرئية، ويحسِبون لها كُلَّ حساب: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. وبعضُ الذين لا يَخافون من حسابِ اللهِ وعقابِه، قد يخافونَ من الفضيحة، فيتوقَّفونَ عن ارتكابِ الحَرام إِذا نتجَ عنه فضيحة.

ودَعا اللهُ المؤمنين إلى عقابِ الزانيةِ والزاني بمئةِ جَلْدَة، ونَهاهُما عن إيقاف العقابِ بحجَّةِ الرأفةِ بهما: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾.

وهذا رَدٌّ على تَعالُم المعْتَرِضين على حُكْم الله، من أَمْثالِ الفادي، الذينَ يَظُنّونَ أَنهم أَرأَفُ وأَرحَمُ بالعُصاةِ من اللهِ ربِّهم، فيرفُضونَ حكْمَه، ويُقَدِّمونَ بديلاً له، يَظُنُّونَهُ أفضلَ.. إِنَّ الأَفضلَ للناسِ هو تطبيقُ حُكْمِ الله، ولا يُرَبّيهم ويُزَكّيهم إِلّا حُكْمُ الله، ولا بَديلَ لحُكْمِ الله.. ونقولُ للفادي وأمثالِه ما عَلَّمَنا القرآنُ: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٤٣.

(١٦٩)

المنسوخ والناسخ في حد الزنى

اعترضَ الفادي على آيةٍ تتحدَّثُ عن عقوبةٍ منسوخةٍ للزنى، وهي قــولُ الله ﷻ: ﴿وَٱلَّتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥] النساءُ اللواتي يرتكبنَ فاحشةَ الزِّنى، يَجبُ أَنْ يَشهدَ عليهنَّ أَربعةُ شُهود، فإِنْ شهِدوا عوقِبنَ بالحبسِ في البيوت، حتى يَحينَ أَجَلُهُنَّ وتَنتهي أَعمارُهن، أَو يأْتيَ حكْمٌ جديدٌ من اللهِ يَنسخُ هذا الحكم: ﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾.

وهذا الحكمُ أَثارَ اعتراضَ الفادي المفتري، فقال: «ونحنُ نسأَلُ: هَلْ يُصْلِحُ الحبسُ المؤَبَّدُ في مثلِ هذه الحالةِ المذْنِبَ؟ كَيفَ يَحْبِسونَ فَتاةً في السادسةَ عشرةَ من عمرِها مَثَلاً، إذا قُدِّرَ لها أَنْ تَعيش ثمانينَ سنة؟ الأَصلحُ أَنْ تُعطى الخاطئةُ فُرْصَةً للتوبةِ والحياةِ المقدسةِ الجديدة.

ويقولُ عُلماءُ المسلمين: إِنَّ هذه الآيةَ منسوخةٌ بِحَدِّ الجَلْدِ للزانيةِ غيرِ المحصَنَة في سورةِ النور، وبحَدِّ الرجم للزانيةِ المحصَنَة، ولو أَنَّ آيةَ الرجْم نُسِخَتْ تِلاوة.. ويقولُ القرآنُ: إِنَّ حَدَّ الإِماءِ نصفُ حَدِّ الحرائر، ولكنَّنا لا نعلمُ ما هو نِصْفُ الرَّجْم»[1]!.

يَرى الفادي أَنَّ حبسَ المرأةِ الزانيةِ في البيت لا يُصْلِحُها، والأَصْلَحُ لها أَنْ تُعطىٰ فرصةً جديدةً للتوبة، والتخلّي عن الفاحشة، ولا أَدري كيفَ تُعْطى لها هذه الفُرصة! ويتهكَّمُ على الحكم على الزانيةِ بالحبسِ حتى الموتِ بأَنه حُكمٌ بالسجنِ المؤَبَّدِ، وسيكون هذا عشراتِ السنين!.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٤٣.

وكلامُه يدلُّ على جَهْلِه، فهو لا يَعلمُ بأَنَّ الحكْمَ بحبسِ الزانية إنما هو حُكْمٌ مُؤَقَّت، وسينسخُه اللهُ فيما بَعْد. ولم يُطَبَّقْ هذا الحُكْمُ على عهدِ رسولِ الله ﷺ، فلم تُسَجِّل الرواياتُ الصحيحةُ حادثةً واحدةً حُكِمَ فيها على امرأةٍ زانيةٍ بالحبْسِ في البيتِ حتى الموت، ولم تَمُتْ زانيةٌ واحدةٌ وهي محبوسةٌ في بيتها؛ لأَنه لم تَثْبُتْ حالةُ زنى واحدةٌ خلالَ هذه الفترة.

والدليلُ على أَنَّ الحكمَ بالحبسِ مُؤَقَّتٌ قولُ الله: ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ أيّ: سيأتي اللهُ بحكْمٍ آخر، يَنسخُ هذا الحكْمَ.

وجاءَ الحكمُ الناسخُ في سورةِ النور؛ قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

نَسَخَ اللهُ حكْمَ حَبْسِ الزانياتِ في البيوتِ بجِلْدِهِنَّ مئةَ جَلْدة، إذا كُنَّ غيرَ متزَوِّجاتٍ وقد صَرَّحَ رسولُ اللهِ ﷺ بأَنَّ آيةَ سورةِ النورِ ناسخةٌ لآيةِ سورةِ النساء، والسبيلَ الذي وعَدَتْ به آيةُ سورةِ النساء هو ما ذكَرَتْهُ آيةُ سورةِ النور.

روى مسلمٌ عن عبادةَ بنِ الصامت رضي الله عنه، عن رسولِ اللهِ ﷺ قال: «خُذُوا عَنّي، خُذُوا عَنّي، قد جَعَلَ اللهُ لهنَّ سبيلاً، البِكْرُ بالبِكْرِ جَلْدُ مئةٍ ونفيُ سَنَة، والثيبُ بالثيبِ جَلْدُ مئةٍ والرَّجْم».

وإذا كان حَدُّ الزاني البكرِ الجلدُ مئةَ جلدةٍ، قد ثَبَتَ في سورةِ النور، فإنَّ حَدَّ الزاني المتزوجِ الرجمَ حتى الموتِ، قد ثَبَتَ في حديثِ رسول الله ﷺ، حيثُ رَجَمَ زُناةً متزوِّجين!.

والراجحُ أَنَّ الرجْمَ لم يُذْكَرْ في القرآن، كما أَنَّ الراجحَ أَنه لا توجَدُ آيةٌ منسوخةُ التلاوةِ في القرآن، وأَنَّ النسخَ الذي في القرآنِ هو نسخُ الحكمِ مَعَ بقاءِ التلاوة.

روى مسلمٌ عن عبد الله بنِ عباس رضي الله عنهما قال: قالَ عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه وهو جالسٌ على منبر رسولِ اللهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ بَعَثَ محمداً ﷺ بالْحقِّ، وأَنزلَ

عليه الكتاب، فكانَ مما أَنزلَ عليه آيةُ الرجم، قرأْناها ووَعَيْناها وعَقلْناها، فَرَجَم رسولُ اللهِ ﷺ ورَجْمنا بَعْدَه، فأخشى إنْ طالَ بالناسِ زمانٌ أَنْ يقول قائل: ما نَجدُ الرجمَ في كتابِ الله، فيَضلّوا بتركِ فريضةٍ أَنزلَها الله، وإنَّ الرجْمَ في كتابِ اللهِ حَقٌّ على مَنْ زنىٰ إذا أُحْصِنَ، من الرجالِ والنساء، إذا قامت البينةُ أَو كانَ الحَبَلُ أَو الاعتراف».

ومعنى كلامِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ الله هو الذي أَمَرَ برجْمِ الزاني المحْصَن، وأوحى بهذا الحكمِ لرسولِ اللهِ ﷺ، وعَدَمُ وُجودِه في القرآنِ منصوصاً عليه، لا يَعْني أنه غَيْرُ مَشْروع، فوجودُه في السُّنَّةِ كافٍ لإثباتِ مشروعيتِه!.

أَمّا الجواري الإماءُ فإِن عقوبتَهنَّ نِصْفُ عقوبةِ الحَرائر، كما صَرَّحَ بذلك القرآن؛ قال تعالى: ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِۚ﴾ [النساء: ٢٥].

ومعنى قولِه: «فإذا أحصن»: إذا تَزوَّجْنَ، فإذا زَنَت الأَمَةُ بعدَ الزواج أُقيمَ عليها الحَدُّ، وهو على النِّصْفِ من الحَدِّ الذي يُقامُ على الحُرَّة، وبما أَنَّ حَدَّ الحرةِ المحصنةِ هو الرجم، فإنه لا يُقامُ على الأَمَةِ نصفُ الرجم؛ لأَنَّ الرجْمَ لا يَتَنَصَّفُ.

وقد كانَ الفادي خَبيثاً عندما قالَ مُشَكِّكاً: «ويَقولُ القرآنُ: إنَّ حَدَّ الإماءِ نصفُ حَدِّ الحَرائِر، ولكنَّنا لا نَعْلَمُ ما هو نصْفُ الرجم!».

بما أَنَّ الرجمَ لا يتنصَّفُ، فينتقلُ الحكْمُ إلى الجلدِ مئةَ جَلْدَة، وبما أَنَّ الحرةَ تُجْلَدُ مئةَ جلدة فإنَّ الأَمَةَ تُجْلَدُ خمسينَ جلْدَة!!.

١٧٠

هل أخذ الرسول ﷺ بثأر حمزة؟

وَقَفَ الفادي أَمامَ قولِ الله عز وجل: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦].

وكان نزولُ هذه الآيةِ بعد غزوةِ أُحُد، في السنةِ الثانيةِ من الهجرة، التي جَرى فيها للمسلمين ما جَرى، وقد استشهدَ حمزةُ ﷺ، بعد أَنْ بَقَرَ المشركونَ بَطْنَه ومَثّلوا به.

وقد نَقَلَ الفادي عن البيضاويِّ أَنَّه لما رأى رسولُ اللهِ ﷺ حمزةَ وقَدْ مُثِّلَ به، قال: «واللهِ لئن أَظْفَرني اللهُ بهم، لأَمَثِّلَنَّ بسبعينَ منهم مكانَك»، فأنزلَ اللهُ الآية، وكَفَّرَ رسولُ الله ﷺ عن يمينِه.

وعَلَّقَ الفادي المغرضُ على ذلك بقولِه: «ونحنُ نَسأل: هل الأَخْذُ بالثأرِ يُهَذِّبُ النفسَ ويَحفظُ الأَمْن؟ إِنّنا نُعاني من عادةِ الأَخْذِ بالثأْرِ ويلاتٍ مُرَّة.. قال المسيح: إِنَّ الذينَ يأْخُذونَ السيفَ بالسيفِ يَهْلِكون.. وما أبعدَ الفرقَ بينَ قولِ محمدٍ: «والله لئن ظَفِرْتُ بهم لأُمَثِّلَنَّ بسبعينَ مكانك» وبين قولِ المسيح: إِنْ أَخْطَأَ إِليكَ أَخوكَ سبعينَ مَرَّةً سبْعَ مراتٍ فاغفِرْ له»[1].

تُبيحُ الآيةُ لمن اعْتُدِيَ عليه وعُوقِبَ وظُلِمَ من المسلمين أَنْ يَنتصفَ ويأْخذَ حَقَّه ممنْ ظَلَمَه واعتدى عليه، وترشدُه إِلى ما هو أَوْلى، وهو الصبرُ على الأذى، والعفوُ عنِ العِقاب.

واعترضَ الفادي على الآية، لأَنها تُبيحُ الأَخْذَ بالثأر، وهو ينشرُ الفَسادَ ويُخَرِّبُ الأَمْنَ، ولا يُهَذِّبُ النَّفْس.

والعِقابُ بالمثْل، والإِذْنُ بِرَدِّ الاعتِداء، ليسَ من بابِ الأَخْذِ بالثَّأْرِ؛ لأَنَّ الأَخْذَ بالثأرِ عادَةٌ عشائرية، والعِقابُ بالمثْلِ مبدأٌ إِسلامي، وفَرْقٌ بين الأَمْرَيْن.

ورغمَ أَنَّ القرآنَ أَجازَ الانتصافَ من الظالمِ والمعْتَدي إِلّا أَنَّه وَجَّهَ المسلمينَ إِلى الأَفضل، وهو العَفْوُ والصَّفْح. قالَ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٣٩ ـ ٤٣].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٤٤.

وقد انتقصَ الفادي المفْتَري رسولَ اللهِ ﷺ لأَنه قالَ: «واللهِ لئن أَظْفَرَني اللهُ بهم لأُمَثِّلَنَّ بسبعينَ مكانَك» لأَنه أَخَذَ بالثَّأْرِ على الطريقةِ الجاهلية، حيث سيَقْتُلُ سَبْعين شَخْصاً مقابلَ حمزَة رضي الله عنه، وقارَنَ بين هذا الموقِف، وموقفِ عيسى عليه السلام الذي دَعا فيه إِلى العَفْوِ عن مَنْ أَخْطَأَ على الإِنسانِ سَبْعينَ مَرَّة.

وكَلامُ الفادي مَرْدود؛ لأَنه مبنيٌّ على باطِل، فلم يَقُلْ رسولُ اللهِ ﷺ؛ ما نُسِبَ إِليه، وقد رَدَّ المحَدِّثونَ والمفَسِّرونَ هذا الحديثَ لأَنه لم يَصِحّ.

قالَ الإِمامُ ابنُ كثير في حُكْمِه على الحديث: «وقالَ محمدُ بنُ إِسحاقَ: عن بعضِ أَصْحابِه، عن عطاءِ بن يسارٍ قال: قُتِلَ حمزَةُ رضي الله عنه، ومُثِّلَ به يومَ أُحُد، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: لئن أَظْهَرَني اللهُ عليهم لأُمَثِّلَنَّ بثلاثين رَجُلاً منهم، فلما سمعَ المسلمونَ ذلك قالوا: واللهِ لئَنْ أَظْهرَنا اللهُ عليهم لنُمَثِّلَنَّ بهم مُثْلَةً لم يُمَثِّلْها أَحَدٌ من العربِ بأَحَدٍ قط، فأَنزلَ الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم . . .﴾ إِلى آخرِ السورة. وهذا مُرْسَلٌ، وفيه رَجُلٌ مُبْهَمٌ لم يُسَمَّ!!.

وقد رُوِيَ هذا من وجْهٍ آخَرَ مُتَّصِلٍ.. عن أَبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسولَ الله ﷺ وَقَفَ على حَمزةَ بن عبدِ المطلب رضي الله عنه حين اسْتُشْهِد، فَنَظَرَ إِلى مُنْظرٍ لم يُنْظَرْ إِلى مَنظرٍ أوجع للقَلْب منه، وقد مُثِّلَ به، فقال: «رحمةُ اللهِ عليك، إِن علمتُكَ إِلّا وَصولاً للرَّحِم، فَعولاً للخَيْرات، واللهِ لولا حُزْنُ مَنْ بَعْدَكَ عليك، لسَرَّني أَنْ أَتركَك حَتَّى يَحشُرَك اللهُ من بُطونِ السِّباع، أَما واللهِ لأُمَثِّلَنَّ بسبعينَ كمُثْلَتِك» فنزل جبريلُ عليه السلام على محمدٍ ﷺ بهذه السورةِ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم﴾، فكَفَّرَ رسولُ الله ﷺ عن يَمينِه، وأَمسكَ عن ذلك». وهذا إِسنادٌ فيه ضَعْف؛ لأَنَّ صالِحاً هو ابنُ بشيرٍ المرِّي، ضعيفٌ عند الأئمة. وقال البخاري: هو منكرُ الحديث»[1].

وبَنى الفادي لجهلِه كَلامَه على حديثٍ ضعيفٍ مردودٍ عندَ المحَدِّثين، ورَتَّبَ عليه نتائج، وانتقصَ فيها رسولَ الله ﷺ، وبما أَنَّ الأَساسَ الذي اعتمدَ عليه مَرْدود، فكلُّ النتائج التي خرجَ بها مردودة.

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢/ ٥٧٣.

والذي صَحَّ في هذه الحادثةِ هو ما رواهُ الترمذيُّ وأَحمدُ وابنُ حِبّان والحاكمُ والطبرانيُّ عن أُبَيِّ بنِ كعبٍ ﷺ قال: أُصيبَ من الأَنصارِ يومَ أُحُدٍ أَربعةٌ وستّون، وأُصيبَ من المهاجرين ستّة، فيهم حمزةُ، فَمَثَّلوا بقَتْلاهم، فقالَت الأنصار: لئن أَصَبْنا منهم يَوماً من الدهْر لَنُرْبِيَنَّ عليهم.. فلما كان يومُ فتحِ مكَّة، نادى رجلٌ لا يُعْرَف: لا قُريشٌ بعدَ اليوم! فأَنزَلَ اللهُ ﷻ على نبيِّه ﷺ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾.. فقال النبيُّ ﷺ: «كُفّوا عن القوم...»[1].

ثم ماذا فَعَلَ رسولُ الله ﷺ بعدَ أَنْ أَظفرَهُ اللهُ بقُرَيْش، وذلك يومَ فتحِ مكة؟ هل مَثَّلَ بسبعينَ رجلاً منهم؟.. لم يَقْتُلْ منهم أَحَداً، ولقد عَفا عنهم جميعاً، حتى وَحْشي بن حَرْبٍ، الذي قَتَلَ حمزةَ مباشرة عفا عنه، وحتى هند بنت عتبة، التي لاكَتْ كَبِدَ حمزةَ عَفا عنها. ولما جَمَع رجالَ قريشٍ قال لهم: «ماذا ترونَ أَنّي فاعلٌ بكم؟ قالوا: خيراً، أَخٌ كريمٌ وابنُ أَخٍ كريم. قال: اذْهَبوا فأنتم الطُّلَقاءُ!».

وإِنَّ الفادي المفتري يَعْلَمُ هذا قَطْعاً، لكنّه يتعمَّدُ أَنْ لا يذكُرَه، ويذكُرَ الكلامَ الضعيفَ المردودَ بَدَلَه، ليَذُمَّ النبيَّ ﷺ وينتَقِصَه!!.

١٧١

حول الإعداد للأعداء

اعترضَ الفادي على قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

---

(١) صحيح السيرة النبوية، للعلي، رقم: (٣٨٨).

وأخَذَ من تفسير البيضاويِّ بعضَ ما قالَه في تفسيرِ الآية، وهي تأمرُ المسلمينَ بإعدادِ كلِّ ما استطاعوا إعدادَه من قوةٍ وسلاحٍ لمواجهةِ أعداءِ اللهِ وأعدائِهم، ومنْعِ عدوانِهم.

وعلّقَ على ذلك بقولِه: «ونحنُ نسأل: كيفَ يأمُرُ القرآنُ بحملِ السلاحِ، والاستعدادِ للغزوِ والفَتْحِ في سبيلِ الله، فتُزْهَقُ أرواحُ البَشَر، وتُنْهَبُ الأموالُ في سبيلِ الدين، وقَهْرِ الناسِ على قَبولِه؟ إنَّ السيفَ هو حُجَّةُ الذي لا يَحتملُ المناظرة»[1]!.

لا يُريدُ الفادي المفتري من القرآنِ أنْ يُوَجِّهَ المسلمين إلى حَمْلِ السِّلاح لقتالِ الأعداء المحاربين، الطّامعين في بلادِ المسلمين وأموالِهم، لأنه يُريدُ أَنْ يُواجِهَ المسلمونَ العُدوان بالاستسلام، والحربَ بالسَّلام، وإذا ما قاتَلَهم أعداؤُهم كَفّوا أيديهم عنهم! وعلى القرآنِ أنْ يَكونَ كتابَ محبة، يأمُرُ المسلمين بفتْحِ قُلوبِهم وأيدِيهم لأعدائِهم!!.

لن يكفَّ الأعداءُ عن الطمعِ في المسلمين، والتآمر عليهم، وتَحَيُّنِ الظرفِ المناسبِ لقتالِهم، والهجومِ عليهم، واحتلالِ بلادِهم. وقد سَجَّلَ التاريخُ الإسلاميُّ الشواهدَ العمليةَ الكثيرةَ على مصداقيةِ هذه الحقيقة، ولم تَخْلُ فترةٌ من حربِ الأعداءِ ضدَّ المسلمين، في صورةٍ من صورِ الحربِ العديدة.

وإنّ ما يقولُه الفادي المفتري في اعتراضِه على الآية لا يَتفقُ مع المنطق! إنَّ أيةَ أُمةٍ ـ مهما كان دينُها ـ تَقفُ أمامَ أعدائِها الطامعين فيها، والمحاربينَ لها؛ لأَنَّ الدفاعَ عن النفسِ والمالِ والأرض، وصَدَّ عُدوانِ المعتدين، فطرةٌ إنسانية، فَطَرَ اللهُ الناسَ عليها، ولا تبديلَ لهذه الفطرة.

مَنْ هم الذينَ أَمَرَ اللهُ المسلمين بمواجهتِهم؟ إنهم أعداؤُهم: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٤٤ ـ ١٤٥.

إنَّ إعدادَ السلاحِ والقوةِ للأَعْداء واجب، والأَعداءُ هم الكفارُ الذين يُعادونَ المسلمين، ويتآمرون عليهم، ويُخَطّطونَ لقتالِهم، ويَقِفُونَ أَمامَ دينهم، والهدفُ من هذا الإعدادِ هو «إِرهابُ» أولئكِ الأعداء، وتخويفُهم وردْعُهم، ليتوقَّفوا عن مخططاتِهم.. و«إِرهابُ» أَعداءٍ آخرين، يتهيَّؤون للهجومِ على المسلمين.

لم يكن هدفُ المسلمين من التسلحِ والاستعدادِ غزوَ الكفار، واحتلالَ بلادِهم، وإِزهاقَ أَرواحِهم، ونَهْبَ أموالِهم، وإِكراهَهم على الدخولِ في الإسلام، كما قال الفادي المفتري.

وصحيحٌ أَن السيفَ هو حجةُ الذي لا يَحْتملُ المناظرة، وإِنّ الإسلامَ يُقَدِّمُ نفسَه بالحُجةِ والبرهان، ويَدخلُ إِلى العقولِ والقلوب. والمسلمون مأمورون بالدعوةِ إِلى اللهِ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة، فهذا هو الأَصْلُ في الدعوةِ إِلى الله.

فإذا ما وقفَ الظالمونَ الكافرونَ أَمامَ الدعاةِ إِلى اللهِ بالحجةِ والحكمةِ والمنطق، وفَتَنوهم وَعذَّبوهم وقَتَلوهم، فلن يقفَ المسلمون ساكتينَ على هذا العدوان، وسينتَصِرون لإِخوانِهم الدعاة، وسيُواجهون أُولئك الأَعداءَ.

فالإعدادُ والاستعدادُ إنما هو للأَعْداء المقاتِلين المعْتَدين، وليس للشعوبِ المسالمةِ الوادعة، التي تَكُفُّ أَيْدِيَها عن الدعاةِ، المبلِّغين لدينِ الله!.

١٧٢

حول النهي عن موالاة الكفار

اعترضَ الفادي المفتري على القرآن؛ لأنه نهى المؤمنين عن موالاةِ الكفارِ من اليهودِ والنصارى، وذلك في قولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

ذَكَرَ ما قالَه الإمامُ البيضاويّ في تفسيرِها، ثم عَلّقَ على ذلك بقولِه: «ونَحنُ نسأل: ما هي نتيجةُ هذه النصيحةِ القرآنية، إلّا الانكفاءُ على الذات؟ وكيف يُوَفِّقُ المسلمُ بين الزواجِ من كتابيةٍ، تُرَبّي عِيالَه وتتولّى أُمورَ بيتِه، وبينَ هذه الآيةِ المنغلقةِ الفكرِ؟ وما أكثرَ الكفاءاتِ التي أُهدرَتْ بسببِ التفرقةِ الدينية! إنَّ المسيحية تَدْعو للسلامِ والمحبةِ وخدمةِ الجميع، على مِثالِ ما فعلَ المسيحُ رَبُّ السلام، الذي عَلَّمَنا في مَثَلِ السامريِّ الصالحِ كيفَ نُضَحّي، ونخدُم جميعَ الناسِ على السواء، من جميعِ الأَجناسِ واللُّغاتِ والأَديان. إنَّ نصيحةَ القرآنِ مناسبةٌ ما دامَ المسلمونَ غالبين، أَمّا اليومَ فهي تُقَوِّضُ روحَ التآخي بينَ شعوبِ الأرض، وتُعَطِّلُ تَقَدُّمَ المسلمين»[1].

يَعتبرُ الفادي المفتري عَدَمَ مُوالاةِ المسلمين للكافرين انكفاءً على الذات، وتَقَوْقُعاً على النفس، وقَطْعاً للصِّلَةِ بالآخرين، وهَدْراً للكفاءات، وتَفْريقاً للناس، وهذا يُعَطِّلُ تَقَدُّمَ المسلمين، ويُقَوِّضُ روحَ التآخي بين الشعوب.

ويَعتبرُ الفادي القرآنَ مُنغلقاً، وداعِياً إلى العزلة، وهذا ليس في مصلحةِ المسلمين، ويُقارِنُ بين القرآنِ والنصرانية، ففي الوقتِ الذي يَدْعو القرآنُ المسلمين إلى العزلة والتقوقعِ والانكفاءِ على الذات ـ حَسب رأْيِ الفادي ـ تَدْعو النصرانيةُ إلى المحبَّةِ والانفتاحِ على الآخرين، وخِدمَتهم ومساعدتِهم، على اختلافِ أَجناسِهم ولغاتِهم وأديانهم.

ولا يدري الفادي المفتري كيفَ يوفق بين هذه الآيةِ المنغلقةِ الفكرِ وبين زواجِ المسلمِ من الكتابية، التي تُرَبّي عِيالَه وتُدَبِّرُ بيتَه!.

إنَّ الفادي لا يفرقُ ـ لجهْلِه ـ بين الولاء المحَرَّم وحسنِ المعامَلَةِ المباح، فالولاءُ يَقومُ على التحالُفِ والتناصُرِ والتوادُدِ، وربطِ المصير بالمصير، ومحبةِ هؤلاءِ الكفار، والرِّضا بهم، والانحيازِ إليهم، والأنسِ بهم، وجعلِهم أعواناً

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٤٥.

وأنصاراً وأحباباً، وخبراءَ وناصحين ومستشارين، وإطلاعِهم على أسرارِ المسلمين، مع أنهم كفارٌ أعداء للمسلمين، حَريصون على إفسادِهم وإضلالِهم.

والآياتُ القرآنيةُ التي تُحَرِّمُ هذا النوعَ من الصلةِ بينَ المسلمين وأعدائِهم الكافرين كثيرة.

أمّا حسنُ المعاملةِ بين المسلمين والكفارِ المسالمين فهي مَطلوبة، وتَتمُّ بها خدمةُ الآخرين ومساعدتُهم. وقد فَرَّقَ القرآنُ بين الولاءِ المُحرَّم والمعاملةِ الحسنة، فقال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨ ـ ٩].

١٧٣

هل يدعو القرآن إلى الكراهية؟

وَقَفَ الفادي أمامَ آيتَيْن، معترِضاً عليهما، لأنَّهما تَدْعُوانِ في نظرِهِ إلى كراهيةِ كُلِّ البَشَر، وهما قولُ اللهِ ﷻ: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ﴾ [محمد: ٤]. وقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التحريم: ٩].

وسَجَّلَ المفتري فريتَه الكبيرة قائلاً: «لَمّا كانَ محمدٌ بمكةَ كان يُسالِمُ جميعَ الناس، ويَحترمُ اليهودَ والنَّصارى والصابئين، ويَقولُ: إنَّ لهم الجَنَّة [انظر: سورة المائدة: الآية ٦٩]، ولكن لما اشْتَدَّ ساعِدُهُ في المدينةِ بالأنْصار أمَرَ بقَتْلِ جميعِ غيرِ المسلمين، أو يَدْفَعوا الجزية، أَوْ يَدْخُلوا الإسلام، وهذا يَعْني الاقتصارَ على الأُخُوَّةِ الإسلامية، وهَدْمَ أَركانِ الأُخُوَّةِ العَامَّة، وقَطْعَ أواصِرِ المحبةِ وحُسْنِ المعاملةِ بينَ طَبَقاتِ البَشَر، وهكذا حَرَّمَ المسلمونَ الاستيطانَ

في كُلِّ بلادِ الحجازِ على كل غيرِ المسلمين»[1].

وفي هذا الكلامِ المفترى مجموعةٌ من المغالطات والأكاذيب:

١ - يَزعمُ المفتري أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان في مَكَّةَ يُسالمُ جَميعَ الناس، ويَحترمُ اليهودَ والنَّصارى والصابئين، ويَقولُ: إنَّ لهم الجَنَّة.

وهذا زَعْمٌ باطِل، فلم يكنْ في مكَّةَ وُجودٌ لليهودِ أَو النَّصارى أو الصابئين؛ لأَنَّ أَهلَ مكةَ كانوا من قريشٍ والعرب، وكان فيها ثلاثةٌ أَو أَربعةٌ من النَّصارى، فكيفَ يزعُمُ الفادي المفتري أَنه كان يحترمُ اليهودَ والنَّصارى والصابئين؟!.

ولم يكنْ محمدٌ ﷺ مُسالماً للنّاسِ في مكة، إنما كانَ داعيةً مُذَكِّراً مُبَلِّغاً للدين، يُنذرُهم من عذابِ الله، وكان مأموراً هو وأَتْباعُه المؤمنون بكَفِّ أَيديهم عن قتالِ المشركين لحِكَم كَثيرة.. لكِنَّه كانَ يعلمُ أَنه ستأتي مرحلةٌ جديدة، يكون فيها قِتالٌ ومُواجهة.

٢ - يَكْذِبُ المفتري عندما يزعمُ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أَخبرَ وهو في مكةَ أَنَّ اليهودَ والنَّصارى والصابئين في الجنة، وأَحالَ على قولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩].

إنَّ هذه الآيةَ مدنيّة، لأَنَّ سورة المائدةِ مدنية، وليستْ مكيةً كما ادَّعى المفتري!. ثم إنَّ الآيةَ لا تُخبرُ أَنَّ اليهودَ والنَّصارىٰ والصابئين في الجنة، إنما تُخبرُ أَنَّ المؤمنين المسلمين المتَّبِعين لرسولِ الله ﷺ هم المؤمنون حقاً، وهم أَهلُ الجنة، أَمّا اليهودُ والنصارى والصابئون، فلا يُقْبَلُ إِيمانُ أَحَدٍ منهم، إلّا إذا آمَنَ باللهِ وعَمِلَ صالحاً وآمَنَ باليوم الآخر، ولَنْ يتحقَّقَ ذلك إلّا إِذا آمَنَ بكلِّ كُتُبِ الله، ومنها القرآنُ، وآمَنَ بكُلِّ رسلِ الله، ومنهم محمدٌ ﷺ، فإذا لم

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٤٦.

يُؤْمن اليهوديُّ أو النصرانيُّ أو الصابئُ بالقرآنِ وبالرسولِ ﷺ لم يَكُنْ مؤمِناً، ولم يكنْ من أَهْلِ الجنة، لأَنَّهُ فَرَّقَ بين رسلِ الله، فآمَنَ ببعضِهم وكَفَرَ بآخَرين، وهذا هو الكُفْرُ الصريح. قالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ١٥٠ ـ ١٥٢].

٣ ـ يَزعُمُ المفتري أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لما هاجَرَ إِلى المدينةِ واشْتَدَّ ساعِدُه، وتَقَوّى بالأَنْصار، وزادَ عَدَدُ أَتْباعِه، غَيَّرَ أفكارَه ونظرَتَه إِلى الآخرين، وتَخَلّى عن مسالمةِ الناس، وأعلنَ الحرْبَ عليهم، وأَمَرَ بقَتْلِ كُلِّ مَنْ كانَ غيرَ مُسْلِم، إذا لم يَدْفَع الجزية، وكانَ أَمامَهُ أَحَدُ خياراتٍ ثلاثة: الإِسلامُ أَو الجزيةُ أَو القِتال.

وهذا الزعْمُ والافتراءُ يعني أَنَّ محمداً ﷺ يُغَيِّرُ مبادِئَه وأَفكارَه من عنْدِه، ويُؤَلِّفُ القرآنَ من عِنْدِه، ويَضَعُ أَحكامَ الإِسلامِ من عنْدِه!.

إِنَّ اللهَ هو الذي أَمَرَ المسلمينَ في مكةَ بكَفِّ أَيْديهم عن قتالِ المشركين، والصَّبْرِ على أذاهم، وهو سبحانَه الذي فَتَحَ لهم بابَ الفَرَجِ في المدينة، ونَصَرَ دينَه بالأَنصارِ فيها، وهو الذي أَنزلَ السورَ المدنيّةَ وأَمَرَ فيها بقتالِ المعْتَدين، وَوَرَدَ هذا في سورِ البقرةِ وآل عمران والنساء والأنفال والتوبة ومحمد والصف وغيرها.

٤ ـ يَزعمُ المفْتَري أَنَّ القرآنَ بدعوتِه إِلى الأُخُوَّةِ الإِسلاميةِ بينَ المسلمين يَدْعو إِلى هَدْمِ أَركانِ الأُخُوَّةِ العامّة، وقَطْعِ أَوَاصرِ المحبةِ وحُسْنِ المعاملةِ بينَ الناس.

وهذا افتراءٌ منه على القرآن، فدعوةُ القرآنِ الى تعميقِ وتوثيقِ الأُخوةِ الإِسلامية بين المسلمين لا تَعْني قَطْعَ الأُخُوَّةِ بين الناس، فاللهُ أَمَرَ المُسلِمين أَنْ يُوَثِّقوا صِلَتَهم بغيرهم، ويُحْسنوا معامَلَتَهم، ويُقدِّموا لهم الخير، واعتبرَ هذا

من البرِّ والإحسان، يتقرَّبونَ به إلى الله ﷻ؛ قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

أَما تحريمُ إقامةِ غيرِ المسلمين في بلادِ الحجاز، فلأَنَّ الحجازَ والجزيرةَ العربيةَ كلَّها صارَتْ دارَ إسلام، وقد أَسلمَ أَهْلُها جميعاً في حياةِ رسولِ اللهِ ﷺ، وبما أنهم مسلمونَ فإِنَّ مَنْ تَركَ الإِسلامَ منهم يكونُ مرتدّاً، والمرتَدُّ يُقْتَلُ إِنْ لم يَعُدْ للإِسلام، وغيرُ المسلمين من البلدانِ الأُخرى ليسوا من أَهْلِ الحجاز، فلماذا يُقيمونَ ويستَوْطِنون فِيها؟!.

لو طَرَدَ المسلمونَ أَحَدَ أَهلِ الحجازِ الأَصلِيِّين يمكنُ أَنْ يُلامُوا، لكنَّهم لا يُلامونَ على عَدَمِ السماحِ للمسلمِ بالردة، ولا على عدمِ السماحِ لابنِ غيرِ المنطقةِ الكافرِ بالإِقامةِ فيها.

١٧٤

حول تقبيل الحجر الأسود

زَعَمَ الفادي المفتري أَنَّ شعائرَ الحَجِّ التي يُؤَدّيها المسلمون، ليستْ من عندِ الله، وإنما هي من أعمالِ الجاهلية، بما في ذلك تقبيلُ الحَجرِ الأَسودِ عند الطَّواف. قالَ: «معلومٌ أَنَّ الحَجَّ إلى الكعبةِ وشعائِرَهُ هي من شعائرِ الجاهلية، بما في ذلك تقبيلُ الحجرِ الأَسود! قالَ عمرُ بنُ الخَطّابِ للحَجَرِ الأَسود: أَما واللهِ لقد عَلمتُ أَنك حَجَرٌ لا تَضُرُّ ولا تَنْفَع، ولولا أَني رأيتُ رسولَ اللهِ يقبِّلُك ما قَبَّلْتُك»!.

وقد سبقَ أَنْ أَثارَ المفتري فريةَ أَخْذِ شعائرِ الحَجِّ من الجاهلية، وسَبَقَ أَنْ رَدَدْنا عليه، وذَكَرْنا أَمْرَ اللهِ بالحَجِّ من أَيامِ إِبراهيمَ ﵇، وأَنَّ الجاهليّين

توارثوه من أيامِ إبراهيمَ عليه السلام، لكنّهم أضافوا له كثيراً من ممارساتِهم الجاهليةِ الباطلة، فأزالَ اللهُ ذلك، وأعادَ لشعائر الحَجّ صِفَتَها الإيمانيةَ الخالصة، فعندما يُؤدّي المسلمونَ مناسِكَ الحَجِّ فإنهم يُنَفِّذونَ بذلك أَمْرَ اللهِ سبحانه.. قالَ تعالى في أمرِ إبراهيم عليه السلام بالحج: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٦ ـ ٢٧].

أَمّا تَقبيلُ الحجرِ الأَسود فقد تهكَّمَ الفادي السفيهُ عليه بسوءِ أَدَب؛ قال: «ونحنُ نَسْأَلُ: هل في الحجر الأَسودِ روحٌ حتى يحسَّ بحرارةِ القُبْلَةِ التي يَطبَعُها المسلمون عليه، أَو هل فيه عَقْلٌ يُدركُ تَقديرَ المسلمينَ له وإِكرامَهم إِيّاه؟ ولماذا يُعطي المسلمونَ كَرامةً لحَجَر، كان يُؤَدّيها عَرَبُ الجاهليةِ لأَوثانِهم أو كيفَ أَقْدَمَ محمدٌ على هذا الإِكرام الدينيِّ للحَجَر؟ وكيفَ أبقى محمدٌ هذا الحَجَرَ في الكعبةِ، ولم يَعْزِلْه كما عَزَلَ بقيةَ الأَصنام؟!»[1].

إننا نتركُ الأُسلوبَ البذيءَ الذي صاغ المجرمُ به أَسئلتَه الوقحة، ونُقَرِّرُ أَنَّ العَرَبَ الجاهليين لم يكونوا يَلْمَسون الحَجَرَ الأَسودَ أَو يُقَبِّلونَه، عندما كانوا يطوفونَ بالكعبة.

وإنَّ لَمْسَ الطائفينَ له وتقبيلَه تَشريعٌ إسلاميٌّ، وليس عادَةً جاهِلية. وهذا لا يَعني إِكرامَ المسلمينَ له لأَنه مجرَّدُ حَجَر، ولكنهم بذلك يُنَفِّذون أَمْرَ الله، وهم بذلك يَعْبُدونَ الله، وتَقبيلُهم الحَجَرَ الأَسودَ كالطوافِ بالكعبة، وهم عابِدونَ للهِ عندما يَطوفون بالكعبة، وعابِدونَ لله عندما يُقَبِّلونَ الحَجَرَ الأَسود.

وما أَجملَ ما قالَه عمرُ بن الخطابِ رضي الله عنه وهو يُقَبِّل الحَجَرَ الأَسودَ أَثناءَ طوافِه: «واللهِ إِنِّي لأَعلمُ أنك حَجَرٌ لا تَضُرُّ ولا تَنفع، ولولا أَنّي رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يُقَبِّلُك ما قَبَّلْتُك».

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٤٦ ـ ١٤٧.

إنَّ هذا الكلامَ الرائعَ لِعُمر أَبلغُ رَدٍّ على مزاعمِ المفتري، وهو صَريحٌ في نظرةِ المسلمينَ إِلَى الحجرِ الأَسود وهم يُقَبِّلونَه، كما أَنه دَليلٌ على صفاءِ توحيدِ الله في تصوُّرِ المسلمين.

١٧٥

حول عدم الاستعانة بالكافرين

نهى اللهُ المسلمينَ عن اتِّخاذِ الكافرينَ الأعداءَ أَولياءَ، وأَشارَ إِلى ذلك قولُه تعالى: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ٨٩].

ونَقَلَ الفادي كلامَ البيضاويِّ في تفسيرِ الجملةِ الأَخيرةِ من الآية: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾: يَعني جانِبوهم رأْساً، ولا تَقْبَلوا منهم ولايةً ولا نصرةً ولا نصيراً تَنْتَصِرونَ به على عدُوِّكُم.

وعَلَّقَ على ذلك بقولِه: «ونحنُ نسأل: هل يَتفقُ هذا مع تاريخِ المسلمين، الذين اسْتَعانوا بالمسيحيّين في عصورٍ كثيرةٍ؟ إِنَّ الضرورةَ الاجتماعيةَ والعسكرية تُحَتِّمُ التعاونَ مع الغير، فالعزلة السياسيةُ تتعارضُ مع القوانينِ المدنية، وقد لَفَظَها المجتمعُ لعدمِ صلاحيَّتِها»(١).

دَعا الإِسلامُ المسلمين إلى عدمِ موالاةِ الكافرين، وعدمِ الاستعانةِ بهم، وخاصةً إِذا كانوا مُحارِبين، وهذا لَم يُعجب الفادي، ولذلك رَفَضَهُ لأَنَّه يَدْعو إِلى العزلةِ السياسيةِ للمسلمينَ، ويَتعارَضُ مع القوانينِ المدنية.

ويزعمُ الفادي أَنَّ هذه الدعوةَ القرآنيةَ لم يَلتزمْ بها المسلمون أَنفسُهم، بل خَرَجوا عليها في تاريخِهم، واستعانوا بالمسيحيين في عصورٍ كثيرة.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٤٧.

ونحنُ لا يُهِمُّنا ما فعلَه المسلمون في تاريخِهم، ولا نقرُّهم على مخالفتِهم توجيهات القرآن، ونعترفُ أَنَّ كثيراً منهم لم يلتزموا بالقرآن، في تحدِيدِ صِلاتِهم وارتباطاتِهم بغيرِهم، فمِنهم مَن استعانَ بالنَّصارى المحارِبين، ومنهم مَنْ تحالَفوا مع الأَعداءِ ضدَّ إخوانِهم المسلمين، وقاتَلوا إخوانَهم المسلمين بهم!! وهذه التصرفاتُ كلُّها مخالِفَةٌ للإسلام، نرفضُها وننكرُها، في الوقتِ الذي يعتزُّ بها الفادي المفتري؛ لأنها مظهرٌ من مظاهرِ مخالفةِ المسلمين لدينِهم!.

إنَّ الآيةَ التي اعترض عليها الفادي المفتري تتحدَّثُ عن كُفارٍ أَعداءٍ للمسلمين، محاربين لهم، حَريصين على رِدَّتِهم عن إسلامِهم، وبسببِ هذه المعاداةِ فإنَّ الآيةَ تدعو المسلمين إلى الحَذَرِ والانتباه، وعدمِ موالاةِ هؤلاء الأعداءِ، وعدم الاستنصارِ بهم، إذ كيفَ يُوالونَ مَنْ هذه صِفَتُهم وكيفَ يَطلبونَ النصرةَ من الحريصين على إضعافِهم وردَّتِهم؟ ولماذا يعترضُ المفتري على هذه الدعوةِ القرآنية؟!.

١٧٦

حول انتشار الإسلامِ في العالم

وقفَ الفادي أمامَ سورةِ النصر، التي تُبَشِّرُ بنصْرِ الإسلام وانتشارِه؛ قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ١ ـ ٣].

واعترضَ الفادي على السورة، واعتبرَ انتشارَ الإسلام ليسَ فَضْلاً من الله، ولا دليلاً على أنه من عندِ الله، ولذلك عَلَّقَ على ذلك قائلاً: «ونحنُ نسأل: إذا كانَ من المعلومِ أنَّ الناسَ بطبيعتِهم مُقَلِّدون، وأَنَّ تَأَثُّرَ الجماعاتِ والقبائل بَعضهم من بعض، قادَ العربَ وغيرَهم للدُّخولِ في الإسلام. . . واعتبرَ المسلمونَ أَنَّ هذا تيسيرٌ من الله لم يَخطرْ على بالِ أَحَد، وأَنَّ هذا شهادةٌ

للإسلام. . . فماذا يقولُ المسلمون في انتشارِ الدينِ الوثنيّ، وعَدَدُ أتْباعِه أَضعافُ المتدينين بدينِ محمد، وله من الأديرةِ والمعابد ما لا يُحصى عَدّاً. وكثيرٌ منها غايةٌ في الجَمالِ والغِنى، وهو ممتدٌّ من غربِ الهندِ إلى حدودِ سَيْبيريا، فهل تكونُ الوثنيةُ من عندِ الله؟»[1].

للمفتري تفسيرٌ خبيثٌ لسرعةِ انتشارِ الإسلام قُبيلَ وَفاةِ رسولِ اللهِ ﷺ يُخالفُ التفسيرَ الصحيحَ، الذي يتفقُ مع المنطقِ والمنهجيةِ! إنه يَعْزو ذلك إلى البُعْدِ القَبَلِيِّ والعَشائري، فالناسُ في العُرْفِ القبليِّ يَتَّبِعونَ شيخَ القبيلة، ولا يُناقشونه ولا يَعترضونَ عليه، ولهذا قَلَّدَ رجالُ القبائلِ الأقوياءَ منهم، الذين دَخلوا في الإسلام، وتابَعَ الناسُ شُيوخَ قبائلِهم!!.

ولو كانَ كَلامُه صحيحاً لأَسلمَ الناسُ في الجزيرةِ العربيةِ منذُ السنواتِ الأُولى.. لقد حارَبَتْ قُريشٌ الإسلامَ عشرينَ سنةً بكلِّ ما أُوتيتْ من قوة، ولم تَدخُلْ في الإسلامِ إلاّ بعدَ هزيمتِها أمامَه.

وإنَّ الله هو الذي جاءَ بالنصرِ والفتح، وهو الذي شَرَحَ له صُدورَ الناس، فصاروا يَدخلونَ فيه أفواجاً، وهو الذي وَعَدَ المسلمينَ بذلك قبلَ تَحقُّقِه ومجيئِه في أكثرَ من آية، منها قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ﴾ [النور: ٥٥].

ومنها قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨].

وقولُ الفادي: إنَّ الوثنيين أضعافُ عدِد المسلمين، كَذِبٌ وافتراء، فالمسلمونَ هم الملةُ الثانيةُ في العَدَدِ بعد النصارى!.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٤٧ ـ ١٤٨.

وما زالَ الدينُ الإِسلاميّ قَوِيّاً، رغمَ تصعيد الأَعداء حربَهم له، وكُلُّ يومٍ يدخل فيه أَفرادٌ جُدُد في مختلفِ بِقاع العالمِ، مع أَنه لا توجَدُ دولة تحملُه وتُطبقُه بصدقٍ في هذا الزمان، فهو دينٌ زاحفٌ، رغم أنفِ الأَعداءِ وكثرةِ المعَوِّقات!.

وقد أَخبرَنا رسولُ اللهِ ﷺ أَنَّ الإِسلام سينتشرُ في الأَرض كُلِّها، ويدخلُ كلَّ بيتٍ عليها، وسيبلغُ ما بَلَغُ الليلُ والنهار، وسيَقضي على كُلِّ الأَديانِ الباطلة.. ونقول للفادي: حَلِّلْ كما تَشاء، ومُتْ بغَيْظِك!!.

١٧٧

حول تقاتل المسلمين

امتَنَّ اللهُ على المسلمينَ بأَنه أَلَّفَ بين قلوبهم، وجَعَلهم إِخْواناً مُتحابّين. قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ولكنَّ الفادي المفتري اعترضَ على الآيةِ وكَذَّبها، وذَكَرَ أَمثلةً ونماذجَ لاختلافِ المسلمين وتقاتُلِهم وتَطاحُنِهم، وقال: إِنَّ الحروبَ التي وَقَعَتْ بين المسلمين في صَدْرِ الإِسلامِ أَكثرُ وأعنفُ وأَشَدُّ من الحروبِ التي وقَعَتْ بين العربِ الجاهليّين!.

قال: «يَرى المسلمونَ أَنه من فضائلِ الإِسلام الدالَّةِ على أَنه من عندِ الله، أَنَّه أَلَّفَ بينَ قُلوبِ العرب، بعدَ أَنْ كانوا قبائلَ تَشُنُّ الحروبَ بعضُها على بعض...

ونحنُ نَرُدُّ: إِنَّ هذا القولَ باطل، فالحروبُ والغزواتُ كانت على أَشُدِّها بين العربِ أَيامَ محمد. ولما ماتَ قامَ أَبو بكر بحروبِ الرِّدَّة، وبعدَ موتِ عُمَرَ أَعملَ المسلمون السيفَ بعضُهم برقابِ بَعْض، فماتَ عمرُ وعثمانُ مقتولَيْن،

وحَدَثَتْ حَرْبُ الجَمَلِ بين عائشة وعلي، ثم بينَ معاويةَ وعليٍّ وابنِه الحسين. . . ثم كانت فتنةُ عبد الله بن الزُّبَيْر والحربُ بينه وبينَ الحَجّاجِ في خلافةِ عبدِ الملك بن مروان. . . هكذا كان حالُ العربِ في صَدْرِ الإسلام، يقتلُ بعضُهم بعضاً، مُواجهةً وخِدعةً وغَدْراً، فأين التآلفُ وإِصلاحُ ذاتِ البينِ الذي أَتى به الإسلام؟!»[1].

إِنَّ من المتفقِ عليه أَنَّ العداوةَ والبغضاءَ كانتْ شديدةً بين العربِ في الجاهلية، وأَنَّ حياتَهم كانت تَقومُ على الغزوِ والقَتْل، والسلبِ والنهب، والظلمِ والعدوان، وكانتْ تنشبُ بينهم الحروبُ الطويلةُ لأَتْفَهِ الأَسباب. . وجَمَعَهم اللهُ بعدَ ذلك لما أَسلموا على القرآن، وامتنَّ اللهُ على المسلمين بذلك، ودعاهم إِلى الاعتصام به، وتَذَكُّرِ ما كانوا عليه من العَداوة، وما صَاروا إِليه من الأُخُوَّةِ والمحبَّة، وشَتّانَ بين ماضيهم الجاهليِّ وحاضرِهم الإِيمانيّ!.

ونَعترفُ بأَنهُ حَصَلَ للمسلمين تَفَرُّقٌ واختلافٌ بعد وفاةِ رسولِ اللهِ ﷺ، وأَدّى هذا إِلى تَقاتُلٍ ونزاعٍ، ونَشَبَت المعاركُ بين المسلمين، في البصرةِ وصفّين، واستشهدَ كثيرٌ من خِيارِ المسلمين.

لكنَّ هذه الفترةَ كانت غاشيةً غشيت المسلمين، ثم تَلاشَتْ وزالَتْ، وحَلَّ مَحَلَّها اتفاقُهم واجتماعُهم وتَلاقيهم. ثم إِنَّ هذا الاختلافَ والتقاتُلَ لم يُؤَدِّ إِلى خروجهم عن الإِسلام، ومع أَنَّ الأَصْلَ أَنْ لا يكون، لكنَّ وُقوعَه أَمْرٌ حتميٌّ بينَ مختلفِ الناس. كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾ [هود: ١١٨ ـ ١١٩].

ولا يَزالُ القرآنُ عاملَ اجتماعٍ وتعاونِ المسلمين، تَأتلفُ عليه قلوبُهم، ويُخففُ آثارَ الاختلافِ الذي لا بُدَّ أَنْ يقعَ بين البَشَر!

❖ ❖ ❖

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٤٨ ـ ١٤٩.

الفصل الثامن

نقض المطاعن العلمية

١٧٨

هل لتمثال العجل خوار؟

أَخبرَ اللهُ أنه في غيبةِ موسى عليه السلام عن بَنِي إِسرائيل، فَتَنَهم وأَضَلَّهُم السامريُّ الكافر، فأَخَذَ حِليَّهُم وزينتَهم، وصَنَعَ منها تمثالاً ذَهَبِيّاً، على شَكْلِ عجل، ودَعَاهُم إِلى عبادَتِه، على أنه إِلٰهُهُم، ومن بابِ فتنتِهم كان لهذا التمثالِ خُوَارٌ كخُوارِ العِجْل. قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨]. وقال تعالى: ﴿قَالُوا مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ [طه: ٨٧ ـ ٨٨].

وقد اعترضَ الفادي على كلام القرآن، واعتبرَه مُتَناقضاً مع حقائق العلم، إِذْ كيفَ يُمكنُ للبشرِ أَنْ يَصْنَعُوا تِمثالاً ناطِقاً متكَلِّماً؟ قال: «ونَحْنُ نَسأل: من أَينَ استقى القرآنُ هذا الخَبر، الذي ليس له أَساسٌ تاريخي؟ وهل من المعقولِ أَنَّ العجلَ الذهبيَّ يَخورُ كالعجلِ الطبيعيّ؟ وهل يتمنّى السامريُّ المزعومُ ذلك، ويَطلبُه هارونُ من الله، فيوافقُ اللهُ على تَحسينِ الصَّنَمِ فيخورُ، ليُغريَ الناسَ ليَعْبُدوهُ من دونِ الله؟ وهل صارَ السامريُّ وهارونُ واللهُ شركةً واحدةً في صُنعِ العجل؟!»[١].

يتساءَلُ الفادي بخُبْث: «من أَينَ اسْتَقىٰ القرآنُ هذا الخبرَ؟ الذي ليس له أَساسٌ تاريخي؟» إِنَّهُ بهذا التَّساؤُل يُريدُ أَنْ يُقَرِّرَ بشريةَ القرآن، فلأَنَّه من عند البَشَر فلا بُدَّ أَنْ يكونَ لما يَقولُه مصدَرٌ يأخُذُه منه، فمن أَينَ أَخَذَ القرآنُ فِكرةَ العِجْلِ البشري؟.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٥٣.

ونحنُ نوقنُ أَنَّ القرآنَ كلامُ الله، وكلُّه صادق، لأَنَّه لا أَحَدَ أَصْدَقُ حَديثاً وَقْولاً من الله، ولا يَجوزُ أَنْ نبحثَ عن مصدَرٍ بشريٍّ لما يذكُرُه القرآن، ويَكفي ذِكْرُ الخبر في القرآنِ دَليلاً على تَصديقه.

ويُكَذِّبُ الفادي المفتري القرآنَ عندما يَزعمُ أَنَّ إِخبارَه عن عجلِ السامريِّ ليس له أَساسٌ تاريخي، ونقولُ له: مرجعيَّتُنا هي القرآن؛ لأَنه كلامُ الله، ويَجبُ أَنْ نؤمنَ بكلِّ ما وردَ فيه، وَمَنْ كَذَّبَ شيئاً مما ذُكِرَ فيه، فهو مُكَذِّبٌ لله، كافرٌ به.

وبعدَ ذلك نقولُ للفادي: لقد ذَكَرَ كِتَابُكَ المقَدَّسُ الذي تُؤمنُ به قصةَ صنْعِ العجل، لكنَّ الحاخامات الذين أَلَّفوا أَسفارَ العهد القديم كَذَبوا على الله وعلى هارونَ النبيِّ ﷺ، حيثُ زَعَموا أَنه هو الذي صَنَعَه، ودَعا قومَه إِلى عبادتِه!.

وَرَد في سِفْرِ الخُروجِ ما يلي: «ورأى الشعبُ أَنَّ موسى قد تَأَخَّرَ في النزولِ من الجبل، فاجتمعَ الشعبُ على هارون، وقالوا له: قُمْ فاصنعْ لَنا آلهةً تَسيرُ أَمامَنا، فإِنَّ موسى ذلك الرجل الذي أَصْعَدَنا من أَرَضِ مصر لا نَعلَمُ ماذا أَصابَه!!.

فقالَ لهم هارون: انْزعوا حَلَقاتِ الذَّهَبِ التي في آذانِ نسائِكم وبَناتِكم وبَنيكم، وأْتوني بها... فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ حَلَقاتِ الذَّهَبِ التي في آذانِهم، وأَتَوْا بها هارون... فأَخَذَها وصَبَّها قالباً، وصَنَعَها عِجْلاً مسبوكاً... فقالوا: هذه آلهتُكَ يا إِسرائيل، التي أَصعدَتْكَ من أَرضِ مصر، فلما رأى هارونُ ذلك بنى مَذْبحاً أَمامَ العجل، ونادى قائلاً: غداً عيدٌ للرّبّ! فَبكَّروا في الغَدِ، وأَصْعَدوا مُحَرَّقات، وقَرَّبوا ذبائح، وجَلَسَ الشعبُ يأكلُ ويشربُ، ثم قامَ يَلْعَب...

ولما عادَ موسى ﷺ إلى قومِه غَضْبانَ أَسِفاً، لامَ هارونَ لَوْماً شَديداً على ما فَعَلَه، وقالَ له: ماذا صَنَعَ بك هذا الشعبُ، حتى جَلَبْتَ عليهم خطيئةً

عظِيمة؟ فقالَ هارون: أَنتَ عارفٌ أَنه شعبٌ شِرّير، قالَ لي: اصنَعْ لنا آلهةً تَسيرُ أَمامَنا، فإنَّ موسى ذلك الرجل الذي أصعَدَنا من أَرضِ مِصْر، لا نَعْلَمُ ماذا أَصابه.. فقلْتُ لَهم: مَنْ له ذَهَبٌ فلينزَعْه.. فأْتوني به، فأَلقيتُه في النّار، فخرجَ هذا العجل...» [سفر الخروج: ٣٢/١ ـ ٦ و: ٣٢/٢١ ـ ٢٤].

الفادي يقول: هل من المعقولِ أَنَّ العجلَ الذهبيَّ يَخورُ كالعجلِ الطبيعي؟ ونقول: نَعَمْ من المعْقول، إِذْ ليس في هذا ما يَتناقضُ مع العَقْلِ؛ لأَنه لم يحدُثْ بفعلِ السّامريّ، إنما حَدَثَ بإرادةِ الله، والسّامريُّ لم يخلقْ عجْلاً طبيعيّاً حقيقيّاً، لأَنَّ الخالقَ هو الله، كلُّ ما فعلَه أَنه صَنَعَ من الذهبِ والحِليِّ عِجْلاً جَسَداً، وتمثالاً مُجَسَّداً، واللهُ هو الذي جَعَلَ لهذا العجلِ التمثالِ خُواراً، وجَعَلَ له صَوْتاً كصوتِ العِجْل، مُبالغةً في ابتلاءِ وامتحانِ بني إِسْرائيل، ولقد رَسَبوا في الامتحان، وخَسِروا في الابتلاء، وكانوا كُلَّما سَمِعوا خُوارَ العجلِ التمثالِ ازْدادوا إِقْبالاً عليه وفَرَحاً به! ومن المعلوم أن الله يَبْتَلي عبادَه بالخيرِ والشّرّ، كما قالَ تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

ثم ما هو الذي يتعارَضُ مع العقلِ في خُوارِ العجلِ الجَسَد؟ أَلا يُمكنُ تَقريبُ ما جرى من خلال تَذَكُّرِ آلاتِ العَزْفِ الموسيقية، حيثُ يُخرجُ العازفُ أَلْحاناً موسيقيةً من ضربه على بعضِ الآلاتِ الجامدة، أَو نَفْخِهِ في آلاتٍ أُخرى؟ فإذا كانَ الإنسانُ يَستطيعُ إِخْراجَ أَلحانٍ مختلفةٍ من الآلاتِ التي يَتعامَلُ معها، أَيعجِزُ الله سبحانه عن إخراجِ صوتِ خُوارِ العجلِ من تمثالِ عجلٍ مجسَّد؟!.

المشكِلةُ ليستْ في إِخْبارِ القرآنِ عن خُوارِ تِمثالِ العجل، إنما المشكلةُ في ما نَسَبَهُ الأَحبارُ الكُفارُ إلى النبيِّ هارونَ عليه السلام من كفر! فهل يُعقلُ أَنْ يستجيبَ النبيُّ هارونُ عليه السلام إلى طلباتِ قومِه الكافرة، ويَصنعَ لهم من حُلِيِّهم عِجْلاً، ويَقولُ لهم: إنَّ هذا هو إِلٰهُكم، فتعالوا واعْبُدوه؟.

وقد نَصَّ القرآنُ على أَنَّ هارونَ عليه السلام أَنكرَ عليهم عبادتَهم العجلَ؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي

وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٩٠ ـ ٩١].

١٧٩

أسطورة خاتم سليمان

حَمَّلَ الفادي المسلمين أُكذوبةَ خاتَمِ سليمانَ عليه السلام، التي ذَكَرَها بعضُ المَفسِّرينَ، الذينَ يَذْكرُونَ الإسرائيلياتِ والخرافاتِ والأساطير، وذلك أثناءَ تفسيرِهم لقولِ الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [صَ: ٣٤ ـ ٣٥].

قالَ: «قالَ مفسِّرو المسلمين: إنَّ سُليمانَ قَتَلَ مَلِكَ صَيْدون، وأَخَذَ ابْنَتَهُ جَرادَةَ لجَمالِها، فكانَتْ تَبْكي في بيتِ سليمانَ على أبيها. فأَوصى سليمانُ الشياطينَ، فعَمِلوا تِمثالاً لأَبيها، وضعَتْه أمامَها، وكانتْ تسجدُ له أربعين يوماً... وكان لسليمانَ خاتمٌ يلبسُه، وكان إذا دَخَلَ للطهارةِ يُعْطِيه لزوجتِه أمينة! فَمَرَّةً دخلَ للطهارة، وظهَرَ الشيطانُ لأمينَة في شكْلِ سُليمان، وأَخَذَ الخاتم، وجَلَسَ على سَريرِ الملِك، وتَزَوَّجَ بنساءِ سليمان، واستمرَّ في المُلْكِ أَربعين يوماً، وسليمانُ مطرودٌ، يستنكرُه كلُّ مَنْ رآه.. وطارَ الشيطان، وسَقَطَ منه الخاتمُ في البحر، وصادَ الصَّيّادون سَمَكاً، وأَعْطوا سليمانَ سمكتَيْن أُجْرَةً له، على خدمتِه في حَمْلِ السَّمَك، فَوَجَدَ الخاتمَ في جوفِ السمكة، ولما لبسَه عادَ إليه المُلْك!»..

وعَلَّق الفادي على هذه الأُسطورةِ بقوله: «فما معنى هذا الخاتم السحري، الذي مَنْ يلبسُه من الإنسِ أو الجنِّ يَصيرُ مَلِكاً؟ وكيفَ يتزوَّجُ الشيطانُ النِّساءَ وهو من الأَرواح؟ ومتى كان سليمانُ الملكُ شَحّاذاً وحَمّالَ سَمَكٍ أَرْبعين يوماً؟!»[1].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٥٣.

إنَّ هذا الكلامَ مردودٌ مكذوب، لم يَرِدْ في كتابِ الله، ولا في حديثِ رسولِ الله ﷺ، ولم يقلْه واحدٌ من الصحابةِ أو التابعين، وهو من الإسرائيلياتِ والخرافاتِ والأساطيرِ الباطلة، التي لا يَجوزُ أَنْ نُفَسِّرَ بها كلامَ الله.. وسامَحَ اللهُ الإخباريّينَ والرواةَ من المسلمين، الذين أَجازوا لأنفسِهم تفسيرَ كلامِ اللهِ بهذا الهراءِ التافه، حتى يأتيَ إنسانٌ مُغْرِضٌ مثلُ الفادي يجعلُه مَطْعَناً يوجِّهُه إلى كتابِ الله ﷻ.

ثم إنَّ هذا الكلامَ الباطِلَ يَطعنُ في نبوةِ سليمانَ عليه السلام وعصمتِه وإيمانه، ويُصَوِّرُهُ بصورةِ الذي يَرضىٰ بالشِّرْكِ بالله في بيته، بل يَرضى أَنْ يَصنعَ الأَصنامَ لامرأتِه المشركة، ويَدْعوها لعِبادَتِها، إنَّ هذا لا يفعَلُه مسلمٌ عادي، فكيفَ يفعلُه النبيُّ الملكُ القويُّ سليمانُ عليه السلام؟!.

وما هو هذا الخاتمُ السحريُّ الذي كان يَحكمُ به سليمانُ الإنسَ والجنّ؟ وكيفَ يرضى اللهُ أَنْ يُسْلَبَ سُليمانُ الملكَ؟ وأَنْ يَحلَّ محلَّه شيطانٌ رجيم؟ وكيفَ يَطَأُ ويُجامعُ هذا الشيطانُ الكافرُ أَزواجَ سليمانَ واحدةً واحدة؟ وكيف؟ وكيف؟ وكيف؟...

إنّنا نبرأُ إلى الله من هذه الأُسطورةِ المكذوبة، ونُبَرِّئُ سليمانَ عليه السلام منها!.

١٨٠

لماذا إنكار عذاب القبر؟

يُنكرُ الفادي المفتري عَذابَ القبر، ويَعتبرُه مما لا يتفقُ مع العلم، ومما يَتناقَضُ مع العقل، ويُخَطِّئُ الرسولَ ﷺ في حديثِه عنه.

وإنَّ إنكارَه عذابَ القبرِ لا يَتفقُ مع موضوعِ كتابِه، الذي خَصَّصَه لانتقادِ القرآن، وهو في هذا الموضوعِ يَنتقدُ حديثَ رسولِ الله ﷺ!.

ذَكَرَ قولَ اللهِ ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: ٨].

وذِكْرُه للآيةِ في معرضِ حديثِه عن عذابِ القبرِ دَليلُ جهْلِه، فالآيةُ لا تتحدَّثُ عن عذابِ القبر، وإنما تتحدَّثُ عن الموت، الذي لا بُدَّ أَنْ يُصيبَ الإنسانَ مهما فَرَّ منه. والآيةُ شبهُ الصريحةِ في عذابِ القبر هي قولُ اللهِ ﷻ: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥ ـ ٤٦].

وذَكَرَ الحديثَ الذي رواهُ البخاريُّ عن عائشةَ ﵂ قالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ عجوزان من عجائزِ يهودِ المدينة، فقالَتا: إنَّ أَهلَ القُبورِ يُعَذَّبونَ في قبورِهم، فكذَّبْتُهما، فَخَرَجَتا.. ودَخَلَ النبيُّ ﷺ، فقلْتُ له ما قلْتُ لهما، وإني لم أُصَدِّقْهما في ذلك، فقال: «صَدَقَتا، إنهم يُعَذَّبون في قُبورِهم عذاباً تَسمعُه البهائمُ كلُّها. فما رأيْتُه بعدَ ذلك في صلاةٍ إلّا تعوَّذَ من عذابِ القبر».

ثم ذَكَرَ حديثاً آخرَ في تَعَوُّذِ رسولِ اللهِ ﷺ من العجزِ والكسلِ والجبنِ والبخلِ وعذابِ القبر، وحَديثاً ثالثاً في سؤالِ الملَكَيْن لمن يوضَعُ في قبرِه.

وعَلَّقَ على تلك الأَحاديثِ الثلاثة قائلاً: «ونحنُ نسأَل: إذا كان الميتُ يَسمعُ ويتعذَّبُ في القبر، فلماذا لا يَسمعُ عذابَ أَهلِ القبرِ إلّا البهائم؟ وإذا كان أَهلُ المقابرِ الذين يَعترفونَ بنبوَّةِ محمدٍ يُعْفَوْنَ من العذاب، فلماذا كان النبيُّ نفسُه دائماً يتعوَّذُ من عذابِ القبر؟ لعلَّ خُرافةَ العجوزَيْن (اللتَيْن كذَّبَتْهما عائشة) تَعودُ إلى أنهما سمعتا عن شخصٍ دُفِنَ بسرعةٍ بعدَ أَنْ ظَنّوه مات، ولما أَفاقَ في القبرِ استغاث، وليسَ مَنْ يُغيث، فماتَ، فخرجَتْ إشاعَةُ أَنَّ أَهلَ القبورِ يُعَذَّبون!!»[1].

بهذا التفسيرِ الساذج، الذي يدلُّ على الغَباء، يُفَسِّرُ الفادي الجاهلُ عذابَ القبر: شابٌّ أُغْمِيَ عليه، فظُنَّ أَنه مات، فدُفِنَ في قبرِه، وهناك استيقَظ، فصاحَ وصَرَخَ واسْتَغاث، وماتَ الموتَ الحقيقي.. ولما سمع الناسُ صُراخَه (ولا أدري كيفَ سمعوه) أَشاعوا إشاعةَ عَذابِ القبر!!.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٥٤.

وكلامُ الفادي مردود، ونحنُ نؤمنُ بأَنَّ عذابَ القبرِ حَقّ، لأَنَّ الرسولَ ﷺ أَخبرَ بذلك، وإِذا صَحَّ الحديثُ عن رسولِ اللهِ ﷺ وَجَبَ الأَخْذُ به، والإِيمانُ بما وَرَدَ فيه.

١٨١

حول ناقة صالح عليه السلام

لما بَعَثَ اللهُ صالِحاً عليه السلام رسولاً إِلى قومِ ثَمودَ آتاهُ الناقةَ آية، وطَلَبَ منهم أَنْ لا يَمَسّوها بسوء، لكنَّهم لم يَستجيبوا له، ولما عَقَروها وَقَعَ بهم العَذاب.. قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٧٣].

ولما أَرادَ الفادي أَنْ يتعرفَ على قصةِ الناقةِ ذَهَبَ إِلى المفسِّرين المولَعين بذكْرِ التفاصيلِ المستمدَّةِ من الإِسرائيليات، والتي لا دليلَ عليها من الكتابِ والسُّنَّة، وأَخَذَ منهم تلك التفاصيل، ثم رَدَّها وأَنكَرَها، بحجَّةِ مخالفتِها للعلمِ والعقْل، وحَمَّلَها للقرآن، وخَطَّأَه بسببها، مع أَنَّ القرآنَ لم يَقُلْ بها!.

زَعَمَ هؤلاءِ أَنَّ قومَ ثمودَ طَلَبوا من صالحٍ عليه السلام آية، فأَخْرَجَ لهم ناقَةً من الصَّخرة، وأَخرجَ من الصخرةِ ابنَها، فآمَنَ به بعضُهم وكَفَرَ به آخرون، وكانت الناقةُ تُخيفُ أَنعامَهم، وتَشربُ ماءَهم، وهم في المقابلِ يَشْرَبون لَبَنَها، فاتَّفَقوا على قَتْلِها واقتسام لَحمها، ولما قَتَلوها أَخْفَت الأَرضُ داخلَها ابنَها، وبعدَ ثلاثةِ أَيام وَقَعَ بهم العذابُ، وأَنْجى اللهُ صالحاً عليه السلام إِلى فلسطين.

وعَلَّقَ الفادي على ذلكَ بقوله: «هل من المعقولِ أَنَّ الصخرةَ تَلِدُ ناقة؟ وأَنَّ الناقةَ تَشربُ كُلَّ البئر، وتُطعمُ كُلَّ المدينة؟ وهل من المعقولِ أَنه عندما تتسبَّبُ الناقةُ في أَذِيَّة المدينة بَطرْدِ الأَنعامِ شِتاءً وصَيفاً، فيذبَحُها الناس،

فيُهلكُ اللهُ المدينةَ كُلَّها مقابلَ ذبْح نَاقة؟ وهلْ من المعقولِ أنْ تَسمعَ الصخرةُ رُغاءَ الفَصيل، فتنشقَّ ويدخلَ فيها، ويَعودَ جُزْءاً من الصخرة كما كان؟ أليسَ هذا أَشبهَ بحكاياتِ أَلْفِ لَيْلَةٍ ولَيْلَة؟!»[1].

الواجبُ علينا أَنْ نبقى مع حديثِ القرآنِ عن ناقةِ صالح عليه السلام، لا سيما أنه لا يوجَدُ حَديثٌ صحيحٌ عن رسولِ اللهِ ﷺ يُفَصِّلُ ما أَجْملَه القرآنُ عنها، ولا يجوزُ لنا أَنْ نَذهبَ إِلى الأساطيرِ والرواياتِ غير الصحيحة، كما فَعلَ الفادي الجاهل!.

لم يَقُل القرآنُ: إِنَّ الناقةَ خرجَتْ من الصخرة، وأَنَّ ابْنَها خَرَجَ منها بَعْدَها، ولم يَقُل القرآن: إِنّ الناقةَ كانت تُلاحِقُ وتُطارِدُ أَنعامَ ثَمود، ولم يَقُل القرآنُ: إِنَّ ابْنَها عادَ إِلى الصخرةِ بعدَ ذبْحِ أُمِّه، ولم يُفَصِّل القرآنُ كيفيةَ ذبْحِ الناقة، ولم يَقُل القرآنُ: إِنَّ وجوهَ قومِ ثمودَ اصْفَرَّتْ في اليومِ الأَوَّلِ بعدَ ذبْحِ الناقة، واحمَرَّتْ في اليومِ الثاني، واسْوَدَّتْ في اليوم الثالث. وبهذا تُصبحُ كلُّ الأَسئلةِ الإِنكاريةِ التي أَثارَها الفادي لاغية، لأَنَّها تُوَجَّهُ إِلى التفاصيلِ الأُسطورية، ولا تُوَجَّهُ إِلى القرآن!.

كُلُّ ما قالَه القرآنُ: إِنَّ اللهَ جَعَلَ الناقةَ آيةً لقومِ ثمود، ولا نَعرفُ كيفَ كانَتْ آية، وأَنهم لم يَلْتَزِموا بتحذيرِ صالحٍ لهم من ذَبْحها، وأَنهم عُذِّبوا بعدَ ثَلاثةِ أَيامٍ من ذَبْحِها!!.

١٨٢

حول إهلاك قوم مدين

أَخبرَ اللهُ عن قصةِ قومِ مَدْيَن مع نبيِّهم شعيبٍ عليه السلام، ووردَتْ قصتُهم في أَكثرَ من سورةٍ في القرآن.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٥٤ ـ ١٥٦.

وقد ذَكَرَ الفادي خمسَ عشرةَ آيةً تحدثَتْ عن قصةِ قومِ مَدْيَنَ في سورةِ الشعراء [الشعراء: ١٧٦ ـ ١٩٠]، ثم ذَكَرَ كَلاماً مَنْسوباً لابنِ عباسٍ في كيفيةِ إهلاكِ قومِ مدين، خُلاصَتُه أَنَّ اللهَ بَعَثَ عليهم حَرّاً شديداً من جَهَنَّم، بحيثُ لم ينفَعْهم ظِلٌّ ولا ماءٌ ولا سِرْداب، فَهَرَبوا إلى البريَّة، فأَرسلَ اللهُ لهم سَحابَةً أَظَلَّتْهم، فوجَدوا لها بَرْداً ونَسيماً، ولما تَنادَوْا إليها وصاروا تَحْتَها، جعَلَها اللهُ عليهم ناراً فأَحرقَتْهم!.

وعَلَّقَ الفادي على ذلك بقولِه: «ونحنُ نسأل: لا نَجِدُ في الكتابِ المقَدَّسِ كلمةً عن رجلٍ اسْمُه شُعَيب، أُرسلُ إلى مَدْيَن، ولا أَنَّ مَدْيَن هلكَت بالنّار، وهل من المعقولِ أَنَّ سَحابة تَبْعَثُ نَسيماً عَليلاً وهَواءً طيباً، وهي نارٌ حاميةٌ تَحرقُ المدُنَ فتُفْنيها؟»[1].

إنّ الفادي المفتري يُكَذِّبُ كلامَ القرآنِ عن نبوَّةِ شُعيبٍ ﷺ، وعن إهْلاكِ مَدْيَن، لأَنَّ الكتابَ المقَدَّسَ الذي يؤمنُ به لم يَذْكُرْ ذلك، ونحنُ نؤمنُ بأَنَّ شُعَيباً ﷺ هو رسولُ اللهِ إلى مَدْيَن، وأَنهم لما كَذَّبوه أَهلكَهم الله، لأَنَّ اللهَ ذَكَرَ ذلك في القرآن.

والخلافُ بَيْنَنا وبين الفادي في المرجعية، إنَّ مرجعيَّتَه هي ما يسمِّيه بالكتابِ المقَدَّس، وهو يؤمنُ بكلِّ ما وَرَدَ فيه، ويُكَذِّبُ كُلَّ ما لَم يَرِدْ فيه، لأَنه عنده كلامُ الله! ونحنُ لا نُؤمنُ بذلك، لأَنَّ اللهَ أَخبرَنا أَنَّ اليهودَ حَرَّفوا التوراة، وأَنَّ النصارى حَرَّفوا الإنجيل، فكَثيرٌ مما ذُكِرَ في أَسفارِ الكتاب المقَدَّس من كَلامِ الأحبارِ والرُّهبان المشكوكِ فيها!.

ومرجعيتُنا نحنُ هي القرآن، لأَنه كلامُ الله، وكلُّ ما وردَ فيه نؤمنُ به ونصَدِّقُه، ولكنَّه يُنكرُ أَنْ يكونَ القرآنُ من عندِ الله، ولذلك يُكَذِّبُ ما وَرَدَ فيه!.

نحنُ نؤمنُ أَنَّ اللهَ بَعَثَ شُعَيْباً ﷺ نبيّاً رسولاً إلى قومِ مَدْيَن، وأَنَّ معظمَهم كَذَّبوه وكَفَروا به، فعذَّبَهم اللهُ بالرجفةِ والظُّلَّةِ فأَهلَكَهم وقَضى عليهم.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٥٦ ـ ١٥٧.

ولا دليلَ على ما ذَكَرَهُ الفادي من تَفْصيل عَذابِهم بالحَرّ، ولم يَصِحَّ هذا الكلامُ إلى ابنِ عباسٍ ﵄، ولذلك نحنُ لا نَقولُ به ونَرُدُّه، فلم يَبعثْ لأَهْلِ مَدْيَنَ سَحابةً منعشةً فوقَهم، نسيمُها طَيِّبٌ وظِلُّها لطيف، فلما تجمعوا تَحتَها تَحوَّلَ ذلك النَّسيمُ إلى لهبٍ وتَحوَّلَت السحابةُ إلى نارٍ حارقة! لا نَقولُ بذلك لأنه لم يُذْكَرْ في القرآنِ الكريم، ولا في حديثِ رسولِ اللهِ ﷺ.

ثم مَنْ قالَ: إنَّ اللهَ عَذَّبَ قومَ مَدْيَن بالظُّلَّةِ (السحابةِ الباردة)، فلما تَجَمَّعوا تَحْتَها حَوَّلَها اللهُ إلى نارٍ حارقة؟!.

لقد أَخبرَ اللهُ أنه أَهلكَ قَوْمَ مدينَ بالرَّجفَةِ والصَّيْحةِ والظُّلَّةِ:

قالَ تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٩١].

والرَّجْفَةُ هي حركةُ الأَرضِ من تحتِهم، حيثُ زُلزلتْ ورَجفتْ وتَحركتْ واضْطربتْ.

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [هود: ٩٤].

والصيحةُ هي الصوتُ العالي المدَوّي، الناتجُ عن زلزالٍ أَو انفجارٍ هائل.

وقال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٨٩].

والظُّلَّةُ هي السَّحابة، وكانت تلك السحابةُ سحابةً بركانيةً حارقة، وليستْ باردةً أَو منعشة.

وقد يَتهمُ بعضُهم القرآنَ بالتناقضِ في حديثهِ عن إهلاكِ قوم مَدْيَن، فسورةُ الشعراءِ تُخبرُ أَنَّ إهْلاكَهم كانَ بالظُّلَّة، وسورةُ الأعرافِ تُخبرُ أَنَّ إهلاكَهم كانَ بالرجفة، وسورةُ هودٍ تُخبرُ أَنَّ إهلاكَهم كان بالصيحةِ! فبماذا كان إهلاكُهم؟ ولماذا تناقضت السُّوَرُ الثلاثُ في حديثِها عن إهلاكِهم؟.

وعند تدبُّرِ الآياتِ في السورِ الثلاث، المتحدثةِ عن إهلاكِهم، فإننا لا نَجدُ فيها تَعارضاً أَو تَناقضاً، إنما نَجِدُ فيها تكامُلاً في الإخبارِ عن ما جَرى.

لقد كان إهلاكُهم على ثَلاثِ مراحلَ مُتدرِّجةٍ مُتعاقبة، وتحدثَتْ كُلُّ سورةٍ عن مرحلةٍ منها، ولا بُدَّ من جَمْعِ المراحلِ والخطواتِ الثلاث:

المرحلةُ الأُولى: في سورةِ الأعراف.. حيثُ أَخبرتْ أَنهم أُهْلِكوا بالرَّجْفَة، وهي الزلزلة، حيث زَلْزَلَ اللهُ الأَرضَ من تحتِهم، فَرَجَفَتْ وتحركَتْ واضطربَتْ وانشَقَّتْ.

المرحلةُ الثانية: في سورة هود.. حيثُ أَخبرتْ أَنهم أُهلكوا بالصيحة، وهي الصوتُ المدَوّي العالي، الذي يَصُمُّ الآذان من شدَّتِهِ وعُلُوِّه، وهذه الصيحةُ ناتجةٌ عن الرجفةِ والزلزلة، فلما انشَقَّتِ الأَرض، حَدَثَ انفجارٌ بركانيٌّ كبيرٌ مُدَوٍّ، وسَمعوا صوتَ ذلك الانفجارِ، فأُصيبوا بالفَزَعِ والهَلَع!!.

المرحلة الثالثة: في سورةِ الشعراء.. حيثُ أَخبرتْ أَنهم أُهلكوا بالظُّلَّة، وهي السحابةُ التي أَظَلَّتْهم، وهي ليستْ سحابةً عاديةً كباقي السُّحُب، ولكنها سحابَةٌ بركانيةٌ ناريةٌ حارقة، وهذه السحابةُ ناتجةٌ عن ذلك الانفجارِ البركانيِّ الضَّخْم، الذي قَضى عليهم.

فالرجفةُ في الأَرض، أَحْدَثَتْ صيحةً مُدَوِّيَةً، ونتجَ عنها ظُلَّةٌ ناريةٌ حارقة.

أَين هذا من الأَساطيرِ التي يذكُرُها الفادي، ثم يَنسبُها للقرآنِ، ويُخَطِّئُهُ بسببِها؟!.

١٨٣

كيف مُسخ اليهود قردة؟

ذَكَرَ القرآنُ قصةَ أَصحابِ القريةِ من اليهود، الذين اعْتَدَوْا في السَّبت، وخالَفوا حُكْمَ اللهِ في تحريمِ صيدِ السَّمَكِ يومَ السَّبْتَ، ولم يَستَمِعوا لنُصْحِ

إِخْوانِهم، المِلْتَزمينَ بحكمِ الله، فأوقعَ اللهُ بهم العِقاب، وأنجى إخوانَهم المِلْتَزِمين الناصحين!.

وكانَ عِقابُهم آيةً من آياتِ الله، حيثُ مَسَخهم اللهُ قردةً خاسِئين؛ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾ [الأعراف: ١٦٥ ـ ١٦٦].

ونَقَلَ الفادي الجاهلُ من تفسيرِ البيضاويِّ كَلاماً في تفسيرِ مَسْخِهم قردَةً، ثم عَلَّقَ على ذلك مُنْكِراً حُصولَه، لأنه يتعارضُ مع العقلِ والعلم الحديثِ. قال: «ونحنُ نسأل: هل من المعقولِ أَنْ نُقابِلَ إِنْساناً مُسِخَ قِرْداً أو خِنزيراً؟ أَلا تُعَلِّمُنا الطبيعةُ أَنَّ كُلَّ شيءٍ يُبْذَرُ بِذْراً كجنْسِه؟ أليسَ مَنْ يَقولُ: إنَّ القمحَ صارَ شعيراً، وإِنَّ العِنَبَ صارَ تيناً، كمنْ يَقولُ: إنَّ الإِنسانَ صارَ قِرداً أو خِنزيراً؟»[1].

وللرَّدِّ على استغرابِ الفادي وإِنكارِه نَقول: ذَهَبَ بعضُ المفَسِّرين إلى أَنَّ مَسْخَ اليهود قِرَدَة، لم يَكُنْ مسخاً حقيقيّاً، أَيْ لم يَتَحَوَّلوا من بَشَرٍ إِلى قُرود، وإِنما مُسِخَتْ أَرواحُهم وقُلوبُهم، بمعنى أَنهم تَخَلّوا عن فطرتِهم الإِنسانية، ومشاعِرِهم واهتماماتِهم العالية، وصارُوا كالقُرودِ في الاكتفاءِ بالطَّعامِ والشَّراب. وممن قالَ بهذا القولِ المفسِّرُ التابعيُّ مجاهدُ بنُ جَبْر.

ولَسْنا مع الإِمام مجاهدٍ في قولِه بالمسْخ المعنويّ، ونحنُ مع جمهورِ المفسِّرين في أَنَّ المسخَ كانَ مَسْخاً حقيقيّاً، بحيثُ حَوَّلَهم اللهُ من بَشَر آدميّين إِلى قُرود، عقاباً لهم على عُدوانِهم في السبت. والراجحُ أَنَّ هؤلاء القُرودَ لم يُعَمِّروا طويلاً، وإِنما تُوُفُّوا بعدَ المسخِ مباشرة، فالقرودُ الموجودةُ هي حيواناتٌ حقيقية، وليستْ يَهوداً مُتحوِّلينَ إِلى قرود.

واعتراضُ الفادي على هذا المسخ دَليلُ جَهْلِه وغَبائِه، وتَساؤُله في غيرِ مَحلِّه، والمثالُ الذي ذَكَرَهُ هنا لا يَنطبقُ على المَسخ، لأَنَّ القمحَ لا يَصيرُ

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٥٧.

شَعيراً، والعنبَ لا يَصيرُ تيناً، في الوضعِ الطبيعي، لأَنَّ القمحَ قمحٌ، والشَّعيرَ شعيرٌ. لكن لو أَرادَ اللهُ أَنْ يَجعَل القمح شعيراً فَعَل، فلا رادَّ لمشيئته.

والإِنسانُ لا يَصيرُ قِرْداً في الوضعِ الطبيعي، لأَنَّ الإِنسانَ إِنْسان، والقِردَ قِرْد، واليهودُ سكانُ تلك القريةِ لم يَكونوا أَصْلاً قُروداً، ولم يَصيروا قُروداً برغبتِهم واختيارِهم وإِرادتِهم.

إِنَّ اللهَ هو الذي مَسَخَهم قُروداً، وحَوَّلَهم من بَشَرٍ إِلى قُرود، ومَنْ نَظَر إِليهم رآهُم قُروداً، وكان هذا المسخُ والتحويلُ خارقةً من الخوارق، وآيةً من آياتِ الله، ولذلك لا يَدْعو الأَمْرُ إِلى الاستغرابِ والإِنكار والاعتراض، ومرجعيَّتُنا هي القرآنُ الكريم، وكلُّ ما وردَ فيه نؤمنُ به، ونصَدِّقُه، وبما أَنَّ اللهَ قالَ لأولئك القومِ: كُونوا قردةً خاسئين، فقد صاروا قردةً خاسئين، لأَنَّ اللهَ يَقول: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

١٨٤

حول عالم الجن

للفادي المفتري موقفٌ خاصٌّ من الجنّ، فهو يَرفضُ وُجودَ هذا العالَم الخَاصّ، الذي أَخبرَ عنه القرآن، ولذلك هو يُخَطِّئُ القرآنَ في كلامِه عنه.. وقد سَجَّلَ الفادي آياتٍ من سبعِ سورٍ تتحدَّثَ عن الجن: سورةُ الحجر: ٢٧، وسورةُ هود: ١١٩، وسورةُ الأَحقاف: ٢٩ ـ ٣٠، وسورةُ الذاريات: ٥٦، وسورةُ الجن: ١ ـ ١٧، وسورةُ سبأ: ١٢ ـ ١٣، وسورة النمل: ١٧ و٣٨ ـ ٣٩.

وقالَ بعدَ تلك الآيات: «يُخبرُ القرآنُ بوجودِ خليقةٍ غيرِ الشياطينِ اسْمُها الجنُّ والعَفاريت، مخلوقونَ من نارِ جهنّم، وهم يأكُلونَ ويَشربون، ويتزوَّجون، ويَحيون ويَموتون، ومنهم المسلمونَ الذينَ كانوا يزدَحِمون حول محمدٍ عندَ قراءَتِه القرآن، وأَنهم كانوا مُسَخَّرين من سليمانَ لبناءِ الهيكل والقصور والتماثيل وغير ذلك».

وقد أَخطأَ الفادي عندما قالَ عن المادَّةِ التي خَلَق اللهُ منها الجنّ، حيثُ قال: «وهم مخلوقونَ من نارِ جَهَنَّمَ»! وكأَنه لا نارَ إِلّا نارُ جهنَّم!!.

خَلَقَ اللهُ الجنَّ من نارِ السَّموم، لقوله تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧]. ولكنَّ هذه النارَ الحارةَ الحاميةَ نارٌ في الدُّنيا، وليستْ نارَ جَهَنَّمَ.. وكأَنَّ الفادي الجاهلَ لا يَرى إِلّا نارَ جَهَنَّمَ!! إِنهما ناران: نارُ الدنيا المعروفة.. ونارُ جَهَنَّمَ التي أَعَدَّها اللهُ للكافرين. والنارُ التي خَلَقَ اللهُ منها الجنَّ هي نارُ الدنيا.

وعَلَّقَ على ذلك بأَسئلتِه التشكيكيةِ التي أَثارَها: «ونحنُ نسأَل: إِن كانت العفاريتُ مخلوقةً من نار، وهي روحانيةٌ تَصْعَدُ وتَنزل، وتخترقُ جميعَ الأَماكن، فكيفَ تتزوَّجُ؟ وكيفَ تموت؟»(١).

إِنه يريدُ أَنْ يَقيسَ عالَمَ الجنِّ على عالَم الإِنس، فعالَمُ الإِنسِ عالَمٌ ماديٌّ مشاهَدٌ محسوس، يأكلُ ويَشرب، ويَتزوجُ ويَعملُ ويَتحرك.. لكنَّ عالَمَ الجنِّ عالمٌ آخَرُ خاصٌّ، وهو عالمٌ غيبيّ، له مقاييسُه الغيبيةُ الخاصَّة، التي لا تُقاسُ على مقاييسِ عالَمِ الإِنسِ الماديّ.

وطريقُنا إِلى معرفةِ عالمِ الجنِّ الغيبيِّ هي النَّصّ، القائمُ على آياتِ القرآن، وما صَحَّ من حديثِ رسولِ الله ﷺ، فما قالَه اللهُ عن عالَمِ الجنِّ يَجبُ قبولُه وأَخْذُهُ والإيمانُ به.

وللإِجابةِ على تَساؤُلاتِ الفادي الجاهلِ نَقول: خَلَقَ اللهُ الجِنَّ من مارجٍ من نار، وهم ذُكورٌ وإِناث، ولذلك يَتزَوَّجون ويَتَناسَلونَ ويَتكاثرون، وهم يَأْكلونَ ويَشربون، ويَصْعَدون ويْنزلون، ويَعْمَلون، ويَتحركون، ويعيشونَ ويموتون.. ومنهم المؤمنون الصالحون، ومنهم الكافرون المجرمون، وهم مُكَلَّفونَ مِثْلَنا بكلِّ تكاليفِ الإِسلام، فمنهم مَنْ يُطيعُ ويُنفِّذُ، ومنهم مَنْ يَعصي ويُخالف.. وليس في الإِيمانِ بِالجنِّ ما يُخالِفُ العلمَ، أَو يتناقَضُ مع العقل!.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٥٩.

١٨٥

حول التداوي بالعسل

أَخبرَ اللهُ أَنَّ في العسل شِفاءً للناس، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٨ ـ ٦٩].

واعترضَ الفادي المفتري على الآية، وعلى حديثٍ لرسولِ اللهِ ﷺ بشأنِ العَسَل.

وارتكبَ المجرمُ أَثناءَ اعتراضِه جريمةَ التحريفِ والافتراء، فلما ذَكَرَ حديثَ رسولِ اللهِ ﷺ لم يذكُرْه كامِلاً، وإِنما اجتزأ منه ما وَظَّفَهُ ضدَّ القرآن، وحَذَفَ منه ما لا يَتفقُ مع ذلك، وأَوهم القارئَ أَنه لم يَحذفْ منه شيئاً.

قال: «عن قتادةَ: أَنَّ رَجُلاً جاءَ إِلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: إِنَّ أَخي يَشتكي بَطْنَه. فقال: اسْقِهِ العسل، فَذَهَبَ ثم رجعَ، فقال: قد سقَيْتُه فما نَفَعَ، فقال: اذْهَبْ واسْقِه عَسَلاً، فقد صَدَقَ اللهُ، وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيك».

وعَلَّقَ على الحادثةِ مُكَذِّباً القرآن، ومكَذِّباً رسولَ اللهِ ﷺ فقال: «ونحنُ نسأَل: إِذا كانَ المريضُ لم يَنَل الشِّفاء، فكيفَ يُصَدِّقُ اللهُ ويُكَذِّبُ بَطْنُه؟ وهل هذا الرَّدُّ يُبَيِّنُ صِدْقَ محمد؟ أَمْ صِدْقَ تَأْثيرِ العَسَل؟»[١].

يُريدُ المفتري أَنْ يُخبِرَنا أَنَّ الرجلَ لم يتمَّ شِفاءُ بَطنِه، رغمَ أَنه شَرِبَ العَسَلَ مرتَيْن، وهذا معناهُ أَنَّ العسلَ ليس فيه شفاءٌ للناس كما ذَكَر القرآن! ولذلك كان تَعليقُ المفتري على الحديثِ خَبيثاً، فبما أَنَّ المريضَ لم يَنَل الشِّفاء، فكيفَ يُصَدِّقُ اللهُ وتُكَذِّبُ بَطْنُ أَخيه؟.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٥٩.

فهل بقيَ بَطْنُ المريضِ بدونِ شِفاء؟ أَمْ شفي بعدَ شُرْبِ العَسَلِ؟ لِنَنْظُر:

روى البخاري ومسلم عن أَبي سعيدٍ الخدريِّ ﷺ: أَنَّ رَجُلاً أَتى النبيَّ ﷺ فقال: أَخي يَشْتَكي بَطْنَه. فقال: «اسْقِه عَسَلاً! ثم أَتاهُ الثانية، فقال: اسْقِهِ عَسَلاً، ثم أَتاهُ الثالثة، فقال: اسْقِهِ عَسَلاً. ثم أَتاهُ، فقال: قد فَعَلْت! فقالَ: صَدَقَ اللهُ وكَذَبَ بَطْنُ أَخيك. اسْقِه عَسَلاً.. فَسَقاهُ فَبَرَأ».

أُصيبَ ذلك الرجلُ بمرَضٍ في بطْنهِ، حيثُ أُصيبَ بالإِسهال ـ (استطلَقَ بطْنُه) في روايةٍ ثانيةٍ للحديث ـ ومعلومٌ أَنَّ المصابَ بالإِسهالِ يُمْنَعُ عنه الشَّرابُ الحُلْو، والعَسَلُ شَرابٌ حلو. فلما ذَكَرَ أَخو الرجلِ الأَمْرَ للنبيِّ ﷺ، طَلَبَ منه أَنْ يَسقيَه عَسَلاً، على اعتبارِ أَنَّ في العسلِ شِفاءً، ولكنَّ إِسهالَ الرجلِ ازداد، فأَمَرَ النبيُّ ﷺ أَنْ يُسقىٰ عَسلاً للمرةِ الثانية، ثم للمرةِ الثالثة، ولكنَّ الإِسهَالَ لم يتوقَّفْ بل ازداد. فأَمَرَ النبيُّ ﷺ أَنْ يُسقىٰ عَسَلاً للمرةِ الرابعة، وقال للرجل: صَدَقَ اللهُ وكَذَبَ بَطْنُ أَخيك!.. فلما أُسقيَ العسلَ للمرةِ الرابعة بَرَأ!!.

وكأَنَّ الرسولَ ﷺ يُريدُ أَنْ يَقولَ للرجل: لقد أَخبرَ اللهُ أَنَّ في العسلِ شِفَاءً للناس، وهو صادِقٌ في إِخبارِه، وبَطْنُ أَخيك كاذب، لأَنه لم يَشْفَ بعدَ شُرْبِ العسلِ ثَلاثَ مَرّات، ولا بُدَّ أَنْ يَشفىٰ! ولعلَّ السببَ في أَنَّه لم يَشْفَ إِلّا في المرةِ الرابعةِ أَنَّ الميكروباتِ المسبِّبَةَ للإِسهال كانت متمكِّنَةً من بَطْنِه، فاحتيجَ إِلى جرعاتٍ كثيرةٍ من العسل للقَضاءِ عليها.

وتُعْجِبُكَ الثقةُ المطلقةُ من الرسولِ ﷺ بالقرآن، بحيثُ أَيْقَنَ يَقيناً جازماً أَنَّ العسلَ لا بُدَّ أَنْ يشفيَ للرجلِ بَطْنَه بإِذْنِ الله، وبما أَنَّ بَطْنَه لم يتجاوَبْ مع العسل فهو كاذب! وقد بَرَأَ الرجلُ بعدَ ذلك، لما قضىٰ العسلُ على المسبِّبِ للإِسْهال.

ونحنُ نَقْتَدي برسولِ الله ﷺ في تصديقِنا المطلَقِ بالقرآن، فنقول: صَدَقَ اللهُ وكَذَبَ الفادي المفتري! ففي العَسَلِ شِفاءٌ للناس.

وبقيَ أَنْ نُشيرَ إِلى أَنَّ القرآنَ لم يَقُلْ: إِنَّ العسلَ شفاءٌ لكلِّ الأَمراض، إِنما ذَكَرَ أَنه شِفاءٌ لبَعْضِ الأَمراض: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِۚ﴾، ولو كانَ العسلُ شِفاءً لكُلِّ الأَمراضِ لقال: «هو الشِّفاءُ للناس»!.

١٨٦

أين شهود الإسراء والمعراج؟

وَقَفَ الفادي المفتري أمامَ قولِ اللهِ ﷻ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١]، ونـقـلَ من تفسيرِ البيضاويِّ خُلاصَةَ حادثةِ الإسراءِ برسولِ الله ﷺ من المسجدِ الحرامِ في مكةَ إلى المسجدِ الأَقصى في بيت المقدس، ثم عروجِه إلى السمواتِ العُلى، ثم عودَتِه إلى مكة، واستغرابِ المشركين الحادثة، وتصديقِ المؤمنين بها. وعَلَّقَ على ذلك بقولِه: «ونحنُ نسأل: مَنْ هم شُهودُ معجزةِ الإسراءِ المحمدية؟ إنَّ من شروطِ المعجزةِ أَنْ تكونَ أَمامَ شُهود، وأَنْ تَكونَ ذات فائدة، وهذا ما لا يتوفَّرُ للإسراءِ والمعراج، كما أَنَّ المسجدَ الأَقصى لم يكنْ مَوْجوداً زمنَ محمد، بل بُنِيَ بعدَ موتِه بنحوِ مئةِ سنةِ، فكيفَ صَلّى فيه وَوَصَفَ أَبوابَه ونوافذَه؟!»[١].

يُكَذِّبُ المفتري الحادثة، ويُنْكِرُ وُقوعَها، ويُخَطِّئُ القرآنَ في حديثِهِ عنها، لأَنَّها تَتَعارَضُ مع العقلِ والعلمِ في زَعْمِه، إذ كيفَ يَنتقلُ إنسانٌ قبلَ خمسةَ عشرَ قَرْناً من مكةَ إلى القُدس، بدونِ وسيلةِ نَقْل، ثم يَصْعَدُ إلى السماء، ثم يَعودُ إلى مكة، في جزءٍ من الليل؟.

ونقولُ له: نَعَمْ. الأَمْرُ مُستحيل! أَنْ يَنتقلَ شخصٌ من مكةَ إلى القدس، ثم يَصْعَدَ إلى السماء السابعة، ثم يهبطَ من السماءِ السابعةِ إلى القُدس، ثم يعودَ إلى مكة، بدونِ وسيلةِ نَقْل!! ولو زَعَمَ أَحَدٌ أنه فعلَ ذلك بنفسِه لحكَمْنا عليه بالكذب!.

والرسولُ ﷺ لم يَدَّعِ ذلك، والقرآنُ لم ينسبْ ذلك لرسولِ اللهِ ﷺ.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٦٠.

فإذا كانَ الحَدَثُ قد تَمَّ بأَمْرِ الله، القادرِ على كُلِّ شيء، فليس فيه ما يَدْعو إلى الاستغراب أو الاعتراضِ أو التكذيب، لأَنَّ اللهَ فَعّالٌ لما يُريد، ولا يُعجزُه شيءٌ في الأَرضِ ولا في السماء.

أَسندَ القرآنُ الحادثةَ إلى اللهِ سبحانَهُ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا...﴾، فاللهُ هو الذي أَسْرى بعبدِه محمدٍ ﷺ، ثم عَرَجَ به إلى السماء، ثم أَعادَهُ إلى مكة، ولا يُسْتَبْعَدُ صدورُ ذلك الحدَثِ عن اللهِ العليِّ العظيم.

وإنكارُ الفادي المفتري للحَدَث، تكذيبٌ منه للهِ وللرسولِ ﷺ وللقرآن، وهذا كُفْرٌ منه بالله ﷻ. أَمّا نحنُ فإننا نؤمنُ أَنَّ الحَدَثَ وَقَع، كما أَخْبَرَ اللهُ عنه.

ومن أَدِلَّةِ الفادي على عَدَمِ وُقوعِ حادثةِ الإِسراءِ والمعراج عَدَمُ وُجودِ شُهود، شاهَدوا الرسولَ ﷺ عندَ إِسرائِه ومِعْراجِه، ومن شروطِ المعجزةِ عندَه حتى يُؤْخَذَ بها أَنْ يشاهدها الناسُ ويَشْهَدوا عليها!.

ولا أَدري من أَيْنَ جاءَ المفتري بهذا الشَّرْط! فهناكَ مُعجزاتٌ شاهدَهَا أُناس، وهناك معجزاتٌ لم يُشاهِدْها أَحَد. إِنَّ نُزولَ جبريلَ بالوحي على أَيِّ رسولٍ من رسلِ اللهِ معجزةٌ شخصية، لم يُشاهِدْها أَحَد، ومع ذلك آمَنَ بها المؤمن!.

ويكفي لثُبوتِ المعجزةِ عندنا ذِكْرُها في القرآن، أَو فيما صَحَّ من حديثِ رسولِ الله ﷺ. فصحةُ النقل عندَنا هي شرطُ المعجزة، وبما أَنَّ معجزةَ الإِسراءِ والمعراجِ مذكورةٌ في القرآنِ والسنة فنُثبتُ وُقوعَها ونَجزمُ بذلك.

وخَطَّأَ المفتري القرآنَ في ذِكرِه المسجدَ الأَقصى: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا...﴾. فكيفَ يجعلُه مَسْجِداً ولم يكنْ له وجودٌ ليلةَ الإِسراء، وكيفَ يكونُ رسولُ ﷺ قد صَلّى فيه، ورأى أَبوابَه ولم يَكُنْ مَبْنِيّاً، لأَنه بُنِيَ في خلافةِ الوليدِ بنِ عبدِ الملك؟.

وتَخطئَتُه دَليلُ جهْلِه فلم يكنْ بِناءُ المسجدِ الأَقصى زمنَ الوليدِ بنِ عبدِ الملك، وإنما كانَ بناؤُه قبلَ الإِسلامِ بمئاتِ السِّنين.

الراجحُ أَنَّ الذي بَنى المسجدَ الأَقصى هو إِبراهيمُ ﷺ، وقد أَخْبَرَنا رسولُ اللهِ ﷺ أَنَّ أَوَّلَ مسجدٍ بُنِيَ هو المسجدُ الحرام، وأَنَّ الثاني هو المسجدُ الأَقصى.. روى مسلم عن أَبي ذَرٍّ الغفاريِّ رضي الله عنه قال: قلْتُ: يا رسولَ الله! أَيُّ المساجِدِ بُنِيَ أَوَّلاً؟ قال: «المسجدُ الحرام». قلت: ثم أَيّ؟ قال: «المسجدُ الأَقصى». قلتُ: كم بَيْنَهما؟ قال: «أَربعونَ سَنَة!».

وأَوَّلُ مَنْ بنىٰ المسجدَ الحرامَ هو إِبراهيمُ وابنُه إِسماعيلُ ﷺ. قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧]. فإذا كانَ إِبراهيمُ هو باني المسجدِ الحرامِ يكونُ هو الذي بنى المسجدَ الأَقصى بعدَ ذلك بِأَربعينَ سَنَة!.

وقد عَدَت العوادي على المسجدِ الأَقصى بعدَ ذلك، وتَأَثَّرَ بالأَحداث، فَهُدِمَ، ثم أُعيدَ بِناؤُه، ثم هُدِمَ، ثم أُعيدَ بِناؤُه...

ومن الذين أَعادوا بناءَه بعدَ ذلك النبيُّ الملكُ سليمانُ بنُ داود عليهما الصلاة والسلام، حيث جَدَّدَ بناءَ المسجدِ الأَقْصى، ولم يَبْنِ الهيكلَ المزعوم، الذي يزعُمُه اليهود.

فلما أُسريَ برسولِ الله ﷺ كان المسجدُ الأَقصى مُتَهَدِّماً، ولكنْ كانَتْ بعضُ معالِمه وأَطلالِه موجودة، فالأَرضُ هي أَرضُ المسجِد، وبعضُ حجارتِه مُتَناثِرَةٌ عليها، وبعضُ جدرانِه وأَعمدتِه موجودة، وبعضُ أَبوابِه موجودة، ولكنَّ البناءَ مُتَهَدِّم.. ولما نَزَلَ رسولُ اللهِ ﷺ عن «البُراقِ» ـ الدابَّةِ التي ركبَها في الإِسراء ـ رَبَطَهُ في حلقةِ بابِ المسجدِ الأَقصى، حيث كانَ الأَنبياءُ يَربطونَ دوابَّهم، وصَلَّى في المسجدِ بالأَنبياء، الذين جَمَعَهم اللهُ له.

وعند الفتحِ الإِسلاميِّ لبيتِ المقْدِس كانت أَطلالُ المسجدِ قائمة، ولما دَخَلَ عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه القدسَ وَقَفَ على أَطلالِ المسجدِ وصارَ يُنَظِّفُه.. ثم بنى الخليفةُ الأَمويُّ الوليدُ بنُ عبدِ الملك المسجدَ الأَقصى. أَوْ قُلْ: جَدَّدَ بناءَ المسجدِ الأَقصى الذي بَناهُ إِبراهيمُ ﷺ من قبل.

١٨٧

حول مهمة الهدهد زمن سليمان عليه السلام

تَحدثَتْ آياتُ سورةِ النملِ عن قصةِ سليمانَ عليه السلام، وأَخبرتْ أنه وَرِثَ أَباهُ داودَ عليه السلام في النبوَّةِ والملك، وأنَّ اللهَ عَلَّمَهُ منطقَ الإنسِ والجِنِّ والطيرِ والحَشَرات، وكانَ جنودُه من الإنسِ والجِنِّ والطير، فَسارَ بهم يوماً حتى أَتَوْا على وادي النَّمل، وسمعَ سليمانُ عليه السلام نملةً تنصحُ باقي النملِ، أَنْ يَدخُلوا مساكنَهم تحتَ الأَرض، لئلا يَحطمَهم جنودُ سليمانَ وهم لا يَشْعُرون! ولما سمعَها سليمانُ عليه السلام تَبَسَّمَ ضاحِكاً من قولها.. ثم تفقدَ الطيرَ في جيشِه، فلم يَجد الهدهدَ، فهدَّدَه بالعذابِ إنْ لم يُبَرِّرْ غيابَه، ولما عادَ الهدهدُ أَخبرَ سليمانَ عليه السلام عن مملكةِ سبأ وملكتِها وعرشِها، وإشراكِ أَهْلها بالله، فأَرسلَ سليمانُ معه رسالةً إلى ملكةِ سَبَأ، يطلبُ منها الإيمانَ بِه، والإسلامَ معه للهِ ربِّ العالَمين، ولما استشارت الملكةُ قومَها، ووكلوا الأَمْرَ إليها، قَرَّرَتْ أَنْ تُرسلَ هديةً رشوةً لسليمان، ولما وصلتْ إليه ردَّها وهَدَّدَ القومَ بغزوِ بلادهم، وطلبَ من رجالِ حاشِيتِه أن يُحْضِروا له عرش ملكةِ سبأ، فعرضَ عفريتٌ من الجنِّ أَنْ يأتيَ بالعرشِ قبلَ أَنْ يقومَ سليمانُ من مقامِه، وعَرَضَ الذي عنْدَه علمٌ من الكتابِ أَنْ يأتيَ بالعرشِ قبل أَنْ ترمشَ عينُه، وما هي إلّا لحظةٌ حتى رأى سليمانُ عليه السلام عرش ملكةِ سبأ أَمامَه، فحمدَ اللهَ على ذلك. ولما توجَّهتْ ملكةُ سبأ إلى سليمانَ طلبَ أَنْ يُنَكِّروا لها عَرْشَها، ولما رأَتْه سُئِلَتْ: أَهكذا عرشُكِ؟ قالتْ: كأَنَّه هو. وأَعَدَّ سليمانُ عليه السلام لها مفاجأةً أُخرى، حيث جعلَ لها بركةَ ماءٍ مغطاةً بالزُّجاج، ولما طُلِبَ منها اجتيازُ البركةِ حَسِبَتْها لجة ماء، فكشفَتْ عن ساقَيْها فقيل لها: إنّه صَرْحٌ من زجاج!! عند ذلك اعترفَتْ لسليمانَ بالنصرِ والقوة، وقالَتْ: رَبِّ إنّي ظلَمْتُ نفسي وأَسْلَمْتُ مع سليمانَ للهِ ربِ العالمين. وتحدثَتْ عن قصةِ سليمانَ عليه السلام مع النملةِ والهدهدِ وملكةِ سبأ آياتُ سورةِ النمل: (١٥ ـ ٤٤).

واعترضَ الفادي المفتري على القرآنِ في إخباره عن ذلك، واعتبرَه يَتعارضُ مع العقل. قال: «ونحنُ نسأل: كيفَ يتصوَّرُ عاقلٌ أَنْ تكونَ حاشيةُ سليمانَ الملك من الجنِّ والطُّيور؟ وكيفَ يكونُ الهدهدُ أَكثرَ حكمةً وعلماً، ويتحدّى سليمانَ قائلاً: أَحطتُ بما لم تُحِطْ به، وجئتُكَ من سبأ بنبأ عظيم؟ وكيفَ يهجو الهدهدُ عِبادَةَ الأوثانِ ويمتدحُ الوحدانية؟ وكيفَ يقوم الهدهدُ بدوْرِ المراسلة؟ وكيفَ يتصرفُ الهدهدُ في مملكة سليمان تَصَرُّفاً يفوقُ تَصرُّفَ الملوكِ والوزراءِ والفلاسفة؟»[1].

زعَمَ الفادي أَنَّ القرآنَ جَعَلَ حاشيةَ سليمانَ ﷺ مكوَّنَةً من الجنِّ والطيور، واعتبرَ هذا كلاماً لا يُصَدِّقُه عاقل! وهو بهذا يُكذِّبُ قولَ الله ﷻ: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧].

ولم يَجعل القرآنُ حاشيةَ سليمانَ من الجِنِّ والطيورِ فقط، والكلامُ في الآيةِ عن جَيْشِ سليمان، حيثُ كانَ مُكَوَّناً من «الجِنِّ والإِنْسِ والطير». ولا غَرابَةَ في هذا، فاللهُ أَخْضَعَ له الجنّ، وجَعَلَهم يُنَفِّذونَ أَمْرَه، واللهُ عَلَّمه لُغَةَ الجنِّ والطيرِ! فالأمْرُ أَمْرُ الله، وليس على اللهِ شيءٌ غريب، فهو الفَعّالُ لما يريدُ، سبحانه.

وحَديثُ القرآنِ عن الهدهد لا يَدْعو للاستغراب، وليسَ فيه ما يتناقَضُ مع العلمِ والعقل، وأسئلةُ المفتري حولَه مردودَةٌ عليه! فالهدهدُ طائرٌ من خَلْقِ الله، مؤمنٌ بالله، مُسَبِّحٌ بحمدِ الله، كَباقي المخلوقاتِ الحية التي خَلَقها اللهُ مُسَبِّحَةً ساجدةً له. قالَ الله ﷻ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ﴾ [الإسراء: ٤٤]. وقالَ أيضاً: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ﴾ [الحج: ١٨].

وهذا الهدهدُ المؤمنُ باللهِ جَعَلَ اللهُ عندَه بعضَ العلمِ والحكمة، وبعضَ

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٦١ ـ ١٦٢.

الجهدِ والاهتمامِ، وبعضَ الفهمِ والإدراك، وبعضَ الحرصِ في الدعوةِ إلى الله، وكانَ هذا معجزةً من اللهِ، جعلَها في هذا الطائر، ومَيَّزَهُ بهذا عن باقي «الهَداهِدِ» الطيورِ، ليقومَ بهذه المهمةِ الخاصَّةِ، ويَكتشفَ مملكةَ سبأ، لتدخُلَ بعد ذلك في الإِسلام! لقد أرادَ اللهُ الحكيمُ أَنْ يَعرفَ سليمانُ عليه السلام مملكةَ سبأ عن طريقِ ذلك الهدهد، وليس عن طريقِ الوحيِ المباشر... وأَخبرَنا اللهُ عن مهمةِ الهدهدِ ودوْرِه في الدعوةِ إلى الله، ليكونَ هذا عبرةً لنا، وليوجِدَ عندَنا نوعاً من الباعثِ على الدعوة، والاقتداءِ بذلك الهدهدِ الداعية!.

ولم يكن الهدهدُ أَكثرَ علماً وحكمةً من سليمانَ عليه السلام، فكلامُ الفادي عنه باطل، وذلك عندما تَساءَل: «كيفَ يكونُ الهدهدُ أكثرَ حِكْمَةً وعلماً؟!». سليمانُ رسولٌ كريمٌ عليه الصلاةُ والسلام، وهو الأَكثرُ عِلْماً وحكمة، وعِلْمُ الهدهدِ خاصٌّ بمملكةِ سَبأ! وعَلَّمَهُ اللهُ ذلك ليتعلَّمه سليمانُ عليه السلام، فهو وسيلةٌ ربانيةٌ لتعليمِ سليمانَ عليه السلام!.

وقالَ المفتري الجاهل: «كيفَ يَتَحدّى الهدهدُ سليمانَ قائلاً: أَحطتُ بما لم تُحِطْ به..»؟ ولا أدري كيفَ فهِمَ الفادي تَحدّي الهدهدِ لسليمانَ عليه السلام، عندما أَخْبرَهُ عن مملكةِ سبأ، وهو المهَدَّدُ بالتعذيبِ لغيابه؟ قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٠ ـ ٢٢].

إنَّه يُخاطِبُ سليمانَ عليه السلام بافتخارٍ واعتزاز، وليسَ بتَحَدٍّ وتَكبُّر، ويُخبِرُهُ أَنَّ اللهَ عَلَّمَه عِلْماً لم يُعَلِّمْه سليمانَ عليه السلام: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾، ولم يُنكرْ سليمانُ عليه السلام عليه قولَه، ولم يُعاقِبْه عليه، وهو القائِدُ الحازم، لأَنه فهِمَ الإِشارةَ من الهدهد، فعليه أَنْ «يَتَواضَعَ» بينَ يديه، وهو النبيُّ المعَلِّمُ عليه السلام، ويَعترفَ بقُصورِ عِلْمِه، فاللهُ أَعطى الهدهدَ عِلْماً لم يُعْطِه منه وهو النبي!!.

ويَستغربُ الفادي من ذَمِّ الهدهدِ لشركِ ملكةِ سبأ وقومِها بالله، وعبادتِهم

للشمسِ من دونِ الله، فلم يَستوعبْ عَقْلُه «الصغيرُ» فهمَ طائرٍ للإيمانِ والشرك، ودعوتِه إلى وحدانيةِ اللهِ والسجودِ له وحْدَه! ولقد قُلْنا: إنه هدهدٌ خاصٌّ، عَلَّمَهُ اللهُ وفَهَّمَه بتعليم وتفهيم خاص، وأَخْبَرنا عن بيانِه الدعويِّ في قولِه تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ۩﴾ [النمل: ٢٣ ـ ٢٦].

ونقول: لقد كانَ هذا الهدهدُ المؤمنُ أكثرَ عِلْماً من الفادي المفتري، وأَعمقَ إيماناً وتَوحيداً لله منه، فهذا الفادي المتعالمُ المتفلسفُ لا يَتبعُ الحَقَّ الموجودَ في الإسلام، ويُصِرُّ على الإيمانِ بالأقانيمِ الثلاثة: الآبِ والابنِ والروحِ القُدُس، ويجعلُ المسيحَ عليه السلام ابناً لله، وها هو الهدهدُ يَدْعو إلى توحيدِ اللهِ بهذا المنطقِ الدعويِّ الرائع، وهذا الحماسِ الإيمانيِّ المؤَثِّر!!

ويتساءل الفادي الجاهلُ بإنكار: «كيفَ يَقومُ الهدهدُ بدوْرِ المراسَلَة؟!». وقد سبقَ أَنْ قُلْنا: إنه هدهدٌ خاصٌّ، عَلَّمَه اللهُ ومَيَّزَهُ عن باقي الطيور، ومَكَّنَهُ من أَنْ يَقومَ بمهمتِه الدعويةِ في مملكةِ سبأ، فَحَمَلَ الرسالةَ الخاصة، وقَطَعَ المسافةَ الطويلة، وأَلقى الرسالةَ إلى ملكةِ سَبأ، وتوقَّفَ عندَ قَصْرِها يُراقبُ ويَرصد، ويَرى ماذا سيكون رَدُّ فعْلِها هي وقومُها! إنه ليسَ مجرَّدَ طائر، ولكنّه هدهدٌ خاصٌّ، جعلَ اللهُ فيه فهماً وإدراكاً خاصّاً!! وقد أَخبرَ اللهُ عن مهمةِ الهدهد، والكتابِ الذي حمَلَه. قال تعالى: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [النمل: ٢٧ ـ ٣٥].

ولا تَدُلُّ مهمةُ الهدهدِ الدعويةُ على أنَّه أعلى منزلةً من كُلِّ الوزراءِ عند سليمان ﷺ، وكان الفادي غبيّاً في تَساؤُلِه: «وكيفَ يتصرَّفُ الهدهدُ في مملكةِ سليمانَ تَصَرُّفاً يَفوقُ تَصَرُّفَ الملوكِ والوزراءِ والفلاسفة؟!».

فمن غيرِ المعقولِ أَنْ يُعَيِّنَ سليمانُ ﷺ الهدهدَ الطائرَ وَزيراً عنْدَه، مَسؤولاً عن الوزراءِ البَشَر.. كلُّ ما في الأَمْرِ أَنَّ هذا الهدهدَ قامَ بمهمةٍ دعويَّة، أَعانَهُ اللهُ على القيامِ بها، ووفَّقَهُ إِليها، ونتجَ عنها دخولُ ملكةِ سبأ وشعْبِها في الإِسلام، ومتابعةِ النبيِّ الملكِ سليمانَ ﷺ.

١٨٨

ما هي الدابة التي تخرج في آخر الزمان؟

تحتَ عنوان: «دابَّةٌ بينَ الأَنبياء» اعترضَ الفادي على حديثِ القرآنِ عن الدابَّةِ التي تَخرجُ في آخرِ الزمان، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

وقد نقلَ الفادي من تفسير البيضاويِّ كَلاماً عن الدابةِ، يَذكرُ فيه كيفيةَ ومَكانَ خروجِها، ويُقَدِّمُ لها بعضَ المواصفات، ويَنسبُ لها بعضَ الأَعمالِ عند خُروجِها، وبعضُ ذلك الكلامِ مَسْنَدٌ إِلى رسولِ الله ﷺ.

ثم عَلَّقَ على ذلك بقوله: «ونحنُ نسأل: هل من المعقولِ أَنْ نتصوَّرَ دابَّةً لها أَربعُ قوائمَ مثلُ الحيوان، وريشٌ وزغبٌ وجناحان مثلُ الطيور، وتتكلمُ مثلَ الإِنسان، وتعظُ مثلَ الأَنبياء، بسلطانِ موسى، وحكمةِ سليمان، وأَنها تحتفظُ بعصا موسى وخاتم سليمان؟!»(١).

المشكلةُ عنْدَ الفادي المفتري هي جَهْلُه وغَباؤُه، وعدمُ اعترافِه بذلك، وادِّعاؤُه العلمَ والمعرفة، وتعالُمُ الجاهلِ جريمةٌ مزدوجة، جَمَعَ فيها بينَ الجهلِ والتَّعالُم!.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٦٢.

لم يقف الجاهلُ عند حديثِ القرآنِ عن الدَّابّة، وذهبَ إلى بعضِ الكتبِ التي لا تتحرَّى الصحيحَ فيما تَذْكُر، وتَجمعُ كُلَّ ما وصلَ إليها من أَخبارٍ وروايات، ولو لم تصحّ، وأَخَذَ منها تلكَ الخرافاتِ التي نرفضُها نحنُ أيضاً، وحَمَّلَها للقرآنِ، وأَدانَه وخَطَّأه بسببِها!.

لم يصحّ حديثٌ عن رسولِ اللهِ ﷺ حولَ الدّابّةِ وخُروجِها وصِفاتِها وأَعمالِها، ونتوقَّفُ في الرواياتِ غيرِ الصحيحة التي تتحدَّثُ عنها، والتي ذَكَرَها بعضُ المفسِّرين سامَحهم الله، ولا نَعتمدُها لعدمِ ثُبوتِها.

وهذا معناهُ أَنْ نبقى مع القرآنِ في إشارتِه لها، ولا نَزيدُ عليه شيئاً آخَر. ونقولُ للفادي الجاهل: ليس في كلامِ القرآنِ عِن الدَّابّة ما يَتعارَضُ مع العقلِ والعلم، لأَنَّ اللهَ هو الذي سيخلقُ هذه الدابة في آخرِ الزمان، قُبيلَ قيامِ الساعة، وسيجعلُ لها مهمَّةً خاصَّة، وبما أَنَّ الأَمْرَ أَمْرُه، والفعلَ فعلُه سبحانَه، فلا غرابةَ فيه، ولا اعتراضَ عليه.

يُخبرُ اللهُ أنه: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾: أي اقتربَ وقْتُ تحقُّقِ ما أَخبرَ اللهُ عنه، وَوَعَدَ الناسَ به، وهو قربُ انتهاءِ الحياةِ الدُّنيا، وقيامِ الساعة.

﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: اللهُ هو الذي سيُخرجُ للناسِ تلك الدابة، وهو الفَعّالُ لما يُريدُ سبحانَه، ولا يُعجزُه أَيُّ شيءٍ في الأرضِ ولا في السماء.

ولقد أَبهمَ القرآنُ صفاتِ الدابَّة، فلم يذكُرْ عنها شيئاً، واكتفى بذكْرِ كلمةِ «دابّة» نَكِرَة، وتَنكيرُها لإبهامِها، وهذا التنكيرُ دعوةٌ لنا لعدمِ الخوضِ في الدابة، وعدمِ محاولةِ معرفةِ ذلك. لعدمِ وجودِ دليلٍ عليه، ولعدمِ تَحَقُّقِ الفائدةِ منه.

وهذه الدابَّةُ سيُخرجُها اللهُ من الأَرض، بدونِ تَحديدِ مَكانِ خُروجها أَو كيفيةِ خروجِها.

وهذه الدابةُ ستكلمُ الناسَ الأَحياءَ وَقْتَ خُروجِها: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾، واكتفى

القرآنُ بذكْرِ أَنَّ الدابةَ ستكلمُ الناس، ونَبقى عندَ حديثِ القرآنِ عن كلامِها، ولا نُجاوزُهُ إلى غيره، فهي ستكلمهم والسّلام! ولا نَعرفُ كيفَ تُكلمُهم، ولا بأيِّ لغةٍ ستكَلِّمُهم، ولا بأَيِّ جزءٍ من جِسْمِها ستكلِّمُهم، ولا كيفَ سيسمَعون كلامَها، فعِلْمُ ذلك كلِّه عندَ اللهِ وحدَه!.

واللهُ الذي خَلَقَ الدابَّة، وأَخرجَها من الأَرضِ، هو الذي جَعَلَها تتكلَّم، وبما أَنَّ الدابَّة لا تتكلمُ بقدرتِها الذاتية، وإِنما بأَمْرِ اللهِ، فلا غرابةَ في ذلك.

واللطيفُ أَنَّ القرآنَ الذي أَبهمَ الكلامَ عن صفاتِ وأَعمالِ الدابة، أَخبرَ عن ما سَتُكَلِّمُ الدابةُ الناسَ به، وما ستَقولُه لهم: ﴿تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾. أَيْ: أَنَّ الناسَ يَكْفُرون بآياتِ الله، ويُنكرونَ ما أَخبرتْ عنه تلكَ الآيات، ومن ذلك بَعْثُ الناسِ بعدَ الموت، وإِخبارُ الدابة بذلك قُبيلَ قيامِ الساعة من بابِ ذَمِّ الكفارِ الموجودين عند خروجها، لأَنهم ذاهبون إِلى الموت، ثم البعثِ بعده!.

وبهذا نَعرفُ غَباءَ الفادي الجاهلِ في أَسئلتِه التي اعترضَ بها على القرآنِ، في إخباره عن الدابة، ونعرفُ سفاهَتَه في عنوانِه: «دابَّةٌ بين الأنبياء»، فمنْ قالَ: إِنَّ تلك الدابةَ ستكونُ بين الأَنبياء؟ ومَن الذي جمَع بين الدابةِ الحيوان وبينَ الأَنبياءِ الذين هم أفضلُ الناسِ عندَ الله؟!.

١٨٩

حول موت سليمان عليه السلام

اعترضَ الفادي المفتري على حديثِ القرآنِ عن موتِ سليمانَ عليه السلام، وجَعَلَ عنوانَ اعتراضِه: «مَيِّتٌ يتوكَّأُ على عَصا مدةَ سَنَة»!.

قالَ اللهُ عن وفاةِ سليمانَ عليه السلام: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤].

أَخبرَ اللهُ أَنه لما قَضىٰ على سليمانَ عليه السلام الموتَ وَحانَ أَجَلُه، تَوفّاهُ اللهُ وقبضَ روحَه، ولم يَعْلم الجنُّ بوفاتِه إلّا بعدَ أَنْ أَكلتْ دابَّةُ الأرضِ مِنْسَأَته، وهي عصاهُ التي كان يستعملُها، فبعدَما أَكلتْ دابَّةُ الأَرض عَصاه، خَرَّ سليمانُ عليه السلام على الأَرض، وسَقَطَ جثةً هامدة، ففوجِئَ الجِنُّ بذلك وثبتَ لهم أَنهم لا يعلمونَ الغيب، فلو كانوا يَعلمونَ الغيبَ لعَرَفوا بموتِه.

وذهبَ الفادي إِلى تفسيرِ البيضاوي ليأخذَ منه تفسيرَ الآية، وأَخَذَ منه كَلاماً لم يَثبت، وقَدَّمَ تفصيلاتٍ لموتِ سليمانَ عليه السلام ليس عليها دليلٌ صحيح.

تقولُ تلك الروايات: «بَدَأَ داودُ عليه السلام بناءَ الهيكلِ في بيتِ المقْدِس، لكنّه ماتَ قبلَ إِتمامِ البِناء، فتولّى ابنهُ سليمانُ عليه السلام إِتمام البناء، واستخدم الجنَّ في البناء، وكانَ شَديداً عليهم، ودَنا أَجلُه، وخشيَ إِنْ ماتَ قبلَ إِكمالِ البناء، أَنْ يتوقَّفوا عن العمل، فأَمرهم أَنْ يَبْنوا له بَيتاً من زُجاج، ليسَ له باب، ودَخَلَ سليمانُ البيتَ الزجاجي، وقامَ يُصَلّي وهو مُتَّكِئٌ على عصاه، وهم يَعمَلونَ في البناء.. ومات وهو متكئٌ على عَصاه، وهم يرونَه يَنظرُ إِليهم. وبقيَ مُتَّكئاً على العَصا حتى أَكَلَتْها الأَرَضَةُ، عند ذلك سَقَطت العصا، فخرَّ على الأَرض، ولما حَسَبَ الجنُّ الزمنَ وَجدوه قد مات قبلَ سنة، فتعَجَّبوا!».

وعَلَّقَ الفادي على هذه الأُسطورةِ بقوله: «ونحنُ نسأَل: كيفَ يَموتُ سليمانُ الملك، ويَستمرُّ سَنَةً دونَ أَنْ يَعلمَ به أَحَد؟ أَينَ نساؤُه؟ وأَينَ أَولادُه؟ وأَينَ حاشيتُه؟ وأَينَ شعبُه؟ أَلا يوجَدُ واحدٌ من هؤلاء يَسأَلُ عنه؟ وهل يتصوَّرونَه قائماً يُصَلّي على عَصاهُ سَنَةً كاملةً، بدونِ نومٍ ولا أكلٍ ولا شربٍ ولا اسْتِحْمام؟ وكيفَ لما ماتَ على عَصا لم يَسْقُط؟ أَلم يتحلَّلْ جسدُه ويُصِبْهُ النَّتنُ والتَّعفنُ؟ ولما أَكلت الأَرَضَةُ جُزْءاً من العصا أَلَمْ يختلّ توازُنُه ويَسْقُط؟ أَليس تآكلُ العَصا في يوم يَكفي لسقوطِ الميتِ، كتآكُلِها إِلى آخِرِها لمدةِ سَنَة؟ وإِذا كان سليمانُ قد بنى على نفسِه صَرْحاً من قواريرَ لِيُعَمّي عينَ الإِنسِ والجنِّ عن موتِه، فلماذا لم يَعلمْ مُقدَّماً الدور الذي ستَلْعبُه الأَرَضة؟»[1].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٦٣.

الأَسئلةُ التي يُثيرُها الفادي هنا وجيهةٌ ومَعْقُولة، نحنُ معه في إِثارتِها، ولكنَّها لا تُوَجَّهُ إِلى القرآنِ في حديثِه عن موتِ سليمانَ عليه السلام، وإنما تُوَجَّهُ إِلى تلك الأَسطورةِ، التي صَوَّرَتْ موتَ سليمانَ عليه السلام بهذه الصورةِ غير المعقولة، والتي يرفضُها كُلُّ عاقل.

إِنَّ هذه الأَسطورةَ التي أَخَذَها الفادي من تفسيرِ البيضاوي، والتي أَخذَها البيضاويُّ من بعضِ التفاسيرِ السابقة، التي لا تَتَحَرّى الصحةَ فيما تُورده، هذه الأَسطورةُ مرفوضةٌ عندنا لأَنها لم تَصِحّ عن رسولِ الله ﷺ، ولا عن أصحابِه الكرام. وقد سبقَ أَنْ قَرَّرْنا أَن قَصصَ السابقين لا تُؤْخَذُ تفاصيلُها إِلّا من آياتِ القرآنِ الصريحة، وأَحاديثِ رسولِ اللهِ ﷺ الصحيحة.

والمشكلةُ عندَ الفادي المفتري هي جهْلُه، فهو يَعتمدُ كَلاماً غيرَ مقبولٍ عندَ العلماء والمحققين، ثم يُحَمِّلُ القرآنَ تِبعتَه، ويُخَطِّئُ القرآنَ بسببِه، مع أَنَّ القرآنَ لم يَقُلْه، وبذلك تتهاوى أَسئلةُ الفادي الجاهل.

إِنَّ القرآنَ لا يتحمَّلُ إِلّا ما يذكُرُه هو في آياتِه، وما يَذكُرُه لا خَطَأَ فيه ولا اعتراضَ عليه، أَمّا الفهمُ البشريُّ لآياتِه الذي صَدَرَ عن المفَسِّرين فلا يتحمَّلُه القرآن، لأَنَّ هذا الفهمَ البشريَّ قد يكونُ خاطئاً!.

لا بُدَّ أَنْ نفهمَ الآيةَ التي تحدَّثَتْ عن موتِ سليمانَ عليه السلام فَهْماً صحيحاً، لا سيما أَنه لا يوجَدُ عندنا حديثٌ صحيحٌ عن رسولِ اللهِ ﷺ، يُضيفُ جَدِيداً إِلى ما ذَكَرَتْه الآيَة.

أَرادَ اللهُ أَنْ يَجعلَ موتَ سليمانَ عليه السلام آيةً وعبرةً للإِنسِ والجِنّ، ودَليلاً على عدمِ عِلْمِهم بالغيب، لأَنَّ عِلْمَ الغيبِ خاصٌّ باللهِ سبحانه.. فقد كانَ سليمانُ عليه السلام يَحكمُ الإِنْسَ والجِنَّ والطير، وكانَ يُسَخِّرُ الجِنَّ في الأَعمالِ الكبيرة، وكان مَلِكاً حازماً يَهابُهُ الذين يَعملونَ عنده من الإِنْسِ والجِنّ.

ولما حانَ أَجَلُ سليمانَ عليه السلام، كان الجنُّ يَعملونَ بينَ يَدَيْه، وكانَ هو واقفاً أَمامَهم، مُتَّكِئاً على عصاه، يُراقِبُهم ويَضبطُهم، وهم يَنْشَطونَ في العمل، ولا يَرْفَعونَ رؤوسهم ناظِرينَ إِليه هيبةً له.

وشاءَ اللهُ الحكيمُ أَنْ يَقبضَ روحَ سليمانَ ﷺ وهو متكئٌ على عَصاه.. وبقيَ متكئاً على عَصاهُ بعد خروجِ روحه، والجنُّ منهمكون في العَمَل، لا يَعلمونَ بموتِه.. وَوَجَّهَ اللهُ دودةَ الأَرض «الأَرَضة» إلى عصاهُ فأَكَلَتْها ونَخَرَتْها، وكُسِرت العصا وسَقَطَتْ، وخَرَّ سليمانُ ﷺ جُثَّةً هامِدة.. وفوجِئَ الجنُّ بذلك، وعَرفوا قُصورَ علمِهم، فهم لا يَعلمونَ الشهادة، فَضْلاً عَنْ أَنْ يَعْلَموا الغيب، فها هو سليمانُ ماتَ أَمامَهم وهم لا يَعلمونَ بموتِه!!.

والفترةُ الزمنيةُ بين موتِه وسقوطِه لم تكنْ سَنَواتٍ ولا سَنَة، ولم تكنْ شُهوراً أَو أَياماً، إِنما كانَتْ فترةً قصيرةً، ونحن لا نحاولُ تحديدَ تلكَ الفترة، لأَننا لا نجدُ دَليلاً على ذلك، فَنَكِلُ العلمَ بها إلى الله سبحانه وتعالى!!.

١٩٠

رفع جبل الطور فوق بني إسرائيل

اعترضَ الفادي المفتري على إخبارِ القرآنِ عن رَفْعِ جَبَلِ الطّورِ فوقَ بني إسرائيل، وجعلَ عنوانَ اعتراضِه: «جَبَلٌ يُحلِّقُ في الجَوّ!» وهو عنوانٌ للتهكمِ والاستهزاء.

والآيةُ التي اعترضَ عليها، واعْتَبَرَها متناقضةً مع العلم والعقل، هي قولُ اللهِ ﷻ: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٧١].

وبعدَما نَقَلَ المفتري بعضَ ما ذكَره البيضاويُّ في تفسيرِ الآية، استبعدَ ما ذكَرَتْه فقالَ: «ونحنُ نسأل: هَلْ من المعقول أَنْ يَخْلَعَ اللهُ جَبلاً من الأَرض، يَعْلو في الفضاء، ويَظَلُّ مُعَلَّقاً على لا شيء، ليُخيفَ الناس، ويُرغمَهم ليَقْبَلوا شريعتَه؟ وهل يوافِقُ هذا علميّاً ناموسَ الجاذبية؟ وأَدَبيّاً ناموسَ المحبةِ الإِلٰهية؟»[(١)].

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٦٤.

لم يَستوعِبْ عَقْلُ الفادي الصغيرُ أَنْ يخلعَ اللهُ جَبلاً من الأَرض، وأَنْ يرفعَه إلى الأَعلى وأَنْ يوقفَه فوقَ مجموعة من الناس! وكيفَ يَحصلُ هذا؟ ولماذا لم يَقعْ على رؤوسهم؟ فما ذكَرَه القرآنُ ـ في رأْيه ـ غيرُ صَحيح!!.

لو زَعَمَ إنسانٌ قويٌّ أَنه خَلَعَ جبلاً ورَفَعَه في الجو لما صَدَّقْناه، لأَنَّ القوةَ البشريةَ محدودة، ولا تَستطيعُ قوةُ أَيِّ شخصٍ أو دولةٍ فعلَ ذلك، مهما عَظمَتْ.

أما قوةُ اللهِ فإِنَّها مُطْلَقَة، لا حُدودَ لها، ولا قُيودَ عليها، وقُدْرَتُه نافذةٌ فاعلة، لا يوقِفُها أَيُّ شيء، فاللهُ قويٌّ قادرٌ على قَلْعِ الجبلِ من الأَرضِ، وإِيقافِه في الجوِّ بين السماءِ والأَرض، بدونِ أَعمدة، وإِعادتِه مكانَه، يَفعلُ هذا، ويفعلُ ما هو أَكْبرُ منه! وبما أنه أَخْبَرَنا عن ذلك في القرآن، فإِننا نجزمُ أَنَّ ذلك حَصَل، لأَننا نُصَدِّقُ كُلَّ ما وَرَدَ في القرآن!.

ولا أَدري لماذا يَستبعدُ الفادي ذو العقلِ الصغيرِ هذه الحادثة، وقد وَرَدَ في كتابِه المقَدَّسِ حوادِثُ أَكبرُ منها، وهو يؤمنُ بها لأَنها واردةٌ في كتابِه. من ذلك شَقُّ البحرِ لموسى عليه السلام، ونجاتُه هو وأَتباعه من بني إِسرائيل، عندما لحقَهم فرعونُ وجنودُه.

وقد أخبرَنا اللهُ عن ذلك في القرآن؛ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ [الشعراء: ٦١ ـ ٦٦].

موسى عليه السلام يقفُ أَمامَ البحر، ويأْمُرُه اللهُ أَنْ يضربَه بعصاه، ولما فَعَلَ فَلَقَ اللهُ البحرَ فلقتَيْن، وقَسَمَه إِلى قِسْمَيْن، بينهما فاصِلٌ من الأَرضِ الصلبةِ اليابسة، ووقفَ الماءُ على الجانبَيْنِ كالجبلِ العظيم، لا يمسكُه سَدٌّ أَو حاجِز! فمن الذي فَعَلَ ذلك؟ ومَن الذي أَوجَدَ الطريقَ اليَبَسَ ليَمُرَّ عليه موسى ومَنْ معه؟ ومَن الذي أَمسكَ الماءَ على الجانبين فلم يُغْلِقِ الطريقَ ولم يجتمعْ مع بعضِه؟ إِنه الله!.

أَيهما أَوضحُ وأَكبرُ معجزةً، وأَعظمُ وأَضخمُ آيةً؟ شَقُّ البحرِ أَمْ رفعُ الجبلِ، إِنَّ شَقّ البحر أَضخمُ وأَعظمُ. فلماذا آمَنَ الفادي به وكَذَّبَ وأَنكرَ ما دونَه؟ أَلأنه وَرَدَ في كتابه صَدَّقَه، ورفعُ الجبل لم يَرِدْ في كتابِه فاعتَبره مُسْتَحيلاً عقليّاً؟ أَيْنَ المنهجيةُ والموضوعيةُ التي ادَّعاها في بحثِه؟ ولماذا لم يَقِسْ رَفْعَ الجبل على شَقِّ البحر؟.

أَما نحنُ المسلمين فإننا نؤمنُ بشَقِّ البحر ورفْعِ الجبل، لأَنَّ الله ذكَرَ المعجزتَيْن في القرآن، ولأَنهما من فعلِ الله، والله فَعّالٌ لما يُريدُ ﷻ.

١٩١

هل تتكلم الجبال؟!

تحتَ عنوان: «جَبَلٌ يتكلَّم»! اعترضَ الفادي على إِخبارِ القرآنِ عن تَكَلُّمِ الجبال، وقد ذَكَرَ القرآنُ ذلك مرتَيْن.

المرةُ الأولى: في حديثِه عن قصةِ داودَ عليه السلام، فعندما كانَ يُسَبِّحُ اللهَ سبحانَه كانت الجبالُ والطيورُ تُسَبِّحُ معه. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٠]. ومعنى ﴿أَوِّبِى﴾: رَدّدي ورَجِّعي مَعَه. أَيْ: سَبِّحي مَعَه عندما يُسَبِّحُ. فكانَ داودُ عليه السلام عندما يُسَبِّحُ اللهَ يَسمعُ الجبالَ تُسَبِّحُ اللهَ معهِ، ويَسمعُ الطيورَ تُسَبِّحُ اللهَ مَعَه!!.

إِنَّ اللهَ هو الذي سَخَّرَ الجبالَ للتسبيحِ معه، وأَمَرَ الطيرَ أَنْ تُسَبِّحَ معه. قال تعالى: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧ ـ ١٩].

ولم يُصَدِّق الفادي المفتري القرآنَ في إِخبارِه عن ذلك، واعْتَبَرَه مما يتناقَضُ مع العِلْمِ والعَقْل. قال: «وهل للجبالِ عَقْلٌ وتَمييزٌ وعَواطفُ، لِتُرَدِّدَ صلواتِ واعترافاتِ وتسابيحَ داودَ؟!».

ونَقولُ له: نَعَم. إِنَّ اللهَ خالِقَها هو الذي أَرادَ أَنْ تُسَبِّحَ، وأَمَرَها أَنْ

تُسَبِّح، فنفَّذَتْ أَمْرَه سبحانه وسَبَّحَتْ، ولا نَدري كيفَ سَبَّحَتْ، وهي الجمادُ الذي لا عَقْلَ عندَه ولا إِدْراك. المهمُّ أَنَّ اللهَ هو الذي أَوجَدَ عندَها القدرةَ على التسبيح فَسَبَّحَتْ! والأَمْرُ ليس غريباً على الله، وليس مستَبْعَداً عند الله، فهو على كُلِّ شيء قدير!!.

والمرةُ الثانية: في حديثِه عن الأَمانةِ التي حَمَلَها الإِنسانُ الظَّلومُ الجَهول. قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢] عَرَضَ اللهُ أَمانَةَ التكليفِ على السمواتِ والأَرضِ والجبال، لكنهنَّ أَبينَ أَنْ يحملْنَها ويُكَلَّفْنَ بِها، لأَنهنَّ أَشفقْن منها، وخِفْنَ من التقصيرِ فيها. ولما عُرِضَت الأَمانةُ على الإِنسانِ استَعَدَّ أَنْ يَحملَها، رغمَ المسؤوليةِ والتبعةِ والحساب، وهو بذلك ظلومٌ جهول!!.

وقد اعترضَ الفادي على ذلك، فقال: «ونحنُ نَسأَل: هل للجبالِ فَهْمٌ، يَجعلُها تُدركُ ما لا يُدركُه أَكثرُ البَشَر، فترفضُ الأَمانَةَ المعروضة عليها؟!».

ونَقولُ له: وما المانعُ العقليُّ من ذلك؟ إِنَّ اللهَ هو الذي جعلَ فيها نوعاً من الإِدْراك، بحيثُ تَسمعُ وتَفهمُ وتُجيب، وهو ليسَ كَسَماعِنا وفَهْمِنا وإِدْراكِنا وكَلامنا وجوابِنا، وإِنما نوعٌ خاصٌّ على مُسْتَواها، وهو ليس أَمْراً عاديّاً، وإِنما هو خارقةٌ من الخوارق، ومعجزةٌ من المعجزات!! واللهُ يَفعلُ ما يشاء، ويوجِدُ فيه ما يَشاء، ولا شيءَ مستحيلٌ على إِرادةِ الله.

ولماذا يَستبعدُ الفادي ذو العقلِ الصَّغيرِ كلامَ الجبال، ويَجعلُهُ مُستحيلاً عَقْلاً، ولم يَستبعدْ تحويلَ العَصا اليابسةِ إِلى أَفْعى فيها روحٌ وحياة!.. كانَ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُمسكُ عَصا يابسةً بيدِه، ولما أَلْقاهَا بأَمْرِ اللهِ جَعَلَ اللهُ فيها حياة، وحَوَّلها إِلى أَفعى تَسعى، وَحَمَلها موسى بيدِه وهي حَيَّة، ولما أَلْقاها على الأَرضِ ثانيةً أَعادَها اللهُ عصا يابسة!! وكان هذا كُلُّه بأَمْرِ اللهِ، فالذي جَعَلَ العصا الخشبيةَ حَيَّةً تَسعى هو نفسُه الذي جعلَ الجبالَ تتكلم.

وليستْ هذه أَوَّلَ مَرَّةٍ يَجعلُ اللهُ في السمواتِ والأَرضِ والجبال قُدرةً على الفهم والكلامِ والجَوابِ على السُّؤال ـ على مُسْتَواها الضعيف المحدود ـ، فلما خَلَقَها اللهُ خاطَبَها وأَجابَتْ؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١١ ـ ١٢].

سَمعت السمواتُ والأَرضُ خِطابَ اللهِ لهما، وفَهِمَتاهُ على طريقَتِهما، وأَجابَتا اللهَ قائلَتَيْن: أَتَيْنا طائِعين! ولا نَدري كيفَ حَصَلَ ذلِك، لأَنَّ هذا معجزةٌ من الله، أَوجَد فيهما سبحانَه إِدْراكاً خاصّاً، وسَماعاً خاصّاً وفَهماً خاصّاً، وأَجابَتا جَواباً خاصّاً أَيضاً! فالأَمْرُ أَمْرُه، والإِرادَةُ إِرادَتُه، ﷻ.

١٩٢

الله يلين الحديد لداود عليه السلام

تَحتَ عنوانِ: «الحَديدُ يَلينُ كالشَّمْع» اعترضَ الفادي على كَلامِ القرآنِ عن إِلانَةِ الحَديدِ لداودَ عليه السلام. وذلك في قولِه تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ: ١٠ ـ ١١].

وذَكَر كلامَ البيضاويِّ في تفسير الآية: «قالَ البيضاوي: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ جعلناهُ في يَدِه كالشمع يُصَرِّفُهُ كيفَ يشاء، من غيرِ إِحْماءٍ وطَرْقٍ بآلاتِه أو بقُوَّتِه».

وعَلَّقَ على ذلك بقوله: «ونحنُ نسأل: كيفَ يُغَيِّرُ الحديدُ خاصِّيته بينَ يَدَيْ داودَ، فيفقدُ صلابَتَه، ويتحوَّلُ إِلى لُيونَةِ ومُرونَةِ الشمعِ، بغيرِ إِحماءٍ أَو طَرْق؟ وما هو الهَدَفُ من هذهِ المعجزةِ التي لو كانَتْ قد جَرَتْ فِعْلاً لَذَكَرَتْها التوارةُ المقَدَّسَة؟.

اكتفى القرآنُ بقولِه: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾. ولم يَقُل القرآنُ: جعلْنا الحديدَ في يَدِه كالشمعِ، يُصَرِّفُه كيفَ يَشاء، من غيرِ إِحماءٍ وطَرْقٍ بآلاتِه. والذي قالَ

هذا هو البيضاوي فإذا اعترَضَ الفادي على كلامِ البيضاويّ، فلْيعترضْ عليه، والبيضاويُّ هو الذي يتحمَّلُ مسؤوليةَ وتبعةَ كلامِه، فلماذا يُحَمِّلُ الفادي القرآنَ مسؤوليةَ كَلامٍ لم يَقُلْه؟.

علينا أَنْ نَبقىٰ مع القرآن، ولا نُضيفَ عليه شَيْئاً، إِلّا ما صَحَّ من حديثِ رسولِ اللهِ ﷺ، وفي موضوعِ إلانةِ الحديدِ لداودَ عليه السلام، أجملَ القرآنُ الكلامَ عنها، ولم يُفَصِّلْه، والأَولىٰ أَنْ نُبقيهِ على إجمالِه، وأَنْ لا نَخوضَ في تفصيلِه، لعدم وُجودِ دَليلٍ صَحيحٍ معتمدٍ عليه في ذلك.

إنَّ الفعلَ ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ مُسْنَدٌ إلى الله، فاللهُ هو الذي أَلانَ الحديدَ لداودَ عليه السلام، وعَلَّمه صنعَ الصناعاتِ الحديدية منه: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا . . .﴾ وهذه الجملةُ تفسيرٌ للإلانة، وبيانٌ لما نتجَ عنها من أعمالٍ وصناعات! وهي متعلِّقَةٌ بفعلٍ مُقَدَّر، تقديرُه: وأَلَنّا له الحديد، وقُلْنا له: اعملْ سابغاتٍ وقَدِّرْ في السَّرْد.

و﴿سَٰبِغَٰتٍ﴾: صفةٌ لموصوفٍ محذوف، تقديرُهِ: دُروعاً سابغاتٍ، ومَعنى «سابغاتٍ» طويلة، بحيثُ تُغَطّي الجسمَ كُلَّه، وذلك ليَقِيَ أجسامَ الجنودِ في الحربِ من الخَطَر.

و﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾: بمعنى إتقانِ صُنْع الدروعِ السابغاتِ الحربية، وتوصيلها بالمسامير، وذلك بأَنْ يكونَ هناك تَناسُبٌ بينَ المسمارِ وفَتْحَتِه، فلا تكونُ تلك الفتحةُ أكبرَ منه، بحيثُ لا تتماسَكُ أَجزاءُ الدِّرع، ولا تكونُ أَصغرَ منه فلا يُحْكَمُ الصُّنْع!!.

وبمعنى هذه الآيةِ قولُ الله عز وجل: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

ويُفهمُ من الآية: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾. أَنَّ لداودَ عليه السلام جُهْداً في الدروعِ الحديديةِ التي صَنَعَها، فهو يَصنعُ المسامير، ويَقُصُّ الحديدَ، ويَفتحُ فيه فتحاتٍ مقدَّرةً، مناسبةً للمسامير.

أما إنكارُ الفادي المفتري لهذه الآية، لعدمِ ذِكْرِها في التوارة، فهو مردودٌ عليه، لأَنَّ القرآنَ أَضافَ كثيراً على المذكورِ في الكتابِ المقَدَّسِ فيما يتعلَّقُ بقَصَصِ الأنبياء، وهذا مَعناهُ أَنَّهُ لا يَجوزُ إنكارُ الخَبَرِ الذي ذَكَرَهُ القرآن إذا لم يَذْكُرْهُ الكتابُ المقَدَّس، فذِكْرُه في القرآنِ كافٍ لقَبولِه!.

١٩٣

حول نوم أصحاب الكهف

ذَكَرَ اللهُ قصةَ أَصحابِ الكهفِ في ثماني عشرةَ آيةً من سورةِ الكهف، وقد سَجَّلَ الفادي المفتري آياتِ القصة، ثم اعترضَ عليها بقولِه: «ونحنُ نسأل: كيفَ يَتَسَنّى لسبعةِ غِلمانٍ وكلبِهم أَنْ يَعيشوا ثلاثمئةٍ وتسعَ سنين، بدونِ أَكْلٍ ولا شُربٍ ولا مَشْيٍ ولا تَبَوُّلٍ ولا تَبَرُّز، تحسبُهم أَيقاظاً وهم رُقود، يتقلَّبونَ ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشِّمال، وكلبُهم باسط ذراعيه بفناء المغارة؟ وما هو الدرسُ المستفادُ من هذه القصةِ لنا اليوم؟»[1].

يَنظرُ المفتري للمعجزاتِ المذكورةِ في القرآن نظرةً ماديَّةً دائماً، ويَقيسُها بالأُمور العاديّة المألوفة للناس، وبما أَنها لا تُقاسُ بها لأَنها معجزات، لذلك يُنكرُ وُقوعَها ويُكذِّبُ بها، وبما أَنَّ القرآنَ ذَكَرَها، لذلك يُخَطِّئُ القرآنَ ويَعترضُ عليه، ويتهمُه بذكْرِ أَشياءَ لم تَحْدُث، وعَرْضِ أُمورٍ لا يُصَدِّقُها العقل! أَما المعجزاتُ المذكورةُ في كتابه المقَدّس فإنه يؤمنُ بها، مع أَنها لا تُقاسُ بالأمور العادية! فلماذا يَكيلُ المفْتَري بمكيالَين، وَيُصَدِّقُ المذكورَ في كتابِه المقدس، ويُكَذِّبُه إذا ذُكِرَ في القرآن؟ مع أَن الموضوعَ فيها واحد!! إنه التحاملُ على القرآن!.

ذَكَر القرآنُ قصةَ أَصحابِ الكهف الذينَ جعلَهم الله آيةً وعبرة، وأَكرمَهم

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٦٦.

ببعضِ الكراماتِ المعْجزات، في مقدمتِها أنه جعلَهم يَنامونَ ثلاثَمئةٍ وتسعَ سنوات، بدونِ موتٍ أَو تعفُّنٍ أَو فساد، ثم أَيقَظَهم من نومِهم لفترةٍ قصيرة، ثم أَماتَهم الموتَ الحقيقي.

قال تعالى: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥]، ويُنكِرُ الفادي المفتري صحةَ ذلك، ويَعْتَبِرُه مُتَناقِضاً مع العلم والعَقْل، إِذْ كيفَ يَنامونَ ثلاثمئةٍ وتسعَ سنوات، بدونِ أَكْلٍ ولا شُرْبٍ ولا مَشْيٍ ولا تَبَوُّلٍ ولا تَبرُّز؟!.

ولو كانَ الأَمْرُ عادياً وفقَ مألوفِ الناسِ وعاداتِهم لقُلْنا: هذا مستحيلٌ وغيرُ معقول. ولكنَّه من أَمْرِ الله، واللهُ فَعَّالٌ لما يُريد، وهو معجزةٌ خارقةٌ للعادة، ولو لم تكن خارقةً لما كانَتْ معجزة.

شاءَ اللهُ أَنْ يُبْقِيهم نائمينَ هذه المدةَ الطويلة، وهَيَّأَ الأُمورَ حولَهم لئلا يَبْلوا ويَتَعَفَّنوا، فضربَ على آذانِهم، وفَتَحَ عيونَهم، وجعلَ الشمسَ تَميلُ عنهم في الصباحِ ذاتَ اليمينِ، وتبتعدُ عنهم عند المساءِ ذاتَ الشمال، حتى لا تُؤْذيهم بأَشعتِها وحرارتِها، وقَلَّبَهم على الأرضِ ذاتَ اليمين وذاتَ الشمال، لئلا تَقْضي عليهم الرطوبةُ والعَفَن... ثم بَعَثَهم بعدَ ذلك من نومِهم وأَيقظَهم... وطالما أَنَّ الأَمْرَ معجزةٌ خارقة، من فِعْلِ اللهِ سبحانه، فلا استبعادَ أَو إِنكارَ له.

والفادي المفتري دائمُ الافتراءِ والتلاعبِ والتحريف، فاللهُ يقولُ عن أَصحابِ الكهف: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ﴾ [الكهف: ١٨] وقد أَسندت الآيةُ تَقْليبَهم إِلى الله، لأَنَّ الأَمْرَ معجزةٌ وليس عادياً.. ولكنَّ الفادي أَسندَ التقليبَ إِليهم، فقال: تحسبُهم أَيقاظاً وهم رُقود، يتقلَّبون ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشمال!! وفَرْقٌ بعيدٌ بين قولِ الله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾، وبينَ قولِ المفتري المتلاعِب: «يَتَقَلَّبونَ ذاتَ اليمين..»!!

١٩٤

حول الريح المسخرة لسليمان عليه السلام

ذَكَرَ القرآنُ الريحَ التي سَخَّرَها اللهُ لسليمانَ عليه السلام؛ قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١]. وقال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِۖ﴾ [سبأ: ١٢]. وقال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٦].

ونَقَلَ الفادي كعادتِه من تفسيرِ البيضاويِّ بعضَ كلامِه عن الريح؛ قال: ﴿ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾: شَديدَة الهُبوب، من حيثُ إنها تَبْعُدُ بكرسِيِّه في مدَّةٍ يَسيرة، كما قال تعالى: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌۖ﴾. وكانت ﴿رُخَآءً﴾ في نفسِها طيبة. وقيل: كانَتْ رُخاءً تارة وعاصفةً أُخرى، حسبَ إرادتِه. ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا﴾ إلى الشام.

وعَلَّقَ على ذلك مُشَكِّكاً فيه، فقال: «ونحنُ نسأل: ما الفائدةُ من تسخيرِ الريحِ لسليمان، فتحملُ عرشَه مَتى شاء إلى أينَ شاء، وتشتَدُّ إذا رَغِب، وتَلينُ إذا رَغب؟ وما هو الهدَفُ من كُلِّ هذا؟ ماذا عادَ على بَني إسرائيل أَو عَلى مملكةِ اللهِ من كُلِّ هذا؟»(١).

أَخَذَ الخُرافةَ، وحَمَّلَها للقرآن، وكَذَّبه وخَطَّأَهُ بسببها!.

ذَهَبَ رُواةُ الخرافاتِ والرواياتِ غيرِ الصحيحة إلى أن الريح كانَتْ خاصَّةً لسليمانَ عليه السلام، فقد كانَتْ تَحملُ عرشَه وكُرْسِيَّه وهو جالسٌ عليه، وتَطيرُ به في الجوِّ، وتأْخُذُه حيثُ يَشاء، وهو راكبٌ على «بِساطِ الريح»! وهي تُشبهُ طيرانَ الطائراتِ وسفنِ الفضاءِ في زماننا!.

ولذلك اعتبرَ الفادي هذه الريحَ بدونِ فائدةٍ لبني إِسْرائيل، فهي كأَنها طائرةٌ

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٦٧.

شخصيةٌ لسليمانُ عليه السلام، يُسافِرُ عليها إِلى مختلفِ البلدان، ولذلك قال: «ما هو الهَدَفُ من كُلِّ هذا؟ وماذا عادَ على بني إسرائيل ومملكةِ اللهِ من كُلِّ هذا؟»".

ونقولُ للفادي: المستفيدُ من هذه الريحِ هم بنو إِسْرائيل، ولم تكن الريحُ تَطيرُ بسليمانَ عليه السلام وعرشِه وكرسِيِّه، إِنما كانَتْ تأتي بالغيثِ والمَطَر، وتَحملُ معها الرّخاءَ والخصْب.. وكانت تبقى ومعَها الغيثُ فوقَ الأَرضِ المباركةِ مُدَّةً طويلة، متمثلةً في منخفضٍ جَوِّيٍّ عمَيق، وتستمرُّ شهراً في غُدُوِّها، وشهراً في رَواحِها، نعمةً من اللهِ على سليمان عليه السلام وقومِه.

١٩٥

حول أصحاب الفيل والطير الأبابيل

اعترضَ الفادي المفتري على سورةِ الفيل، التي تَحدثَتْ عن أَصحابِ الفيل، وسَجَّلَ اعتراضَه وتساؤُلَه تحتَ عنوان: «الطيرُ تُحاربُ بالحجارة»!.

وأَخَذَ من تفسيرِ البيضاويِّ خُلاصَة حادثةِ أَصحابِ الفيل، التي أَشارَتْ لها السورة، والمعروفةُ للباحثين والدارسين.. ثم عَلَّقَ على ذلك بإِثارةِ أَسئلةٍ تافهة، فقال: «ونحنُ نسأل: كيفَ آثَرَ الفيلُ أَنْ يُعاوِنَ الوثنيّين، ويَهْرُبَ من معاونة المسيحيّين، فكلَّما وجَّهوه لكعبةِ الأَوثانِ رَفَضَ السير، وكلَّما وَجَّهوهُ إِلى اليمنِ هَرْوَلَ؟ وكيفَ أَدركت الطيرُ ذلك، فاشتركَتْ في الحربِ مع الوثنِيِّين ضدَّ المسيحيّين؟ وكيف تفاهَمت جماعاتُ الطير، وعرفَتْ مكانَ المعركة، وأحضرت الحجارة، وملأَتْ أَفواهَها وأَرجلَها، ورمَتْ بها جيشَ المسيحيينَ دون الوثنيّين؟ وكيفَ انحازَ الرَّبُّ للفيلِ وللطيرِ، ولأَصحابِ الكعبةِ الوثنيين ضدَّ المسيحيين؟ وكيفَ يَنزلُ الحجرُ الذي هو أَصغرُ من الحمصةِ من فم الطائرِ إِلى رأْسِ الرجلِ، فيخرقُ رأْسَه وعنُقَه وصَدْرَه وبَطْنَه، ويَخرجُ من دُبُرِه؟!»[1].

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٦٧ ـ ١٦٨.

التساؤلاتُ التي أَثارَها المفتري على الحادثةِ تُفيدُ إنكارَه لها، وتكذيبَه لوقوعِها، مع أَنَّ القرآنَ كانَ صريحاً في إثباتِها: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾.

لقد صَوَّرَ له عقْلُه الصغيرُ أَنَّ المعركةَ كانت بينَ الأَحباشِ النَّصارى وبين العرب الوثنيّين، والنَّصارى أَقربُ إلى اللهِ منَ الوثنيّين، فكيفَ انحازَ اللهُ إلى الوثنيّين ضدَّ النَّصارى المؤمنينَ به؟! هذا غيرُ معقول، وأَخْطَأَ القرآنُ في القولِ به!! والكعبةُ عندَه «كعبة الأوثان» وبَيْتٌ تُجْمَعُ فيه الأَصنام، فكيفَ يُدافعُ اللهُ عنها؟!.

وكيفَ آثَرَ الفيلُ أَنْ يكونَ مع العربِ الوثنيّين ضدَّ النَّصارى؟ إِنَّ هذا غيرُ معقولٍ! وكيفَ تداعَتْ جَماعاتُ الطيرِ واشتركَتْ في المعركة، وانحازَتْ إلى الوثنِيِّين، وحارَبَت النَّصارى المؤمنين بالحجارة؟ هذا كلُّه لا يُصَدِّقُه العَقْل، ولذلك لم يَحدث!!.

إِنَّ الأَمْرَ ليس على هذه الصورةِ التي فَهِمَها الفادي خَطأً، وإِنَّ اللهَ لم يَنْحَزْ للعربِ الوثَنيّين ضدَّ المسيحيّين، إنما دافَعَ اللهُ عن بيتِه المحَرَّمِ المعَظَّم.

لقد توجَّهَ أَبرهةُ بجيشِه وفيلِه ليهدِمَ الكعبة، لا ليقاتِلَ قُرَيْشاً، فمعركَتُه ليستْ ضدّ قريشٍ الوثنيّين، وإنما هي ضدَّ البيتِ المحرَّم! ولذلك لما وَصَلَ إلى ضواحي مكةَ لم يشتبكْ في حَرْبٍ مع قُرَيْش، ورِجالُ قريشٍ عَرَفوا هذا، حيثُ أَخْلَوْا له مَكَّة، وصَعَدوا إلى الجبالِ، يُراقبونَ ما سيَحْدُث، ولما راجَع عبدُ المطلبِ زعيمُ مكة أَبرهةَ بشأنِ إبلِهِ التي أَخذوها منه، قال له: أَنا رَبُّ الإبل، وللبيتِ رَبٌّ يَحْميه!!.

وإِنَّ اللهَ يَعلمُ أَنَّ قريشاً مَلؤوا الكعبة بالأصنام، التي عَبَدوها وجَعَلوها آلِهَة، وهو سبحانه لم يُدافِعْ عنهم ولا عن أَصنامِهم.

إِنَّ حادثةَ الفيلِ كانتْ دِفاعاً عن الكعبةِ المُشَرَّفَة، حمى اللهُ فيها الكعبةَ من الهَدْم، هذه الكعبةُ ضمنَ بيتِ اللهِ الحرام، أَوَّلِ بيتٍ بُنِيَ في الأَرضِ

لعبادَةِ الله، والذي بَناهُ إِبراهيمُ وإِسماعيلُ عليهما السلام لعبادَةِ الله، وستكونُ هذه الكعبةُ المشرفَةُ قِبْلَةً للأُمةِ المسلمةِ القادمة، التي سَيستخلِفُها اللهُ على الأُمم، وسيولَدُ بالقربِ من الكعبةِ محمدُ بنُ عبدِ الله، الذي سيكونُ النبيَّ الخاتم ﷺ.

ومن أَجْلِ هذه المعاني حمى اللهُ الكعبةَ من جيشِ أَبْرَهَة، لا من أَجْلِ قريشٍ الوثنيّين، وأَمَرَ اللهُ الفيلَ أَنْ لا يَستجيبَ لأَمْرِ أَبرهَةَ بالسيرِ نحو الكَعْبَة، ونَفَّذَ الفيلُ أَمْرَ رَبِّه، وكان ذلك الفيلُ أَعْقَلَ من هذا الفادي صاحبِ العَقْلِ الصَّغير الذي أَنكرَ الحادثة!.

ولم تتوجّه الطيرُ الأَبابيلُ إِلى أَصحابِ الفيلِ بنفسها، إِنما اللهُ هو الذي وَجَّهَها وأَرسَلَها، واللهُ هو الذي حَمَّلَها الحجارةَ من سِجّيل، وأَمَرَها أَنْ تقصفَ بها أَصحابَ الفيل.

إِنَّ الأَفعالَ في سورةِ الفيلِ مسنَدَةٌ إِلى الله، فاللهُ هو الذي فَعَلَ بأَصحابِ الفيل ما فَعَل، وهو الذي أَرسلَ عليهم الطيرَ الأَبابيل، وهو الذي أَمَرَها أَنْ تَرميهم بالحِجارة، وهو الذي أَهْلَكَ أَصحابَ الفيل، وهو الذي جَعَلَهم كعصفٍ مأكول...

وكانت حادثةُ أَصحابِ الفيل «إِرْهاصاً» ومُقَدِّمَةً للإِسْلام، وتهيئَةً له، والرسولُ ﷺ وُلِدَ عام الفيل، وبَعَثَهُ اللهُ نبيّاً بعدَ أَربعينَ سنةً من الحادثة. ولذلك ذَكَرَها اللهُ في القرآن، باعتبارِها آيةً من آياتِه.

١٩٦

هل خاف يعقوب على أبنائه من العين؟

عندما تَوَجَّهَ أَبناءُ يَعقوبَ الأَحَدَ عَشَرَ إِلى عَزيزِ مِصْر - الذي هو أَخوهم يوسُفُ وهم لا يَعرفونَه - طَلَبَ منهم أَبوهم أَنْ لا يَدْخُلوا من بابٍ واحد، وإِنما يَدخلونَ من أَبوابٍ متفرقَة؛ قالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ﴾ [يوسف: ٦٧].

لماذا طلبَ يعقوبُ عليه السلام من أَبنائِه هذا الطَّلَب؟ أَتْعَبَ بعضُ المفَسِّرينَ والإِخباريّين أَنفسَهم في محاولةِ معرفةِ ذلك.. وذَهَبَ الفادي كعادَتِه إِلى تفسير البيضاوي، ونَقَلَ منه قولَه: «قال البيضاوي: لأَنهم كانوا ذَوي جَمالٍ وأُبَّهَة، مُشْتَهرينَ في مِصْرَ بالقُرْبِ والتَّكريم عندَ الملِك، فخافَ عليهم أَنْ يَدْخُلوا كوكبةً واحدةً فَيُعانُوا ـ أَيْ يُصابُوا بالعَيْن ـ ولعَلَّهُ لم يُوصِهِم بذلك في المرةِ الأَولى لأَنهم كانوا مَجْهولين حِينئذٍ، أَو كانَ الداعي إِليها الخَوْف على بُنْيامين.. وللنفس آثارٌ منها العين...».

وعَلَّقَ الفادي على كلامِ البيضاويِّ بقوله: «ونحنُ نسأل: مِنْ أَينَ جاءَ القرآنُ بهذه القصَّةِ التي لم تَذْكُرْها التوراة، فَنَسَبَ لواحدٍ من أَنبياءِ اللهِ خُرافَةً تُنافي العِلْم، وتُنافي الإِيمانَ بعنايةِ الله؟!»[1].

مَن الذي أَخبرَ رُواةَ الإِسرائيلياتِ أَنَّ يَعقوبَ عليه السلام كان يَخشى على أَبنائِه أَنْ يُصابُوا بالعين، لجَمالِهم وكثرتِهم وتَقريبِ العَزيزِ لهم؟ وحتى يَنْجوا من شَرِّ العَيْن أَمَرَهُم أَنْ يَدْخُلوا من أَبوابٍ متفرقَة! لم يُذْكَرْ هذا التعليلُ في حديثٍ صحيحٍ لرسولِ الله ﷺ، ولهذا نتوقَّفُ في قَبولِ هذا التعليل!.

وقد أَبهمَ القرآنُ الحديثَ عن ذلك، ودَعا إِلى عَدَمِ الخوضِ فيه، لِعَدَمِ وُجودِ دليلٍ عليه. ولْنقرأ هاتَيْنِ الآيتَيْن بإمعانٍ؛ قالَ تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٦٧ ـ ٦٨].

قالَ يعقوبُ عليه السلام لأَبنائِه مُعَلِّلاً دُخولَهم من أَبوابٍ متَفَرِّقة: ﴿وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾. أَيْ: دُخولكُم من أَبوابٍ متفرقَةٍ لا يُغْني عنكم شيئاً من الله، ولا يَدْفعُ عنكم شَيْئاً من قَدَرِ الله، ومهما حَذِرْتُم فإِنَّه لا يُغْني حَذَرٌ من قَدر!.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٦٨.

وأكملَ كلامَه لهم بالإشارةِ إلى أنَّ الحُكمَ حُكْمُ الله، نافذٌ على عبادِه، وهو متوكِّلٌ على الله، مُسَلِّمٌ أمْرَهُ له: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

وأشارَ القرآنُ إلى أنَّ يَعقوبَ ﷺ قَضى وحَقَّق حاجَةً في نفسه، عندما نَفَّذَ أَبناؤُه طَلَبَه، ودَخلوا من حيثُ أمَرهم: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾.

وإِبهامُ القرآنِ لتلك الحاجةِ دَعوةٌ لنا لعَدمِ البحثِ فيها، وعَدَمِ مُحاولةِ بَيانِها، ومعرفَتُها لا دلَيلَ عليها ولا فائدةَ منها، ولا يَضيرُنا الجهلُ بها، ولو علمَ اللهُ في ذِكْرِها خَيْراً لنا لَذَكَرَها. وليتَ الذينَ حَدَّدوا تلك الحاجةَ فَهموا هذه الإِشارة القرآنية، ولم يُتْعِبوا أنفسَهم في تحديدِ تلك الحاجةِ بأنها لدفْعِ العَيْن!.

وبهذا نعرفُ أنَّ يعقوبَ ﷺ كان متوكِّلاً على الله عندما طَلَبَ من أبنائِه أَنْ يَدْخلُوا من أَبوابٍ متفرقة، وأَنَّ هذا ليس خرافةً تُنافي العِلْمَ والإِيمان، كما زَعَمَ المفْتَري.

وقد نفى الفادي هذه الحادثة، رَغْمَ وُرودِها في القرآن لأَنها لم تُذْكَرْ في التوراة وهذا باطل، ومرجَعِيَّتُنا ليست التوراة، إنما هي القرآن، وذِكْرُ الحادثةِ في القرآن يَكفي لقَبولِها والإِيمانِ بها، سواءٌ ذَكَرَتْها التوراةُ أَمْ لا.

١٩٧

حول بقرة بني إسرائيل

ذَكَرَتْ سورةُ البقرةِ قصةَ بقرةِ بني إِسْرائيلَ في سَبْعِ آياتٍ منها [٦٧ ـ ٧٣]. وخُلاصَتُها أنه قُتِلَ قَتيلٌ من بني إِسْرائيل، زَمَنَ موسى ﷺ، ولم يُعْرَف القاتل، ولما رَفَعوا القضيةَ إلى موسى ﷺ، أَخْبَرَهم بأَمْرِ اللهِ لهم أَنْ يَذْبَحوا بقرة، فعَجِبوا من ذلك، وظَنّوهُ يَهزأُ بهم، فنفىٰ ذلك، ولما سَأَلوهُ عن عمرِها

ولونِها وعملِها أخبرهم، عند ذلك ذَبحوها مُكْرَهين. وضُربَ القَتيلُ بجزءٍ من تلك البقرة، فأحياهُ اللهُ وأخبرَ عن القاتِل!!.

وقد رَفَضَ الفادي المفتري ما قالَه القرآنُ عن قصةِ البقرة، واتَّهمَ النبيَّ ﷺ بأَخْذِ القصةِ من التوراة، لأَنَّ القرآنَ عندَه ليس كلامَ الله، وإنما هو من تأليفِ النبيِّ ﷺ أخَذَهُ من مصادرَ بشرية؛ قال: «وتَاريخُ بني إسرائيل من أَوّلِه إلى آخرِه خالٍ من هذه القصة. ولعلَّ صاحبَ القرآنِ أَخَذَ طَرَفاً من روايتِه من التوراة»[1].

القصةُ عندَه غيرُ صَحيحة، لأَنها لم تَرِدْ في التوراة، ومرجعيَّتُه هي التوراة، فما ذُكِرَ فيها فهو الصواب، وما لم يُذْكَرْ فيها فهو الخَطَأ.. مع العلم بأَنَّ التوراةَ مُحَرَّفَة، أَضافَ الأَحبارُ فيها كلامَ البشرِ إلى كلام الله... أَما نحن المسلمين فإِنَّ القرآنَ هو مرجعيَّتُنا، ما ذُكِرَ فيه نجزمُ بأَنه هو الصوابُ والصحيح، وما لم يُذْكَرْ فيه نتوقَّفُ في قَبولِه! وما خالَفَه نجزمُ بأَنه خَطَأ.

وبما أَنَّ قصةَ البقرةِ مذكورةٌ في سورةِ البقرة، فإِننا نجزمُ بوقوعِ أَحداثِها التي ذَكَرَها القرآن، ولْيَقُل الفادي ما شاء!!.

ولاحِظْ عبارةَ الفادي القبيحة: «ولعلَّ صاحبَ القرآنِ أَخَذَ طَرَفاً من روايتِه من التوراة»، فقد صَرَّحَ فيها بأَنَّ القرآنَ من كلام البشر، وليس كلامَ الله.

وبعدَما استعرضَ بعضَ كَلامِ التوراة حولَ القتلِ وأَحكامِه أَجرى مقارنَةً بين كلامِ التوراة وما وَرَدَ في القرآن. قال: «فهذه هي شريعةُ التوراة، التي تُبَيِّنُ بَشاعةَ القَتْل، وتُعلنُ اعترافَ شيوخِ الشعبِ أَنهم لا يَعرفون القاتِل، بغسْلِ أَيديهم على الذبيحةِ رمز البَراءَة، ثم يَطلبونَ الغُفْرانَ لتلك الخطيةِ المجهولَةِ الفاعِل! وهذا كُلُّه مَعْقول. ولكنْ هل من المعقولِ أَنَّ قطعةَ لَحْمٍ من العجلةِ يُضْرَبُ بها القتيل، فيَحيا ويَتَكَلَّم؟!»[2].

يُنكرُ الفادي المعجزةَ في قصةِ البقرة، وهي التي أَشارَ لها قولُه تعالى:

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٦٩. (٢) المصدر السابق نفسه.

﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣].

بعدما ذَبحوا البقرة، أَخذوا قطعةَ لَحْمٍ منها، وضَربوا القَتيل بها، فأَحياهُ الله، وعَرَّفَ على قاتِلِه ثم مات.

وهذا غيرُ معقول عند الفادي الجاهل، لأَنه يَظُنُّهُ فِعْلاً عاديّاً، كباقي أَفعال البشر.. لأَنه لا يُفَرِّقُ بينَ الفعلِ البشريِّ العادي، وبين المعجزةِ الربانية، التي يُجريها الله، ويَجعلُها آيةً لعباده، وهذه المعجزةُ لا بُدَّ أَنْ تكونَ خارقةً لعاداتِ البشر!.

١٩٨

هل الرعد ملاك؟

وَقَفَ الفادي المفتري أمامَ قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ [الرعد: ١٣].

ونَقَلَ كلامَ البيضاويِّ في تفسيرِ الآية، الذي ذَكَرَ فيه بعضَ الرواياتِ عن الرعد، بأَنه مَلَكٌ من الملائكة، ومعه مَخاريقُ من نارٍ يَسوقُ بها السَّحاب، والبرقَ بأَنه مَلَكٌ آخر من الملائكة!.

وعَلَّق الفادي على ما نَقَلَه عن البيضاويِّ بقولِه: «ونحنُ نَسأَل: إذا كانَ الرعدُ والبرقُ من الظواهر الطبيعيةِ الناتجةِ عن احتكاكِ السَّحابِ ببعضها، فكيفَ يقولونَ إنها ملائكة؟!»[1].

إنَّ البرقَ والرعدَ من الظواهرِ الطبيعيةِ الجوية، ولَيْسا مَلَكَيْنِ من الملائكةِ يَسوقانِ السحاب، وما نَقَلَه البيضاويُّ في تفسيرِه إنما هو أَقوالٌ ذَكَرَها بعضُ السابقين، الذين لا يُقَدِّمونَ الدليلَ على ما يَقولون، ولا يَتَحَرَّونَ الدقةَ فيما يَنْقُلون.. وما نَقَلَه من أَحاديث عن رسولِ الله ﷺ لم تَصِحّ.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٦٩ ـ ١٧٠.

وبما أنه لم يثبُتْ شيءٌ عن رسولِ الله ﷺ في أنَّ الرعدَ والبرقَ مَلَكان من الملائكة، فإننا لا نقولُ بذلك!.

واعتراضُ الفادي على الآيةِ مردود، واتهامُه للقرآنِ بأنه يجعلُ الرعْدَ مَلَكاً مردودٌ أيضاً، لأنَّ القرآنَ لم يَقُلْ بذلك.

الذي قالَه القرآنُ أنَّ الرعْدَ يسبحُ بحمدِ الله؛ لأنَّ الرعدَ مخلوقٌ من مخلوقاتِ الله، وكُلُّ المخلوقاتِ تُسَبِّحُ اللهَ، قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وليس معنى إسناده التسبيح للرَّعْد أنْ يكونَ الرعْدُ مَلَكاً يُسَبِّحُ، بل هذا من حيويةِ التعبيرِ القرآني، الذي يستخدمُ طريقةَ التصوير، حيث قَدَّمَ الرعد في صورةٍ حيةٍ شاخصة، في صورةِ رجلٍ خاشعٍ عابدٍ يسبحُ اللهَ ﷻ.

١٩٩

حول سحر الرسول ﷺ

وَقَفَ الفادي أمامَ سورةِ الفَلَق، وما قيلَ في سببِ نُزولِها، من أَنَّها نزلَتْ في سِحْرِ رسولِ اللهِ ﷺ.. ونَقَلَ كلامَ البيضاويِّ في تفسيرِ السورة.. «رُويَ أَنَّ يهودياً سَحَرَ النبيَّ ﷺ في إحْدى عشرةَ عُقْدَة، في وترٍ دَسَّهُ في بئْر، فمرضَ النبيُّ، ونزلتِ المعوِّذَتان.. وأخبرَه جبريلُ بموضعِ السِّحْر، فأرسلَ علياً، فجاءَ به، فقرأهما عليه، فكانَ كُلَّما قرأ آيةً انحلَّتْ عُقْدَة، وَوَجَدَ بعضَ الخِفَّة.. ولا يوجبُ ذلك صِدْقَ الكَفَرَةِ في أنه مَسْحور، لأنهم أرادوا به أنه مجنونٌ بواسطةِ السحر».

ثم ذَكَرَ الفادي الآيةَ التي تتحدَّثُ عن قصةِ هاروتَ وماروت، وفيها قولُه تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]. وتَدُلّ الآيةُ على أَنَّ السِّحْرَ قد يَضُرُّ المسحورَ بإذْنِ الله، وأَنَّ السحرةَ قد يُؤْذونَ الإنسان، ويُفرِّقونَ بين المرْءِ وزوْجِه.

وذَكَرَ الفادي أقوالاً من الكتابِ المقَدَّس، تَنْهى عن تَعَلُّمِ السِّحر، منها أَقوالٌ لبولُسَ وبطرس.

وخرجَ من ذلك بأَنَّ محمداً ﷺ ليس رسولَ الله، لأَنَّه لو كانَ رسولَ الله لما أَثَّرَ فيه السحرُ، ولنهىٰ عن السحر كما نهىٰ عنه بولُسُ وبطرس! قال: «ونحنُ نسأَلُ: كيفَ يُصيبُ السحرُ المؤمنَ المحفوظَ بعنايةِ الله؟.. ولقد نهتْ شريعةُ اللهِ عن السحر..»... وبعدما ذَكَرَ أَقوالَ بولُسَ وبطرسَ في النهيِ عن السحرِ قال: «هذه هي شريعةُ اللهِ حقّاً، وهؤلاء هم رسلُ اللهِ فِعْلاً، يَنتهرون السَّحَرَةَ، ويُعطلونَ أَعمالَهم، وقوةُ الله فوقَ قوى السَّاحرين»(١).

حادثةُ سِحْرِ رسولِ اللهِ ﷺ ثابتةٌ في الحديثِ الصحيح. روى البخاريُّ ومسلمٌ عن عائشةَ ﵂، قالت: سَحَرَ رسولَ اللهِ ﷺ يهوديٌّ من يَهودِ بني زريق، يُقالُ له: لَبيدُ بنُ الأَعْصَم، حتى كانَ يُخَيَّلُ إليه أنه يفعلُ الشيءَ، وما يَفْعَلُه... حتّى إذا كانَ ذاتَ يوم، دعا رسولُ الله ﷺ ثم دَعا، ثم دَعا، ثم قالَ: «يا عائشة! أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ أَفْتاني فيما استفتيتُه فيه؟ أَتاني رَجُلان، فقعدَ أَحَدُهما عندَ رأسي، والآخَرُ عند رِجْلَيّ. فقالَ الذي عند رأْسي للآخَر: ما بالُ الرجل؟ قال: مَطْبوب. قال: ومَنْ طَبَّهُ؟ قالَ: لَبِيدُ بنُ الأَعْصَم. قالَ: في أَيِّ شيء؟ قال: في مِشْطٍ ومُشاطَة. قال: أَيْنَ؟ قال: في جُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ، تحتَ راعوفَةٍ في بئرِ ذَرْوان».

قالَتْ عائشة: فأَتى النبيُّ ﷺ البئرَ في أُناسٍ من أَصحابِه، حتى استخرجَه.. ثم قالَ: «يا عائشةُ! هذه البئرُ التي أُريتُها، وكأَنَّ ماءَها نُقاعَةُ الحِنَّاء، وكأَنَّ نَخْلَها رؤوسُ الشياطين..». فقلتُ: يا رسولَ الله، أَفلا أَحْرَقْتَه! قال: «لا؛ أَمّا أَنا فقد عافاني اللهُ، وكرهْتُ أَنْ أُثيرَ على الناسِ شَرّاً.. فأَمَرْتُ بها فدُفِنَتْ...»(٢).

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٧٠ ـ ١٧٢.

(٢) البخاري، برقم (٥٧٦٦)؛ ومسلم، برقم (٢٧٨٩).

خُلاصَةُ حادثةِ سِحْرِ رسولِ ﷺ أنَّ اليهوديَّ لَبيدَ بنَ الأَعْصَم كان ساحِراً، وأرادَ أنْ يسحرَ رسولَ الله ﷺ، فأخَذَ مِشْطاً كان يَمتشِطُ فيه رسولُ اللهِ ﷺ، وأَخَذَ «مُشاطة» ـ وهي بقايا الشَّعْرِ الذي كان يَسقطُ من رسولِ الله ﷺ، ويَبْقى في المشْط ـ ونَفَثَ في ذلك المشطِ والمُشاطة، ولَفَّهُما على سِحْرِه، ووضَعَهما في «جُفِّ طَلْعَةِ ذَكَر»، وهو الغِشاءُ الذي يَكونُ على طَلْعِ النخل، ثم وَضَعَ الوعاءَ تحتَ راعوفةٍ في بئرِ ذَروان، والرّاعوفةُ هي الحجرُ الكبيرُ تكونُ في قَعْر البئر، يَنزلُ الإنسانُ إليها، ويَقِفُ عليها، إذا احتاجَ إلى النزولِ للبئر... وبئرُ «ذَرْوان» واقعةٌ في بستانٍ في المدينة.

وشاءَ اللهُ أَنْ يُؤَثِّرَ هذا السحرُ في الجانبِ البشريِّ لرسولِ اللهِ ﷺ، ولَفْظُ الحديثِ دَقيق: «حتى كانَ يُخَيَّلُ إليه أنه يَفعلُ الشيءَ، وما يَفعلُه».. أَي: كانَ أَثَرُ السحرِ على بَصَرِه فَقَط ﷺ، بحيثُ يدفعُه إلى مجردِ التخيُّلِ بالبَصَر!.

ولم يستمرّ هذا طَويلاً، فلما أَحسَّ رسولُ اللهِ بالتخيُّل على بَصَرِه لَجأَ إلى اللهِ بالدُّعاء، فدعاهُ، ثم دَعاهُ، ثم دَعاهُ، وطَلَبَ منه أَنْ يُزيلَ عنه ما يَجدُه.. واستجابَ اللهُ دعاءَ رسولِه ﷺ وأزالَ عنه أَثَرَ السحر بفضْلِه سبحانه، ولم يَعُدْ يتخيَّلُ ببصرِه غيرَ الموجود.. وأَحَسَّ رسولُ الله ﷺ بذلِك فحمدَ اللهَ، ثم قالَ لعائشةَ رضي الله عنها: «لقد أَفْتاني اللهُ فيما استَفْتَيْتُه»، أَيْ: عافاني ممّا أَجِدُه، واستجابَ دعائي!.

وأَرسلَ اللهُ اثنَيْنَ من الملائكةِ في صورةِ رجلَيْن، فقعَدَ أَحَدُهُما عند رأْسِه، وقَعَدَ الآخرُ عند رجلَيْه، وتحاوَرا فيما بينَهما ليَسمعَ كلامَهما، فعرفَ منهما أنه مَسْحور، وأَنَّ الذي سَحَرَهُ هو اليهوديُّ لبيدُ بنُ الأَعصم، وعَرَفَ مكانَ السِّحْر.. فذهبَ مع مجموعةٍ من الصحابةِ فاستخرجَه.

وقد اقترحَتْ عائشةُ رضي الله عنها عليه أَنْ يحرقَه، ولكنَّه أَبى ذلك، حتى لا يُثيرَ على الناس شَرّاً. وأَمَرَ به فدُفِنَ في الأَرض.

وإنَّ حَادِثَةَ سِحْرِ الرسولِ ﷺ دليلٌ على بشريَّتِه، وأنه تُؤَثِّرُ فيه الأَحْداثُ، ويَجري عليه قَدَرُ الله، كما أنها تَدُلُّ على أَنَّ السحْرَ يَضُرُّ بإِذْنِ الله.

ولا إشكالَ في سحرِ الرسولِ ﷺ، لأَنَّ جانبَ النبوةِ لم يَتَأَثَّرْ بالسِّحر، فهو محفوظٌ بحفظِ الله، إنما كانَ تأثيرُه على حاسَّةِ بصرِه فقط، بحيثُ كان يتخيَّلُ أنه فَعَلَ الشيءَ، مع أنه لم يفعَلْه، أما عقْلُه وقلْبُه وروحُه وأعصابُه فقد بقيَتْ سليمة. . . وسرعانَ ما أَزالَ اللهُ عن بَصَرِه أثرَ السحر، بعد أَنْ دَعاهُ وتَضَرَّعَ إليه.

وقد كانَ الفادي جاهلاً عندما وَظَّفَ حادثةَ سِحْرِه ﷺ دَليلاً على عدم نبوَّتِه، وذلك عندما تساءَلَ بخُبْث: «كيف يُصيبُ السحرُ المؤمنَ المحفوظَ بعناية الله؟!».

إنَّ اللهَ يَحفظُ عبادَه المؤمنين، ومع ذلك يَبْتَليهم بالضُّرِّ، ويَأْذَنُ أَنْ يُصابوا بالأذى، وليس وقوعُ هذا بهم دليلاً على عدمِ محبَّتِه لهم، أَو تخلّيه عنهم. . وهم عندما يُصابونَ بالضُّرِّ والأذى يلجؤون إليه، ليكشفَ عنهم ما بهم. . وبذلك يَزدادونَ قُرْباً منه سبحانه. وهذا ما حَصَلَ مع رسولِ اللهِ ﷺ، ولكنَّ الفادي مطموسٌ على قلبه، لذلك يجهلُ هذه الحقائق والمعاني والدروسَ والدلالات!.

❖ ❖ ❖

الفصل التاسع

نقض المطاعن الفنية

٢٠٠

ما المراد بالحروف المقطعة؟

اعترضَ الفادي المفتري على القرآن، لإيرادِه الحروفَ المَقطَّعَة في بدايةِ بعضِ سورِه، وذَكَرَ اعتراضَه تحتَ عنوانٍ قبيح، هو «الكلامُ العاطِل» أيْ أَنَّ في القرآنِ كَلاماً عاطِلاً، وهذه صفةٌ مرذولةٌ، يوصَفُ بها الشيءُ التافهُ الساقط، ولقد أرادَ المجرمُ بهذا العنوانِ شَتْمَ القرآنِ شَتْماً سوقيّاً بَذيئاً!!.

ومعلومُ أَنَّ السورَ المفتتحة بالحروفِ المقطَّعَةِ تسعٌ وعشرون سورة، على عددِ حروفِ الهجاءِ في اللغةِ العربية. والحروفُ المذكورة فيها هي:

- ﴿الٓمٓ﴾: في سور: البقرة وآل عمران والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة.
- ﴿الٓر﴾: في سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.
- ﴿حمٓ﴾: في سور: غافر وفصلت والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف.
- ﴿طسٓمٓ﴾: في سورتي: الشعراء والقصص.
- وسورةٌ واحدةٌ لكلٍّ مما يلي: ﴿الٓمٓصٓ﴾: سورة الأعراف. و﴿الٓمٓر﴾: سورة الرعد. و﴿كٓهيعٓصٓ﴾: سورة مريم. و﴿طه﴾: سورة طه. و﴿طسٓ﴾: سورة النمل. و﴿يسٓ﴾: سورة يٰسٓ. و﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ سورة الشورى. و﴿صٓ﴾: سورة صٓ. و﴿قٓ﴾ سورة قٓ. و﴿نٓ﴾ سورة القلم.

وقالَ الفادي المفتري في بدايةِ اعتراضِه: «جاءَ في فواتحِ تسعٍ وعشرين سورةً بالقرآن حروفٌ عاطِلَةٌ، لا يُفْهَمُ معناها!».

وبعدما ذَكَرَ أَسماءَ تلك السور قال: «ونحنُ نسأل: إنْ كانتْ هذه الحروفُ لا يعلمُها إلّا الله كما يَقولون، فما فائدتُها لنا؟ إنَّ اللهَ لا يوحي إلّا بما يُفيد، فكلامُ الله بلاغٌ وبَيانٌ وهدى للناس»(١).

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٧٥.

وللردّ عليه، نقررُ أنه لا يوجَدُ في القرآنِ حروفٌ أَو كلماتٌ أَو جُمَلٌ عاطلة، لا معنى لها، أو لا يمكنُ أنْ يُفْهَمَ معناها، كما أنه لا توجَدُ في القرآن حروفٌ أَو كلماتٌ زائدة.. وكلُّ حرفٍ في القرآن له معنى ووظيفة، ويُؤدّي معناه ضمنَ السياقِ الذي وَرَدَ فيه، وإِذا حُذِفَ اختلَّ المعْنى، وضَعُفَ التركيبُ، ونَقَصت الدِّلالة!!.

وهذا معناهُ أَنَّ الحروفَ المقطَّعَةَ في افتتاحياتِ بعضِ السور ليستْ عاطلةً أَو مهملةً، أَو ليس لها معنى ودلالة، أو ليس لورودها على هذه الصورة حكمةٌ أَو فائدة.

ونعترفُ أَنَّ العلماءَ والمفسرين اخْتَلَفوا في نظرِهم إِلى الحروفِ المقطَّعَة، وانقسموا في ذلك إِلى فريقين:

ـ **الفريق الأول**: لم يَخوضوا فيها، ولم يُحاوِلوا تفسيرَها، أَو بيانَ مَعْناها والحكمةِ منها، وقالوا: هي مما استَأْثَرَ اللهُ بعلمِه، فلا يعلمُها إِلّا هو، ونحنُ لا نخوضُ فيها.

ـ **الفريق الثاني**: وَقَفوا أَمامَها، وتأَمَّلوا فيها، وحاولوا بيانَ معناها، والحكمة من ورودِها!.

والراجحُ هو ما ذَهَبَ إِليه الفريقُ الثاني، لأَنَّ اللهَ أَوجبَ علينا تَدَبُّرَ القرآن، وفَهْمَ معانيه، ولم يَجعلْ فيه ما ليسَ له معنى، أَو ما لا يمكنُ أَنْ نفهمَه، فكلُّ ما في القرآنِ له معنى، وكلُّ ما فيه يمكنُ أَنْ نفهمَه.

والراجحُ أَنَّ افتتاحَ بعضِ السورِ القرآنية بالحروفِ المقطّعَةِ للتَّحدي والإِعجاز، وإِثباتِ أَنَّ القرآنَ كلامُ الله.

وبيانُ هذا، أَنه لما سمعَ المشركونَ القرآنَ من رسولِ الله ﷺ رَفَضوا الاعترافَ بأَنه من عندِ الله، واتّهموا النبيَّ ﷺ بتأليفه، ثم ادَّعوا بأَنَّ عندهم القدرةَ على الإِتيانِ بمثْلِه لو أَرادوا.. فتحدَّاهم الله، وطَلَبَ منهم الإِتيانَ بمثْلِه، أَو بعشْرِ سورٍ مثْلِه، أَو بسورةٍ مثلِه...

ومن بابِ المبالغةِ في التحدي افتتحَ بعضَ السورِ بالحروف المقَطَّعَة، باعتبارِ الحروفِ هي المادّة الأولية للكلامِ العَربي، لأَنَّ الكلمةَ مكوَّنةٌ من تلك الحروفِ البنائية.. وكأَنَّه يقولُ لهم: القرآنُ بلسانٍ عربيٍّ مُبين، مكوَّنٌ من هذهِ الحروف، ولغتُكم العربيةُ مكوَّنَةٌ من هذه الحروف، وأَنتم تُحسنونَ الكلامَ بهذهِ اللغة وتَزعمونَ أَنَّ محمداً ﷺ أَلَّفَ القرآنَ من هذه الأَحرف.. فخُذوا هذه الأَحرفَ مفكوكَةً مَفْرودَة، وصُوغوا منها سورةً أَو عَشْرَ سُوَرٍ مثلَ هذا القرآن! فإن استطعْتُم ذلك ثَبَتَ أَنَّ القرآنَ من تأليفِ محمد ﷺ... وإنْ لم تَستطيعوا وعَجَزْتُم عن الإِتيانِ بالمطلوب ثبتَ أَنَّ القرآنَ كلامُ الله، وأَنَّ محَمَّداً هو رسولُ اللهِ ﷺ، ووجبَ عليكم تصديقُه والدخولُ في دينه!.

والدليلُ على أَنَّ هذا هو الرأيُ الراجح، أَنَّ الحروفَ المقطَّعَة الواردةَ في بدايةِ بعضِ السور أَربعةَ عَشَرَ حرفاً. بعدَ إِسقاطِ المكرر منها، وأَنَّ بعضَهم جمعَها في جملةٍ مفيدةٍ ذاتِ دلَالة، وهي: نَصٌّ حَكيمٌ قاطِعٌ لَهُ سِرٌّ.

ومما يُشيرُ إلى هذه الدلالةِ والحكمةِ والنتيجةِ من ورودِ الحروفِ المقطعةِ في افتتاحياتِ بعضِ السور، ورودُ آيةِ التحدي في سورةِ هود؛ وهي مفتتحةٌ بقوله تعالى: ﴿الٓر﴾. وقالَ اللهُ فيها يتحدّى المشركين: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣ ـ ١٤].

٢٠١

هل في القرآن كلام أعجمي؟

وَقفَ الفادي أَمامَ بعضِ الكلماتِ القرآنية التي ظَنَّها أَعجمية، واعتبرَ وُجودَها في القرآن يَتعارضُ مع الآياتِ التي تتحدَّثُ عن عربيةِ القرآن، كقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٥]، وقوله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٣٨].

وتساءَلَ بخبْثٍ قائلاً: «ونحنُ نسألُ: كيفَ يكونُ القرآنُ عَربيّاً مُبيناً، وبه كلماتٌ أَعجميةٌ كثيرة، من فارسيةٍ وآشوريةٍ وسريانيةٍ ويونانيةٍ ومصرية وحبشية، وغيرها؟!».

والكلماتُ غيرُ العربية التي ذَكرها تسعٌ وعشرون كلمة، ما بين عبريةٍ وفارسيةٍ وآشورية، ومصرية ويونانية وآرامية، وسريانيةٍ وحبشية ولاتينية.

وقد اختلف العلماءُ في القولِ بوجودِ كلماتٍ أعجميةٍ في القرآن:

- فمنهم مَنْ ذهبَ إلى أنَّ في القرآنِ كلماتٍ كثيرةً بلغاتٍ غيرِ عربية؛ ففيه كلماتٌ فارسيةٌ وحبشيةٌ وسريانيةٌ وآراميةٌ ويونانية.

- ومنهم مَنْ نفى وُجودَ أيِّ كلمةٍ غيرِ عربيةٍ في القرآن، فكلُّ كلماتِه عربيةُ الأَصل، حتى أَسماء الأَعلامِ للأَشخاصِ والأماكنِ والمواقع.

- ومنهم مَنْ تَوَسَّطَ، فقالَ: كلُّ كلماتِ القرآنِ عربية، إلّا أَسماءُ بعض الأَشخاصِ والأَماكنِ والمواقع، مثلُ: آدمَ وإِبليسَ وإبراهيمَ وإِسماعيلَ وفرعونَ ومصر.

والراجحُ هو ما ذهب إليه الفريق الثالث، فما في القرآن من الكلمات الأَعجمية أَسماءُ الأَعلامِ فقط، أَما غيرُ الأَعلامِ فكلُّها كلماتٌ عربيةٌ مشتقة، يمكنُ إِعادتُها إِلى جذورِها وأُصولِها العربيةِ، ويمكنُ تحديدُ معناها العربي.

ووجودُ بعضِ الأَعلامِ الأَعجميةِ في القرآنِ لا يَتعارضُ مع عربيةِ القرآن، وأَنه نَزَلَ بلسانٍ عَربيٍّ مبين، لأَنها كلماتٌ مترجمةٌ إِلى العربية، ومسجلَةٌ في القرآن بحروفٍ عربية. ومعلومٌ أَنْ أَسماءَ الأَعلام تُنقلُ وتُترجمُ من لغتِها الأَصليةِ إِلى اللغاتِ الأُخرى، بحروفِ تلك اللُّغات، وهذا أَمْرٌ متفقٌ عليه بينَ اللغات.

فالأَعلامُ الأَعجميةُ هكذا هي في لغاتِها الأَصلية، وهي مترجمةٌ إِلى اللغةِ العربية، ومذكورةٌ في القرآنِ بالحروفِ العربية.

ومن أَسماءِ الأَعلامِ الأَعجميةِ في القرآن، أَسماءُ بعضِ الأَنبياء: آدم،

نوح، لوط، إبراهيم، إسماعيل، زكريا، يحيى... وغيرهم عليهم الصلاة والسلام. وأسماءُ بعضِ المواقع، مثل: مصر، والجودي، وأسماءُ بعضِ الأشخاص، مثلُ: إبليس، وفرعون، وَوَدٌّ، وسُواعٌ، ويَغوثُ، ويَعوقُ، ونَسْرٌ.

ومن الأسماءِ الأَعجميةِ التي ذكَرَها الفادي، والتي نوافقهُ على أنها أَعجمية، لكنَّها معربةٌ في القرآنِ بحروفٍ عربية: آدمُ، وإبراهيمُ، وتوراة، وإنجيل، وفرعون، وهاروت، وماروت.

وأَكثرُ من عشرينَ كلمةً من الكلماتِ القرآنيةِ التي زَعَمَها الفادي أعجميةً هي كلماتٌ عربية، لها جذورٌ وأُصولٌ عربية:

أباريق: مشتقةٌ من: بَرْقٌ.. و: أَرائك: مشتقةٌ من: أَرْكٌ.. و: إستبرق: مشتقةٌ من: بَرْقٌ.. و: تابوتٌ: مشتقةٌ من: تَبْتٌ.. و: جهنمُ: مشتقَّةٌ من: جَهْمٌ.. و: خَبَرٌ: مشتقةٌ من: خَبْرٌ.. و: حُورٌ: مشتقةٌ من: حَوْرٌ.. و: زكاةٌ: مشتقةٌ من: زَكْوٌ.. و: زنجبيلٌ: مشتقٌّ من: زَنْجٌ.. و: السَّبْتُ: مشتقّة من: سَبْتٌ.. و: سِجّيلٌ: مشتقّة من: سَجْلٌ.. و: سُرادِقٌ: مشتقةٌ من: سَرْدٌ.. و: سَكينَةٌ: مشتقةٌ من: سَكْنٌ.. و: سورَةٌ: مشتقةٌ من: سَوْرٌ.. و: صِراطٌ: مشتقةٌ من: صَرْطٌ.. و: طاغوتٌ: مشتقّة من: طَغْوٌ.. و: عَدنٌ: مشتقةٌ من: عَدْنٌ.. و: فِرْدَوسٌ: مشتقةٌ من: فَرْدٌ.. و: ماعونٌ: مشتقّة من: مَعْنٌ.. و: مشكاةٌ: مشتقةٌ من: شَكْوٌ.. و: مَقاليدُ: مشتقةٌ من: قَلْدٌ.. ولفظ الجلالة: اللهُ: مشتقٌ من: أَلْهٌ.

٢٠٢

دعوى التناقض في القرآن

ذَكَرَ الفادي المفتري قولَ اللهِ ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] وتدعو الآيةُ الناسَ جميعاً إلى تدبُّرِ القرآن، وإمعانِ النظرِ فيه، وتَجزمُ بأَنهم لن يَجدوا فيه خَطَأً أو نقصاً، أو

اختلافاً أو اضطراباً.. وعدمُ وجودِ ذلك فيه دَليلٌ على أنه من عندِ الله، ولو كان من عندِ غيرِ اللهِ لما سَلِمَ من هذه العيوب.

وقد تحدّى القرآنُ الكفارَ أَنْ يَجدوا اختلافاً وتناقضاً فيه، ودَعاهُم إلى إمعانِ النظر، وإطالةِ التدبُّر.. واستمرَّ التحدي منذُ نزولِ القرآنِ على رسول الله ﷺ، وما زالَ التحدي مستمراً خمسةَ عَشَرَ قَرْناً، وسَيبقى مستمراً حتى قيامِ الساعة.

ونَظَرَ الكفارُ في القرآن، وتدبَّروه، وادَّعوا أَنهم وَجدوا فيه اختلافاً وتناقضاً.. وقَدَّموا ما زعموهُ.. وعندما نظر العلماء في ما قدموه وَجدوهُ تافِهاً، يمكنُ الرَّدُّ عليه بمنتهى السهولة.

ومن هؤلاءِ الكفارِ الفادي المفتري، الذي ادَّعى أَنّه وَجَدَ اخْتِلافاً وتَناقضاً كَثيراً في القرآن. ولذلكَ قالَ بعدَ أَنْ ذكرَ الآيَةَ السابقة: «ولكنّنا نجِدُ فيه التناقضَ الكثير».

ثم سَجَّلَ المفتري خمسةَ عَشَرَ موضوعاً في القرآن، ادَّعى أَنَّ القرآنَ متناقضٌ في حديثِه عن كلٍّ واحدٍ منها، وكانَ يَضَعُ عمودَيْن ليبيِّنَ التناقضَ في القرآن، يجعلُ في العمودِ الأَولِ الآياتِ التي تتحدَّثُ عن الموضوع، ويجعلُ في العمودِ المقابلِ الآياتِ التي تتناقضُ مع الآياتِ المقابلة.

والموضوعاتُ التي ادَّعى تناقضَ القرآنِ في حديثِه عنها هي: تَبديلُ وتَغييرُ كَلامِ اللهِ في القرآن. ومقدارُ اليومِ عند الله. ووقوعُ الشفاعةِ في الآخرة.. وعَدَدُ أَهْلِ الجنة.. وأَيُّ دينٍ هو المقبولُ عندَ الله.. والصفحُ عن المخالفين.. والنهيُ عن الفحشاء.. والقَسَمُ بمكَّة.. والنهيُ عن النفاق.. والنهيُ عن الهوى.. والموقفُ من الخمر.. والموقفُ من الكفار.. وكيف كانت نهايةُ فرعون.. وخَلْقُ الأَرض والسماء.. والإِحكامُ والتشابهُ في القرآن.. وسوفَ ننظرُ في الآياتِ التي زَعَمَها متناقضة، ونَرُدُّ زعمَ التناقضِ فيها بعونِ الله..

أَوّلاً: هل يتبدَّلُ كلامُ الله؟:

ذَكَرَ الفادي ثلاثَ آياتٍ تدلُّ على أَنَّ كلامَ اللهِ لا يَتَبَدَّلُ. قال تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ٤٦].. وقال تعالى: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ما هو موضوعُ الآيةِ التي أَخبرتْ أَنَّه لا مُبَدِّلَ لكلماتِ الله؟.

آيةُ سورةِ يونس في سياقِ الحديثِ عن حفظِ اللهِ لأَوليائه؛ قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤].

المرادُ بكلماتِ اللهِ هنا قَدَرُ اللهِ وإِرادَتُه ومشيئَتُه سبحانه، وليس كلامَه القرآنَ الكريم، فاللهُ قَدَّرَ سعادةَ وفوزَ أَوليائِه المتقينَ في الدنيا والآخِرة، وهذا لا بُدَّ أَن يَتَحَقَّقَ، لأَنَّ اللهَ هو الذي قَدَّره وأَرادَه، ولا رادَّ لأَمْرِه، ولا تبديلَ لقَدَرِ اللهِ وإِرادتِه.

وآيةُ سورةِ الكَهفِ تأْمُرُ بتلاوةِ القرآن؛ قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧].

«مُبَدِّلَ»: اسم فاعل. وهو اسْمُ «لا» النافية للجنس. والمرادُ بكلماتِه هنا آياتُ القرآنِ وجُمَلُه وأَلفاظُه. والتقدير: لا يَقْدِرُ أَحَدٌ من المخلوقينَ على أَنْ يُبَدِّلَ كلماتِ الله، التي أَنزلَها على رسولِه ﷺ.

ومصداقُ هذه الآية ما صَرَّحَتْ به آيةُ سورةِ الحجر: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ فبما أَنَّ اللهَ تعهَّدَ بحفْظِ كتابه، فلا يَقْدِرُ أَحَدٌ على أَنْ يُغَيِّرَ أَوْ يُبَدِّلَ فيه».

لِننظر الآنَ في الآياتِ التي زَعَمَ الفادي الجاهلُ تعارُضَها مع هذه الآيات!.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١].

وقال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩].

هل هذه الآياتُ متعارضةٌ مع الآياتِ السابقة؟ وما وَجْهُ معارضتِها لها؟ الآياتُ السابقةُ تقررُ أنه لا يَقْدِرُ أَحَدٌ من المخلوقين على تبديلِ كلماتِ الله، فهل تُقررُ هذه الآياتُ أَنه يمكنُ لأَحَدٍ من المخلوقين تبديلُ كلماتِ الله؟.

آيةُ سورةِ الرعدِ لا تتحدَّثُ عن آياتِ القرآن، وإنما تتحدَّثُ عن المحوِ والإثباتِ والتغييرِ والتبديلِ في قَدَرِ الله، وتجعلُ هذا بيَدِ اللهِ وحده. فاللهُ يَمحو ويُغيرُ ما يَشاءُ من قَدَرِه، ويُثْبِتُ ويُبْقي ما يَشاءُ من قَدَرِهِ، وله الحكمةُ في ما يَمْحو وما يُثْبِت، وعنده أُمُّ الكتاب، وهو اللوحُ المحفوظ، الذي جعلَ فيه كُلَّ ما يريدُ فِعْلَه في هذا الكونِ، قبلَ خَلْقِ السمواتِ والأَرض.

وظَنَّ الفادي الجاهلُ أَنَّ المرادَ بأُمِّ الكتابِ هنا القرآنُ كُلُّه، أَو سورةُ الفاتحة، وهذا ظَنٌّ باطِل، فالمرادُ بأُمِّ الكتابِ هنا اللوحُ المحفوظ.

وتتحدَّثُ آيةُ سورةِ البقرةِ عن النسخ، وتجعلُه بيدِ اللهِ وحْدَه سبحانه، فإذا نسخَ اللهُ آيةً من آياتِ القرآن، وأَلْغى حُكْمَها، فإنه يأْتي بآيةٍ أُخْرى، فيها حُكْمٌ خيرٌ من حُكْمِ الآيةِ المنسوخة، أَو هو مثْلُه.

فاللهُ هو الذي ينسخُ ما يشاءُ من أَحكامِ القرآن، أَمّا المخلوقُ فإنه يَستحيلُ عليه نسخُ أَو تبديلُ القرآن، وكلُّ مسلمٍ يعتقدُ هذا عن يَقين.

وتَرُدُّ آيةُ سورةِ النحل على اتهاماتِ وإشاعاتِ الكفار، فإذا نَسَخَ اللهُ آيةً بآية، وبَدَّلَ آيةً مكانَ آية، اتهمَ الكفارُ النبيَّ ﷺ بالتلاعبِ والتحريف، وقالوا له: إنما أَنتَ مُفْتَرٍ.. فتردُّ عليهم الآيةُ بأَن النسخَ والتبديلَ لم يَصدرْ عن

رسولِ اللهِ ﷺ. وإنما هو من فعلِ اللهِ وحدَه، فالكلامُ كلامُه، والأمرُ أمرُه، وهو أعلمُ بما يُنزلُ من الآيات، وأعلمُ بما يَنسخُ ويُبدلُ ويُبقي من الأحكام.

ولذلك لما طلبَ الكفارُ من النبيِّ ﷺ تغييرَ القرآنِ أو تبديلَه، كان يردُّ عليهم بأنه لا يكونُ له ذلك، لأنه متَّبعٌ لشرعِ الله؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥].

فلا تَعارُضَ بين الآياتِ التي تَنفي إمكانيةَ التبديلِ لكلماتِ الله، وتلك التي تُثبتُ ذلك، لأنَّ كُلَّ مجموعةٍ متوجهةٌ إلى حالَة، بتَناسقٍ وتَوازنٍ وتَكامل.

الآياتُ التي تَنفي التبديلَ متوجهةٌ إلى المخلوقين، فلا يُمكنُ لأيِّ مخلوقٍ - مهما عَلَتْ منزلتُه وعَظُمتْ قوتُه - أَنْ يُغيرَ أو يُبدلَ كلماتِ الله، سواء كانتْ أقدارَ الله، أو كانت بعضَ آياتِ كتابِه.

والآياتُ التي تُخبرُ عن إمكانيةِ تبديلِ آياتِ القرآن، تجعلُ ذلك بيدِ اللهِ وحده، فهو صاحبُ الحَقِّ في نسخِ وتبديلِ ما يشاءُ من آياتِه، وفْقَ ما يعلمُه من الحكمة، وما يحققُه لعبادِه من المصلحة.

فأينَ التعارضُ والتناقضُ بين الآيات؟ المشكلةُ في جهلِ الفادي المفتري، الذي يصدقُ فيه قولُ الشاعر:

وَكَمْ من عائِبٍ قَوْلاً صَحيحاً ... وآفتُه هي الفَهْمُ السَّقيمُ

ثانياً: التفاوت في مقادير أيام الله:

زعمَ الفادي الجاهلُ أنَّ القرآن متناقِضٌ في حديثِه عن مقاديرِ الأيامِ عند الله، فما مقدارُ اليوم، هل هو ألْفُ سنة، أم هو خمسونَ أَلْفَ سَنَة؟!.

هناك آيةٌ تُخبرُ أنه ألْفُ سنة؛ قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥].

وهناك آيةٌ أُخرى تُخبرُ أنه خمسونَ ألفَ سنة؛ قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ

ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].

لا تتحدثُ الآيتانِ عن يومٍ واحد، حتى يُظَنَّ التناقضُ بينَهما وإنما تتحدثانِ عن يومينِ مختلفَيْنِ في المقدار: اليومُ الأولُ مقدارُه أَلْفُ سنة مما نَعُدُّهُ نحن البَشَر. واليومُ الثاني مقدارُه خمسونَ أَلْفَ سنة.

وحتى نفهمَ التفاوتَ بين ذَيْنِكَ اليومَيْن، نتذكَّرُ تفاوُتَ أيامِنا في الدنيا، فمن المعلومِ أَنَّ النهارَ في الشتاءِ يكونُ قصيراً، ما بينَ شروقِ الشمسِ وغروبها، لكنَّ هذا النهارَ في الصيفِ يكونُ طويلاً قد يزيدُ سبعَ ساعاتٍ على نهارِ الشتاء. فإذا كانَتْ أيامُنا القصيرةُ متفاوتةً في الطولِ والمقدار، أفلا تكونُ الأَيامُ عندَ الله متفاوتةً في ذلك؟.

الذي يَعْرُجُ إلى الله هو الأَمْرُ الذي يُدَبِّرُهُ الله، ويُنزلُه على الأرض، ويكونُ عروجهُ إليه في يومٍ مقدارُه أَلْف سنة، مما يَعُدُّهُ البشرُ من السنوات.

أَمّا عُروجُ الملائكةِ والروحِ إلى الله، فإنه يكونُ في يوم مقدارُه خمسونَ أَلْفَ سنة، ليستْ مما نَعُدُّ من السنواتَ. ولذلك لم تَقُلْ آيةٌ سورةِ المعارج: في يومٍ كان مقدارُه خمسينَ أَلْفَ سنةٍ مما تَعُدّون. كما قالَتْ آيةُ سورةِ السجدة!.

إنهما يومانِ مُختلفان، مُتفاوتانِ في المقدار، وفي كلٍّ منهما عروجٌ يختلفُ عن العروجِ في اليومِ الآخَر، فعُروجُ الأَمْرِ إلى الله يومُه أَقْصَرُ من يوم عُروجِ الملائكة، ولذلك ذُكِرَ عَدُّ سَنواتِ البشرِ في اليومِ الأَقْصَر، ولم يُذْكَرْ في اليومِ الأَطول.

ثالثاً: بين نفي الشفاعة وإثباتها في الآخرة:

نفى القرآنُ في بعضِ آياتِه وُجودَ شفاعَةٍ في الآخرة، وأَثْبَتَ في آياتٍ أُخرى وُجودَها، فوقَعَ الفادي الجاهلُ في حَيْرَة، ومن ثَمَّ اتَّهَمَ القرآنَ بالتناقض. والذي أَوصلَه إلى هذا جهْلُه وحِقْدُه، وتحامُلُه على القرآن.

من الآياتِ التي نَفَت الشفاعة عن غيرِ الله، وقَصَرتْها عليه وَحْده

سبحانه، قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٤]. فالشفاعةُ لله وَحْدَه، وهي بيدِ اللهِ وَحْدَه، هو المالكُ لها وللبشرِ، وللسمواتِ والأَرض، وللدنيا والآخرة.

ومنها قولُه تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٤].

وبعدما سَجَّلَ الفادي الجاهلُ الآيتَيْن، سجَّلَ آيةً كريمةً اعْتَبَرَها مُصرحةً بالشفاعة؛ وهي قولُه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ﴾ [يونس: ٣].

هل تتناقَضُ الآيةُ الثالثةُ مع الآيتَيْن السابقتَيْن؟ لا أدري كيفَ يفهمُ الفادي الجاهلُ القرآنَ؟ وما عِلْمُه باللغةِ العربيةِ لغةِ القرآن؟.

آيةُ سورةِ الزمرِ تَجعلُ الشفاعةَ لله وحده: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾. ومن معاني قَصْرِها على الله، أَنه لا يَشفعُ أَحَدٌ إِلّا بإِذْنِه سبحانه، لأَنَّ الأَمْرَ أَمْرُه سبحانه، ولا سُلْطانَ لأَحَدٍ مع سُلطانِه، لا في الدُّنيا ولا في الآخرة.

وهذا ما تُقَرِّرُه الآيةُ الثانية: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍۚ﴾، فإذا أَذِنَ اللهُ للشفيعِ فإِنه يَشفع، وإِذا لم يَأْذَنْ له فإِنه لا يُمكنُ أَنْ يشفع، سواءٌ كان في الدنيا أَو في الآخرة.

وجاءت الآيةُ الثالثةُ مُؤَكِّدَةً لما قَرَّرَتْه الآيةُ الثانية: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾، فلا يَشفعُ أَيُّ شفيعٍ إِلّا من بعدِ أَنْ يأْذَنَ اللهُ له.

أَيْنَ التناقضُ بين قوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍۚ﴾ [السجدة: ٤]، وقوله تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦۚ﴾ [يونس: ٣]؟ أَلا تَلْتَقي الآيتانِ على تقريرِ الحقيقةِ المتعلقةِ بالشفاعة؛ وهي أَنه لا يَشفعُ أَحَدٌ لأَحَدٍ في الدنيا وفي الآخرةِ إِلّا بإِذْنِ الله؟!.

وقررتْ آيةُ الكرسي نفسَ الحقيقة: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وهكذا نَفهمُ نفيَ الشفاعةِ عن الكافرين، الواردِ في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ﴾ [الشعراء: ١٠٠ ـ ١٠١]. وقوله تعالى الذي يقرر أنه لا يشفع الشافع إلا بأمر الله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾ [طه: ١٠٩].

رابعاً: هل أهل الجنة قليلون أم كثيرون؟:

زَعَمَ الفادي الجاهلُ أَنَّ حديثَ القرآنِ عن عَدَدِ أَهْلِ الجنةِ مُتناقض، تَناقَضَ - في نظرِه - قولُه تعالى: ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٣ ـ ١٤]، مع قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٣٩ ـ ٤٠].

لننظر: هل تَتناقَضُ الآياتُ مع بعضها؟.

مَنْ هم ﴿وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾؟ ومَنْ هم ﴿وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾؟ وهل أصحابُ الجنةِ كلُّهم صنفٌ واحد؟.

أَخبرتْ آياتُ سورةِ الواقعةِ أَنَّ الناسَ يومَ القيامة ثلاثَةُ أَصْناف: السابقون، وأَصحابُ اليمين، وأَصحابُ الشمال؛ قالَ تعالى: ﴿وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ۝٧ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝٨ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة: ٧ ـ ١٠].

أَصحابُ المشأَمَةِ هم أَصحابُ الشمال، وهم الكفارُ في جهنم؛ قال الله عنهم: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝٤١ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ﴾ [الواقعة: ٤١ ـ ٤٢].

أَما السّابقون وأَصحابُ اليمين فهم المؤمنونَ في الجنة، وهما صنفان مُتفاوتانِ في منازلِ الجنة: السابقون المقَرَّبون في أَعْلى منازلِ الجنة، وأَصحابُ اليمينِ في أَوسطِ منازلِ الجنة.

قالَ اللهُ عن الصنفِ الأول: السابقين: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٠ ـ ١٤].

وقالَ اللهُ عن الصنفِ الثاني: أَصحابِ اليمين: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ

﴿ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٢٧ ـ ٤٠].

معنى «ثُلَّةٌ»: مجموعَة. والمرادُ بالأَوّلين: أَصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ على أَنهم أَفضلُ جيلٍ من أَجيالِ المسلمين. والمرادُ بالآخِرين الأَجيالُ المتأخرةُ من المسلمين.

السابقون المقرَّبون أكثرهم من الأَوَّلين، وقَليلٌ منهم من الآخِرين: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾.

أَمّا الصنفُ الثاني أَصحابُ اليمين، فكثير منهم من الأَوَّلين السابقين، وكثيرٌ من الآخِرينَ المتأخرين: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾.

إِنَّ الفادي الجاهلَ غبيّ، لا يُحسنُ فهمَ القرآن، ولذلك قالَ بالتناقض، وزالَ هذا التناقضُ المزعومُ، بمعرفةِ مَنْ تتحدثُ عنهم كُلُّ مجموعةٍ من الآيات.

خامساً: هل اليهود والنصارى مؤمنون؟:

زَعَمَ الفادي أَنَّ القرآنَ مُتناقضٌ في حديثِهِ عن اليهودِ والنَّصارى، فاعْتَبَرهم مرةً مؤمنين، واعْتَبَرهم مرةً كافرين.

اعْتَبَرهم مؤمنين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩].

واعْتَبَرَهُم كافِرين، عندما اعْتَبر الإِسلامَ وَحْدَه هو الدينَ المقبولَ عندَ الله. قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فهل تَناقَضَ القرآنُ في حديثِه عن اليهودِ والنَّصارى؟ الجوابُ بالنفي..

صَرَّحَ القرآنُ بأَنَّ الإسلامَ الذي جاءَ به رسولُنا محمدٌ ﷺ هو وحدَه الدينُ المقبولُ عند الله؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ﴾ [آل عمران: ١٩].

وهذا مَعناهُ أَنَّ أيَّ دينٍ آخرَ غيرِ الإسلامِ لا يُقْبَلُ من صاحبِه، أَيْ أنه كافرٌ مخلَّدٌ في نار جهنم؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ولم يُصرحِ القرآنُ بأَنَّ اليهودَ والنَّصارى مؤمنون حتى نَتَّهِمَه بالتعارض. والآيةُ التي أوردَها الفادي أَخْطَأَ ـ كعادَتِه ـ في فَهْمِها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ...﴾؛ فـ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: المرادُ بهم أُمَّةُ محمدٍ ﷺ. و﴿ٱلَّذِينَ﴾: في محلِّ نصبِ اسْمِ «إِنَّ». وخَبَرُ «إِنَّ» محذوف. والتقدير: إِنَّ المؤمنين فائزون مُخَلَّدون في الجنة.

والواوُ في ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾: حَرْفُ استئناف. وبَعْدَها جملةٌ استئنافيةٌ جديدة. ﴿ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾: في مَحَلِّ رفع مبتدأ. ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾: معطوفٌ على المبتدأ مرفوع. ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾: مَعطوفٌ عليه مرفوعٌ أيضاً. و﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾: في محلِّ رفْع خَبر. والتقدير: واليهودُ والصابئون والنصارى المؤمنُ باللهِ واليومِ الآخر منهم هو المقبولُ عند الله.

إِنهما جملَتان مستقلَّتان إِذَنْ: الجملة الأولىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ أَيْ: إِنَّ المؤمنينَ مقبولون. والجملةُ الثانية: ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ...﴾ أَيْ: إِنَّ المقبولَ من هذه الأَصنافِ الثلاثة هو المؤمنُ باللهِ واليومِ الآخر، فإِنْ لم يكنْ مؤمناً باللهِ واليومِ الآخِرِ لم يُقْبَلْ منه شَيْءٌ.

ومتى يكَونُ اليهوديُّ والنصرانيُّ والصابئيُّ مؤمِناً باللهِ واليومِ الآخِرِ؟ لا يكونُ كذلكَ إِلّا إذا آمَنَ بأَركانِ الإيمانِ الستة: الإِيمانِ باللهِ، وملائكتِه، وكتبه، ورسلِه، واليومِ الآخر، والقَدَرِ خيرِه وشَرِّه.. لأَنَّ الإِيمانَ لا يَقبلُ التجزئَةَ، وتحقيقَ بعضِه وإِنكارَ بعضه.

وهذا معناهُ أَنه يجبُ على كُلِّ واحدٍ من الطوائفِ الثلاثِ الإِيمانُ بكلِّ الرسل، وعلى رأسِهم محمدٌ ﷺ، كما أَنه يجبُ عليه الإِيمانُ بكلِّ الكتب، وفي مقدِّمَتها القرآن؛ فإِنْ آمَنَ بذلك يجبُ عليه الدخولُ في الإِسلام، وإِنْ لم يدخلْ في الإِسلام لم يكنْ مؤمناً باللهِ واليومِ الآخر حقّاً!! فلا تَعارُضَ بين الآيتَيْن.

سادساً: بين الأمر بالصفح والأمر بالغلظة:

يَرى الفادي الجاهلُ أَنَّ قولَه تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥] يَتناقَضُ مع قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣].

ووجْهُ التناقضِ بينهما عندَه أَنَّ آيةَ سورةِ الحجرِ تأمُرُ النبيَّ ﷺ بالصفحِ الجميلِ عن الكفار، وآيةَ سورةِ التوبة تأمُرُه بالغلظةِ على الكفارِ والمنافقين وجهادِهم، وهذا إِلغاءٌ لآيةِ الحِجْر.

إِنَّ الأَمْرَ بالصفح لا يَتَناقَضُ مع الأَمْرِ بالجهاد، لأَنَّ الصفحَ عن صنفٍ من الكفار، والجهادَ لصنفٍ آخَرَ من الكفار.

الصفحُ عن كفارٍ مُسالمين، لا يَتآمرونَ على المسلمين، ولا يُحاربونَ دينَهم، فهؤلاء تَجبُ دعوتُهم للإِسلام، فإِنْ لم يُلَبّوا الدعوة، وأَصَرّوا على كُفْرِهم، وانصرفوا إِلى أَنفسِهم، يَصفحُ عنهم المسلمون ويَتْرُكونَهم. هذا ما تُقررُهُ آيةُ سورةِ الحجر: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]، وما تُقرره آيةُ سورةِ الزخرف: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٌ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٌۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٨ ـ ٨٩].

ثم إِنَّ الصفحَ عن الكفارِ كان في العهدِ المكي، حيثُ كانَ المؤمنون مأْمورينَ بكَفِّ أَيديهم، وعَدَمِ قتالِ الكفار، لكنْ بعدَ الهجرة أَذِنَ اللهُ لهم بالقتال، وأَمَرَهم بجهادِهم والغلظةِ عليهم. فالأَمْرُ بالصفْح موقوتٌ بوقْت، وعندما يَنتهي ذلك الوقتُ، يأْتي الأَمْرُ بالجهاد. وهذا صريحٌ في قوله تعالى:

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩].

فالعفوُ والصفحُ مستمرّان إلى أَنْ يأتيَ اللهُ بأَمْرِه، فيأمرَ المسلمينَ بأَمْرٍ جَديد، وهو الجهادُ والقتال!.

أَما الأَمْرُ بجهادِ الكفارِ والمنافقين، والغِلظةِ عليهم فيه، فهذا مُوَجَّهٌ ضدَّ صنفٍ آخَرَ من المنافقينِ والكافرين، وهم أولئك الحاقدونَ المتآمرونَ على المسلمين، الذين يُحاربونَهم ويُهاجمونَ دينَهم.

وبذلك نجمعُ بين الأَمْرِ بالصفح والأَمْر بالغلظةِ في الجهاد، بأَنْ يُوَجَّهَ كُلُّ أَمْرٍ إلى صنف، ذي صفاتٍ خاصة، تختلفُ عن صفاتِ الصنفِ الآخَر، وتَقييدِ أَحَدِ الأَمريْن بزمنٍ وعهدٍ خاصّ، فإذا اختلفَ الزمانُ أَو المكانُ أَو الأَشخاصُ فلا تَناقُضَ بين الأَمْرِ بالصلحِ والأَمرِ بالجهاد!!.

سابعاً: هل يأمر الله بالفحشاء؟:

زَعَمَ الفادي الجاهلُ أَنَّ القرآنَ تَناقَضَ في حديثِه عن الفحشاء، فهو يُخبرُ أَنَّ الله لا يأْمُرُ بالفحشاء، وذلك في قولِه تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨].

وهو يُثبتُ الأَمْرَ بالفحشاءِ لله؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

وليسَ الأَمْرُ كما فهمَه الجاهل، فمن المعلوم أَنَّ اللهَ لا يأْمُرُ بالفحشاء. وهذا ما صَرَّحَتْ به آيةُ سورةِ الأَعراف، حيث رَدَّتْ على أَكاذيبِ الكافرين، فعندما كانوا يَفعلونَ الفاحشةَ كانوا يقولون: اللهُ أَمَرَنا بها، ويَرْضاها مِنّا، ولو لم يَرْضَها منّا ولم يأْمُرْنا بها لأَهْلَكَنا عندما فَعَلْناها! فكَذَّبَهم اللهُ بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾.

لقد حَرَّمَ اللهُ الفحشاءَ، فكيفَ يَأمُرُ بها، واللهُ لا يَأمُرُ إلّا بالقِسْطِ والخَيْر، ولذلكَ قالَ في الآيةِ التالية: ﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ﴾ [الأعراف: ٢٩].

أمّا آيةُ سورةِ الإسراءِ فلا تَدُلُّ على أَنَّ اللهَ يَأمُرُ بالفحشاء، ولا تَتَناقَضُ مع آيةِ سورةِ الأعْراف، وإنما تَلْتَقي معها في تقريرِ أَمْرِ اللهِ بالخيرِ والقسط، ونهيِه عن الشَّرِّ والفَحْشاء.

بماذا يَأْمُرُ اللهُ المتْرَفين؟ هل يَأْمُرُهم بالفسق والفَحشاء؟: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا﴾.

يَستحيلُ أَنْ يَأْمُرَ اللهُ المتْرَفين بالفسقِ والفحشاء، لأَنه سبحانه لا يَأْمُرُ بالفحشاء! وفي قولِه: ﴿أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ كلامٌ مُقَدَّر، يَقْتَضيه السياقُ والمعنى. والتقديرُ: أَمَرْنا مُتْرَفيها بالطاعة، فَعَصَوْا أَمْرَنا وفَسَقوا فيها، وبذلك حَقَّ عليهم القولُ والحكمُ والعذاب، فأَهلكناهم ودَمَّرْناهم.

ومن المعلومِ أَنَّ القرآنَ المعجزَ قد يَحذفُ بعضَ الكلماتِ من تعبيرِه قَصْداً، حتى يُفَكِّرَ فيه المتَدَبِّرون، ويُقَدِّروا الكلامَ الذي يَقْتَضيه السياق، ولا يَأْخُذوا الأَمْرَ على ظاهِرِه.. وهذا معنى لا يُدركُه الفادي الجاهلُ، المحجوبُ عن القرآن.

ثامناً: حول القسم بالبلد الأمين:

الْتَبَسَ على الفادي الجاهلِ قَسَمُ القرآنِ بالبَلَدِ الأَمينِ مكةَ المكرمة، فَظَنَّ القرآنَ متناقضاً، لأنه لا يقسمُ به في موضع، ويُقسمُ به في موضعٍ آخر!.

فهم قولَه تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ نفياً للقَسَم به، واعْتَبَره مُناقضاً للقَسَمِ الصَّريح به في قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ [التين: ١ ـ ٤].

في سورةِ التينِ قَسَمٌ صريحٌ بالبَلَدِ الأَمين، حيثُ أَقْسَمَ اللهُ بأَربعةِ أَشْياء: التينِ والزيتونِ وطور سينين والبلدِ الأَمين. والمقسَمُ عليه الإِنسانُ، الذي خَلَقَه اللهُ في أَحسنِ تقويم، ثم رَدَّهُ أَسْفَلَ سافلين.

وفي سورةِ البلدِ قَسَمٌ أَيْضاً، لكنَّه قَسَمٌ بأُسلوبٍ آخر: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾. إنَّ هذا ليسَ نفياً للقَسَم كما فَهِمَه الفادي الجاهل، إنما هو توكيدٌ للقَسَم. و«لا» هنا ليستْ حرفَ نَفْيٍ في الحقيقة، إنما هي للتوكيد، من باب التلويحِ بالقَسَم. وكأنه يَقول: لا تجعَلْني أُقسمُ بهذا البلد، فالأَمْرُ أَوضَحُ مِن أَن يحتاج إِلى قَسَم. وهذا أَبلغُ في القَسَمِ مما لو قال: أُقسمُ بهذا البَلَد.

تاسعاً: حول المنافقين:

لم يُوَضِّح الفادي الجاهلُ: «التناقضَ التاسع» الذي سَجَّلَه على القُرآن، فَذَكَرَ عمودَيْن: الأَوَّل سَمّاه «النهيُ عن النفاق»، والثاني سَمّاه «الإِكراهُ على النفاق».

وسَجَّلَ في العمودِ الأَوَّلِ قولَه تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨ ـ ١٣٩].

كما سَجَّلَ قولَه تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٧ ـ ٦٨].

في هذه الآياتِ التي سَجَّلَها تَهديدٌ شديدٌ من اللهِ للمنافقين، ووعيدٌ لهم بالعذاب، وعرضُ بعضِ تصرفاتِهم وأَفعالِهم وأَقوالِهم القبيحة.

وسَجَّلَ في العمودِ الثاني الذي سَمّاهُ «الإِكراه على النفاق» قولَه تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

ولا حَديثَ في الآيةِ عن المنافقين، إنما تتحدَّثُ عن اليهودِ والنصارى، وكُفْرِهم بالله، ونسبتِهم إِلى الله الولد، مضاهاةً وتقليداً لأَقوالِ الكافرين من

قبلِهم. فكيف اعتبرَ الفادي الجاهلُ الآيةَ من بابِ «الإكراه على النفاق»؟! وما مقصودُه بهذا العنوان؟ هل يَقصدُ أَنَّ اللهَ يُكْرِهُ اليهودَ والنَّصارى على النفاقِ إكْراهاً، ويأْمُرُهم به أَمْراً؟ وهل الآيةُ تتحدَّثُ عن ذلك؟ لا أدري كيفَ يُفكرُ هذا الجاهل، وكيفَ ينتقدُ القرآنَ!!.

ثم سجلَ قولَه تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥]. والآيةُ لا تتحدثُ عن المنافقين، وإنما تتحدثُ عن إهلاكِ وتدميرِ السابقينَ من الكافرين.. فأَينَ الإكراهُ على النفاقِ في كلماتِ الآية؟!.

كلامُ الفادي الجاهلِ حولَ التناقضِ التاسع غيرُ واضح، فضلاً عن أنه باطل، لأَنه لا تَناقُضَ في القرآن، ولا تَناقُضَ بين الآياتِ التي زَعَمَ هو تناقُضَها.

عاشراً: بين النهي عن الهوى وإباحته:

افْتَرى الفادي المفتري على القرآن، وعلى رسولِ اللهِ ﷺ، وعلى المسلمين، فزعَمَ أَنَّ القرآنَ تناقَضَ بين تحريمِ الهوى وإباحتِه، وزعَمَ أَنَّ محمداً ﷺ كان يَتبعُ هواه وشهوتَه.

أَثنى اللهُ على الصالح الملتزم الذي نهى نفسَه عن هواها؛ قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١].

وبعدَ أَنْ أَوردَ المفتري الآيةَ زَعَمَ أَنَّ النبيَّ ﷺ كانَ أَوَّلَ مَنْ خالَفَها، لأَنه اتبعَ هواه، وأَباحَ ذلك لأَصحابه!!.

أ ـ قال المفتري: «أَباحَ محمدٌ لأَتْباعِه القيامَ بالغاراتِ الدينية، والدخولَ على الأَسيراتِ دونَ تطليقِهنَّ من أَزواجِهن، فقال: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٢٤].. قالَ البيضاوي: إِلّا ما ملكتْ أَيمانُكم من اللّاتي سُبينَ، ولهنَّ أَزواجٌ كُفار، فهنَّ حَلالٌ للسّابين، والزواجُ مرتفعٌ بالسَّبْي،

لقول أبي سعيدٍ ﷺ: أَصَبْنا سبايا يومَ أَوطاس، ولهنَّ أزواجٌ كُفّار، فكَرِهْنا أَنْ نقعَ عليهن، فسأَلْنا النبيَّ ﷺ فنزلت الآية فاستحلَلْناهُنَّ. وإِيّاهُ عنىٰ الفرزدقُ بقوله:

وذَاتُ حَليلٍ أَنكحَتْها رِماحُنا حَلالٌ لمنْ يَبْني بها لم تُطَلَّقِ»[١]

الفادي خَبيثٌ مُغرضٌ في قوله: «أَباحَ محمدٌ لأَتْباعِه القيامَ بالغاراتِ الدينية» لأَنه يَجعلُ الصحابةَ مجموعةً من العصاباتِ وقُطّاعِ الطرق، يُغيرونَ على الآمِنين المسالمين، ويَجعلُ الجِهادَ في سبيلِ الله سَلْباً ونَهْباً وقَطْعاً للطريق، مع أَنَّ الرسولَ ﷺ وأَصحابَه كانوا يُجاهدونَ في سبيلِ الله، ويُقاتلونَ المحاربينَ لهم ، والطّامِعين فيهم.

والفادي كاذبٌ مُفْتَرٍ في قولِه: «والدخولَ على الأَسيراتِ دون تطليقِهن من أَزواجهن»، فقال: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾!! ولم يَقُلْ ذلك أَيُّ مذهبٍ إسلامي، ولا أَيُّ عالمٍ مسلمٍ مُعْتَبَر.

الأَسيراتُ هُنَّ النساءُ الكافراتُ المحارِبات، اللّواتي يَخْرُجْنَ مع الرجال الكفارِ لحربِ المسلمين، وعندما تَنْتَهي المعركةُ بهزيمةِ الكفار، تَقعُ بعضُ أولئك النساءِ المحارباتِ في السَّبْي، فهنَّ سبايا، ولَسْنَ «أَسيرات» كما ادَّعى المفتري الفادي؛ لأَنَّ للأَسيرِ الكافرِ المحاربِ أَحكاماً خاصة، غيرَ أَحكامِ السبايا.

عندما يأخذُ المسلمون هذه النساءَ المقاتلاتِ سَبايا، ماذا يريدُ الفادي المفتري من المسلمينَ أَنْ يَتصرفوا معهنّ؟ هل يعيدونهنَّ إِلى الجيشِ الكافرِ مجنَّداتٍ فيه، ليَعُدْنَ إِلى حربِ المسلمين من جديد؟.

الإسلامُ اعتبرهنَّ سبايا، وبما أَنهنَّ ليس لهنَّ أَهْل، فلَنْ يُتْرَكْنَ «على رؤوسهن» في بلادِ المسلمين، يَنشرنَ الفاحشةَ والفساد، فلا بُدَّ أَنْ يُوَزَّعْنَ على المجاهدين، بحيثُ يُؤوي المجاهدُ السَّبِيَّةَ، ويتكفلُ بأُمورها وحاجاتِها.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٨٠.

وهذه السَّبِيَّةُ تكونُ مِلْكاً له، لأنه سيدُها والمسؤولُ عنها، ولذلك أَطْلَقَ عليها القرآنُ ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾، وهو يُلَبّي لها حاجاتِها الجنسيةَ بالإِضافةِ إِلى باقي حاجاتِها.

لكن متى يُعاشرُ المسلمُ سبيتَه؟ ليس بمجردِ حصولِه عليها، ولكنْ بعدَ أَنْ «تَحيضَ» حيضةً عنده، وذلك «لاستبراءِ» رَحِمها، لأَنَّ مجيءَ الدورةِ الشهريةِ لها معناهُ أَنها ليستْ حامِلاً من زوجِها الكافر، فإِنْ كانَتْ «حامِلاً» لا يُعاشِرها سيدُها إِلّا بعدَ ولادتِها.

وبهذا نعرفُ كَذِبَ الفادي المفتري عندما قال: «أَباحَ محمدٌ لأَتْباعِه الدخولَ على الأَسيرات دونَ تطليقهِن من أَزواجهنّ». فالمسلمُ لا يُعاشرُ أَمَتَه إِلّا بعدَ حيضَتِها. ومعلومٌ أَنَّ وُقوعَها في السَّبْيِ ـ وهي المحاربةُ للمسلمين ـ يُنهي علاقَتَها بزوجِها الكافر، ولا تَحتاجُ إِلى تطليقٍ منه!.

وهذا معنى كلامِ البيضاوي: «ما ملكتْ أَيمانُكم، من اللّاتي سُبينَ ولهنَّ أَزواجٌ كُفار، فهنَّ حَلالٌ للسّابين، والزواجُ مرتفعٌ بالسبي».

ونُزولُ الآيةِ في سَبايا «أَوطاس» كما ذَكَرَ البيضاويُّ صَحيح. روى مسلمٌ عن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أَنَّ أَصحابَ رسولِ الله ﷺ أصابوا سَبْياً يومَ أَوطاس، لهنَّ أَزواجٌ من أَهْلِ الشرك، فكانَ أُناسٌ من أَصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ كَفّوا وتَأَثَّموا من غِشيانِهنّ، فنزلَتْ هذه الآية.

وروى الترمذيُّ الحادثة بلفْظٍ آخر، عن أَبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه قال: أَصَبْنا سَبْياً من سَبْيِ أَوطاس، ولهنَّ أَزواج، فكَرِهْنا أَنْ نَقَعَ عليهنَّ ولهنَّ أَزواج، فسأَلْنا النبيَّ ﷺ، فنزلَتْ هذه الآية...

وكانتْ غَزوةُ أَوطاس في السنةِ الثامنةِ من الهجرة بعدَ غزوةِ حنين، وقد هُزِمَ فيها جيشُ المشركين، ووقعَتْ بعضُ المشركاتِ المحارباتِ في الأَسْر، فأَخذهنَّ المسلمون سبايا، ووَزَّعَهُنَّ رسولُ اللهِ ﷺ على المجاهدين، وكان بعضُهنَّ متزوجاتٍ من المشركين، فتحرَّجَ بعضُ المسلمين عن معاشرتِهن، ولما

سألوا رسولَ اللهِ ﷺ أباحَ لهم معاشرتَهن، وأنزلَ اللهُ الآيةَ في إباحةِ ذلك، وهذا بعدَ استبرائِهن، بأَنْ تَحيضَ الأَمَةُ عند سيدِها حَيْضَة، ويَثبتَ له عدمُ حَمْلِها.

ومعنى هذا أَنَّ وُقوعَ الكافرةِ المقاتلةِ في السَّبْيِ يُنهي زَواجَها من زوجِها الكافر، لكنها لا تَحِلُّ لسَيِّدِها إلّا بعدَ استبرائِها وحيضِها عندَه. ولذلك قال ابنُ كثيرٍ في تفسير الآية: «إلّا ما ملكَتْ أَيْمانُكم: إلّا ما ملكْتُموهن بالسَّبْي، فإنه يَحِلُّ لكم وَطْؤُهنَّ، إذا استبرأْتُموهن»[1].

وبهذا نعرفُ أَنَّ ما فعلَه الصحابةُ بالسبايا يومَ أَوطاس اتِّباعٌ لشرعِ الله، وليس اتِّباعاً للهَوى، كما زَعَمَ المفْتري! وكان الصحابةُ مُحاربينَ لأَهوائِهم، نَهوا نُفوسَهم عن الهوى، كما أَمَرَهم الله سبحانه.

ب ـ افترى الفادي على رسولِ اللهِ ﷺ، عندما قالَ: إنه كانَ مُتَّبِعاً لهَواه وشهوتِه؛ وذلك في قولِه الفاجر: «أَباحَ محمدٌ الزواجَ بأَيِّ مَنْ تَهواهُ ويَهْواها، بلا قَيْدٍ أَوْ شَرط، فوقَ زوجاتِه العديدات، وفوقَ ما ملكَتْ يمينُه، فقال: ﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ﴾ [الأحزاب: ٥٠]».

زعمَ الفادي أَنَّ القرآنَ من تأليفِ وكلامِ محمدٍ ﷺ، وليس وحياً من عندِ الله، ولذلك نَسَبَ الآيةَ من سورةِ الأَحزابِ إليه، وليسَ إلى اللهِ، وأَسندَ الحكمَ الذي فيها إليه، وليسَ إلى الله، فقال: أَباحَ محمدٌ لنفسِه الزواج...

وانظرْ إلى وقاحَتِه وسوءِ أَدبه وفجورِه، وهو يتكلَّمُ عن رسولِ الله ﷺ: «أَباحَ محمدٌ الزواجَ بأَيِّ مَنْ تَهواهُ ويَهْواها بلا قَيْدٍ أَو شَرْط...». ونُنزهُ حبيبَنا محمداً ﷺ عن هذا الكلامِ السوقيِّ الساقط، فكيفَ يُتَّهَمُ بأَنه يَهوىٰ ويَعشقُ امرأةً ليستْ زوجاً له؟ وكيفَ تَهواهُ وتعشقُه امرأةٌ أَجنبيةٌ عنه؟!.

وما أَباحَتْه الآيةُ له ليس اتِّباعاً للهَوى والشهوة، إنما هي حالَةٌ خاصة،

---

(١) تفسير ابن كثير: ١/٤٤٨.

في امرأةٍ خاصةٍ واحدة، لم تتكرَّر له ولا لغيره: ﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ﴾.

روى البخاريُّ ومسلمٌ عن سهلِ بنِ سعدٍ الساعديِّ ﷺ قال: إني لفي القوم عندَ رسولِ اللهِ ﷺ إذ قامت امرأةٌ، فقالَتْ: يا رسولَ الله! إنها قد وَهَبَتْ نفسَها لك، فَرَ فيها رأيك. فلم يُجبْها شيئاً. ثم قامت فقالَتْ: يا رسولَ الله! إنها قد وَهَبَتْ نفسَها لك، فَرَ فيها رأْيك. فلَم يُجبْها شيئاً. ثم قامت الثالثةَ فقالَتْ: إنها قد وهبَتْ نفسَها لك، فَرَ فيها رأْيكَ. فقامَ رجلٌ فقالَ: يا رسولَ الله: أَنْكِحْنِيها. فقال: هل عندَك من شيء؟. قال: لا. قال: اذهَبْ فاطلُبْ ولو خاتَماً من حديد. فذهَبَ وطَلَبَ، ثم جاءَ فقال: ما وجدْتُ شيئاً، ولا خاتَماً من حَدِيد! قال: هل معكَ من القرآنِ شيء؟. قال: معي سورةُ كذا وسورةُ كذا. قال: أَنْكَحْتُكَها بما مَعَك من القرآن!».

هذه المرأةُ وهبتْ نفسَها للنبيِّ ﷺ، بمعنى أنها فَوَّضَتْ أَمْرَها إِليه، لأَنه إمامُ المسلمين، وهو أَوْلى بهم من أَنفسِهم، وصَرَّحَ القرآنُ بذلك، قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ [الأحزاب: ٦].

عندما فَوَّضَتْ أَمْرَها إليه قالَتْ له: فَرَ فيها رَأْيَك! وليس معنى هذا أَنها رَمَتْ نفسَها عليه، وأَنها هَوِيَتْه وعشقَتْه، وطلبَتْ منه أَنْ يتزوَّجها، إنما فوَّضَتْه في التصرُّف المناسب، وأَعادَتْ عليه الكلامَ ثلاثَ مرات، فطلبَ رجَلٌ من المسلمين أَنْ يُزَوِّجَه إِياها، لأَنه وَليُّ أَمْرِها، فطَلَبَها منه كما يطلبُ أَيُّ خاطبٍ البنتَ من أَبيها، فزوَّجها له بما معه من القرآن!.

أَينَ هذا من اتِّهامِ الفادي المفتري الرسولَ ﷺ بالهوى والشهوةِ، وهو لم يتزوَّجْ تلك المرأة، إنما زَوَّجَها لأَحَدِ أَصْحابه؟.

جـ ـ استدلَّ الفادي المفتري على أَنَّ المسلمينَ مُتَّبعون لأهوائِهم وشهواتِهم: بأَنَّ النبيَّ ﷺ وَعَدَهم بالاستمتاعِ الجنسيِّ بالحورِ العينِ في الجنة! قال: «كما أَنَّ محمداً جعلَ نِكاحَ النساءِ أَمَلَ المستقبلِ في الجنة، فقال: ﴿حُورٌ

﴿مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ .. لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ .. مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ [الرحمن: ٧٢، ٧٤، ٧٦]».

الفادي وأَهْلُ مِلَّتِه يُؤْمنون بأَنَّ نَعيمَ الجنةِ معنويّ وليس ماديّاً، فليس في الجنةِ طَعامٌ ولا شرابٌ ولا استمتاعٌ بالنساء! ولذلك اعتبرَ حديثَ القرآنِ عن نساءِ الجنةِ من بابِ إِغراءِ المسلمين بذلك، لأَنهم مُتَّبِعون للهوى.

أَما نحنُ المسلمين فإِنَّنا نؤمنُ أَنَّ نعيمَ الجنةِ مادّيّ ومعنوي، ففيها طَعامٌ وشَرابٌ واستمتاعٌ بالنساء، وفيها قُصورٌ وأَثاث، وأَرائكُ ولباس، وفيها بساتينُ وجنات، وفيها فوقَ هذا كُلِّه رضوانٌ من اللهِ عليهم، وسَعادَةٌ غامرةٌ تملأُ حياتَهم؛ قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١].

وهم لم يَدْخُلوا الجنةَ إِلّا بعدما صَدَقوا مع اللهِ في الدنيا، وأَحسنوا عبادَتَه، ونَهوا نُفوسَهم عن الهوى والشهوةِ في الدنيا؛ قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١].

أحد عشر: التناقض في الخمر بين الحل والحرمة:

كيفَ حَرَّمَ اللهُ الخمرَ في الدنيا، وأَباحَها للمؤمنين في الجَنَّة؟ اعتبرَ الفادي هذا تَناقُضاً في القرآن.

ذَكَرَ الآيَةَ التي حَرَّمت الخمرَ في الدُّنيا؛ وهي قولُ اللهِ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

وذكَرَ مُقابِلَها الآيَةَ التي أَباحت الخمرَ في الآخرة، وهي قولُ اللهِ ﷻ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ ...﴾ [محمد: ١٥]. وذكر بجانبها قوله تعالى عن شرب المؤمنين الخمر في الجنة، وهي قوله تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٥ ـ ٢٦].

ولا تَناقُضَ بين حديثِ القرآنِ عن حرمةِ الخمرِ في الدنيا وإباحتِها في الآخرة، لأنَّ خمرَ الدنيا ليستْ كخمر الجنّة. خمرُ الدنيا من أَسلحةِ الشيطانِ في إغواءِ وإفسادِ الناس، وإيقاعِ العَداوةِ والبغضاءِ بينهم؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١].

وخمرُ الدنيا تذهبُ بعقولِ شاربيها، فعندما يَسكرونَ يَفقدونَ السيطرةَ على أَقوالِهم وأَفعالهم، ولذلك حَرَّمَها اللهُ على الناس.

وخمرُ الجنة منزهةٌ عن هذه العيوبِ والمفاسد، فلا سُلطانَ للشيطانِ عليها في الجنة، وهي لا تَغتالُ عُقولَ شاربيها المؤمنين؛ قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات: ٤٥ ـ ٤٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطور: ٢٢ ـ ٢٣].

فالخمرُ السيئةُ التي حَرَّمَها اللهُ في الدنيا أُمُّ الخبائث، وهي غيرُ الخمرِ الطيبةِ التي أَباحَها اللهُ للمؤمنينَ في الجنة. فلا تَناقُضَ بين حرمةِ هذه وإباحةِ تلك!!.

ثاني عشر: بين النهي عن إيذاء الكفار والأمر بقتالهم:

زَعَمَ الفادي الجاهلُ أَنَّ القرآنَ مُتناقضٌ في حديثِه عن الكافرين، وفي توجيهِ المسلمين إلى كيفيةِ التعاملِ معهم، فأَوردَ خمسَ آياتٍ تَنْهى عن إيذاءِ الكفار، وتأمرُ المسلمين بحسنِ معاملتِهم، وأَوردَ في مقابِلِها خمسَ آياتٍ تتناقضُ معها، وتأمرُ المسلمينَ بقتالِ الكفارِ وقَتْلِهم:

أ ـ نهى اللهُ النبيَّ ﷺ عن إيذاءِ الكفار؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٨].

الآيةُ محكَمة، وهي تَنهى عن إيذاءِ الكافرين والمنافقين، صَحيح، لكن مَنْ هم الذينَ تَنهى الآيةُ عن إيذائِهم، إنهم الكافرونَ والمنافقونَ الذين لا

يُؤذونَ المسلمين، ولا يَتآمرون عليهم، ولا يُحاربونَهم، وإنما هم مُوادِعون مُسالِمون ساكتون، ومن المعلومِ أَنَّ إِيذاءَ المسالِمِ الساكنِ عدوانٌ عليه، وهذا محرمٌ في الإِسلام.

ولا ننسى أَنَّ الآيةَ التي نهتْ عن إِيذاءِ الكافرين والمنافقين، نَهَتْ أَيْضاً عن طاعتِهم ومتابعتِهم وموافقتِهم على باطلِهم، ولا بُدَّ أَنْ نجمعَ بينَ جملتي الآية، ولا يَجوزُ أَنْ نُلغيَ الجملةَ الأُولى ونُبقي الجملةَ الثانية: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾.

ب ـ أَوردَ الآيةَ التي تَنْهى عن الإِكراهِ في الدين؛ قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

تَنهى الآيةُ إِكْراهَ أَي كافرٍ على الدخولِ في الدينِ الإِسلامي، لأَنَّ الدخولَ في الإِسلامِ لا بُدَّ أَنْ يكونَ عن اقتناعٍ. لكن لا يعني هذا أَن لا نَدْعوه للإِسلام، فلا بُدَّ أَنْ نُفرقَ بين الدعوةِ والإِكراه... يَجبُ علينا أَنْ نَدعوَ كُلَّ كافرٍ للدخولِ في الإِسلام، مهما كان دينه، لأَن الإِسلامَ دعوةٌ للعالمين جميعاً. وعندما نوجِّهُ له الدعوةَ نكون قد أَدَّيْنا الواجبَ الذي علينا، فإِن استجابَ للدعوة واعتنقَ الإِسلام، فازَ وأَفْلح، وإِنْ رفضَ الدعوةَ وأَصَرَّ على كفره كان من الخاسرين، ونحن لا نُكرهُه على الإِسلام، ولا نُؤْذيه لِكفرِه طالما هو متوقِّفٌ عن إِيذائِنا، فإِنْ آذانا دَفَعْنا الإِيذاء.

جـ ـ أَوردَ الآيةَ التي تُرشدُنا إِلى مساعدةِ الكفار مالياً؛ قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

ليسَ علينا هدى الكفار، لكن بَعْدَ أَنْ نُوَجِّهَ لهم الدعوةَ، ونُقدمَ لهم المساعدةَ الماليةَ إِذا كانوا محتاجين، وهٰذا بعدَ أَنْ يُعْلِنوا خُضوعَهم لسلطانِ

المسلمين، بدفعِ الجزية، ويَكُفّوا أَيديهم عن إِيذاءِ المسلمين.

ومن روائع ما يُروىٰ عن أَميرِ المؤمنين عمرَ بنِ الخطاب ﷺ أنه رأى نصرانياً عَجوزاً هَرِماً محتاجاً، فأَمَرَ بإِعطائِه مساعدةً من بيتِ مالِ المسلمين، وقال: ما رحِمْنا الرجلَ إِذا أَخَذْنا منه المال ـ الجزية ـ شابّاً، وتخلَّينا عنه وهو هَرِم!.

د ـ زَعَمَ الفادي أَنَّ اللهَ أَمَرَ المسلمينَ بتَرْكِ الكفارِ وشأْنهم، واستدلَّ على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠].

وهذا استدلالٌ باطلٌ، فإِنَّ الآيةَ صريحةٌ في دعوتِهم للدخولِ في الإِسلام؛ قال تعالى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ﴾.

إنه لا يتركُهم وشأْنَهم، وإِنما يُحاجِجُهم ويُحاجّونَه، ويُكَلِّمُهم ويُكَلِّمُونَهُ، فإِنْ لم يَسْتَجيبوا له صارحَهم بإِسْلامِه، وهو يَدْعوهم دعوةً صريحةً للدخولِ في الإِسلام: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ﴾.

فإِنْ رَفَضوا الدعوةَ وأَصَرّوا على الكفر، أَيْقَنّا أَنهم كافِرون خاسِرون هالِكون، وإِنْ كَفُّوا أَيديَهم عن إِيذائِنا تَرَكْناهم وشأْنهم.

واستدلَّ أَيضاً على تركِ الكافرين بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ١٠٧].

وهذا استدلالٌ باطلٌ أيضاً، لأَنَّ الرسولَ ﷺ مأمورٌ بتبليغِ الكفارِ الدعوة، وإِقامةِ الحجةِ عليهم، فإِنْ رَفَضوا الدعوةَ تركَهم وشأْنَهم، ويكونُ قد قامَ بواجبِه، ولم يجعَلْه اللهُ حَفيظاً ولا وكيلاً عليهم، ولم يأمُرْه بقذْفِ الإِيمانِ في قلوبِهم، لأَنَّ هذا بيدِ الله.

واستدلَّ الفادي الجاهلُ أَيضاً على وجوبِ تركِ الكافرين وشأْنهم بقوله

تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [يونس: ٩٩ ـ ١٠٠].

لا تَنفي الآيةُ وُجوبَ دعوةِ الكفارِ للإسلام، فإنّ هذا واجبٌ على الدعاةِ، إنما تَنفي إكراهَ الكفارِ على الإيمان، لأنه لا إكراهَ في الدينِ، وبعدَ تبليغِ الدعوةِ وإقامةِ الحجةِ يُتْرَكُ الكفارُ وشأنهم.

هـ ـ أمَرَ اللهُ المسلمين بدعوةِ الكفارِ إلى سبيلِ اللهِ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة، وأوردَ الفادي قولَه تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

والآيةُ محكمة، وتوضحُ لنا أُسلوبَ الدعوة، وكيفيةَ التعاملِ مع الآخَرين، وتقديمِ الدعوة لهم، وإقامةِ الحجةِ عليهم.

وأوردَ الفادي المفتري خمسَ مَجموعاتٍ من الآياتِ، اعْتَبَرَها متناقضةً مع المجموعاتِ السابقة، ولذلك اتهمَ القرآنَ بالتناقض.

١ ـ أمَرَ اللهُ النبيَّ ﷺ بتحريضِ المؤمنين على قِتالِ الكافرين، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ﴾ [الأنفال: ٦٥].. واعتبرَ الفادي الآيةَ متناقضةً مع الآيةِ التي تَنْهى عن إيذاءِ الكافرين، وهي قولُه تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [الأحزاب: ٤٨].

ولا تَناقُضَ في الحقيقةِ بينَ النهيِ عن إيذاءِ الكافرين، والأمْرِ بالتَّحريضِ على قِتالِهم، لأنَّ الكفارَ نوعان: النهيُ عن الإيذاءِ ينطبقُ على نوعٍ من الكفار، وهم الكفارُ المسالمونَ المحايدون، الذين لا يَتآمرونَ على المسلمين ولا يُحاربونهم. أمَّا الأمْرُ بقتالِ الكفارِ فإنه ينطبقُ على نوعٍ آخرَ من الكفار، وهم الذين يَتآمَرونَ على المسلمين ويُحاربونَهم، ويَطْعَنونَ في دينِهم، ويَمنعونَ دعوتَهم، ويَفْتِنون الناسَ عن الإسلام.

٢ ـ لا تَناقُضَ بين قولِه تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وبينَ قولِه تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٩٣]. تمنعُ الآيةُ الأُولى إجبارَ الكفارِ على اعتناقِ الإسلام، لأَنَّ الإسلامَ لا يَقبلُ الإكراهَ والإجبار، ولا بُدَّ من أَنْ يَقتنعَ الإنسانُ بالإسلامِ قناعةً خاصّة، ينتجُ عنها اعتناقُه الإسلام، ولكنَّ عَدَمَ إكراهِهم على اعتناقِ الإسلام لا يُلْغي وُجوبَ دعوتِهم للدخولِ فيه، فعلى الدعاةِ أَنْ يَدعوهم لهذا الدين، لأَنه رسالةٌ عالمية، ودينُ اللهِ للعالَمين جَميعاً، فإِنْ رَفَضوا الدعوةَ وأَصرّوا على كفرِهم تركْناهم وشأْنَهم، وحسابُهم عند اللهِ، على أَنْ يَخْضَعوا لسلطان المسلمين.

فإِذا وَقَفَ الكفارُ أَمامَ الدعاة، ومَنَعوهم من أَداءِ واجبِ الدعوةِ، وفتنوهم وآذوهم وعَذَّبوهم واضطهدوهم، كانوا هم المعْتَدين الظالمين، وعند ذلك أَباحَ لنا اللهُ مواجَهَتهم، وأَمَرَنا بقتالِهم، والدفاعِ عن الناسِ المعَذَّبين المفتونين الذينَ تحتَ سُلطانِهم! وإِذا تَركوا الدعاةَ يَدْعونَ ويتحركون، ولم يَتَعَرَّضوا لهم بفتنةٍ ولا إِيذاء ـ وهذا نادراً ما يحصلُ من الكفار ـ فإِنهم لا يُقاتَلون.

٣ ـ لا تَناقُضَ بين تقديمِ الأَموالِ والمساعداتِ للكفار، الذي أَشارَ له قولُه تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وبينَ الأَمرِ بقتالِهم حتى يَدفعوا الجزيةَ، الذي وَرَدَ في قولِه تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]. فإِنَّ القتالَ مُوَجَّهٌ للكفارِ المقاتلينَ المحاربينَ المعتدينَ على المسلمين، المتآمِرين عليهم، وهم يُقاتَلونَ لأَنهم هم البادئونَ بالعُدوانِ والقتال، والبادئُ أَظلم.. فإِذا هُزِمَ الكفارُ المقاتِلون فلا بُدَّ أَنْ يَخْضَعوا لسلطانِ المسلمين، ويَعْتَرفوا بقوّتهم، والدليلُ على ذلك دفعُ الجزيةِ لهم، وهذه الجزيةُ على القادرين منهم، يَدْفعونَها للمسلمين مقابلَ حمايتِهم لأَنفسِهم ودمائِهم وأَموالِهم، ودفاعِهم عنهم.

وإذا كان هؤلاء الكفارُ المسالمونَ مُحتاجين إلى المال، وَجَبَ على المسلمين تَقديمُ المساعدةِ لهم، وهم مأجورونَ على ذلك: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾.

٤ ـ لا تناقُضَ بين تركِ الكفار وشأنِهم الذي قد يُؤخَذُ من قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٩٩ ـ ١٠٠]، ولا بين ملاحقتِهم والأمْرِ بقتالِهم، الذي وَرَدَ في قولِه تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ٨٩].

إنَّ تركَهم وشأْنَهم يكونُ بعد تقديم الدعوةِ الإسلاميةِ لهم، وإقامةِ الحجةِ عليهم، فإنْ أَصرّوا على كُفْرِهم، تَركَهُم المسلمون وشأْنَهم، بشرطِ أَنْ لا يَتآمروا على المسلمين، ولا يَقِفوا أَمامَ دينِهم، ولا يَطْمَعوا فيهم، وهذا ما تُقرره آيةُ سورةِ يونس.

أَما إذا تآمَرَ الكفارُ على المسلمين، وحارَبوهم، أَو فَتَنوهم عن دينهم، ونَشَروا بينهم الكفرَ والفساد، فإنهم يكونونَ مُعْتَدين على المسلمين، وعند ذلك يُقاتِلُ المسلمون هؤلاء الكفارَ المُعْتَدين الظالمين، وهذا ما تصرحُ به آيةُ سورةِ النساء، فهي تتحدثُ عن صنفٍ خاصٍّ من الكفار، وهم الذين قالَتْ عنهم: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾. إنهم يَحرصون على كفرِ المسلمين، ويَنشرونَ بينهم الكفر والانحراف، ليستووا معهم، فإن لم يَتوقَّفوا عن هذا العدوان وَجَبَ على المسلمين قِتالُهم وأَخْذُهم: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾.

٥ ـ لا تَناقُضَ بين وُجوبِ دعوةِ الكفارِ بالحسنى، الذي وَرَدَ في قولِه تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، وبينَ الأَمْرِ بقتالِهم، الذي وَرَدَ في قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ

﴿إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ [النساء: ٨٤].

إنَّ الدعوةَ هي أولُ ما يُوَجَّهُ إلى الكفار، وهي لا تَكونُ إلّا بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة، فإنْ رَفَضوا الدعوة، وقاموا بقِتالِ المسلمين وَجَبَ على المسلمين قِتالُهم لأنهم معتدون ظالمون.

وكم كان الفادي مُفْتَرِياً عندما اعتبرَ قِتالَ الكفارِ المقاتِلينَ دعوةً بالسيف، علماً أنَّ السيفَ لم يكنْ يوماً أُسلوباً من أساليبِ الدعوةِ إلى الإسلام، لأنه يَهدفُ إلى تحطيمِ قوةِ الكفارِ العسكرية، التي يُحارِبونَ بها الإسلام والمسلمين، ويَحرمونَ شعوبَهم من نورِ الإسلام، وعندما يَتحققُ هذا الهدفُ بالقتالِ وتَتحطمُ قوةُ الكفارِ العسكرية، ويَخضعونَ لسلطانِ المسلمين، يتوقَّفُ المسلمونَ عن قتالِهم وقَتْلِهم، ويتوجَّهون إلى شعوبِهم بالدعوة، التي لن تكونَ إلّا بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة.

وكان الفادي كاذباً على رسولِ اللهِ ﷺ، عندما قالَ عنه: «لهذا فَتَكَ محمدٌ بمعارضيه في الدين، مثلُ كَعْبِ بنِ الأَشْرَفِ، وأَبي عَفْك، وأَبي رافعِ بنِ أَبي عَقيق»(١).

إنه لا يُحسنُ قراءةَ الأسماء، فالثاني ليس «أَبا عَفْك الشيخ»، وإنما هو «ابنُ أَبي عَفْك»، والثالث ليس: «أَبا رافع بنِ أَبي عَقيق»، وإنما هو: «أَبو رافع بنُ أَبي الحقيق».

ولقد أَمَرَ رسولُ اللهِ ﷺ بقَتْلِ هؤلاءِ الثلاثة ـ وآخرينَ غيرِهم مَعْروفين في كتبِ السيرة ـ ليس لأَنَّهم كُفارٌ مُعارِضونَ له في الدين، فقد كان كُفارٌ كَثيرون يُعارضونَه في الدِّين، ويَسْتَحِبّونَ الكفرَ على الإيمان، ومع ذلك لم يَقْتُلْهم، وكان منهم منافقون مثلُ عبدِ الله بن أُبَيّ، وكان منهم يهودٌ مثلُ كَعْبِ بنِ أَسَد، زعيمِ يهودِ بني قريظة، الذي عَقَدَ معه رسولُ اللهِ ﷺ عَهْداً، ومثلُ حُيَيِّ بنِ أَخْطَب زعيمِ يَهودِ بني النضير، الذي عَقَدَ معه رسولُ الله ﷺ عهداً آخر.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٨٢.

قَتَلَ رسولُ اللهِ ﷺ هؤلاء الكفارَ الثلاثة: ابنَ الأشرف، وابنَ أبي عفك، وابنَ أبي الحقيق، لأنهم تآمروا على المسلمين، وجَيَّشوا الجيوشَ ضدَّ المسلمين، وحَرَّضوا الآخرين على قتالِهم، وشَنّوا على المسلمينَ حَرْباً إعلاميةً شَعْواء، وبذلك كانوا مُعْتَدين، فَقَتَلَهم لعدوانِهم وليس لمجرد كفرِهم، كذلك قَتَلَ ابْنَ أخطب وابْنَ أَسَد لأنهما نقضا عَهْدَهما معه، وحارَباه مع جنودِ الأحزاب[1].

ثالث عشر: هل نجا فرعون أم غرق؟:

زَعَمَ الفادي الجاهلُ أَنَّ القرآنَ تَناقَضَ في حديثِه عن نهايةِ فرعون، فذكَرَ في سورتي الإسراءِ والقَصصِ أنه غَرِقَ مع جنودِه في اليَمّ، وذَكَرَ في سورةِ يونس أَنَّ اللهَ نَجّاه ببدنِه.. فهل نَجا أَمْ غَرِق؟!.

كانَ القرآنُ صَريحاً في إخبارِه عن غَرَقِ فرعونَ مع جنودِه، وأوردَ الفادي آيتَيْن صريحتَيْن بذلك، هما: قولُه تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾ [الإسراء: ١٠٣]. وقولُه تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٤٠].

والآيةُ التي لم يَفهم الفادي مَعْناها لجهْلِه، فاعْتَبرَها إخباراً عن نجاةِ فرعونَ من الغرقِ هي قولُه تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٩٠ ـ ٩٢].

دليلُ عدمِ موتِ فرعونَ ونجاتِه من الغرقِ في نظرِ الفادي الجاهلِ جملَةُ: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾، أَيْ: أَنَّ اللهَ أَنْقَذَهُ من الغرق، ونَجّاه ببدَنِه وروحِه،

---

(١) انظر قصة قتل اليهوديَّيْن: كعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق، في كتابنا: «صور من جهاد الصحابة»، دار القلم ـ دمشق.

وعادَ إلى شعبه مَلِكاً عليهم! وهذا فهمٌ خاطئ يَدُلُّ على جهلِ الفادي بلغةِ القرآن.

تتحدَّثُ آياتُ سورةِ يونس عن اللحظاتِ الأخيرةِ من حياةِ فرعون..

لما لحقَ فرعونُ وجنودُه موسى ﷺ وأتْباعَه، وأنْجى اللهُ موسى ومَنْ معه، ودَخَلَ فرعونُ وجنودُه الطريقَ اليَبَسَ في البحر، أَطبقَ اللهُ عليهم البحر، وصاروا تحتَ الماء، فأَهلكهم الله.

أمّا فرعونُ فلم يكتفِ القرآنُ بذكْرِ وفاتِه، وإنما ذَكَرَ اللحظاتِ الأخيرةَ من حياتِه، قبلَ خروجِ روحِه، وذِكْرِ ماذا قالَ وماذا قيلَ له.. أَطبقَ اللهُ عليه الماءَ، وصارَ هو تحتَ الماء، ولما أَدركَه الغرقُ وأَحاط به من كُلِّ جانب، وأَيقنَ بالموت، أَعلنَ إيمانَه بالله، الذي حارَبه وهو في قمةِ مُلْكِه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾.

وكان بجانِبه الملائكةُ الموكَّلون بقبضِ روحه، وسَمعوهُ وهو يُعلنُ إيمانَه، وأَحبّوا أَنْ يُشْعِروهُ بخسارتِه، ليزدادَ نَدماً وخِزْياً قبلَ موتِه، فأَمرهم اللهُ أَنْ يقولوا له: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٩١ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ ..﴾.

والمعنى: آلآنَ أَعلنتَ إيمانَك يا فرعون؟! لقد جاءَ إيمانُك متأَخِّراً، ولو جاءَ في وقتِه المناسبِ لقُبِلَ منك، أَما الآنَ فإنه لَنْ يُقبلَ منك، وستموتُ تحتَ الماء، وسنُنَجيك ببدنِكَ بعدَ خروجِ روحِك، ولن يَسقطَ بدنُك في قاعِ البحر، ولن يكونَ طعاماً للسَّمك، وسنأْمُرُ موجَ البحرِ أَنْ يَقذِفَك على شاطئ البحر، وسيَرى الناسُ بدنَك الهامدَ على الشاطئ، فتكونُ لمن خَلْفَك آيةً وعبرة، ودلالةً على أَنك مخلوقٌ ضعيف، ولستَ إلهاً وربّاً للناس.

ونجّى اللهُ بَدَنَ فرعونَ بعدَ خروجِ روحِه وموتِه، ولم يَسقطْ بدنُه في قعرِ البحر، ولم تبتلِعْه الأَسماك، وأَمرَ الموجَ أَنْ يقذفَه على الشاطئ، ومَرَّ به رجالُ دولتِه، وشاهَدوه جُثَّةً هامدة، وأَيْقنوا أَنه ماتَ تحتَ الماء، وأَنَّ بَدَنه

على الشاطئ، أَخذوه وحَنَّطوه، ووَضعوهُ فِي تابوتِهِ، ودَفَنُوهُ في مدافنِ الملوكِ في وادي طيبةَ عاصمتهم. واكتشفَ علماءُ الآثارِ جُثَّتَه، واسْتَخْرَجوها من المدافن، وعُرِضَتْ في متحفِ الآثار، وأبقى اللهُ جثةَ فرعونَ آيةً على مدارِ القرون، وما زالتْ آيةً تنشرُ دروسَها وعِبَرَها بعد مرورِ آلافِ السنين على موتِ صاحبِها!.

وبهذا نعرفُ التوافقَ بين قولِه تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾، وقوله تعالى: ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾.

رابع عشر: السماء والأرض أيهما خلقت أولاً؟:

زَعَمَ الفادي الجاهلُ أَنَّ القرآنَ مُتناقضٌ في حديثِه عن خَلْقِ السماءِ والأرض، ففيه آياتٌ تُخبرُ أَنَّ الأَرضَ خُلِقَتْ أَوّلاً، وفيه آياتٌ تُخبرُ أَنَّ السماءَ خُلقتْ أَوّلاً. فأيهما خُلقتْ أَوّلاً؟.

سَجَّلَ الفادي آياتٍ من سورةِ فُصِّلَتْ، على أَنَّ اللهَ خلقَ الأَرضَ أَوّلاً. قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩ ـ ١٢].

وسجلَ مقابلَها آياتٍ من سورةِ النازعات، على أَنَّ اللهَ خلقَ السماءَ أَوّلاً. قال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات: ٢٧ ـ ٣٣].

وانطلاقاً من القاعدةِ اليقينيةِ من أنه لا تَناقُضَ في القرآن، فمن الواجبِ إِمعانُ النظرِ في هذه الآيات، والجمعُ بينها، وإِزالةُ التناقضِ الظاهريِّ عنها.

توحي لنا آياتُ القرآنِ على أَنَّ خَلْقَ السمواتِ والأَرضِ كان على مرحلتَيْن:

المرحلة الأولى: خَلْقُهما خَلْقاً أَوَّلِيّاً، بدون تفصيلٍ أو تَقْدير. خُلقت السماءُ أَوّلاً، ثم الأَرضُ بعد ذلك، وهذا ما أَخبرتْ عنه آياتُ سورةِ النازعات، فهي صريحةٌ في أَنَّ اللهَ خَلَقَ السماء أَوّلاً: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾؟.. ثم خَلَقَ الأَرضَ بعد ذلك: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾.

المرحلة الثانية: تقديرُ وتَفصيلُ وترتيبُ السمواتِ والأرض. وكانَ هذا في الأَرضِ أَوّلاً، ثم صارَ في السماءِ بعد ذلك، وهذا ما أَخبرتْ عنه آياتُ سورةِ فصلت. فاللهُ خَلَقَ الأَرضَ في يومين: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ وفَصَّلَها وقَدَّرَها، وجعلَ فيها جبالَها وأَنهارَها، وقَدَّرَ فيها أَقواتَها، في يومَيْن آخرين، فكانَ مجموعُ خَلْقِ الأَرض أَربعةَ أَيام: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾.

وبعدما تَمَّ تَفصيلُ وتَرتيبُ خَلْقِ الأَرضِ، استوى اللهُ إِلى السماء، فسوّاهُنَّ سبعَ سمٰوات، وذلك في يومين: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾.

ويمكنُنا أَنْ نقولَ في ترتيبِ خَلْقِ السمٰواتِ والأَرض: السماءُ، ثم الأَرض. وأَنْ نقولَ في تفصيلِ خلْقِهما: الأَرضُ، ثم السماءُ... أَيْ: سماء، أَرض.. ثم: أَرض، سماء..

خامس عشر: هل القرآن محكم أو متشابه؟:

زَعَمَ الفادي الجاهلُ أَنَّ القرآنَ متناقضٌ في إِخبارِه عن طبيعتِه، فأَخبرَ أنه مُحْكَمٌ مُبينٌ واضح، وأَخبرَ في موضعٍ آخرَ أنه متشابه!.

سَجَّلَ آيةً تُخبرُ أَنَّ القرآنَ مُبين، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

وسَجَّلَ مقابلَها آيةً تُخبرُ أَنَّ القرآنَ متشابه، وهي قولُه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ

زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

إنَّ الذي يُقابلُ التشابهَ هو الإحكامُ وليسَ الإبانة، فنقول: هو مُحْكَم، في مقابلِ قولِنا: هو مُتَشابه. فَوَضْعُ الفادي «المبينَ» مقابل «المتشابه» دَليلُ جهلِه باللغةِ العربيةِ ومصطلحاتِ القرآن.

فالقرآنُ كُلُّه مُبين، أَيْ: كُلُّهُ واضحٌ ظاهرٌ مفهومٌ بَيِّنٌ للناس.

أما الإحكامُ فهو الإتقانُ والإجادةُ والدقة، وحُسْنُ الترتيبِ والتفصيل، والقرآنُ كُلُّه مُحْكَمٌ مُتقنٌ مفصَّلٌ بهذا الاعتبار؛ قال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [هود: ١ ـ ٢].

وأَمّا التشابهُ فهو التماثلُ والتَّساوي؛ يقال: فُلانٌ يُشْبِهُ فُلاناً؛ أَيْ: هو يُماثلُه ويُساويه، فَهما مُتَماثِلان مُتَشابهان. والقرآنُ كُلُّه متشابهٌ بهذا المعنى، لأَنَّ سُوَرَهُ وآياتِه متماثلة، متساويةٌ في الوضوحِ والبيان، والفصاحةِ والبلاغة، وفي الدلالةِ على أنها من عندِ الله. وصَرَّحَ القرآنُ بأَنه كُلَّه متشابهٌ بهذا المعنى للتشابه؛ قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

وللتّشابهِ معنى آخر هو: الاشْتِبَاه، بمعنى أَنَّ القارئَ يَقَعُ في اشتباهٍ وشُبْهَة، ويَختلطُ عليه الأَمْرُ، ويَلتبسُ عليه المعنى، بسببِ لَبْسٍ في الكلامِ الذي أَمامه، وغُموضٍ في معناه.

وفي القرآنِ بعضُ الآياتِ المتشابهاتِ بهذا المعنى، كما وَضَّحَتْ سورةُ آلِ عمران: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾.

وتُشيرُ الآيةُ إلى أَنَّ مُعظَمَ آياتِ القرآنِ محكمات، أَيْ واضحاتُ الدلالة على المعنى، لا تَحتاجُ إلى آياتٍ أُخرى لحُسْنِ فهم المعنى، وهذه الآياتُ المحكماتُ هُنَّ أُمُّ الكتاب، وأَصْلُه الذي لا بُدَّ أَنْ يُعادَ كُلُّ شيءٍ إليه. كما

تشيرُ الآيةُ إلى أَنَّ بعضَ آياتِ القرآنِ متشابهات، وهذه الآياتُ المتشابهاتُ قليلةٌ بجانبِ المحكمات.

وسَببُ التشابهِ في الآياتِ القليلةِ المتشابهةِ هو «الغموضُ المقصود» في معناها، واللَّبْسُ الذي قد يَقَعُ فيه بعضُهم عندما ينظرُ فيها، كما فَعَلَ هذا الفادي الجاهلُ في تناقضاتِه الخمسة عشر التي زَعَمَ وُجودَها في القرآن، والتي نَقَضْناها في هذا المبحث.

وأخبرت الآيةُ عن اختلافِ نظرةِ الناسِ للآياتِ المتشابهات، فقالت: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: هم الذين يَبحثونَ عن الشبهاتِ والإِشكالات، ويُريدونَ اتباعَ الباطل، ويَهدفونَ إلى فتنةِ الناس، من أَمثالِ هذا الفادي الجاهلِ مريضِ القلب، هؤلاءِ يَتّبعونَ الآياتِ المتشابهاتِ لتحقيقِ أَهدافِهم المريضة.

و﴿ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾: هم المتمكِّنونَ من العلم، الذين يُحسنونَ فَهْمَ القرآن، ولذلك يَحملونَ الآياتِ المتشابهاتِ القليلةِ على الآياتِ المحكماتِ الكثيرة، التي هي أُمُّ الكتابِ وأَصْلُ المتشابهات، ويَخرجونَ من ذلك بزيادةِ الإِيمانِ واليقين، ويُعْلنونَ ذلك قائلين: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾. أَيْ: آمَنّا بالقرآن، وأَيْقَنّا أنه كَلامُ الله، وكُلٌّ من آياتِه المحكَماتِ والمتشابهاتِ من عندِ ربنا.

وبالمثالِ يَتَّضِحُ المقال:

قالَ اللهُ عن عيسى ابنِ مريم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [آل عمران: ٥٥].

في معنى هذه الآيةِ لَبْسٌ وغُموض، فما معنى قولِ اللهِ له: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾؟ قد يَحتجُّ بها اليهودُ على أنهم صَلَبوا عيسى عليه السلام وقَتلوه، وقد يحتجُّ بها النَّصارى على أَنَّ عيسى عليه السلام قُتِلَ وصُلِبَ، ودينُهم يقومُ على

الصَّلْب، وشعارُه الصليب. وقد يقولُ لنا قسّيسٌ جاهِلٌ مثلُ هذا الفادي: لماذا لا تُصَدِّقونَ قرآنَكم أيها المسلمون، وهو يُصرحُ بأَنَّ عيسى توفَّاهُ الله، ومعناهُ أَنَّه ماتَ، وخرجَتْ روحُه على الصليب!!.

نقولُ لهؤلاء: حتى نَفهمَ هذه الآيةَ التي فيها تَشابُهٌ ولَبْسٌ وغموض، لا بُدَّ أَنْ نَحملَها على آيةٍ محكَمَة، هي لها أُمٌّ وأَصْلٌ، لإزالةِ لَبْسِها وغُموضِها؛ وهي قولُ الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ﴾ [النساء: ١٥٧ ـ ١٥٨].

إنّنا نوقنُ بما صَرَّحَتْ به هذه الآيةُ المحكَمَة، من أَنَّ اليهودَ لم يَقْتُلوا عيسى ﷺ ولم يَصْلُبوه، والذي قَتلوهُ وصَلَبوهُ شَخْصٌ آخرُ شُبِّهَ لهم، ورَفَعَ الله عيسى حَيّاً إلى السماء، بروحِه وجِسْمِه، وهو الآنَ حَيٌّ عندَ الله، بروحِه وجِسْمِه.

وعندما نَحملُ قولَه: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ على قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ﴾ نقول: المرادُ بالتَّوفّي هو القبضُ والتَّغييبُ، وذلك عن طريقِ النوم، أَيْ: أَلْقى اللهُ على عيسى ﷺ في تلك الليلةِ النَّوْمَ، وتوفَّاهُ وهو نائم، أَيْ غَيَّبَهُ وقَبَضَه وهو نائم، ورفَعَهُ إليه وهو مُتَوفّى نائمٌ.

٢٠٣

حول التكرار في القرآن

أَثارَ الفادي الجاهلُ إشْكالاً حولَ التكرارِ في القرآن، تحتَ عنوان «الكلامُ المتكرر»، واعتبرَ هذا الكلامَ عَيْباً وخَلَلاً، وداعياً إلى المَلَل، وقالَ في آخِرِ اعتراضِه: «ونحنُ نسأل: أَليسَ في هذا التكرارِ عيبُ الخَلَلِ والملل، والبُعْدُ عن ضُروبِ البلاغة؟»(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٨٥.

اعترضَ على تكرارِ قولِه تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ في سورة الرحمن، حيث ذُكرت الآيةُ إحدى وثلاثين مرةً.

وهذا ليسَ تِكراراً في الحقيقة، وإنما هو «تَنْويعٌ» في العرض، وفَرْقٌ بين التكرارِ والتنويع، فالتكرارُ هو إعادَةُ الآيةِ أو القصةِ أو الموضوعِ مرةً أُخرى، بدونِ إضافةِ معلومةٍ أو جملةٍ أَو كلمة، وبدونِ هدفٍ وغَرَضٍ جَديد. وهذا التكرارُ عيبٌ في التأليف، وضعفٌ في الأُسلوب، ودليلٌ على الخلل، والتدنّي في البلاغةِ والفصاحة، يُنَزِّهُ الكاتبُ البليغُ كلامَه عنه.

ولذلك نقول: لا تكرارَ في القرآن.

إنّ الذي في القرآنِ هو التنويع، وذلك بأَنْ يُضيفَ القرآنُ الجديدَ في كُلِّ مَرَّةٍ يُعيدُ فيها ذِكْرَ القصةِ أو الآيةِ أو الجملةِ أَو الكلمة، إما معلومةٌ جديدة، وإما كلمةٌ جديدة، وإمّا لهدفٍ جَديد، وإمّا للتناسبِ مع سياقٍ جديد.. وهذا ليسَ تِكراراً كما زَعَمَ الفادي الجاهل، وإنما هو تَنويع.

إنَّ قولَه تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قد ذُكِرَ في سورةِ الرحمٰن إحدىٰ وثلاثين مرةً، ولكنَّ هذه الآيةَ كانت تُذْكَرُ في كُلِّ مرةٍ لهدفٍ جديد، وكانت متناسبةً مع الآياتِ التي سَبَقَتْها، وخاتمةً مناسبةً لها؛ لأَنَّ سورةَ الرحمٰن كُلَّها معرضٌ لآلاءِ اللهِ ونِعَمِه، وكانت كُلَّما تَذكُرُ بعضَ نِعَمِ اللهِ أَو أَفعالِه أَو الأَدلةِ على وحدانيتِه وعظمتِه تَختِمُ ذلك بالآية: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ على اعتبار أَنَّ الموضوعَ الذي تتحدَّثُ عنه هو بعضُ آلاءِ الله.. فهي أَشبهُ ما تكونُ بلازمةٍ شعرية، كتلكَ اللّوازمِ الشعريةِ التي كانَت تُخْتَمُ بها رباعياتُ بعضِ القصائدِ الشعريةِ الموزونة.

ولْنأْخذْ على ذلك مثالاً من السورة: ذُكِرَت: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ في آية (١٨) لغيرِ الهدفِ الذي ذُكِرَتْ لأَجْلِه في آية (١٦). إنها في الآيةِ السادسة عشرة مرتبطةٌ مع الآياتِ التي قبلَها، والتي تتحدثُ عن خلقِ الإنسِ والجن؛ قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ

مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؛ فهي تذكيرٌ بنعمةِ خَلْقِ الإنسِ والجنِّ. أما في الآيةِ الثامنة عشرة فإنها مسبوقةٌ بقولِه تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾، فهي بهدفِ التذكيرِ بمُلْكِ اللهِ لكلِّ ما في الكون، ومنه مُلْكُه للمشرقَيْن وللمغربَيْن. وهي في الآية (٢١) خاتمةٌ لموضوعٍ جديد، وردَ في قولِه تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ وهو التذكيرُ بنِعَمِ اللهِ وقدرتِه وعظمتِه، في خلقِ الماءِ العذبِ والماءِ المالح.

وهكذا في باقي مَرّاتِ وُرودِها، فليسَ الأمْرُ تِكراراً مُخِلّاً، كما زعَمَ الفادي الجاهل، وإنما هو تَنويعٌ وإضافة.

وانتقدَ الجاهلُ وُرودَ بَعْضِ قَصصِ القرآنِ في أَكثرَ من سورة، واعْتَبَرَ ذلك من التكرارِ المعنوي؛ قال: «وفي القرآنِ الكثيرُ من التكرارِ اللفظي، كما في سورةِ الرحمن، والتكرارِ المعنويِّ كما في قَصص الأَنبياء، فَضْلاً عما فيها من سَجْعٍ مُتَكَلَّفٍ».

وذَكَرَ بعضَ القَصصِ التي اعْتَبَرَها مُكَرَّرَة، والسورِ المذكورةِ فيها كُلُّ قِصَّة، وهي: «قصة آدم، وقصة نوح، وقصة إبراهيم، وقصة لوط، وقصة موسى، وقصة سليمان، وقصة يونس ـ الذي سماه يونان ـ، وقصة عيسى عليه السلام»[(١)].

وكلامُ الجاهلِ باطل، وانتقادُه مردودٌ عليه، فهو يعيبُ ما لا عيبَ فيه، وهو يُخَطِّئُ الصَّوابَ، ويَنتقدُ الصحيح، وإنَّ ذِكْرَ القصةِ القرآنيةِ في أَكثرَ من سورةٍ ليسَ من بابِ التكرارِ المُمِلِّ والمُخِلِّ، وإنما هو من بابِ التنويعِ الهادف، والإضافةِ الحكيمة، والتناسقِ المعجز.

وعندما نتدبَّرُ المواضعَ المختلفةَ التي وَرَدَتْ فيها القصةُ القرآنية، فسنجدُ أَنَّ اللقطاتِ المعروضةَ من القصةِ متناسبةٌ ومتناسقةٌ ومترابطَةٌ مع موضوعِ

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٨٤ ـ ١٨٥.

السورة، ومعَ السياقِ الذي وردَتْ فيه، ومتصلةٌ بما قبلَها وما بعدَها، وتَلْتقي مع السياقِ في تحقيق أهدافِه العلميةِ والإخباريةِ والتربوية. . . وفي كُلِّ مرةٍ جديدةٍ تُعرضُ فيها بعضُ لقطاتِ القصةِ تكونُ فيها معلومةٌ جديدة، أو فيها جزئيةٌ جَديدة، تضافُ للمعلومةِ المذكورةِ سابقاً. ولا يَتسعُ المجالُ لتفصيلِ القولِ في هذا الموضوع، ولا لعرضِ الأمثلةِ التطبيقيةِ من القصصِ القرآني، فإنَّ الكلامَ في هذا يَطول!.

إنَّ من الخطأ الكبيرِ أنْ نَقولَ: تَكَرَّرَ ذِكْرُ قصةِ آدم ـ مَثَلاً ـ في سور: البقرة، والأعراف، والحجر، وطه، وصّ. والواجِبُ أنْ نقول: ما هو الجزءُ من القصةِ المعروضُ في سورةِ البقرة، وما الذي أضافَتْهُ سورةُ الأعرافِ على سورة البقرة، وما الذي ذَكَرَتْه سورةُ طه أو الحِجْر أو صَ، وما وَجْهُ الاتصالِ والارتباطِ بين المعروضِ في سورةِ الأعراف ـ أو أيّةِ سورةٍ أُخرى ـ وبينَ موضوع السورة، والسياقِ الذي ورد فيه. . إنَّ هذا التنويعَ الهادفَ الحكيمَ وَجْهٌ من وجوهِ الإعجازِ القرآني، ومزيةٌ من مزايا القرآنِ العظيمة، وليس مَأْخذاً على القرآن.

٢٠٤

هل في القرآن من كلام الآخرين؟

خَصَّصَ الفادي المفتري الجاهلُ هذا المبحثَ من كتابه لاتِّهامِ القرآنِ بأنَّه من تأليفِ محمد ﷺ، وأنه نَقَلَه عن كلامِ الآخرين، من العربِ واليهودِ والنَّصارى والفرسِ وغيرهم، فهو أساطيرُ الأوَّلين اكْتَتَبها.

ولْننظرْ في اتِّهاماتِه التي أوردَها تحتَ عنوانِ «الكلام المنقول»، لنرى سَخافَتَها وتَفاهَتَها، وجَهْلَ مَنْ أَطْلَقوها.

سَجَّل في بدايةِ اتهاماتِه قولَه تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٥ ـ ٦].

ثم علق على الآيتَيْن تَعْليقاً فاجِراً قبيحاً؛ قال: «تدلُّ هذه الآيةُ على أَنَّ محمداً قال: إنَّ القرآنَ نَزَلَ عليه وَحْياً مِن الله... ولكنَّ مُعاصريه لم يَجِدوا في ما جاءَ به شيئاً جَديداً، فقالوا: إنَّه جاءَ بأساطيرِ الأولين، التي كانَ يَسمعُها، وكَتَبَها قرآناً. فهي ليستْ وَحْياً! لقد اقتبسَ محمدٌ أَشعارَ امرئ القيس، وأَقوالَ عمرَ بن الخطاب، وكُتُبَ جُهّالِ اليهودِ والمسيحيين، وكُتُبَ الفرسِ، وكُتُبَ الحنفاءِ، وغيرهم...»[1].

هكذا بجملةٍ فاجرةٍ يُلْغي هذا الفاجرُ الوحيَ والنبوةَ والرسالة، ويَعتمدُ اتهاماتِ الكفرةِ الفجرةِ السابقين، التي ذَكَرَها القرآن، ثم نَقَضَها وَرَدَّها، لكنه لكُفْرِه وفُجورهِ لا يَقْبَلُ رَدَّ القرآنِ عليها.

قالَ الكفارُ عن آياتِ القرآن: هيَ أَساطيرُ الأَوَّلين، وقَصَصُ السابقين وأَخبارُهم، طلبَ محمدٌ من الكُتّابِ أَنْ يَكْتُبوها له، فَفَعَلوا وقَدَّموها له، وصارَتْ تُملى عليه في الصَّباحِ والمساء، فأَخَذَها منهم، وزعَمَ أَنها جاءَتْه وحياً من عندِ الله، وليس في المسألةِ وَحْيٌ ولا نبوّة!!.

وَرَدَّ اللهُ على هذا الاتهام بتقريرِ حقيقةِ الوحي، وتَأْكيدِ أَنَّ القرآنَ كَلامُ الله ﷻ: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾. واللهُ يَعلمُ السِّرَّ ويَعلمُ الجهر، لكنه ذَكَرَ هنا السِّرَّ دونَ الجهر، لأَنَّ إنزالَ القرآنِ عن طريقِ جبريل عليه السلام، كان بطريقةٍ غيبيةٍ خفيَّةٍ سِرِّيَّة.

والفادي الحاقدُ أَغفلَ عامداً كلامَ اللهِ الذي رَدَّ على اتِّهامِ الكفار، وأَبْقى كلامَهم مُعْتَمِداً له.

ومن أَكاذيبهِ الصارخةِ المتهافتةِ قولُه عن الكفار: «ولكنَّ مُعاصِريه لم يَجِدوا في ما جاءَ به شَيْئاً جديداً». أَيْ أَنَّ القرآنَ تكرارٌ لما قالَه السابقون، وتَرديدٌ لكلامِهم، وليس فيه أَيُّ شيء جديد! علماً أَنَّ القرآنَ لم يتأَثَّرْ بما كانَ حولَه من معارفَ وثقافاتٍ وخرافات، وكُلُّ ما أَتى به فهو جَديد، لم يُسْبَقْ إليه.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٨٥.

أولاً: ماذا أخذ الرسول ﷺ من امرئ القيس؟:

زَعَمَ الفادي المفتري أَنَّ الرسولَ ﷺ أَخَذَ بعضَ كلامِ الشاعرِ الجاهليِّ المشهورِ «امرئِ القَيْس»، وسَجَّلَه في القرآن، ونَسَبَه إلى الله، وادَّعىٰ أَنَّ اللهَ أَنزلَه عليه! وقَدَّمَ الغبيُّ دليلاً على دعْواه وزعْمِه أَبياتٍ ركيكة، ادَّعى أنها لامرئ القيس، مع أَنها ليستْ له، وإنما هي في غايةِ الضعفِ والركاكة، وشعْرُ امرئ القيس في غايةِ الفصاحةِ والبلاغة.

ولْنقرأْ هذا الشعرَ الركيكَ، الذي صاغَه شاعِرٌ متأَخِّر، ونَسَبَه الفادي الجاهلُ إلى امرئ القيس:

دَنَت السّاعَةُ وانْشَقَّ القَمَرْ عَنْ غَزالٍ صادَ قَلْبي ونَفَرْ
أَحْوَرٌ قَدْ حِرْتُ في أَوْصافِهِ ناعِسُ الطَّرْفِ بِعَيْنَيْهِ حَوَرْ
مَرَّ يَوْمَ العيدِ بي في زينةٍ فَرَماني **فَتَعاطى فَعَقَرْ**
بِسِهامٍ مِنْ لِحاظٍ فاتِكٍ فَرَّ عَنّي **كَهَشيمِ المُحْتَظِرْ**
وَإذا ما غابَ عَنِّي ساعَةً كانَت **السّاعَةُ أَدْهى وَأَمَرّ**
كَتَبَ الحُسْنُ على وَجْنَتِهِ **بِرَحيقِ المِسْكِ** سَطْراً مُخْتَصَرْ
عادَةُ الأَقْمارِ تَسْري في الدُّجىٰ فَرَأَيْتُ **اللَّيْلَ يَسْري** بالقَمَرْ
بالضُّحىٰ وَاللَّيْلِ مِنْ طُرَّتِهِ فَرْقُهُ ذا النُّورِ كَمْ شَيْءٌ زَهَرْ
قُلْتُ إذْ شَقَّ العِذارُ خَدَّهُ **دَنَت السّاعَةُ وَانْشَقَّ القَمَرْ**

ليسَ مُحمدٌ ﷺ هو الذي أَخَذَ بعضَ جُمَلِ هذه القصيدة، وَوَضَعَها في القرآن، كما ادَّعى الفادي الجاهل، وإنما الشَّاعِرُ الضعيفُ الركيكُ المتأَخِّر ـ الذي لم أَعرف اسْمَه ـ هو الذي حاكى القرآنَ كَلامَ الله، واقْتَبَسَ من القرآنِ بعضَ جُمَلِه، زَيَّنَ بها قَصيدَتَه.

وديوانُ الشاعرِ الجاهليِّ البليغِ امرئ القيسِ مَطْبوعٌ مُتَداوَل، ونَتَحَدّى الفادي الجاهلَ أَو أَيَّ واحدٍ من أَهْلِ مِلَّتِه أَنْ يُرينا هذه القصيدةَ الركيكةَ في ديوانِ امرئِ القيس! فافتراءُ الفادي المفتري لا يَثْبُتُ أَمامَ البحثِ العلمي.

أَخَذَ الشاعرُ المتأخِّرُ من سورةِ القمرِ قولَه تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر: ١] فافتتَحَ بها قصيدَتَه، كما خَتَمَها بها في الشَّطرِ الثاني من بيتِه الأَخير، مع بعضِ التحوير. حيثُ قال: دَنت الساعةُ وانشقَّ القمر.

كما أَخَذَ من السورة قولَه تعالى: ﴿فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ [القمر: ٢٩] ووضَعَه في الشطرِ الثاني من البيتِ الثالث: فرماني فتعاطى فعقر.

وأَخَذَ من السورةِ قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ﴾ [القمر: ٣١] ووَضَعه في الشطرِ الثاني من البيتِ الرابع: فَرَّ عَنّي كهشيمِ المحتَظِر.

وأَخَذَ من السورةِ قولَه تعالى: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦] ووضَعَه في الشطرِ الثاني من البيتِ الخامس: كانت الساعةُ أَدهى وأَمَرّ.

وأخذ من سورة الضحى قوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ١ ـ ٢] ووضعه في الشطر الأول من البيت الثامن: بالضحى والليل من طُرَّتِه. .

وذَكَرَ الفادي المفتري بَيْتَيْنِ آخرَيْن، لا يَختلفانِ عن الأبياتِ السابقةِ في الركاكةِ والضَّعف، والغَزَلِ الساقط، نَسَبَهما لامرئ القيس أَيْضاً، وزَعَمَ أَنَّ محمداً ﷺ أَخَذَ منهما كلاماً في القرآن. وهما:

أَقْـبَـلَ وَالـعُـشّـاقُ مِـنْ حَـوْلِـهِ **كـأَنَّـهـم من كلِّ حَدْبٍ يَـنْـسِـلـونْ**
وَجـاءَ يَـوْمَ الـعـيـدِ فـي زيـنَـتِـه **لِـمِـثْـلِ ذا فَـلْـيَـعْـمَـلِ الـعـامِـلـونْ**

وما قلناهُ عن الأَبياتِ السابقةِ نقولُه هنا، ويَبدو أنهما لنفسِ ناظم الأَبياتِ السابقة، حاكى القرآنَ، وأَخَذَ منه بعضَ كلامِه، وَوَظَّفَهُ بوَقاحَةٍ للغزل بعشيقِه والثناءِ عليه.

أَخَذَ من سورةِ الأَنبياءِ قولَه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦]. ووضَعَه في الشطرِ الثاني من البيتِ الأَول: كأنهم من كُلِّ حَدَبٍ ينسلون.

وأَخَذَ من سورةِ الصافاتِ قولَه تعالى: ﴿لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١]. . وَوَضَعَه في الشطرِ الثاني من بيته الثاني.

ثانياً: ماذا أخذ الرسول ﷺ من كلام عمر بن الخطاب؟:

زَعَمَ الفادي المفتري أَنَّ محمداً ﷺ أَخَذَ كَلاماً لعمرَ وَوَضَعَهُ في القرآن، وهو المسَمّى بموافقاتِ عُمَر.

والموافقاتُ التي ذَكَرَها صاغَها بأُسلوبه، وَوَظَّفَها دَليلاً لاتهاماتِه.

أ ـ موافَقَةُ عمر في عداوة الله عدوَّ جبريل:

قالَ عن هذه الموافقة: كانَ لعمرَ بن الخطاب أَرضٌ بأَعلى المدينة، وكان مَمَرُّهُ على مِدْراسِ اليهود، فكانَ يَجلسُ إِليهم، ويَسمعُ كَلامَهم.. فقالوا يوماً: ما في أَصحابِ محمدٍ أَحَبُّ إِلينا منك، وإِنا لنطمعُ فيك! فقالَ عُمَر: واللهِ ما آتيكم لحُبِّكم، ولا أَسأَلُكم لأَني شاكٌّ في ديني، وإِنما أَدخلُ إِليكم لأَزدادَ بصيرةً في أَمْرِ محمدٍ. فقالوا: مَنْ صاحبُ محمدٍ الذي يأْتيه من الملائكة؟ قال: جبريل. قالوا: ذلكَ عَدُوُّنا. فقال عمر: مَنْ كانَ عدوّاً للهِ وملائكتِه ورسلِه وجبريلَ وميكالَ فإِنَّ اللهَ عَدُوُّه. فلما سمعَ محمدٌ بذلك قال: هكذا أُنزلَتْ، وأَوردَها في قرآنِه في سورةِ البقرة. وقالَ محمد لعمر: لقد وافقَكَ رَبُّك يا عمر.

وعَلَّقَ على ما أَوردَه بقوله: «ونحنُ نسأل: أَليسَ الأَصَحُّ أَنْ يقولَ محمد: إِنَّ عُمَرَ وافقَ رَبَّه، لا العكس؟ والأَغربُ من هذا أَنَّ محمداً يَنتحلُ أَقوالَ عمر، ويقولُ: إِنها هكذا نَزَلَتْ! وفي هذه الحالة: هل يُعْتَبَرُ عمرُ نبيّاً يوحى إِليه؟ أَمْ أَنَّ محمداً انتحلَ أَقوالَ غيره، وقال: إِنها وَحْي؟»[(1)].

وهذه الروايةُ في سببِ نزولِ قولِه تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨] التي اعتَمَدَها الفادي المفتري لأَنها توافقُ هواه، روايةٌ ضعيفة، مذكورةٌ في بعضِ التفاسير عن الشعبيّ عن عمرَ بن الخطاب، ومذكورةٌ بأَسانيدَ أُخرى عن قتادةَ عن عُمَر، وحكَمَ عليها بالضعفِ الإِمامُ الحافظ ابنُ كثير.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٨٦.

قالَ ابنُ كثير عن روايةِ الشعبيِّ بعد أَنْ أَوْرَدَها بإِسنادَيْن: «وهذانِ الإِسنادان يَدُلّانِ على أَنَّ الشعبيَّ حَدَّثَ به عن عمر، ولكن فيه انْقطاعٌ بينَه وبينَ عمر، فإِنَّه لم يُدْرِكْ زَمانَه، واللهُ أعلم».

وقال عن إسنادِ روايةِ قتادة: «وهو أيضاً منقطع»[1].

وإِذا كانت هذه الروايةُ منقطعةَ الإِسنادِ، فهي ضعيفةٌ مردودةٌ لم تَصح، وبما أنها مردودة، فإِنَّ تَساؤُلاتِ الفادي المفتري عليها داحِضَةٌ زائفة، وهو مُجرمٌ مفترٍ، متحامِلٌ خَبيثٌ، عندما قال: «والأَغْرَبُ من هذا أَنَّ محمداً يَنتحلُ أَقوالَ عُمَر ويقول: هكذا أُنزلَتْ!!.

والروايةُ الصحيحةُ في سببِ نُزولِ قولِه تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٧ ـ ٩٨]، تُصَرِّحُ بأَنَّ الحادثةَ جَرَتْ بينَ النبيِّ ﷺ وبين اليهود.

روى أَحمدُ والطبرانيُّ والبيهقيُّ عن ابنِ عباس رضي الله عنهما قال: حَضَرَتْ عصابةٌ من اليهودِ نبيَّ اللهِ ﷺ يَوْماً، فقالوا: يا أَبا القاسم! حَدِّثْنا عن خِلالٍ نسأَلُكَ عنهنّ، لا يعلمهنَّ إِلّا نبيّ.

قال: سَلُوني عما شِئْتُم. ولكن اجْعَلوا لي ذِمَّةَ الله، وما أَخَذَ يعقوبُ عليه السلام على بَنيه، لئنْ حَدَّثْتُكُم شيئاً فعرفْتُموه، لَتُتابِعُنّي على الإِسلام!.

قالوا: فذلكَ لك. قال: فَسَلوني عما شِئْتُم.

فسأَلوهُ أَربعةَ أَسئلة، وأَجابَهم عليها، ووَافَقوهُ على الجَواب، وشَهِدوا أنه جَوابٌ صَحيح.

ولكنَّهم تَهَرَّبوا من تنفيذِ ما وَعَدوهُ به ـ كعادتهم ـ وأَثاروا مشكلةً جديدة،

(١) تفسير ابن كثير: ١/ ١٢٥ ـ ١٢٦.

فقالوا له: حَدِّثْنا مَنْ وَلِيُّك من الملائكة؟ فعندَها نُجامِعُك أو نُفارِقُك!.

قال: فإِنَّ وَلِيِّي جبريلُ، ولم يَبعث اللهُ نبياً قَطّ إِلّا وهو وَلِيُّه.

قالوا: فعندَها نُفارِقُك، لو كان وَلِيُّكَ سِواهُ من الملائكة لتابَعْناك وصَدَّقْناك.

قال: فما يمنَعُكم من أَنْ تُصَدِّقوه؟. قالوا: إِنّه عَدُوُّنا!!.

فأنزلَ اللهُ قولَه تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[1].

ب ـ ثلاث موافقات لعمر:

ذَكَرَ الفادي المجرمُ حديثَ البخاريِّ في موافقاتٍ ثَلاثٍ لعُمَرَ رضي الله عنه، لكنه عَلَّقَ عليها تَعليقاً خَبيثاً، حيثُ وَظَّفَها دَليلاً على أَنَّ القرآنَ من كلامِ البشر.

قال: «روى البخاريُّ وغيرُه عن عمرَ أنه قال: وافَقْتُ رَبّي في ثلاث: قُلْتُ: يا رسولَ الله! لو اتخذْتَ من مَقامِ إِبراهيمَ مُصَلّى. فأَخَذَها من لسانِه، وأَوردَها في قرآنه، بأَنْ قال: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]. وقلتُ: يا رسول الله إِنَّ نساءَكَ يدخلُ عليهنَّ البَرُّ والفاجر، فلو أَمرتَهنَّ أَنْ يحتجِبْن. فأَخَذَها محمدٌ من لسانِ عمر، وأَوردَها في آية (٥٣) من سورة الأحزاب. واجتمعَ على محمدٍ نساؤُه في الغيرة، فقالَ عمرُ لهنَّ: عسى ربُّه إِنْ طلقكُنَّ أَنْ يُبدِلَه أزواجاً خيراً منكن. فأَخَذَها محمدٌ بنَصِّها، وأَوردَها في سورةِ التحريم (٥). فهل يؤخَذُ كَلامُ اللهِ من أَفواهِ الناس؟»[2].

إِنَّ الفادي الخبيثَ غيرُ أَمينٍ على الكلامِ الذي يَنقلُه، وهو يُغَيِّرُ ويُبَدِّلُ فيه على هَواهُ، ويَتَلاعَبُ بأَلفاظِه، ويَزيدُ ويُنْقِصُ منها، ويُضيفُ لها ما يُريد.

روى البخاريُّ ومسلمٌ وغيرهما عن أَنَسِ بنِ مالك رضي الله عنه قال: قالَ عُمَرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه: وافَقْتُ ربي في ثلاث؛ فقلْتُ: يا رسولَ الله! لو اتَّخَذْنا من

---

(١) صحيح أسباب النزول، لإبراهيم العلي، ص٢٢ ـ ٢٤.

(٢) هل القرآن معصوم؟، ص١٨٧.

مقامِ إبراهيمَ مُصَلّى. فنزلَت الآية: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]. وقلتُ: يا رسولَ الله! لو أَمرتَ نساءَك أَنْ يَحتجِبْن، فإِنه يُكَلِّمُهنَّ البَرُّ والفاجر، فنزلَتْ آيةُ الحجاب: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. . واجتمعَ نساءُ النبيِّ ﷺ في الغيرة عليه، فقلْتُ لهنَّ: عسى ربُّه إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبدِلَه أزواجاً خيراً منكنّ. فنزلَت الآية: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ . . .﴾ [التحريم: ٥][(١)].

موافقاتُ عمرَ رضي الله عنه ليستْ كما نَظَرَ إِليها هذا الفادي المجرمُ الخَبيث، وإِنما هي من «أَسباب النزول»، وأَسبابُ النزولِ علْمٌ ضروريٌّ من علوم القرآن، لا بُدَّ لكلِّ ناظرٍ في القرآنِ منْ أَنْ يتعلَّمَه ويَفْهَمه، فهناك بعضُ آياتِ القرآنِ نزلَتْ بعد حادثةٍ أَو مشكلةٍ وقعَتْ بين الصحابة. وهذا من حيويةِ القرآنِ وأَثَره في المسلمين، وحَلِّه لمشكلاتِهم، وهذه مزيةٌ له، وليستْ مَطْعَناً يوجَّهُ له. وأَشارَ إِليها قولُه تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

وموافقاتُ عمرَ رضي الله عنه دَليلٌ على فطنتِه وذكائِه، وعلى حُسْنِ تَفكيرِه ونَظَرِه، وعلى حُضورِ ذِهْنِه واهتمامِه بأَحوالِ المسلمين، فهو يُفكرُ ويَنظرُ ويَجتهدُ، ويَقترحُ ويَنصحُ ويُشير، وشاءَ اللهُ الحكيمُ أَنْ يُنزلَ الآياتِ الثلاث ـ الصلاةِ في مقامِ إِبراهيم، وأَمْرِ نساءِ النبيِّ بالحجاب، وتهديدِهنَّ إِنْ لم يتوقَّفْن عن الغيرة ـ بعدَ ثلاثةِ اقتراحاتٍ لعمر، وبذلك ويكونُ التفاعلُ والتأَثُّرُ بالآياتِ أكثر، ويكونُ ثناءً على عمرَ العبقريِّ رضي الله عنه. . واللهُ حكيم في ما كانَ يُنْزِلُه من آياتِ القرآن، يَختارُ بحكمتِه سبحانه الوقْتَ المناسب لإِنزالِ الآية أَو الآيات، ويَجعلُ ذلك الإِنزالَ مُتوافِقاً مع حالةِ المسلمين، أَوْ حَلّاً لمشكلة، أَو علاجاً لحادِثَة.

ولكنَّ الجاهلَ المفتريَ يَجعلُ مزيةَ القرآنِ مَطْعناً فيه، ويَعتبرُ مَنْقَبَته دَليلاً على اتِّهامه، والسببُ هو تَحامُلُه وحِقْدُه وسَفَهُه وعُدوانيتُه!!.

---

(١) صحيح أسباب النزول، لإبراهيم العلي، ص٢٥.

ثالثاً: ماذا أخذ رسول الله ﷺ من كتب اليهود؟:

وَضعَ الفادي المفتري عنواناً مثيراً: «ما أَخَذَهُ من كُتُبِ جُهّالِ اليهود»، وقالَ تحتَ هذا العنوان: «هاكُم جَدْولاً بالموضوعاتِ التي انتحلَها محمد، ومكانُها في المؤلَّفاتِ اليهوديةِ التي أَخَذ عنها».

والموضوعاتُ التي ذكرها أَحَدَ عَشَرَ موضوعاً، وكان يذكُرُ موضِعَ كُلِّ موضوعٍ في القرآن، وموضعَه في كتبِ اليهود.

والموضوعاتُ التي ذَكَرَها هي:

١ ـ تَعَلُّمُ «قايين» من الغرابِ كيفيةَ دَفْنِ أَخيه. وهو ابنُ آدمَ الكافر، الذي سَمّاهُ اليهودُ والنصارى «قايين»، وسَمّاهُ بعضُ المسلمين «قابيل». علماً أَنَّ اسْمَه لم يُذْكَرْ في القرآن. وقد ذُكرتْ قصةُ ابْنَيْ آدم في سورة المائدة: [٣٠ ـ ٣٥].

وادعى الفادي أن محمداً ﷺ أخذ هذا الموضوع من الكتاب اليهودي «فرقى ربي أليعزر، فصل: ٢١».

٢ ـ طرحُ نمرودَ لإِبراهيمَ في النار، وعدمُ مقدرةِ النارِ على إِحراقه. وقد ذكر هذا في السور التالية: الأنبياء [٥٧ ـ ٧٠]. والصافات: [٩١ ـ ٩٨].

وادَّعى الفادي الجاهلُ أَنَّ قصةَ إِلقاءِ إِبراهيمَ في النارِ وَرَدَتْ في تسعِ سُوَر، هي: البقرة: ٢٦٠. والأنعام: ٧٤ ـ ٨٤. والأنبياء: ٥٢ ـ ٧٢. والشعراء: ٦٩ ـ ٧٩. والعنكبوت: ١٥ ـ ١٦. والصافات: ٨١ ـ ٨٥. والزخرف: ٢٥ ـ ٢٧. والممتحنة: ٤. وهذا دليلُ جهْلِه بالعلمِ والبحثِ وبالقرآن، لأَنَّ الكلامَ ليس عن قصة إِبراهيمَ عليه السلام، ومواجهتِه لقومِه، وإِنما الكلامُ عن محاكمتِه بعد تحطيمِه الأَصنامَ، وحُكْمِهم عليه بالإِحراقِ بالنّار، وهذا لم يَرِدْ إِلّا في سورةِ الأنبياء وسورةِ الصافات.

ولَسْنَا مع الإِخبارِيّين الذين جَعَلوا اسْمَ الملِكِ زمنَ إِبراهيم عليه السلام: «نمرود». وهو الذي أَشارَ له قولُه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى

رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ . . .﴾ [البقرة: ٢٥٨]، ويُلاحَظُ أَنَّ الآيةَ لم تَذْكُر اسْمَه، وبما أَنَّ اسْمَه لم يَرِدْ في حَديثٍ صَحيحٍ عن رسولِ الله ﷺ، فإِنَّنا نتوقَّفُ في ذِكْرِ اسْمِه، ونَجعل ذلك من مبهمات القرآن، ونقول: الله أعلم باسمه.

وادَّعىٰ الفادي أَنَّ محمداً ﷺ أَخَذَ هذا الموضوعَ من الكتاب اليهودي: «مدراس رباه» فصل: ١٤. في تفسير تك: ١٥ ـ ١٧. ولا أَدْري من أَيْنَ أَخَذَ رسولُ الله ﷺ هذا الكتابَ اليهودي، وهو الأُمِّيُّ، والكتابُ المذكورُ مجهولٌ عند حاخاماتِ اليهود؟!.

٣ ـ اجتماعُ سليمانَ عليه السلام مع رجالِ جيشهِ من الجنِّ والإِنسِ والطير، وقصةُ الهدهدِ معَ ملكةِ سبأ، وإِحضاره عرشَ ملكةِ سبأ. وقد وَرَدَ هذا الموضوعُ في سورةِ النمل: [١٧ ـ ٤٤].

وادَّعىٰ الفادي المفتري أَنَّ محمداً ﷺ أَخَذَ قصةَ سليمانَ عليه السلام مع ملكةِ سبأ من الكتابِ اليهودي: «الترجوم الثاني عن كتاب أَستير». ولا أَدري كيفَ قرأَ الرسولُ الأُميُّ محمدٌ ﷺ هذا الكتابَ اليهوديَّ المفقودَ، الذي لم يكنْ موجوداً عند اليهودِ في الحجاز؟!.

٤ ـ لم يُحسن الفادي الجاهلُ فَهْمَ إِشارةِ القرآنِ إِلى قصةِ المَلَكَيْن اللَّذَيْنِ أَنزلهما اللهُ في مدينة بابل، والتي وردَتْ في الآيةِ: (٩٦) من سورة البقرة. وأَخَذَ تفاصيل إِسرائيلية باطلة، واتهمَ المَلَكَيْن هاروت وماروت بالباطل. قالَ عنهما: «تَركيبُ الشهوةِ في الملاكين هاروت وماروت، وارتكابُهما شربَ الخمرِ والزنى والقتلَ وتعليمَ الناس السحر».

وادَّعى الجاهلُ أَنَّ محمداً ﷺ أَخَذَ قصةَ هاروتَ وماروت من الكتابِ اليهودي: «مدراس بلكوت»: الفصل: ٤٤.

وكَذَبَ اليهودُ في اتهامِهم المَلَكَيْن هاروتَ وماروتَ بارتكابِ جرائم شربِ الخمرِ والزنى والقتل، بعدَ أَنْ رَكَّبَ اللهُ فيهما الشهوة. ويَجِبُ علينا أَنْ

نَبقى مع الإشارةِ القرآنيةِ المجملةِ إلى قصتهما، فهما مَلَكان كريمان، أَنزلَهما اللهُ من السماء على أهل بابل، ليُحَذِّراهم من السحر، ويَنْهَيَاهُمْ عن ممارستِه، ثم صَعَدا إلى السماء مَلَكَيْن كريمَيْن، لم يَفْعَلا ذنباً، ولم يرتكبا فاحشة.

٥ ـ وَرَدَ رفعُ جبلِ الطورِ فوقَ رؤوسِ اليهودِ في سورة البقرة: (٦٣) و(٩٣). وفي سورة الأعراف: (١٥٥) و (١٧١).

وادَّعى الفادي المفتري أَنَّ محمداً ﷺ أَخَذَ هذا الموضوعَ من الكتابِ اليهودي: «عبوداه زاراه»: الفصل الثاني.

٦ ـ ذَكَرَ القرآنُ عبادةَ بني إسرائيل العجلَ الذهبيَّ الذي له خُوار، أثناءَ غيبةِ موسى عليه السلام عنهم، ذاهباً إلى جبلِ الطور. وورد ذلك في سورة الأعراف: (١٤٨ ـ ١٥٣). وورد في سورة طه: (٨٦ ـ ٩٨).

وادَّعى الفادي المفتري أَنَّ محمداً ﷺ أَخَذَ هذا الموضوعَ من الكتابِ اليهودي: «فرقى ربي أليعازر. فصل: ٤٥».

٧ ـ ذَكَرَ القرآنُ أَنَّ اللهَ جَعَلَ من السماءِ سبعَ سمواتٍ في أَكثرَ من آية، منها آيةُ (٢٩) من سورة البقرة. كما ذَكَرَ أَنَّ لجهنَّمَ سبعةَ أَبواب، كما وردَ في آيةِ (٤٤) من سورة الحجر.

وَزَعَمَ الفادي المفتري أَنَّ محمداً ﷺ أَخَذَ هذا الموضوعَ من الكتابِ اليهوديِّ «حكيكاه» باب: ٩. فصل: ٢. وكتاب: «زوهر» فصل: ٢.

٨ ـ أَخبرَ اللهُ أنه لما خَلَقَ السمٰواتِ والأَرضَ كان عرشُه على الماء. وَوَرَدَ هذا في الآية (٧) من سورةِ هود. وادَّعى الفادي المفتري أَنَّ الرسولَ ﷺ أَخَذَ هذا الموضوعَ من كتابِ اليهود: «تفسير راشي في تك» ١:٢.

٩ ـ تكلَّمَ القرآنُ عن أَصحابِ الأَعراف، وما يقولونَه لأَصحابِ الجنة وأَصحابِ النار. وَوَرَدَ هذا في سورةِ الأَعراف: آيات [٤٦ ـ ٤٩]. وادَّعى الفادي المفتري أَنَّ الرسولَ ﷺ أَخَذَ هذا الموضوعَ من الكتابِ اليهوديِّ: «مدراس تفسير جامعة ٧: ١٤».

١٠ ـ أخبرَ اللهُ أَنَّ علامةَ بَدْءِ الطوفان زَمَنَ نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ هو فورانُ الماءِ من وسطِ التَّنّور. وَوَرَدَ هذا في سورةِ هود، آية (٤٠). وادَّعى الفادي الجاهلُ أَنّ رسولَ الله ﷺ أَخَذَ هذا الموضوعَ من الكتابِ اليهودي: «روش هشاناه» فصل ١٦: ٢.

١١ ـ أَشارَ القرآنُ إلى أن الله حَفِظَ القرآنَ المجيدَ في اللوحِ المحفوظِ عنده، وَوَرَدَ هذا في آيَتَيْ (٢١ ـ ٢٢) من سورةِ البروج. وادَّعى الفادي المفتري أَنَّ محمداً ﷺ أَخَذَ هذا الموضوعَ من الكتابِ اليهودي: «فرقي أبوت» باب: ٥، فصل: ٦[1].

والكتبُ اليهوديةُ التي ذَكَرَها الفادي المفتري لا يَعرفُها معظمُ الأَحْبارِ والحاخامات اليهود، ولم تكنْ موجودةً عند اليهودِ في بلادِ الحجاز، فمن أَيْنَ اطَّلَعَ عليها محمدٌ ﷺ؟ ومِنْ مَنْ أَخَذَها، وهو لم يُجالس اليهودَ والنصارى في مكة؟ وكيف يَقرأُ فيها باللغةِ العبرية وهو الأُمِّيُّ الذي لم يَقْرَأْ ولم يَكتبْ باللغةِ العربية؟!.

رابعاً: ماذا أَخذ رسول الله ﷺ من كتب النصارى؟:

ادّعى الفادي المفتري أَنَّ رسولَ الله ﷺ أَخَذَ بعضَ موضوعاتِ القرآنِ من «كتب جهلة المسيحيين» على حَدِّ قولِه. وذَكَرَ خمسة موضوعاتٍ في القرآن، وذكر في مقابِلِها الكتبَ النصرانيةَ التي أَخَذَ منها.

١ ـ ادَّعى أَنَّ قصةَ أَصحابِ الكهف التي وَرَدَتْ في سورةِ الكهف [٩ ـ ٢٦] أَخَذَها رسولُ اللهِ ﷺ من الكتابِ النصرانيِّ: «مجد الشهداء» فصل: ٩٥. تأليف غريغوريوس.

٢ ـ ذَكَرَ القرآنُ قصةَ مريم، منذُ أَنْ كانَتْ جَنيناً في رَحِمِ أُمِّها، إلى أَنْ كَفَّلَها اللهُ زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَوَرَدَ هذا في الآيات: [٣٥ ـ ٤٨] من سورة آل عمران.

(١) انظر مزاعم الفادي المفتري في كتابه، ص١٨٧ ـ ١٨٨.

وزَعَمَ الفادي الجاهلُ أَنَّ محمداً ﷺ أَخَذَ هذا الموضوعَ من الكتابِ النصراني: «بروت يو أنجيليون»: إصحاح: ٣، ٤، ٥، ٧، ٨، ١٩، ١١، ١٥.

٣ ـ ذَكَرَ القرآنُ حَمْلَ مريمَ بعِيسى عليه السلام، وكيف انْتَبَذَتْ من أَهْلِها مكاناً قصياً، وكيفَ أنجبتْ عيسى، وبماذا أَرشدها وليدُها. وَوَرَدَ هذا في آياتِ (١٦ ـ ٢٦) من سورة مريم.

وادَّعى الفادي المفتري أَنَّ الرسولَ ﷺ أَخَذَ هذا الموضوعَ من الكتاب النصراني: «حكاية مولد مريم وطفولة المخلص» الفصل: ٢٠.

٤ ـ ذَكَرَ القرآنُ أَنّ عيسى عليه السلام كانَ يَصنعُ من الطينِ كهيئةِ الطير، ثم يَنفخُ فيه فيكونُ طَيْراً بإِذنِ الله.

وادَّعى الفادي المفتري أَنَّ محمداً ﷺ أَخَذَ هذا الموضوعَ من الكتابِ اليوناني: «بشارة هوما الإسرائيلي». فصل: ٢.

٥ ـ صَرَّحَ القرآنُ بأَنَّ اليهودَ والرومانَ لم يَقْتُلوا عيسى عليه السلام ولم يَصْلُبوه، وإِنما شُبِّهَ لهم، فقَتَلوا وصَلَبوا الشَّبيه. وَوَرَدَ هذا في آية (١٥٧) من سورة النساء.

وادَّعى الفادي المفتري أنَّ محمداً ﷺ أَخَذَ هذا الموضوعَ من رجل نصرانيٍّ اسْمُه «باسيليوس». قال عنه: «حَسْبَ بدعةِ باسيليوس، الذي قالَ: إِنَّ المسيحَ أُلْقِيَ شَبَهُهُ على «سمعان القيرواني»، فصُلِبَ بَدَنُه، لأَنَّ المسيحَ ليس له جَسَدٌ حقيقي، بل أُخذ شبه جسد»[1].

وكيفَ يَدّعي هذا المفتري أَنَّ الرسولَ ﷺ قرأَ كُتُباً نصرانيةً متخصصةً بعدَّةِ لغات، في أَماكنَ خاصة، في كنائسَ عديدة، في بلادِ الشام ومصر، بل وفي اليونان! وكأَنَّ النبيَّ الأُمِّيَّ عليه السلام كان عالماً بعدةِ لُغاتٍ؛ منها: الآرامية واليونانية، اللَّتين كُتبتْ بهما الأناجيل! وكأَنه ﷺ سافَرَ إِلى كنائسِ الشام ومصر واليونان، وتَعَلَّمَ من رُهبانِها تلك الكتب، وأَخَذَ من كُلِّ كتابٍ أَسْطُراً أو صفحات!! لا

(١) انظر كتاب المفتري، ص١٨٨ ـ ١٨٩.

أدري أَينَ ذهبَ عَقْلُ هذا الفادي المفتري وهو يكتبُ هذا الكلام؟!.

خامساً: ماذا أخذ رسول الله ﷺ من كتب الفرس؟:

ادَّعى الفادي المجرمُ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ كَثيراً من القرآنِ من كتب الفرس، وأَنه سَمِعَ قَصَصَ ملوكِ الفرسِ وعَقَائِدَهُمْ من الناسِ حولَه، ثم أَلَّفَ منها قرآنَه. قالَ المجرم: «ومن المعلوم أَنَّ الفرسَ كانوا مُتَسَلِّطينَ على كثيرٍ من قبائلِ العرب، قبلَ مولدِ محمدٍ وفي عصره، فانتشرَتْ قَصَصُ ملوكِهِم وعقائِدُهُمْ وخرافاتُهم بين العرب، فتركَتْ تأْثيرها على محمد، وَدَوَّن منها الشيءَ الكثيرَ في قرآنِه».

ومَن الذي اكتشفَ محمداً ﷺ وهو يَسطو على قَصَصِ الفرسِ ويَضَعُها في قرآنِه، كما يَدَّعي الفادي المجرم؟ إنه الزعيمُ القرشي «النَّضْرُ بنُ الحارث»! قالَ المجرم: «يَشهدُ القرآنُ أَنَّ النَّضْرَ بنَ الحارث كان يُعَيِّرُ محمداً بأَنه ناقلُ أَقوالِ الفرس، ولم يأْخُذ من الوحيِ شيئاً... وكان النَّضْرُ بنُ الحارث يُحَدِّثُ الناسَ عن أَخبارِ ملوكِ الفرس، ثم يقول: واللهِ ما محمدٌ بأَحسنَ حَديثاً منّي، وما حديثُه إِلّا أَساطيرُ الأَوَّلين، اكتتَبَها كما اكْتَتَبْتُها.. فردَّ عليه محمدٌ في قرآنِه بقولِه: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [القلم: ١٥]. وجعل يسب النضر قائلاً: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الجاثية: ٧ ـ ٨]».

يُصَرِّحُ المجرمُ في الفقرةِ السابقةِ أَنَّ القرآنَ ليسَ وحياً من عندِ الله، وإِنما هو من صياغةِ محمدٍ ﷺ ولذلك قالَ: «فَرَدَّ عليه محمدٌ في قرآنِه بقولِه: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾». أَيْ أَنَّ هذه الآيةَ من سورةِ القلمِ من تأليفِ محمدٍ ﷺ، هو الذي صاغَها وَوَضَعَها في سورةِ القلم.

وسَجَّلَ المجرمُ آيتَيْن من سورةِ الجاثية اعتبَرَهما «سَبّاً» صاغَهُ محمدٌ ﷺ وشَتَمَ به النَّضرَ بنَ الحارِث، وَوَضَعَهُ في السورة.

وصَدَّقَ المفتري افتراءَه، وجعلَه حقيقةً يَقينيَّة، ورَتَّبَ عليه نتائجَ اعتبرها

قاطعة، ولذلك قالَ: «ونحنُ نسأَل: كيفَ يَسمحُ محمدٌ لنفسِه أَنْ يَشْتُمَ النَّضْرَ، وقد اقتبسَ في قرآنِه من أَساطيرِ الفرس، ما كان من معراج أَرتيوراف، وَوَصْفَ الفردوس بِحورِه ووِلْدانِه؟ وقد جَعَلَ محمدٌ فِعْلاً مُعَلِّمَه «سلمانَ الفَارسيَّ» واحداً من الصحابة؟»[1].

وللردِّ على المفتري المجرم نقول: لم يَشْتُم الرسولُ ﷺ النَّضْرَ بْنَ الحارث، لأَنه لم يكن سَبّاباً ولا لَعّاناً ولا شاتِماً، ولم يكنْ فاحِشاً بذيءَ اللسان، وكان كَلامُه كلُّه رِقَّةً وأَدَباً وذوقاً، ولم تَصْدُرْ عنه كلمةٌ واحدةٌ جارحة.. وأَخطأَ الفادي المجرمُ الجاهلُ في زعمِه أَنَّ آيَةَ سورةِ القلمِ وآيَتَيْ سورةِ الجاثية السابقة نزلَتْ في النَّضْرِ بنِ الحارثِ.

وقد وَرَدَتْ بعضُ الرواياتِ في أَنَّ الذي نزلَ في النَّضْرِ بنِ الحارث قولُه تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان: ٦].

ولكنَّ الراجحَ أَنه لم يَنْزلْ فيه، كما أَنه لم ينزلْ فيه آياتُ سورةِ القلمِ والجاثية.. ولم تَصحّ قصةُ النضرِ بن الحارث، وأَنه كان «يُشَوِّشُ» على رسولِ اللهِ ﷺ، بما كانَ يَحكي للناسِ من قَصصِ مُلوكِ الفرس، ولم يَصِحّ إِنزالُ آياتٍ في قصته.

ولكنَّ الفادي جاهل، وهو لجهلِه يَعتمدُ على رواياتٍ موضوعة، وأَخبارٍ باطلة، ويَبْني عليها اتهاماتِه ضِدَّ القرآنِ والرسولِ ﷺ، وهو يَجمعُ بينَ الجهلِ والحِقْدِ والافتراءِ والادِّعاء!!.

أ ـ هل أخذ رسول الله ﷺ حادثة المعراج من الفرس؟:

ادَّعى الفادي المفتري أَنَّ محمداً ﷺ لم تَحْدُثْ له حادثةُ الإِسراءِ والمعراج، وإِنما قرأَ هذه القصةَ في كتابٍ فارسي، بلغةٍ فارسية، ونَسَبَها لنفسه، وادَّعى أَنه هو الذي عُرِجَ به!!.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٨٩.

لِنقرأْ هذه الفقرةَ الفاجرةَ من كلامِ الفادي الفاجر: «جاءَتْ قصَّةٌ فارسيةٌ قديمةٌ في كتابٍ باللغةِ الفارسية، اسْمُه: «أرتيوراف نامك»، كُتِبَ سنةَ أربعمئةٍ قبلَ الهجرة، وموضوعُ القصةِ أَنَّ المجوسَ أَرْسَلوا روحَ «أَرتيوراف» إلى السماءِ، وَوَقَعَ على جسدِه سُبات، وكان الغرضُ من رحلتِه هو الاطلاعَ على كُلِّ شيء في السماء، والإِتيانَ بأَنبائِها.. فعَرَجَ إلى السماء، وأَرشَدَهُ أَحَدُ رؤساءِ الملائكة، فَجالَ من طبقةٍ إلى طبقة، وترقّى بالتدريج إلى أعلى فأَعلى... ولما اطَّلَعَ على كُلِّ شيء أَمَرَه «أُورمَزْد» الإِلٰهُ الصالحُ أَنْ يَرجعَ إلى الأَرضِ، ويُخبرَ الزرادشتيةَ بما شاهَد.

فأَخَذَ محمدٌ قصةَ مِعْراج «أَرتيوراف»، وجَعَلَ نفسَه بَطَلَها! وقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وقال محمدٌ في الحديثِ عن ليلةِ الإسراء: «أُتيتُ بدابَّةٍ دونَ البَغْلِ وفَوْقَ الحمارِ، أَبيض يُقالُ له: البُراق، يَضَعُ خَطْوَهُ عند أَقصى طَرْفِه، فجلَسْتُ عليه، فانْطَلَقَ بي جبريل، حتى أَتى السماءَ الدنيا، فاستفتَحَ ورأى آدم، ثم صَعَدَ بي إلى السماءِ الثانية، فرأيتُ عيسى ويحيى، ثم صَعَدَ بي إلى السماءِ الثالثة فرأيتُ يوسف، ثم صَعَدَ بي إلى السماءِ الرابعة فرأيتُ إدريس، ثم صَعَدَ بي إلى السماءِ الخامسة فرأيتُ هارونَ، ثم صَعَدَ بي إلى السماءِ السادسة فرأيتُ موسى، ثم صَعَدَ بي إلى السماءِ السابعةِ فرأيتُ إبراهيم، ثم رجعْتُ إلى سدرةِ المنتهى، فرأيتُ فيها أَربعةَ أَنهار، منها النيلُ والفرات، ثم أُتيت بإِناءٍ من خَمْرٍ وإِناءٍ من لَبَن، وإِناءٍ من عَسَل، فأَخَذْتُ اللَّبَن، فقال: هي الفطرةُ أَنتَ عليها وأُمَّتُكَ...».

إِذَنْ: لم يحدث الإسراءُ برسولِ الله ﷺ، ولا العروجُ به إلى السمواتِ العُلَى، والذي اكتشفَ هذه الحقيقةَ هو هذا القِسّيسُ الفادي، حيث اطَّلعَ هذا الفادي على المرجعِ الذي أَخَذَ منه رسولُ الله ﷺ ادِّعاءَه. إنه كتابٌ فارسيٌّ قَديم، مُؤَلَّفٌ بلغةٍ فارسيةٍ قديمة، يتحدَّثُ عن أُسطورةِ معراج «أَرتيوراف»، وقد

اطَّلَعَ محمدٌ ﷺ على هذا الكتابِ الفارسي، وهو متمكِّنٌ من اللغةِ الفارسية في نظرِ الفادي المكتَشِف، لأنه عالِمٌ باللُّغاتِ المختلفة، قراءةً وكتابةً ومحادثة، ومنها العربيةُ والآراميةُ والحبشيةُ والفارسية واليونانية والرومانية والعبرية و. . .

وأُعجبَ محمدٌ ﷺ بقصةِ أرتيوراف، وادَّعاها لنفسه، وكَذَبَ على الناس، وزَعَمَ أنه هو الذي عُرِجَ بهِ إلى السماءِ وليس أرتيوراف!! وأثبتَ ذلك في قرآنِه الذي أَلَّفَه، وادَّعى أن اللهَ أوحى به إليه!!.

هكذا يُسجلُ الفادي المجرمُ كلامَه، ويُدَوِّنُ اتِّهاماتِه لرسولِنا محمدٍ ﷺ، ويَلْبَسُ ثوبَ الموضوعيةِ والحياد، ويقولُ كَلاماً حاقِداً لا يَصْدُرُ عن منصفٍ مُحايد!!.

ب ـ هل أخذ رسول الله ﷺ وصف الحور العين من الفرس؟:

ادَّعى الفادي المجرمُ أَنَّ محمداً ﷺ أَخَذَ وَصْفَ الحورِ العينِ في الجنةِ عن كُتُبِ الفرس، ووَضَعَه في القرآن، ونَسَبَه إلى الله، قال: «أَخَذَ القرآنُ الاعتقادَ بوجودِ الحورِ العينِ في الجَنَّةِ مما قَالَه الزرادشتيةُ القُدَماءُ، عن وُجودِ أَرواحِ الغاديات الغانياتِ المضيئاتِ في السماء، وأَنَّ مكافأةَ أَبطالِ الحروبِ هي الوجودُ مع الحورِ ووِلْدانِ الحور، وكانَ الاعتقادُ بوجودِ الحورِ سارِياً عندَ الهنودِ أَيْضاً، وكلمةُ «حوري» في لغةِ «أُوْستا» (وهي من لُغاتِ الفرسِ القديمة) تَعْني الشمسَ وَضَوْءَها، وفي اللغةِ البهلويةِ «هور»، وفي لغةِ الفرسِ الحديثةِ «حنورِ»، ولَفَظَها العَرَبُ «حُور» [كتاب «شرائع منوا» فصل: ٥، البيت: ٨٩] فَجَرْياً على هذهِ العقيدةِ الفارسيةِ والتعبيرِ الفارسيِّ قال القرآن: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] وقال: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: ٢٢ ـ ٢٣]»(١).

رسولُ اللهِ ﷺ مطلعٌ على كُتُبِ الفرسِ القديمة، وخبيرٌ باللغةِ الفارسية، يَذهبُ إلى بلادِ الفرس، ويقرأُ تلك الكتب، ويأخُذُ منها ما يُريد، ويَصوغُه

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٩٠ ـ ١٩١.

باللغةِ العربية، ويجعَلُه قرآناً، واكتشفَ الفادي الباحثُ ذلك، وذَكَرَ لنا الكتابَ الذي كان محمدٌ ﷺ يأخذُ منه!!.

من ما أَخذَه من ذلك الكتابِ القولُ بأَنَّ في الجنةِ نساءً من الحورِ العين، فهذه عَقيدةٌ فارسيةٌ زرادشتيةٌ، وكلمةُ «حور» هنديةٌ فارسية، معناها الشمسُ، حَوَّرَها الفرسُ إِلى «هور»، وأَخَذَها منهم محمدٌ ﷺ وحَرَّفَها إِلى كلمةِ «حور».. هذا ما يقررُه الباحثُ المتمكِّنُ من فقهِ اللغات، الفادي أَفندي!!.

إِن كلمةَ «حَوْرٌ» كلمةٌ عربيةٌ أَصيلة، وكانَ يَستعملُها العربُ في الجاهليةِ قبلَ الإِسلام، ويَجعلونَها وَصْفاً للنساءِ الحسانِ الجَميلات.

قالَ العالمُ اللغويُّ الإِمامُ ابنُ فارس: «الحَوَرُ: شِدَّةُ بَياضِ العينِ في شِدَّةِ سَوادِها. قالَ أَبو عمرو: الحَوَرُ: أَنْ تَسْوَدَّ العَينُ.. وإِنما قيلَ للنِّساءِ: «حورُ العين» لأَنهنَّ شُبِّهْنَ بالظِّباء»[1].

وجاءَ في لسانِ العرب: «الحَوْرُ: الرُّجوعُ عن الشيء، وإِلى الشيء. حارَ إِلى الشيء: رَجَعَ إِليه. وأَحارَ عليه جوابَه: رَدَّهُ. و: المحاورةُ: المجاوبة. و: الحَوَرُ: أَنْ يَشتدَّ بياضُ العينِ وسَوادُ سَوادِها، وتَستديرَ حَدَقَتُها، وتَرِقَّ جُفونُها، ويَبْيَضَّ ما حوالَيْها. وقيل: الحَوَرُ شِدَّةُ سَوادِ المقلَةِ في شِدَّةِ بياضِها، في شِدَّةِ بَياضِ الجَسَد. قال الأَزهري: لا تُسَمّى حوراءَ حتى تكونَ مع حَوَرِ عَيْنَيْها بيضاءَ لونِ الجَسَدِ... والأَعرابُ تُسَمِّي نساءَ الأَمصارِ حواريات لبياضِهِنَّ، وتَباعُدِهنَّ عن قَشْفِ الأَعراب بنظافَتِهِنَّ... فالحوارِيّاتُ من النساء: النقيّاتُ الأَلوانِ والجُلودِ لبياضِهِنَّ»[2].

وبهذا نَعرفُ أَنَّ مادَّةَ «حَوْرٌ» عربيةٌ أَصيلة، في جَذْرِها واشتقاقاتِها وتَصريفاتِها واستعمالاتِها، وليستْ فارسيةً أَو مُعَرَّبَةً عن الفارسية، كما زعمَ هذا الفادي المفتري.

وقد وَرَدَتْ مادَّةُ «حَوْرٌ» في القرآنِ ثلاثَ عَشْرَةَ مَرَّةً، وَوَرَدَ منها الكلماتُ

---

(١) مقاييس اللغة، ص٢٨٧.

(٢) لسان العرب: ٤/٢١٧ ـ ٢١٩.

التالية: يَحورُ بمعنى: يَرجعُ: مرةً واحدة. و: يُحاورُ بمعنى: يُراجعُ ويُناقشُ ويُجادلُ في الكلام. وَرَدَ مرتَيْن. و: تَحاوُرٌ: بمعنى المراجعة والمناقشة. وَرَدَ مرةً واحدة. و: حورٌ عينٌ: صفةُ نساءِ الجنَّة. وَرَدَ أربعَ مرات. و: الحواريّون: أصحابُ عيسى عليه السلام. وَرَدَ خمسَ مرات.

قالَ اللهُ عن الحورِ العين: ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان: ٥٤] وقال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ٢٠] وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۝٧٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٧١ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٠ ـ ٧٢]. وقال تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: ٢٢ ـ ٢٣].

جـ ـ هل سلمان الفارسي هو مؤلف القرآن؟:

من مفترياتِ الفادي المفتري الكبيرةِ الفاجرةِ زَعْمُهُ أَنَّ مُعَلِّمَ النبيِّ ﷺ هو سلمانُ الفارسيُّ رضي الله عنه، كان يُلَقِّنُ النبيَّ ﷺ القرآنَ، فيصوغُه بدوْرِه بالعربية، ويَنسبُه إلى الله!!.

قالَ تحتَ عنوان: «مُلَقِّنُ محمدٍ: سلمان الفارسي»: «شهدَ القرآنُ أَنَّ المقصودَ بإملائِه القصصَ الفارسيةَ على محمدٍ هو سلمانُ الفارسي، فقال: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

وسلمانُ هذا فارسيٌّ أَسلم، وكان من الصحابة، وهو الذي أَشارَ على محمدٍ وَقْتَ حصارِ المدينة بحفْرِ الخندق، فنفَّذَ محمدٌ نصيحتَه، وهو الذي أَشارَ على محمدٍ باستعمالِ المنجنيقِ في غزوةِ ثقيف في الطائف. وقد اتهمَ العربُ محمداً أَنَّ سلمانَ هذا هو الذي ساعَدَه على تأليفِ قرآنه، ومنه اسْتَقى الكثيرَ من قَصَصِه وعباراتِه، ومع أَن محمداً قال: إِن سلمانَ أَعجميٌّ والقرآنَ عربيّ، ولكن هذا لا يمنعُ أَنْ تكونَ المعاني لسلمان، وصياغتُها في أُسلوبها العربيِّ لمحمد»(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٩١.

يَكْذِبُ المفْتَري عندما يَزعُمُ أَنَّ القرآنَ شَهِدَ أَنَّ المقصودَ بإِملاءِ القَصصِ الفارسيةِ على رسولِ اللهِ ﷺ هو سلمانُ الفارسيُّ رضي الله عنه، وأنه هو الأَعجميُّ المقصودُ بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

لم يَقُلْ أَحَدٌ من العلماءِ المسلمين أَنَّ الآيةَ نازلةٌ في سلمانَ الفارسي، لأَنَّ سورةَ النحلِ مكيَّة، ولم يكنْ سلمانُ مُسْلماً وقْتَ نزولِها، إِنما أَسلمَ في المدينةِ بعدَ الهجرة. والراجحُ أَنَّ المقصودَ بالآيةِ بعضُ العبيدِ الأَعاجمِ في مكة.

روى الواحديُّ في «أَسبابِ النزول»، والطبريُّ في تفسيرِه، عن عبدِ الله بنِ مسلم الحضرميِّ رضي الله عنه: أَنه كانَ لهم عَبْدانِ من أَهْلِ غَيْرِ اليمن، وكانا طِفْلَيْن، وكان يُقالُ لأَحَدِهما: يَسار، وللآخَر: جَبْر. فكانا يَقْرَأانِ التوراةَ، وكانَ رسولُ اللهِ ﷺ ربما جَلَسَ إِليهما. فقالَ كفارُ قريش: إِنما يَجلسُ إِليهما يتعلَّمُ منهما، فأَنزلَ اللهُ قولَه تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾.

وقالَ محمدُ بنُ إِسحاق في السيرة: كانَ الغلامُ النصرانيُّ واسْمُه «جَبْر» عَبْداً لبعضِ بني الحَضْرَمي. وقالَ عِكرمةُ وقَتادة: كان اسْمُه يعيش. وقالَ ابنُ عباس: كان اسْمُه بلعام.

وبعدَ أَنْ ذكرَ الحافظُ ابنُ كثير الاختلافَ في اسمِ ذلك الغلامِ الأَعجميِّ، قال: «وقالَ الضّحّاكُ بنُ مزاحم: هو سلمانُ الفارسي. وهذا القولُ ضَعيف، لأَنَّ هذه الآيةَ مكية، وسلمانُ إِنما أَسلمَ بالمدينة»(١).

وقالَ ابنُ كثير في تفسيرِ الآية: «يَقولُ تعالى مُخْبِراً عن المشركين، ما كانوا يقولونَه من الكذبِ والافتراءِ والبُهْت، أَنَّ محمداً إِنما يُعَلِّمُه هذا الذي يَتْلوهُ علينا من القرآنِ بَشَر.. ويُشيرونَ إِلى رجلٍ أَعجمي كان بينَ أَظْهُرِهم،

(١) تفسير ابن كثير: ٢/٥٦٧.

غُلامٌ لبعضِ بُطونِ قريش، كان بَيّاعاً يَبيعُ عند الصَّفا، وربما كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَجلسُ إِليه ويُكلمُه بعضَ الشيء، وذاكَ كانَ أَعجميَّ اللسانِ لا يَعرفُ العربية، أَو أَنه كانَ يَعرفُ الشيءَ اليسير، بقَدْرِ ما يَرُدُّ جَوابَ الخطابِ فيما لا بُدَّ منه، فلهذا قالَ اللهُ تعالى رَدّاً عليهم في افترائِهم ذلك: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾. أَي: القرآنُ لسانٌ عربيٌّ مبين، فكيفَ يتعلَّمُ مَنْ جاءَ بهذا القرآنِ ـ في فصاحتِه وبلاغتِه ومعانيه التامةِ الشاملة، التي هي أَكملُ من كُلِّ كتابٍ نَزَلَ على بني إِسرائيل ـ من رجلٍ أَعجميٍّ؟ لا يَقولُ هذا مَنْ له أَدنى مِسْكَةٍ من عَقْل..»[1].

لقد كَذَبَ الفادي المفتري كذبَتَيْنِ كبيرتَيْن: كَذَبَ عندما زَعَمَ أَنَّ الرسولَ ﷺ أَخَذَ هذا القرآنَ عن رجلٍ أَعجمي، ولا نجدُ في الرَّدِّ عليه أَبلغَ من قولِه تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾.

والكِذْبةُ الثانيةُ عندما زَعَمَ أَنَّ هذا الأَعجميّ المعلِّمَ هو سلمانُ الفارسيُّ رضي الله عنه، وهو يقولُ هذا الكلامَ لأَنه جاهلٌ بالقرآنِ، وبالسيرةِ، وبالتاريخِ، وبأُسس البحثِ العلميِّ المحايدِ النزيه.

إِنه جاهِلٌ لا يَعرفُ أَنَّ سورةَ النحل مكيّة، وجاهلٌ لأَنه لا يَعرفُ أَنَّ إِسلامَ سلمانَ الفارسيِّ كانَ في المدينة. وهو حاقدٌ متحاملٌ، يُغالطُ عندما يَدَّعي أَنَّ سلمانَ الفارسيَّ كان يُعلمُ الرسولَ ﷺ العلومَ والقصصَ والأَخبارَ والمعاني، باللغةِ الفارسية، فيتلقَّفُها منه، ويَصوغُها بلغتِه العربية: «ولكنَّ هذا لا يَمنعُ أَنْ تكونَ المعاني لسلمان، وصياغتها في أُسلوبِها العربيِّ لمحمد».

وقد كانَ سلمانُ الفارسيُّ رضي الله عنه خبيراً بشؤونِ الحرب، ولذلك هو الذي أَشارَ على رسولِ الله ﷺ بحَفْرِ الخندق، في السنةِ الخامسةِ من الهجرةِ، لما

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢/٥٦٧.

هاجمتْ أَحزابُ الكفارِ المدينة، ففوجئوا بذلك الخندق، الذي لم يَألَفوه من قبل. كما أَشارَ على رسولِ اللهِ ﷺ بضربِ الطائفِ بالمنجنيق، في السنةِ الثامنةِ من الهجرة.

سادساً: ما الذي أخذه رسول الله ﷺ من كتب الحنفاء؟:

تكلمَ الفادي الجاهلُ عن «الحنفاءِ» كَلاماً باطلاً، دَلَّ على جهلِه وافترائِه، وزَعَمَ فيه أَنَّ هؤلاءِ الحنفاءَ كانوا من الذين عَلَّموا رسولَ اللهِ ﷺ.

أ ـ من هو الحنيف؟:

من جهل الفادي أنه لم يَعْرِفْ معنى كلمة «حنيف» في اللغةِ العربية، فبَعْدَ أَنْ ذَكَرَ بعضَ الآياتِ التي وَصَفَتْ إِبراهيمَ عليه السلام بأَنه حَنيفٌ، كقوله تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٩٥] ادَّعى الجاهلُ الغبيُّ أَنَّ كلمةَ «حَنيف» عبريةٌ وسريانيةٌ وليست عربية. قالَ في افترائِه: «وكلمةُ (حنيف) في اللغةِ العبريةِ والسريانيةِ تَعْني «نَجساً» أَو «مُرْتَدّاً»، وُصِمَ بها العربُ الذين هَجَروا عبادةَ الأَصْنام، وارتَدُّوا عن دينِ أَسلافِهم»[1].

«حَنيف» عند الجاهلِ ليستْ صفةَ مَدْح، بل صفة ذَمٍّ، بمعنى: نَجِس، وهي عبريةٌ وليستْ عربية! هكذا يَدَّعي هذا الباحثُ الموضوعيُّ المحايد!!.

علماً أَنَّ الكلمةَ عربيةٌ أَصيلةٌ، ذاتُ جَذْرٍ لغويّ صحيح، ومعنى عربي: واضح مفهوم.

هل الحنيفُ هو النجسُ؟ لِنَنْظُر:

قالَ ابنُ فارس: «الحَنَفُ هو المَيْلُ. ورجلٌ أَحْنَف: مائِلُ الرِّجْلَيْن. والحَنيفُ: المائل إِلى الدينِ المستقيم. ويُقال: الحَنيفُ هو النّاسِك، والحَنيفُ هو المستقيمُ الطريقة، وهو يَتَحَنَّفُ. أَيْ: يَتَحَرّى أَقومَ الطَّريق»[2].

وجاءَ في لسانِ العرب: «الحَنيفُ: المسلم، الذي يَتَحَنَّفُ عن الأَدْيان،

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٩١.

(٢) مقاييس اللغة، ص٢٨٥.

أَيْ: يَميلُ إِلى الحَقّ. وقيلَ: هو الذي يَستقبلُ قبلةَ البيتِ الحرامِ على ملَّةِ إبراهيم، على نبيِّنا وعليه الصلاةُ والسلام. وقيلَ: هو المخْلِص، وقيل: هو مَنْ أَسْلَمَ في أَمْرِ الله، فلم يَلْتَوِ في شيء. وقيل: كُلُّ مَنْ أَسْلَمَ لأَمْرِ اللهِ ولم يَلْتَوِ فهو حَنيف. فالحَنيفُ: المستقيم، والحَنَفُ: الاستقامة. والدّينُ الحَنيفُ: الإِسلام. والحنيفيةُ: مِلَّةُ الإِسلام. وفي الحديث: «بُعِثْتُ بالحنيفيةِ السَّمْحَة». قالَ الزجاج: الحَنيفُ في الجاهليةِ: مَنْ كانَ يَحُجُّ البيتَ، ويَغتسلُ من الجَنابة، ويَختتن، فلما جاءَ الإِسلامُ كانَ الحنيفُ المسلمَ. وفي الحديثِ القدسيّ: «خَلَقْتُ عبادي حُنَفاء». أَيْ: طاهِري الأَعضاء من المعاصي...»[1].

الحَنيفُ في اللغةِ العربيةِ هو الطاهرُ وليس النَّجس، وهو المسلمُ وليس المرتَدّ، وهو المستقيمُ على الحَقّ، وليس المنحرفَ عنه، فهو صفةُ مدحٍ وثناء، وليسَ صفةَ ذَمٍّ، كما ادّعى هذا الجاهلُ الغبيُّ.

ولذلك جاءَتْ هذه الصفةُ للمدح والثناء، وَوُصِفَ بها إبراهيمُ عليه السلام أَكثر من مَرَّة. كما في قولِه تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥]. وكما في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]. وكما في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠].

ولذلك أَمَرَ اللهُ رسولَه محمداً ﷺ أَنْ يَقْتديَ بإِبراهيمَ عليه السلام، وأَنْ يكونَ حَنيفاً مثْلَه. قالَ تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ﴾ [الأنعام: ١٦١]. وقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ﴾ [الروم: ٣٠].

---

(١) لسان العرب: ٩/٥٦ ـ ٥٨.

وأَمَرَ اللهُ كُلَّ عبادِه المسلمين أَنْ يَكونوا حُنَفاء، على اختلافِ زمانِهم أو مكانِهم. قالَ تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَنيفٌ، ورسولُنا ﷺ حَنيفٌ.. والنَّجِسُ المرتَدُّ الخبيثُ المفتري هو هذا الفادي المجرمُ، الذي يتلاعَبُ حتى بمعاني الكلمات!.

ب ـ حول نشأة الحنفاء ونهايتهم:

يواصِلُ الفادي الجاهلُ جَهْلَه، فيتحدَّثُ عن نشأةِ الحُنَفاء، ويَذْكُرُ أَمْراً ساذجاً مُضْحِكاً، يَدَّعي أنه نَقَلَه عن السيرةِ النبويةِ لابنِ هشام.

زَعَمَ أَنَّ قُريشاً اجتمعتْ في يوم عيدٍ لهم، حولَ صنمٍ من أَصنامِهم، يَعبدونَه ويُعَظِّمونه... فاعتزلهم أَربعةُ نَفَر، وجَلَسُوا يتحدثون فيما بينهم، وهم: وَرَقَةُ بنُ نوفل، وعبيدُ الله بن جحش، وعثمانُ بن الحويرث، وزيدُ بن عمرو بن نفيل.. وقال بعضُهم لبعض: تَعلمونَ أَنَّ قومَكم ليسوا على شيء، وأنهم تركوا دينَ أَبيهم إبراهيم، وعبدوا أَحجاراً لا تَضُرُّ ولا تَنفع...

وتواصى هؤلاء الأَربعةُ أَنْ يَتَفَرَّقوا في البلدان، للبحثِ عن الدينِ الحق.

وزَعَمَ الفادي أَنَّ وَرَقَة بنَ نوفل تَنَصَّر، وأَنَّ عُبيدَ اللهِ بنَ جحشٍ بقيَ حائِراً، إلى أَنْ أَسلمَ ثم تَنَصَّر، وأَنَّ عثمانَ بنَ الحويرث تَنَصَّر، وزيدَ بنَ عمرو اعتزلَ قَومَه، وطَردوه من مكة، وأَقامَ على جبل حراء...[١].

وهذا كلامٌ باطل، يَدُلُّ على أَنَّ «الحنفاءَ» لم يوجَدوا إلّا في قريش، قُبيلَ بعثةِ رسولِ اللهِ ﷺ، وأَنهم أَربعةُ رجالٍ فقط، انتهى ثلاثةٌ منهم إلى النصرانية وصاروا نصارى، والرابعُ هو الذي عَلَّمَ محمداً ﷺ القرآن!!.

«الحُنَفاءُ» هم: الذينَ لم يُشركوا بالله، ولم يَعْبُدوا الأَصنام، وآمَنوا بالله وحْدَه لا شريكَ له، وبَقوا على دينِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقد كانوا يَعلمونَ أَنَّ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٩٢.

إبراهيمَ عليه السلام كان «حَنيفاً»، ولهذا أعلنَ كُلُّ واحدٍ منهم أنه حنيف، يَقْتَدي بإبراهيم عليه السلام، وسُمّوا بالحنفاء. أيْ أنَّ دينَهم كانَ «الحنيفية»، القائمةَ على توحيدِ الله، وعدمِ الشركِ به.

وكان هؤلاء قبلَ بعثةِ محمدٍ ﷺ بمئاتِ السِّنين، ولم يتوقَّفْ وجودُ الحنفاءِ في بلادِ العرب منذُ إسماعيلَ عليه السلام، ولم يكونوا في مكةَ وَحْدَها، إنما كانوا موجودين في مختلفِ بلادِ العرب، كمكةَ والمدينةِ والطائف ونجد واليمن وعُمان وغيرها. فلم يكونوا مجردَ أَربعةِ رجالٍ كما زعم الفادي.

وكَذَبَ الفادي المفتري عندما ادَّعى أَنَّ ورقةَ بنَ نوفل اعتنقَ النصرانية، وذلك في قولِه: «فأَما وَرَقَةُ بنُ نوفل فاستحكَمَ في النصرانية، واتبعَ الكتبَ من أَهلِها، حتى عَلِمَ عِلْماً من علمِ أَهْلِ الكتاب».

لقد بقيَ وَرَقَةُ على الحنيفية، ولم يَدخلْ في اليهوديةِ ولا في النصرانية، لقد كان قارِئاً كاتِباً، مُطَّلِعاً على التوراة، يقرأُ فيها، ويعرفُ النبوةَ والأَنبياء، لكنه لم يَعتنقْ أَيّاً من الديانتَيْن اليهوديةِ والنصرانية.

وبقيَ ورقةُ بنُ نوفلَ حَيّاً حتى بعثةِ محمدٍ ﷺ، وكان قَريباً لزوجه خديجةَ رضي الله عنها، وقد قابلَ الرسولُ ﷺ ورقةَ بعدَ نزولِ الوحيِ عليه، وثَبَّته على الحَقّ.

روى البخاريُّ ومسلمٌ عن عائشةَ رضي الله عنها حديثَ «بدءِ الوحي» الطويل، ونسجلُ هنا الجزءَ المتعلقَ بورقة، قالت: «... فقالَتْ خديجةُ لورَقَة: أَي عَمّ! اسمعْ من ابنِ أَخيك. فقالَ له ورقة: يا بنَ أَخي ماذا تَرى؟ فأَخبره رسولُ الله ﷺ خَبَرَ ما رآه. فقالَ له ورقَة: هذا الناموسُ الذي أُنزلَ على موسى عليه السلام، يا لَيْتَني فيها جَذَعاً، يا لَيْتَني أَكونُ حيّاً إِذْ يخرجُك قومُك! فقال رسولُ الله ﷺ: «أَوَ مُخْرِجيَّ هُمْ؟». قالَ ورقة: نَعَمْ. لم يأْتِ رجلٌ قَطّ بمثْلِ ما جئْتَ به إِلّا عودِي، وإِنْ يدركْني يومُك أَنْصُرْكَ نَصراً مُؤَزَّراً. ثم لم يَنشِب ورقةُ أَنْ تُوُفِّي»(١).

---

(١) مسلم، برقم: (١٦٠).

وَرَقَةُ حَنيفٌ مُوَحِّد، يَعرفُ النبوةَ والأنبياء، لذلك عَرَفَ أَنَّ اللهَ بَعَثَ محمداً رسولاً نبياً ﷺ، وأنزلَ عليه الوحيَ، وأَنَّ جبريلَ الذي أُنزلَ عليه هو الذي أَنزلَه اللهُ على كُلِّ نبيٍّ قبلَه.. وأَخبرَ ورقةُ محمداً ﷺ أَنْ قُريشاً سيُخرجونَه من مكة، وسيُعادونَه ويُحاربونَه، لأَنَّ الأَقوامَ السابقين عادوا أَنبياءَهم وحارَبوهم، وتمنّى لو كانَ في شبابِه وقُوَّتِه لينصُرَه ويؤَيِّدَه ويكونَ معه، وَوَعَدَه أَنْ يَدخلَ في دينِه إِنْ أَدركَه وبقيَ حَيّاً، لكنَّه سرعانَ ما توفي!.

أيْ أَنَّ ورقةَ أيقنَ أَنَّ محمداً هو رسولُ الله ﷺ، وتمنّى لو دَخَلَ هو في الإِسلام، وكان يَنْوي ذلك، لكنَّه ماتَ قبلَ أَنْ يبدأَ رسولُ الله ﷺ بالدعوة.

جـ - زيد بن عمرو ورسول الله ﷺ:

ادَّعى الفادي المجرمُ أَنَّ قُريشاً نَفَوا زيدَ بنَ عمرو، فأَقامَ في غارِ حراء، وهناك كانَ يجتمعُ به محمد ﷺ، فعلَّمَه زيدٌ القرآن!! قالَ الفاجرُ فَضَّ اللهُ فاه: «وأما زيدُ بنُ عمرو فلم يدخُلْ في يهوديةٍ ولا نصرانية، وفارَقَ دينَ قومِهِ، فاعتزلَ الأَوثانَ، ونهى عن قتْلِ الموءودةِ، وقالَ: أَعبدُ رَبَّ إِبراهيم، ونادَى قومَه بعيبِ ما هم عليه، وكان يَجهرُ في الكعبةِ بمبادئِه، فطردَه عَمُّه خَطّاب من مكة، وأَلزمَه أَن يُقيمَ على جبلِ حراء أَمامَ تلك المدينة، ولم يَأْذَنْ له بالدخولِ إِلى مكة.. وكان محمدٌ يَذهبُ إِلى جبلِ حِراء، ويَصرفُ هناكَ شهراً كُلَّ سنة، حَيثُ طبعَ زيدٌ على محمدٍ في ذلك الغارِ أَكبرَ أَثرٍ في أَفكارِهِ وتوجيهِهِ»[1].

ما ادَّعاهُ المجرمُ غيرُ صَحيح، فلم تَنْفِ قريشٌ زيدَ بنَ عمرو من مكة، ومن ثَمَّ لم يكنْ مُقيماً في غارِ حِراء، فقد كانَ مُقيماً في مكَّة، ويتجوَّلُ فيها، ويَجلسُ عند الكعبة، ويَنشُدُ الأَشْعار، ويَنطقُ بالأَقوالِ في عَيْبِ الشركِ بالله، والجهرِ بتوحيدِ الله، وكانوا يَسمعونَه ولا يهتَمُّون به.

ولم يَلْتقِ رسولُ الله ﷺ بزيدِ بنِ عمرو في غارِ حِراء، كما ادَّعى المجرمُ، وماتَ زيدُ بنُ عمرو قبلَ بعثةِ رسولِ الله ﷺ، والذي أَدرك النبوةَ هو ابنُه سعيدُ بنُ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٩٢ ـ ١٩٣.

زيد، الذي كانَ من خَيارِ الصحابة، ومن العشرةِ المبَشَّرين بالجنة.

وانظر إلى فُجورِ الفادي عندما يُوَظِّفُ الروايةَ الصحيحةَ تَوْظيفاً سيئاً، يوافِقُ هواه، ويَستدلُّ بها على ادِّعاءاتِه واتهاماتِه. فالرسولُ ﷺ كان يَذهبُ إلى غارِ حراءَ شَهْراً في السنة، هو شَهْرُ رمضان، هذا صحيح، حيثُ كان يَخْلو إلى نفسِه، يُفَكِّرُ ويتأمَّل... لكنَّه لم يكن هناك مع زيدِ بنِ عمرو، ولم يُعَلِّمْه زيدٌ القرآنَ، ولم يُلَقِّنْه التوحيدَ.

وعندما كان رسولُ اللهِ ﷺ وحيداً في غارِ حِراءَ فاجأه الوحْيُ، وأنزلَ اللهُ عليه جبريلَ عليه السلام.

روى البخاريُّ ومسلمٌ عن عائشةَ أُمِّ المؤمنين رضي الله عنها قالت: «أَوَّلُ ما بُدِئَ به رسولُ الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحةُ في النومِ، فكانَ لا يَرى رؤيا إلّا جاءَتْ مثلَ فَلَقِ الصُّبْح... ثم حُبِّبَ إليه الخَلاء، وكانَ يَخْلو بغارِ حِراء، فيتحنَّثُ فيه ـ وهو التعبُّدُ ـ الليالي ذواتِ العَدَد، قبلَ أَنْ يَنْزِعَ إلى أَهْلِه، ويتزوَّدَ لذلك، ثم يَرجعَ إلى خَديجة، فيتزوَّدَ لمثْلِها... حتى جاءَهُ الحق وهو في غارِ حراء.. فجاءَه المَلَكُ، فقالَ: اقْرَأ...».

د ـ هل أَثَّرَ زيدُ بنُ عمرو في القرآن؟:

ما زالَ الفادي المفْتَري مُصرّاً على فُجورِه ومزاعمِه بأَنَّ محمداً ﷺ تَلَقّى القرآنَ عن زَيْدِ بنِ عمرو. وأَوردَ بعضَ الأَبياتِ الشعريةِ التي نُسبتْ لزيدِ بن عَمرو، ولَخَّصَ هو بعضَ أَفكارِها، الرافضةِ للشرك، والداعيةِ إلى التوحيد، ثم زَعَمَ أَنَّ هذه الأَبياتِ أَثَّرَتْ في القرآن.

قال المجرم: «أَقوالُ زيدِ بنِ عمرو وأَثَرُها في القرآن:

قالَ زيدُ بنُ عمرو في فراقِ قومِه:

أَرَبٌّ واحــــدٌ أَمْ أَلْـــفُ رَبٍّ ... أَديـنُ إذا تَـقَـسَّـمَـتِ الأُمـورُ
عَـزَلْـتُ الـلّاتَ والـعُزّى جَـميعاً ... كَـذلـكَ يَـفْـعَـلُ الـجَلِـدُ الـصَّـبورُ
فَـلا عُـزّى أَديـنُ وَلا ابْـنَـتَـيْـهـا ... وَلا صَـنَـمَـيْ بَـنـي عَـمـرٍو أَزورُ
وَلا هُـبَـلاً أَديـنُ وَكـانَ رَبّـاً ... لَـنـا في الـدَّهْـرِ إذ حِـلْـمِي يَـسيـرُ

عَجِبْتُ وَفي اللَّيالي مُعْجِباتٌ وَفي الأَيّام يَعْرِفُها البَصيرُ
بِأَنَّ اللّهَ قَدْ أَفْنى رِجالاً كَثيراً كانَ شَأْنُهُمُ الفُجورُ
وَأَبْقى آخَرينَ بِبِرِّ قَوْمٍ فَيَكْبُرُ مِنْهُمُ الطِّفْلُ الصَّغيرُ
وَبَيْنا المَرْءُ يَفْتُرُ ثابَ يَوْماً كَما يَتَرَوَّحُ الغُصْنُ المَطيرُ
وَلكِنْ أَعْبُدُ الرَّحْمنَ رَبّي لِيَغْفِرَ ذَنْبِيَ الرَّبُّ الغَفورُ
فَتَقْوى اللّهِ رَبِّكُمُ احْفَظوها مَتى ما تَحْفَظوها لا تَبورُ
تَرى الأَبْرارَ دارَهُمُ جِنانٌ ولِلْكُفّارِ حامِيَةٌ سَعيرُ
وَخِزْيٌ في الحَياةِ وَإِنْ يَموتوا يُلاقوا ما تَضيقُ بِه الصُّدورُ»

وعَلَّقَ المفْتَري على شِعْرِ زيدِ بنِ عمرو بقوله: «فهذه القصيدةُ العامرةُ تُبيِّنُ مَبادئَ الحُنفاءِ التي تَأَثَّرَ بها محمد، وجَعَلَها من مقوِّماتِ دينِه، فقصيدةُ زيدِ بنِ عمرو قبلَ الإِسلام تُعلنُ المبادئَ التالية:

رفضُ عبادةِ الأَوثان. والإِقرارُ بوحدانيةِ الله. والوعدُ بالجنة. والوعيدُ بالعذابِ في سَعيرِ جهنم. وأَسماءُ اللهِ الرَّبِّ الرحمنِ الغفور. والمناداةُ بدينِ إِبراهيم.

وقد أَخَذَ الإِسلامُ أَهَمَّ مبادِئِه عن الحنفاء، كما عَلَّمَها زيدُ بنُ عمرو لمحمدٍ!!»(١).

صحيحٌ أَنَّ زيدَ بنَ عمرو قال بعضَ أبياتِ هذه القصيدة التي نُسبتْ له، وبعضُ أَفكارِها التي وَرَدَتْ كانَ زيدٌ مؤمناً بها، لأَنه كانَ مُوَحِّداً حنيفاً، على دينِ إِبراهيمَ عليه السلام. ولكنَّ زيداً ماتَ قبلَ بعثةِ محمدٍ رسولِ الله ﷺ، ولزيدٍ أَبياتٌ وعباراتٌ توحيديةٌ أُخرى، لأَنه كانَ مؤمناً مُوَحِّداً لله.

ولا يُسْتَغْرَبُ اتفاقُ بعضِ المبادئِ والأَفكارِ التي كان يُؤمنُ بها زيدُ بنُ عمرو ـ أَو غيرُه منَ العربِ الحنفاء ـ مع ما جاءَ في القرآنِ، لأَن تلكَ المبادئَ أَخَذوها عن دينِ إِبراهيمَ عليه السلام.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٩٣ ـ ١٩٤.

لقد جاءَ إبراهيمُ عليه السلام بالتوحيد، وجاءَ محمدٌ ﷺ بالتوحيد، وجاءَ كُلُّ نبيٍّ بالتوحيد، ولا خِلافَ في العقيدةِ بينَ رسولٍ ورسول، فكلُّهم جاؤوا بعقيدةٍ واحدة، ولا غرابةَ في اتفاقِ القرآنِ مع ما كان يؤمنُ به المؤمنُ الحنيفُ زيدُ بن عمرو.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٣].

سابعاً: ما الذي أخذه رسول الله ﷺ من الكتب السماوية؟:

ادَّعى الفادي المفتري أَنَّ محمداً ﷺ أَخَذَ القرآنَ من الكتبِ السماويةِ السابقة، المتمثلةِ في أَسْفارِ العهدِ القديم وأناجيلِ العهدِ الجديد، وادَّعى أَنَّ القرآنَ اعترفَ بذلك، واستشهدَ على ذلك بقولِه تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨ ـ ١٩].

ومعنى الآيةِ عندَه أَنَّ آياتِ القرآنِ موجودةٌ في الصحف الأُولى، كصحفِ إِبراهيمَ وموسى عليهما السلام. أَيْ أَنَّ محمداً ﷺ أَخَذَ آياتِ القرآنِ من الصحفِ الأُولى، التي أُنزلَتْ على إِبراهيمَ وموسى، وزَعَمَ أَنَّ اللهَ أَنزلَها عليه.

وهذا الفهمُ الخاطئُ للآيةِ سَبَبُهُ جهلُ الفادي وغباؤُه، اسْمُ الإِشارةِ «هذا» في الآية: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ يَعودُ في زعمِه على القرآن. وهذا باطلٌ. إِنَّ اسْمَ الإِشارةِ يَعودُ على المعنى الذي قَرَّرَتْه الآياتُ السابقةُ من السورة، مثلُ قولِه تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٤ ـ ١٧]. أَيْ: هذا المعنى في الآياتِ موجودٌ في الصحفِ الأُولى، كصحفِ إِبراهيمَ وموسى.

وهذه الآياتُ تُقررُ حقائقَ إِيمانيةً عقيدية، وهذه الحقائقُ موجودةٌ في

الصحفِ الأُولى، فاللهُ أَخبرَ في صحفِ إِبراهيمَ وموسى أَنَّ مَنْ تَزَكّى وذَكَرَ اسْمَ ربِّه فصلّى، فهو مفلحٌ فائزٌ ناجح.. ولكنَّ معظمَ الناسِ لا يَأْخذون بذلك، وإِنما يُؤْثِرونَ ويُفَضِّلونَ الحياةَ الدنيا، وهم خاسرونَ مُخطئون في إِيثارِهم واختيارِهم، لأَنَّ الآخِرَةَ خَيرٌ وأَبقى.

فهذه الآياتُ شاهدةٌ بوحدةِ الصحفِ والكتبِ التي أَنزلَها اللهُ على رسلِه، ووحدةِ الرسالاتِ في الأُصول، وهي مسائلُ الإِيمانِ والعقيدة، وكلُّهم جاؤوا بعقيدةٍ واحدةٍ، تقومُ على توحيدِ الله، وإِفرادِه بالعبادةِ والاستعانة، وطالَبوا بتحقيقِ أَركانِ الإِيمان، والخلافُ بينَهم إِنما كان في الشرائعِ، لقوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

وذَكَرَ الفادي المفْتَري بعضَ الموضوعاتِ التي أَخَذَها محمدٌ ﷺ من الكتبِ السابقة فقال: «.. وفي هذا اعترافٌ صريحٌ أَنَّ القرآنَ (عَدَا قصص نساءِ محمدٍ وغاراته) مأخوذٌ عن الكتابِ المقدس.. فمِنْ سِفْرِ التكوينِ اقتبسَ قصةَ الخليقةِ وآدمَ وحَوّاء وقايينَ وهابيلَ وأَخنوخَ ونوحٍ وإِبراهيمَ ولوطٍ وإِسحاقَ ويَعقوبَ ويوسُفَ... وعن سِفر الخروج أَخَذَ قصةً موسى وفرعون وعامودَ السحاب والمنِّ والسلوى والصخرةِ والوصايا العشر والعجل الذهبي واللوحين والتابوت... وعن سِفر اللّاويين أَخَذَ شريعةَ العينِ بالعينِ والسِّنِّ بالسن والذبائح الدموية... وعن سِفْرِ العددِ أَخَذَ قصةَ الجواسيس وقورح والبقرة الحمراء وبلعام... وعن سفرِ التثنية أَخَذَ أَنَّ موسى كتبَ التوراة، وأَنَّ الكهنةَ حفظوها... ومن سِفْرِ يَشوع اقتبسَ قصةَ دُخولِ بني إِسرائيلَ أَرضَ الموعد.. وأَخَذَ قصةَ جَدْعون عن سِفْرِ القضاة.. وقصةَ شاول وداود وجوليات وتوبةَ داود عن سِفْرَي صموئيل.. وقصةَ سليمان من سِفر المزامير وأَشعياء وحزقيال. وقصةَ يونان عن سِفر يونان.. وقصةَ زكريا ويحيى ومريم العذراء وميلاد المسيح ومعجزاتِه وموته وصعوده عن الأَناجيل. وانتشار المسيحية ومجمع أورشليم ورسامة القساوسة عن أعمال الرسل.. وبعضَ الآياتِ اقتباساً من رسائل بولس الرسول إِلى أَهلِ رومية وكورنثوس وغلاطية وفيلبي

وتسالونيكي والعبرانيين، ومن رسائل يعقوب وبطرس ورؤيا يوحنا اللاهوتي»[1].

إذا توافَقَ القرآنُ في أيِّ قصةٍ أو خَبَرٍ مع أسفارِ التوراةِ والأناجيل، فهو دليلٌ على أنَّ محمداً ﷺ أَخَذَ ذلك من تلك الكتب، أَيْ أنه رجعَ إليها وقرأَ فيها وحفظها، ثم أَخَذَ واقتبسَ وصاغَ منها ما يَشاء، وادَّعى أَنَّ اللهَ أنزلَها عليه!!.

لا أدري كيفَ يَلبسُ هذا الفادي الجاهلُ ثوبَ البحثِ العلميِّ الموضوعيِّ المنصفِ المحايد، ولا كيفَ يَفهمُ الأُمورَ، ولا كيفَ يَقرأُ في الأديانِ والرسالات!!.

إننا نؤمنُ أَنَّ اللهَ أنزلَ التوراةَ على موسى ﵇، قبلَ أَنْ يُحَرِّفَها اليهود، كما نؤمِنُ أَنَّ اللهَ أنزلَ الإنجيلَ على عيسى ﵇، قبلَ أَنْ يُحرفَه النَّصارى، وبما أَنَّ الكتبَ الثلاثةَ من عندِ اللهِ فلا بُدَّ أَنْ تكونَ متوافقةً متساندة، ولا يَجوزُ أَنْ تكونَ مُتعارضةً متناقضة. ويَجبُ أَنْ يَكونَ الكتابُ اللاحقُ المتأَخِّرُ مُصَدِّقاً للكتابِ السابق، وإِذا جاءَ مُناقِضاً له، أَو مُخَطِّئاً أَو مُكَذِّباً لما فيه، فأَحَدُ الكتابَيْنِ ليسَ من عند الله!!.

وإِنَّ من المتَّفِقِ مع التفكيرِ العقليِّ المنطقيِّ أَنَّ كَلامَ اللهِ صادقٌ صَحيحٌ صائب، وأنه لا يَجوزُ لبعضِ كلامِ اللهِ أَنْ يُخَطِّئَ أَو يُكَذِّبَ أَو يَنْقُضَ أَو يَرُدَّ بعضَ كَلامِ الله. ولهذا نقول: يَستحيلُ عَقْلاً وشَرْعاً أَنْ يُخَطِّئَ الإِنجيلُ التوراة، أَو أَنْ يُناقِضَ القرآنُ ما في الإِنجيلِ والتوراة!! كلُّ ما وردَ في الإِنجيلِ النازلِ على عيسى ﵇ مُوافقٌ ومُصَدِّقٌ للتوراةِ النازلةِ على موسى ﵇. وكلُّ ما وردَ في القرآنِ النازلِ على محمدٍ ﷺ موافِقٌ ومُصَدِّقٌ لما وَرَدَ في التوراةِ النازلةِ على موسى، والإِنجيلِ النازلِ على عيسى ﵉. هذا أَمْرٌ بَدَهيٌّ عقليٌّ مُقَرّر!!.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٩٤.

وقد أخبرَ اللهُ أَنَّ عيسى جاءَ مُصَدِّقاً لموسى عليه السلام، وأَنَّ الإنجيلَ جاءَ مُصَدِّقاً للتوراة. قال تعالى عن ما قالَه عيسى عليه السلام لبني إسرائيل: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

وقال تعالى عن موافقة وتصديق الإنجيل للتوراة: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

ويُلاحَظُ أَنَّ الحالَ «مُصَدِّقاً» وَرَدَ في الآيةِ مرتَيْن؛ كان في المرةِ الأُولى حالاً لعيسى عليه السلام: ﴿بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾.. وكانَ في المرةِ الثانيةِ حالاً للإنجيل: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾.

ومن المعلومِ أَنَّ الإنجيلَ مُكَمِّلٌ للتوراة، حتى الأَناجيل المحرفة التي كَتَبها النصارى، متوافقةٌ في كثيرٍ من أَفكارِها مع أَسفارِ العهدِ القديم المحرَّفَةِ التي كتبها الأَحْبار.

فلماذا لم يَتَّهِم الفادي المجرمُ عيسى عليه السلام بأنه أَلَّفَ الإنجيلَ من عنده، لأَنه متوافقٌ مع التوراة في كثيرٍ من الأَخبارِ والقَصصِ والحكايات؟ بينما اتَّهَمَ محمداً ﷺ بأَنه أَلَّفَ القرآنَ من عندِه، لأَنه متوافقٌ مع التوراةِ والإِنجيل؟! ولماذا حَرَّمَ على القرآنِ ما أَباحَه للإِنجيل؟ وأَينَ هذا من الموضوعيةِ والمنهجية؟!.

لو خالَفَ القرآنُ التوراةَ والإِنجيل، ولو كَذَّبَ ما فيهما من حقائقَ صادقةٍ فسوفَ يُشَكُّ في أَنَّه من عندِ الله، لأَنَّ مَنْ ناقَضَ وكَذَّبَ كَلامَ الله فليس من عندِ الله. ولذلك نَعتبرُ موافقةَ القرآنِ للتوراةِ والإِنجيل، وتصديقَه لما فيهما،

شهادةً له تُقررُ أنه من عندِ الله، أوحى به إلى محمدٍ ﷺ، وليس شُبهةً تُوَجَّهُ ضِدَّه، كما فَعَلَ ذلك الفادي المفتري.

وأَخْبَرَنا اللهُ في القرآنِ أنه جعلَ القرآنَ مُصَدِّقاً لما قبلَه من التوراةِ والإنجيل؛ قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢].

والقرآنُ ليس مجردَ مصدِّقٍ للتوراةِ والإنجيل، وإنما هو مهيمنٌ عليهما، فهو الحاكمُ عليهما، وهو المرجعُ لما وَرَدَ فيهما، لأنَّ اللهَ أنزلَه بعدهما؛ قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

ونُذَكِّرُ بحقيقةٍ قاطعةٍ هي أَنَّ القرآنَ مُصَدِّقٌ للتوراةِ الربانية، التي أَنزلَها اللهُ على موسى عليه السلام، وللإنجيلِ الربانيِّ الذي أَنزلَه اللهُ على عيسى عليه السلام.. أمّا التوراةُ التي بينَ أيدي اليهودِ الآنَ فإنَّ القرآنَ مُكَذِّبٌ لما فيها من أَخطاء وأَكاذيب، لأنها من تأليفِ الأحبار الكافرين. والأناجيلُ التي بين أيدي النصارى الآن يُكَذِّبُ القرآنُ ما فيها من أكاذيب، لأَنها من تأليفِ الرهبان!!.

٢٠٥

حول إنزال القرآن مفرقاً

شاءَ اللهُ الحكيمُ إنزالَ الكتبِ السابقةِ جملةً واحدة، وشاءَ الحكيمُ سبحانه أَنْ لا يكونَ إنزالُ القرآنِ كذلك، ولذلك أنزلَه مُفَرَّقاً مُنَجَّماً، واستمرَّ إنزالُه مدة البعثة، التي كانت ثلاثةً وعشرين عاماً.

وقد أثارَ الكفارُ السابقونَ اعتراضاً وإشكالاً على ذلك، واقترحوا أَنْ ينزلَ القرآنُ جملةً واحدة، كالكتبِ السابقة، وذَكَرَ اللهُ قولَهم وردَّ عليه في أكثر من آية.

وأَعادَ الفادي المفتري اعتراضَ السابقين، واعْتَبَرَه مَطْعَناً يوجَّهُ ضِدَّ القرآن، ودَليلاً على أنه ليسَ من عندِ الله.

وجعلَ اعتراضَه تحتَ عنوان: «الكلامُ المفكَّك».

أَيْ أَنَّ القرآنَ كلامٌ مُفكَّك مُتقطّع متفرّق، لا يَجمعُه نظامٌ أو تناسُق، فهو مُتعارِض مُتَناقِض مع نفسِه، فما قالَه قبلَ عَشْرِ سنوات يُخالِفُه الآن، وما أَخبرَ عنه في الماضي يَتَراجَعُ عنه في الحاضر، وما أَباحَه سابقاً يتراجَع عنه لاحِقاً. وهذا التعارضُ والاختلافُ دَليلٌ على أنه ليسَ من عندِ الله!!.

أَوردَ المفتري قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]. تُشيرُ الآيةُ إلى حقيقةِ إنزالِ القرآنِ مُفَرَّقاً منجماً، على حسبِ الحوادثِ والأسباب، وتُبينُ الحكمةَ من هذا الإنزال، وهي أَنْ يقرَأَهُ الرسولُ ﷺ على الناسِ على مُكْثٍ وتَمَهُّل.

ثم ذَكَرَ المفتري تَفسيرَ البيضاوي للآية، وتَلاعَبَ في كلامِه كعادتِه، وقَدَّمَ وأَخَّرَ وحَذَفَ[1].

وأَوردَ قولَه تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]. تَذْكُرُ الآيةُ اعتراضَ الكفارِ على إنزالِ القرآنِ مُنَجَّماً، وتَرُدُّ عليهم بالإشارةِ إلى حكمةِ ذلك التنزيل.

ثم ذَكَرَ المفتري تفسيرَ البيضاوي للآية، الذي سَجَّلَ فيه سِتَّ حِكَمٍ تبدو من ذلك، وقَدَّمَ وأَخَّرَ في ما ينقلُه كعادتِه[2].

ثم سَجَّلَ اعتراضَه الفاجرَ بقوله: «ونحنُ نسأل: كيفَ يكونُ القرآنُ وحياً، وهو متقطّعٌ مُفرَّق، يأْتي بعضُه في وَقْتٍ، ويتأَخَّرُ بعضُه إلى وقتٍ آخر؟ لقد كانَ محمدٌ يَرتبكُ عندما كان العربُ أَو اليهودُ أَو النَّصارى يسأَلونَه،

(١) قارن بين كلام البيضاوي: ٣/ ٢٦٩، وما نقله المفتري عنه في كتابه، ص١٩٤.

(٢) قارن بين البيضاوي: ٤/ ١٢٣، وما نقله عنه في: ص١٩٤ ـ ١٩٥.

وأحياناً كان يَحْتجُّ بأَنَّ جبريلَ تَأْخَّرَ بسببِ وُجودِ الكلاب!»[1].

إِنَّ هذا الفادي المفتري، مثله مثل باقي الكفار، لا يعجبُه شيءٌ في ما يتعلَّقُ بالقرآن، لأَنَّ القرآنَ عندَه مُتَّهَمٌ دائماً، ومُخْطِئٌ دائماً. فلو أَنَّ اللهَ أَنزله دفعةً واحدةً لاعترضَ عليه هذا الفادي، وقال: إِنَّ محمداً أَخذَهُ من التوراة، وادَّعىٰ أَنَّ اللهَ أَنزلَه عليه دفعةً واحدةً مثل التوراة!. وبما أَنَّ اللهَ أَنزلَه عليه منجَّماً مفرَّقاً، فقد اعترضَ الفادي على ذلك، وقالَ ـ كما قالَ كفارُ قريش ـ: لماذا لم يُنزلْه عليه دفعةً واحدةً مثلَ التوراةِ والإِنجيل؟! وهذا الاعتراضُ المستمِرُّ منه على القرآنِ دليلُ انحرافِ فكرِه، وسَوادِ قلبِه، واتِّباعِه لهواه، ورفضِه الاستجابة لمنطقِ الحق.

ونصَّ القرآنُ على حكمةِ إِنزالِه منجَّماً مفرَّقاً، وذَكَرَ المفسِّرون ومؤلِّفو الكتبِ في علومِ القرآنِ الحِكَمَ العديدةَ من هذا التفريقِ في إِنزاله. فاللهُ يقول: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦] الحكمةُ هي أَنْ يقرَأَهُ الرسولُ ﷺ على الناس، وأَنْ يُعَلِّمَهم إِياه، ويُربيهم به، وهم أُمِّيّون لا يُحسنونَ الكتابةَ والقراءة، فكان من الحكمةِ إِنزالُه مفرقاً، ليُحْسِنوا التعاملَ والتفاعلَ معه، وتنفيذَ أَحكامِه، وتربيةَ نفوسِهم به.. ومعلومٌ أنه لا بُدَّ في التربيةِ والمجاهدةِ من المكثِ والتَّأَنّي والتمهُّلِ والتدرُّج، وهذا يتطلَّبُ التفريقَ والتنجيم.

واللهُ ﷻ يقول: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]. الحكمةُ التي ذَكَرَتْها الآيةُ هي تَثبيتُ فُؤادِ النبيِّ ﷺ، وذلك بمواساتِه على ما يَجِدُ من حَرْبٍ وتَكْذيبٍ وعِداء، ففي كُلِّ موقفٍ من مواقفِ مواجهتِه للكفار، يُنزلُ اللهُ عليه آياتٍ جديدة، يُحَدِّثُه فيها عن ما جَرى لنبيٍّ قَبْلَه، أَو يُفَرِّحُه بأَنه معه، ويَدْعوهُ إِلى الصبرِ والثبات.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٩٥.

وقد ذَكَرَ العلماءُ حِكماً عديدةً من إنزالِ القرآنِ مُنَجَّماً مُفَرَّقاً، نَكتفي بالإشارةِ إلى الحِكَمِ التي ذَكَرَها البيضاوي، ونَقَلَها عنه المفتري رافضاً لها:

١ ـ المساعَدَةُ على حِفْظِ الرسولِ ﷺ للآيات، لأنه أُمِّيّ، فلو أُنزلَ عليه جملةً واحدة لَخُشِيَ أنْ لا يَحْفَظَه.

٢ ـ نُزولُه مُنَجَّماً بحسبِ الحوادثِ يساعِدُ على حُسْنِ فَهْمِ المؤمنين للآياتِ وتدبُّرِها.

٣ ـ استمرارُ تَحَدّي الكفار، ومطالبتهِم بالإتيانِ بمثله، واستمرارُ إظهارِ عجْزِهم، وهذا يُؤَكِّدُ حقيقةَ كونِ القرآنِ من عندِ الله.

٤ ـ تَثبيتُ فؤادِ الرسولِ ﷺ وقلوبِ المؤمنين على الحق، في كُلِّ دفعةٍ جديدةٍ من الآيات.

٥ ـ تربيةُ المسلمين، فعندما تقع الحادثةُ تَنزلُ آياتٌ جديدةٌ تُعالجُها، وهذا ما ثَبَتَ في علْمِ «أَسباب النزولِ»، الذي هو من أَهَمِّ عُلوم القرآن.

٦ ـ معرفةُ الحكمِ المتأَخِّرِ الناسخِ للحُكْمِ المنسوخِ المتَقَدِّم(١).

والفادي غَبِيٌّ جاهِلٌ، لا يَعرفُ هذه الحِكَمَ من إنزالِ القرآنِ مُنَجَّماً، ولذلك اعتبرَهُ كَلاماً مُفَكَّكاً.

عِلْماً أَنَّ القرآنَ كُلَّه وحدةٌ موضوعيةٌ واحدة، تَقومُ على التناسقِ والتناسبِ والترابط، فرغْمَ أَنَّ نُزولَه استمرَّ ثلاثةً وعشرين عاماً، إلّا أَنّه مُتكامِلٌ مُترابط، لا تَرى فيه تَفَكُّكاً أَو انفصالاً أَو اختلافاً أَو اضطِراباً، وأَكَّدَ هذه الحقيقةَ قولُ اللهِ ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

ويَبدو التناسقُ والترابطُ في الوحداتِ التالية: كلماتُ الجملةِ القرآنية،

---

(١) انظر الحكم في: تفسير البيضاوي: ٤/ ١٣٣. وانظر مبحث «نزول القرآن» في أي كتاب من كتب علوم القرآن: كالبرهان؛ والإتقان؛ لمعرفة حكم إنزال القرآن منجَّماً.

وجُمَلُ الآيةِ الطويلة، وآياتُ السورة، وسُورُ القرآنِ مجتمعة.. وهذا لا يوجَدُ في الكتبِ السابقة، التي حَرَّفَتْها أَيْدي البَشَر.

وقد اعتنى علماءُ ومفَسِّرونَ ببيانِ وإِظهارِ التناسقِ بينَ آياتِ السورة، وفي مقدمةِ هؤلاءِ الإِمامُ المفَسِّرُ البقاعيُّ في تفسيرِه «نَظْمُ الدُّرَر في تناسبِ الآيِ والسور». وسيد قطب في تفسيرِه: «في ظلال القرآن».

ويأتي بعد هذا المفتري المجرمُ ليزعُمَ أَنَّ القرآنَ كَلامٌ مُفَكَّكٌ مُجَزَّأٌ، ويَطرَحَ تَساؤُلَه الفاجرَ الدالَّ على خُبْثِه وجَهْلِه: «كيفَ يكونُ القرآنُ وَحْياً وهو منقطعٌ مُفَرَّقٌ، يأتي بعضُه في وَقْت، ويتأَخَّرُ بعضُه إِلى وَقْتٍ آخر؟».

وهو لا يتوقَّفُ عن الافتراءِ والكذبِ عندما يقولُ: «لقد كانَ محمَّدٌ يَرتبكُ عندما يسأَلُه العَرَبُ أَو اليهودُ أَو النصارى، وأَحياناً كان يحتجُّ بأَنَّ جبريلَ تَأَخَّرَ بسببِ وُجودِ الكلاب».

لم يَرتبكْ رسولُ اللهِ ﷺ مرةً واحدة، عندما وُجِّهَ له أَيُّ سؤال، ولم يَضطربْ ويتلعْثَم لأَنه لم يَعرف الجواب.. إِذا كانَ يَعرفُ جوابَ السؤالِ ذَكَرَه، وإِذا لم يَعرف الجوابَ يَنتظرُ الجوابَ من الله، والانتظارُ ليسَ ارْتِباكاً أَو اضطراباً كما ادَّعى الجاهل، إِنما هو تأكيدٌ على حقيقةِ نبوَّتِه وتَلَقّيه الوحْيَ من الله. وهذا موجودٌ في مبحثِ «نُزولِ القرآن»، واسْمُه: «ما نزلَ بعد طولِ انتظار»، مثلُ إِنزالِ الآياتِ بشأنِ خولةَ بنتِ ثعلبة وزوجِها أَوسِ بن الصامت، وإِنزالِ الآياتِ ببراءَةِ عائشة رضي الله عنها بعدَ حديثِ الإِفْك، وإِنزالِ الآياتِ بشأْنِ قصةِ أَصحاب الكهف وذي القرنين والروح، وهي موجودَةٌ في كتبِ التفسيرِ والحديثِ لا يتسعُ المَجالُ لذِكْرِها.

وأَمّا أَنَّ جبريلَ لم يَنزلْ على رسولِ اللهِ ﷺ لوجودِ كلبٍ عندهُ فهذه أُكذوبةٌ مضحكةٌ وروايةٌ باطلة، وَرَدَتْ في بعضِ الكتبِ التي لا تتحرّى الدِّقَّةَ والصحة، فتلَقَّفَها الفادي المجرمُ المفتري وَرَدَّدَها.. وتَزعمُ الروايةُ الأُكذوبةُ أَنَّ جبريلَ تَوَقَّفَ لعدةِ أَسابيع عن النزولِ على رسولِ اللهِ ﷺ، فرآهُ في الطريقِ وسأَلَه عن سببِ توقُّفِه، وقال له: لماذا لم تَنْزِلْ عَلَيَّ فأَنا مشتاقٌ إِليك؟ فقالَ

له: كيفَ أَنزلُ عليك وفي بيتك كَلْبٌ ميتٌ منذُ أَسابيع! فأَخرجَ الرسولُ كَلْباً ميتاً تحتَ سريرِه، فنزلَ عليه جبريلُ فوراً بسورة الضحى، التي قال الله له فيها: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ١ ـ ٣].

إنَّ أيَّ إنسانٍ عاقلٍ يرفضُ هذا الهُراء، والمَثَلُ يقولُ: إذا كان المتكلِّمُ مجنوناً فلْيكن المستمعُ عاقلاً!! فهلْ يُعْقَلُ أَنْ يَدْخُلَ كلبٌ بيتَ النبيِّ ﷺ ولا يَراه هو أو أَحَدٌ من أَهلِ بيتِه؟ ويَبْقى مختفياً تحتَ سريره؟ وهل يُعْقَلُ أَنْ يَموتَ الكلْبُ تحتَ سريره، وتبقى جُثَّتُه عدةَ أَسابيع، لم يُلاحِظْها أحد من أَهلِ بيتِهِ؟ أَلم تَخرجْ منها الرائحةُ الكريهة؟ أَلم تَتَحَلَّلْ؟ أَلم يشمَّ الرسولُ ﷺ رائحتَها وهو نائمٌ على السرير، وهي متحللةٌ تحتَ السرير؟ يُريدُ المفتري منّا أَنْ نُلغيَ عُقولَنا، وأَنْ نُصَدِّقَ هذا الهراءَ السخيف الذي قالَه، والذي يَصْدُقُ فيه كلامُ الشاعر:

هــذا كَــلامٌ لَــهُ خَــبِــيءٌ   مَـعْـنـاهُ لَـيْـسَـتْ لَـنـا عُـقـولُ

٢٠٦

حول الكلمات الغريبة في القرآن

وَجَّهَ الفادي المفتري انتقادَه لوجودِ كلماتٍ غريبةٍ في القرآن، وقال: «في القرآنِ كثيرٌ من الكلماتِ الغريبة، وهاكُم جَدْولاً ببعضِها». وبعدَ أَنْ سجلَ عشرينَ كلمةً منها، ذَكَرَ موقفَ عمرَ بنِ الخطاب وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم من هذه الكلمات، قال: «قَرَأَ عمرُ بنُ الخطابِ على المنبر: ﴿وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا﴾، فقال: هذه الفاكهةُ قد عرفْناها، فما الأَبُّ؟ ثم رجعَ إِلى نفسه فقال: إنَّ هذا لهو التكلفُ يا عمر.. وقالَ ابنُ عباس: لا أَعرفُ غِسْلينَ وحَناناً وأَوّاه والرَّقيم». وختمَ كلامَه بسؤالِه الخبيث: «ونحن نسأَل: أَليستْ هذه الأَلفاظُ الغريبةُ مخالِفةً للذوقِ السليمِ في فَنِّ الإنشاء؟!»[1].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٩٦.

ولنقضِ شبهاتِه ودحضِ افتراءاتِه نُقررُ أَنَّ الكلماتِ الغريبةَ في القرآنِ كلماتٌ عربيةٌ أَصيلة، لها أُصولٌ وجُذورٌ عربيةٌ فصيحة، وليستْ كلماتٍ أَعجميةً أَو معرَّبة، ووجْهُ غرابتِها هو نُدرةُ استعمالِها في الأَساليبِ العربية، ونُدرةُ دورانِها على أَلسنةِ وأَقلامِ العرب، مما جعلَها شبهَ مهجورةِ الاستعمال، فغابَ عن الذهنِ العربيِّ المعنى المباشِرُ لها، مما تَطَلَّبَ العودةَ إِلى القواميسِ والمعاجم لمعرفةِ معناها.. فهي ليستْ غريبةً على اللغةِ العربية في جذورِها واشتقاقاتِها، ولكنها غريبةٌ على الثقافةِ العربية عند المتكلمينَ العرب، وإِذا جازَ توجيهُ اللومِ فإِنه لا يُوَجَّهُ إِلى القرآنِ الذي استعملَها، وإِنما يُوَجَّهُ إِلى القُرّاءِ والكُتّابِ والمثقَّفينَ العرب، لأَنهم لم يَرْتَقوا إِلى مستوى البلاغةِ القرآنية.. وأَنت لا تَلومُ السامي في ارتقائِه، وإِنما تلومُ الذي لا يرتقي إِلى مستواه.

ثم إِنَّ غرابةَ معاني تلك الكلماتِ، تَزولُ بالعودةِ إِلى كتبِ التفسيرِ المختصرة، ومَنْ أَرادَ التوسُّعَ والاستزادةَ فيمكنُه ذلك، بالعودةِ إِلى كتبِ القواميسِ والمعاجم. ويَكفي لمعرفةِ المعاني السريعةِ لهذه الكلماتِ وغيرِها اصطحابُ كتابِ «كلمات القرآن: تفسير وبيان» لحسنين مخلوف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.. وقد طُبِعَ هذا الكتابُ عدةَ طَبْعاتٍ على هامشِ المصحف، ويمكنُ لقارئ القرآنِ أَن يَنظرَ إِلى هامشِ الصفحةِ من القرآنِ، ليَعرفَ معنى الكلمةِ الغريبةِ في الآية. وبهذا لم تَعُدْ تلك الكلماتُ الغريبةُ غريبةً، لا على القارئِ العادي للقرآن، ولا على الباحث في معاني وتفسيرِ القرآنِ!!.

إِننا نَعتبرُ وُجودَ هذه الكلماتِ الغريبةِ في القرآن شهادَةً للقرآنِ في بلاغتِه وسُمُوِّه وإِعجازِه، وجَمالاً جَديداً يُضافُ إِلى مظاهرِ جَمالِه في أَساليبِ بيانِه، وهي ليستْ مخالِفةً للذوقِ السليمِ في فنِّ الإِنشاءِ كما زَعَمَ الفادي الجاهل.

والروايةُ عن عمرَ بنِ الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في موقفِه من «الأَبِّ» في القرآنِ صحيحة، لكنَّ الفادي الجاهلَ لم يَعرفْ مَعْناها، فأَساءَ توظيفَها ضدَّ القرآن.

إنَّ عمرَ ﷺ عربيٌّ فصيح، وهو يَعرِفُ معنى «الأَبِّ» في اللغة، ويَعرفُ معناها في الآية: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾، ويَعلمُ أنها مذكورةٌ في مقابلِ الفاكهةِ المخصَّصَةِ للإنسان، فهي طعامٌ للأنعام. ووجْهُ تَرَدُّدِه ولومِه لنفسِه أنه أَرادَ أَنْ يُحددَ أَصنافَ الأَبِّ، من أَيِّ أَنواعِ النباتِ هو؟ فكأَنه يقول: عَرَفْنا الفاكهةَ، التي منها الزيتونُ والأَعنابُ والرمانُ والتمر، فما هو الأَبُّ الذي تأْكله الأَنعام؟ هل هو «البَرسيمُ والفَصَّةُ»؟ وهل هناك أَسماءٌ غيرها؟ ثم تراجَعَ وقال: إنَّ هذا لهو التكلُّفُ يا عمر.

فالتكلُّفُ ليسَ في محاولةِ معرفةِ معنى الأَبِّ، لأَنه يَعرفُ معناه، ولكنَّه في محاولةِ تحديدِ أَنواعِه وأَصنافِه وأَسمائِه.

أَما الروايةُ المنسوبةُ إِلى ابنِ عباس ﷺ: «لا أَعرفُ معنى غسلين وحناناً وأواه والرقيم» فهي ليسَتْ صحيحة، وهي مطعونٌ فيها، وتَتعارضُ مع علمِ ابنِ عباس ﷺ بمعاني القرآن، الذي كانَ أَعلمَ الصحابةِ بالقرآن، وقد استجابَ اللهُ دعاءَ الرسولِ ﷺ له: «اللهمَّ فَقِّهْهُ في الدينِ وعَلِّمْهُ التأويل». وهو الصحابيُّ الذي حازَ لَقَبَ: (حَبْرُ الأُمَّة وتُرجمانُ القرآن).

وما من كلمةٍ من كلماتِ القرآن إلا وكانَ يَعرفُ معناها الدَّقيقَ، وكانَ يحفظُ الشواهدَ عليها من الشعرِ العربيِّ الجاهليّ. وقد امتحنَه زَعيمُ الخوارجِ نافعُ بنُ الأَزرق، وسأَله عن معنى حوالي مئةِ كلمةٍ غريبةٍ في القرآن، وعندما كانَ يُجيبُه كانَ يطالبه بالشاهد الشعري، فيقول له: «وهل تعرف العرب ذلك من كلامها؟»، فكان ابنُ عباس يُقَدِّمُ له المطلوب. وقد جَمعتْ تلك الأَسئلةَ والأَجوبةَ والشواهدَ الشعريةَ الدكتورةُ عائشةُ عبد الرحمٰن ـ بنتُ الشاطئ ـ في كتابها: «إِعجازُ القرآن البياني ومسائل نافعِ بنِ الأَزرق»... والذي عنده هذا العلمُ لا يَقول: لا أَعرفُ معنى كذا في القرآن!.

٢٠٧

حول الناسخ والمنسوخ في القرآن

خَصَّصَ الفادي المفتري حَيِّزاً كبيراً من كتابِه للاعتراضِ على النسخِ في القرآن، وإِثارةِ الشبهاتِ والإِشكالاتِ عليه. وجَعَلَ تلك الاعتراضاتِ في المباحثِ التالية: عُيوبُ الناسخِ والمنسوخ.. وأَمثلةٌ للناسخِ والمنسوخ.. والأَسبابُ الحقيقيةُ للناسخِ والمنسوخ. وبدأَ كلامَه بذكْرِ أَربعةِ آياتٍ أَخبرتْ عن النسخِ في القرآن، هي: سورة البقرة: ١٠٦. وسورة النحل: ١٠١. وسورة الرعد: ٣٩. وسورة الحج: ٥٢.

وتحتَ عنوان: «عُيوب الناسخِ والمنسوخ» سَجَّلَ ستةَ عيوبٍ لوجودِ النسخ في القرآن! وادَّعى أَنَّ القرآنَ وحْدَه الذي فيه ناسخٌ ومنسوخ، من بينِ سائرِ الكتبِ الدينية، ووجودُ النسخ في القرآن دَليلٌ على أنه ليس كلامَ الله، لأَنَّ «كَلامَ اللهِ الحقيقيَّ لا يَجوزُ فيه الناسخُ والمنسوخ»[1].

ولا يهمُّنا البحثُ عن الناسخِ والمنسوخِ في التوراةِ والإِنجيل، وإِنما يهمُّنا تقريرُ الأَساسِ المنطقيِّ المنهجيِّ للنظرِ إِلى النسخِ في القرآن، فالنسخُ في القرآنِ ليس مشكلة، ولا يَتناقَضُ مع العقلِ والمنطق، فاللهُ هو الحاكمُ المشرعُ سبحانه، يُشَرِّعُ ما شاءَ من الأَحكام وفقَ حكمَتِه سبحانه، ويَجعلُ بعضَ تلك الأَحكام موقوتةً بزمنٍ محدَّد، وفقَ حكمتِه سبحانه، وعندما يَنتهي ذلك الزمنُ ويُحقِّقُ ذلك الحكمُ هَدَفَه يَنسخُه اللهُ ويُلْغيه، وفقَ حكمتِه سبحانه.. فالحكْمُ السابقُ شَرَعَه الله، والحكمُ الناسخُ له فيما بعد شَرَعَه الله، وبما أَنَّ الناسخَ والمنسوخَ من عندِ الله، فاللهُ الحكيمُ العليمُ يَفعلُ ما يشاء، لا رادَّ لأَمْرِه، ولا مُعَقِّبَ لحكْمِه.. وهذا معناه أَنَّ الفادي المفتري كاذبٌ في زعمِه أَنَّ كلامَ اللهِ الحقيقيَّ لا يَجوزُ فيه النسخ.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٩٧.

وبعد هذه المقدمةِ العقليةِ المنهجيةِ نَبحثُ عن النسخ في القرآن، هل تَحدَّثَ القرآنُ عن النسخ؟ فإذا وردتْ آيةٌ واحدةٌ في القرآن، فإنها كافيةٌ لإثباتِ النسخِ وإيمانِنا به، لأنَّ القرآنَ يُعلِّمُنا المنهجيةَ العلمية، ويَجعَلُ عُقولَنا تابعةً لكلامِ الله، فاهمةً متدبِّرَةً له، تَدورُ معه حيثُ دار، وتَقولُ بما قالَ به، وتُؤمِنُ بما وردَ فيه، ولا يَجوزُ لأيِّ عقلٍ أن يكونَ فوقَ كلامِ الله، وأَنْ يكونَ هو الحَكَمَ والمهيمنَ على كَلامِ الله.

أَكثرُ من آيةٍ قَررت النسخ، وجعلَتْه بيدِ الله، منها قولُه تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦] فاللهُ هو الذي يَنسخُ الآيةَ أو يُنْسِيْهَا، واللهُ هو الذي يأْتي بخيرٍ منها أَو مثلِها، واللهُ على كل شيء قديرٌ، وهو الحكيمُ الخبير.

ومنها قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١].. إننا نعتمدُ على هاتيْن الآيتيْن في إيمانِنا بالنسخِ في القرآن، وفي فهمِنا للناسخِ والمَنسوخِ فيه.

أولاً: لا عيوب في النسخ في القرآن:

سَجَّلَ الفادي الجاهلُ ستةَ عيوبٍ للنسخِ في القرآن.. وهي لا تَصمدُ أَمامَ النظرِ والبحث، ولا تَثبتُ أَمامَ المنهجيةِ والعلمية:

١ ـ اعتبرَ الجاهلُ النسخَ مُتَناقِضاً مع الحكمةِ والصدقِ والعلم، فقال: «لأَنَّ الناسخَ والمنسوخَ في كلام الله ضدّ حكمتِه وصدْقِه وعلْمِه، فالإِنسانُ القصيرُ النظرِ هو الذي يَضعُ قوانين، ويُغَيِّرُها ويُبدلُها بحسبِ ما يَبدو له من أَحوالٍ وظروف.. لكنَّ اللهَ يَعلمُ بكلِّ شيء قبلَ حدوثِه، فكيفَ يُقالُ: إنَّ اللهَ يُغيرُ كلامَه ويبدلُه وينسخُه ويُزيلُه؟ أَليسَ من الأَوفقِ أَنْ نُنزهَ اللهَ فنقولَ: ليس اللهُ إِنْساناً فيكذب، ولا ابنَ إِنسانٍ فيندم؟!»[1].

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٩٧.

اعتبرَ الجاهلُ النسخَ ثمرةً للبِداء، وهو ظهورُ الشيء بعدَ خَفائِه، واللهُ منزَّهٌ عن البِداء، لأنه سبحانه أَحاطَ بكلِّ شيء علْماً، وهو يعلمُ الشيءَ قبلَ حُدوثِه.. ومن جهلِ الفادي قياسُه فعْلَ اللهِ على فعْلِ الإنسان، وعدمُ ملاحظتِه الفرقَ بينَ مَقامِ اللهِ وضَعْفِ الإنسان. فالإنسانُ جاهلٌ قَصيرُ النظر، ولذلك يُغَيِّرُ ويُبَدِّلُ في قوانينِه، بحسَبِ ما يَبدو له من علمٍ جَديد.

ونسخُ اللهِ لبعضِ أَحكامِه ليس من هذا الباب، فلا بِداءَ في علْمِ الله، وهو سبحانه يَجعلُ بعضَ أَحكامِه موقوتةً بزمنٍ مُحَدَّد، لتحقيقِ مصلحةِ المسلمين، فإذا انتهى زَمَنُها نَسَخها وأتى بأَحكامٍ أُخرى بَدَلَها. وهو العليمُ الخبيرُ الحكيم. ويُشيرُ إلى هذه الحقيقةِ قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. فالآيةُ صريحةٌ في تَقريرِ حقيقةِ علْمِ اللهِ بما يُنزل، وجاءَ هذا التقريرُ في جملةٍ معترضةٍ للاستدراك ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ..﴾ فالنسخُ والتبديلُ في الآياتِ مبنيٌّ على علْمِ اللهِ بما يُنزلُ قبلَ أَنْ يُنزلَه، فلا بِداءَ فيه.

٢ ـ ادَّعى الجاهلُ المفتري أَنه لا يوجَدُ نَسخٌ في اليهوديةِ والنصرانية، ونَقلَ كَلاماً منسوباً لعيسى عليه السلام في نفيه. قال: «لأَنَّ الناسخَ والمنسوخَ ليس له وُجودٌ في اليهوديةِ ولا في المسيحية. قالَ المسيح: لا تَظنوا أَنِّي جئتُ لأَنقضَ الناموسَ أَو الأنبياء، ما جئتُ لأَنقضَ بل لأُكملَ، فإِنِّي الحقَّ أَقولُ لكم: إلى أَنْ تزولَ السمٰواتُ والأرضُ لا يَزولُ حرفٌ واحدٌ أَو نقطةٌ واحدةٌ من الناموس، حتى يكونَ الكُلّ»[1].

وادِّعاءُ الجاهلِ باطلٌ مردودٌ عليه، وهو مُفْتَرٍ في نفيِه النسخَ بين اليهوديةِ والنصرانيةِ، وقد نَسَخَ اللهُ برسالةِ عيسى عليه السلام بعضَ الأَحكامِ التي جعلَها على اليهود، وجاءَ هذا المعنى صريحاً في قولِه تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آل عمران: ٥٠].

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٩٧.

لقد جمعَتْ هذه الآيةُ الحكيمةُ بينَ «الإحكامِ والنسخ» في رسالةِ عيسى عليه السلام.

ـ الإحكامُ في قوله: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾. لقد كانَ عيسى عليه السلام مُصَدِّقاً للتوراةِ ومُؤَيِّداً لها في الجانبِ المحكَمِ منها الذي لا نَسخَ فيه، وهو الجانبُ الإيمانيُّ والأخلاقيُّ والإِخْبارِيّ. ومعلومٌ أنه لا نَسخَ في العقائدِ أو الأخلاقِ أو الأخبارِ، فالإنجيلُ موافقٌ تَماماً للتوراةِ النازلةِ على موسى عليه السلام في ذلك وهو لا يَعترفُ بأسفارِ العهدِ القديمِ التي كَتبها الأَحبارُ ونَسبوها إلى الله زوراً.

على هذا الجانبِ المحْكَم من التوراة نَحملُ الكلامَ الذي نَسَبَه الفادي إلى عيسى عليه السلام ـ إنْ صَحَّتْ نسبتُه له ـ! فهو لا يَنقضُ الناموسَ أو الأنبياء، وما جاءَ لينقضَ ما وردَ في التوراةِ بل ليُكَمِّلَه ويُصَدِّقَه، أيْ: مسائلُ الإيمانِ المذكورةُ في التوراةِ ثابتةٌ محكَمَة، لا نَسخَ لها، لا في الإنجيلِ ولا في القرآن.

ـ والنسخُ في رسالةِ عيسى عليه السلام الموجَّهةِ إلى بني إسرائيلَ في قوله في الآية: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾.

إنَّ هذه الجملةَ صَريحةٌ في نَسْخِ الإنجيلِ لبعضِ أَحكامِ التوراة، فقد كانت بعض الأَشياءِ محرمةً على اليهود، وجاءَ عيسى عليه السلام ليُحِلَّ لهم تلك الأَشياءَ المُحرَّمة، وإذا كانَ هذا لا يُسَمّى نَسْخاً فماذا يُسَمّى؟!.

ومن الدليلِ على وُقوعِ النسخِ في الشريعةِ اليهوديةِ نفسِها أَنَّ بعضَ الأَشياءِ كانت مُباحةً لليهود، وشرعَ اللهُ إباحتَها في التوراةِ النازلةِ على موسى عليه السلام، ثم حَرَّمَ اللهُ عليهم تلك المباحات، عِقاباً لهم على ظُلمِهم وعُدوانِهم. قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٦٠]. كانت بعضُ الطيباتِ مُباحةً لليهود، وبعدما ظَلَموا وبَغَوا عاقبَهم الله، فنسخَ إباحتَها، وحَرَّمَها عليهم!.

لقد مَرَّتْ بعضُ الأحكامِ التي شَرَعَها اللهُ لليهودِ بالمراحلِ التالية: الإباحةُ، ثم الحرمَةُ عِقاباً لهم، ثم الحِلُّ والإباحةُ على لسان عيسى عليه السلام.

فكيفَ يتجرأُ الفادي المدَّعي بعدَ ذلك ليقول: لا نَسخَ في اليهوديةِ ولا في النصرانية؟!.

٣ ـ من عيوبِ النسخِ في نَظَرِ الفادي أنه يفتحُ بابَ الكذبِ والادِّعاء، ولذلك لا بُدَّ من منعِه! قال: «لأَنَّ الناسخَ والمنسوخَ يَفتحُ بابَ الكذبِ والادِّعاء، فإذا قالَ مُدَّعي النبوةِ قَوْلاً وظَهَرَ خَطَؤُه، أو إذا اعترضَ عليه سامِعوه، قال: إنه منسوخ، ويأْتي بقولٍ آخَرَ.. فينسخ الله ما يلقي الشيطان، كما يَنسخُ إلٰهُ محمدٍ ما يُلقيهِ عليه من قرآن»[1].

وهذه الشبهةُ مردودةٌ على الجاهل، ولا تُوَجَّهُ إلى النسخِ في القرآن، فالأَمْرُ ليس من بابِ الادِّعاءِ والتقوُّلِ والافتراء، وليسَ كما يفعلُه ويقولُه الكَذّابون المدَّعون، وإنما هو من فعْلِ اللهِ سبحانه، ولذلك أُسندَ إلى اللهِ وليس إلى الرسولِ ﷺ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ ..﴾ ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ..﴾ وكَلامُ مُدَّعي النبوةِ باطلٌ مردودٌ عليه، سواء ادَّعى النسخَ أم لا!!.

٤ ـ تساءلَ الفادي بخبثٍ عن مصيرِ الآياتِ المنسوخة؛ قال: «لأَنَّ محمداً اعتبرَ الناسخَ والمنسوخَ من نفسِ كلامِ الله، فهل كانَ المنسوخُ كَلاماً إلهيّاً مكتوباً في اللوحِ المحفوظ؟ وهل يَترتبُ على نسخِه في القرآن نسخُه أَيْضاً في اللوحِ المحفوظ؟ وكيفَ يَسمحُ اللهُ لكلامِه العزيزِ بالزوالِ والإهمال؟ وإلّا فلماذا كُتِبَ؟»[2].

وهذه الأَسئلَةُ مردودةٌ ومتهافتةٌ ولا وَزْنَ لها، لأَنَّ الراجحَ هو أَنَّ النسخَ في أَحكامِ القرآنِ وليسَ في آياتِه وكلماتِه، ولم يَثبتْ عندنا آياتٌ منسوخةٌ بكلماتِها، حتى تُوَجَّهَ لها أَسئلَةُ الفادي التشكيكية! فلم تُنْسَخْ كلمةٌ أو آيةٌ من

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٩٧.
(٢) المرجع السابق، ص١٩٨.

القرآن، والآياتُ التي أَنزلَها اللهُ على رسولِه محمدٍ ﷺ بَقيتْ كما هي، لم تُنسخْ أَو تُغيّرْ أَو تُبدّلْ، هذا ما نقولُ به، وكلُّ كلام غير هذا مرجوحٌ مردودٌ عندنا.

٥ ـ ادَّعى الفادي المفتري أَنه يتعذرُ حصرُ المنسوخِ في القرآن، مما يجعلُ القرآنَ مُبْهَماً مُلْتبساً مشكوكاً فيه، وإِذا جُرِّدَ القرآنُ من الناسخِ والمنسوخِ لم يبقَ منه شيء!!. قال: «لأَنَّ الناسخَ والمنسوخَ متغلغلٌ في جميعِ أَجزاءِ القرآن، بحيثُ يتعذَّرُ على الراسخين في العلم معرفةُ الناسخِ والمنسوخِ بطريقةٍ لا تقبلُ الشك، مما يَجعلُ أَقوالَ القرآنِ مبهمةً ملتبسة».

وادَّعى أَنَّ السورَ التي فيها منسوخٌ وليسَ فيها ناسخ أَربعونَ سورة، والسورَ التي فيها ناسخٌ وليس فيها منسوخٌ سِتُّ سُور، والسورَ التي فيها ناسخٌ ومنسوخٌ خمسٌ وعشرون سورة، والسورَ التي ليسَ فيها ناسخٌ ولا مَنسوخ ثلاثٌ وأَربعون سورة. وخَتَمَ كلامَه بعبارةٍ فاجرةٍ خبيثة، قالَ فيها: «فإِذا جُرِّدَ القرآنُ من الناسخ والمنسوخ كان كراسةً صغيرة! ومع ذلك ادَّعوا أَنه المعجزةُ الكبرى»!.

إِنَّ المنسوخَ غيرُ متغلغلٍ في جميعِ أَجزاءِ القرآنِ وسورِه المكيةِ والمدنيَّة، والأَرقامُ التي ذَكرها المفتري لأَعدادِ السورِ التي فيها ناسخٌ أَو منسوخٌ مردودة، لأَنه مُبالَغٌ فيها. والآياتُ التي فيها نسخٌ حَصَرَها العلماءُ، والراجحُ أَن هذه الآياتِ لا تَتجاوزُ عَدَدَ أَصابعِ اليدَيْن!.

ويُصِرُّ المفتري على القولِ بالنسخِ بالتلاوة، أَيْ إِلغاءِ كثيرٍ من آياتِ القرآن، وهذا رأيٌ مرجوحٌ ومردودٌ عندنا، رغمَ أَنه قالَ به بعضُ علماءِ المسلمين، والراجحُ عندنا أَنَّ النسخَ إِنما هو في الأَحكامِ فقط، والأَحكامُ المنسوخةُ في القرآنِ لا تتجاوزُ عشرةَ أَحكام!!.

ومن غباءِ وسخفِ الفادي دعوتُه إِلى تجريدِ القرآنِ من الناسخ والمنسوخ، وادِّعاؤُه أَنه لو حصلَ ذلك لما بقيَ من القرآنِ إِلّا «كراسةً

صغيرة»!!. فإذا كانَ «نسخُ التلاوةِ» غيرَ موجودٍ في القرآن، وإذا كانت الآياتُ التي نُسختْ أَحكامُها لا تَزيدُ على عشرِ آيات، ولا تَكادُ تملأ صفحةً واحدة، فكيفَ يقولُ هذا الغبيُّ المفتري ما قال؟! إننا نوقنُ أنّه لم تنسخْ آيةٌ واحدةٌ من القرآن بكلماتِها وصياغتِها، وأَنه لا يمكنُ إلغاءُ آيةٍ واحدةٍ من القرآن، كما أَننا نوقنُ أَنَّ القرآنَ هو المعجزةُ الكبرى حَقّاً، وأَنه كلامُ اللهِ المحفوظ، لم يُغَيَّرْ منه كلمةٌ واحدة.

٦ ـ العيبُ السادسُ الذي سَجَّلَه الفادي على النسخِ قَسَّمَ فيه النسخ إِلى ثلاثةِ أَقسام، وكُلُّها في نظرِه مردودة. قال: «لأَنَّ النسخَ في القرآنِ عند علماءِ المسلمين ثلاثةُ أَنواع: فالنوعُ الأَولُ ما نُسِخَ تلاوتُه وحكْمُه، أَيْ: بعدَ كتابتِه وقراءَتِه لم يَكتُبوه ولم يَقرؤوه.. والنوعُ الثاني: ما نُسِخَ حُكمُه وبَقيتْ تلاوتُه، وهو مقدار كبيرٌ من آياتِ القرآن، يَقْرؤونها ويَعتقدون أَنَّ أَحْكامَها ملغِيَّة، فلا يَعملونَ بها.. والنوعُ الثالث: ما نُسخَتْ تلاوَتُه وبقيَ حُكْمُه.. وأَمامَ هذا النوعِ نتساءَل: لماذا يُكلفُنا اللهُ أَنْ نَعملَ بآيةٍ غيرِ موجودة؟ أَلَم يَكن الأَوْلى أَنْ تَبْقى في كتابِه حتى يُحاسِبَنا بمقتضاها؟!»[١].

صحيحٌ أنه لم يأتِ بأَقسامِ النسخِ الثلاثةِ من عنده، وأَنه نَقَلَها من بعضِ المراجعِ الإِسلامية، وأَنه قال بها كثيرٌ من العلماءِ المسلمين، لكنَّ تعليقاتِ المفتري واستنتاجاتِه مرذولةٌ باطلة.

النوعُ الأَول: ما نُسختْ تِلاوتُه وحُكْمُه. وفَسَّرَهُ المفتري بأَنَّ المسلمينَ لم يَكتبوه ولم يَقرؤوه، بعدَ كتابتِه وقراءتِه. وهذا يَعني أَنهم هم الذين تَصرَّفوا بالنسخِ في القرآنِ على هواهم، وأَنهم أَهملوا الاهتمامَ بالقرآن، وأَنهم أَسْقَطوا منه كثيراً من آياتِه، وأَضاعوا كثيراً من أَحكامِه.

ورغم أَنَّ كثيراً من السابقين قالوا بهذا النوعِ من النسخِ، إلّا أَننا لا نقولُ به، ونَعتبرُه مَرْدوداً، لأَنه لم يثبتْ عندَنا نَسْخُ شيء من أَلفاظِ وكلماتِ القرآن!

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص١٩٨ ـ ١٩٩.

النوعُ الثاني: ما نُسِخَ حكْمُه وبقيتْ تلاوتُه. وعَلَّقَ عليه المفتري بقولِه: «وهو مقدارٌ كبيرٌ من آياتِ القرآن، يَقرؤونَها ويَعتقدونَ أَنَّ أَحكامها ملغيةٌ فلا يَعملونَ بها».

وهذا النوعُ هو الوحيدُ في القرآن، فالمنسوخ في القرآنِ هو بعضُ الأَحكامِ فقط، مع أَنَّ الآياتِ التي عرضَتْ تلك الأَحكام المنسوخة بقيَتْ في القرآن.

لكن هذه الآياتِ المنسوخة ليستْ كثيرةً كما زعمَ المفتري، وإِنما هي آياتٌ قليلة، لا تَتجاوزُ عَشْرَ آيات.

النوع الثالث: ما نُسختْ تلاوتُه وبَقيَ حُكْمُه. وعَلَّقَ عليه المفتري بأَنه كانَ الأَوْلى أَنْ تبقى تلك الآياتُ المنسوخةُ في القرآن، وأَنْ لا تُرفَعَ منه.

ومَثَّلَ العلماءُ لهذا النوع من النسخ برجْمِ الزاني والزانية إِذا كانا محصَنَيْن متزوجَيْن، ويَزعمونَ أَنه كانَتْ آيةٌ في القرآن، نَصُّها: «الشيخُ والشيخةُ إِذا زنيا فارجُموهما البتة»، فنَسَخَها اللهُ من القرآنِ وأَبْقى حكمَها!.

ونحنُ لا نقولُ بهذا النوعِ من النسخ، ونَرى أَنَّ رجمَ الزاني المحصَنِ ثبتَ بالسُّنَّة وليس بالقرآن، وثبوتُه بالسنة يكفي لاعتمادِه حُكْماً شرعياً.

والخلاصةُ أَنَّ النسخَ الوحيدَ في القرآنِ هو نسخُ الحكم مع بقاءِ التلاوة، والآياتُ التي نُسِخَ حكمُها في القرآنِ قليلةٌ لا تَتجاوزُ عَشْرَ آيات.

ثانياً: أمثلة الناسخ والمنسوخ في القرآن:

عرضَ الفادي الجاهلُ خمسةَ أَمثلةٍ اعتبرَها من «الناسخِ والمنسوخ» في القرآن، كان يَذكرُ الآيةَ المنسوخة، وبجانبها الآيةَ الناسخة، والحكمَ المنسوخ والحكمَ الناسخ، ومعظمُ هذه الأَمثلةِ لا نسخَ فيها. ولْننظرْ في الأَمثلةِ التي ذكرها:

١ ـ الحكمُ المنسوخُ هو: السِّلْمُ في سبيلِ الدعوة، الذي قَرَّرَه قولُه تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦] وقولُه تعالى:

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

وادَّعى المفتري أنَّ الحكمَ الناسخَ هو: القتالُ في سبيلِ الدعوة. وأنَّ النصَّ الناسخَ هو قولُه تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، وقولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣].

وكلامُ المفتري دليلُ جهْلِه، فالدعوةُ إلى اللهِ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة أمرٌ مُحْكَمٌ وليس منسوخاً، وهو باقٍ حتى قيامِ الساعة، ودليلُه الآيةُ المحكمةُ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

وآيةُ سورةِ البقرةِ التي ذَكَرَها الفادي محكمةٌ وليستْ منسوخَة: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ إنها تنهى عن إكراهِ الكافرين من اليهودِ والنصارى وغيرهم على الدخولِ في الإسلام، وإجبارهم عليه، لأنَّ الدينَ لا يَقبلُ الإجبارَ والإكراه، وإنما يقومُ على الرضا والاختيار والاقتناع.. ولكنَّ عدمَ إكراهِهم على الإسلام لا يَعْني عدمَ دعوتِهم إليه، فيجبُ على المسلمينَ أَن يَدْعوهم إلى الإسلامِ، ويُقيموا عليهم الحجة، وأَنْ تكونَ دعوتُهم بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة، فإن استجابوا للدعوةِ أَفْلَحوا، وإلّا كانوا خاسِرين.. فلا نسخَ في قولِه تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾، ولا نسخ في قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾.

والآياتُ التي تأْمُر بقتالِ وجهادِ الكفارِ والمنافقين ليستْ ناسخةً لآياتِ وجوبِ الدعوةِ إلى الله، كقولِه تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا

بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾، وقوله تعالى: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾. لأنه لا تَعارُضَ بين الآياتِ الآمرةِ بالجهادِ والقتالِ والآياتِ الآمرةِ بالدعوةِ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة، لأنَّ القتالَ موجَّهٌ إلى الأعداءِ المحاربين، الطامِعين في بلادِ المسلمين، أَو الذينَ يَمنعونَ الدعاةَ من تبليغِ الدعوة، والهدفُ من قتالِهم هو إيقافُ عدوانِهم، وتحطيمُ قوتِهم، وليس إكراهَهم على الدخولِ في الإسلام. فإذا تَوقَّفَ الأَعداءُ عن العدوان، قام الدعاةُ بدعوتِهم إلى هذا الدين، فإنْ رَفضوا الدعوةَ وأَصرّوا على كفرهم، تُرِكوا وشأْنهم، وعذابُهم عند الله!!.

٢ ـ الحكمُ المنسوخ: هو حبسُ الزانيات، الذي قَرَّره قولُه تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥].

إذا ارتكبت امرأةٌ فاحشةَ الزنى، وثَبَتَ زِناها بشهادةِ أَربعةِ شهود، وَجَبَ حبسُها في بيتِ أَهْلِها حتى تَموت، أَو يأتيَ اللهُ بحكْمٍ جديد.

والحكْمُ الناسخُ هو جلْدُ الزانيةِ والزاني المحصَنَيْن مئةَ جلدة، الذي قَرَّره قولُه تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٢].

وهذا المثالُ للنسخ في القرآنِ صَحيح، فآيةُ سورةِ النساء أَمَرَتْ بحبسِ النساءِ الزانيات، ولكنَّ اللهَ نَسَخَ هذا الحكمَ بآيةِ سورةِ النور، حيثُ أَمَرَ بضربِ الزانِيَيْن مئةَ جلدة.

وَأَكَّدَ هذا النسخَ رسولُ اللهِ ﷺ؛ روى مسلم عن عبادةَ بنِ الصامت رضي الله عنه عن رسولِ الله ﷺ قال: «خُذوا عَنّي، خُذوا عَنّي، قد جعلَ اللهُ لهنَّ سبيلاً. البِكْرُ بالبِكْرِ جَلْدُ مئةٍ ونَفْيُ سَنَة، والثَّيِّبُ بالثيبِ جلدُ مئةٍ والرجمُ».

٣ ـ الحكمُ المنسوخ: ثَباتُ الواحدِ لعشرةٍ من الكفار في القتال، الذي قرره قوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٥].

أَمَرَ اللهُ المؤمنين بقتالِ الكفار، والثباتِ في قتالِهم، وعدمِ الفرارِ منهم، وأَوجبَ على المسلم أَنْ يَثبتَ أمامَ عشرةِ كفار. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥].

والحكمُ الناسخ هو ثباتُ الواحدِ لاثنين من الكفارِ في القتال، والذي قَرَّرَهُ قولُه تعالى: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ﴾ [الأنفال: ٦٦].

وهذا المثالُ صحيحٌ للنسخِ في القرآن، ويبدو أَنَّ وُجوبَ ثباتِ المؤمنِ أَمامَ عشرةٍ من الكفارِ كانَ في بدايةِ الدعوةِ الإسلامية، حيثُ كان عددُ المسلمين قليلاً، وكانَ إيمانُهم كبيراً، وكانتْ حماستُهم للقتالِ عالية، ويمكنُ للمؤمنِ أَنْ يُقاتِلَ عشرةً، وأَنْ يَصمدَ أَمامَهم.

وفيما بعدُ انتشرَ الإسلام، وازدادَ عددُ المسلمين، ولعلَّه تَدَنّى مستوى حماسِهم، ودَبَّ فيهم الضعف، فخفَّفَ الله عنهم، ونَسَخَ الحكمَ السابق بحكمٍ جديد، هو أَنْ يثبتَ المؤمنُ أَمامَ اثنيْن من الكفار.

٤ ـ الحكمُ المنسوخُ هو: اعتدادُ المتوفّىٰ عنها زوجُها سنةً كاملة، والذي قَرَّرَهُ قولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَـٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ﴾ [البقرة: ٢٤٠].

والحكمُ الناسِخُ هو اعتدادُ المتوفّى عنها زوجُها أَربعةَ أَشهرٍ وعشرةَ أَيام، الذي قَرَّره قولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٣٤].

والراجحُ أنه لا نَسْخَ في عدةِ المتوفّى عنها زوجُها، وأَنَّ الآيةَ (٢٣٤)

من سورةِ البقرة التي تأمرُ المرأةَ المتوفّى عنها زوجُها بالعدةِ أَربعةَ أشهرٍ وعشرةَ أيام ليستْ ناسخةً للآية (٢٤٠)، التي تتحدثُ عن الإِقامةِ حَوْلاً كاملاً، ولا تَعارُضَ بين الآيتَيْن حتى نَلجأَ إلى النسخ.

عِدَّةُ المرأةِ المتوفّى عنها زوجُها هي أَربعةُ أَشهرٍ وعشرةُ أيام: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾. ويَحرمُ عليها أثناءَ العدةِ أَنْ تُخْطَبَ أَوْ تَتزوج، ويَجبُ عليها أَنْ تقضيَ هذه المدةَ في بيتِ زوجِها المتوفّى.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ يَجعلُ للمرأةِ المتوفّى عنها زوجُها الحَقَّ في أَنْ تُقيمَ في بيتِ زوجِها المتوفّىٰ حولاً كاملاً، وذلكَ بأَنْ تزيدَ على مدةِ العِدَّةِ الواجبةِ عليها، وعلى أَهْلِ زوجِها المتوفّىٰ أَنْ لا يَمنعوها من ذلك، ولكنَّ هذا الحَقَّ ليس واجباً عليها، فإِنْ خرجَتْ قبلَ انقضاءِ الحولِ جازَ لها ذلك: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾.

الآيةُ (٢٣٤) تتحدَّث عن العِدَّةِ الواجبةِ على المتوفّى عنها زوجُها، والآيةُ (٢٤٠) تتحدث عن المدَّةِ الزائدةِ التي يمكِنُ لها أَنْ تُقيمَها المعتدَّةُ في بيتِ زوجِها المتوفّى، ويَجوزُ لها أَنْ تُقَلِّلَ مدةَ الإِقامةِ عن الحَوْل، لكنَّه لا يجوزُ لها أَنْ تُنقصَ أيامَ العِدَّةِ يوماً واحداً.

٥ ـ الحكمُ المنسوخ: في الخمرِ والميسرِ إِثمٌ ومنافعُ للناس، الذي قررَه قولُه تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

والحكمُ الناسخ هو تحريمُ الخمرِ والميسرِ لأَنهما رجسٌ من عملِ الشيطان، والذي قَرَّرَهُ قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

والراجحُ أنه لا نسخَ في الأَمْرِ، ولا تَعارُضَ بين آيةِ سورةِ البقرة وآيةِ

سورةِ المائدة. فآيةُ سورةِ المائدة نَصَّتْ على تَحريمِ الخمرِ والميسر، وأَمَرت المسلمين باجتنابهما، ووصفَتْهما بأنهما رجسٌ من عملِ الشيطان، وهي الدليلُ القرآنيُّ على حرمةِ الخَمرِ والميسر، حيثُ استقرَّتْ حرمَتُهما حتى قيامِ الساعة.

وآيةُ سورةِ البقرة لا تَتعارضُ معها، حتى نقولَ: إنها منسوخة، لأَنها نَزَلَتْ جواباً على سؤالٍ للنبيِّ ﷺ، وأَخبرتْ أَنّ في الخمرِ والميسر إِثماً كبيراً ومنافعَ للناس: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾.

فيهما إِثمٌ كبيرٌ لأَنهما رجسٌ من عملِ الشيطان، ولذلك حَرَّمَهما اللهُ في سورةِ المائدة. لكن فيهما منافعُ للناس، وتلك موجودةٌ فيهما حتى بعدَ تحريمِهما، وتتمثَّلُ هذه المنافعُ في المتاجرةِ فيهما صناعةً وبيعاً واكتساباً، حيثُ تُشادُ مصانعُ للخمر، وتُفتحُ محلاتٌ لبيعِ الخمر، وهذه المصانعُ والمتاجرُ تَدرُّ رِبحاً ومالاً لأَصحابِها، وهي منافعُ ماليةٌ ماديةٌ لهم.. لكنَّ هذه المنافعَ لبعضِ الناس مفاسدُ لمعظمِ الناس، ولذلك حَرَّمَ اللهُ الخمرَ رغم هذه المنافعِ للبعض، وجعَلَها أُمَّ الخبائث، للمضارِّ والمفاسدِ التي تُوقِعُها بالناس!.

ثالثاً: الأسباب الحقيقية للناسخ والمنسوخ:

حَشَرَ الفادي المفتري نفسَه في الناسخِ والمنسوخِ في القرآن، وتعامَلَ معه بجهْلِه وغَبائِه، وفَسَّرَهُ على أَساسِ تَحامُلِه على القرآن، وسوءِ ظَنِّهِ به، واتِّهامِه له، وجَزْمِه بأَنه من كلامِ البَشَر وليس من كلامِ الله. وحاوَلَ الوقوفَ على الأَسبابِ الحقيقية للنسخِ، وهو بهذهِ النفسيةِ الحاقدةِ العدائية، وزَعَمَ أَنه عَرَفَ الأَسبابَ الحقيقيةَ لسبعةِ أَمثلةٍ من النسخِ في القرآن. ونَنظرُ في الأَسبابِ التي ذَكَرَها لنقفَ على جَهْلِه وتحامُلِه وحِقْدِه:

١ ـ لماذا نسخ تحريم القتال في الشهر الحرام؟:

زَعَمَ الفادي الجاهلُ أَنَّ القرآنَ حَرَّمَ القتالَ في الشهرِ الحرام. ولم يَذْكُر الآيَةَ التي حَرَّمَتْ ذلك. ثم زَعَمَ أَن هذه الحُرمةَ نُسِخَتْ بالإِباحة، وذلك بآية:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌۚ﴾ [البقرة: ٢١٧].

والسببُ الحقيقيُّ للنسخِ في نظرِه هو رغبةُ الرسولِ ﷺ في السَّلْبِ والنهبِ والقتل، وتبريرُه لذلك، قالَ فَضَّ اللهُ فاه: «جاءت هذه الآيةُ الناسخةُ بعد القتالِ الذي قامَ به عبدُ اللهِ بنُ جحش الأسديُّ في الشهرِ الحرام، وإعطائِه خُمُسَ السَّلْبِ لمحمد، وتعييرِ قريشٍ لمحمدٍ بِسببِ ارتكابِ المسلمين القتالَ في الشهرِ الحرام. فلكَيْ يُسكتَهم ويُرضي أَصحابَه ويُبررَ سَلَبَه قالَ بهذه الآيةِ الناسخة!»[1].

محمدٌ ﷺ ـ في نظره ـ هو الذي يُؤَلِّفُ آياتِ القرآن، ويَنسبُها إلى الله، وذلك ليُبررَ بها أعمالَه ويُرضيَ أَصحابَه!! هذا هو السببُ الحقيقيُّ عند المجرمِ لنسخِ حرمةِ القتالِ في الشهرِ الحرام. فقد أَرسلَ عبدَ الله بنَ جحش، ومعه مجموعةٌ من أَصحابِه، فأَغاروا على تجارةٍ لقريشٍ في الشهرِ الحرام، وقَتَلوا مَنْ فيها، وصادَروها، وأَعْطوا ما فيها للرسولِ ﷺ فأَلَّفَ آيةً نَسَخَ فيها حرمةَ القتالِ في الشهرِ الحرام، ليُبررَ فِعْلَه، ويُرضيَ أَصحابَه!!.

وكلامُ الفادي المجرمِ خَطَأٌ وباطل، وهو دَليلُ جهْلِه وغَبائِه.

لقد كانتْ حادثةُ سريةِ عبد اللهِ بنِ جحش رضي الله عنه في منتصفِ السنةِ الثانيةِ للهجرة، قبلَ غزوةِ بدر، وهي لم تَنسخْ حُرمةَ القتالِ في الشهرِ الحرامِ، ولم تَجعلْ ذلك القتالَ مباحاً، بل اعتبرَتْه مُحَرَّماً، لكنَّ جرائمَ قريشٍ كانت أَكبر.

وخلاصةُ حادثةِ تلك السَّرِيَّةِ أَنَّ الرسولَ ﷺ «شَكَّلَ» سريةً مجاهدةً بقيادةِ عبدِ الله بن جحش رضي الله عنه، وأَمرهم أَنْ يَتَوَجَّهوا إلى منطقةِ «نَخْلَة»، على طريقِ مكة، وأَنْ يَرْصُدوا فيها قافلةً تجارية لقريش.. ولما كَمَنوا في المنطقةِ مَرَّتْ بهم القافلةُ المرصودة، واخْتلفَ أَصحابُ السريَّةِ في التاريخ: هل هذا اليومُ هو آخرُ أَيامِ شهرِ جمادى الثانية، الذي يَجوزُ القتالُ فيه، أَم هو أَوَّلُ أَيامِ شهرِ رجب المحَرّم الذي يَحرمُ القتالُ فيه؟ ورجَّحوا أنه آخرُ أَيامِ شهرِ جمادى،

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٠٠.

وهاجموا القافلةَ، فَقَتلوا أَحَدَ المشركين، وأَسَروا اثنَيْن، وهربَ الرابعُ إلى مكة، ليُخبرَ قُرَيْشاً بما جَرى، وأَتَوا بالقافلةِ والأموالِ والأسيرَيْن إلى رسولِ الله ﷺ في المدينة.

وأَثارَتْ قريشٌ حرباً إعلاميةً ضخمةً ضدَّ المسلمين، وقالَتْ لقبائلِ العرب: انْظُروا إلى محمد الذي يَزعمُ أنه رسولُ الله، وأنه يحترمُ الحُرُمات، ها هو ينتهكُ حرمةَ الشهرِ الحرام، الذي أَجمعَ العربُ على تحريمِ القتالِ فيه، ويَقتلُ أَحَدَ رجالِنا في رجب الحرام!.

فأنزلَ اللهُ آيةً محكمةً تَرُدُّ على إشاعاتِ قريش، وتُدينُ قتْلَ الرجلِ في الشهرِ الحرام، وتَذكرُ جرائمَ قريشٍ الكبيرةَ الفظيعةَ بجانبِ قَتْلِ ذلك الرجل! وهي قولُ اللهِ ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ﴾ [البقرة: ٢١٧].

والمعنى: يَسألُ الكفارُ عن حكمِ القتالِ في الشهرِ الحرام، وعن حكمِ القَتْلِ في الشهرِ الحرام، والجوابُ على سؤالهم أَنَّ القتالَ والقَتْلَ فيه كبيرٌ. وهذا معناهُ: أَنَّ الصحابةَ الذين قَتَلوا الرجلَ في الشهرِ الحرام كانوا مُخطئين في اجتهادِهم، لأنه لا يَجوزُ القتالُ والقتلُ في الشهرِ الحرام.

لكنَّ خطأَ الصحابة في قَتْلِ الرجلِ في الشهرِ الحرام لا يَكادُ يُذْكَرُ أَمامَ سلسلةِ الجرائمِ التي ارتكبَتْها قريشٌ ضدَّ المسلمين، وذَكرت الآيةُ تلك الجرائمَ بقولها: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ﴾.

والمعنى: إذا أَخطأَ المسلمون بقَتْلِ رجلٍ كافرٍ في الشهرِ الحرام، فإنَّ كُفارَ قريشٍ قد ارتكبوا سلسلةً فاحشةً من الجرائم، منها: صَدُّهم عن سبيلِ الله، والكفرُ بالله، والكفرُ والشركُ وعبادةُ غيرِ الله في المسجدِ الحرام، وإخراجُ أَهْلِ

المسجدِ الحرامِ المؤمنين الصالحين من المسجد، وفتنتُهم المسلمينَ وتعذيبُهم ليرتَدّوا عن دينهم. . هذه الجرائمُ أكبرُ عندَ الله من قَتْلِ ذلك الرجل، فلماذا تَتباكى قريشٌ على الحرمات، وهي التي تَنتهكُ حرمَتَها؟!.

وبهذا نعرفُ أنَّ الآيةَ لم تَنْسَخْ حرمةَ القتالِ في الشهرِ الحرام، كما فَهم منها الفادي الجاهل، وإنما أكَّدَتْ حرمةَ ذلك القتال، ولامَت الصحابةَ على قَتْلِهم الرجلَ المشرك، واعتبرتْ ذلك الحادثَ كبيراً: ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾، لكنَّ جرائمَ قريشٍ أكبرُ من القتل.

٢ ـ لماذا نسخت القبلة إلى بيت المقدس؟:

كانتْ قبلةُ المسلمين بيتَ المقدس، وصَلّوا إليها سبعةَ عشرَ شهراً بعد الهجرة، ثم نَسَخَ اللهُ تلك القبلة، وحَوَّلَهم إلى الكعبة، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤].

وادَّعى الفادي المفتري أنه اكتشفَ الأسبابَ الحقيقيةَ لهذا النَّسخ. قال: «جاءَتْ هذهِ الآيةُ الناسخةُ، بعدَ أنْ كانَ المسلمون يُصَلُّون مستَقْبِلين بيتَ المقدس، وأَرادَ محمدٌ أنْ يَستميلَ العربَ إليه، ولكي لا يَتحوَّلوا إلى اليهوديةِ التي كان يُقَدِّسُ قبلَتَها، قالَ: إنَّ اللهَ غَيَّرَ له القبلةَ إلى القبلةِ التي يَرْضاها، فحُكْمُ النسخِ ليس حسبَ المشيئةِ الإلٰهية الثابتة، بل حسبَ هوى محمدٍ ورضاه!!»[١].

يُفَسرُ المجرمُ المفتري الأَحكامَ الشرعيةَ تفسيراً سياسيّاً ومصلحياً، ويُنَحّي التفسيرَ الإيماني، لأَنه يَنفي أساساً كونَ القرآنِ من عند الله، ويجعلُه من تأليفِ محمدٍ ﷺ.

كانَ محمدٌ ﷺ يُقَدِّسُ قبلةَ اليهود، وكان يُصَلِّي إليها، لكنه خشيَ أَنْ يتأَثَّرَ قومُه العربُ باليهود، وأَنْ يَتَحَوَّلوا إلى الديانةِ اليهودية، وبذلك يغلبُه

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٠٠.

اليهود. وأرادَ أَنْ يستميلَ العربَ إليه، فحوَّلَ القبلةَ من بيتِ المقدسِ إلى الكعبة، التي كان قومُه العربُ يقدسونَها، ويَعتبرونَها قبلةً لهم.. وادَّعى أَنَّ اللهَ أَنزلَ عليه القرآنَ بنسْخِ القبلةِ السابقةِ والتحوُّلِ إلى القبلةِ الجديدة! فالنسخُ في القرآنِ ليس من عندِ الله، ولا بأَمْرِ الله، وإنما هو وفقَ هوى ورغبةِ ورضا محمدٍ ﷺ، يَنسخُه متى يَشاء، ويُثبتُه متى يَشاء!!.

بهذا التحليلِ الخبيثِ يتعامَلُ المفتري الحاقدُ مع مسألةِ تحويلِ القِبلة، ويُلغي الجانبَ الربانيَّ الإِلهي، ويَجعلُ الإِسلامَ والقرآنَ والشريعةَ والأَحكامَ نتاجَ اللهو واللعبِ والعبثِ والهوى والمزاج.

وقد كانتْ آياتُ القرآنِ صريحةً في إِسنادِ تحويلِ القبلةِ إلى الله، وفي الردِّ على السفهاءِ من الناس، الذين اعْتَرَضوا على تحويلِ القبلة. وعند قراءةِ كلامِ الفادي المفتري عن سببِ تحويلِ القبلةِ نجدُ أنه أَحَدُ هؤلاء ﴿ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾.

قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٢ ـ ١٤٧].

الآياتُ صريحةٌ في أَنَّ نسخَ القبلةِ إلى بيتِ المقدس، وتحويلَها إلى

الكعبة، إنما هو من الله، وله الحِكَمُ العديدةُ من القبلةِ الأُولى، ومن التحويلِ إلى القبلةِ الجديدة، حِكَمٌ تربويةٌ وتشريعية، ورَدَّت الآياتُ على شبهاتِ واعتراضاتِ السفهاءِ من اليهود. وهذه الآياتُ أَبلغُ رَدٍّ على تحليلاتِ الفادي المفتري، ونقضٍ لاتهاماتِه ضد رسولِنا الحبيبِ ﷺ.

٣ ـ هل نسخ تمسك الرجل بزوجته؟:

نَظَرَ الفادي المجرمُ نظرةً خبيثةً لحادثةِ زَواجِ الرسولِ ﷺ من زينبَ بنتِ جحشٍ ﵂، بعدَ أَنْ طَلَّقَها مُتَبَنّاهُ زيدُ بنُ حارثة ﵁، لخلافاتٍ زوجيةٍ بينهما، وفَسَّرَ المجرمُ الحادثةَ تفسيراً فاجِراً حاقِداً لئيماً، اتهمَ فيه رسولَنا ﷺ بأَنه متبعٌ للهوى والشهوة.

قـــالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْـهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

ادَّعى المجرمُ المفتري أَنَّ في الآيةِ نَسْخاً، وأَنه وفقَ هوى الرسولِ ﷺ. قال: «جاءت هذه الآيةُ الناسخةُ لزيدٍ أَنْ يتقيَ اللهَ ويتمسَّكَ بزوجتِه زينب، بعد أَنْ خافَ محمدٌ من تعييرِ العربِ له أَنه يتزوجُ بزوجةِ ابنِه بالتبنّي، مع ما سبقَ وأَضمَره محمدٌ في نفسِه ساعةَ رأى زينبَ واشْتهاها، فقال: سبحانَ مُقَلِّبِ القلوب. ثم قال: إِنَّ اللهَ أَمَرَه بالزواجِ من زينب!»(١).

ادَّعى المجرمُ أَن جملةَ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ المذكورةَ في الآيةِ منسوخةٌ، وأَنَّ التي نسخَتْها هي الجملةُ التي بعدَها في الآية: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا﴾.

وادَّعى الفاجرُ المفتري أَنَّ الرسولَ ﷺ رأى زينبَ زوجةَ ابنِه بالتَّبَنّي زيدِ بن حارثة، فأَحَبَّها واشْتَهاها، وأَضمرَ في نفسِه الزواجَ منها، ولكنه خشيَ

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٠٠ ـ ٢٠١.

من تَعييرِ العربِ له، بأنه تزوجَ امرأةَ ابنِه، وكان قد أَوصى زيداً بها قائِلاً له: أَمْسِكْ عليك زوجَكَ واتَّقِ الله. فَنَسَخَ هذه الوصية، وزعَمَ أَنَّ الله هو الذي زوَّجَه من زينبَ، وأنزلَ عليه الآيةَ المذكورة، التي فيها جملة: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًاۚ﴾.

مع أنه لا يوجَدُ في الآيةِ منسوخٌ ولا ناسخ، وإنما هذا ثمرةُ جَهلِ الفادي المفتري وإِجرامه وفجورِه، والأسبابُ التي ذكرها لزعْمِ النسخِ نتاجُ حِقْدِه وخيالِه المريض.

وخلاصةُ حادثةِ زواجِ الرسولِ ﷺ بإيجازٍ هي:

كانت زينبُ بنتُ جحشٍ رضي الله عنها ابنةَ عمةِ النبيِّ ﷺ، وهو يَعرفُها منذ صغرِها، وكانَ قبلَ البعثةِ قد تَبَنّى زيدَ بنَ حارثة، واشتهرَ بين قريشٍ باسم: زيدِ بنِ محمد، وكان زيدٌ من السابقين إِلى الإِسلام رضي الله عنه. وقد أَبطلَ الله التبني، وأمَرَ بنسبةِ الأَبناءِ بالتبنّي إلى آبائِهم الحقيقيّين، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝٤ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْۚ﴾ [الأحزاب: ٤ ـ ٥].

وبذلك أُعيدَتْ نسبةُ زيدٍ إِلى أَبيه حارثة، فلم يقولوا: زيدُ بنُ محمد، وإِنما يقولون: زيدُ بنُ حارثة.

وأَرادَ الله الحكيمُ الخبيرُ أَنْ يُبطلَ كُلَّ آثارِ التَّبني، بتجربةٍ عمليةٍ على يدِ رسولِه محمدٍ ﷺ، فأَمَرَ الله نبيَّه ﷺ أَنْ يُزَوِّجَ ابنةَ عمتِه زينبَ لزيدِ بنِ حارثة، فنفَّذَ أَمْرَ اللهِ وزوَّجَه بها.. وكانَ في زينبَ حِدَّةٌ وشِدَّة، وكانتْ تَرى نفسَها أَفضلَ من زيد، لأَنها قرشيةٌ هاشمية، وهو عَبْدٌ مُحَرَّر.. ولذلك كانت تنشأُ بينهما خلافاتٌ عديدة، وكان زيدٌ يشكو زينبَ إِلى رسولِ الله ﷺ، وكانَ الرسولُ ﷺ يوصيهِ بها، ويَدْعوه إِلى الصبرِ عليها، ولما أَخبره أنه يُريدُ أَنْ

يُطَلِّقَها نهاهُ عن ذلك، وقال له: أَمْسِكْ عليك زوجَك واتقِ اللهَ فيها.

وأخبرَ اللهُ رسولَه ﷺ أَنَّ الحياةَ الزوجيةَ لن تستمرَّ بينهما، وأَنَّ زيداً سيُطَلِّقُ زينب، وأنه هو الذي سيتزوَّجُ زينبَ بعد تطليقِ زيدٍ لها، وذلك لإبطالِ كُلِّ آثارِ التبني... وكان ﷺ يعلمُ أَنَّ قَدَرَ اللهِ لا بُدَّ أَنْ يتم، وصارَ يفكرُ في ما سيقولُه عنه الناس بعد زواجِه بزينب.

وطَلَّقَ زيدٌ زينب، ولما انتهتْ عِدَّتُها أَمَرَ اللهُ رسولَه ﷺ أَنْ يتزوَّجها، وأثارَ المنافقون الخبثاءُ الشبهاتِ ضدَّ الرسولِ ﷺ، وقالوا: لقد تزوَّجَ مُطَلَّقَةَ ابنِه زيد!.

فأنزلَ اللهُ الآيةَ، لإبطالِ تلك الشبهات، وبَيَّنَ حكمةَ ذلك الزواج؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٧ ـ ٤٠].

ذَكرت الآيةُ ما قالَه الرسولُ ﷺ لزيد: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾.

ومعنى قوله: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾: تُخْفي في نفسِك ما أَخبرَكَ اللهُ به، من أَنَّ زيداً سَيُطَلِّقُ زينبَ، وستتزوجُها أنت من بعدِه بأَمْرِ الله. واللهُ سيُبدي هذا الأَمْرَ ويُظهِره للناس، وسيتمُّ الطلاقُ، وستتزوَّجُها أَنت فعلاً.

ومعنى قوله: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾: تُفكرُ في كلامِ الناسِ وشبهاتِهم واتهاماتِهم لك، وتحسبُ لهم حِساباً، مع أَنَّ الأَوْلى أَنْ لا تخشى الناسَ، وأَن لا تهتمَّ بما سيقولونَه عنك، لأَنك على صواب، واللهُ هو الأَحَقُّ أَنْ تَخْشاه.

ونصّت الآيةُ على حكمةِ هذا الزواج: ﴿لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ﴾، وأدعياؤهم هم أبناؤهم بالتبني، ويجوزُ للرجلِ أنْ يتزوّجَ مُطلَّقةَ ابنِهِ بالتبنّي، لأنه ليس ابنَه حقيقة.

وأخبرت الآياتُ أنَّ محمداً ﷺ ليس أباً لأحدٍ من رجالِ المسلمين: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾. وشـــاءَ اللهُ الحكيمُ أنْ يموتَ أبناؤه وهم صغار.

وبهذا نعرفُ أنه لا منسوخ ولا ناسخ في الآية التي تحدثَتْ عن ذلك الزواج، وليس في الأمْرِ هوى أو شهوة، كما قالَ ذلك المجرمُ المفتري.

٤ ـ حولَ النسخ في معاشرة الزوجات في ليل رمضان:

أثارَ الفادي المجرمُ سؤالاً خبيثاً حولَ النسخِ في بعضِ أحكامِ الصيام: «لماذا نُسخَ الامتناعُ عن النساءِ وقتَ الصيام؟». واعترضَ فيه على قولِ اللهِ ﷻ: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وعَلَّقَ المجرمُ على الآيةِ زاعماً اكتشافَه السببَ الحقيقيَّ للنسخ، فقال: «جاءَتْ هذه الآيةُ الناسخةُ بعدَ اعترافِ أصحابِ محمد، ومنهم عمرُ بن الخطاب، أنهم خانوا نِظامَ الصيام المتَّبَع، بإتْيانِهم نساءهم بعد صلاةِ العشاء، فجَعلت الآيةُ الناسخةُ الممنوعَ ممكِناً، والمحرَّمَ مُحَلّلاً»(١).

إنَّ المجرمَ يأْبى إلا الغَمز واللمزَ والإيذاء، ولذلك عَلَّقَ على القصةِ الصحيحةِ باعترافِ بعضِ الصحابة بمخالفتِهم بقوله: «فجعَلت الآيةُ الناسخةُ الممنوعَ ممكِناً، والمحرمَ مُحَلَّلاً». مع أنَّ النسخَ هنا ليس تَحليلاً للحرام، وإنما هو إلغاءٌ وإبطالٌ للحرام، ووضْعٌ للحَلالِ مكانَه. ولذلك عَرَّفَ العلماءُ النسخَ قائلين: هو رَفْعُ حُكْمٍ شرعيٍّ بدليلٍ شرعيٍّ متأخِّر.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٠١.

وسُؤالُ المجرمِ خَبيث: لماذا نُسِخَ الامتناعُ عن النساءِ وقْتَ الصيام؟ هَدَفُه منه التشكيكُ بالحكمِ الشرعي، عِلْماً أَنَّ الآيةَ لم تَنسخ الامتناعَ عن النِّساء وقتَ الصيام، فالامتناعُ عن النساءِ وقتَ الصيامِ في نهارِ رمضان ما زالَ قائماً، ومَنْ جامعَ امرأَتَه في نهارِ رمضان وجبَ عليه القضاءُ والكفارة، وذلك بعتْقِ رقبة، أَو صيامِ شهريْن متتابعَيْن، أَو إِطعامِ ستّين مسكيناً.

وحتى نعرف النسخَ في الآية لا بُدَّ أَنْ نتعرفَ على مناسبةِ نزولِها.

كانَ الإِمساكُ عن الطعامِ والشرابِ والجماعِ بمجردِ النوم في ليلِ رمضان، فإِذا نامَ المسلمُ بعدَ الإِفطار وجبَ عليه الإِمساكُ حتى مغربِ اليوم التالي، ولو كان نومُه بعدَ صلاةِ العشاءِ مباشرة، وهذا الحكمُ ثابتٌ في السُّنَّةِ وليسَ في القرآن.

وكانَ أَحَدُ الأَنصارِ - وهو قَيْسُ بنُ صِرْمَة - يعملُ في أَرضِه طولَ النهار، وعادَ إِلى بيتِه في المساء، وقامت امرأَتُه لتعِدَّ له الإِفطار، ولكنَّه غلبَتْه عينُه فنام، وجاءَتْه امرأَتُه بالطعام فوجدَتْه نائماً، فأَمسكَ ولم يَأكل، وذهبَ في الصباحِ إِلى أَرضِه، ولكنه سقطَ في الأَرضِ مغشيّاً عليه من التعبِ والجوعِ والإِرهاقِ.

وجاءَ عمرُ بن الخطابِ رضي الله عنه إِلى رسولِ الله ﷺ، فقال: يا رسولَ الله! لقد هلكْتُ! لقد عدتُ إِلى بيتي ليلةَ أَمس، فوجدْتُ امرأَتي نائمةً، فوقعْتُ عليها.

فأَنزلَ اللهُ قولَه تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ﴾.

لقد رحمَ اللهُ المسلمين وخَفَّفَ عنهم، فأَباحَ لهم ما كانَ منعَهم في ليلِ رمضان، وأَباحَ لهم الطعامَ والشراب ومعاشرةَ الزوجات طيلةَ ليلِ رمضان: ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ﴾.

اللهُ هو الذي شرعَ لهم الحكْمَ السابقَ بالإمساكِ بمجردِ النَّوْم، واللهُ هو الذي نَسَخَ ذلك الحكم، وأَباحَ لهم كلَّ المفطراتِ في ليلِ رمضان، وأَوجبَ الإِمساكَ بطُلوعِ الفجر.

٥ ـ حول نسخ ما حرمه الرسول ﷺ على نفسه:

طَرَحَ الفادي المجرمُ سُؤالاً قالَ فيه: «لماذا نَسَخَ ما حَرَّمَه على نفسِه، وحَنَثَ بالقَسَم؟».

وقالَ في توضيحِ الأمر: جاءَ في سورةِ التحريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [التحريم: ١ ـ ٢].

وعَلَّقَ المجرمُ على الآيةِ وما زَعَمَه فيها من نَسْخٍ بقولِه: «روى محمدٌ هذه الآيةَ بعد أَنْ أَتى بماريةَ القبطية في بيتِ زوجتِه حفصةَ بنتِ عمر بن الخطاب، وفي غيبتِها، فَشَقَّ ذلك على حَفْصَة، فأَرضاها، وقالَ لها: اكتمي عَلَيَّ، وقد حَرَّمْتُ ماريةَ القبطيةَ على نفسي، ولكنَّ حفصةَ أَخبرَتْ عائشةَ، فغضبَ محمدٌ، وطَلَّقَ حفصة.

فكيفَ السبيلُ لتحليلِ ماريةَ بعدَ أَنْ حَرَّمَها علىٰ نفسِه؟ وكيفَ السبيلُ لمراجعةِ حفصةَ التي طَلَّقها؟ أَتى الناسخ يُحللُ ذلك، ويُعفي من القَسَم! فقد أَقَرَّ اللهُ بمعاشرةِ ماريةَ المحَرَّمَة، وبرجوعِ حفصةَ المطَلَّقة»[١].

القصةُ التي أَوردَها المفتري مرجوحةٌ وليست راجحة، فلا نَقولُ بها. والراجحُ أَنَّ اللهَ أَنزلَ الآياتِ في عتابِ الرسولِ ﷺ، لأَنه حَلَفَ يَميناً حَرَّمَ فيه شيئاً أَباحَهُ اللهُ له.

وخلاصَةُ الحادثةِ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ ذَهَبَ يوماً إِلى امرأَتِهِ زينبَ بنتِ جحش رضي الله عنها، وشَربَ عندَها عَسَلاً، وكانَ يُحبُّ العَسَلَ. ثم غادرَ حجرةَ زينب، وتوجَّهَ إِلى حفصةَ رضي الله عنها، فقالَتْ له حفصةُ: يا رسولَ الله! لقد أَكلتَ

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٠١.

مَغافير!. والمغافيرُ اسْمٌ لنباتٍ حُلْوِ الطعمِ كَريهِ الرائحة. وكانَ ﷺ يُحبُّ أَنْ تُشَمَّ منه دائماً رائحةٌ طيبة، فقال لها: لقد شربتُ عند زينبَ عَسَلاً، ولا أَشربُ عندها العسلَ بعد ذلك.. وأَقسمَ على ذلك اليمين.. ففرحَتْ حفصةُ بذلك، وأَخبرتْ به عائشةَ رضي الله عنها.

فأَنزلَ اللهُ الآيةَ يُعاتبُ رسولَه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾. أَيْ: لِمَ تَمتنعُ من شربِ العسلِ عندَ زينب، وقد أَباحَ اللهُ لك ذلك.

ومعنى قولِه: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْۚ﴾: شَرَعَ اللهُ لكم التحللَ من أَيْمانِكم التي تَحلفونَها، وذلك بدفعِ الكفارة. وقد حَنثَ رسولُ الله ﷺ بيمينِه بعدَما عاتبه اللهُ، فدفعَ الكفارة بأَنْ أَعتقَ رقبة، وعادَ إلى شربِ العسل.

وبهذا نعرفُ أَنه لا مَنسوخَ ولا ناسخَ في الآيات، فمن أَينَ أَتى الفادي المجرمُ الجاهلُ بدعوى النسخ؟! كُلُّ ما هنالك أَنَّ الرسولَ ﷺ حَلَفَ يَميناً بالامتناعِ عن بعضِ المباح، فعاتَبَه الله، ودَعاهُ إِلى دَفْعِ الكفارة.

والمفتري كاذبٌ في دعوى تطليقِ حفصةَ، فلم يُطَلِّقْها رسول الله ﷺ.

٦ ـ هل نُسخَ تحريمُ إِتلافِ أَشجارِ الأَعداء؟:

ادّعى الفادي المجرمُ أَنَّ محمداً ﷺ حَرَّمَ إِتْلافَ أَشجارِ الأَعداء وقْتَ حربِهم، ثم نسخَ ذلك وأَباحَ إِتلافَ أَشجارِهم والعبثَ بمزارِعِهم.

أَوردَ قولَه تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الحشر: ٥].

وعَلَّقَ على الآيةِ قائلاً: «لما حاصرَ محمدٌ يهودَ بني النَّضير بجوارِ يثرب، قَطَعَ نخيلَهم، فنادوه من الحصون: يا محمد! قد كُنتَ تَنهى عن الفسادِ، وتُعيبُه على مَنْ صَنَعَهُ، فما بال قَطْعِ النخيلِ وتحريقِها؟ فارتابَ بعضُ الصحابة بِجَوازِ هذا الفعل، وتأَثَّروا من اعتراضِ بني النضير، فأَتى الناسخُ، وجعلَ هذه الأَفعالَ الفاسدةَ بإِذن الله!»(١).

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٠١ ـ ٢٠٢.

لا نَسْخَ في هذه الحادثةِ، ودعوى النسخِ في ذهنِ الفادي المجرم، ليتهكَّمَ على القرآن، ويُدينَ رسولَ اللهِ ﷺ.

لما حاصرَ رسولُ اللهِ ﷺ يهودَ بني النَّضيرِ في السنةِ الرابعةِ للهجرة، شَنَّ عليهم حرباً اقتصادية، فأَمَرَ الصحابةَ بقَطْعِ وحَرْقِ بعضِ نَخيلِهم في بساتينِهم، ليوقعَ الحسرةَ في نفوسِهم، فأنكروا عليه ذلك، ونَادَوهُ من الحصونِ قائلين: يا أَبا القاسم: قد كنتَ تَنْهى عن الفسادِ، فلماذا تَقطعُ النخيلَ وتَحرقُه؟!.

وكأَنَّ بعضَ الصحابةِ تَحَرَّجوا من ذلك، فأَرادَ اللهُ أَنْ يُزيلَ ذلك التحرجَ من قلوبهم، فأَنزلَ آيةً حكيمةً تُبيِّنُ مشروعيتَه، وهي قولُه تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [الحشر: ٥].

أَيةُ نخلةٍ قَطعوها كان ذلك بإِذْنِ الله، وأَيةُ نخلةٍ تَركوها قائمةً على أُصولِها كان ذلك بإِذن الله، والمرادُ بإِذْنِه سبحانه رِضاهُ عن ذلك وإِباحتُه، ومنحُ الثوابِ للصحابةِ الذين فَعَلوه، ومن حِكَمِ ذلك أَنه أَرادَ سبحانه أَنْ يَنصرَ المؤمنين، ويُخزيَ اليهودَ الفاسقين الكافرين. واللهُ هو الذي أَوحى إِلى نبيِّه ﷺ بذلك، وهو أَمَرَ الصحابةَ به فنفَّذوه.

فأَينَ الناسخُ والمنسوخُ في الآية؟ وما الذي نسخَتْه الآيةُ؟ ولماذا زَعَمَ الفادي الجاهلُ أَنها ناسخة؟ وكيف يَصِفُ قطعَ النخيلِ الذي أَذِنَ اللهُ به ورضيَه وأَباحَه أَفعالاً فاسدة؟ وهل اللهُ يأذنُ ويُجيزُ أَفعالاً فاسدة؟!.

إِنَّ الآيةَ أَباحَتْ قطعَ نخيلِ اليهود، ودلَّتْ على مشروعيةِ الحربِ الاقتصاديةِ ضدَّ الأَعداءِ المحاربين، وتَدميرِ اقتصادِهم وممتلكاتِهم، وهذا التشريعُ الذي قررَتْه لا يُسمى نَسْخاً، لأَنه لم يَنسخْ حكْماً تشريعياً قبلَه! ولكنَّ الفادي المفتري جاهل، ولذلك جَعَلَها ناسخةً لحرمةِ قَطْعِ النخيل، مع أَنه لم يَسبقْ أَنْ جاءَ حكمٌ شرعيٌّ بحرمةِ قَطْعِ النخيل!.

٧ ـ لا نسخ في الصلاة على غير المسلم:

ادَّعى الفادي المفتري أَنَّ الصلاةَ على غيرِ المسلم كانت جائزة، ولما

صَلّى الرسولُ ﷺ على عبدِ الله بنِ أُبَيّ اعترضَ عليه عمرُ بنُ الخطاب، فنسخَ إباحةَ الصلاةِ، وحَرَّمَها إرضاءً لعمر.

قالَ المجرمُ: «جاءَ في سورةِ التوبة (٨٤): ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾.

جاءَتْ هذه الآيةُ بعدَ فراغِ محمدٍ من صلاتِه على جثةِ المنافقِ عبدِ الله بنِ أُبيٍّ ابن سلول، وإقامتِهِ على قبرِه حتى نهايةِ دفنِه، وكان عمرُ يُمانعُ محمداً من الصلاةِ عليه بسببِ نفاقِه، فلم يَمتنع، ولكن إرضاءً لعمرَ نزلَ الناسخُ ليوقفَ تأثيرَ الصلاة»[1].

والحادثةُ ليستْ كما قال هذا المفتري، ولم تكن الصلاةُ على المنافقِ أَو الكافرِ إذا ماتَ مُحَرَّمَة، ولو كانت كذلك لما فعلَها رسولُ الله ﷺ، لأنه كان ملتزماً بأَحكامِ الله، ولا يُمكنُ أَنْ يفعلَ شيئاً حَرَّمَهُ اللهُ عليه.

كانت الصلاةُ على غيرِ المسلمِ مسكوتاً عنها، لا مُباحَةً ولا مُحَرَّمَة، لم يَرِدْ نَصٌّ بإِباحتِها، ولا بحرمتِها.

وتُوفيَ عبدُ الله بنُ أُبَيٍّ ابن سَلُول زعيمِ المنافقين، وكان مُسْلماً في الظاهر، ومحسوباً على المسلمين، فَدَعا الرسولُ ﷺ المسلمينَ إلى الصلاةِ عليه. فتدخَّلَ عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه، وقال: كيفَ تُصلّي عليه وهو المنافق؟ فلم يلتفتْ له رسولُ الله ﷺ، وصلّى على ابنِ أُبَيٍّ.

فأنزلَ اللهُ الآيةَ يَنهى الرسولَ ﷺ عن الصلاةِ على أَحَدٍ من الكافرين أَو المنافقين، كما ينهاهُ عن تَشييعِ جنازتِه، أَو الإقامةِ على قبره. ولم تَنزل الآيةُ إرضاءً لعمر، كما ادَّعى ذلك المفتري.

وهذه الآيةُ ليستْ ناسخةً كما ادَّعى المفتري الجاهل، لأَنه لم يسبقْها حكْمٌ شرعيٌّ بإِباحةِ الصلاة على الكافرِ أَو المنافق، حتى تنسخَه وتُحَرِّمَ ذلك. والنسخُ هو رفعُ حكْمٍ شرعيٍّ بدليلٍ شرعيٍّ متأَخِّر.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٠٢.

وبهذا نعرفُ جَهلَ الفادي المفتري بأَحكامِ الناسخِ والمنسوخِ، ومع ذلك يَدَّعي وقوفَه على الأَسبابِ الحقيقيةِ للناسخِ والمنسوخ، والأَسبابُ التي عَرَضَها هي في مخيَّلتِه المريضة، وهدفُه منها التهكمُ على الإِسلام، واتهامُ القرآن، وإِدانةُ الرسول ﷺ. ومعظمُ الأَمثلةِ التي ذكَرَها وحَلَّلَها لا نسخَ فيها!.

٢٠٨

حول الكلام المتشابه في القرآن

اعترضَ الفادي المفتري على وُجودِ الكلامِ المتشابهِ في القرآن، واعْتَبره نَقصاً في إِحكامِ القرآنِ وبلاغَتِه، وأَنَّ المسلمَ يُلغي عَقْلَه أَمامَه ويُسَلِّمُ به تسليماً أَعمى.

قالَ: «جاءَ في سورةِ آل عمران (٧): ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾. اعترفَ القرآنُ أَنَّ به آياتٍ مُحْكَمات، لا تَقبلُ الصرفَ عن ظاهرِها، ولا الذهابَ في محتملاتِها مذاهبَ شتّى.. كما قالَ: إِنَّ به آياتٍ متشابهات، لا يتضحُ مَعْناها، لأَنها مجملة، أَو غيرُ موافقةٍ للظاهرِ إِلّا بتدقيقِ الفِكْر، وما يَعْلَمُ تَأْويلَها إِلّا الله. وإِنَّ على أَشَدِّ الناسِ رسوخاً في العلمِ أَنْ يُسَلِّموا بها تَسليماً أَعمى.

ونحنُ نسأَلُ: أَليسَ وجودُ هذه المتشابهاتِ نَقْصاً في البلاغةِ والإِحكام؟ فكيفَ نتأكدُ ممّا لا يَعلمُ تأويلَه إِلّا الله؟. قالَ الإِنجيل: «امْتَحِنوا كُلَّ شيء، تَمَسَّكُوا بالحَسَن». فهل يَحتملُ القرآنُ الامتحان؟»[١].

آياتُ القرآن نوعان: آياتٌ محكَمات، وآياتٌ متشابهات. قالَ تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ﴾

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٠٢.

[آل عمران: ٧]. ومعظمُ آياتِ القرآنِ محكَمات، والآياتُ المتشابهاتُ آياتٌ قليلةٌ جدّاً. والمحكَمات هنَّ أُمُّ الكتاب، والأَصْلُ الواضحُ الذي يَجبُ حملُ الآياتِ المتشابهاتِ عليها، لإِحسانِ فهمِها ومعرفةِ مَعْناها.

والمحكَماتُ واضحاتُ الدلالة، لا لَبْسَ ولا غُموضَ فيها، ولا إِشكالَ عليها. أَمّا المتشابهات فإِنّ فيها لَبْساً وإِشكالاً، ومَعْناها غيرُ واضحٍ وُضوحَ معنى المحكَمات، ويقفُ العلماءُ أَمامَها باحِثينَ متفكِّرين، ويَجبُ عليهم أَنْ يَحْمِلوها على الآياتِ المحكَمَات، لِيُزيلوا اللَّبسَ عنها، ويُحْسِنوا معرفةَ مَعناها.

ولا يَستحيلُ معرفةُ معنى الآياتِ المتشابهاتِ كما ادَّعى الفادي المفْتَري، فإِنَّ معرفةَ معناها ممكِنَة، بل هي واجبة، لأَنه يَجبُ علينا معرفةُ كُلِّ معاني القرآن، ولم يُخاطبنا اللهُ في القرآنِ بشيءٍ لا نَعرفُ معناه، فقد أَنزلَه علينا بلسانٍ عربيٍّ مُبين، وأَوجبَ علينا فَهْمَه، وتَدَبُّرَه، فكلُّ ما في القرآن مَفهومُ المعنى، ومنه الآياتُ المتشابهات.

لكن معرفة معنى الآيات المتشابهات يحتاج إلى مزيد من النظر والتفكر والبحث، لأَنها ليستْ بوضوحِ الآياتِ المحكَمات، ولَنْ يُعْرَفَ معناها بدقَّةٍ وإِتْقانٍ إِلّا بَحَمْلها على أُصولِها من الآياتِ المحْكَمات، وهذا ممكنٌ يتمُّ على أَيْدي الراسخين في العلم.

وهناكَ أَشخاصٌ في قلوبِهم مَرَض، من أَمثالِ هذا الفادي المفتري المجرم، يَتركونَ الآياتِ المحكَماتِ الواضحاتِ الكثيرة، ويَبْحَثونَ عن الآياتِ المتشابهاتِ القليلة، بهدفِ فتنةِ المؤمنين، وتَشكيكِهم في القرآن، ويُثيرونَ الشبهاتِ والإِشكالاتِ على معاني الآياتِ المتشابهات، ولو حَمَلوا الآياتِ المتشابهاتِ على أُصولِها المحكماتِ لأَحْسَنوا فهمَ تلك المتشابهات.

إِذنْ معرفةُ معنى الآياتِ المتشابهاتِ ممكنةٌ بل واجبة، والمؤمنُ يَتعاملُ معها بوعْيٍ عقلي، ولا يُسلمُ بها تَسليماً أَعمى، كما ادَّعى هذا الفاديَ الأَعْمى.

والذي لا يَعرفُهُ الراسخون في العلمِ من المتشابهاتِ هو كيفيتُها الواقعيةُ العمليةُ المادية، لأَنها غيبيةٌ غيرُ مُدْرَكَةٍ بالعقل، والعقلُ عاجزٌ عن تكييفِها، فلذلك يَكِلونَ كيفيتَها إِلى الله، ويَقولون: آمَنّا بالقرآن، كُلٌّ قسمَيْه من المحْكَمِ والمتشابه من عندِ رَبِّنا.

والفادي لجهْلِه وغَبائِه وصِغَرِ عَقْلِه لم يُفَرِّقْ بين معرفةِ مَعاني الآياتِ المتشابهات الممكِنة، التي تتمُّ على أيدي الراسخين في العلم، وبينَ تَكييفِها الواقعيِّ العمليِّ الذي لا يُمكنُ أَنْ تَقومَ به عقولُ الراسخين في العلم، فيَكِلونَ هذا التَّكييفَ إِلى الله!!.

ووجودُ الآياتِ المتشابهاتِ القليلةِ في القرآن، تأكيدٌ على بلاغةِ القرآن وسُمُوِّهِ وإِحْكَامِهِ وإِعجازِهِ، وليس نَقْصاً في بلاغتِهِ وإِحكامِهِ، كما ادَّعى الجاهلُ، والقرآنُ يَدعو الراسخينَ في العلم من أُولي الأَلباب إِلى إِمعانِ النظرِ في الآياتِ المتشابهات، وإِطالةِ الوقفةِ أَمامَها، وحَمْلِها على أُصولِها المحكَمات، لإِزالةِ اللَّبسِ الخارجيِّ عنها، وإِحسانِ فَهْمِها، وتَقديمِها للآخرين.

وكان الفادي الجاهلُ غبيّاً عندما طَرَحَ سؤالَه في آخرِ كلامِه: «فهل يَحتملُ القرآنُ الامتحان؟».

نقولُ: نعم. القرآنُ يَحتملُ الامتحان. وهو يَتَحَدّى الكافرين، ويَدْعوهم إِلى امتحانِه، ويحثُّهم على امتحانِه، ويُقررُ لهم أَنهم لن يَجدوا فيه خَطَأً أَو اختلافاً أَو تفاوتاً أَو تناقضاً أَو اضطراباً، ويَتَحَدّاهم باستخراجِ ذلك منه. وأَوضحُ دعوةٍ قرآنيةٍ لهم في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وامتحنَ الكفارُ القرآن، ونَظَروا فيه بهدفِ الوقوفِ على الخطأ والاختلافِ والتعارضِ والتناقض، واستمرَّ امتحانُهم ونَظَرُهم خمسةَ عشر قرناً، وقَدَّموا في ذلك كلاماً تافِهاً لا وَزْنَ ولا قيمةَ له، مثلَ هذا الكلامِ الذي قَدَّمَه هذا الفادي

المفتري الجاهل، ويُمكنُ الرَّدُّ على شبهاتِهم بسهولةٍ ويُسْر، ولم يَتَأَثَّر القرآنُ بما قالوه عنه، وبَقيَ صخرةً قويةً ثابتة، يَصدُقُ عليهم وعليه قولُ الشاعر:

كَناطِحِ صَخْرَةٍ يَوْماً لِيوهِنَها ... فَما وَهاها وَأَوْهىٰ قَرْنَهُ الوَعِلُ

٢٠٩

هل القرآن مثل كلام الناس؟

وضَعَ الفادي المفتري عِنواناً استفزازياً مُثيراً: «الكلامُ المماثلُ لغيرِه من كلامِ الناس» ادَّعى فيه أَنَّ القرآنَ مثلُ كَلامِ الناس.

وجاءَ في عرضِه لفكرتِه الخبيثة قولُه: «جاءَ في سورةِ الإسراء (٨٨): ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.

ونحنُ نسأَلُ: أَليست المعلَّقاتُ السبعُ ومَقاماتُ الحريريِّ أَفصحَ من القرآن؟ أَو ليس امرؤُ القيس أَفصحَ من محمد؟ أَليستْ قصائدُ المتنبي وابن الفارضِ وخُطَبُ قِسِّ بنِ ساعِدَة وغيرهم تُحاكي فَصاحةَ القرآن، وتُخرجُه عن كونِه معجزة؟ فليس القرآنُ من المعجزةِ في شيء، لأَنَّ المعجزةَ حَدَثٌ يحدُثُ خِلافَ مَجرى الطبيعةِ وناموسِها، فإِماتةُ حَيٍّ بطريقةٍ ما لا يُعَدُّ مُعجزة، لحدوثِه وفقَ ناموسِ الطبيعة، ولكنَّ إِحياءَ الميتِ بواسطةِ دُعاءٍ وأَمْرٍ يُحْسَبُ مُعجزة.. وعليه فتأْليفُ كتابٍ في نهايةِ البلاغةِ والفصاحةِ لا يُعَدُّ معجزة، بل يُعَدُّ من نوادِرِ أَعمالِ الإنسان.

وإِنْ حَسَبْنا القرآنَ بناءً على سموِّ بلاغَتِه وفصاحتِه معجزةً، سيلزَمُنا أَنْ نَحْسِبَ كثيراً من أَشعارِ العَرَبِ وخُطَبِهم مُعْجزات! وإِنْ كانَ القرآنُ يتحدّى الناسَ جَميعاً في فصاحتِه، فأَيُّ مسلم يَقرأُ للعربِ قصائِدَهم العامرةَ وخُطَبَهم الرنانة، ويتذرَّعُ بالشجاعةِ في الرأي ويُعلنُ الحقيقةَ السافرةَ أَنَّ محمداً كأَحَدِ هؤلاءِ العرب، أَو يقلُّ عنهم!.

وكم هم الذين يَزيدون فصاحةً من أُدباءِ اليهودِ في اللغةِ العِبْرِية، ومن أُدباءِ اليونانِ في اللغةِ اليونانية، ومن أُدباءِ الرومانِ في اللغةِ الرومانية، كما هو معروفٌ أَنَّ لكلِّ لغةٍ أُدباءَها.

أَما معلوماتُ القرآن فلم تَزِدْ عن أَقوالِ العربِ والمجوسِ واليهود والنصارى، الذين أُخِذَ عنهم!»[1].

إنَّ المجرمَ الفاجرَ يَرى أَنَّ القرآنَ من كلامِ محمد ﷺ وليس من كَلامِ الله، وأَنَّ بعضَ كلامِ العرب أَفصحُ من القرآن، كشعرِ امرئ القيس والمتَنَبي، وحتى مقاماتُ الحريري الركيكةُ أَفصحُ عنده من القرآن.

وهو يَرى أَنَّ القرآنَ ليس معجزةً للنبي ﷺ، لأَنَّ المعجزةَ في نظرِه حَدَثٌ يَحدثُ على خلافِ الطبيعة، كإِحياء الميت، والقرآنُ في نظرِه ليس على خلافِ الطبيعةِ البشرية، إِنه كتابٌ أَلَّفَه محمدٌ ﷺ على مستوى من الفصاحةِ والبلاغة، فالقرآنُ صناعةٌ بشريةٌ من نَوادرِ أَعمالِ الإِنسان! ولو كانَ القرآنُ معجزةً لكانتْ كُلُّ خُطَبِ العربِ وأَشعارِهم معجزات!!.

ويرى المجرمُ أَنَّ تحدّي القرآنِ الناسَ في فصاحتِه لا مَعنى له، لأَنَّ مؤَلِّفَه محمداً ﷺ أَقَلُّ من مستوى العربِ في الفصاحةِ والبلاغة!!.

إِنَّ المجرمَ يَهذي في هذا الكلام، ويُقدمُ كَلاماً تافِهاً ساقِطاً، يوحي به إِليه حِقْدُه ولؤمُه وخبثُه وكيدُه، ولذلك يُغالِطُ الحقائِق، ويطلبُ من القارئ تَصديقَه!!.

هَبْ أَنَّ القرآنَ أَقَلُّ فصاحةً وبلاغةً من خُطَبِ وأَشعارِ العرب، فلماذا لم يَأْتوا بالمطلوبِ لما تَحَدّاهم القرآن؟ ولماذا لم يُؤَلِّفوا سورةً أَوْ عَشْرَ سُوَر؟ وما الذي مَنَعَهم من ذلك وهم الأَفصحُ والأَبلغ؟ وهم الحَريصونَ على أَنْ لا يَنْهَزِموا في ميدانِ البيانِ والفصاحةِ والبلاغة!!.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٠٢ ـ ٢٠٣.

ومَن الذي قالَ: إنَّ القرآنَ ليس معجزة؟ إنَّ المعجزةَ هي الأَمْرُ الخارقُ للعادة، يُجريهِ اللهُ على يَدِ النبيّ، وما ذَكَرَهُ من إحياءِ الميتِ معجزةٌ، لكنَّها ليستْ خاصةً به. إنَّ المعجزاتِ نوعان:

النوعُ الأول: معجزاتٌ ماديَّة، سالمةٌ من المعارضة، بحيثُ لا يَستطيعُ الخصْمُ نَقْضَها ومعارضَتَها وإبطالَها، مثلُ عصا موسى عليه السلام، التي جعلَها اللهُ حَيَّةً تَسعى، والْتَقمتْ كُلَّ ما قَدَّمَ السحرةُ من حِبالٍ وعِصِيّ، ومثلُ النارِ التي جَعَلَها اللهُ بَرْداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام، ومثْلُ إحياءِ الميت الذي تَمَّ على يَدِ عيسى عليه السلام.

النوعُ الثاني: معجزاتٌ معنويةٌ غيرُ محسوسةٍ ولا ملموسة، مثلُ القرآنِ الذي جَعَلَهُ اللهُ آيةً بيانيةً عقليةً للنبيِّ ﷺ، وهو معجزةٌ عقليةٌ يُخاطبُ اللهُ بها العقلَ الإنساني، ويُقَدِّمُ الأدلةَ العقليةَ العديدةَ على أنه من عندِ الله، وشاءَ اللهُ الحكيمُ أَنْ تكونَ معجزةُ الرسولِ ﷺ الأُولى عقليةً بيانية، لأَنَّ رسالتَه مستمرةٌ حتى قيامِ الساعة، فلا نبيَّ بعده.

فحصْرُ الفادي المجرمِ المعجزاتِ بالنوعِ الأَوّلِ دَليلُ جهْلِه وغبائِه. ولقد كانَ لرسولِنا محمدٍ ﷺ معجزاتٌ ماديةٌ ثانوية، مثلُ تكثيرِ الطعامِ والماءِ بين يديه، وتسبيحِ الحصىٰ بين يدَيْه، ومعجزةِ الإسراءِ والمعراج.

وعندما طلبَ المشركونَ من الرسولِ ﷺ تقديمَ معجزات مادية، كتلك التي أَتى بها الأَنبياءُ السابقون، رَدَّ اللهُ عليهم بلَفْتِ نظرِهم إلى معجزتِه الأَهَمِّ التي هي القرآن. قالَ تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٠ ـ ٥١].

ويُغالطُ الفادي المجرمُ، ويُخالفُ المنطقَ والموضوعيةَ، عندما يَدَّعي أَنَّ أَشعارَ العربِ أَفصحُ من القرآن، وحتى مقاماتُ الحريري أفصحُ من القرآن،

وإنَّ الباحثينَ المنصفينَ المُحايدين، الذين يَحتَرمونَ عُقولَهم وعقولَ القراء، ويَحترمونَ الحقيقةَ والموضوعية، قَرّروا أنه لا مجالَ للمقارنةِ بينَ القرآنِ وبين الشعرِ العربي، لأَنَّ فصاحةَ القرآنِ وبلاغتَه بَلَغَتْ حَدَّ الإعجاز، ولذلك عَجَزَ العربُ المشركون عن معارضةِ القرآن، والإِتيانِ بمثلِه، أَو بعشرِ سورِ مثلِه، أَو بسورةِ مثله.

ولقد أَخبرَ القرآنُ استحالةَ قدرةِ الناسِ على معارضةِ القرآنِ والإِتيانِ بمثْلِه، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

وهذه الآيةُ الجازمة، يُصَدِّقُها الواقعُ التاريخي، على مَدارِ خمسةَ عَشَرَ قرناً، فكم حارَبَ القرآنَ من أَصنافِ الكفار، وكم حاوَلوا معارضَتَه ونَقْضَه، ولكنَّ جَميعَ محاولاتِهم باءَتْ بالفَشَل، ولم يتمكَّنوا من معارضتِه والإِتيانِ بمِثْلِه، ويَبقى خَبَرُ الآيةِ قائماً: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾. ويَبْقَى هذا دليلاً قاطِعاً على أَنَّ القرآنَ من عندِ الله! وأَنه لا يُماثِلُ ولا يُشابِهُ كَلامَ الناس.

٢١٠

حول الاختلاف والتناقض في القرآن

أَخبرَ اللهُ أَنَّ القرآنَ ليسَ مُختلفاً ولا مُتناقضاً، ولو كانَ من عندِ غيرِ اللهِ لكانَ فيه الكثيرُ من الاختلافِ والتناقض. قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

ولكنَّ الفادي المجرمَ لم يُصَدِّق الآيةَ، وإنما كَذَّبَها، وادَّعى أَنَّ القرآنَ مختلفٌ مُضطرب مُتناقض. وقالَ تحتَ عنوان: «الكَلامُ المختلف»: «جاءَتْ في القرآنِ اختلافاتٌ كثيرةٌ لاختلافِ قراءاتِه، وصارَتْ سُنَّة أَنَّ عباراتِ القرآنِ على سبعةِ أَحرفٍ أَو سبعةِ أَوجهٍ، حتى لَيصعبُ على الإِنسانِ أَنْ يُصدرَ حُكْماً

صحيحاً، لعدمِ تأكيدِه إلى أيِّ قراءةٍ يَستند. . .»[1].

يَزْعُمُ المفتري أَنَّ القراءاتِ تُؤَدّي إلى الاختلافاتِ الكثيرةِ في القرآن. وكأَنَّ هذه القراءات من وَضْعِ واختيارِ البشر، وهذا زعمٌ باطل.

وإِنَّ القراءاتِ الصحيحةَ عَشْرُ قراءات، هي: قراءةُ ابنِ كثيرٍ المكي، ونافعِ المدني، وابنِ عامر الشامي، وأَبي عمرو البصري، وعاصمِ الكوفي، وحمزةَ الكوفي، والكسائي الكوفي، وأَبي جعفر المدني، ويعقوبَ البصري، وخَلَفٍ البغدادي.

وكُلُّ هذه القراءاتِ العشرِ أَنزلَها اللهُ على نبيِّه محمدٍ ﷺ، فكلُّها كَلامُ اللهِ قَطْعاً. وشروطُ القراءةِ الصحيحةِ ثلاثة: أَنْ تكونَ صحيحةَ السَّنَد، وأَنْ تُوافِقَ رَسْمَ المصحف العثماني، وأَنْ تُوافِقَ اللغةَ العربية. . فإِذا اختلَّ واحِدٌ من هذه الشروطِ الثلاثة كانت القراءةُ شاذّةً غيرَ صحيحة، وحكَمْنا بأَنها ليستْ قرآناً.

ولا اختلافَ بين القراءاتِ العشرِ كما زَعَمَ هذا الجاهل، لأَنها كُلَّها متوافقةٌ مع رسمِ المصحف، والخلافُ بينها يسيرٌ في بعضِ الحركاتِ أَو الحروف، وضمنَ المصحف، واللهُ أَنزلَ الآيةَ بأَكثرَ من قراءةٍ لحِكَمٍ عديدة.

وعلْمُ «القراءات» عِلْمٌ أَصيل، وقد حَصَرَ علماءُ القراءات تلكَ القراءات حَصْراً دَقيقاً مضبوطاً، وحَدّدوا كيفيةَ النطقِ بكلِّ قراءة، وأَلَّفوا في ذلك العديدَ من الكتب، وصارَ بإمكانِ أَيِّ قارئٍ للقرآن أَنْ يُتقنَ قراءةَ أَيِّ إِمامٍ من القُرّاءِ العشرة. ولكنَّ الفادي الجَاهلَ محجوبٌ عن هذا العلمِ، لكُفْرِه وحِقْدِه وجَهْلِه وغبائه.

وكما اعترضَ الفادي الجاهلُ على القراءات اعترضَ على الأَحرفِ السبعة، التي أَنزلَ اللهُ القرآنَ عليها، واعتبرَها سَبَباً في وجودِ الاختلافِ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٠٣.

والاضطرابِ في القرآن. وقالَ في اعتراضه: «قال محمد: «هذا القرآنُ أُنزلَ على سبعةِ أَحرف، فاقرؤوا ما تيسَّرَ منه».. قال محمدٌ هذا الكلامَ لعمرَ بن الخطّاب، لَمّا جاءَه عمرُ بهشامِ بنِ حكيم وقد لَبَّبَهُ بردائِه، لما سمعَهُ يقرأُ سورةَ الفرقان على غيرِ ما أقرأَها محمدٌ لعُمَر. فقالَ عمرُ: يا رسولَ الله! إني سمعتُ هذا يقرأُ سورةَ الفرقانِ على حروفٍ لم تُقرِئْنيها.. فقال له محمدٌ: «اقْرأَ يا هشام». فقرأَ عليه القراءةَ التي سمعَه عمرُ يقرؤُها. فقال محمد: «هكذا أُنزلَتْ!» ثم قالَ محمد: «اقرأْ يا عمرُ». فقرأَ بقراءَتِه التي أقرأَه بها محمد، فقالَ محمدٌ: «هكذا أُنزلَتْ!» ثم قالَ: «إنَّ هذا القرآنَ أُنزلَ على سبعةِ أَحرف، فاقرؤوا ما تيسَّرَ منه!».

قالَ المفسِّرون: سبعةُ أَحْرف. أَيْ: سبعةُ أَوْجُهٍ مختلفة، أَو سبعُ قراءاتٍ مختلفة»[1].

القصةُ التي ذَكَرَها الفادي صحيحة، وقد أَجازَ الرسولُ ﷺ قراءةَ هشامِ بنِ حكيم، وأَجازَ قراءةَ عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنهما، لأنه أَقْرَأَ كُلَّ واحدٍ بما قرأَه، وكان الخلافُ بينَ قراءةِ هشام وقراءةِ عُمَر قليلاً، وعَلَّلَ الرسولُ ﷺ الاختلافَ بينهما بأَنَّ اللهَ أَنزلَ القرآنَ على سبعةِ أَحْرُف، وأَنه يَجوزُ قراءةُ القرآنِ بأَيِّ حرفٍ منها، وكلٌّ من عمرَ وهشامٍ قرشيٌّ، ومع ذلك قرأَ كُلُّ واحدٍ بقراءةٍ تَعَلَّمَها من رسولِ الله ﷺ.

والأَحْرفُ السبعةُ توقيفيةٌ، ولَيستِ اجتهاديةً باجتهادِ واختيارِ الصحابة، اللهُ هو الذي أَنزلَها للتيسيرِ على الناس، وأَجازَ القراءةَ بأَيِّ حرفٍ منها.

والراجحُ أَنَّ الأَحرفَ السبعةَ هي «وُجوهُ التغايرِ السبعة» في قراءةِ الكلمةِ القرآنية، بمعنى أَنَّ أَقْصى وجوهِ التغايرِ في قراءةِ الكلمةِ القرآنيةِ هو سبعةُ وجوه.

ومُعظمُ كلماتِ القرآنِ تُقرأُ على حرفٍ واحد، وبوَجْهٍ واحدٍ فقط، لكنَّ بعضَها قد يُقرأُ على حرفين أَو ثلاثة، ولا تَزيدُ أَوجُهُ قراءَتِه عن سبعةِ وُجوه.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٠٤.

والراجحُ أَنَّ الأَحرفَ السبعةَ موجودةٌ في القرآن، لم يُنسخْ ولم يُرفعْ منها شيء، وأَنَّ رسمَ المصحف زمنَ عثمانَ ﷺ احْتَواها وضَمَّها، وهذه الأَحرفُ السبعةُ آلَتْ إِلى القراءاتِ العشرِ الصحيحة، التي رَصَدَها وسَجَّلَها العلماء، وقرؤُوا بها القرآن.

وبهذا نَعرفُ أَنَّ الأَحرفَ السبعةَ والقراءاتِ العشرَ أَنزلَها اللهُ على رسولِه ﷺ، وأَذِنَ للمسلمين القراءةَ بها، فهي كلامُ الله وليسَ تأليفَ المسلمين، وأَنَّ رسمَ المصحفِ العثمانيِّ حوى وشملَ الأَحرفَ السبعةَ والقراءاتِ العشر، وأَنه يَجوزُ القراءةُ بأَيِّ حرفٍ منها أَو أَيةِ قراءةٍ منها، وأَنَّ معظمَ كلماتِ القرآنِ لا تُقرأُ إِلّا على حرفٍ واحدٍ بقراءةٍ واحدة، وأَنها لا اختلافَ ولا تَعارضَ بينها، وأَنها تتكاملُ للدلالةِ على المعنى القرآني.

ونوردُ مثالاً على هذه القراءاتِ والأَحرفِ من سورةِ الفرقان لتتضحَ المسألة.

قالَ تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥].

في كُلٍّ من «تَشَقَّقُ» و«نُزِّلَ» قراءتان:

في «تَشَقَّقُ» قراءتان:

الأُولى: قراءةُ عاصم وحمزة والكسائي وخلف وأَبي عمرو: «تَشَقَّقُ» بتَخفيفِ التاءِ والشينِ. على أَنه فعلٌ مضارع، حُذِفَتْ منه التاءُ الأُولى، لأَنَّ أَصْلَه: تَتَشَقَّقُ، وماضيه: تَشَقَّقَ. والمعنى: تَتَشَقَّقُ السماءُ بالغمام.

الثانية: قراءةُ ابن كثير ونافع وابن عامر وأَبي جعفر ويعقوب: «تَشَّقَّقُ» بتشديدِ الشين، على إِدغامِ التاءِ الثانيةِ في الشّين، لأَنَّ أَصْلَه: تَتَشَقَّقُ.

والقراءتانِ متقاربتانِ متكاملتان ولَيْستا مختلفتَيْن أَو متناقضتين، فهما تَتفقان على أَنَّ الفعلَ مضارع: «تَتَشَقَّقُ»، على وزن «تَتَفَعَّلُ». لكنَّ القراءةَ الأُولى حَذَفت التاءَ الأُولى للتخفيف، والقراءةُ الثانيةُ أَدغمت التاءَ الثانيةَ في الشينِ للتخفيف أَيضاً.

وفي «ونُزِّلَ الملائكة» قراءتان:

الأولى: قراءةُ ابنِ كثير المكي: «وَنُنَزِّلُ الملائكةَ» على أنَّ الفعلَ المضارعَ مُسندٌ إلى الله، و«الملائكةَ»: مفعولٌ به. والمعنى: وننزلُ نحنُ الملائكةَ تنزيلاً.

الثانية: قراءةُ التسعة ـ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وأبي عمرو وأبي جعفر ويعقوب وخلف ـ: ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾. على أنه فعلٌ ماضٍ مبنيٌّ للمجهول، و«الملائكةُ»: نائبُ فاعلٍ مرفوع. والمعنى: يُنَزَّلُ الملائكةُ تنزيلاً في ذلك اليوم.

والقراءتان متكاملتان، وليستا مختلفتَيْن، فإذا كانَ اللهُ يُنزلُ الملائكةَ تنزيلاً على قراءةِ ابن كثير، فإنَّ الملائكةَ يُنَزَّلونَ تَنزيلاً في ذلك اليوم، على قراءةِ القراءِ التسعة.

مع أمثلة الفادي للاختلاف في القرآن:

قَدَّمَ الفادي الجاهلُ أمثلةً على دَعواهُ الغبيةِ على وُجودِ الاختلافِ في القرآن، وليتَه لم يُقَدِّمْ تلك الأمثلة، فقد فَضَحَ نفسَه، وأَبانَ عن جَهْلِه وغبائِه.

ذَكَرَ أَنَّ الاختلافَ اللفظيَّ في القرآنِ له ثَلاثَةُ مظاهر: تَبديلُ اللفظِ، وتَبديلُ التركيب، والتبديلُ بالزيادةِ والنقصان.

لِننظرْ في الأَمثلةِ الدالَّةِ على الاختلافِ بتبديلِ الأَلفاظِ والتراكيبِ، والزيادةِ والنقصان.

ـ قالَ تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥]. ادَّعى الفادي أَنَّ الآيةَ: «وتكونُ الجبالُ كالصّوفِ المنفوش». فَتَمَّ تَبديلُ «الصّوفِ» إلى «العِهْنِ» ولا أدري مَنْ أدراهُ أَنَّ أَصْلَ الآيةِ بالصوفِ وليس بالعهن.

ـ قال تعالى: ﴿فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩]. ادَّعى الفادي أَنَّ الآيَةَ: «فَامْضُوا إلى ذكر الله». فتمَّ تَبديلُ «فامضوا» إلى ﴿فَٱسْعَوْا۟﴾.

ـ قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]. ادَّعى الفادي أَنَّ الآيَةَ: «فكانت كالحجارة»، فَتَمَّ تَبديلُ الفعلِ «فكانت» إلى الضمير: ﴿فَهِىَ﴾.

ـ قالَ تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾. ادَّعى الفادي أَنَّ الآيةَ: «ضربت عليهم المسكنة والذلة»، فَقَدَّموا الذِّلَّةَ على المسكنة، وجَعَلوها: ﴿ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾.

ـ قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [قَ: ١٩]. ادَّعى الفادي أَنَّ الآيَةَ: «وجاءت سكرة الحق بالموت»، فَتَمَّ تَبديلُ الآيةِ إلى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾.

ـ قالَ تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]. ادَّعى الفادي أَنَّ أَصْلَ الآية: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم». فَحَذَفوا جُملة: «وهو أب لهم».

أَمّا الاختلافُ في المعنى فقد أَوردَ عليه الفادي الجاهلُ مثالَيْن:

ـ قال تعالى: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبأ: ١٩]. ادَّعى الفادي أَنَّ الآيَةَ بالجملةِ الخبرية، على أَنَّ «رَبُّنا» مبتدأٌ مرفوع، و«باعَدَ» فعلٌ ماضٍ مبنيٌّ على الفتح، والجملةُ الفعلية: «بَاعَدَ بَيْنَ أَسْفارِنَا» في محلِّ رفْع خبر.

واعتبارُ الجملةِ خبريةً قراءةٌ قرآنيةٌ صحيحة، حيث قَرَأَ يَعقوبُ البصري: «قَالُوا رَبُّنَا بَاعَدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا». وبما أَنها قراءةٌ صحيحةٌ فليس فيها اختلافٌ في المعنى كما ادَّعى الفادي الجاهل[1].

ـ قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة: ١١٢]. ادَّعى الفادي أَنَّ الجملةَ خطابٌ لعيسى عليه السلام: «يا عيسى ابْنَ مريم هَلْ تَستطيعُ رَبَّك». على أَنَّ «رَبَّكَ» مفعولٌ

(١) انظر: هل القرآن معصوم؟، ص٢٠٣ ـ ٢٠٤.

به. . . وهذه قراءةٌ عشريةٌ صحيحة. حيثُ قَرَأَ الكسائيُّ الكوفي: «هل تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ». والمعنى على قراءةِ الكسائي: هل تَستطيعُ يا عيسى أَنْ تَدْعوَ رَبَّكَ أَنْ يُنزلَ علينا مائدةً من السماء؟ وإِنْ دَعَوْتَه فهل يَستجيبُ لك؟.

إِنَّ ادِّعاءَ الفادي المفتري وجودَ اختلافٍ في القرآن باطلٌ متهافت، والأَمثلةُ التي ذَكَرَها دليلُ جَهْلِه وغَبائِه، فاللهُ يَقولُ: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ والغبيُّ يُكَذِّبُ ذلك ويقول: الآيةُ هكذا: «وتكونُ الجبالُ كالصوفِ المنفوش».. واللهُ يقول: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ والغبيُّ يُكَذِّبُ ذلك ويقول: الآيةُ هكذا: «وجاءت سكرةُ الحَقِّ بالموت»، ويُسمي هذا الهراءَ بَحْثاً علميّاً موضوعيّاً محايداً!!.

❖ ❖ ❖

الفصل العاشر

نقض المطاعن الموجهة إلى حياة الرسول ﷺ

تمهيد:

خَصَّصَ الفادي المفتري الجزءَ العاشرَ من كتابه المتهافتِ للاعتراضِ على الآياتِ التي تتحدَّثُ عن رسولِ اللهِ ﷺ، والادِّعاءِ أَنَّ فيها أخطاءً، وأنها تدلُّ على أَنَّ القرآنَ ليس كلامَ الله، وأنه من تأليفِ النبيِّ ﷺ. ولْننظرْ في هذه الاعتراضاتِ التي ذَكَرها، والأسئلةِ التشكيكيةِ التي طَرَحها.

٢١١

حولَ أَزواجِ الرسولِ ﷺ

أوردَ الفادي المفتري مقاطعَ من ثلاثِ آياتٍ من سورةِ الأَحزاب، تتحدَّثُ عن أَزواج رسولِ اللهِ ﷺ؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٠﴾ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٥٠ ـ ٥١].

واعترضَ الفادي المجرمُ على هذه الآياتِ، واعتبرَها من تأليفِ النبيِّ ﷺ، وأنه اتبعَ فيها هَواه، وأَباحَ لنفسِه ما حَرَّمَه على أَصحابه، وسمحَ لنفسِه أَن يتزوجَ بما شاء. قال: «ونحنُ نسألُ: لماذا حَلَّلَ محمدٌ لنفسِه ما حَرَّمَه على غيره؟ أَلم يُحدِّد للمسلم أَربعَ زوجات، فقال: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ﴾ [النساء: ٣]؟. فلماذا

أَطلقَ العَنانَ لنفسِه دون المسلمين، وتزوَّجَ بأكثر مما يَسمحُ به القانون، من أيِّ امرأةٍ تَهبُه نفسَها، لو أنه وَقَعَ في هواها، فكانَ له عند وفاتِه تسعُ نسوةٍ أَحياء، وسريَّتَيْن هما مارِيَة وريْحانَة؟. . . وقالَ البيضاوي: إنَّ النساءَ اللاتي وَهَبْنَ أنفسهنَّ للنبيِّ هن: مَيمونَةُ بِنتُ الحارث، وزينبُ بنتُ خُزامَة، وأُمُّ شريك بنتُ جابر، وخولةُ بنتُ حكيم! أَليس غَريباً أَنَّ محمداً أَوصى المسلمينَ بالعدلِ بينَ النِّساء، وأَباحَ لنفسِه حريةَ عَدمِ العَدْلِ بين أَزواجه، فقال: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ . .﴾»[1].

الفادي المجرمُ يُصِرُّ على استبعادِ البُعْدِ الربانيِّ للأحكامِ الشرعية والآياتِ القرآنية، ويُصِرُّ على نسبةِ الآياتِ وما فيها من أَحكامٍ إلى محمدٍ ﷺ، ويَظهرُ هذا في قوله: «حَلَّلَ محمدٌ لنفسِه ما حَرَّمَه على غيره» و«أَلَم يُحددْ للمسلم أَربعَ زوجات، فقال: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ﴾؟». ونُلاحظُ أَنَّ المجرمَ يَنسبُ الآيةَ إلى النبيِّ ﷺ، وأنه هو الذي أَلَّفها وصاغَها، ثم نَسَبَها إلى الله! إنه لا يعترفُ أَنَّ القرآنَ كلامُ الله، وأَنَّ محمداً هو رسولُ اللهِ ﷺ، وأَنَّ الإِسلامَ هو دينُ الله؟ وإذا كانَ هذا منطلقه في النظرةِ إلى الإِسلامِ والقرآنِ ومحمدٍ ﷺ، فكلُّ تَفصيلاتِه وتحليلاتِه مرتبطةٌ بهذه النظرة، وهي ثمرةٌ طبيعية لها.

وفي كلامِ الفادي المجرمِ السابقِ مجموعَةٌ من المغالطات، منها:

١ ـ زَعْمُه أَنَّ النبيَّ ﷺ هو الذي حَدَّدَ للمسلمِ التزوجَ بأَربعِ نساء، وهذا كَذِب، فالذي حَدَّدَ ذلك هو اللهُ ﷻ في القرآنِ الكريم، قال تعالى: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ﴾ [النساء: ٣].

٢ ـ زَعْمُه أَنَّ النبيَّ ﷺ أَباحَ لنفسِه ما حَرَّمَه على غيره، وأَطلقَ العَنانَ لنفسِه، وتزوَّجَ بأَكثر مما يسمحُ به القانون. وهذا كذبٌ مفضوح منه، فالذي أَباحَ له ذلك هو اللهُ في كتابِه الكريم. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٠٧.

أَزْوَاجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ..﴾ [الأحزاب: ٥٠]، لقد كان رسولُ الله ﷺ ملتزماً بشرعِ الله، وقّافاً عند حُدودِ الله، مُنَفِّذاً لأوامرِ الله.

٣ ـ زَعْمُه أَنَّ الرسولَ ﷺ كان مُتَّبِعاً لهواه، وأنه أباحَ لنفسِه أَنْ يتزوَّجَ أيةَ امرأةٍ عشقَتْه ووهبَتْ نَفْسَها له، وهَوِيَها هو!.. وهذا كَذِبٌ منه. فالرسولُ ﷺ لم يَتبعْ هواه، وإنما كانَ إمامَ الزاهدين، واللهُ هو الذي أَباحَ له الزواجَ من المرأةِ التي وَهبَتْ نفسَها له: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وكَذَبَ المجرمُ عندما ادَّعىٰ أَنَّ النبيَّ ﷺ تَزَوَّجَ أَربعاً من أَزواجِه عن طريقِ الهِبَة، بعدَ أَنْ وَهبْنَ أَنفسهنَّ له. فلم يتزوَّج الرسولُ ﷺ من أيِّ امرأةٍ وهبتْ نفسَها له.. والذي حَصَلَ أَنَّ امرأةً وَهَبَتْ نفسَها له، بأَنْ فوَّضتْه أَمْرَها، وجعلَتْه وليَّ أَمْرِها، وزَوَّجَها لأَحَدِ أَصحابه...

روى البخاريُّ عن سهلِ بنِ سعدٍ الساعديِّ ﷺ قال: إِنّي لفي القوم عندَ رسولِ الله ﷺ، إِذْ قامَت امرأةٌ فقالَتْ: يا رسولَ الله، إنها قد وَهَبَتْ نفسَها لك، فَرَ فيها رأْيَكَ. فلم يُجِبْها شيئاً. ثم قامَتْ فقالَتْ: يا رسول الله! إنها قد وَهَبَتْ نفسَها لك، فَرَ فيها رأْيك.. فلم يُجِبْها شيئاً.. ثم قامَت الثالثةَ، فقالَتْ: إِنها قد وَهَبَتْ نفسَها لك، فَرَ فيها رأْيك.. فقامَ رجلٌ فقال: يا رسولَ الله! أَنْكِحْنيها. قال: «هل عندَكَ من شيء؟» قال: لا. قال: «اذهبْ فالتمسْ ولو خاتماً من حديد..» فذَهَبَ وطَلَب، ثم جاءَ فقال: ما وجدْتُ شيئاً، ولا خاتماً من حديد. قال: «هل معك من القرآنِ شيء؟» قال: معي سورةُ كذا وسورةُ كذا. قال: «اذهبْ فقد أَنْكَحْتُكَهَا بما معكَ من القرآن..».

٤ ـ زَعْمُه أَنَّ الرسولَ ﷺ أَوصى المسلمينَ بالعدلِ بين نسائِهم، وأَباحَ لِنفسِه عدمَ العَدْل، فقال: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ ..﴾. إِنَّ الفادي المجرمَ يُصِرُّ على أَنَّ محمداً ﷺ هو الذي قالَ: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ ..﴾ مع أَنَّ اللهَ هو الذي أَنزلَ هذه الآيةَ على رسولِه ﷺ.

ولم يُبِح الرسولُ ﷺ لنفسِه عدمَ العدلِ بين الزوجات، وإنما أعفاهُ اللهُ من ذلك، وذلك في قولِه تعالى: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ [الأحزاب: ٥١].

ومع أنَّ اللهَ أعْفاهُ من وجوبِ العَدْلِ، إلّا أنه أخَذَ بالأفضلِ والأكمل، فكانَ يَعدلُ بين نسائِه.

روى البخاريُّ عن عائشةَ ﵂: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ يَستأذنُ في يومِ المرأةِ مِنّا، بعدَ أنْ أُنزلَتْ عليه هذه الآيةُ: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ . .﴾. فقالَتْ لها مُعاذَة: ماذا كنتِ تَقولين؟ قَالَتْ عائشة: «كنتُ أَقولُ له: إنْ كانَ ذلك إليّ، فإنّي لا أُريدُ يا رسولَ اللهِ أَنْ أُوثرَ عليك أحداً».

حول حرمة نكاح أزواج النبي ﷺ:

حَرَّمَ اللهُ على المسلمين نِكاحَ أَزواجِ النبيِّ ﷺ من بعده. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وهذا لم يُعجِب الفادي المفتري، وأثارَ اعتراضَه واستنكارَه، قال: «ولماذا يُعطي الحقَّ لجميعِ الأَرامِلِ أَنْ يتزوَّجْنَ، ويُحَرِّمُ هذا الحقَّ على نسائه، فيوصي أَنْ لا يتزوَّجْنَ من بعدِه أَبداً؟»[١].

لم يُحَرِّم الرسولُ ﷺ على المسلمين نِكاحَ أَزواجِه من بعدِه، والذي حَرَّمَ ذلك هو اللهُ ﷻ، وورَدَ ذلك التحريمُ في الآيةِ القرآنيةِ الحكيمة، التي أَوردْناها قبلَ قَليل. واللهُ عليمٌ حكيمٌ في ما يُشَرِّعُ من الأَحكام، والإِنسانُ يتلَقّى حُكْمَ اللهِ بالقَبولِ والرضا والتسليمِ واليقين.

وحكمةُ تحريمِ نكاحِ أَزواجِه أنهنَّ أُمَّهاتٌ للمؤمنين، أُمومةً اعتباريةً معنوية، تَقومُ على الاحترامِ والتكريمِ والتوقير. قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٠٧.

مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ [الأحزاب: ٦]. وإذا كُنَّ أُمهاتٍ للمؤمنين، فهن مُحَرَّماتٌ عليهم، لأنه لا يمكنُ لإنسانٍ أَنْ يتزوَّجَ أُمَّه.

وإذا كانَ لا يَجوزُ للإنسانِ أَنْ يتزوَّجَ امرأةَ أَبيه، ولا يُمكنُ عقلاً أَنْ يَخلفَ أَباه عليها، فمن الذي يَرضىٰ أَنْ يَخلفَ الرسولَ ﷺ على أَزواجه؟!.

٢١٢

حول جهاد الرسول ﷺ وغزواته

اعترضَ الفادي المفتري على جهادِ الرسولِ ﷺ، وأساءَ تَفسيرَ غزواتِه وقتالِه للأعداء.

وأوردَ في بدايةِ اعتراضِه قولَ اللهِ ﷻ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الأنفال: ٣٩]. وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ﴾ [الأنفال: ٦٥].

وسَجَّلَ كلامَه الخبيثَ قائلاً: «ونحنُ نسأل: وهل يَحتاجُ اللهُ للعنفِ والسيفِ لينشرَ فِكْرَه؟ لقد حَلَّلَ محمدٌ لنفسِه ما سبقَ تَحريمُه، فحرَّضَ أَتْباعه على القتال، وأَوصى بالغزوِ والجهادِ في سبيلِ الدين.. مع أنه لما كان في مكة كان يُعلِّم أنه: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ويقول: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]. وكانَ يَقول: إنَّ اللهَ قالَ له: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠].

ولكنْ لما اشتدَّ ساعِدُه في المدينةِ بعدَ الهجرة، وَوَجَدَ نفسَه مُحاطاً بذوي السُّيوفِ البَتّارةِ من أَتْباعِه، هَجَمَ على اليهودِ بقربِ المدينة، وسَفَكَ دماءَ الأكثرين، وأوصى بمجاهدةِ جميعِ الخارجين عنه، ليكونَ الكُلُّ من أَتْباعِه.. وقد فاتَه أَنَّ اللهَ لا يَسودُ العالَمَ بالقَسْوةِ، بل بالمحبَّة، فاللهُ مَحَبَّة»[(١)].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٠٨.

وفي هذا الكلامِ الخبيثِ بعضُ المغالطاتِ والأكاذيبِ والجهالات، منها:

١ ـ إصْرارُه على أنَّ الرسولَ ﷺ يُحَلِّلَ ما يَشاء، ويُبيحُ لنفسِه ما حَرَّمَه على غيرِه، والتلاعبَ في التحليلِ والتحريم.. عِلْماً أَنَّ التحليلَ والتحريمَ لله وَحْدَه، فاللهُ سبحانه هو الذي يُنَزِّلُ عليه الآيات، مُحَلِّلاً ما يَشاء، ومُحَرِّماً ما يَشاء.. والآياتُ التي أَوردَها ليستْ من تأليفِه، وإِنما هي كلامُ اللهِ أَوحى به إليه.

٢ ـ من جهالاتِ المفتري الجاهلِ عدمُ تَفريقِه بين السورِ المكيةِ النازلةِ في مكةَ قبلَ الهجرة، والسُّوَرِ المدنيةِ النازلةِ في المدينةِ بعدَ الهجرة. وسَجَّلَ جَهْلَه في قوله: «مع أنه لما كان في مكةَ كان يَعْلَمُ أَنَّه: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦]». لقد جعل سورةَ البقرةِ مكية، وكلُّ مُبتدئ في العلْمِ مُسلماً كان أَو كافراً فإِنَّه يَعلمُ أَنَّ سورةَ البقرة مدنية، وفيها النهيُ عن الإِكراهِ في الدين، وإِجبارِ الآخَرينَ على الدخولِ في الإِسلام، وأَوردَ آيةَ سورةِ النحلِ الآمرةِ بالدعوةِ إِلَى الله بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة، واعتبرها لجهلِه مكية، مع أَنَّ الراجحَ أَنَّ سورةَ النحلِ مدنية، وأَنها أُنزلَتْ بعد غَزوةِ أُحُد، في السنةِ الثالثةِ من الهجرة.

٣ ـ ادَّعى المجرمُ أَنَّ الجهادَ طارئٌ على النبيِّ ﷺ، وأَنه لما كانَ في مكةَ كانَ يَحُثُّ على عدمِ الجهادِ والقتال، ويُركزُ على الدعوةِ والبَلاغ. ولما هاجَرَ للمدينةِ صارَ قوياً، واشتَدَّ ساعِدُه، ووجَدَ نفسَه مُحاطاً بذوي السُّيوفِ البَتَّارةِ من أَتْباعِه، عند ذلك غَيَّرَ فِكْرَه وأُسلوبَه ودَعا إِلى الجهادِ والغَزْو.

علماً أَنَّ اللهَ هو الذي أَمَرَ المسلمين في مكةَ بكَفِّ أَيديهم عن القِتال، والصبرِ على أذى المشركين، واللهُ هو الذي أَمَرَهم بالجهادِ والقتالِ في المدينة، فالأَمْرُ أَمْرُ الله، ووردَ في آياتِ القرآنِ الحكيمة. والرسولُ ﷺ يتلَقّى أَمْرَ الله، ويلتزمُ به ويُبَلِّغُه لأَتْباعِه ليلْتَزموا به.

٤ ـ يُغالطُ الفادي المجرمُ ويَكْذِبُ، عندما يدَّعي أَنَّ الرسولَ ﷺ هو الذي هَجَمَ على اليهودِ بالقربِ من المدينةِ وقَتَلَهم، أَي أَنه صَوَّرَ اليهودَ في صورةِ المظلومين، الذين تَعَرَّضوا لعدوانِ النبيِّ ﷺ.

مع أَنَّ الحقيقةَ القاطعةَ أَنَّ الرسولَ ﷺ لما هاجَرَ إِلى المدينةِ عَقَدَ معاهداتٍ مع قبائلِ اليهود، واتفقَ معهم على أَنْ لا يَعْتَدوا عليه، وأَنْ لا يُعاوِنوا أَعداءَه عليه. وهو لم يَنقضْ عَهْدَه معهم، ولم يَبْدأْهم بالهجومِ والعدوانِ لمَّا شَعَرَ بالقوة، واليهودُ المجرمون هم الذين نَقَضوا عَهْدَهم معه، واعْتَدوا على المسلمين، وحاوَلوا قَتْلَه، وتآمَروا مع قريشٍ ضده.

في السنةِ الثانيةِ من الهجرة نقضَ يهودُ بَني قينقاع عَهْدَهم مع الرسولِ ﷺ، واعْتَدَوْا على مسلمةٍ، وقَتَلوا مسلماً، فأَدَّبَهم وأَجْلاهم عن المدينة.. وفي السنةِ الرابعةِ من الهجرةِ نَقَضَ يهودُ بَني النضيرِ عَهْدَهم معه، عندما تآمَروا عليه وحاوَلوا اغتيالَه، فأَدَّبهم وأَجلاهم عن المدينة.. وفي السنةِ الخامسةِ من الهجرة نقضَ يهودُ بني قريظةَ عَهْدَهم معه، عندما تَحالَفوا مع جيوشِ الأَحزابِ المحاصِرَةِ للمدينة، فعاقَبَهم لخيانَتِهم العظمى وقَتَلَهم!.

٥ ـ يَكْذِبُ المفتري عندما يَدَّعي أَنَّ هدفَ الرسولِ ﷺ من الجهادِ هو سفكُ دماءِ الآخرين، ولذلك أَوصى بمجاهدةِ جميعِ الخارجين عليه ليكونوا من أَتْباعِه.

علماً أَنَّ القتالَ ليسَ بهدفِ إِدْخالِ الكفارِ في الإِسلام؛ لأَنه لا إِكراهَ في الدين، وليس بهدفِ جَعْلِهم أَتْباعاً للنبيِّ ﷺ، إِنما هو بهدفِ رَدِّ عُدْوانِ الكفارِ عن المسلمين، وتحطيمِ قُوَّتِهم التي يُؤْذونَ بها المسلمين، فإِذا تحققَ ذلك أَوقفَ المسلمون قتالَهم، وهذا صريحُ قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

٦ ـ يَكذبُ المفتري عندما يَتهمُ الإِسلامَ بالقَسْوَة، وأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ فقط، وأَنه لا يَسودُ العالَمَ إِلا بالمحبة، فاللهُ غفورٌ رحيم، ولكنَّه أَيْضاً شديدُ

العقاب، قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩ ـ ٥٠].

والصليبيّون الذين يَزْعُمُونَ أَنَّ اللهَ محبّة، وأنهم رسلُ محبة، هم الذين سَفَكوا دماءَ المسلمين، واحتلّوا أوطانَهم، وسَلبوهم أموالَهم، في القديمِ وفي الحديث!!.

٢١٣

ما الذي حرمه الرسول ﷺ على نفسه؟

اعترضَ الفادي المفتري على ما حَرَّمَه الرسولُ ﷺ على نفسِه، والذي عاتَبَه الله عليه في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [التحريم: ١ ـ ٢].

ونقلَ كلاماً غيرَ صحيح بأُسلوبِه الخبيثِ البذيء، قالَ فيه: «كان محمدٌ يوماً في بيتِ حَفْصَةَ بنتِ عمر، وهي إِحدى أَزواجِه، فاستأذَنَتْ منه في زيارة أَبيها، فأَذِنَ لها، فأَرسَلَ إِلى مارية، وهي إِحدى سراريه، وأَدخلَها بيتَ حَفْصَةَ وَواقعَها، فَرَجَعَتْ حَفصةُ وأَبصرتْ ماريةَ معهُ في بيتِها، فلم تَدخُلْ حتى خرجَتْ ماريةُ، ثم دخَلَتْ، وقالَتْ له: إِنّني رأيتُ مَنْ كانَتْ مَعَك في البيت.. وغَضِبَتْ وبَكَتْ وقالَتْ له: لقد جئتَ إِليَّ بشيءٍ ما جئتَ به إِلى أَحدٍ من نسائِك، في يومي، وفي بيتي، وعَلى فِراشي!.. فقالَ لها: اسْكُتي، أَمَا تَرْضينَ أَنْ أُحَرِّمَها على نفسي، ولا أَقربها أَبداً؟ قالَت: نعم. وحَلَفَ أَنْ لا يَقْرَبَها.

ولكنْ لما عاوَدَتْهُ الرغبةُ في ماريةَ حَنَثَ بالقَسَم، وأَقفلَ بابَ اعتراضِ حفصةَ على رجوعِه في قَسمه، بقوله: إِنَّ اللهَ أَوحى إِليه..»(١).

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٠٨ ـ ٢٠٩.

وقد سبقَ أنْ ناقَشْنا الفادي الجاهلَ في القصةِ التي أَوْرَدَها، وذكَرْنا أنها لم تَصِحّ، رغم وُرودِها في بعضِ الكتبِ الإسلامية، كالسيرةِ الحلبية.

والراجحُ أَنَّ الله عاتَبَ رسولَه ﷺ لأنه حَلَفَ اليمينَ على أَنْ لا يَشْرَبَ العَسَلَ. وخلاصَةُ الحادثةِ أنَّ رسولَ الله ﷺ شربَ عندَ امرأتهِ زينبَ بنتِ جحش رضي الله عنها عَسَلاً. ولما ذَهَبَ إلى حفصةَ رضي الله عنها أَخْبرتْه أَنَّ رائحةَ العسل الذي شربَه عند زينبَ كَريهة، فَحَلَفَ على أَنْ لا يشربَ ذلك العسلَ عند زينب، فأنزلَ اللهُ الآيةَ في عتابه على يَمينِه، ويَدْعوهُ إلى التكفيرِ عن يَمينِه. ومعنى قوله تعالى: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾: لِمَ تَمْتَنِعُ عن أَكْل ما أَباحَ اللهُ لكَ؟ فالتحريمُ هنا امتناعٌ عن فعل بعضِ المباح، وليس تحريماً شرعيّاً للحَلال.

وكَلامُ الفادي سَيِّئٌ مرذول، وذلك عندما وَصَفَ النبيَّ ﷺ وَصْفاً قبيحاً بقوله: «ولكنْ لما عاوَدَتْهُ الرغبةُ في ماريةَ حَنَثَ بالقَسَم، وأَقفلَ بابَ اعتراضِ حفصةَ على رجوعِه في قَسَمِه بقوله: إنَّ اللهَ أَوحى إليه..» وهذا الكلامُ لا يقولُه نبيٌّ رسول، إنما يقولُه رجلٌ كاذبٌ مفْترٍ، بلا دينٍ ولا أَدب!.

٢١٤

حول أبوي رسول الله ﷺ

تَدَخَّلَ الفادي المفتري في أَبَوَيْ رسولِ الله ﷺ، وعَلَّقَ على آيةٍ تَنْهى المؤمنين عن الاستغفارِ للمشركين ولو كانوا من أقاربِهم؛ وهي قول الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

وقال تحتَ عنوانٍ استفزازيٍّ مُثير هو: «أهله من أصحاب الجحيم»..

«قالَ البيضاويُّ: رُويَ أَنَّ النبيَّ قالَ لأَبي طالب لما حضرَتْه الوفاة: قُلْ كلمةً أُحاجّ لك بها عِندَ الله، فأَبى. فقال: لا أَزالُ أَستغفرُ لك ما لم أُنْهَ عنه. فنزلَتْ. وقيل: لما افتتحَ مكة خرجَ إلى الأبواء، فَزارَ قَبْرَ أُمِّه، ثم قامَ

مُسْتَعْبِراً، فقال: إني استأذنْتُ ربّي في زيارةِ قبرِ أُمّي فأذِنَ لي، واسْتَأْذَنْتُه في الاستغفارِ فلم يأذَنْ لي، وأنزلَ عَلَيَّ الآيتَيْن..»[1].

صحيحٌ أنَّ هذا الكلامَ في تفسيرِ البيضاوي، لكن ليس مُسَلَّماً، وليس كُلُّه صحيحاً. فهذه الآيةُ من سورةِ التوبة، وهي متأخرةٌ في النزول، حيثُ كان نزولُها في السنةِ التاسعةِ من الهجرة، وكانتْ وَفاةُ أَبي طالِب في السنةِ الثامنة من البعثة، قبلَ الهجرةِ بخمسِ سنوات؛ أَيْ أَنّ أَبا طالب تُوفيَ قبل نزولِ الآيةِ بأكثرَ من أَربعَ عشرةَ سنة! فكيف يكونُ نزولُها في وفاته؟!.

إنَّ الذي صَحَّ في أبي طالب هو نزولُ آيةٍ مكيةٍ فيه؛ روى البخاري ومسلم، عن سعيد بنِ المسيبِ عن أَبيه قال: لما حَضَرَتْ أَبا طالب الوفاة، جاءَه رسولُ اللهِ ﷺ، فوجَدَ عندَه أَبا جهل، وعَبدَ الله بن أَبي أُمية بن المغيرة. فقالَ له: أَيْ عَمّ! قُلْ: لا إِلٰه إلا الله، كلمةً أُحاجّ لك بها عندَ الله!. فقالَ له أَبو جهل وعبدُ الله بن أَبي أُمية: أَترغبُ عن مِلَّة عبدِ المطلب؟!. فلم يَزَلْ رسولُ الله ﷺ يَعرضُها عليه، ويُعيدانِه بتلك المقالة، حتى قالَ أَبو طالب آخرَ ما كَلَّمهم: على مِلَّةِ عبدِ المطلب. وأَبى أَنْ يقول: لا إِلٰه إِلّا الله. فأنزلَ اللهُ قولَه تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥].

أَمّا سببُ نُزولِ آيتي سورةِ التوبة (١١٣ ـ ١١٤) فقد رَواهُ النسائي والترمذي عن عَلِيّ بن أَبي طالب ﷺ، قال: سمعْتُ رَجُلاً يَستغفرُ لأَبَوَيْه وهما مشركان، فقلْتُ: تَستغفرُ لأبويْك وهما مُشْركان؟ فقال: أَليس قد استغفرَ إِبراهيمُ لأَبيه وهو مشرك؟ قال عليّ: فذكرتُ ذلك للنبيِّ ﷺ، فأنزلَ اللهُ قولَه تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٣ ـ ١١٤].

أَمّا أَبوا رسولِ اللهِ ﷺ فقد ماتا على غيرِ الإِسْلام، وصَحَّ أَنَّ

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٠٩.

رسولَ اللهِ ﷺ قال: استأذَنْتُ ربي أَنْ أَزورَ أُمّي فأَذِنَ لي، واستأذنْتُه في أَنْ أَستغفرَ لأُمّي فلم يأْذَنْ لي». ولكنَّ الآيَتَيْنِ (١١٣ ـ ١١٤) من سورةِ التوبة لم تَنْزِلا في أُمِّه ولا في أَبيه. ولم يَصِحَّ قولٌ نُسبَ للرسولِ ﷺ: لأَستغفرنَّ لأَبي، كما استغفرَ إِبراهيمُ لأَبيه، فأَنزلَ اللهُ عليه الآيَتَيْن يَنهاهُ عن ذلك!!.

ومن أَكاذيبِ المفتري وافتراءاتِه قولُه: «واتفقَ المفسِّرونَ على أَنَّ محمداً كان يَطلبُ المغفرةَ لأَبيه عبدِ الله، وأُمِّه آمنة، وعَمِّه أَبي طالب، وأَنَّ اللهَ نَهاهُ وَزَجَره عن ذلك زَجْراً أَبكاه، لأَنَّهم مُشركون، وقد صاروا من أَصحابِ النار.. وما أَبعدَ الفرقَ بينهم وبين العذراءِ مريم وابنِها!!»[1].

إِنَّ هذا كَذِبٌ مفضوح، فلم يَستغفرْ رسولُ اللهِ ﷺ لأَبيه، ولا لأُمِّه، ولا لَعَمِّه أَبي طالب، لأَنهم ماتوا على غيرِ الإِسلام، ورسولُ اللهِ ﷺ يَعلمُ أَنه لا يَجوزُ له أَنْ يَستغفرَ لكافر، ولو كان أَقربَ الناسِ إِليه.

وادَّعى الكاذبُ المفتري أَنَّ اللهَ نَهاهُ عن الاستغفارِ لأَبيه وأُمِّه وعمِّه، وزَجَرَه عن ذلك زجراً أَبكاه، وهذا ادِّعاءٌ كاذب، فلم يَنْهَهُ اللهُ عن ذلك ولم يَزْجُرْه؛ لأَنه ﷺ لم يَفعلْ ذلك أَصلاً.

والآيةُ نَفَتْ وُقوعَ هذا الاستغفار: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا أُوْلِي قُرْبَىٰ ...﴾.

٢١٥

الزعم بأن القرآن وحي من الشيطان

ذَكَرَ الفادي المجرمُ تحتَ عنوان: «وَحْيٌ من الشيطان» قولَ الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٠٩.

وعَلَّقَ على الآيةِ تَعْليقاً خَبيثاً، فقال: «قالَ المفَسِّرون: إنَّ محمداً لما كانَ في مجلسِ قريش أنزلَ اللهُ عليه سورةَ النجم، فقرأها، حتى بَلَغَ قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ فألْقى الشيطانُ على لسانِه ما كانَ يُحَدِّثُ به نفسَه ويَتَمَنّاه، وهو: «تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى»، فلما سمعَتْ قريشٌ فَرِحوا به، ومضى محمدٌ في قراءتِه، فقرأَ السورةَ كلَّها، وسجدَ في آخرِها، وسجدَ المسلمون بسجوده، كما سجدَ جميعُ المشركين، وقالوا: لقد ذَكَرَ محمدٌ آلهتَنا بأحسنِ الذكر، وقد عَرَفْنا أَنَّ اللهَ يُحيي ويُميت، ولكنَّ آلهَتنا تشفعُ لنا عندَه».

وبعدَما أوردَ هذه الروايةَ طَرَحَ سؤالَه وهُجومَه وبذاءَتَه، فقال: «ونحنُ نسأل: كيفَ يتنكَّرُ محمدٌ لوحدانيةِ الله، ويمدحُ آلهةَ قريش، ليتقَرَّبَ إليهم، ويفوزَ بالرياسةِ عليهم بالأَقوالِ الشيطانية؟ وما الفرقُ بين النبيِّ الكاذبِ والنبيِّ الصادق، إذا كانَ الشيطانُ يَنطقُ على لسانِ كليهما؟!»[(١)].

الخُرافَةُ التي ذَكرَها الفادي الجاهلُ معروفةٌ باسم «قصة الغرانيق». والغَرانيقُ جَمعُ «غُرْنوق»، وهو طَيْرُ الماء. وقد ذَكَرَ تلك الخرافةَ بعضُ كتبِ التاريخِ والتفسيرِ والحديث، وردَّدَها عنهم الذين لا يَتحرونَ الدقة والصحةَ فيما يَنْقُلون، وتلَقَّفَها الفادي الجاهل.

وخُلاصَةُ تلك الخرافةِ أَنَّ رسولَ الله ﷺ كان يَوْماً عند الكعبة، وحولَه بعضُ المسلمين والكافرين، فتَلا سورة النجم، وهم يَستَمعونَ إليه، حتى وَصَلَ إلى قولِه تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠] فَأَدخلَ الشيطانُ في قراءَتِه، وصارَ يتكلمُ بصوتِه، وأدرجَ فيه جملتَيْن، سَمعوها بصوتٍ هو صوتُ النبيِّ ﷺ، مع أنه صوتُ الشيطان، والجملتان هما: «تلكَ الغرانيقُ العُلى، وإِنَّ شفاعتَهنَّ لترتُجى» وواصَلَ الرسولُ ﷺ قراءَتَه، وسطَ ذُهولِ المسلِمين، وفرح المشركين، الذين قالوا: الْتَقى محمدٌ

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٠٩ - ٢١٠.

مَعَنا، ومَدَحَ آلهتَنا. . ومعلومٌ أَنَّ في آخرِ سورةِ النجمِ سَجْدَة، فلما فرغَ رسولُ اللهِ ﷺ من قراءَتِه سَجَدَ، وسَجَدَ معه المسلمونَ والمشركون. . ولما علمَ الرسولُ ﷺ بما أجرى الشيطانُ على لسانهِ حَزِنَ وتَألَّم، فأمره اللهُ بحذْفِ جملتَي الشيطانِ من سورةِ النجم: «تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى». وأنزلَ آيةً من سورة الحج تتحدَّثُ عن ذلك: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢].

وهذه الخرافةُ مكذوبة، لم تَرِدْ في روايةٍ صحيحة. وإنما هي من وضع الزنادقة، والكَذَّابين والوضّاعين، وقد رَدَّها المفسِّرون والمحدِّثونَ والمؤرِّخونَ، وأَلَّفَ بعضُهم كُتُباً في رَدِّها، منهم الشيخُ محمد ناصر الدين الألباني، في كتابه: «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق».

هذه الخرافةُ مردودةٌ عَقْلاً أيضاً، إذْ لا يُعقلُ أَنْ يَأذنَ اللهُ للشيطانِ أَن يتقمَّصَ صوتَ رسولِ اللهِ ﷺ، وأَنْ يُؤَلِّفَ كلاماً من عندِه يُدْخِلُه على القرآن، وهو يتعارضُ مع القرآن، فالقرآنُ يَذُمُّ اللاتَ والعُزّى، والشيطانُ يمدَحُهما، ويَجعلُ لهما شفاعةً عند الله! وأَينَ حِفْظُ القرآن؟ وأَينَ عِصمةُ اللهِ لنبيِّه ﷺ؟!.

أما الفادي المفتري الخبيثُ فقد طارَ فَرَحاً بالخرافة، وصَدَّقَها، واعتمدَها في التشكيكِ بالقرآنِ وإدانةِ الرسولِ ﷺ، وقال كلاماً فاجراً: «كيف يتنكَّرُ محمدٌ لوحدانيةِ الله، ويَمدحُ آلهةَ قُريش، ليتقربَ إليهم، ويَفوزَ بالرياسةِ عليهم بالأَقوالِ الشيطانية؟ وما الفرق بين النبيِّ الصادِقِ والنبيِّ الكاذبِ إذا كان الشيطانُ ينطقُ على لسانِ كِلَيْهما؟».

أَمّا آيةُ سورة الحج التي زَعَمَ الفادي أنها جاءَتْ لمسْحِ ما أَلْقاهُ الشيطانُ على القرآن، فإنها تتحدَّثُ عن أُمنياتِ الأنبياء إيمانَ أَقوامِهم، ومحاولاتِ الشيطان تَيْئيسَهم: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ . . .﴾.

يُخبرُ اللهُ رسولَه ﷺ أَنَّ كُلَّ رسولٍ ونبيٍّ قبلَه كان يتمنّى ويَرجو ويأْمَلُ أَنْ يؤمنَ به قومُه ويُصَدِّقوه، وكان يَبذلُ جهدَه في دعوتِهم، ولكنَّ الشيطانَ كان يُحاولُ تيئيسَه، ولذلك كان يُلقي في أُمنيتِهِ، ويُريه أَنها مستحيلة، وأَنَّ قومَه لن يؤمنوا به، فلا يُتْعِبُ نفسَه معهم.. وكان اللهُ يَتداركُ رسولَه برحمته، ويَمُنُّ عليه بالأَمَل، وبذلك كان يَنسخُ ما يلقي الشيطانُ من وساوس، ويُحكمُ آياتِه، ويُبقي الرسولَ على ثقتِه وأَملِه وجهودِه في الدعوة.. هذا هو الراجحُ في معنى الآية، والله أعلم.

٢١٦

هل مال الرسول ﷺ إلى المشركين؟

ادَّعى الفادي المفتري أَنَّ محمداً ﷺ مالَ إلى مهادنةِ المشركينَ وموالاتِهم ومَدحِ آلهتِهم، وذَكَرَ آياتٍ أساءَ فَهْمَها وتَفسيرها. ووضَعَ عنواناً مُثيراً: «كادوا يفتنونه»؛ قال فيه: «جاءَ في سورةِ الإسراء (٧٣): ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾، وجاء في السورةِ نفسِها (٣٩): ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾. وجاء في سورة الأحزاب (١ ـ ٢): ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ① وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ..﴾. وجاء في سورةِ الزمر: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]. وجاء في سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧].

ونحنُ نَسألُ: أَلا تدلُّ هذه الآياتُ على ميل محمدٍ للمشركين، وموالاتِه لمدْحِ آلهتِهم، ثم اعتذاره عن هذا بأَنَّ اللهَ نَهاهُ عن ذلك وزَجَرَه؟!..»(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢١٠.

لقد كان المشركونَ حريصين على فتنةِ رسول الله ﷺ، ليتنازَلَ عن الحَقِّ ويَسيرَ معهم. وعَرَضوا عليه عُروضاً مغرية. ومن أَعجبِ وأَطرف ما عرضوه أنهم قالُوا له: يا محمد أَنتَ على حَقّ، ونحنُ على حَقّ، فنعبُدُ نحن ربَّك يوماً، على أَنْ تعبدَ أَنتَ آلهتنا يوماً!.. فأنزلَ اللهُ عليه سورة الكافرون: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾.

واجَهَ الرسولُ ﷺ مساوماتِ وإِغراءاتِ المشركين بالرفضِ، والثباتِ على الحق، وقالَ قولته المشهورة: «واللهِ يا عَمِّ لو وَضَعوا الشمسَ في يميني والقمرَ في شِمالي، على أَنْ أَتركَ هذا الأَمْرَ ما تركتُه، حتى يُظهرَهُ الله، أَو أَهلكَ دونَه».

وقد فوضت قريشٌ أَحَدَ زعمائِها «الوليدَ بنَ المغيرة» ليُفاوضَ رسولَ اللهِ ﷺ، ويُعطِيَه ما شاءَ من الدُّنيا، على أَنْ يَتخَلّى عن رسالتِه ودعوتِه، فعرضَ عليه الوليدُ ما شاء من المالِ أَو الجاهِ والمركز، بأَنْ يكونَ زعيماً عليهم، أَو الزواج أَو العلاج، وهم مستعدّون أَنْ يُعطوهُ ما أَرادَ، مقابلَ أَنْ يَسكتَ وَيَتوقَّفَ عن ذَمِّ آلهتِهم.. فردَّ الرسولُ ﷺ على عروضِه بأَنْ تَلا عليه آياتٍ من سورةِ فصلت.. فقام الوليدُ يائساً..

وقد امتنَّ اللهُ على رسولِه ﷺ بأَنه هو الذي ثَبَّتَه على الحَق، وأَعانه على رفْضِ مساوماتِ المشركين. قال تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ۝٧٣ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ۝٧٤ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ۝٧٥ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٣ ـ ٧٦].

وأَمْرُ اللهِ رسولَه ﷺ بالتَّقْوى والثباتِ وتَبليغِ الدعوةِ لا يدلُّ على أَنَّهُ قَصَّرَ في ذلك، إنما هو لمزيد توكيد، ولاستمرارِ التذكيرِ بالحقيقة، والذكرى تنفعُ المؤمنين، والتأكيدُ على الحقيقةِ لرسوخِها واستقرارِها.

كما أَنَّ نَهْيَ الله رسولَه ﷺ عن الشركِ لا يَعْني أنه فَكَّرَ في أَنْ يُشركَ، ونهيَه له عن جعْلِه إِلٰهاً آخَرَ مع الله لا يَعْني أنه فَكَّرَ في ذلك. وكانَ ﷺ قبلَ البعثة يَكفرُ بالأصنامِ ولا يَعتبرُها آلهة، فهل يعتبرُها آلهة بعد النبوة؟!.

إن قولَه تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥] يدلُّ على أَنَّ اللهَ لا يَتسامَحُ في الشرك، ويُحبطُ عملَ المشركِ به، ويجعَلُه خاسِراً هالكاً، حتى لو كانَ هذا أَقْرَبَ الناسِ إليه، وأفضلَهم عنده، وهو رسولُه محمدٌ ﷺ.. فإذا كانَ اللهُ يُعَذِّبُ رسولَه وحبيبَه إذا أَشركَ ـ وهو لَنْ يُشركَ ـ فكيف بالآخرين الذينَ أَشركوا فِعْلاً، إنهم عرضَةٌ لعَذابِ اللهِ إنْ لم يَتَراجعوا عن ذلك، فالإِيمانُ باللهِ وتَوحيدُه وعِبادتُه وحده لا تَراجُعَ عنه، ولا مفاوضة عليه!!.

ولكنَّ الفادي الجاهلَ الكافرَ باللهِ لا يَعرفُ هذه الحقيقةَ القرآنية الإيمانية، ولذلك قالَ ما قالَ، واتهمَ رسولَ اللهِ ﷺ بما اتَّهَمَه به.

٢١٧

اتهام الرسول ﷺ بتزوج زوجة ابنه

كلامُ الفادي الفاجرُ المجرمُ في هذا المبحثِ من أَرْذَلِ وأَفْجَرِ وأَقبحِ ما سَجَّلَه في كتابِه القبيح، وقد جَعَلَ كَلامَه تحتَ عنوان: «يتزوَّجُ زوجةَ ابنِه!!». وعَلَّقَ على آيتَيْنِ من سورةِ الأحزاب، تتحدَّثانِ عن زواجِ رسولِ الله ﷺ، من زينبَ بنتِ جَحْش رضي الله عنها، وفيهما قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وقد سَبَقَ أَنْ ناقَشْنا المجرمَ البذيءَ في هذا الأَمْرِ، وبَيَّنّا مُلابسةَ زَواجِ رسولِ الله ﷺ من زينبَ بنتِ جحش رضي الله عنها، وقَدَّمْنا المعنى الصحيحَ لآياتِ سورةِ الأَحزابِ التي تحدَّثَتْ عن ذلك.

لكنّنا نسجلُ هنا كلامَ المجرمِ البذيء، ليعرفَ الإخوةُ القُرّاءُ إجرامَ المجرمِ وقلةَ أَدَبِه، وهو الذي يَظهَرُ بمظهرِ الموضوعيِّ المحايِد، والباحثِ المنصف.

قال ـ فَضَّ اللهُ فاه، وشَلَّ يَدَه ـ: «اتفقَ جميعُ المفَسِّرين على أَنَّ محمداً قال هذه العبارةَ في زينبَ بنتِ جحش. وكان قد زَوَّجَها لزيدِ بنِ حارثة، وهو ابنُه بالتَّبَنّي.. وفي ذاتِ يومٍ أتى محمدٌ زيداً لحاجَة، وأَبصرَ زينبَ في دِرْعٍ وخمار، وكانتْ بيضاءَ وجميلةً وذاتَ خُلُق، من أَتَمِّ نساءِ قريش، ولم يكنْ زيدٌ في البيت، فوقعَتْ في نفسِ محمد، وأَعجبَه حُسْنُها، فقال: سبحانَ اللهِ مُقَلِّبِ القُلوب.. فلما جاءَ زيدٌ، ذَكَرَتْ له ذلك، ففطِنَ للأَمْرِ، واحتاط لنفسِه من عواقِبه، وذهبَ لمحمد، وقال له: إنّي أَريدُ أَنْ أُطَلِّقَ صاحِبَتي! فقال محمد: ما لَكَ؟ أَرابَكَ منها شيء؟ قال: لا. ولكنْ لشَرَفِها تتعاظمُ عَلَيَّ.. فقال محمد: أَمْسِكْ عليكَ زوْجَك، واتَّقِ اللهَ في أَمْرِها. قالَ محمدٌ هذا خشيةً من الناس، لئلا يُعَيِّروهُ بأَخْذِ زوجةِ ابنِه، وأَخْفىٰ في نفسِه شهوتَه إليها!!.. ولكن الفضلَ لجبريلَ، الذي أَنزلَ عليه أَلّا يخشى الناسَ، ولْيجاهرْ برغبتِه في أَخْذِها من ابنه، وأَلا يكونَ لجميعِ المسلمين حَرَج إذا أَخذوا نساءَ أَدعيائِهم، بعدَ أَنْ يَقْضوا منهنَّ مُرادَهم.

فكيفَ ساغَ لمحمدٍ أَنْ يَمُدَّ عينَيْه، ويَشْتهي امرأةَ زيدٍ، أَقربِ الناسِ إليه؟ وكيفَ يَدَّعي في مجلسِ العربِ بغير ما في نفسِه، ويَسْتَعدي جبريل على زيدٍ ليحرمَهُ من زوجته، ليأْخُذَها لنفسِه، وَبَدَلَ أَنْ يَندمَ ويَستغفرَ، يُسَبِّحُ الله ويقول: سبحانَ الله، مُقَلِّبِ القلوب؟ وهل يَليقُ بجبريل الطاهرِ أَنْ يُوافِقَ هوى محمد، ويجعلَ هذا الاغتصابَ سُنَّةً، ويَرفعَ الحرجَ عن جميع المؤمنين، إذا ما أَتوا مثلَ هذه الفضائح؟!.. ولهذا المنطقِ الأَخلاقيِّ كانت زينبُ تَتَباهى على سائرِ نساءِ النبيِّ قائلة: إنَّ اللهَ تولّى إنكاحي، وأنتنَّ زوَّجكُنَّ أَولياؤكُنّ..»(١).

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢١٠ ـ ٢١١.

ولا نعلقُ على هذا الكلامِ الفاجرِ البذيء، ونُحيلُ على ما قُلْناهُ سابقاً في هذا الأمر! وقد بَيَّنَ كثيرٌ من العلماءِ حادثةَ زَواجِ الرسولِ ﷺ من زينبَ بنتِ جحشٍ ﵂، وتَحَدَّثْنا عنها بالتفصيلِ في كتابنا «عتاب الرسول ﷺ في القرآن: تحليل وتوجيه».

٢١٨

حول سحر رسول الله ﷺ

عَلَّقَ الفادي المجرمُ على حادثةِ سِحْرِ رسولِ الله ﷺ تحتَ عنوان: «النبيُّ المسحور» وأَخَذَ الحادثةَ من مصادرَ صحيحةٍ ومصادر باطلة، وخلط فيها الحقَّ بالباطل، ثم وظَّفَها دليلاً على جُنونِ الرسولِ ﷺ، وقارنَ بينَه وبين موسى وعيسى ﵉، اللَّذيْنِ غَلَبا السحرةَ والشياطين.

أوردَ سورةَ الفلقِ وسورةَ الناس ثم نَقَلَ كَلاماً للبيضاوي في تفسيرِ النفاثات في العُقَد.

وقال بعد ذلك: «جاءَ في كتابِ «السيرةِ النبوية الملكية»: «رُوِيَ أَنَّ لَبيداً بنَ الأَعْصَم اليهوديَّ سَحَرَ النبيَّ. فكانَ يُخَيَّلُ للنبيِّ أَنه يَفعلُ الشيءَ، وهو لا يَفعلُه، مما لا تَعَلُّقَ له بالوحي، كالأكْل والشربِ وإتيانِ النِّساءِ، ومَكَثَ في ذلك سَنَةً، أو ستة أَشهر، على ما قيل، حتى جاءَه جبريلُ، وأَخبرَه بذلك السِّحرِ ومكانِه، فأَرسلَ النبيُّ واستحضَره وفَكَّ عُقَدَه، فَفُكَّ عنه السحر».

وجاءَ في كتابِ العَقْد الفريد: «في مسندِ ابن أَبي شيبة: أَنَّ رَجُلاً من اليهودِ سَحَرَ النبيّ، فاشتكى لذلك أياماً، فأَتاهُ جبريلُ فقال له: إنَّ رجلاً من اليهودِ سَحَرَك، عَقَدَ لك عُقَداً، وجَعَلَها في مكانِ كذا وكذا، فأَرسلَ علياً فاستخرجَها وجاءَ بها، وجَعَلَ يَحُلُّها، فكلما حَلَّ عُقْدَةً، وَجَدَ رسولُ الله خِفَّة، ثم قامَ رسولُ الله، وكأنما نَشَطَ من عِقال».

قال البخاري: رَوَتْ عائشةُ قالت: كان رسولُ الله سُحِرَ، حَتَى كان يَرى أَنه يأْتي النساءَ وهو لا يأْتيهن.. فقالَ محمد: يا عائشةُ! أَعَلِمْتِ أَنَّ الله أَفتاني

فيما أنا اسْتَفْتَيْتُهُ فيه، أَتاني رَجُلان، فقعَدَ أَحَدُها عند رأْسي، والآخَرُ عند رِجْلَيَّ، فقالَ الذي عندَ رأْسي للآخَر: ما بالُ الرجل؟ قال: مَطْبوب. قال: وَمَنْ طبَّهُ؟ قال: لَبيدُ بنُ الأعصم، رجلٌ من بني زريق، حليفُ اليهود، كان منافقاً، قال: وَفيم؟ قال: في مُشْطٍ ومُشاطَةٍ. قال: وأَيْنَ؟ قال: في جُفِّ بئر ذِروان... قالت: فأَتى النبيُّ البئرَ فاستَخْرَجَها...»[١].

ما زَعَمَه الفادي المفتري من أَنَّ سِحْرَ رسولِ الله ﷺ استمرَّ ستةَ أَشهرٍ أَو سنةً غيرُ صحيح ، فلم يستمر ذلك إِلّا فترةً قصيرةً لم تَتَجاوزْ أَياماً قليلة.

والراجحُ أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ لم يُرسلْ عليَّ بنَ أَبي طالب رضي الله عنه إلى البئرِ التي فيها السحرُ، ولم يستخرجْه منها، وما نَقَلَه الفادي عن العقدِ الفريدِ مرجوحٌ مردود.

والصحيحُ في هذه الحادثةِ ما رواه البخاريُّ عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: «سُحِرَ النبيُّ ﷺ، حتى إنه ليُخَيَّلُ إِليه أَنه يفعلُ الشيءَ وما فَعَلَه... حتى إِذا كانَ ذاتَ يومٍ وهو عندي، دَعا اللهَ ودَعاه.. ثم قال: أَشعرتِ يا عائشةُ أَنَّ اللهَ قد أَفْتاني فيما اسْتَفْتَيْتُهُ فيه؟ قلتُ: وما ذاك يا رسولَ الله؟ قال: جاءَني رَجُلان، فجلسَ أَحَدُهما عند رأسي، والآخرُ عند رِجْلَيَّ، ثم قالَ أَحَدُهما للآخَر: ما وَجَعُ الرجل؟ قال: مَطْبوب، قال: ومَنْ طَبَّهُ؟ قال: لَبيدُ بنُ الأَعْصَم اليهوديُّ من بني زُريق. قال: في ماذا؟ قال: في مُشْطٍ ومشاطَة وجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَر. قال: فأَينَ هو؟ قال: في بئْرِ ذي أَروان.

قالَتْ: فذهبَ النبيُّ ﷺ في أُناسٍ من أَصحابِه إِلى البئر، فَنَظَرَ إِليها وعليها نَخْل.. ثم رجعَ إِلى عائشةَ، فقال: واللهِ لكَأَنَّ ماءَها نُقاعَةُ الحِنّاءِ، وكأَنَّ نخلَها رؤوسُ الشياطين.. قلتُ: يا رسولَ الله، أَفَأَخْرَجْتَه؟ قال: لا.. أَمّا أَنا فقد عافاني اللهُ وشَفاني، وخشيتُ أَنْ أُثَوِّرَ على الناس منه شَرّاً. وأَمَرَ بها فدُفنتْ»[٢].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢١١ ـ ٢١٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب السحر، حديث رقم (٥٧٦٦).

لقد شاءَ اللهُ أَنْ يُسحرَ رسولُه ﷺ، وذلك تأكيدٌ لبشريَّتِه وضعْفِه؛ لأَنَّ كُلَّ بشر مخلوقٌ ضَعيف، تؤثِّرُ فيه الأَسبابُ بأَمْر الله، والذي سَحَرَه هو اليهوديُّ «لَبيدُ بنُ الأَعْصَم»، حيثُ أَخذَ مِشْطاً كان يُمَشِّطُ فيه رسولُ اللهِ ﷺ شَعْرَهُ، وفيه «مشاطةٌ»، وهي بقيةُ الشَّعْرِ الذي عَلِقَ من رأْسِه بالمشط، وَرَبطَ المشط والمشاطةَ في «جُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَر»، وهو الغشاءُ الذي على طَلْعِ البَلَحِ عند بدايةِ خروجِه من كُمِّه على النخلة. وَوَضعَ المشْط والمشاطَةَ والجُفَّ الغشاءَ في قَعْرِ بئرِ ذي أَروان، والماءُ الذي فيها قليل.

وشاءَ اللهُ أَنْ يُؤَثِّرَ هذا السحرُ في الجانبِ المادِّيِّ من رسولِ الله ﷺ، أَيْ أَنَّه أَثَّرَ في جِسْمِهِ فقط، ولم يُؤَثِّرْ في عَقْلِه وإِدراكِه، كما أنه لم يُؤَثِّرْ في رسالتِه أَو الوحيِ الذي يَتَلَقّاهُ من الله، ولم يُؤَثِّرْ في عبادَتِه ودعوتِه وذِكْرِه لله.. أَقصى ما أَثَّر فيه السحرُ كما أَخْبَرَتْ عائشة رضي الله عنها أنه كانَ يُخَيَّلُ إليه أَنه فعل الشيءَ وما فعلَه، ولم يستمرَّ هذا فيه طويلاً، حيثُ كانَ ﷺ يلجأُ إلى الله، يَدْعوهُ ويتضرَّعُ إليه، كي يُذهبَ عنه ما أَثَّر فيه.. وفي أَحَدِ الأَيّام كانَ ﷺ عند عائشةَ رضي الله عنها، فدعا الله طويلاً، واستجابَ اللهُ دُعاءَه، وأَخبرَه عن حقيقةِ ما به، وأَخبرَ عائشة رضي الله عنها عن ما حَصَلَ له، وأَنَّ اللهَ قد أَفْتاهُ فيما اسْتَفْتاهُ فيه، حيثُ أَرسلَ إِليه ملكَيْنِ في صورةِ رجلَيْن. فجلسَ أَحَدُهما عند رأْسِه، وجلسَ الآخَرُ عند رجلَيْه، وجَرى بينهما حوارٌ على مسمَع منه ﷺ، وعَرَفَ منهما أَنَّ لَبيدَ بن الأَعصم اليهوديَّ سَحَرَه، وأَنه وَضَعَ السِّحْرَ في قعرِ بئرِ ذي أَروان. وعافاهُ الله، وأَذْهَبَ عنه ما أَثَّر فيه.

وذهبَ رسولُ الله ﷺ إلى البئر، وعادَ إلى عائشةَ رضي الله عنها وأَخْبَرَها عنها: ماؤُها قليلٌ أَحمرُ كأَنَّه حِنّاء، وعليها نَخْلٌ مثمرة، ثَمَرُها كأَنه رؤوسُ الشياطين. وأَمَرَ ﷺ بدفْنِ المادَّةِ التي سُحِرَ فيها، ولما اقترحَتْ عليه عائشةُ رضي الله عنها أَنْ يُخرِجَها، وأَنْ يَتنشَّرَ، أَيْ أَنْ يُعالجَ نفسَه بالرُّقْيَة، رَفَضَ ذلك، وقال: لقد عافاني اللهُ وشفاني فلن أَتَنشَّرَ، حتى لا أُثيرَ على الناسِ من ذلك السحرِ شَرّاً.

وبهذا انتهتْ هذا الحادثةُ العابِرة، التي مَرَّتْ برسولِ اللهِ ﷺ مُروراً

عابراً، ولم يتأَثَّرْ بها عَقْلُه أَو وَعْيُه أَو حِفْظُه وعبادَتُه، ولم تُؤَثِّرْ على نبوَّتِه ورسالته.

أَمّا الفادي المجرمُ فقد وَظَّفَ الحادثةَ لَيُحقق هَدَفَه بالإِساءَةِ إِلى رسولِ الله ﷺ، ونَفْيِ نُبُوَّتِه. وعَلَّقَ على الحادثةِ بقولِه: «ونحنُ نسأل: كيفَ يكونُ محمدٌ نبياً وقد خَضَعَ لسطوةِ الشيطان، فتارةً يُذْهِبُ عَقْلَه بالسِّحْر، وتارةً يُلقي على لسانِه آياتٍ شيطانية، كالتي قالَها في سورةِ النجم؟ لهذا اتَّهَمَه أَعداؤه بأَنه مجنون، فدفعَ عن نفسِه هذه التهمة، في آياتٍ كثيرة، كقوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ١ ـ ٢]. وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ۝٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [القلم: ٥١ ـ ٥٢].

فأَيْنَ هو من موسى الذي غَلَبَ السحر؟ وأَينَ هو من المسيحِ الذي أَخرجَ الشياطينَ وأَقامَ الموتى؟ وإِنْ كانَ في إِمكانِ جبريلَ فَكُّ سِحْرِه، وشِفاؤُه، فلماذا تَرَكَه، ولم يَأْتِه إِلّا بعدَ ستةِ أَشهر أَو سَنَة؟ وكيفَ يُؤتَمَنُ مِثْلُه على أَقوالِ الوحي؟ لذلكَ قال له إِلٰهه: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦]»[1].

اتهمَ الفادي المجرمُ الرسولَ ﷺ بالجُنون، ورَدَّدَ التهمةَ التي أَطلقها الكفارُ زمنَ رسولِ اللهِ ﷺ، وقد نَفَتْ آياتُ القرآنِ الصريحةُ هذه التهمة عن رسولِ اللهِ ﷺ، ولو كانَ ﷺ مَجْنوناً لما نجحَ في دعوتِه هذا النجاح، ولما تكلمَ بما تكلمَ به، ولما تعامَلَ مع أَصحابِه بأَعْلى درجاتِ العلمِ والحلم والحكمةِ وسَعَةِ الصَّدْر. ونُكررُ أَنَّ السحرَ لم يُؤَثِّرْ في عَقلِه ﷺ ووعيه!.

ومقارنةُ الفادي المجرم بين رسول الله ﷺ وبينَ أَخَوَيْهِ موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام لا دَاعيَ لها، لأَنَّ كُلّاً منهم رسولٌ كريمٌ أَيَّدَهُ اللهُ بالمعجزات، وقد شاءَ اللهُ أَنْ يُؤَثِّرَ السحرُ قليلاً في الجانب البشريِّ من رسولِ اللهِ ﷺ، تأكيداً على بشريته.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢١٢ ـ ٢١٣.

والسؤالُ الذي طَرَحه المجرمُ خبيثٌ مثلُ صاحبه: «وكيف يُؤْتَمَنُ مِثْلُه على أَقوالِ الوحي؟» لأنَّ اللهَ ائتمنَه على الوحي، وَوَعَدهُ أَنْ لا يَنسى من القرآن حرفاً واحداً، وقال له: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ [الأعلى: ٦ ـ ٧].

٢١٩

حول تقبيل الرسول للحجر الأسود

تَوَقَّفَ الفادي المجرمُ أَمامَ تقبيلِ الرسولِ ﷺ للحجرِ الأَسود، وأَساءَ فهمَ الحادثةِ وتفسيرَها، كعادَتِه، وجعلَ حديثَه عنها فرصةً لاتِّهامِ الرسولِ ﷺ في عقيدتِه وإِيمانِه وإِخلاصِه وتوحيدِه.

قَالَ فَضَّ اللهُ فاه: «جاءَ في سورةِ الأحزاب (٢١): ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، وقالَ عمرُ بنُ الخطابِ عن الحجرِ الأَسود: أَما واللهِ لقد علمْتُ أَنكَ حَجَرٌ، لا تَضُرُّ ولا تَنْفَع، ولولا أَني رأيتُ رسولَ اللهِ قَبَّلَكَ ما قَبَّلْتُك.

ونحنُ نسأل: لماذا جَعَلَ محمدٌ تقبيل الحجرِ الأَسودِ من شعائرِ الحَجِّ كالوثنيين؟ وهل هذه هي الأُسوةُ الحسنة؟ ولماذا يُجاري ويُداري عربَ الجاهلية، فيشركُ في إكرامِ اللهِ إكرام الأَحجار؟»[1].

يرفضُ المجرمُ اعتبارَ رسولِ اللهِ ﷺ قدوةً حسنةً للمسلمين من بعدِه، لماذا؟ لأَنه قَبَّلَ الحجرَ الأَسودَ، وجعلَ تقبيلَه من شعائرِ الحَجّ!! وماذا في تقبيلِه له؟ إنه بهذا يُداري ويُجاري الوثنيّين، ويَفعلُ مثلَ فِعْلِهم. وهذا إِكرامٌ منه للحجر، وهذا إِشراكٌ منه بالله ﷻ!! فالرسولُ ﷺ مشركٌ بالله بمجردِ تَقبيلهِ الحجرَ الأَسود!! هكذا يكونُ البحث، وهكذا يكونُ التحليلُ والتعليلُ والاستنباطُ والاستدلال؟!.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢١٣.

ومن المعلومِ عندنا أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لم يُشَرِّعْ من عندِه، وإنما كان يُبَلِّغُ المسلمين حكمَ اللهِ وشَرْعَه، فاللهُ سبحانه هو الذي شَرَعَ مناسكَ الحج، من إحرامٍ وطوافٍ وسعيٍ ورميٍ للجمار وغير ذلك، واللهُ هو الذي شَرَعَ للرسولِ ﷺ والمسلمين استلامَ الحجرِ الأَسودِ عند الطوافِ وتقبيلِهِ، كما أَمرهم باستقبالِ الكعبةِ في الصلاة، وعندما كان ﷺ يُقَبِّلُ الحجرَ الأَسودَ كان يُطَبِّقُ أَمْرَ الله، ويُنَفِّذُ شَرعَ الله، وهو بهذا عابدٌ لله وليس مشركاً به!.

وكم كانَ عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه واعياً حكيماً فَطِناً، عندما قَرَّرَ أَنه يُقَبِّلُ الحجرَ الأَسود؛ لأَنه يقتدي في ذلك برسولِ اللهِ ﷺ، وهو يوقنُ أَنه مجردُ حجرٍ، لا يَضُرُّ ولا يَنْفَع.

٢٢٠

التشكيك في عفة عائشة رضي الله عنها

شَكَّكَ الفادي المجرمُ في عِفَّةِ عائشةَ رضي الله عنه، وكَرَّرَ ما قالَه المنافقون الكافرون في اتِّهامها. وكانتْ وقفتُه الفاجرةُ الخبيثةُ أَمامَ قولِ اللهِ عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١].

ذَكَرَ خُلاصَةَ الحادثة كما وَرَدَتْ في تفسير البيضاويِّ: من أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ خرجَ في غزوةٍ من غزواتِه، واستصحبَ معه عائشة رضي الله عنها، ولما عاد من الغزوة إِلى المدينة، نَزَلَ بالجيشِ ليلاً ليستريحوا، ثم نادى بالرَّحيل، وكانتْ عائشةُ قد مَشَتْ قليلاً لتقضيَ حاجتَها، ولما عادَتْ إِلى الرَّحْلِ عرفَتْ أَنها أَضاعَتْ عُقْدَها الذي في عنقِها، فعادَتْ لتبحث عنه، وظنَّ المكلَّفُ بترحيلها أَنها داخلَ الهودج، فأَقامَ الناقة وسارَ بها مع الجيش، وهو يوقنُ أَنَّ عائشةَ في الهودَج، ولما عادَتْ إِلى المكانِ في الليل وَجَدَت الجيش قد تحركَ فجلَستْ على الأَرض مكانها.. وكان رسولُ اللهِ ﷺ قد كَلَّفَ صفوانَ بنَ

المعَطِّلِ السلميَّ ﷺ أنْ يَسيرَ خَلْفَ الجيش، ليلتقطَ ما يسقطُ منه.. ولما وصلَ صفوانُ إلى المكانِ رأى عائشة، فأَناخ راحلَتَه، فركبَتْها وساقَها حتى وَصَلَ الجيش.. ولما رآهُ المنافقون أشاعوا حادثةَ الإفك، واتَّهموها في عِفَّتها وطهارتِها.. واستمرَّ الحديثُ حولَ الشائعةِ حوالي خمسين يوماً، وأَنزلَ اللهُ بعدَ ذلك شهادةً ببراءةِ عائشةَ ﵂، وأَقامَ الرسولُ ﷺ حَدَّ القَذْفِ على الذينَ رَدَّدوا الإِشاعة، واتهموها في عِرْضها...

وأَطلقَ الفادي المجرمُ سِهامَه الخبيثة المسمومة، وقَذَفَ عائشةَ ﵂ في عِفَّتِها. قال: «ونحنُ نسأل: هل كان زواجُ محمدٍ بعائشة بركةً له أم لعنةً عليه؟.. قالَ ابنُ هشام: إن محمداً تزوجَ ثلاثَ عشرة امرأة، منهنَّ عائشةُ، التي كانَتْ بِنْتَ سِتٍّ لَمّا عَقَدَ عليها، وبِنْتَ تِسعٍ لَمَّا بَنى بها.. فلماذا يتزوجُ محمدٌ وهو شيخٌ بطفلةٍ في التاسعة؟ وإنْ كانَتْ هذه عادةُ عربِ زمانِه، فلماذا لم يُصْلِحْ نَبِيُّ العَرَبِ عادة أَهْلِ زمانه، بَدَلَ أَنْ يُمارِسَها معهم؟ ولماذا كان محمدٌ يصطحِبُها معه في غَدْواتِه ورَوْحاته، حتى في الحروب، فتصبحَ سيرتُه وسيرتُها مضغةً في الأفواه، كما حَدَثَ مع صفوانَ بن المعَطَّل في غزوةِ بني المُصطَلِق؟. ولقد كانَ عليُّ بنُ أَبي طالب حكيماً، وهو يُقدِّمُ النصحَ لابنِ عَمِّه وَحَمِيِّه، ويقولُ له: لم يُضَيِّق اللهُ عليك، والنساءُ سواها كثير.. ولكنَّ علياً لم يكنْ يعلمُ مكانةَ عائشةَ في قلبِ محمد، وقد كانَ يقولُ عنها: إنها بينَ نسائِه كالثريد بينَ الطعام.

فذهبَ محمدٌ إليها، وقالَ لها: «بَلَغني عنك ما بَلَغني، فإِنْ كنت بريئةً فيبرِّئُكِ اللهُ، وإنْ كنتِ أَلممْتِ بذنْبٍ فاستغْفِري اللهَ وتوبي إليه، فإِنَّ العبدَ إذا اعترفَ بذنْبه ثم تابَ تابَ اللهُ عليه». وسرعانَ ما جاءَ جبريلُ بوحيٍ يُبَرِّئُ عائشة، ويَلْعَنُ الذين اتَّهموها، وشَغَلَتْ شهادَةُ جبريلَ ولعناتُه ثماني عشرةَ آية من سورة النور. قالَ ابنُ عباس ـ كما ذَكَر البيضاوي ـ: «لو فَتَّشْتَ وعيداتِ القرآن لم تَجِدْ أَغلظَ مما نَزَلَ في إِفْكِ عائشةَ ﵂».

أَلا يرى العاقلُ أَنَّ محمداً شَحَنَ قرآنَه بشؤونه الخاصةِ وشؤونِ نسائِه؟ وإذا كانتْ عائشةُ بريئةً، فلماذا لم يُبَرِّئْها في الحال؟.. ولماذا لَبِثَ الوحيُ مدةً

طويلة، تاركاً إياها في بيت أبيها، ومحمدٌ مرتابٌ في عِفّتها؟..»[1].

كلامُ الفادي المجرم وقحٌ قبيح، وكلُّه اتهامٌ للرسولِ ﷺ ولعائشةَ ﵂.

إنه يَعتبرُ زواجَه بعائشةَ لعنةً عليه، وأنه خسر كثيراً بسببه، علماً أَنَّ حياةَ الرسولِ ﷺ مع عائشةَ كانَتْ سعيدةً هانئة، وكانتْ عائشةُ مباركةً ﵂.

وأثارَ المجرمُ إشْكالاً حولَ عُمْرِ عائشة عندما تزوَّجَها ﷺ، صَحيحٌ أنه خَطَبَها وهي بنتُ سِتٍّ سنوات، ودخلَ بها وهي بنتُ تِسْعِ سنوات، ولا غَرابَةَ في هذا الزواج، فقد كانَتْ كاملةَ الأُنوثةِ وهي في هذا السِّنِّ، ومعلومٌ أَنَّ البَناتِ في المناطقِ الحارَّةِ تكبرُ أَجسامُهُنَّ بِسُرْعة.

أَما اصطحابُ الرسولِ ﷺ لعائشةَ في غَزواتِه وسَفراتِه فقد كانَ يَخرجُ بها عندما يأْتي دورها، حيثُ كانَ يَعدِلُ بين زوجاتِه، ويخرجُ بمن هي على الدَّور!.

والفادي مجرمٌ وقحٌ عندما قال عن الحادثة: «فتصبحُ سيرتُه وسيرتُها مضغةً في الأَفواه». ولقد كانتْ سيرةُ رسولِ اللهِ ﷺ وسيرةُ عائشة أُمِّ المؤمنين ﵂، عنوانَ العِفَّةِ والطهرِ والفَضيلة، ولم يكنْ في حياتِه أَو حياتها ما يُريب، والذينَ تَحَدَّثوا عن عائشةَ واتهموها في عِفَّتِها هم المنافقون، ومَنْ تَأَثَّر بهم من مرضى القُلوب، أما المسلمونَ الصادقون فقد كَذَّبوا حديثَ الإِفك وقالوا: سبحانَك اللهم هذا بهتانٌ عظيم.

واستغربَ الفادي الجاهلُ حديثَ سورةِ النورِ عن حديثِ الإِفكِ، في ثماني عشرةَ آية، وهذا دَليلُ جَهْلِه، فالقرآنُ كان يُرَبّي المسلمينَ بالأَحداث، ويَجعلُها مناسبةً لعَرْضِ وتقريرِ حقائقِه، وقد كانت الدروسُ والعِبَرُ والتوجيهاتُ من حادثةِ الإِفْكِ كثيرة، ولذلك تَحدَّثَ عنها القرآنُ في ثماني عشرة آية.

وكان الفادي وَقحاً مُجْرِماً عندما قال: «أَلا يرى العاقِلُ أَنَّ محمداً شَحَنَ قرآنَه بشؤونِه الخاصةِ وشؤونِ نسائه؟».

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢١٣ ـ ٢١٤.

إنه يؤكِّدُ أَنَّ القرآنَ كلامُ النبيِّ ﷺ وليس كلامَ الله، وأنه كان يَضَعُ فيه ما شاء من الآياتِ التي أَلَّفها... وهو يرى أَنَّ القرآنَ مليءٌ بأخبار الرسولِ ﷺ الشخصية! وهذا دَليلُ جْهلِهِ وغبائه.

إنَّ اللافتَ للنظر أَنَّ حديث القرآنِ عن أَخبارِ الرسولِ ﷺ الشخصية قليل، وهذا دليلٌ على أَنَّ القرآنَ كَلامُ الله، ولو كانَ القرآنُ من تأليفِ رسولِ الله ﷺ لملأَهُ بالحديث عن شؤونهِ وسيرتهِ وحياتِه، وعن رحلاتِه وأَسفارِه، وعن مشاعرِه وهمومِهِ، وأحزانِه وأفراحه.. كما يفعلُ المؤلِّفون عندما يكتبُ أَحدهم سيرتَه الذاتية.

لم يعرض القرآنُ من أخبارِ الرسولِ ﷺ إلا ما جعلَه فرصةً لتقرير الدروس.

ويَتساءلُ الفادي بخبث: لماذا لم يُبرئ الوحيُ عائشة في الحال؟.. إنَّ تَأَخُّرَ الوحي في إعلان براءةِ وعِفَّةِ عائشة ﵂ دليلٌ آخَرُ على أنه كلامُ الله، فقد كانَ الموضوعُ خطيراً جدّاً، ويتعلَّقُ ببيتِ رسولِ اللهِ ﷺ وشرفِه وعِفَّة وعرضِ امرأتِه، ولو كانَ القرآنُ من تأليفِ النبيِّ ﷺ لسارعَ بإعلانِ براءَتِها، وادَّعى إنزالَ الآياتِ عليه!! لكنَّ الرسولَ ﷺ بقيَ ينتظرُ الوحيَ أياماً عديدة، وهو لا يَعلمُ الغيب، والقضيةُ حساسةٌ تتفاعَلُ وتتحركُ وتنتشرُ بين الناس، والمسلمونَ ينتظرونَ البيانَ من الله، ويتأخَّر إنزالُ الآياتِ لحِكْمَة، ليوَظِّفَ هذا دليلاً على أَنَّ القرآنَ من عندِ الله!!.

٢٢١

حول قتلِ الرسولِ ﷺ خصومَه

أَثارَ الفادي المجرمُ الاعتراضاتِ والإشكالاتِ على موقفِ رسولِ الله ﷺ من خصومهِ الكافرينَ المعادين، حيثُ أَمَرَ بقتل بعضِهم.

وبدأ هذا المبحثَ بالحديثِ عن سَرِيَّةِ عبد اللهِ بنِ جحشٍ ﵁، التي

كانت قُبيلَ غزوةِ بَدْر، والتي أَدَّتْ إلى قَتْل رجلٍ مشركٍ خطأً، في أَولِ يومٍ من أيامِ شهرِ رجبَ الحرام. وقد سبقَ أن اعترضَ الفادي المفتري على هذه الحادثة، ورَدَدْنا على مغالطاتِه، وبَيَّنّا حقيقةَ أَحداثِ تلك السَّريَّة، ومعنى الآية (٢١٧) من سورة البقرة التي أُنزلَتْ بشأنِ تلك الأَحداث، وللرَّد على شبهاتِ الكافرين. فلا داعيَ لإِعادَةِ كلامِه عن الحادثة، وإِعادَةِ توضيحِنا لمجريات الحادثة.

والذي نُشيرُ إِليه هنا هو عباراتُ المجرمِ الاستفزازيةُ، التي يُهاجمُ فيها رسولَ الله ﷺ، ويَصِفُه بأَقبحِ الصفات. من ذلك قولُه في بدايةِ حديثِهِ عن أَحداثِ السَّرِيَّة: «حَرَّمَت الجاهليةُ القِتَال في الأَشهرِ الحُرُمِ كما حَرَّمَه القرآنُ في سورة محمد، الآية (٤). ولكنَّ محمداً خالَفَ كُلَّ هذا في سبيلِ الغَدْرِ بأَعدائه»[١].

المجرمُ يتهمُ الرسولَ ﷺ بالغَدْرِ، مع أَنَّ الغَدْرَ خُلُقٌ ذَميمٌ وفعْلٌ قَبيح، يُنَزَّهُ عنه المسلمُ العادي، فكيفَ برسولِ اللهِ ﷺ؟!.

وقد شهدَ للرسولِ ﷺ بعدمِ الغدرِ عَدُوُّه اللَّدودُ أَبو سفيان، ففي السنةِ السابعةِ من الهجرة الْتقى أَبو سفيان بملكِ الروم هرقل، فسأَلَه عن الرسولِ ﷺ: هل يَغْدِر؟ فقالَ أَبو سفيان: لا. فقالَ هِرَقْل: وكذلك الرسلُ لا يَغْدِرون.. ويأتي هذا المجرمُ ليتهمَ رسولَ الله ﷺ بالغَدْرِ!.

ويَجمعُ الفادي بينَ الإِجرامِ والجَهْل، ومِن جهلِه زَعْمُه أَنَّ الآية الرابعةَ من سورةِ محمد تُحرّمُ القتالَ في الشهرِ الحرام. فلْنقرأ الآيةَ ونَنظرْ مدى صحةِ كَلامِه. قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٤].

أَينَ الكلامُ عن حُرمةِ القتالِ في الأَشهرِ الحُرُمِ فِي الآية؟ وكيفَ اعتبرَها

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢١٥.

الفادي الجاهلُ دالَّةً على تحريمِ القتالِ في الأَشهرِ الحُرُم. إنَّ الآيةَ التي حَرَّمت القتالَ في الأشهرِ الحُرُمِ هي قولُه تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧]. وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦].

وحرمةُ القتالِ في الأَشهرِ الحُرُمِ مَشروطةٌ بالتزامِ الأَعداءِ بذلك، فإِنْ لم يَلْتزموا بهذه الحرمة، وقاتلوا المسلمينَ في شَهْرٍ حرام، رَدَّ المسلمونَ عليهم، وقاتَلوهم مَأْجورين، حتى في ذلك الشهر الحرام. قال تعالى: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤].

وقد خَتَمَ المجرمُ كلامَه على سريةِ عبدِ الله بن جحش المذكورةِ بسؤالٍ وقحٍ فاجرٍ طَرَحَه، حيثُ قال: «ونحنُ نسأل: كيفَ حَلَّلَ اللهُ القِتال، مع أَنَّ الوثنيّين كانوا يمنعونَه؟ كأَنَّ اللهَ أَشَدُّ عُنفاً من الوثنيّين؟»[1].

أيوصَفُ اللهُ بهذه الصفة؟ وهل يتكلمُ مُؤمنٌ باللهِ عن اللهِ بهذا الكلام؟ ونؤكِّدُ ما قُلْناه قبلَ قليلٍ، من أَنَّ اللهَ الذي حَرَّمَ على المسلمين بدءَ القتالِ في الشهرِ الحرام، أَجازَ لهم الرَّدَّ على عُدْوانِ المشركين عليهم وقتالهم.

ثم من الذي زَعَمَ أَنَّ عربَ الجاهليةِ الوثنيينَ كانوا مُلْتزمين بحرمةِ القتالِ في الأَشهرِ الحُرُم؟ لقد كانوا يتوقَّفونَ عن القتالِ فيها إِذا كانَتْ لهم مصلحةٌ في التوقُّف، فإِنْ كانَتْ لهم مصلحةٌ في القتالِ قاتلوا خُصومَهم في الشهرِ الحرام، وتعامَلوا معه على أساسِ «النَّسيء».

والنَّسيءُ بمعنى التَّأْخير، وذلك بأَنْ يَنْقُلوا حرمةَ هذا الشهرِ الحَرامِ إلى شهرٍ آخَرَ بَدَلَه، ويُقاتِلوا أَعداءَهم فيه. فقد تكونُ لهم مصلحةٌ في القتالِ في شهر رجب الحرام مثلاً، فيقولُ شيخُ القبيلة: نَنقلُ هذه السنة حرمةَ رجب إلى شعبان، فيكونُ رَجَب حَلالاً نُقاتلُ فيه، ويكونُ شَعبان حَراماً لا نُقاتِلُ فيه.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢١٦.

وقد ذمَّهم اللهُ على هذا التلاعبِ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ﴾ [التوبة: ٣٧].

وبعدما اتهمَ الفادي المجرمُ الرسولَ ﷺ بالغَدْرِ بخصومِه المخالفينَ له في الرأي، وقَتْلِهم عن طريقِ الغَدْرِ والاغتيال ـ وهو كاذبٌ في ما قال ـ ذَكَرَ بعضَ الأَمثلةِ على ذلك، وهي:

١ ـ مقتَلُ عصماءَ بنتِ مروان.

٢ ـ مقتَلُ أَبي عَفك اليهودي.

٣ ـ مقتَلُ كعبِ بنِ الأَشرفِ اليهودي.

٤ ـ مقتَلُ أَبي رافع بن عبد الله.

٥ ـ مقتَلُ سلامِ بنِ أَبي الحُقيْقِ اليهودي: والراجحُ أَنَّ سلاماً هذا هو أَبو رافعٍ نفسُه.

٦ ـ مقتَلُ أُمِّ قِرفة.

٧ ـ مقتَلُ ابنِ شيبينَة اليهودي.

٨ ـ مقَتلُ يهودِ بني قريظة.

وعَرَضَ هذه الأَمثلةَ بطريقتِه القائمةِ على الافتراءِ والكذبِ والتلاعبِ بالأَحداث، مع أَنه جاهلٌ لا يَعْرِفُ حقيقة ما حَدَث، ففي كلامِهِ أَخطاءٌ علميةٌ وتاريخية، بالإِضافةِ إِلى سوءِ أَدَبه وقُبْح عبارتِه في كلامِه عن رسولِ الله ﷺ(١).

ولا نتوقَّفُ مع تفاصِيلِ مقتلِ هؤلاءِ، ولا أَسبابِ قَتْلِهم؛ لأَنه لا صلةَ لذلك بموضوعِ الكتاب الذي خَصَّصَه الفادي لانتقادِ القرآنِ وبيانِ أَخطائِه، والكلامُ على مقتلِ هؤلاء من مَباحثِ السيرةِ النبوية.

نُسجلُ فقط عبارتَه الفاجرةَ القبيحةَ، التي خَتَمَ بها كلامَه على تلك

(١) انظر: هل القرآن معصوم؟، ص٢١٦ ـ ٢١٩.

الأَمثلةِ، لمعرفةِ وقَاحَتِهِ وإجرامِه. قالَ فَضَّ اللهُ فاه: «وما أَكثرَ القتالَ وحوادثَ الغَدْرِ والقتلِ المروِّعة، التي جَرَتْ في التاريخِ الإِسلامي، أُسوةً بمؤسِّسي دينهم، ويَكْفينا أَنْ نَذْكرَ قولَ عليٍّ بن أَبي طالب:

السَّيْفُ والخَنْجَرُ ريحانُنا أُفٍّ على النَّرْجُسِ والآسِ
شَرابُنا دَمُ أَعْدائِنا كَأْسُنا جُمْجُمَةُ الرّاسِ

والفادي مجرمٌ كاذبٌ في ما قال، وعليُّ بنُ أَبي طالب لم يَقُلْ ذلك الكلام، وسيرةُ الصليبيّينَ الإِجراميةُ هي المظهرُ العمليُّ لهذا الكلامِ الحاقد، فَهم الذي سَفَكوا دماءَ المسلمين، وشربوها في جَماجم رُؤوسهم. ويَكْفينا تَذَكُّرُ ما قالَه شاعرٌ مسلمٌ يَنتقدُ ما فعلَه الكفارُ الصليبيون ضدّ المسلِمين:

مَلَكْنا فكانَ العَدْلُ مِنّا سَجِيَّةً فَلَمّا مَلَكْتُمْ سالَ بِالدَّم أَبْطَحُ
ويَكفيكُم هذا التَّفاوُتُ بَيْنَنا فَكلُّ إناءٍ بِالذي فيه يَنْضَحُ

٢٢٢

موقف الرسول ﷺ من ابن أم مكتوم

عبدُ الله بنُ أُمِّ مكتومٍ رضي الله عنه رجلٌ من السابقينَ إلى الإِسلام، وكانَ أَعْمى، ووقعَتْ له حادثةٌ معَ رسولِ اللهِ ﷺ، وعاتَبَهُ اللهُ عليها في القرآن. ووقفَ الفادي المفتري أَمامَ الحادثة، وجعلَ هُجُومَهُ على النبيِّ ﷺ تحتَ عنوان: «يَحتقرُ الأَعْمى»!.

ذَكَرَ الآياتِ الأُولى من سورةِ عبس: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ [عبس: ١ ـ ١٠].

ثم بَثَّ سُمومَه قائِلاً: «رُوي أَنَّ ابنَ أُمِّ مكتوم أَتى محمداً، وهو يَتكلمُ مع عُظماءِ قريش، فقالَ له: أَقْرِئْني وعَلِّمْني مما عَلَّمَكَ اللهُ، فلم يلتفتْ محمدٌ إِليه،

وأَعرضَ عنه، وقالَ في نفسِه: يَقولُ هؤلاء الصَّناديدُ: إنما اتَّبَعَه الصِّبيانُ والعَبيدُ والسَّفَلَةُ، فعبسَ وَجْهُهُ وأَشاحَ عنه، وأَقبلَ على القومِ الذين كانَ يُكلِّمُهم.

ونحنُ نسأل: كيفَ يُراعي محمدٌ أَصحابَ الجاهِ، ويَرفضُ الفقيرَ والمسكين، ويُقَطِّبُ وَجْهَه للأَعمى؟ أَيْنَ هو من المسيح، الذي لما جاءَه الأَعمى أَحاطَه بعطْفِه ورعايتِه وأَعادَ له البَصر؟!»[1].

كَذَبَ المفتري في عَرْضِه للحادثة، وذلك في زَعْمِه أَنَّ محمداً ﷺ لَمّا أَعرضَ عن ابنِ أُمِّ مكتومٍ قالَ في نفسه: «يَقولُ هؤلاء الصَّناديدُ: إنما اتَّبَعَه الصبيانُ والعبيدُ والسَّفَلةُ»!. ولم يَذْكُرْ أَحَدٌ من العلماءِ المسلمين هذا، وإنما هو من وَضْعِ واختلاقِ الفادي المفْتَري.. إنه يَزْعُمُ أَنَّ محمداً ﷺ قالَ هذا القولَ في نفسه، ولم يُخبرْ بِه أَحداً، فإذا كانَ قالَه في نفسِه فكيفَ عرفَ الفادي به؟ وكيفَ وَصَلَ إليه، وبينَه وبينَ الرسولِ ﷺ خمسةَ عشرَ قَرْناً؟ وهو لم يَنطقْ به؟ سبحانك ربي هذا بهتانٌ عظيم.

وخلاصَةُ الحادثةِ: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان مُجتمعاً مع مجموعةٍ من زُعماءِ قريش، يَعرضُ عليهم الإِسلامَ، ويَطمعُ في إِسلامِهم، وفي هذه اللحظةِ دَخَلَ عليه عبدُ الله بنُ أُمِّ مكتوم رضي الله عنه، وبما أَنه أَعمى، فإِنه لم يَرَ الحالةَ التي عليها رسولُ الله ﷺ مع القوم، وخاطَبَ الرسولَ ﷺ قائلاً: يا رسولَ الله، عَلِّمْني مما عَلَّمَكَ الله! فكَرِهَ الرسولُ ﷺ قُدومَه وطَلَبَه، ولكنه لم يُكَلِّمْهُ ولم يَنْهَرْهُ ولم يَحْتَقِرْه، وعبسَ في وجهِه كارِهاً ذلك.. وفهمَ ابنُ أُمِّ مكتومٍ أَنه قَدِمَ في وقتٍ غير مناسب، فخرجَ من المكان، وتابَعَ الرسولُ ﷺ كلامه مع القومِ الذينَ لم يُسْلِموا.

وأَنزلَ اللهُ مطلعَ سورةِ عَبَس، يُعاتِبُ فيها رسولَهُ ﷺ، على عُبوسِه في وَجْهِ الأَعمى، ويُرشِدُه إِلى أَنه كان الأَولى به أَنْ يُقبلَ عليه ويُعَلِّمَه.. ولم يَحتقرْ رسولُ اللهِ ﷺ ابنَ أُمِّ مكتومٍ الأعمى كما ادَّعى الفادي المجرمُ، ولم يُخطِئْ في حَقِّه، فهو لم يَزِدْ على أَنْ عَبَسَ في وجهه، والرجلُ أَعمى لم يُشاهِدْ عُبوسَه، وفَهِمَ الحقيقةَ، وخَرَجَ غيرَ غاضبٍ ولا حزين.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢١٩.

ولكنَّ اللهَ عاتَبَ رسولَه ﷺ بشأنِه، وخَلَّدَ هذا العتابَ في القرآن، من بابِ توجيهِ رسولِ اللهِ ﷺ لما هو أَوْلى، فهو لم يُخْطِئْ مع ابنِ أُمِّ مَكْتوم، ولم يَنْهَرْهُ ولم يَشْتُمْه، وكان مَشغولاً بأَمْرٍ هامٍّ لمصلحةِ الإِسلام، وكان طامِعاً في إِسلامِ المجموعةِ ليُنقذَهم من النار، ولو كانَ أَحَدُنا مكانَه لفعلَ مثْلَ فِعْلِه، وما كان مخطئاً.. ولكنَّ اللهَ يريد لرسولِه ﷺ الأَكملَ والأَفضلَ والأَوْلى، ولذلك عاتَبَه هذا العتابَ، مُرْشداً له إِلى ما هو أَوْلى.

وكانَ الرسولُ ﷺ يُكرمُ عبدَ اللهِ بنَ أُمِّ مكتوم ﷺ، ويُرحبُ به كلَّما لَقِيَه، ويُداعبُه قائِلاً: «أَهْلاً بمنْ عاتَبَني فيه رَبّي!» وعندما كان يَخرجُ من المدينةِ لسفر أو غَزْوٍ، كان يُعَيِّنُ هذا الصحابيَّ والياً مكانَه على المدينة، وأميراً عليها، وتحتَ إِمرته كِبارُ الصحابة!.

وبهذا نعرفُ أَنَّ كَلامَ الفادي المجرمِ قبيحٌ مرْذُولٌ مثلُ صاحبه، وهو مردودٌ عليه، فليس في الأَمْرِ احتِقَارٌ لابنِ أُمِّ مكتوم، وليس فيه مراعاةٌ لأَصحابِ الجاهِ والمال من الكفار، وليسَ فيه تَخَلٍّ عن الفقراءِ والمساكين من المسلمين.. ورسولُنا محمدٌ ﷺ لم يُخالفْ طريقَ أَخيه عيسى ابنِ مريم عليه الصلاة والسلام في التواضعِ والاهتمام بالضعفاءِ والمساكين، وكان خَيْرَ مُنَفِّذٍ لقولِ الله ﷻ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

٢٢٣

لم يطرد الرسول ﷺ الفقراء والعبيد

اتَّهَمَ الفادي المجرمُ رسولَ اللهِ ﷺ بأَنه طَرَدَ الفقراءَ من أَتْباعِهِ من أَجْلِ كسبِ رضا الأَغنياءِ من الكفار!.

ذَكرَ تحتَ عنوان: «يَطْرُدُ الفقراء» قولَ اللهِ ﷻ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ

رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢].

وعَلَّقَ على الآيةِ قائلاً: «جاءَ الأَقرعُ بنُ حابس التميمي وعيينةُ بنُ حصن الفَزارِي، فوجَدوا محمداً قاعداً مع صُهيبٍ وبِلال وعمارٍ وخَبّاب، في نَفَرٍ من ضعفاءِ المسلمين، فلما رأوهم حولَه حَقَّروهم، فقالوا لمحمد: لو جلستَ في صَدْرِ المجلس، ونَفيتَ عَنّا هؤلاء وأرواحَ جِبابِهم ـ وكانتْ عليهم جِبابُ صوف، لها رائحةٌ كريهة ـ وأَخَذْنا عنك، ونحبُّ أَنْ تجعلَ لنا منك مجلساً، تعرفُ به العربُ فَضْلَنا، فإِنَّ وُفودَ العرب تأتيكَ، فنستحيي أَنْ ترانا مع هؤلاءِ العبيد، فإِذا نَحْنُ جِئْناكَ فأَقمهم عَنَّا، وإِذا نحنُ فَرَغْنا فأَقْعِدْهم حيثُ شئتَ.

فقالَ لهم: نَعَم أَفعل. قالوا: فاكتبْ لنا عليكَ بذلكَ كتاباً. فأَتى بالصحيفة، ودَعا عَلِيّاً ليكتبَ.. ولما راجَعَ نفسه، ورأى أَنها أُحبولة، قالَ: إِنَّ جبريلَ نهاه.

وقالَ ابنُ عباس: إِنّ ناساً من الفقراءِ كانوا مع النبيِّ، فقال ناسٌ من أَشرافِ الناس: نؤمنُ بك، وإِذا صَلَّيْنا فأَخِّرْ هؤلاء الناسَ الذين معك، فلْيُصَلّوا خَلْفَنا، فكادَ أَنْ يُجيبَ الطلب، ولما رأَى ما فيه من الظلمِ قال: إِنَّ اللهَ نَهاهُ عن ذلك»[1].

الروايةُ التي نقلَها الفادي عن بعضِ الكتبِ الإِسلاميةِ غيرُ صحيحة؛ لأَنَّ الآية (٥٢) هي من سورة الأَنعام، وسورةُ الأَنعام مكية، وكان نزولُها قبلَ الهجرةِ بحوالي خمس سنوات، وكان إِسلامُ الأقرع بنِ حابس وعيينةَ بن حصن في عامِ الوفود، في السنةِ التاسعةِ للهجرة. أَيْ أَنَّ نُزولَ الآيةِ كان قبلَ وُقوعِ الحادثة بحوالي أَربعَ عشرة سنة، فكيف تَنزلُ الآيةُ قبلَ وقوعِ السببِ بهذه السنواتِ الطويلة؟!.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٢٠.

إنَّ الفادي جاهلٌ غبيٌّ، لا يَعرِفُ معنى سببِ النزول، ولذلك وَقَعَ في هذا الخطأ! إنَّ التعريفَ المعتمدَ لسببِ النزولِ هو: ما نَزَلَتِ الآيةُ تُبَيِّنُ حُكْمَه عندَ نزولِها.

أَما آيةُ سورةِ الأَنعام المذكورةُ فإنها نزلَتْ لتثبيتِ رسولِ الله ﷺ على الحقّ، وللرّدِّ على طلبِ المشركينَ الغريب. وخَيْرُ مَنْ يُخبرُ عن سببِ نزولِها أَحَدُ الذين أُنزلَتْ فيهم، وهو سَعْدُ بنُ أَبي وقاص رضي الله عنه.

روى مسلمٌ عن سعدِ بن أَبي وقاص رضي الله عنه، قال: كُنّا مَعَ النبيِّ ﷺ ستة نفر. فقالَ المشركون للنبيِّ ﷺ: اطردْ هؤلاء، لا يَجْترِئونَ علينا! قال: وكنتُ أنا وابنُ مسعود، ورجلٌ من هُذَيْل، وبلالٌ، ورَجُلانِ لستُ أُسَمّيهما، فوقَعَ في نفسِ رسولِ اللهِ ﷺ ما شاءَ اللهُ أَنْ يَقَع، فأنزلَ اللهُ قولَه تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾.

تدلُّ الروايةُ على أَنَّ المشركينَ أَرادوا إبعادَ الفقراءِ والعبيدِ عن مجلسِ رسولِ اللهِ ﷺ، وطلبوا ذلك منه، لكنَّ الرسولَ ﷺ لم يَستجبْ لهم، ولم يَطردْ هؤلاءِ الفقراء، كما ادَّعى الفادي الكاذبُ المفتري.. وإنزالُ الآية المذكورةِ عليه، وأَمْرُهُ أَنْ يبقىٰ مع هؤلاء الفقراء، لا يدلُّ على أنه طَرَدَهم، أَو اتفقَ مع المشركين على طردِهم، أَو فكَّرَ في طَرْدِهم، والآيةُ توجيهٌ وتذكيرٌ للرسول ﷺ. وتلتقي عدةُ آياتٍ على تقريرِ وتأكيدِ وترسيخِ هذه الحقيقة، منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢].. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].. وقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الكهف: ٢٨].

٢٢٤

استعاذة الرسول ﷺ من الشيطان

جَعَلَ الفادي المجرمُ علاقةً للشيطان بالقرآن، وسَجَّلَ تحتَ عنوان: «علاقةُ الشيطانِ بالوحي» قول الله ﷻ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٠ ـ ٢٠٢].

ونَقَلَ خلاصةَ تفسير البيضاويِّ للآيات، الذي بَيَّنَ فيه مَعْنى النَّزغ. ومِن جَهْلِ المجرمِ وغَبائِه أنه لا يُحسنُ النقلَ عن البيضاويّ، فالنَّزْغُ في تفسيرِ البيضاوي هو الغرْزُ، بِالغَيْن، لكنَّ هذه الغينَ عند الجاهلِ صارَتْ فاءً، وصارَ الغرْزُ فَرْزاً، وبذلك تَغَيَّرَ المعنى.

والنَّزْغُ هو الوسوسة، وكأَنَّ وسوسةَ الشيطانِ التي يُغْري الناسَ بها على المعاصي غَرْزٌ وسَوْقٌ، كالرجلِ يَسوقُ دابّتَه ويَغْرِزُ عصاهُ فيها لتَسير.

ومِن جهْلِ الفادي المجرمِ وغبائِه ولؤمِه أنه وَظَّفَ الآيةَ لإدانةِ رسولِ الله ﷺ، وأَنَّ الشيطانَ يَنزغُه ويَنخسُه، ويَغرزُ فيه مغارِزَه، ويَسوقُهُ أَمامَه، وهو مستسلمٌ لنزغ وغرزِ وسَوْقِ الشيطان!!.

قال فَضَّ اللهُ فاه: «ونحنُ نسأل: إذا كانَ إبليسُ يَسوقُ محمداً وينخَسُه، فكيفَ يكونُ نبياً؟! ما أَعظمَ الفرقَ بينَه وبين المسيح، الذي لما جاءَه إبليسُ ـ على قولهم ـ ينخسُه، فَنَخَسَ في الحجاب، والذي قالَ عن نفسه: رئيسُ هذا العالِم يأتي، وليسَ له فيَّ شيءٌ»[١].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٢١.

إنَّ النزغَ هو الدخولُ للإفساد. يقال: نَزَغَ بينهم. أي: دَخَلَ بينَهم ليُفْسِدَ صِلاتِهم وعلاقاتِهم.

والشيطانُ حريصٌ على أَنْ يَنزغَ ويُفسدَ العلاقاتِ بين الناس، قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ [الإسراء: ٥٣].

وقد صَوَّرَ الفادي الملعونُ الشيطانَ مسيطراً على رسولِ الله ﷺ، ينزغُهُ ويَدفعُه أَمامَه، وهو مستسلمٌ له، وهذا معناهُ أَنَّه ليسَ نبيّاً! وأَنَّ ما عندَه من القرآنِ ليسَ من عندِ الله، وإنما من وحْيِ الشيطان ونزغاتِه ووساوسِه!!.

ومن المعلومِ بَداهَةً أَنه لا سُلطانَ للشيطانِ على رسولِ اللهِ ﷺ، ولا غيرِه من الأنبياء، فاللهُ عَصَمَهم وحَفِظَهم، وحَماهُم من الشيطانِ ونزغاتِه ووساوسِه.

الخطابُ في قولِه تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ﴾ للرسولِ ﷺ في ظاهره، ولكنَّه ليس المقصودَ منه؛ لأَنَّ اللهَ حماهُ منه، وإنما المقصودُ كلُّ مسلم من بعدِهِ، يُعَلِّمُه الله كيفيةَ التخلصِ من وساوسِ الشيطانِ ونزغاتِه، وذلك بأَنْ يستعيذَ باللهِ ويلجأَ إِليهِ. وكثيراً ما كانَ اللهُ في القرآنِ يُخاطبُ المسلمين من خلالِ خطابِ الرسولِ ﷺ، فكان يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾ والمقصودُ بذلك أُمَّتُه، يوجِّهُهم أَو يأْمُرُهم أَو يَنهاهم.

ومن خصوصياتِ رسولِ اللهِ ﷺ التي خَصَّهُ اللهُ بها، أَنَّ اللهَ جعلَ شيطانَه يُسلم. فقد روى البخاريُّ عن عائشةَ رضي الله عنها: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «كُلُّ إنسانٍ وَكَّلَ اللهُ به شيطاناً. قالت: حَتى أَنتَ يا رسولَ الله؟ قال: حتى أنا، ولكنَّ اللهَ أَعانَني عليه فأَسلمَ فلا يأْمُرُني إِلّا بخير»!.

شيطانُ الرسول ﷺ أسلم، وبذلك صارَ لا يأمره إِلّا بخَيْر، وذهبَتْ نَزغاتهُ ووساوسُه الشِّريرة.

وهذا كخصوصية عِيسى ابنِ مريم عليه السلام حيثُ حَماهُ الله من الشيطانِ عند ولادتِه، قالَ رسولُ الله ﷺ: «كُلُّ مولودٍ يولَدُ ينخَسُه الشيطانُ حينَ ولادتِه،

لذلك يستهلُّ صارخاً، إلّا عيسى ابن مريم، فإنه حينَ ذَهَبَ ينخَسُه نَخَسَ في الحِجاب». أي: لَمَّا نَخَسَه لم يُصِبْ بَدَنَه، وإنما وَقَعت النخسَةُ في ملابِسه..

وقد استجابَ اللهُ دُعاءَ أُمِّ مريم رضي الله عنها، عندما عَوَّذَتْها بالله. قال تعالى: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

ولا علاقةَ للشيطانِ بالقرآن، وقد كانَ القرآنُ صريحاً في نفي هذه العلاقةِ في آياتٍ كثيرة، منها قولُه تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥]. وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠ ـ ٢١٢].

٢٢٥

هل الرسول ﷺ مذنب؟

عِنوانُ الفادي الخبيثِ هو: «وِزْرٌ ينْقضُ الظَّهرَ». أيْ أَنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ له من الأوزارِ والذنوبِ ما أَتْعَبه وأَنقضَ ظَهْرَه.

وَقَفَ أمامَ قولِ اللهِ تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: ١ ـ ٣]. ونَقَلَ عن تفسيرِ البيضاويِّ كلاماً غيرَ دَقيقٍ وغيرَ مُسَلَّمٍ في تفسيرِ الآية، وخَرَجَ منه بأَنَّ للرسولِ وزراً وذَنْباً ومعصية، وَضَعَه عنه الله.

وهذا كلامٌ باطل، فالرسول ﷺ معصومٌ عن الذنوبِ والمعاصي. والوِزْرُ في الآيةِ ليس هو الذنْبَ، وإنما هو حملُ مهمةِ الدعوةِ وواجبِ الرسالة، والاهتمامُ بالناسِ ودعوتِهم وإرشادِهم، وهذه مهمةٌ ثقيلةٌ شاقَّة، وقد أَعانَ اللهُ رسولَه ﷺ على حَمْلِها، وخَفَّفَ عليه أداءَها، ولولا فَضْلُ اللهِ عليه لما تمكَّنَ من ذلك. فالوزْرُ هنا حِمْلٌ معنويٌّ نفسي، وليس حِمْلاً ماديّاً على الظهر، وهو وِزْرٌ إيجابيٌّ فيه تبليغٌ للدعوة، وليس وِزْراً سَلْبِيّاً فيه ذنبٌ ومخالفةٌ ومعصية.

ووقفَ أمامَ قولِ الله ﷻ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١ ـ ٢]، وقول الله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]. وقول الله ﷻ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [غافر: ٥٥].

وقد أخَذَ الفادي المجرمُ هذه الآياتِ على ظاهِرِها، وجَعَلَها إدانةً للنبيِّ ﷺ، وشاهِدَةً على أنه يُذنبُ ويُخطئُ ويَعصي.

وقالَ مُعَلِّقاً عليها: «ونحنُ نسألُ: هل يَصِحُّ الادِّعاءُ أنه شَفيعٌ وهو نفسُه مُذْنِب؟!»[1].

من المتفقِ عليه عند المسلمين أنَّ اللهَ عَصَمَ رُسُلَه وأنبياءَه من الوقوعِ في الذنوبِ والمعاصي، ولم يَجعلْ سُلْطاناً للشيطانِ على أَحَدٍ منهم، فلم يَصْدُرْ من أَحَدٍ منهم معصيةٌ أو ذَنْب. وعلى أساسِ هذه الحقيقةِ نفهمُ الآياتِ السابقة، التي يَدْعو اللهُ فيها رسولَه ﷺ إلى الاستغفارِ لذنبه.

ذَنْبُ الرسولِ ﷺ ليس ذَنْباً حقيقياً، قائماً على فعلِ المعصية، وإنما هو ذنبٌ معنويٌّ يَقومُ على نوعٍ من تَرْكِ الأَوْلى، والسهوِ والغفلةِ والنسيان، الذي لا يُؤَدّي إلى تَرْكِ واجبٍ أَو فعْلِ مُحَرَّم.

قد يفعلُ الرسولُ ﷺ خِلافَ الأَوْلى، فيعاتبُه الله، وقد يَمُرُّ بحالةٍ من السهوِ اليسير أو الغفلةِ البسيطة، فيتداركُه الله، وهذا نوعٌ من التقصير، يَستدعي أَنْ يستغفرَ اللهَ منه، ليبقى ﷺ في كاملِ تَأَلُّقِهِ وارتقائِه. وقديماً قيل: حَسناتُ الأَبرارِ سيئاتُ المقرَّبين.

إنَ استغفارَ الرسولِ ﷺ وتوبتَه نوعٌ من أَنواعِ ذكْرِه لله، وعلى هذا قوله ﷺ: «إنّه ليُغانُ على قلبي فأَتوبُ إلى الله وأَستغفرُه في اليومِ مئة مَرَّة». استغفارُه للهِ صورةٌ من صُوَرِ ذِكْرِه وشُكْرِه له.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٢٢.

وهذا معناهُ وجوبُ التفريقِ بين استغفارِنا واستغفارِ رسولِ اللهِ ﷺ، فاستغفارُنا بسببِ ذنوبِنا ومعاصينا الكثيرةِ المستمرة، وكلُّنا رجاءٌ في الله أَنْ يَغفرَها لنا.. أَمَّا استغفارُ رسولِنا ﷺ فإنه ذِكْرٌ منه لله، وقُرْبى يَتقربُ به إِليه.

وقد خَصَّ اللهُ حبيبَه محمداً ﷺ بمقامِ الشفاعةِ المحمود، حيثُ يَأْذَنُ له أَنْ يَشفعَ للناسِ يومَ القيامةِ الشفاعةَ العامَّةَ بفتح بابِ الحساب لهم، ثم يَأْذَنُ له أَنْ يَشفعَ لأُمَّتِه شفاعةً خاصةً بأَنْ يُدخِلَهم الجَنَّة، وشفاعتُه ﷺ ثابتةٌ في الأَحاديثِ الصحيحةِ المتفقِ عليها، وكُلُّ مسلمٍ يَطمعُ في أَنْ يَسعدَ بتلكَ الشفاعة.

أَمّا الفادي الكافرُ المجرمُ فإنه محرومٌ من الشفاعة، ولذلك يُنكرُها، ويشتمُ النبيَّ ﷺ.

٢٢٦

حول موقف عبد الله بن سعد بن أبي السرح

اتَّهمَ الفادي المجرمُ رسولَ اللهِ ﷺ بأَنَّه أَخذَ القرآنَ من الناسِ من حولِه، حيث كانَ يُسجلُ أَقوالَهم، ومنهم كاتبُ الوحي عبدُ الله بنُ أَبي السَّرْح.

ذكَرَ تحتَ عنوان: «يُدَوِّنُ أَقوالَ كَتَبَتِه» قولَ اللهِ ﷻ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣].

ونقَل عن تفسيرِ البيضاويِّ أَنَّ الآيةَ نازلةٌ في عبدِ اللهِ بن سعدِ بنِ أَبي السَّرْح، وأنه كان يكتبُ الوحْيَ لرسولِ الله ﷺ.

وأوردَ روايةً عن تفسيرِ البيضاويِّ أَنَّ عبدَ اللهِ بنَ سعدِ بنِ أَبي السَّرْح كان يكتبُ الوحْيَ لرسولِ الله ﷺ وأَنه استَدْعاهُ ليكتبَ الآياتِ الأُولى من سورةِ المؤمنون، وكانَ يُملي عليه ويَكتب، فأَملى عليه قولَه تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا

ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٤].

فقالَ ابنُ أَبي السَّرْحِ مُتعَجِّباً من تفاصيلِ خَلْقِ الإِنسان: «تبارك الله أحسن الخالقين». فقال له رسولُ الله ﷺ: اكْتُبْها فهكذا أُنزلَتْ. فشكَّ عبدُ الله بنُ أَبي السَّرْح، وقال: لئن كان محمدٌ صادقاً لقد أُوحيَ إِليَّ كما أُوحيَ إِليه، ولئن كانَ كاذباً لقد قُلْتُ كما قال.

ونقلَ الفادي أَنَّ عبدَ اللهِ بن سعدٍ كان يقولُ بعدما ارتَدَّ: كنتُ أَصْرِفُ محمداً حيثُ أُريد. كان يُملي عَلَيَّ: «عَلِيٌّ حكيم» فَأَكتبُ «عَزيزٌ حكيم». فيقولُ لي: اكتبْ كيفَ شِئْتَ، فكلٌّ سواء. قالَ الفادي المجرم: ولما فَضَحَ هذا الكاتِبُ محمداً، أوردَ في القرآنِ قولَه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾[1].

صحيحٌ أَنَّ عبدَ اللهِ بنَ أَبي السَّرْح ارتَدَّ عن الإِسلام، ولجأَ إِلى قريشٍ في مكة، لكنَّ الحادثَةَ التي أَوردَها الفادي غيرُ صحيحة، وإِنما هي باطلةٌ مردودة، فلم يَقُلْ: (تبارك الله أحسن الخالقين). ولَم يأْمُرْه الرسولُ ﷺ بكتابتِها بعدَ أَنْ نَطَقَ بها.

ولقد كانَ الفادي الغبيُّ جاهِلاً عندما اعتمدَ على روايةٍ باطلةٍ مَرْدودةٍ، وبَنى عليها عنوانَه: «يُدَوِّنُ أَقوالَ كَتَبَتِه».

ولم يَنزلْ قولُه تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ بشأن عبدِ اللهِ بنِ سعد، لأَنه لم يَدَّعِ النبوةَ ولا الإِتيانَ بمثْلِ القرآن، وكلُّ ما فعَلَ أَنه فُتِنَ فارتَدَّ عن الإِسلام، وعادَ إِلى الكفر، وهَرَبَ إِلى مَكَّة.

ولما فَتَحَ الرسولُ ﷺ مكة أَهْدَرَ دمَ مجموعةٍ من الأَعداءِ شديدي

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٢٢.

العداوة، الذين ارتكبوا جرائم يَستحقّونَ بها القَتْلَ، وأَمَرَ بقَتْلِهم، ومنهم عبدُ اللهِ بنُ سعد.

ونَقَلَ الفادي هذه الحادثةَ بقوله: «ولما كان يومُ الفتحِ أَمَرَ محمدٌ بقَتْلِ كاتبه، ففَرَّ إلى عثمانَ بنِ عفان؛ لأنه كانَ أخاه من الرَّضاعة، فغيَّبَه عثمانُ عنه، ثم جاءَ به عثمانُ بعدما اطْمَأَنَّ الناس، واستأْذَنَ له محمداً.. فصمَتَ محمدٌ طويلاً.. ثم قال: نَعَمْ.. فلما انصرفَ عثمانُ قالَ محمدٌ لمن حولَه: ماصَمَتُّ عنه إلّا لتَقْتُلوه..».

وعَلَّقَ الفادي المجرمُ الخبيثُ على ما رَواهُ بقولِه: «ونحنُ نَسأل: كيفَ يكونُ محمدٌ نبياً وهو يستحسنُ أَقوالَ كَتَبَتِهِ، ويأمرُ بتدوينِها على أَنَّها وحي؟! وكيفَ يكونُ محمدٌ نبياً وهو يُؤَمِّنُ عبدَ اللهِ بنَ سعدٍ على حياتِه ثم يُحَرِّضُ الناسَ على قَتْلِه؟!»[1].

والفادي مجرمٌ مُحَرِّفٌ، غيرُ أَمينٍ على ما يَنْقُلُهُ، يوردُ ما يتفقُ مع هَواه، ويَحذفُ ما لا يَتفقُ مع هواه.

وقد روى سعدُ بنُ أَبي وَقّاص رضي الله عنه الحادثة، فقال: «لما كانَ يومُ فتْحِ مكةَ أَمَّنَ رسولُ اللهِ ﷺ الناسَ إلّا أَربعةَ نَفَرٍ وامرأتين، وقال: اقْتُلوهم، وإنْ وجدتُموهم متعلِّقينَ بأَستارِ الكعبة: عكرمةُ بنُ أَبي جهل، وعبدُ الله بنُ خَطل، ومقيسُ بنُ صبابة، وعبدُ الله بن سعد بن أبي السرح.

... وأمّا عبدُ اللهِ بنُ سعد بن أَبي السَّرْحِ فإنه اختبأَ عند عثمانَ بن عفان، فلما دَعا رسولُ اللهِ ﷺ أَهْلَ مكةَ إلى البيعة، جاءَ بِه حتى أَوقفَه على النبيِّ ﷺ، فقال: بايعْ عبدَ الله.. فرفعَ إليه رأْسَه، فنظرَ إليه ثلاثاً، كلُّ ذلك يأْبى.. فبايَعَه بعدَ ثلاثٍ... ثم أَقبلَ على أصحابه، فقال: أَما كانَ فيكم رجلٌ رشيد، يَقومُ إلى هذا، حيثُ رآني كَفَفْتُ يدي عن بيعَتِه، فيقْتُلُه!.. فقالوا: وما يُدْرينا يا رسولَ الله ما في نفسِك، هلّا أَومأْتَ إِلَيْنا برأسِك. قال:

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٢٢ ـ ٢٢٣.

إنه لا يَنْبَغي لنبيٍّ أَنْ يكونَ له خائنةُ أَعين!!».. [أخرجه أبو داود والنسائي والبيهقي والحاكم والبزار وأبو يعلى].

عفا الرسولُ ﷺ عن أهل مكةَ الذين حارَبوه، ولم يأْمُرْ إلّا بقَتْلِ أَربعةِ رجالٍ وامرأتين، لارتكابهم جرائمَ توجبُ قَتْلَهم. ومنهم عبدُ الله بنُ سعدِ بنِ أَبي السَّرْح، والذي أوجبَ قتْلَه هو ارتدادُه، فقد كانَ مسلماً ثم كَفَر، وحُكْمُ المرتَدِّ في الإسلامِ هو القتلُ، لقولِه ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دينَه فاقْتُلوه». فالسببُ في إهدارِ دَمِه والأمْرِ بقَتْلِه ليس مجردَ مخالفتِه للنبيِّ ﷺ، كما زَعَمَ الفادي المفتري؛ لأَنَّ الرسولَ ﷺ عفا عن آلافِ الكُفّارِ الذين خالَفوهُ وحارَبوه.

وبسببِ الأُخُوَّةِ في الرَّضاعِ بينَ عبدِ الله بن سعد وبينَ عثمانَ رضي الله عنه، فقد رَقَّ له عثمانُ ولم يَقْتُلْه، وأَخفاهُ عن المسلمين. ثم أَتى به النبيَّ ﷺ، وطَلَبَ منه أَنْ يُبايعَه، وكَلَّمه في ذلك ثَلاث مَرّات، والرسولُ ﷺ ساكِت؛ لأَنه كارهٌ مبايعَتَه لارتدادِهِ. وكان ﷺ في سكوتِه يَنتظرُ قيامَ أَحَدِ الصَّحابَة بقَتْلِه، ولكنَّ ذلك لم يَحصل، فبايَعَه ﷺ على الإسلام! ثم لامَ الرسولُ ﷺ أصحابَه على عَدَمِ قَتْلِه، وأَخبرَهم أَنه بسكوتِه كان يُريدُ أَنْ يُعطيَهم الفرصةَ لقَتْلِه، لكن لم يَفْهَموا ذلك.. ولما أَخبروه أَنه كانَ يمكنُ أَنْ يومئَ لهم برأْسِه، بحركةٍ تَدُلُّ على رغبتِهِ في قَتْلِه، أَخبرهم أنه لا يمكنُ أَنْ يفْعل ذلك؛ لأَنه لا يكونُ للنبيِّ خائنةُ أَعين!!.

وقد حَسُنَ إسلامُ عبدِ اللهِ بنِ سعد بن أَبي السَّرحِ رضي الله عنه بعد ذلك، وكان والياً على مِصْرَ في خلافةِ عُثْمَانَ رضي الله عنه، وهو فاتحُ إفريقية، وخاضَ معاركَ عديدةً ظافرةً ضدَّ الكفارِ، في البَرِّ والبَحْر.

وهذا الموقفُ الأَخلاقيُّ العظيمُ لرسولِ الله ﷺ، حيثُ لم يَرْضَ بالإِشارةِ بحركةٍ غير مناسبة، واعتبرَها من خيانَةِ الأَعين، كانَتْ مثارَ انتقادِ واعتراضِ الفادي المجرم، واعتبرها تحريضاً منه على قَتْلِه: «وكيفَ يكونُ محمدٌ نبياً وهو يُؤَمِّنُ عبدَ الله بن سعد على حياتِه، ثم يُحرِّضُ الناسَ على قَتْلِه؟!».

ولو حَرَّضَ الناسَ على قَتْلِه لقَتلوه.. ولم يَفعْل شيئاً بعَدَ تأْمينه ومبايعتِه على الإِسلام، إِنما كان تَوقُّفُه وسكوتُه قبلَ مبايعتِه له.

فالفادي في كلامه يَكذبُ ويُغالط ويَفْتري ويُحَرِّفُ، وهذه طريقتُه في بحثِه...

٢٢٧

هل الرسول ﷺ بدون معجزات؟

زَعَمَ الفادي المفتري أَنَّ رسولَ ﷺ كان بدونِ معجزات، أَيْ أَنّه لم يُقَدِّمْ للناسِ أَيَّةَ آيةٍ أَو معجزة دالَّةٍ على نبوَّتِه. وهذا كذبٌ وافتراءٌ منه.

وزَعَمَ أَنه لما طلبَ خصومُه منه معجزةً، اعترفَ بعجْزِه التامِّ عن ذلك. قال: «حاوَلَ اليهودُ والعربُ مراراً أَنْ يَحْملوا محمداً على الإِتيانِ بمعجزةٍ، لتأْييدِ دَعْواه بالنبوة. فاعترفَ بعجْزِه التَّامِّ، وانتحلَ لذلك أَعذاراً»[١].

وهذا كَذِبٌ مَفْضوحٌ من الفادي المفتري، فلم يكن الرسولُ ﷺ بدونِ آياتٍ أَوْ معجزات. وقد آتاهُ اللهُ الكثيرَ من المعجزاتِ المادية، وفي مقدمةِ آياتِه ومعجزاتِه كان القرآن الكريم. وعلى هذا قولُه ﷺ: «ما من الأَنبياءِ من نبيٍّ إِلّا أُوتيَ من الآياتِ ما مِثْلُه آمَنَ عليه البَشَر، وإِنما كان الذي أوتيتُه وَحْياً أَوحاهُ اللهُ إِلَيَّ، وإِني لأَرجو أَنْ أَكونَ أَكثَرهم تابعاً يوم القيامة».

ولما كانَ الكافرونَ يَطلبونَ منه معجزاتٍ ماديَّة، ويَزْعُمُونَ أَنه هو الذي يَختارُ الآيات والمعجزاتِ من نفسِهِ، كان يُخبرُهم أَنه لا اختيارَ له للمعجزات؛ لأَنَّها عندَ الله، هو الذي يُنزلُ منها ما يشاء، وقَرَّرَتْ هذه الحقيقةَ آياتٌ كثيرةٌ؛ منها قولُه تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٢٣.

ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٠٩].. وقولُه تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَاۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَـٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

وليس هذا الموقفُ خاصّاً برسولِ اللهِ ﷺ، فكلُّ إخوانِه الأَنبياء هكذا، ومنهم موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام. فلما كانَ أَقوامُهم يَطلبونَ منهم الآيات، كانوا يُخبرونَهم أَنَّ الله هو الذي يَأْتيهم بها. قال تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَـٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ [إبراهيم: ١٠ ـ ١١].

أَمَرَ اللهُ رسولَه محمداً ﷺ أَنْ يقولَ للكفارِ الذين طَلَبوا منه معجزاتٍ: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾. وأَمَرَ اللهُ الرسلَ أَنْ يقولوا لأَقوامِهم: ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَـٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾. وبذلك يتكامَلُ القولان، ويكونُ محمدٌ ﷺ كإخوانِه الأَنبياء السابقين.

وعرضَ الفادي المجرمُ بعضَ آياتِ القرآن التي تُقررُ أَنَّ الآياتِ عندَ الله، وأَنَّ الله يُنزلُ منها ما يَشاء وفْقَ حكمتِه، ولا اختيارَ لرسولِ اللهِ ﷺ لها. وعَلَّقَ المجرمُ عليها تَعليقاً فاجراً، هاجمَ فيه رسولَ الله ﷺ.

وفيما يلي بعضُ تعليقاتِه على بعضِ الآياتِ التي أَوردَها:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَۚ﴾ [الإسراء: ٥٩].

نَقَلَ عن تفسيرِ البيضاويِّ قولَه: «﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ أيْ: ما صَرَفْنا عن إرسالِ المعجزاتِ التي اقترحَتْها قريش: ﴿إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَۚ﴾: إلّا تكذيبُ الأَوّلين، الذين هم أَمثالُهم في الطبع كعادٍ وثمود، وإنها لو أُرسلَتْ لكَذَّبوا بها كتكذيبِ أولئك».

ثم عَلَّقَ على ذلك بوقاحةٍ وبَذاءَةٍ فقال: «ونحنُ نَسأل: إنْ كانت الآياتُ بلا فائدةٍ مُطْلَقاً، عندَ الذين عُمِلَتْ معهم قديماً وحديثاً، فلماذا عَمِلَها الله؟ وما الذي يَمنعُ اللهَ عن عَمَلِها على يَدِ محمدٍ، كما عملَها على يَدِ جميعِ الأَنبياءِ الصادقين، كموسى وإيليا واليسع والمسيح؟ هذا عُذْرٌ أبداهُ محمدٌ للتملُّص فقط، وإذا كانت الآياتُ ممتنعةً لتكذيبِ الناسِ إياها، فلماذا لا يكونُ التبليغُ ممتنِعاً لتكذيبِ الناسِ إياهُ أَيْضاً؟»[1].

لم يَقُلْ أَحَدٌ: إنَّ الآياتِ بلا فائدة، وإنَّ اللهَ يَعلمُ أهميةَ الآياتِ للأَنبياء، ولذلك كان يُعطي كُلَّ نبيٍّ آياتٍ لِقَوْمِهِ، دالَّةٍ على صِدْقِ نبوَّتِه، وهذا ما صَرَّحَ به رسولُ ﷺ بقوله: «ما من الأنبياء من نبي إلا أوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر...».

وآيةُ سورةِ الإسراءِ لا تُلغي الآيات، ولا تَنفي فائدتَها مطلقاً، كما فهمَ الفادي الجاهلُ منها ذلك لجهْلِه وغَبائِه، إنما تَنفي استجابَةَ اللهِ لطلب المشركين إنزالَ الآيات، فلم يَستجب اللهُ لهم، ولم يُنزل الآياتِ التي طَلَبوها؛ لأَنه يَعلمُ أَنه لو أَنزلَها كما طلبوا فإنهم لن يُؤْمِنوا بها، وبعدَ ذلك سيعَذِّبُهم ويُهْلكُهم، ولذلك لم يَستجب اللهُ لهم رحمةً بهم، لئلا يُعَذِّبَهم.. وليس معنى هذا أَنَّ اللهَ لم يُنزل الآياتِ على النبيِّ ﷺ، ولا على غيرِه من الأَنبياء السابقين.

وهذا ما ذَكَرَهُ البيضاويُّ صَريحاً في تفسيرِ الآية: «وما صَرَفْنا عن إرسالِ المعجزاتِ التي اقترحَتْها قريش...» فهذا موضوعُ الآية، وهي لا تنفي إنزالَ المعجزات مطلقاً.

وعلى هذا قولُه تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٢٣.

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٠ ـ ٥١].

ولما نَقَلَ الفادي المفتري المجرمُ من تفسير البيضاوي، أَخَذَ بعضَه الذي يتفقُ مع هَواه، وتركَ بعضَه الضروريَّ لفهم الآية. قالَ في النقلِ عن البيضاوي: «﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾: مثلُ ناقةِ صالح، وعصا موسى، ومائدةِ عيسى. ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: يُنزلُها كما يَشاء، لستُ أملكُها، فآتيكم بما تَقْترحونه.. ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: ليس من شأني إلّا الإنذار».

وحَذَفَ الفادي المجرمُ من تفسيرِ البيضاويِّ الجملةَ الأخيرة، فكلامُ البيضاويِّ هكذا: «ليس من شأني إلّا الإنذار، وإبانَتُهُ بما أُعطيتُ من الآيات» فَحَذَفَ الجملةَ الأخيرةَ قاصداً، لأنها صريحةٌ في أنَّ الرسولَ ﷺ أُوتيَ ما أُوتيَ من الآيات، وهي لا تَخدمُ الفادي المجرم في اتِّهامِه النبيَّ ﷺ، ولذلك حَذَفَها! وعلى البحثِ والأمانةِ العلمية السَّلام!!.

وسَجَّلَ الفادي المجرمُ تَساؤُلَه الخبيث: «ونحنُ نسأل: إذا كانت الآياتُ عندَ الله، وكان لمحمد صلةٌ بالله كالأنبياءِ والرسل، فلماذا لم يَسمح اللهُ بتأييدِه بها؟»[1].

وجوابُ تساؤلِه موجودٌ في تفسيرِ البيضاوي، الذي نجزمُ أَنَّ المجرمَ قرأه، ولكنَّه تجاهلَه ولم ينقُلْهُ، لأنه يُصرحُ بأَنَّ اللهَ آتى نبيَّه ﷺ أعظمَ آية، هي القرآنُ الكريم.

قالَ البيضاويُّ في تفسير الآية الثانية: «﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ﴾؟: أَوَلَم يكْفِهم آيةٌ مغنيةٌ عما اقْترحوه، أنا أَنزلْنا عليك الكتاب، تَدومُ عليهم تلاوتهُ، ويَدومُ تحدِّيهم به، فلا يَزالُ معهم آيةٌ ثابتةٌ لا

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٢٤.

تَضمحلّ، بخلافِ سائرِ الآيات، فهذا الكتابُ آيةٌ مستمرة، وحُجَّةٌ مُبَيِّنة...»[1].

٣ ـ قولُه تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ [البقرة: ١٠٨].

اعتبرَ الفادي المفتري الآيةَ خِطاباً من اللهِ لليهودِ في المدينة، وأنها رَدٌّ على ما طَلَبه اليهودُ من رسولِ الله ﷺ. قال المفتري: «قالَ اليهودُ لمحمد: ائتنا بكتابٍ من السماءِ جُمْلَة، كما أَتى موسى بالتوراة، أَو فَجِّرْ لنا أنهاراً، نتبعْك ونُصدقْك، كما فَعَلَ موسى، فإنه ضَرَبَ الصخرةَ فانفجرت المياه. فقالَ لهم: أَم تريدونَ أَنْ تسألوا رسولَكم؟ وسألوه هذا السؤالَ مراراً، وعَجَزَ عن إجابتِهم بإتيانِ معجزة.

ونحنُ نسأل: أَليسَ لليهودِ حقٌّ في سؤالِهم؟ فكيفَ يَعتبرُ محمدٌ نفسَه نبياً، وهو لا يماثلُ الأنبياءَ في شيء؟!»[2].

ادعى الفادي الجاهلُ أَنَّ الآيةَ خِطابٌ من اللهِ لليهودِ للإنكارِ عليهم؛ لأَنهم سأَلوا الرسولَ ﷺ ما نَسَبَهُ الفادي إليهم، وهذا ادِّعاءٌ باطل، يدلُّ على جَهْلِه.

الخطابُ في الآيةِ من الله للمسلمين وليسَ لليهود، بدلالةِ إضافةِ الرسولِ إليهم: **﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾**. وهو رسولُ اللهِ محمدٌ ﷺ. والمسلمونَ لم يَسْأَلوا رسولَهم ﷺ، بدلالةِ قوله: **﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا﴾**. والهدفُ منه تحذيرهم من السؤال.

وإذا كان معنى الآيةِ هكذا، يكونُ كلامُ الفادي باطِلاً مردوداً عليه، عندما اعتبرَها دالَّةً على عدم نبوةِ الرسولِ ﷺ!.

وهناك آيةٌ أُخرى صَرَّحَتْ بأَنَّ اليهودَ سأَلوا رسولَ الله ﷺ إنزالَ كتاب

---

(١) تفسير البيضاوي: ٤/ ١٩٧.

(٢) هل القرآن معصوم؟، ص٢٢٤.

عليهم من السماء، وردَّتْ عليهم. قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ﴾ [النساء: ١٥٣].

يَذُمُّ اللهُ اليهودَ في طلبهم من الرسولِ ﷺ أَنْ يُنزلَ عليهم كتاباً من السماء، ويُذَكِّرهم بماضيهم الأسودِ، فقد سألوا موسى عليه السلام أَنْ يُريهم الله بعيونِهم، فعاقبَهم اللهُ بالصاعقةِ التي أَخَذَتْهم.

ولماذا يطلبُ اليهودُ من رسولِ الله ﷺ أَنْ يُنَزِّلَ عليهم كتاباً من السماء؟ أَلا يكفيهم القرآنُ الذي أنزلَه اللهُ عليه من السماء؟ وجعَلَهُ آيته البينةَ له! قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ [العنكبوت: ٥١].

٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ﴾ [البقرة: ١١٨].

زَعَمَ المفتري أَنَّ اليهودَ لم يَطلُبوا من موسى عليه السلام أَنْ يَروا اللهَ جهرة. قال في تعليقِه على هذه الآية: «قالَ رافعُ بنُ خزيمة لمحمد: إنْ كنتَ رسولاً من الله كما تقول فقُلْ لله يكلِّمنا حتى نسمعَ كلامَه، أَو اصْنَعْ آيةً حتى نؤمنَ بك.. فأَجابَه: إنَّ اليهودَ سألوا موسى أَن يريهم اللهَ جهرة.

وهذا الجوابُ خطأ، لأَنَّ اليهودَ سأَلوا عَكْسَ ذلك، وقالُوا لموسى: تكلَّمْ أَنتَ معنا فنسمع، ولا يتكلمُ اللهُ مَعَنا لئلا نَموت!.

ونحنُ نسأل: أليسَ من حَقِّ الناسِ أَنْ يَفْحَصوا كُلَّ رسالة يقولُ صاحبُها: إنها من عندِ الله»(١).

أَخبرَ اللهُ أَنَّ الذين لا يَعلمونَ طَلَبوا أَنْ يُكَلِّمَهم اللهُ مباشرة، أَو يأتيَهم الرسولُ ﷺ بآية. والمرادُ بهم اليهودُ في المدينة، وهذا الطلبُ الذي طلَبوهُ من الرسولِ ﷺ يُشابِهُ الطلبَ الذي طَلَبَه آباؤُهم من موسى عليه السلام.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٢٤.

وقد أَخْبَرَنا اللهُ أنهم طلبوا من موسى عليه السلام أَنْ يَروا اللهَ جهرة. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥ ـ ٥٦].

ولما طلبَ اليهودُ في المدينةِ من رسولِ اللهِ ﷺ أَنْ يُنزلَ عليهم كتاباً من السماءِ ذَكَّرَهُمُ اللهُ بما طَلَبَه آباؤهم من موسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ﴾ [النساء: ١٥٣].

ورغم هذه الآياتِ الصريحةِ التي أَخبرتْ عن قولِهم وطلبِهم إِلّا أَنَّ الفادي المفتريَ المجرمَ خَطَّأَها وكَذَّبها، وقال في تكذيبه: «أَجابَهُ أَنَّ اليهودَ سألوا موسى أَنْ يُريهم الله جهرة، وهذا خطأ، لأَنَّ اليهودَ سَألوا عكسَ ذلك...»!!.

٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩].

نقلَ الفادي في سببِ نزولِ الآيةِ أَنها أُنزلَتْ للرَّدِّ على طلبِ قريش، عندما طلبوا من رسول الله ﷺ أَنْ يأْتيهم بآيةٍ، مثل الآياتِ التي جاءَ بها الأَنبياءُ السابقون، كموسى وعيسى وصالح عليهم السلام، وزَعَمَ أنه وافقَهم ودعا الله. قال: «قالَتْ قريش: يا محمد! إِنك تخبرُنا أَنَّ موسى كانت له عصا يَضربُ بها الحجر، فتنفجرُ منه اثنتا عشرةَ عيناً، وتخبرُنا أَنَّ عيسى كان يُحيي الموتى، وأَنَّ ثمودَ لهم ناقة، فأْتِنا بآيةٍ حتى نُصدِّقَك ونؤمنَ بك... فقال محمد: أَيَّ شيءٍ تُحبون؟ قال: تجعلُ لنا الصفا ذهباً، وابعثْ لنا بعضَ موتانا نسأَلْهم عنك: أَحقٌّ ما تَقولُ أَم باطل؟ وأَرِنا الملائكة يَشهدونَ لك.. فقال محمد: إِنْ فعلْتُ بعضَ ما تقولون أتصدقونَني؟ قالوا: نعم والله، لئن فعلْتَ لنتبعنَّك أَجمعين.. وسأَلَ المسلمون محمداً أَنْ يُنزلَها عليهم حتى يؤمنوا، فقامَ محمد وجعلَ يدعو اللهَ أَنْ يَجعَلَ الصفا ذهباً، فجاءَه جبريل فقال: إِنْ شئتَ أَصبحَ

الصَّفا ذَهباً، ولكن إنْ لم يُصَدِّقوك لنعذبنَّهم، وإنْ شئت تركْتَهم حتى يتوبَ تائبُهم.. فقال محمد: أَتْرُكُهُم حتى يتوبَ تائبُهم.. وهكذا تخلَّصَ محمدٌ أَنْ يأتيَ بمعجزة!..»[1].

صحيحٌ أَنَّ قريشاً طَلبُوا من رسولِ الله ﷺ أَنْ يأتيَهم بآياتٍ ليؤمنوا به، كتحويلِ الصَّفا ذَهباً، أَو إنزالِ الملائكةِ عليهم، إو إحياءِ آبائِهم الأموات، وهذا ما أَشارتْ له الآية.. لكنَّه ليس صحيحاً استجابةُ الرسولِ ﷺ لطلبِهم، وأَنه دعا اللهَ أَنْ يَجعلَ لهم الصَّفا ذهباً، وأَنَّ جبريلَ حَدَّثَه بالأمر، فتوقَّفَ عن الدُّعاء حتى لا يَهلكوا.. كما ادَّعى الفادي المفتري، وخَرَجَ من هذه الروايةِ المردودةِ أَنَّ محمداً ﷺ تخَلَّصَ وتهرَّبَ من الإتيان بمعجزة.

لم يطلب الرسولُ ﷺ من ربِّه أَنْ ينفِّذَ لهم ما طَلَبوا منه؛ لأَنه يَعلمُ أَنَّ الآياتِ والمعجزاتِ بيد الله، وهذا ما صرَّحَتْ به آياتُ القرآن. كقولِه تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩ ـ ١١١].

٦ ـ قولُه تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٠ ـ ٩٣].

تُسجّلُ هذه الآياتُ بعضَ الطلباتِ التي طَلَبَها كفارُ قريشٍ من رسولِ الله ﷺ: طَلَبوا منه أَنْ يُفَجِّرَ لهم الينابيعَ من الأَرض، أَو تكونَ له جنةٌ

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٢٥.

من نخيلٍ وعنبٍ تتفجرُ الأنهارُ خلالَها، أَو يُسقطَ السماءَ عليهم، أَو يصعدَ هو في السماء، وَيَنْزِلَ عليهم منها بكتابٍ خاص، موجَّهٍ من الله لهم،.. وردَّ على هذه الطلباتِ التعجيزيةِ بقولِه لهم: سبحانَ رَبّي، هل كنتُ إلّا بشراً رسولاً.

أَيْ ما أَنا إلا بَشَرٌ رسول، لا دَخْلَ لي في المعجزات، فأَنا لا أَختارُها ولا أَفْعَلُها؛ لأَنَّها عند الله، يُنزلُ عليَّ ما شاءَ منها، وأَنا أُقدمُ لكم ما آتاني منها.

وقد فهمَ الفادي الجاهلُ الآياتِ فهماً خاطئاً، وجعلَها دالَّةً على عَدَمِ نبوَّتِه. قال المجرم: «ونحن نسأل: أَلم يكنْ موسى وإِيليا وأَليشع ودانيال من البشر الرُّسُل؟ ومع ذلك كانوا أَصحابَ معجزات، فإِنْ كانَ محمدٌ صاحبَ رسالةٍ سماويةٍ فلماذا لا تساندُ السماءُ رسالتَه؟!»(١).

إِنَّ الجاهلَ يَظُنُّ أَنَّ رسولَ الله ﷺ بدونِ معجزات، ولو كانَ اللهُ أَرسلَه لسانَدَه وأَيَّدَه بها، وهذا ظَنٌّ باطلٌ وَقَعَ فيه المفتري الجاهل! لقد آتى اللهُ رسولَه ﷺ أَعظمَ آيةٍ عقليةٍ بيانية، مستمرةٍ حتى قيامِ الساعة، وهي القرآنُ العظيم.. كما آتاهُ كثيراً من الآياتِ الماديةِ المحسوسة، مثلُ: شَقِّ صَدْرِه، والإِسراءِ والمعراج، وانشقاقِ القمر...

والجاهلُ مصممٌ على جَهْلِه وافترائه، وسوءِ فهمِه للحقائق، ولذلك ذَكَرَ سبْعَ آياتٍ متفرقة، واعتبرَها دَليلاً من القرآنِ على أَنَّ الرسولَ ﷺ لم يُؤْتِه اللهُ أَيةَ معجزة!.

الآياتُ التي أَساءَ فَهْمَها والاستدلالَ بها هي:

١ ـ قولُه تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٢٥.

لا تَدُلُّ الآيةُ على أَنَّ الله لم يُؤْتِ رسولَه أَيَّةَ معجزة، إنما تدلُّ على أنه مهما قَدَّمَ من الآياتِ والمعجزاتِ لأَهْلِ الكتاب فلن يُصَدِّقوهُ، ولن يَتَّبِعوا قبلَته، لأَنهم يَتَّبعون أَهواءَهم.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧].

لا تَدُلُّ الآيةُ على أَنَّ اللهَ لم يُنَزِّلْ على رسولِه أَية معجزة، إنما تَرُدُّ على الكفار، الذين عَلَّقوا إِيمانَهم بالحقِّ على إنزالِ الآيةِ التي طَلَبوها، وتُخبرُهم أَنَّ الإِيمانَ ليس مُعَلَّقاً على إنزالِ الآيات، لأَنَّ الله يُضِلُّ مَنْ يَشاء، ويَهدي إليه مَنْ أَناب.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ﴾ [الرعد: ٣١].

لا تدلُّ الآيةُ على أَنَّ القرآنَ ليس آيةً للنبيِّ ﷺ، وإنما تَدُلُّ على أَنَّ اللهَ لو خاطَبَ بالقرآنِ الأَرضَ أَو الجبالَ أَو الموتى لأَثَّر فيهم، ولو أَرادَ ذلك لفَعَل؛ لأَنه لا يمنعُه من ذلك أَحَد. ولكنَّه لم يَشأْ، وإنما خاطبَ بالقرآنِ الإنسانَ.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

لا تَدُلُّ الآيةُ على أَنَّ الله لم يُؤْتِ رَسولَه مُعجزة، وإنما تُصرحُ بأَنَّ اللهَ كان يُؤْتِيه كثيراً من الآيات، ولكنَّ الكفَّارَ مُعانِدون، يَرفضونَ قَبولَ الحَقِّ، فعندما كانتْ تَأْتيهم الآيةُ من عند الله، كانوا يُصِرُّون على كفرِهم ويقولون: لن نؤمن حتى نُؤْتى مثْلَ ما أُوتيَ رسلُ الله!!.

٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٣٧].

لا تدلُّ الآيةُ على أَنَّ اللهَ لم يُؤْتِ رسولَه معجزة، إنما تَرُدُّ على طلبِ الكفارِ آياتٍ مخصوصة، وتُخبرهم أَنَّ إنزالَ الآياتِ ليس خاضِعاً لطَلَباتهِم وأَهوائِهم، وإنما يُنزلُ اللهُ منها ما يَشاءُ وفقَ حكمتِه سبحانه.

٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

لا تدلُّ الآيةُ على أَنَّ الله لم يؤتِ رسولَه معجزة، إنما تُقدِّمُ رَدّاً آخرَ على ما طَلَبَهُ منه المشركون، حيثُ كانوا يَطلبونَ منه أَنْ يَجْتبيَ ويَصطفيَ ويختارَ الآياتِ التي يَطلبونها، أَيْ أَنه هو الذي يَأْتي بها، فَرَدَّ عليهم بأَنه لا دَخْلَ له في اختيارِ المعجزات، لأَنه يَتَّبعُ وَحْيَ الله، ويتلَقّى الآياتِ التي يُؤْتيهِ اللهُ إِياها، ويُقَدِّمُها لهم، وكلُّ ما آتاهُ الله من الآياتِ قَدَّمَه لهم...

٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۗ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧].

لا تدلُّ الآيةُ على أَنَّ اللهَ لم يُؤْتِ رسولَه معجزة، إنما تَرُدُّ على طَلَبِ الكفارِ إِنزالَ الآياتِ التي يَطلبونَها منه، وتُخبرهم أَنَّ إِنزالَ الآياتِ خاضعٌ لحكمةِ الله، وليس لطلباتِهم، ولا لاختيارِ النبيِّ ﷺ، والرسولُ ﷺ مُنذرٌ يبلِّغُهم وَحيَ الله.

وهكذا رأينا أَنه لم تَنْفِ آيةٌ واحدةٌ من الآياتِ السبع وُجودَ معجزةٍ مع رسولِ الله ﷺ، إِنَّ كُلَّ آيةٍ رَدَّتْ على طلبٍ للمشركين، أَو قَدَّمتْ حقيقةً متعلقةً بالآياتِ والمعجزات.

ولْننظر الآنَ كيفَ فهمَ الفادي المجرمُ هذه الآياتِ السبع، وكيفَ استنْطَقَها، وما هي النتيجةُ التي خَرَجَ بها منها في نفي نبوةِ محمدٍ ﷺ؛ قال فَضّ اللهُ فاه: «ففي جميعِ هذه الآياتِ يعترفُ القرآنُ أَنَّ محمداً لم يَأْتِ بمعجزةٍ واحدة. وأَما الأَسبابُ التي انتحلَها واعتذَرَ بها فمردودة.. فالمعجزاتُ التي عملَها الأَنبياءُ أَمامَ الشعوب الأَوَّلين، آمَنَ بها البعض، بينما رفَضَها البعضُ الآخَرُ. وعليه فالقولُ: ﴿إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾. عُذْرٌ

مرفوض. ولو كانَ القرآنُ معجزةً لكان قال: هاكمُ القرآنُ معجزة!! وما كانَ ليقول: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ﴾! لم يأْتِ محمدٌ بآيةٍ مُطْلقاً تُثْبتُ أنه رسولٌ مُشرِّع، ولا حَتَّى القرآن...»[1].

إنَّ هذا القولَ الفاجرَ مردودٌ على الفادي المفتري، ولقد آتى اللهُ نبيَّه محمداً ﷺ كثيراً من المعجزاتِ المادية، التي أَشَرْنا لها فيما مضى. وهذا يُكَذِّبُ قولَ المجرم: «لم يأتِ محمدٌ بآيةٍ مطلقاً تُثبتُ أنه رسولٌ مُشَرِّع»!.

أَما قولُه الفاجر: «لو كان القرآنُ معجزةً لكان قال: هاكم القرآنُ معجزة». فإنه يدلُّ على جَهْلِه وغَبائِه! إنَّ هذا هو الذي حَصَل، فلما طَلَبَ الكفارُ معجزةً من رسولِ اللهِ ﷺ، قال لهم: هاكم القرآنُ معجزة! وهذا ما وردَ في صريحِ قولِه تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٧ ـ ٥١].

٢٢٨

اتهامات الكفار للرسول ﷺ

رَدَّدَ الفادي المفتري الاتهاماتِ التي وَجَّهَها الكفارُ من المشركين والمنافقينَ واليهود لرسولِ اللهِ ﷺ، والتي ذَكَرَها القرآن، ثم نَقَضَها وأَبْطَلَها، لكنَّ الفادي المجرمَ اعتمدَها وقالَ بها، واتَّهمَ النبيَّ ﷺ بها، واعتبرَها وثيقة

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٢٦ ـ ٢٢٧.

إدانةٍ له.. قالَ في مقدمةِ تلك الاتهامات: «انتقدَ العربُ محمداً، ولاموهُ على الكثير. وقد أوردَ ذلك في قرآنِه، مع الردودِ عليه..»[(١)].

ما زالَ يؤكدُ على أنَّ القرآنَ منسوبٌ إلى رسولِ الله ﷺ، وأنه هو الذي ألَّفه، وأوردَ فيه ما يُريد، وحَذَفَ منه ما لا يُريد!!.

والاتهاماتُ الموجهةُ ضدَّ رسولِ الله ﷺ هي:

١ ـ مَجنون: ووردَتْ في قولِه تعالى إخباراً عن قولِ المشركين: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الحجر: ٦ ـ ٧].

وقد اعتمدَ المجرمُ هذه التهمةَ في قوله: «فقد اتَّهموهُ بالجنون، الذي هيأ له أوهامَ الوحي والملائكة»[(١)]. أيّ أنّه لا وحيَ في الحقيقة، وإنما هو أوهامٌ وتخيُّلاتٌ كان يَمُرُّ بها الرسولُ ﷺ، فيصدِّقُ أنه رأى جبريل، وأنه تلقى منه الوحي، مع أنه لا جبريلَ ولا وحيَ؛ لأنه مجنون!!.

وقد رَدَّ القرآنُ على هذه التهمةِ بعدة آيات، نكتفي منها بتذكُّرِ قولِه تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١ ـ ١٧].

وقد كانَ رسولُ اللهِ ﷺ حَريصاً على تأكيدِ وعْيِه وحضورِه وانتباهِه، عندما يأْتيه الوحي. فقد سألَه الحارثُ بنُ هشام رضي الله عنه فقال: يا رسولَ الله! كيفَ يأتيكَ الوحي؟ فقال ﷺ: «أَحْياناً مثلُ صلصلةِ الجَرَس، فيفْصِمُ عَنّي وقد وعيتُ ما قال، وأَحياناً يتمثلُ لي المَلَكُ رَجُلاً فيكلِّمُني، فأَعي ما يقول».

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٢٧.

ولا يُمكنُ أَنْ يكونَ رسولُ الله ﷺ مجنوناً، وشخصيتُه معروفَة، وأقوالُه في حياتِه معلومة، وجهودُه في الدعوةِ والحركةِ معلومة، ونَجاحُه في دعوتِه وانتشارُ دينِه في حياتِه معروف، ولو كان مجنوناً لما كانت نتائجُ رسالتِه في حياتِه على ما هي عليه!.

٢ ـ مُفْتَرٍ: والمفتري هو الكاذبُ المدَّعي، الذي يَقلبُ الحقائقَ، ويَنسبُ القولَ إلى غيرِ قائله كَذِباً وزُوراً.

وقد اتهمَ الكفارُ الرسولَ ﷺ بأنه مُفْتَرٍ كاذب، وأخبرَ اللهُ عن اتِّهامهم في قولِه تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤].

وقد صَدَّقَ الفادي المجرم هذه التهمة، وأَلْصَقَها برسولِ اللهِ ﷺ. قال: «لقد رأَوْا محمداً يأْمُرُ أَصْحابَه بأَمْر، ثم يَنهاهم عنه، ويأْمُرُهم بخلافِه، ويقولُ اليومَ قولاً، ويَرجعُ عنه غداً. فقالوا: إنَّ ما تقولُه إنما هو من تلقاءِ نفسِك؛ لأَنه لو كانَ كلامَ الله لكانَ ثابتاً، لا يُنْسَخُ ولا يَتغَيَّر..»[1].

ونَزَّهَ اللهُ رسولَه ﷺ عن تهمةِ الافتراء، في آياتٍ كثيرة، منها قولُه تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ ـ ٤].

وبَيَّنَ اللهُ أنه لا يَسمحُ لأَحدٍ في أَنْ يتقوَّلَ ويفْتَريَ ويكذبَ عليه، حتى لو كان رسولَه ﷺ، وحاشاهُ أَنْ يَفعلَ ذلك. قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٣ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٣٨ ـ ٤٧].

أَيْ: لو تَقَوَّلَ وكَذَبَ وافترى علينا لذَبَحْناه! بأَنْ نأخُذَه من يَمينِه، ثم

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٢٧.

نقطعَ وَتينَه وعُنُقَه، ولن يَجِدَ أَحداً ينصُرُه أَو يحجزُه ويوقفُ عنه الذبح!!.

وبَيَّنَ أَنَّ المفتريَ على اللهِ هو أَظلمُ الظالمين، وأَنَّ اللهَ لن يُوَفِّقَ مفترياً أَبداً. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣]. وهذه شهادةٌ من اللهِ لرسولِه ﷺ بالصِّدْق، فلو كان مفترياً لأَهلكه اللهُ وقضى عليه، ولَما وَفَّقَه وأَيَّدَه ونَصَرَه ونَشَرَ دَعوته. إنَّ هذا النجاحَ الكبير لرسولِ اللهِ ﷺ دليلٌ على أَنَّ اللهَ هو الذي يَسَّرَه له، وهذا دليلٌ على أنه رسولُ اللهِ فِعْلاً، ﷺ.

والنسخُ في القرآن الذي لا يَمَلُّ الفادي المفتري من الكلامِ عليه وانتقادِه، سَبَقَ أَنْ ناقَشْناهُ فيه في أَكْثَرَ من موضع، وهو لا يَدُلُّ على افترائهِ وكذبِه ﷺ؛ لأَنه لم يَدَّعِ أَنه هو الذي يَنسخُ ويُغَيِّرُ ويُبَدِّلُ في الأَحكام، وإِنما اللهُ هو الذي يَنسخُ ما يَشاء، وبما أَنَّ الفعلَ فعلُ الله، فهو فَعَّالٌ لما يُريدُ سُبْحَانَهُ. قال الله ﷻ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦].

٣ ـ مسحور: اتهمَ الكفارُ رسولَ اللهِ ﷺ بأنه مسحور، سيطرَ عليه الجنُّ والشياطين، وحَرَّكوه كما يريدون.

وقد ذَكَرَ القرآنُ هذه التهمة التي وَجَّهوها له. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الفرقان: ٧ ـ ٨]، وقال تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الإسراء: ٤٧].

وقد رَدَّدَ الفادي المفتري هذه التهمة، وأَلصقَها برسولِ اللهِ ﷺ، وحَكَم عليه بأَنه مسحورٌ قال: «لقد شاهَدوه مريضاً ناسياً، يَشكو من الساحراتِ النفاثات في العُقَد، ويَستعيذُ من فعلهنّ، فقالوا: لا شكَّ أَنه مسحورٌ مَغلوبٌ

على عقله..»[1].

وقد سبقَ أَنْ ناقشْنا الفادي المفتري في مسألةِ سِحْرِ رسول الله ﷺ، وأَنَّ السحرَ لم يُؤَثِّرْ إلّا في جانبٍ من بَدَنِه، وأَنَّ ذلك لم يستمرَّ إلّا ساعات، ثم عافاهُ اللهُ منه!.

وهذا معناهُ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لم يكُنْ مَريضاً، ولم تُؤَثِّرْ فيه الساحرات، ولم يكنْ مغلوباً على عَقْلِه، وما كلامُ الفادي السابقُ إلّا افتراءً كبيراً.

٤ ـ أُذُن: اتهمَ المنافقونَ الرسولَ ﷺ بأنه أُذُن، أَيْ أنه ساذجٌ مُغَفَّل، يُصَدِّقُ كُلَّ ما يَسمع، ويُمكنُ خِداعُه بسهولةٍ، وقد ذَكَرَ القرآنُ هذه التهمة ثم رَدَّ عليها. قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْۚ﴾ [التوبة: ٦١].

ونَقَلَ الفادي كلامَ البيضاويِّ في معنى الآية. ونَقَلَ ما قالَه المنافقون في اتهامِهم له: «روِيَ أَنهم قالوا: محمدٌ أُذُنٌ سامِعَة، نقولُ ما شِئْنا، ثم نأتيه فيصدِّقُنا بما نَقول».

وذِكْرُه لقولِ المنافقين، وسكوتُه عنه، إقرارٌ منه له. أَيْ أَنّ الفادي المفتريَ مع المنافقينَ في اتهامِ الرسولِ ﷺ بأنه أُذُنٌ ساذج، يَسهلُ خداعُه!.

وما أَجملَ ما رَدَّ به القرآنُ هذه التهمةَ: إنَّه ﷺ أُذُنُ، يُحسنُ الاستماعَ بأُذُنِه، ويَعي ما يسمَعُه.. وقد استمعَتْ أُذُنُه الشريفةُ القرآنَ من جبريلَ عليه السلام، ثم قَدَّمَه للمسلمين، وبهذا كان أُذُنَ خيرٍ للمؤمنين.

وقد كان رسولُ اللهِ ﷺ أذكى الناسِ، وأَكْثَرَهم فِطْنَة، وأَرجَحَهم عَقْلاً، مُنَزَّهاً عن السذاجةِ والبَلاهةِ والغَفْلة.

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٢٨.

٢٢٩

هل مات الرسول ﷺ مسموماً؟

ذَكَرَ الفادي الجاهلُ عِنواناً مُثيراً هو: «موتُه بتأثيرِ السّمّ». وسَجَّلَ تحت هذا العنوانِ قولَه تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٤٤].

ثم نَقَلَ الفادي عن البيضاويِّ معنى هذه الآية، ومناسبةَ نُزولِها، وحادثةَ اعتداءِ المشركين على رسولِ اللهِ ﷺ في غَزوةِ أُحُد، وما أَشاعوه من أنه قد قُتِلَ، وتَأَثُّرِ بعضِ الصحابة بما سمعوه، حتى حَزِنَ بعضُهم وأَلْقى السلاح.

ثم ذَكَرَ قصةَ الشاةِ المسمومة التي حَشَتْها اليهوديةُ في غزوةِ خَيْبَرَ، وقَدَّمَتْها للرسول ﷺ، محاولةً قَتْلَه. وخَرَجَ الجاهلُ منها بأَنَّ الرسولَ ﷺ ماتَ مسموماً(١)!!.

صَحيحٌ أَنَّ المرأةَ اليهوديَّةَ سَمَّمَتْ شاةً ثم شَوتْها وقَدَّمَتْها للرسولِ ﷺ، وكَثَّرَتْ من السُّمِّ في الكَتِفِ؛ لأَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان يُحبُّ الكَتِف.. ولما قُدِّمَ الكتفُ للرسول ﷺ وَضَعَ في فَمِه لقمةً منها وَمَضَغَها، ثم لَفَظَها وأَخْرَجَها ولم يَبْلَعْها، وقال: إنَّ هذا الذراعَ يُخبرُني أنه مسموم.. وقد تناول بِشْرُ بنُ البراءِ رضي الله عنه لُقمةً منه وابتعلها، وماتَ فوراً من شدةِ وقوةِ السّمّ.

واستدعى الرسولُ ﷺ اليهودية، وقالَ لها: ما حَمَلَكِ على ما صَنَعْتِ؟ قالَتْ: يا أَبا القاسم، إني كنتُ أَعلمُ أنك إنْ كنتَ رسولاً فسيحْميك اللهُ، وإنْ كنتَ كاذباً متَّ واسْتَرَحْنا منك!.

وأَمَرَ بها رسولُ اللهِ ﷺ فقُتِلَتْ قِصاصاً؛ لأَنها قَتَلَتْ بِشْرَ بنَ البراء بن معرور رضي الله عنه بالسّمِّ.

---

(١) انظر: هل القرآن معصوم؟، ص٢٢٨ ـ ٢٢٩.

ولم يُؤَثِّر السّمُّ في رسولِ اللهِ ﷺ؛ لأنه اكتفى بمضْغِ اللقمةِ من اللّحمِ المسَمَّم، ثم لَفَظَها وأَخْرَجَها، وقال: يُخْبِرُني هذا الذراعُ بأَنه مسمومٌ.

وهذا معناه أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لم يَمُتْ بتأثيرِ السُّمّ، كما زَعَمَ الفادي المفتري، ولو ماتَ بتأثير السُّمِّ لماتَ فوراً، أَو بعدَ ساعاتٍ أَو أَيامٍ أَو أَشهر، مثلُ بشْرِ بنِ البراء الذي ماتَ فوراً. وقد عاشَ رسولُ اللهِ ﷺ بعد حادثةِ السُّمِّ أَكثرَ من ثَلاثِ سنوات! حيثُ كان فَتْحُ خيبرَ في محرم من السنةِ السابعة للهجرة، وتُوُفِّي ﷺ في ربيع الأول من السنةِ الحادية عشرة.

صحيحٌ أنه بَلَغَ أَثَرَ السّمّ، لكنَّ هذا الأثَرَ لم يُؤَدِّ إلى وفاتِه؛ لأَنَّ اللهَ تكفَّلَ بحمايتِه وعصمتِهِ من الأَعداء، فكم حاولَ الأَعداءُ اغتيالَه وقَتْلَه، ولكنَّ اللهَ عَصَمَه وحَماه، وأَخبره عن ذلك في قولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ [المائدة: ٦٧].

وصحيحٌ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ لعائشةَ ﵂: «ما زِلْتُ أَجِدُ أَثَرَ السّمِّ الذي قُدِّمَ لي في خيبر». وأَنه قالَ لها أَيضاً: «هذا أَوانُ انْقِطاعِ أَبهَري».

وهذا معناه أَنه كان يَمْرَضُ من أَثَرِ ذلك السم، وكانَ أكبرَ الأَثَرِ على أَبهَره، وهو وَريدُه، لكنْ فرقٌ بين أَنْ نقول: كان يَمرضُ من أَثَرِ السم، وبينَ أَنْ نقولَ: ماتَ متأثراً بالسم.

٢٣٠

حول أحوال الرسول ﷺ مع الوحي

أَثارَ الفادي المفتري الشبهاتِ حولَ أَحوالِ الرسول ﷺ عندما كانَ يَأْتيه الوحي، وَوَجَّهَ الاتهاماتِ له في عَقْلِه ونَفْسِه وأَعْصابِه، مما يدلُّ على أَنَّه ليس رسولاً، وأَنَّ الذي يتخيَّلُه ليس وحياً.

١ ـ الرسول المزمل المدثر:

قالَ الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [المزمل: ١ ـ ٢]. والمُزَّمِّلُ هو المتَغَطي بثيابِه. ونقلَ عن تفسيرِ البيضاوي معاني الآيات الأولى من السورة.

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ [المدثر: ١ ـ ٢]. والمُدَّثِّرُ هو المتَغَطّي بثيابِه أَيْضاً، ونقلَ عن تفسيرِ البيضاوي معاني آياتِ السورة[١].

ومع تحفُّظِنا على بعضِ ما وَرَدَ في تفسيرِ البيضاوي، من رواياتٍ وأَخبارٍ غيرِ دقيقة، أَو مرجوحة، إِلّا أَنّنا لن نتوقَّف معها، وننتقلُ مع الفادي المفتري لنرصدَ شبهاته واتهاماتِه وافتراءاتِه.

٢ ـ هل صورة الرسول ﷺ صورة السكران؟:

قال الفادي المفتري: «جاءَ في الأَحاديث الصحيحة أَنّه إِذا نَزَلَ عليه الوحْيُ يُغْشىٰ عليه، لتغيُّره تَغَيُّراً شديداً، حتى تصيرَ صورَتُه كصورةِ السَّكْران. وقال علماءُ المسلمين: إِنه كانَ يُؤْخَذُ من الدنيا»[١].

وفي هذا الكلامِ مُغالطاتٌ وافتراءات، أَطْلقَهَا الفادي المجرمُ ضدَّ رسولِ اللهِ ﷺ، ونَسَبَها لعلماءِ المسلمين.

أَمّا أَنَّ الرسولَ ﷺ كان يَتَأَثَّرُ بالوَحْي، وأَنه كانَ يُغْشى عليه من ثِقَلِ الوَحْي، فهو صحيح. وهذا ما وَرَدَ في الأَحاديثِ الصحيحة.

ونكتفي من هذه الأَحاديث بالحديثِ الثاني من صحيحِ البخاري، حيثُ روى البخاريُّ عن عائشة ﵂: أَن الحارثَ بنَ هشام ﵁ سأَلَ رسولَ اللهِ ﷺ فقالَ: يا رسولَ الله، كيفَ يَأْتيك الوَحْي؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «أَحْياناً يأْتِيني مثل صَلصلة الجَرَسِ، وهو أَشَدُّه علَيَّ، فيفصمُ عني وقد وَعَيْتُ عنه ما قالَ، وأَحْيَاناً يتمثَّلُ لي المَلَكُ رَجُلاً فيكَلِّمُني، فأعي ما يقول». قالَتْ عائشةُ ﵂: «ولقد رأَيْتُه يَنزِلُ عليه الوحْيُ في اليومِ الشَّديدِ البَرْدِ، وإِنَّ جبينَه ليتفصَّدُ عَرَقاً».

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٣٠.

يعترفُ رسولُ اللهِ ﷺ أنه كانَ يُعاني شِدَّةً من نُزولِ الوحي عليه، وتشهدُ عائشةُ ﵂ لذلك بأنها رأَتْه يَنزلُ العرقُ من جبينِه في اليومِ الشديدِ البَرْد.

لكنَّ هذه الشدةَ التي كانتْ تقعُ به عندما يَغشاهُ الوحيُ، لم تُؤَدِّ إلى تَغيُّرِه هو في بَدَنِه وجسْمِه، وفي نَفسيَّتِهِ وأَعصابه، ولم تتغيَّرْ صورتُه تغيُّراً سلبيّاً.

وقد كانَ الفادي بَذيئاً فاجراً عندما شَبَّهَ صورَتَه بصورةِ السكران، وصورةُ السكران صورةٌ كريهةٌ مُقَزِّزة، وكيفَ تُشَبَّهُ بها صورةُ أَشرفِ الخلقِ وأَكرمِهم وأَطيبِهم ﷺ، وهو في أَشرفِ أحوالِه، حيث يتلقّى كلامَ الله وهو في غايةِ السعادةِ والسرور، والوعي والانتباه.. لكنّ الفادي مجرمٌ مفتر، قالَ كَلاماً لم يَقُلْهُ أَحَدٌ من المسلمين.

وافترى المفتري افْتراءً آخَرَ عندما نَسَبَ لعلماءِ المسلمين قولَهم: إنَّ رسولَ الله ﷺ كان يُؤْخَذُ من الدنيا! أَيْ أَنّه كان يَغيبُ عن الدنيا بفكْرِه وعَقْلِه، ويَسرحُ في تخيُّلاتِه.. ونأخذُ من كلامِ رسولِ الله ﷺ أَبلغَ رَدٍّ على هذا، حيثُ كانَ يركزُ على وَعْيِهِ وحُضورِه وانتباهِهِ، للدلالةِ على أنه يعيشُ الحَدَثَ بكيانِه كُلِّه: «فيفْصِمُ عنّي وقد وعيتُ ما قال».

٣ ـ غطيط الرسول ﷺ عند الوحي:

نَسَبَ الفادي إلى أَبي هريرة ﵁ قولَه: «كانَ محمدٌ إذا نَزَلَ عليه الوحْيُ استقبلَتْهُ الرِّعْدَة. وفي روايةٍ: كَرِبَ لذلك، وتَزَبَّدَ له وجْهُه، وغَمَّضَ عَيْنَيْه، وربما غَطَّ كغطيط الإِبِلِ»(١).

صَحيحٌ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان يَغُطُّ عندما يَغْشاهُ جبريلُ ﵇، وذلك من ثِقَلِ الوحي، والغَطيطُ قَريبٌ من الشَّخير، وهو إِخراجُ الصوتِ من الأَنْفِ، وهذا أَمْرٌ عاديٌّ يمرُّ به أَيُّ شخصٍ عندما يبذلُ جهداً كبيراً، أَو يصعدُ مرتقى، وقد يَصدرُ عن كثيرٍ من النائمين، وهو ليسَ حالَةً مرضيَّة.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٣٠.

أَمَّا أَنْ يَرتعدَ جسْمُه ويَرتعشَ ويَنتفضَ، كما ادَّعى المفتري، فهو غيرُ صحيح، وأَمّا أن يكونَ غَطيطُه بصوتٍ مُرتفعٍ مُزعجٍ كَغَطيط الإبل، فهو غَيْرُ صحيحٍ أَيْضاً، وأَمّا أنه كان يَسْوَدُّ وجْهُه، ويخرجُ الزَّبَدُ من فمِه كما ادّعى هذا المجرمُ، فهو غيرُ صحيحٍ أيضاً؛ لأَنَّ هذه حالةٌ مرضية، تدلُّ على أمراضٍ نفسيةٍ عصبيةٍ حادة! وهذه تَنَزَّه عنها أَشرفُ وأَعقلُ الخلقِ ﷺ.

٤ ـ صوت كدويِّ النحل:

نَقَلَ الفادي قولَ عمرَ بنِ الخطاب ﷺ: «كان إذا نزلَ عليه الوحي، يُسْمَعُ عند وَجْهِه كَدَوِيِّ النَّحْلِ!».

وهذا كلامٌ صحيح؛ لأَنَّ هذا الصوتَ الذي يُدَوّي هو صوتُ نُزولِ جبريل عليه السلام عليه، ووصولِه إِليه.

٥ ـ صوت كصلصلة الجرس:

نَقَلَ الفادي قولَ عائشةَ رضي الله عنها: سُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ: كيفَ يَأْتيكَ الوحي؟ فقال: «أَحياناً مثْلُ صَلْصَلَةِ الجَرَس، وهو أَشَدُّه عَلَيَّ، وأَحياناً يتمثَّلُ لي الملَكُ رَجُلاً يُكلِّمُني، فأَعي ما يقول».

وهذا جزءٌ من حَديثٍ صَحيحٍ عند البخاري، أَوْرَدْناهُ قبلَ قَليل.. وصلصلةُ الجَرَسِ: صوتُ ضَرْبِ الجَرَس عندما يُقْرَعُ، وصلصلةُ الجَرَسِ هو ما كانَ يُسمعُ أَمامَه كَدوِيِّ النحل، كما قالَ عمرُ رضي الله عنه.

٦ ـ تصبب الرسول ﷺ عرقاً:

نَقَلَ الفادي قولَ عائشةَ رضي الله عنها: «ولقد رأيتُه يَنزلُ عليه الوحيُ في اليومِ الشَّديدِ البَرْد، وإِنَّ جَبينَه ليتفَصَّدُ عَرَقاً».

وهذه تكملةٌ لحديثِ الحارثِ بن هشام السابقِ رضي الله عنه، في كيفيةِ نزولِ الوحي، حيث أخبرَ أَنَّ مجيئه كصلصلةِ الجَرَس، وكان هو الأَشَدَّ عليه، وشَهدَتْ عائشةُ رضي الله عنها على ذلك، بأنها رأَتْ جَبِينَهُ يَتَفَصَّدُ عَرَقاً في اليومِ الشديدِ البَرْد.

وهذا أَمْرٌ عاديٌّ، قد يمرُّ به أَيُّ شخصٍ منّا، وليسَ به مرضٌ نَفْسِيٌّ أَو عضويّ، فقد يلبَسُ أَحَدُنا ملابسَ صوفيةً، ثم يَسيرُ في طريقٍ صاعداً في مُرْتَفع، ويكونُ العَرَقُ يتصبَّبُ من وجْهِهِ وجسمه، مع أَنَّ الثلجَ يَتساقَطُ بغَزارة!.

٧ ـ هل كان الرسول ﷺ يسمع أصواتاً خفية؟:

ادّعى الفادي أَنَّ رسولَ الله ﷺ كانت تُسمعُ حولَه أصواتٌ خفية، لا يُعرفُ أَصحابُها، وادَّعىٰ الفادي أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ لخديجة ﵂: «إِذا خلوْتُ سمعْتُ نِداءً: يا محمد، يا محمد. وقالَ لها في روايةٍ أُخْرى: أَرى نوراً يقظة، وأَسمعُ صوتاً، وقد خشيتُ من ذلك على نفسي. وأَخشى أَنْ أكونَ كاهناً، وأَنْ يكونَ الذي يُنادِيني تابِعاً من الجِنّ.. وأَخْشى أَنْ يكونَ بي جُنون..».

وادَّعاءُ الفادي باطلٌ مردود، وهذه الأَقوالُ لم تَصْدُرْ عن رسولِ الله ﷺ، وقد رَدَّها علماءُ المسلمين؛ لأَنَّ فيها اتِّهاماً لرسولِ الله ﷺ في عَقْلِه، فهو يَسمعُ أَصواتاً لا يَدري مَصْدَرَها، وكأَنها تتشكَّلُ في مخيِّلَتِه، وهو يَخشى أَنْ يكونَ الجِنُّ مسيطراً عليه، وأَنْ يكون قد أَصابَه الجُنون!!.

ومن المعلوم أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لم يَكُنْ يَخْشى على نفسِه أَو عَقْلِه، وكان يوقنُ أَنَّه رسولُ الله، وأَن ما يأْتيه هو الوحيُ من الله، وأَنه كان على بيِّنَةٍ قاطعة، ويَقينٍ كبير. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ...﴾ [الأنعام: ٥٧].

٨ ـ هل كانت تصيبه الرعدة؟:

ادَّعى الفادي أَنَّ الرعدة كانَتْ تُصِيبُ رسولَ الله ﷺ عندما كان يأْتيهِ الوحيُ، ونَسَبَ هذا الادّعَاءَ إِلى أَبي هريرةَ ﵁.

وهذا ادِّعاءٌ غيرُ صَحيح، فلم يكنْ رسولُ اللهِ ﷺ يَرتعدُ أَو يضطربُ، أَو ينتفضُ جسْمُه، وإِنما كان متحكِّماً في جِسْمه، ضابطاً لأَعْصابِه، فَرِحاً سعيداً مسروراً.

٩ ـ هل كان رأسُه يؤلمه؟:

ادَّعى الفادي المفتري أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان يشكو من آلامٍ شديدةٍ في رأسِه، ونَسَبَ إلى أبي هريرةَ رضي الله عنه أنهم كانوا يَضعونَ الحِنّاءَ على رأسِه، لتخفَّ عنه تلك الآلام!.

وهذا ادِّعاءٌ باطل، فلم يكنْ ﷺ يشكو من آلامٍ في رأسِه طيلةَ حياتِه، بل لم يكن يشكو من أيةِ أَمْراض، إنما أصابَتْه الحُمّى في آخرِ أيامِه ﷺ.

وبعدما ناقَشْنا الفادي المفتريَ فيما أَوردَه من مظاهرِ التغييرِ والتأثيرِ التسعةِ التي ادَّعى أَنها كانت تَطرأُ على رسولِ اللهِ ﷺ عندما يأتيه الوحي.. ننظرُ في ما خَرَجَ من ذلك من اتِّهام. قال المفتري: «ونحنُ نسأل: أيُّ وَحْيٍ هذا الذي يُخرجُ الإنسانَ عن وَعْيه، فيُغْشىٰ عليه، ويُشبهُ السكران، ويَغُطُّ كغطيطِ الإبل، وتَحْمَرُّ عَيناه، وتأخُذُه الرّعدة، ويتَصبَّبُ عَرَقاً، ويُصَابُ بألم الرأس، ويُحِسُّ بطنينٍ في أُذنيهِ ورَنينٍ في دِماغِه؟ ولقد كان مُصاباً بهذه الأعراضِ عينِها قبلَ أَنْ يَدَّعيَ الوحي»[(١)].

لقد صَوَّرَ الفادي المجرمُ رسولَ الله ﷺ مع الوحي بصورةِ الإنسانِ المريض بالأمراضِ النفسية، والمضطربِ في أعصابه، الذي لا يُسيطرُ على كيانه.. وهو كاذبٌ في ادعاءاته، مجرمٌ في استنتاجاته!.

٢٣١

هل شرع الرسول ﷺ في الانتحار؟

ادّعى الفادي المجرمُ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ شَرَعَ في الانتحار، ونَسَبَ هذا الادِّعاءَ إلى علماءِ المسلمين. قال: «قالَ علماءُ المسلمين: إنه لما فَتَرَ الوحيُ عنه حَزِنَ حُزْناً شَديداً، حتى كانَ يَغدو إلى يَثرب مرة، وإلى حِراء مرةً أُخرى،

(١) انظر: هل القرآن معصوم؟، ص٢٣١.

يُرِيدُ أَنْ يُلقيَ نفْسَه منه، فكلَّما وافى ذِرْوَةَ جَبَلٍ منهما كي يُلقي نفسَه، تَبَدّى له جبريل، فقالَ له: يا محمد! أَنت رسولُ الله حقاً، فيسكُنُ لذلك جأْشُه، وتَقَرُّ عينُه، ويَرجع، وإذا طالَتْ عليه فترةُ الوحيِ عادَ لمثْلِ ذلك.. واختلفوا في مدةِ هذه الفترة، فعند ابنِ إسحاق أنها ثلاثُ سنوات. وقالَ أَبو القاسمِ السُّهَيْلي: جاءَ في بعضِ الأَحاديثِ المسندةِ أَنَّ مدةَ هذه الفترةِ كانتْ سنتَيْن ونصفاً، وقالَ السيوطي: إنها كانتْ سنتين...».

وعَلَّقَ الفادي المجرمُ على هذا الادِّعاءِ بقوله: «ونحنُ نسأَل: كيفَ يُحاولُ نبيٌّ الانتحارَ؟ ويقولُ القرآنُ معاتباً محمداً: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ ...﴾ أَيْ: قَاتِلُهَا غمّاً»[1].

وما نَقَلَه الفادي عن كتب إسلامية مردودٌ وباطل، ولم يُنقلْ هذا بروايات صحيحة. فالرسولُ ﷺ لم يَشرعْ في الانتحار، ولم يُفكرْ في قَتْلِ نفسِه، ولم يكنْ يَتَنقلُ بين رؤوسِ جبالِ مكة، ليتردّى منها، فيلاحقُه جبريلُ ويُناديه، ويُطَمئنُه أَنه رسولُ الله.

لقد كانَ رسولُ الله ﷺ يوقِنُ أَنه رسولُ الله، منذُ أَنْ أَنزلَ اللهُ عليه الوحي، وكان على بينةٍ من ربِّه وقد شهدَ اللهُ له بتلك البينة في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [هود: ١٧].

ومن جهلِ الفادي وغبائِه أَنه لم يُحسنْ فهمَ آيةٍ من القرآن، فيها تسليةٌ لرسولِ الله ﷺ. وهي قولُ الله ﷻ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

لا تتحدَّثُ الآيةُ عن رغبةِ الرسولِ ﷺ في الانتحارِ والتخلُّصِ من الحياة، كما ادَّعى الفادي المجرم، وإنما تشيرُ الآيةُ إلى اهتمامِ الرسولِ ﷺ بقومه، وحرصِه على هدايتهم، وتألُّمِه من تكذيبِهم وكفرِهم، وتَدْعوهُ الآيةُ إلى

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٣٢.

أَنْ لا يُهلكَ نفسَه هَمّاً وغَمّاً وحُزْناً عليهم، ومن المعلومِ أنه إذا زادَ الهَمُّ والغَمُّ عند إنسانٍ، فإنه قد يَقْضي عليه.

٢٣٢

خرافة امتحان خديجة لجبريل

انتقلَ الفادي الجاهلُ من ادِّعاءِ محاولاتِ الرسولِ ﷺ الانتحارَ إلى ادِّعاءٍ آخرَ، أَشَدَّ منه بُطْلاناً، وأَكْثَرُ غرابة. وهو أَنَّ الرسولَ ﷺ لم يكنْ متأكِّداً أَنَّ الذي يأْتيه هو جبريل، وظَنّ أنه يُمكنُ أَنْ يكونَ جنِّيّاً شيطاناً، فكلَّفَ امرأتَه خديجةَ أَنْ تمتحنَه، فتأكَّدَتْ أنه جبريلُ وليسَ شيطاناً.

قالَ المفتري في افترائِه وادِّعائِه: «مَنْ نَظَرَ في الأَحاديث التي هي عندَ المسلمين بمنزلة القرآن، في الاعتقاداتِ والمعاملات، رأى أَنَّ محمداً كان غيرَ متأكِّدٍ من وحْيه».

كَذَبَ المفْتَري عندما ادَّعى أَنَّ الأَحاديثَ عند المسلمين بمنزلةِ القرآن.. ولم يَدَّعِ أَحَدٌ من المسلمين هذا الادِّعاء، فمن البدَهيّات عندَ كُلِّ مسلم أَنَّ الأَحاديثَ ليستْ بمنزلةِ القرآن؛ لأَنَّ القرآنَ كلامُ الله، والأَحاديث كَلامُ رسولِ اللهِ ﷺ، وهما ليسا بمنزلةٍ واحدة.

وادَّعى المجرمُ أَنَّ الأَحاديث تدلُّ على أَنَّ محمداً كانَ غيرَ متأكِّدٍ من الوحي، مع أَننا ناقَشْناهُ في هذا الادِّعاء قبلَ قليل، وبَيَّنّا أَنّه كان على يَقينٍ كاملٍ أَنه رسولُ الله.

وزَعَمَ الفادي المفتري أَنَّ خديجةَ رضي الله عنها طَلَبَتْ من الرسولِ ﷺ أَنْ يُخبرَها بقدوم جبريل؛ لأَنَّها نَوَتْ أَنْ تمتحنَه.. فلما قَدِمَ جبريلُ أَخبرها.. فطلبتْ منه أَنْ يَجلسَ على فَخذها، فجلسَ وما زالَ يَرى جبريل. فأَلْقَتْ خِمارَها عن رأْسِها وكَشَفَتْ شَعْرَها، ولما رأى جبريلُ شعْرَها خرجَ من البيت. فقالَتْ خديجة: يا بْنَ عَمّي! اثبتْ وأَبْشِرْ.. فواللهِ إنه لَمَلَكٌ وليس بشيطان.

وعَلَّقَ الفادي المفتري على هذه الرواية بقوله: «ومن أَقوالِ العلماءِ هذه نرى أَنَّ خديجة هي التي استنتجتْ بأَنَّ الذي كانَ يعرضُ له هو حاملُ الوحي، الذي كان يأتي الأَنبياء.

ونحنُ نسأل: وهل تَرَبَّتْ خديجةُ بين الأَنبياء؟ أَو هل كانَ في عشيرتها نبيٌّ، كان يَعْتَريه مثلُ هذه الحالة، فتقيسُ عليه حالةَ محمد؟ وكيف عَرَفَتْ تلك القاعدة الغريبة أَنَّ المَلَكَ لا يرى الرأسَ المكشوفة، والجنُّ يراها؟ وأَيُّ نبي قبل محمدٍ جلسَ في حجرِ زوجتِه، فأَكَّدَتْ له أَنَّ جبريلَ هو الذي يأْتيه؟»[1].

هذه الروايةُ التي نُسبتْ لخديجةَ ﵂ في امتحانِ جبريلَ روايةٌ مردودةٌ وباطلة، ولم تَرِدْ بسَنَدٍ صَحيحٍ عن أَحَدٍ من أَصحابِ رسولِ الله ﷺ، وقد رَدَّها وأَنكرَها علماءُ الحديثِ الثقات، ولكنَّ الفادي لجهلِهِ المطبقِ لا يُحسنُ انتقاءَ الرواياتِ الصحيحة، ولا التمييزَ بين الصحيحِ والمردود.

وإِذا كانت الروايةُ مردودة، فإِنَّ تعليقَ الفادي عليها مردود، والنتيجةُ التي خرجَ بها منها مردودةٌ!.

٢٣٣

سخرية المجرم من رسول الله ﷺ

وَضَعَ الفادي عنواناً مثيراً هو: «عَلامَ يَحسدونَه؟». واعترضَ فيه على قولِ اللهِ ﷻ عن اليهود: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤].

تتحدَّثُ الآيةُ عن حَسَدِ اليهودِ للرسولِ ﷺ، لِما آتاهُ اللهُ من فضْلِه، وهي النبوةُ التي خَصَّهُ اللهُ بها. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٣٣.

فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥١ ـ ٥٤].

كانَ اليهودُ يَطمعونَ أَنْ يَكونَ النبيُّ الخاتمُ منهم، فلما اختارَهُ الله من غيرِهم كَفَروا به، وجَعَلوا المشركينَ أَقربَ منه إلى الله، وفَعَلوا ذلك حَسَداً منهم له، لقد حَسَدوهُ على ما آتاهُ اللهُ من النبوة، وحَسَدوا الأُمَّةَ المسلمةَ على ما آتاها اللهُ من الهدى، ولذلك كانوا أَشَدَّ الناسِ عداوةً للرسولِ ﷺ وأُمَّتِه.

وقد تجاوزَ الفادي المفتري المجرمُ هذا المعنى الصحيح للآية، واعتمدَ معنىً باطلاً، وتكلّمَ عن رسولِ اللهِ ﷺ بسفاهةٍ وسخريةٍ وقلّةِ أَدب. زَعَمَ المجرمُ أَنَّ الآيةَ تتحدَّثُ عن «فُحولةِ» الرسولِ ﷺ، وأَنَّ اللهَ آتاهُ القدرةَ على معاشرةِ وجماع نسائِه كلِّهنَّ في يومٍ واحد!.

قالَ فَضَّ اللهُ فاه: «قالَ ابنُ عباس: قال أَهْلُ الكتاب: زَعَمَ محمدٌ أَنه أُوتي ما أُوتيَ في تواضُع، وله تسعُ نسوة، وليس هَمُّه إِلّا النكاح.. فأَيُّ مُلْكٍ أَفضلُ من هذا؟ فقال محمدٌ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾.. ويَفتخرُ المسلمونَ بأَنَّ محمداً كانَ يَدورُ على نسائِه (أَيْ يُجامعُهنَّ) في الساعةِ الواحدةِ من النَّهارِ أَو الليل، وهُنَّ إِحْدى عشرةَ امرأة.. قالَ قتادةُ بنُ دعامة لأَنَسِ بنِ مالك: أَوَ كانَ يُطيقُ الدورانَ عليهنَّ كُلِّهن؟ فقالَ أَنس: كُنّا نَتَحَدَّثُ أَنه أُعطيَ قُوةَ ثلاثينَ رَجُلاً ـ وفي روايةٍ: قوةَ أَربعينَ رجلاً ـ من أَهْلِ الجنةِ! وَوَرَدَ في الحديث: قالَ محمد: أُعطيتُ قوةَ أَربعينَ رجلاً من أَهل الجنةِ في البطشِ وفي الجماع!! وَرَوَوا أَنَّ الرجلَ من أَهلِ الجنةِ ليُعطى قوةَ مئةِ رَجُلٍ في الأَكْلِ والشربِ والجماعِ والشهوة.. وقال محمد: أَتاني جبريلُ بقِدْرٍ، فأَكَلْتُ منها، فأُعطيتُ قُوةَ أَربعينَ رَجُلاً من رجالِ الجنة.. وشكا محمدٌ إِلى جبريلَ قلةَ الجماع، فتبسَّمَ جبريلُ حتى تلأْلأَ مجلسُ محمدٍ من بريقِ ثنايا جبريل، فقال له: أَينَ أَنتَ من أَكْلِ الهريسة؟!»[1].

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٣٣ ـ ٢٣٤.

وكلُّ الرواياتِ التي أَوردَها الخبيثُ باطلةٌ مردودة، لم تَصحّ روايةٌ واحدةٌ منها، فهو يَضَعُ في كتابهِ المتهافتِ الكلامَ الباطلَ الساقط، ثم يتحدثُ عن رسولِ الله ﷺ ببذاءةٍ وانعدامِ حياء، وبتهكُّمٍ وسخريةٍ واستهزاء، ويَجعلُ ذلك دليلاً على عدمِ نبوَّتِه ﷺ!.

٢٣٤

حول المرأة التي وهبت نفسها للرسول ﷺ

سَبَقَ أَن اعترضَ الفادي المجرمُ على القرآنِ في قولِه تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ . .﴾ [الأحزاب: ٥٠]. وسَبَقَ أَنْ رَدَدْنا على اعتراضِه المتهافت. وأَعادَ الكلامَ على هذه المسألةِ في اعتراضِه على سيرةِ رسولِ الله ﷺ، ورَدَدْنا على اعتراضِه. . وها هو يُعيدُ ويُكررُ القولَ عن هذه المرأةِ هنا، ونُذَكِّرُ بما رَدَدْنا عليه فيما مضى ونُحيل عليه.

٢٣٥

حول إرجاء وإيواء الرسول ﷺ من يشاء من نسائه

وسَبَقَ أَن اعترضَ الفادي المجرمُ على القرآنِ وعلى الرسولِ ﷺ في تخطئته لقوله تعالى: ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ . .﴾ [الأحزاب: ٥١]. ورَدَدْنا عليه في حينِه، فلا داعيَ لإعادةِ ذكرِ اعتراضِه، وإِعادَةِ رَدِّنا عليه.

واعترضَ الفادي المجرمُ على تحريم أَزواجِه على المسلمين، الذي وَرَدَ في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ

مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. وادَّعى أَنَّه هو الذي حَرَّمَ ذلك على أَصحابِه. وأَلَّفَ الآيةَ زاعِماً أَنَّ اللهَ أَنزلَها عليه. وقد سبقَ أَنْ رَدَدْنا عليه في هذه المسألةِ أَيْضاً.

٢٣٦

هل أثبت الرسول ﷺ أقوال أهل الكتاب في القرآن؟

اخْتارَ الفادي المفتري عِنواناً مُثيراً هو: «اقتبسَ أَقوالَ أَهْلِ الكتاب» زَعَمَ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان يأخذُ أَقوالَ اليهودِ والنصارى، ويَضَعُها في القرآن، ويزعمُ أَنَّ اللهَ أَوحى إِليه بها.

واعترضَ على قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

نَقَلَ المجرمُ عن بعضِ المسلمين ما قيلَ عن سببِ نُزولِ الآية، وتَعيينِ الأَشخاصِ الذين اتَّهمهم المشركون بتأْليفِ القرآن، وأَنَّ الرسولَ ﷺ أَخَذَ القرآنَ منهم.. والذين نَقَلَ عنهم هم ابنُ عباس ﵄، ومحمدُ بنُ إِسحاق صاحب السيرة، والبيضاويُّ صاحبُ التفسير.

والأَعاجمُ في مكة الذين اتُّهِموا بتأْليفِ القرآنِ بالأَعجمية، وعَلَّموهُ للرسولِ ﷺ فصاغَهُ بالعربية هم: الحَدّادُ النصراني «بَلْعام»، و«يَعيش» غلامُ بني المغيرة، و«جَبْر» الغلامُ الروميُّ لبعضِ بني الحضرميّ، و«يَسار» الغلامُ الفارسي من عينِ التمر، وكان جَبر ويَسار حَدّادَيْن يصنعانِ السّيوفَ في مكة، والغُلام «عائش» النصراني، عبدٌ لحويطبِ بن عبد العزى، و«عَدّاس» غلامُ عتبةَ بن ربيعة.

وبعدَما ذَكَرَ أَسماءَ هؤلاءِ عَلَّقَ المفتري على القصةِ بقوله: «ونحن نسأل:

اتهمَ العربُ محمداً أنه يتعلمُ الأخبارَ من غيرِه ثم ينسبُها لنفسِه، ويزعمُ أنها وحيٌ إليه من الله، فلماذا لم يُقدم لهم البرهانَ أنه يتلقى أقوالَه من الله رأساً؟ إنَّ رَدَّه أَنَّ الذي يَسمعُ أقوالَه أعجميٌّ اعترافٌ بالاقتباس؛ لأنه صاغ ما سمعَ من معانٍ بأُسلوبه العربيِّ الفصيح»[1].

زعمَ الكفارُ أَنَّ القرآنَ ليس كلامَ الله، وإنما هو من تأليفِ بَشَرٍ كان يُعَلِّمُ محمداً ﷺ، واختلفَ الرواةُ في تحديدِ اسمِ ذلك الشخصِ الأعجمي، ومن الأَسماءِ التي رَدَّدَها الرواة: بلعام ويعيش وجبر ويسار وعداس.

ورَدَّت الآيةُ على هذا الزعمِ المتهافت بأَنَّ لسانَ ذلك الشخصِ أَعجمي، والقرآنُ لسانٌ عربيٌّ مبين، فكيفَ للأعجميِّ الذي لا يَعرفُ إلّا بضْعَ كلماتٍ مكسَّرَةٍ عربية أَنْ يُؤَلِّفَ كلاماً عربيّاً بلغَ الذروةَ في البلاغةِ والفصاحة؟!.

وهذا الرَّدُّ لم يُعجب الفادي المفتري، وقد رَدَّدَ اتهاماتِ المشركين، وادَّعى أَنَّ الرسولَ ﷺ لم يُقدِّم للكفارِ البرهانَ على أنه يتلقّى القرآنَ من الله! وهذا ادِّعاءٌ باطل، فكلُّ القرآنِ دليلٌ على أنه كلامُ الله، وكُلُّ حياةِ الرسولِ ﷺ دليلٌ على أَنَّ القرآنَ وحيٌ من اللهِ إليه، وأَنه رسولُ الله ﷺ.

وتكفي الإشارةُ إلى آياتِ التحدي، التي طالَبَ اللهُ فيها الكفّارَ بالإتيانِ بعشْرِ سورٍ أَو بسورةٍ مثلِ القرآن، فإنْ عَجزوا عن ذلك فليعلموا أَنه من عندِ الله. قالَ الله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣ ـ ١٤].

ومن جهلِ الفادي أنه لم يعرفْ معنى قولِه تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ﴾ حيثُ ادَّعى أنه اعترافٌ بالأخْذِ عن الأعجمي: «إنَّ رَدَّه

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٣٦.

بأَنَّ الذي يَسمعُ أَقوالَه أَعجميٌّ اعترافٌ بالاقتباس، وأَنه صاغَ ما سمعَ من معانٍ بأُسلوبِه العربيِّ الفصيح!».

لم يَعترف الرسولُ ﷺ بأَنه يَسمعُ كلامَ الأَعجميِّ جبر أو يسار أَو غيرهما، باللغةِ الأَعجمية، ويأخذُ المعنى منه، ويقتبسُ الفكرةَ منه، ثم يصوغُ ذلك المعنى الأَعجميَّ بلسانِه العربي!.

إنَّ معنى قوله تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ﴾: لسانُ الشخصِ الذي يَميلونَ إليه، ويَنسبونَ إليه تأليفَ القرآن، ويَدَّعونَ أنه من عندِه، أَعجمي، فكيفَ للأَعجميِّ أَنْ يأتي بهذا البيانِ العربيِّ المبين؟.

وقَدَّمَ الفادي المفتري دَليلاً على أَنَّ محمداً ﷺ اقتبسَ الأَفكارَ القرآنيةَ من الأَعجميِّ في مكة، ثم صاغَها بالعربية، هو انتشارُ قصص التوراةِ والإِنجيلِ في بلادِ العرب، وورودُها في أَشعارِ بعضِ الشعراء، وذَكَرَ أَبياتاً لأُميةَ بن أَبي الصلت زَعَمَ أَنه أَخَذَها من سِفْرِ التكوين، وأَبياتاً للسموءل زعم أنه أخذها من سفر الخروج.

كما ادَّعى أَنَّ النصرانيةَ كانتْ منتشرةً في بلادِ العَرَب، وكان لها كنائسُ في نجران، وأَنَّ «قِسَّ بن ساعدة» كان نصرانياً، ولذلك انتشر الفكر النصراني في بلاد العرب.

وفَرْقٌ بين انتشارِ بعضِ الأَفْكارِ اليهوديةِ والنصرانيةِ في بعضِ بلادِ العرب، وبينَ إِنزالِ القرآن على رسولِ الله ﷺ.

٢٣٧

هل شتم الرسول ﷺ الذين شتموه؟

ادَّعى الفادي المفتري أَنَّ الرسولَ ﷺ كانَ يُقابلُ شتمَ أَعدائِه بشتمِهم ولعْنِهم وسَبِّهم، ونسبَ له تسجيل هذه الشتائم في القرآن.

لما ماتَ ابنُ الرسولِ ﷺ من خديجة عَيَّرَه بذلك العاصُ بنُ وائل، أَحَدُ

زعماءِ المشركين، وقال: محمدٌ أبترُ لا عَقِبَ له. قال الفادي المفتري: «فقالَ محمد: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ فإنْ عَيَّروه بأنه أبترُ فإِنَّ شانئَه ومبغضَه هو الأبتر»!.

فهو يُصرحُ بأَنَّ محمداً ﷺ أَلَّفَ سورةَ الكوثر، للردِّ على شتْمِ العاصِ له بشتْمِه، ولا يَعترفُ بأَنَّ اللهَ هو الذي أَنزلَ سورةَ الكوثرِ عليه، وأَن اللهَ هو الذي دافعَ عن رسولِه ﷺ، وهو سبحانه الذي وَصَفَ عدوَّه بأنه أبتر مقطوعُ الذِّكْر.

وادَّعى الفادي المفتري بأنَّ الرسولَ ﷺ هو الذي رَدَّ على شتْمِ عَمِّه أَبي لهب له بشتيمةٍ مقابلة. فعندما جمعَ أَقاربَه، ودَعاهم إِلى الإيمان، شَتَمَه أَبو لهب قائلاً: تَبّاً لك، أَلهذا جمعتنا؟. قال الفادي المفتري: «فَسَبَّهُ محمدٌ قائلاً: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾. أَيْ: هلكَتْ نفسُ أَبي لهب، وسيدخلُ ناراً، وسبَّ امرأَةَ عَمِّه قائلاً: إِنها حَمّالَةُ الحَطب، الذي يَحرقُها في جهنم، وإِنَّ في عنقِها حَبْلاً يَقْتُلُها ويَخنقُها.. فكانَ يُكيلُ اللعناتِ لكلِّ مَنْ قاوَمَه!. وأَينَ محمدٌ من السيدِ المسيح الذي «إِذا شُتِمَ لم يكنْ يَشْتُمُ عِوضاً» والذي قال: باركوا لاعِنيكم؟»[1].

ما زالَ المفتري مُصِرّاً على أَنَّ الرسولَ ﷺ هو الذي أَلَّفَ القرآن، فلما شَتَمَه عَمُّه أَبو لهب أَلَّفَ سورةَ المسد شاتِماً عَمَّه وامرأَةَ عَمِّه! فهو لا يعترفُ بأَنَّ اللهَ هو الذي أَنزل سورةَ المسد، وأَنَّهُ هو الذي حكمَ على أَبي لهبٍ بالتَّبابِ والخسارةِ لكفْرِه، وأَنَّ اللهَ هو الذي لَعَنَه.

ويَكذبُ المفتري عندما يَدَّعي أَنَّ الرسولَ ﷺ كان «يَكيلُ اللعناتِ لكلِّ مَنْ قاوَمَه». فالرسولُ ﷺ على خُطا أَخيهِ المسيحِ رسولِ اللهِ عليه الصلاة والسلام، ولم يكنْ يَلْعَنُ إِلّا مَنْ لَعَنَه الله، وكان ﷺ عفيفَ اللِّسان، فلم يكنْ سَبّاباً، ولا لَعّاناً، ولا شَتّاماً، ولا فاحِشاً بذيءَ اللِّسان، وكان يَنهى أَصحابَه

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٣٨ ـ ٢٣٩.

عن هذه التصرفاتِ والألفاظ، وكان يَعفو ويصفح، ولا يُقابلُ السيئةَ بالسيئة، ولا الشتيمةَ بشتيمة!!.

٢٣٨

حول غزوات الرسول ﷺ

وَقَفَ الفادي أَمامَ جهادِ رسولِ الله ﷺ، ونَقَلَ أسماءَ غزواتِه، التي بَلَغَتْ تِسْعاً وعشرينَ غَزوة، وهي المعاركُ التي خاضَها بنفسِه، وذَكَرَ أَنَّ سراياهُ زادَتْ على سبعين، فيكونُ مجموعُ الغزواتِ والسرايا مئة.

وذَكَرَ خُلاصةَ بعضِ الغزوات والسرايا، مثلُ سريةِ ابنِ الحَضْرَمي، وغزوةِ أُحُد، وغزوةِ حُنَيْن، وغزوةِ بدر، وغزوةِ بني النضير[1].

وهو يتكلمُ عنها بأُسلوبِه القائمِ على اتهامِ النبيِّ ﷺ، ورفْضِ نبوته، والزعمِ بأَنه هو الذي أَلَّفَ القرآن.

من ذلك قولُه: «وقد سجلَ محمدٌ في قرآنِه الكثيرَ من غزواتِه وسراياه».. وقولُه عن سريةِ ابن الحضرميّ: «... وغَضِبَ محمدٌ لاستباحةِ أَصحابِه القتالَ في الشهرِ الحرام، ثم استحلَّ ذلك، وقَسَّمَ الغنائم لنفسِه وأَصحابِه..». وقد سبقَ أَنْ ذَكَرْنا تفاصيلَ قصةِ سريةِ ابن الحضرمي، التي هي في الحقيقةِ سريةُ عبدِ الله بن جحش رضي الله عنه.

ومن ذلك قولُه عن غزوةِ أُحُد: «... فأَخَذَ محمدٌ في لعنِ الذين هَزموه، وحاولَ إِنعاشَ أَفئدةِ الذين انْهزموا، فقالَ لهم: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]».

وادَّعى الفادي المفتري أَنَّ رسولَ الله ﷺ أَخَذَ عبارةً من إِحدى النساء، وسَجَّلَها في قرآنِه. وهي عبارة: «يَتخذُ اللهُ من عبادِه الشهداء»، قال: «فقالت

---

(١) انظر: هل القرآن معصوم؟، ص٢٣٩ ـ ٢٤٣.

المرأة: يتخذُ اللهُ من عبادِه شهداء. فاقتبسَ محمدٌ عبارتَها، وجَعَلَها وحْياً»!!.

وادَّعى المفتري أَنَّ الرسولَ ﷺ أُعجبَ بكثرةِ أَصحابِه في غزوةِ حُنَيْن، فقال: «لن نُغْلَبَ اليومَ من قلة» فهزمَهم الله!. والصحيحُ أَنَّ الذينَ قالوا هذا القولَ هم «الطُّلَقاء»، الذين أَسلموا يومَ فتحِ مكة، والذين لم يَتعمق الإِيمانُ في قلوبهم، فأُعجبوا بكثرتهم، فأَدَّبَهم الله، أَما الرسولُ ﷺ فإِنه لا يُمكنُ أَنْ يقولَ ذلك، لقوةِ توكُّلِه على الله.

ومع أَنَّ حديثَه عن أَهم غزواتِ رسولِ الله ﷺ كانَ مُخْتَصَراً، إِلّا أَنه لم يكنْ في مجملِه صحيحاً؛ لأَنه لم يأْخُذْه من المصادرِ الإِسلاميةِ الصحيحة، ولذلك أَخطأَ في عرضِ بعضِ الأَحداث، إِضافةً إِلى تأْكيدِه المتواصلِ على أَنه هو الذي كان يُؤَلِّفُ القرآنَ من عنده، وأَنه ليس رسولاً من عند الله!!.

٢٣٩

إشاعة إبادة الكلاب في المدينة

ذَكَرَ الفادي المفتري أُسطورةَ إِبادَةِ الكلابِ في المدينة. قال: «عن أَبي رافعٍ قال: جاءَ جبريلُ إِلى محمدٍ يستأْذِنُه، فأَذِنَ له، فلم يَدْخُل. فقال: إِنّا قد أَذِنّا لك فلِمَ لَمْ تَدْخُل؟ فقال: إِنّا لا ندخلُ بيتاً فيه كَلْب! قالَ أَبو رافع: فأَمَرني أَنْ أَقتُل كُلَّ كَلْبٍ في المدينة! ففعَلْتُ، حتى انتهيتُ إِلى امرأةٍ عندها كَلْبٌ ينبحُ عليها، فتركْتُه رحمةً لها، ثم جئتُ إِلى محمد، فأَمَرني بقتله.. فأَتى عديُّ بنُ حاتم وزيدُ بنُ المهلهل الطائِيَّيْن، فقالا: يا رسولَ الله، إِنّا قومٌ نَصيدُ بالكلاب، فماذا يحلُّ لنا؟ فقالَ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة: ٤]».

وعَلَّقَ على هذه الإِشاعةِ بقوله: «ونحنُ نسأل: إِنْ كانَ جبريلُ لم يدخُلْ بيتَ محمدٍ لسببِ الكلابِ التي فيه، فلماذا لم يكتفِ محمدٌ بقَتْلِ كلابِ بيتِه فقط؟ ولماذا أَمَرَ بقَتْلِ كَلْبِ المرأةِ المسكينة، التي رَقَّ لها أَبو رافع ولم يشأْ

أنْ يقتلَ كَلْبَها، وفي الوقتِ نفسِه استحيا كلابَ الأغنياءِ للصَّيْد؟ ثم إنَّ الكلابَ كانتْ في بيتِ محمدٍ وفي المدينة، قبلَ قَتْلِ الكلاب، فكيفَ كان جبريلُ يأْتي محمداً قبلَ قتْلِها؟ إنْ كانَ جبريلُ يكرهُ الكلابَ، ألا نقولُ: إنَّ الذي كانَ يأْتي محمداً أَوَّلاً هو غيرُ جبريل؟»[1].

إنَّ ما ذَكَرَه الفادي المفتري أُسطورةٌ مكذوبة، فلم يكنْ في بيتِ رسولِ الله ﷺ كَلْب، ومن ثم لم يحدثْ أَن امتنعَ جبريلُ من الدخولِ بسببِ الكلب، ولم يأْمر الرسولُ ﷺ أبا رافعٍ بقَتْلِ جميعِ الكلابِ في المدينة.

وإذا كانت القصةُ مكذوبةً باطلة، فكلُّ ما بناهُ الفادي المفتري عليها من نتائج فهو باطلٌ مردود.

٢٤٠

حول تبشير عيسى بمحمد عليهما الصلاة والسلام

قالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

تُخبرُ الآيةُ أَنَّ عيسى ؈ بَشَّرَ بالنبيِّ الخاتمِ محمدٍ ﷺ، ولكنَّ الفادي المفتري لم يأْخُذْ بما قَرَّرَته الآية، وسَجَّلَها تحتَ عنوانَ: «لم تَتَنَبَّأ التوراةُ به».

وزَعَمَ أَنَّ القرآنَ يَشهدُ بحفظِ وسلامةِ التوراة، وأَوردَ آياتٍ لم يَفْهَمْ معناها الصحيح. قال: «يَشهدُ القرآنُ أَنَّ التوراةَ حُفظَتْ صحيحة سليمةً من كُلِّ تحريفٍ إلى أَيام المسيح، قالَ في سورةِ آل عمران (٤٨): ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾.. وشهدَ القرآنُ في مواضعَ كثيرة أَنَّ التوراةَ بَقيتْ بغيرِ تحريف، من وقْتِ المسيحِ إلى وقْتِ محمد، قالَ في سورةِ آلِ عمران: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٤٤.

بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣]. وكذلك شهدَ القرآنُ بسلامةِ الإنجيل، قالَ في سورةِ المائدة: ﴿وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

فالكتابُ المقدس إذَنْ صَحيح، لم يَعْتَرِهِ تَحريفٌ أَو تَبديلٌ أَو زيادةٌ أَو نقصانٌ. . وها هو الكتابُ المقدَّسُ كُلُّه، ليس فيه أيةُ إشارةٍ إلى إتيانِ محمدٍ كنبيّ، فمنْ أينَ جاءَ محمدٌ بأنَّ عيسى بَشَّرَ به؟»[1].

لم يُخبر القرآنُ أنَّ التوراةَ محفوظةٌ وصحيحةٌ وسالمةٌ من التحريفِ، كما ادَّعى الفادي المفتري، إنما جَزَمَ بتحريفِ اليهودِ للتوراة، وجاءَ هذا صريحاً في آياتٍ كثيرة. منها قولُه تعالى: ﴿فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

ومنها قولُه تعالى: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ﴾ [المائدة: ١٣].

نَقَضَ اليهودُ ميثاقَهم مع الله، وحَرَّفوا كلامَه الذي أنزلَه إليهم في التوراة، وكَتَبوا التوراةَ بأيديهم، وأَلَّفوا أسفارَها من عندهم، ثم نَسَبوها إلى اللهِ زوراً وبهتاناً.

من اليقينِ عندَ العلماءِ أنه لا تَناقُضَ بينَ آياتِ القرآن، فالآيَتانِ السابقتانِ صريحَتانِ في تحريفِ اليهودِ للتوراة، وعلَيْنا أنْ نفهمَ الآياتِ التي أوردَها الفادي على أَساسِ الآيتَيْن السابقتَيْن، لنُحسنَ فهمَ تلك الآيات.

أَخبرَ اللهُ أنه سيُعلِّمُ عيسى ابنَ مريمَ عليه السلام التوراة. قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٨]. فأيّ توراةٍ سيُعَلِّمُه الله؟ هل هي التوراةُ التي بأيدي الحاخامات، التي حَرَّفوها وأَلَّفوها من عندهم؟ كَلَّا.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٤٤ ـ ٢٤٥.

سيُعلمه التوراةَ التي أَنزلَها على موسى ﷺ، والتي جعلَ الإنجيلَ مُصَدِّقاً لها؛ لأَنَّ الكتابَيْنِ من عندِ الله! لقد عَلَّمَ اللهُ عيسى ﷺ التوراةَ التي أَنزلَها على موسى ﷺ، وذلك بما أَنزلَ عليه من كلامِ الإنجيل، وجعَلَه مُصَدِّقاً للتوراة، وناسِخاً لبعضِ أحكامها، ومُحَلِّلاً لبعضِ الأَشياءِ المحَرَّمَة فيها. قال تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].

ولَنْ يُعَلِّمَ اللهُ عيسى ﷺ التوراةَ المحَرَّفَة، التي شهدَ أنها مُحَرَّفَة، وأَخبرَ القرآنُ أَنها مُحَرَّفَة... فهما «توراتان»، التوراةُ التي أَنزلَها على موسى ﷺ، ثم عَلَّمَها لعيسى ﷺ، والتوراةُ التي حَرَّفَها اليهودُ، والتي تَبَرَّأَ اللهُ سبحانه منها.

وإذا ثَبَتَ أَنَّ الأَحبارَ حَرَّفوا التوراةَ قبلَ بعثةِ محمد ﷺ، فإِنَّ التوراةَ التي كانَتْ بين أَيدي اليهودِ في المدينةِ كانَتْ مُحَرَّفَةً أيضاً. وصَرَّحَ القرآنُ بأَنَّ اليهودَ في المدينةِ كانوا يمارسونَ جريمةَ التحريفِ المتواصلِ للتَّوراة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾ [المائدة: ٤١].

وبما أَنَّ اليهودَ في المدينة حَرَّفوا التوراة، وأَضاعوا التوراةَ الربانيةَ التي أَنزلَها اللهُ على موسى ﷺ، فقد تَحَدّاهُم اللهُ بالإِتيانِ بالتوراةِ الأَصْلِيَّة. قال تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣].

لا تُعتبرُ الآيةُ شاهدةً على اعتمادِ التوراة، وأَنها صحيحةٌ سليمةٌ من التحريفِ، وأَنَّ اليهودَ في المدينة كانوا يَلْتزمون بالتوراةِ الصحيحة، كما زعم الفادي المفتري.

إنَّ الآية إدانةٌ لليهودِ، بأنهم تَلاعبوا بالتوراةِ وحَرَّفوها، وغَيَّروا أَحكامَها، ومع ذلك زعموا أنهم ملتزمونَ بها، فتحدَّتْهم الآيةُ بإحضارِ التوراةِ الأصلية، ولن يستطيعوا ذلك، لأنهم أضاعوها.

أَخبرَ اللهُ أَنَّ كُلَّ أَنواعِ الطعام كانتْ مباحةً لبني إسرائيل، وأنه لم يُحَرِّمْ عليهم إلَّا الطعامَ الذي حَرَّمَه أبوهم إسرائيل ـ يعقوب عليه السلام ـ على نفسه، وهذا الطعامُ هو لحومُ الإبل، وهذا كان قبلَ إنزالِ التوراة؛ لأَنَّ إنزالَ التوراةِ كان على موسى عليه السلام، ويعقوبُ عاشَ قبلَ ذلك بمئاتِ السنين: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾.

فإذا لم يُسَلِّم اليهودُ في المدينةِ بهذه الحقيقةِ القرآنية، وكَذَّبوا القرآن، وزَعَموا أَنَّ الذي في التوراةِ خلافَ المذكورِ في القرآن، فعليهم أَنْ يَأْتوا بالتوراة، وأَنْ يَتْلوها، ويَستَخْرِجوا منها الكلامَ المتعارضَ من القرآن، وأَنْ يُقَدِّموا هذا للرسولِ صلى الله عليه وسلم وأصحابه: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾. وهم لن يستطيعوا ذلك، ولَن يأتوا بالتوراة؛ لأَنَّ التوراةَ الأَصلية مفقودةٌ، فمِنْ أَيْنَ يأْتونَ بها؟!.

وهكذا رأَيْنا الآيةَ تُدينُ اليهودَ ولا تُؤَيِّدُهم، وتُقررُ ضَياعَ التوراةِ، ولا تَشهدُ لها بأَنها صحيحةٌ وسالمةٌ من التحريف، كما ادعى الفادي!.

وزَعْمُ الفادي شهادةَ القرآنِ بسلامةِ الإنجيلِ من التحريفِ مردودٌ عليه، والذي قَرَّرَه القرآنُ هو عكسُ ذلك، فقد قَرَّر تَحريفَ الرهبانِ للإنجيل، وتأْليهَهُم لعيسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [المائدة: ١٤]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [النساء: ١٧١].

وقد أَمَرَ اللهُ أَهْلَ الإنجيلِ بأَنْ يَحكموا بما أَنزلَ اللهُ فيه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

ولا تدلُّ هذه الآيةُ على اعتمادِ الإنجيل، والشهادةِ له بعدمِ التغييرِ أو التبديل، كما ادَّعى الفادي الجاهل، إنما تُخبرُ الآيةُ عن أمْرٍ تاريخي، يُقَرِّرُ أَنَّ اللهَ بعثَ عيسى عليه السلام رسولاً، وأَنزلَ عليه الإنجيل، وأَمَرَ أَتْباعَه النصارى بالتحاكمِ إليه. وهذا قبلَ بعثةِ محمدٍ ﷺ، وقبلَ إنزالِ القرآنِ عليه.

أَمّا بَعْدَ البعثةِ فإِنَّ أَهْلَ الإنجيلِ مثلُ أَهْلِ التوراة، مأْمورون بالإيمانِ بالقرآن والحكم بما أنزلَ اللهُ فيه. قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ﴾ [المائدة: ٤٨].

ولذلك أَمَرَ اللهُ رسولَه محمداً ﷺ أَنْ يَحكمَ بين اليهودِ والنصارى بما أَنزلَ اللهُ عليه في القرآن. قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [المائدة: ٤٩].

ولذلك أَخبرَ اللهُ أَنَّ اليهودَ والنصارى ليسوا على شيء، حتى يُقيموا التوراةَ والإنجيلَ والقرآنَ. قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ﴾ [المائدة: ٦٨] والذي أُنزلَ إليهم من ربِّهم هو القرآن، وهذا معناهُ أَنَّ الإيمانَ الصحيحَ بالتوراةِ والإنجيلِ يَجبُ أَنْ يقودَ إلى الإيمانِ بالقرآن.

وبعد هذا التوضيح يَظهرُ كذبُ الفادي في ما قاله في نهايةِ كلامِه: «فالكتابُ المقدَّسُ إذنْ صحيح، لم يَعْتَرِه تحريفٌ أَو تبديلٌ أَو زيادةٌ أَو نقصان». فالقرآنُ جزَمَ بأَنَّ الكتابَ المقدَّسَ ـ بقسمَيْهِ التوراةِ والإنجيل ـ أَصابه ما أَصابَه من التحريفِ والتبديلِ والزيادةِ والنقصان!!.

وجَزَمَ الفادي المفتري بأَنَّ عيسى عليه السلام لم يُبَشِّرْ بالنبيِّ الخاتم ﷺ قال:

«وها هو الكتابُ المقدَّسُ كُلُّه، ليس فيه إشارةٌ إلى إتيانِ محمدٍ كَنبيّ، فمن أَيْنَ جاءَ محمدٌ بأَنَّ عيسى بَشَّرَ به؟».

وهو في هذا الافتراءِ يُكَذِّبُ القرآنَ تكذيباً صَريحاً مباشراً، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

وزَعَمَ أَنَّ الذي في الإنجيلِ أَنَّ المسيحَ وَعَدَ أَنْ يُرسلَ إلى تلاميذِه «الروحَ القُدُسَ» من بعدِه، وليس محمداً ﷺ. قال: «قالَ المسيحُ: إِنَّه بعد صُعودِهِ سيرسلُ إلى تلاميذِه «الروحَ القُدُسَ». وأَصْلُه باللغةِ اليونانية «البارقليط»، ومَعْناهُ «المعزّي». وهذه الكلمةُ تُقاربُ في لَفْظِها كلمةً يونانيةً أُخْرى، معناها «مَشهورٌ» أَو «مَمْدوحٌ» وهو معنى اسمِ محمد، فَظَنَّ محمدٌ أَنَّ هذا الممدوحَ الذي سيُرسلُه المسيحُ هو محمدا! ومنشأُ هذا الخطأ هو الالتباسُ بين الكلمتَيْن اليونانيَّتَيْن، ففهمَ العربُ غيرَ ما أَرادَهُ المسيح»[1].

نحنُ مع القرآنِ في جَزْمِه أَنَّ عيسى عليه السلام قد بَشَّرَ بمحمدٍ ﷺ: ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾. وما قالَه الفادي المفتري تَلاعُبٌ وتَحريفٌ وكتمانٌ للحقائقِ الهادية.

أَمّا البارقليط ومَعناها فنحتكمُ إلى رجلٍ متمكّنٍ من الإنجيلِ ولُغَتِه، عَرَفَ الحَقَّ وآمَنَ به وانْحازَ إليه، وفَضَحَ كاتمي الحَقِّ من القساوسةِ والرهبان، إنه المهْتَدي عبدُ الأَحَد داود.

كانَ عبدُ الأَحَدِ داود قِسّيساً كبيراً للكلدانيين التابعينَ للروم الكاثوليك، وكان اسمه: «دافيد بنجامين كلداني». وقد دَرَسَ الكتابَ المقدَّسَ دراسةً متأَنِّيَةً، ووَقَفَ فيه على بشاراتِ أَنبياءِ بني إسرائيل بمحمدٍ ﷺ، وبشارةِ عيسى الصريحةِ به.. وقادَهُ البحثُ إلى الحق، فاعتنقَ الإسلام، وأَلَّفَ كتاباً رائعاً هو: «محمد في الكتاب المقدس».

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٤٥.

ويهمُّنا هنا ذِكْرُ خلاصةِ ما قالَه عن البارقليط. قالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَرَدَتْ بشارةُ عيسى بأَحمدَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في إِنجيل يوحنا، في الإِصحاحاتِ الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر.

العبارةُ الصحيحةُ التي في إِنجيل يوحنّا هي قولُ عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «وسوفَ أذهبُ إِلى الآب، وسيرسلُ لكم رسولاً، سيكونُ اسْمُه «البرقليطوس» لكي يبقى معكم إِلى الأَبَد..».

والبرقليطوس هو: أحمد.

ولكنَّ النَّصارى حَرَّفوا العبارةَ إِلى قولِهم: «وسوفَ أَسأَلُ الآب، وسوفَ يُعطيكم برقليطوس آخر».

وفَرْقٌ بَعيدٌ ـ كما يقولُ عبدُ الأَحَد داود ـ بين الكلمةِ الأَصلية: «البرقليطوس» بالتعريفِ والتحديد، وبينَ الكلمةِ الأُخرى «برقليطوس آخر» بالتنكيرِ والتعميم، التي تدلُّ على أَنَّ عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عنده مجموعةٌ من «البرقليطيسيين». كلُّ واحدٍ منهم برقليطوس، أَيْ: هو مُعَزٍّ ووسيطٌ ومعينٌ.

وإِنَّ كلمةَ عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ المحددة: «البارقليطوس» كلمةٌ يونانية، معناها المحدَّدُ باللغةِ العربية: «الأَمْجَدُ الأَشْهَر»، وهو معنى «أحمد» باللغة العربية.

والصيغةُ الآراميةُ التي كان يتكلمُ بها عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هي: «مَحامْدا»، وهي متناسقةٌ مع الصيغةِ العربيةِ «محمد» أَو «أحمد» تماماً![1].

والخلاصةُ أَنَّ عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قالَ للحواريين باللغة الآرامية: «سوفَ أَذهبُ إِلى الآب، وسيرسلُ لكم رسولاً، سيكونُ اسْمُه «مَحامْدا»، لكيْ يبقى معكم إِلى الأَبد».

ولما كتبَ يوحَنّا هذه العبارة، ونَقَلَها من الآراميةِ إِلى اليونانية، ترجَمَ كلمةَ «مَحامْدا» إِلى كلمةِ «البارقليطوس»، ومعناها الأَحْمَدُ الأَمْجَدُ الأَشْهَرُ. وفعلُه صحيح.

---

(١) محمد في الكتاب المقدس، لعبد الأحد داود، ص٢١٩ ـ ٢٢٣.

لكنْ لما أَعادَ الرهبانُ كتابةَ إِنجيلِ يوحَنّا باليونانية أَرادوا طمسَ بشارةِ عيسى بمحمد ﷺ، فَحَرَّفوا الكلمة، ونَقَلوها من معناها المحدَّدِ إِلى المعنى الأَعَمّ، وحوّلوا كلمةَ «البارقليطوس» إِلى كلمةِ «بارقليطوس آخر»، التي معناها: المعَزّي أَو المعين.

وزَعَمَ الفادي أَنَّ عيسى لم يُبَشِّرْ بمحمدٍ عليهما الصلاة والسلام، ودَعا إِلى قراءةِ الأَناجيلِ لاستخراجِ هذه البشارة.. وها هو البروفسورُ المهتدي عبدُ الأَحد داود يُقَدِّمُ لنا تلك البشارة، ويُرينا تَحريفَ الرهبانِ لها!!.

٢٤١

ما معنى الأمي والأميين؟

وَقَفَ الفادي أَمامَ وَصْفِ الرسولِ ﷺ بالنبيِّ الأُمِّي، وهو الوصْفُ الذي وَرَدَ في قولِه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وزَعَمَ أَنَّ سبَب وَصفِه بذلك أنه لم يكنْ أَصْلُه يهودياً، ولم يكنْ من أَهلِ الكتاب؛ لأَنَّ الأُمّيّين عند اليهودِ هم الأُمَمُ من غيرِ اليهود. وزَعَمَ الفادي أَنَّ القرآن: «جرى على هذا القياس، فسمى اليهودَ والنصارى «أَهْلَ الكتاب»، وما عَداهم «الأُمّيّين». فأَهْلُ الكتابِ اسْمٌ علم على اليهودِ والنَّصارى، والأُمّيّون اسْمُ عَلَمٍ على جَميعِ العَرَبِ وغيرِهم.. ولهذا سُمِّيَ محمدٌ بالنبيِّ الأُمّيّ، لأَنه غريبٌ عن الشعبِ المختار، الذي أَقامَ اللهُ منه جميعَ الأَنبياء وجعلَ خاتَمَهم كلمتَه المسيحَ مُخَلِّصَ العالَم»(١).

وزَعْمُ الفادي مردود، لا تَشهدُ له اللغة، ولا يُؤَيِّدُه المعنى.

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٤٥ ـ ٢٤٦.

إنَّ «الأُمِّيَّ» منسوبٌ إلى «الأُمِّ»، وهي والدةُ الإنسانِ التي أَنجبَتْه، تقول: أُمٌّ، وأُمِّيٌّ. كما تقول: شافع وشافِعِيّ. والأُمِّيُّ هو الذي لا يُحسنُ الكتابة؛ لأَنَّ الكتابةَ تَحتاجُ إلى مَهارةٍ وتدريبٍ وخبرة. وسُمِّيَ الذي لا يُحسنُ الكتابة أُمِّيّاً، تَشبيهاً له بحالةِ خروجِه من رَحِمِ أُمِّه؛ لأَنه خَرَجَ وهو جاهل، لا يَعلمُ شيئاً، ثم حَصَّلَ التعليمَ فيما بَعْد. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ [النحل: ٧٨].

وَصَفَ اللهُ رسولَه الخاتَم ﷺ بالأُمِّيَّة. قالَ تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. لأنه ﷺ لم يَتعلم القراءةَ والكتابة، وهذا الوصْفُ لا يَعْني الذَّمَّ والإِنْقاص، إنما هو وَصْفٌ لحالةٍ وواقع، فلا يُعابُ الرسولُ ﷺ على أُمِّيَّتِه؛ لأَنَّه لم تُيَسَّرْ له ظروفُ التعلُّم والكتابة، لا سيَّما أَنَّ الأُميةَ كانتْ منتشرةً في بلادِ العربِ في ذلك العصر، والذين تَعَلَّموا الكتابةَ كانوا قليلين.

وجَعَلَ القرآنُ أُمِّيَّةَ النبيِّ ﷺ دَليلاً على أَنَّ القرآنَ كلامُ الله، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

ولم تأْتِ الأُمِّيَّةُ وَصْفاً لرسولِ الله ﷺ وَحْدَه، وإنما كانَتْ وَصْفاً للعربِ في الجاهلية، وهي إخبارٌ عن واقِعِهم، وليس ذَمّاً لهم. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢].

وبهذا نَعرفُ خَطَأَ الفادي عندما جَعَلَ الأُمِّيِّينَ كُلَّ الأَقوامِ من غيرِ اليهود، مهما كانت أَجناسُهم، عَرَباً أَو عَجَماً. إنَّ هؤلاء يُسَمِّيهم اليهودُ «أُمَمِيِّين»، والمفرد: أُمَمِيٌّ، وهو منسوبٌ إلى الأُمَم وليس إلى الأُمّ. تقول: أُمَمٌ، وأُمَمِيٌّ. والأُمَمُ جمعُ أُمَّة، وهي المجموعةُ من الناس.

وأَطْلَقَ اليهودُ وَصْفَ «الأُمّيين» على العربِ الذين كانوا حولَهم. وعلى

هذا قولُه تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥].

٢٤٢

عودة إلى دعوى التناقض في القرآن

عادَ الفادي المفتري إلى ادِّعاءِ التَّناقُضِ في القرآن، وقد سَبَقَ أَنْ ناقَشْناهُ مُطوَّلاً في الآياتِ التي زَعَمَها مُتناقضة، وقد جَمَعْنا بينَها وأَزَلْنا ما يُظَنُّ أَنه تناقُضٌ موهومٌ بينها، لكنَّ الفادي المفتري خَتَمَ كتابَه بهذه الدعوى المردودة.

وعَرَضَ هذه الدَّعوى بأُسلوب استفزازيٍّ مُثير. قال: «في القرآنِ نهجانِ متباينان، كأَنهما من نبيَّيْنِ مختلفَيْنِ، تَعارَكا حتى هَزَمَ ثانيهما الأَوَّلَ، فأَسَرَهُ وعَطَّلَ رسالَتَه..

حَظَرَ الأَوَّلُ إيذاءَ مَنْ لم يؤمنْ به، فقال: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠] وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٩٩ ـ ١٠٠] وقال: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤].

ولكنَّ الثاني نَسَخَ حُكْمَ هذه الآيات، ولو أَنَّه لم يَمْحُ حَرْفَها من القرآن، بل أَبقاها للتلاوةِ فقط. واتَّخَذَ في موطنِ هجرتِه في المدينة مِنهاجاً جديداً، هو الحربُ والعنفُ والقتال! فكيفَ يوفقُ المسلمُ بين هذه الآياتِ، المكيّ والمدنيّ، السلميّ والحربيّ؟»[1].

يَدَّعي المفتري أَنَّ الآياتِ المدنيةَ تُناقضُ الآياتِ المكيةَ السابقة،

---

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٤٦ ـ ٢٤٧.

فالآياتُ المكيةُ تأْمر بالسلمِ وحسنِ الكلامِ والدعوة، وتَنهى عن الإيذاءِ والعنفِ والقَتْل، والآياتُ المدنيةُ تنسخُ هذا المنهج، وتضعُ مكانَه الأَمْرَ بالعنفِ والقَتْلِ والحربِ وسفكِ الدِّماء.

وهذا الادِّعاءُ يدلُّ على جَهْلِه، وقد أَورد هو آيةً مدنيةً لا تأمرُ بالقتْلِ والعنفِ ـ على حَدِّ تعبيره ـ وهي قولُه تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠]. ونهى اللهُ عن الإكراهِ في الدين في سورة البقرةِ المدنية. قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

لم يُغَيِّرْ رسولُ اللهِ ﷺ منهجَه في الدعوة، بينَ الفترةِ المكيةِ والفترةِ المدنية، ولم تَنسخْ آياتُ الجهادِ والقتالِ آياتِ البلاغِ المكية، ولا تَعارُضَ بين هذه الآيات!! إنَّ الأَمْرَ بالدعوةِ والبَلاغِ المبينِ مستمرٌّ في المدينة، والآياتُ المدنيةُ تَنهى عن الإكراهِ في الدين، كما هو واضحٌ في آيتي البقرةِ وآلِ عمران اللتَيْن أوردْناهما، ومعناهما مستمرٌّ حتى قيامِ الساعة، لم يُنسخْ ولم يُغَيَّرْ ولم يُبَدَّلْ.

وآياتُ الجهادِ والقتالِ مستمرةٌ أَيضاً حتى قيامِ الساعة، والجهادُ موجَّهٌ للذين يَقفون أَمامَ هذا الدين، بهدفِ إبطالِ مخططاتِهم ضدَّ الإسلام، والقتالُ موجَّهٌ للأعداء الذين يُحاربون الدعاة، ويمنعونَهم من واجبِ التبليغ، وهو بهدفِ تحطيمِ القوةِ المادية الكافرة، التي تَفتنُ الناسَ، وتمنعُهم من اعتناقِ الإسلامِ عن قناعَة، وليس بهدفِ إكراهِ الناسِ على اعتناق الإسلام.

وبهذا نعرفُ أنه لا تَعارضَ بين آياتِ الدعوةِ والبلاغِ والنهيِ عن الإيذاءِ والإكراه، وآياتِ الأمْرِ بالجهادِ والقتال؛ لأَنَّ كُلَّ آياتٍ تُنَزَّلُ على حالةٍ خاصة.

٢٤٣

لماذا النبي ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟

أَخبَر اللهُ المؤمنين أَنَّ النبيَّ ﷺ أولى بهم من أنفسِهم. قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾ [الأحزاب: ٦]. ولذلك أَوجبَ على المؤمنين أن يَقبَلوا حُكْمَه، ويُنَفِّذوا أَمْرَه؛ لأَنَّه لا يأْمُرُ إِلّا بخَيْر. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ولم يُعجبْ هذا الفادي المفتري، الذي جعلَ هدفَه الأَساسيَّ تخطئةَ القرآنِ، وإِثارةَ الاعتراضِ عليه، واتهامَ الرسولِ ﷺ. ولذلك قالَ: «من هذه الآياتِ نرى كيفَ فرضَ محمدٌ إِرادَتَه المطلقة، فإِذا أَرادَ أَنْ يُزَوِّجَ زينبَ لابنِه زَيْد، فيجبُ أَنْ تَنْصاعَ للأَمْر، حتى لو اعترضَتْ هي وأَخوها، وإِذا أَرادَ محمدٌ زينبَ فيجبُ أَنْ يتخلَّى عنها زيدٌ زوجُها! وإِذا أَرادَ الغزوَ فعلى الشَّبّانِ أَنْ يُطيعوا بدونِ استئذانِ والديهم»[1].

لم يَفرضْ رسولُ اللهِ ﷺ إِرادتَه المطلقةَ على أَصحابِه، ولم يُخْضِعْهم له، ولم يَجعل الأَمْرَ أَمْراً شخصياً، يبحثُ فيه عن زعامةٍ على حسابهم!.

لقد تعاملَ معه الصحابةُ على أنه رسولٌ من عندِ اللهِ ﷺ، يبلِّغُهم شرعَ الله، ويُطبِّقُ فيهم حُكْمَ الله، ولا يأْمُرُهم إِلا بما أَمرهم اللهُ به، ولا يَنهاهم إِلّا عن ما نهاهُم اللهُ عنه.. وقد حفظ اللهُ رسولَه ﷺ، وعَصَمَه من الوقوعِ في أَيِّ خطأ أَو ذَنْبٍ أَو معصية، ولذلك كان لا يأْمُرُ إِلّا بطاعةِ الله.

لذلك أَمَرَ اللهُ المؤمنين بطاعةِ رسولِه ﷺ كما أَمرهم بطاعتِه. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ﴾ [النساء: ٥٩]. وجعلَ

(١) هل القرآن معصوم؟، ص٢٤٧.

سبحانه طاعة رسولهِ ﷺ طاعةً له، فقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠].

بهذا الاعتبارِ صارَ النبيُّ ﷺ أَوْلى بالمؤمنين من أَنفسِهم. قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

❖ ❖ ❖

المحتوى

الموضوع	الصفحة
* مقدمة	٥
تعريف بكتاب: «هل القرآن معصوم؟»	١١
نقد مقدمة الكتاب	١٥
الفصل الأول: نقض المطاعن الجغرافية	
١ ـ هل تغيب الشمس في بئر ماء؟	٢١
٢ ـ هل الأرض ثابتة لا تتحرك؟	٢٦
٣ ـ كيف ترجم الشياطين بالنجوم؟	٢٩
٤ ـ هل السمٰوات سبع والأراضي سبع؟	٣٣
٥ ـ ما هو النسيء؟	٣٧
٦ ـ بماذا تروى مصر؟	٤١
٧ ـ هل الرعد ملك من الملائكة؟ وكيف يسبح الله؟	٤٣
٨ ـ بين وادي طوى وجبل حوريب	٤٥
٩ ـ هل في طور سيناء زيتون؟	٤٧
١٠ ـ هل الشمس ثابتة؟	٥٠
١١ ـ القمر كالعرجون القديم	٥٤
١٢ ـ أسطورة جبل قاف	٥٤
الفصل الثاني: نقض المطاعن التاريخية	
١٣ ـ هل كان هامان وزيراً لفرعون؟	٦١
١٤ ـ حول تعاون هامان وقارون مع فرعون	٦٣
١٥ ـ حول صنع السامري للعجل	٦٥
١٦ ـ من هو أبو إبراهيم عليه السلام؟	٦٨
١٧ ـ حول أبي مريم وأخيها	٦٩

الموضوع	الصفحة
١٨ ـ هل همَّ يوسف عليه السلام بالزنى؟	٧٢
١٩ ـ كيف دعا نوح على قومه بالضلال؟	٧٦
٢٠ ـ هل نجا فرعون من الغرق؟	٧٨
٢١ ـ بين زكريا ومريم	٨١
٢٢ ـ حول انتباذ مريم مكاناً شرقيّاً	٨٤
٢٣ ـ حول ولادة مريم وكلام وليدها	٨٦
٢٤ ـ هل لكل أمة رسول؟	٩١
٢٥ ـ هل أشرك آدم وحواء بالله؟	٩٤
٢٦ ـ هل غرق ابن نوح عليه السلام؟	٩٩
٢٧ ـ هل أيوب حفيد إسحاق؟	١٠٢
٢٨ ـ الصلة بين موسى والخضر ومحمد عليهم السلام	١٠٤
٢٩ ـ حول ترتيب أسماء الأنبياء	١٠٩
٣٠ ـ إدريس وليس أخنوخ	١١١
٣١ ـ من هم أتباع نوح عليه السلام؟	١١٣
٣٢ ـ بابل والنمرود	١١٥
٣٣ ـ ما هو أصل الكعبة؟	١١٧
٣٤ ـ إبراهيم عليه السلام ونمرود	١٢١
٣٥ ـ إسماعيل صِدِّيق نبيّ عليه السلام	١٢٢
٣٦ ـ كيف احتال إخوة يوسف عليه السلام على أبيهم؟	١٢٣
٣٧ ـ الشاهد ببراءة يوسف عليه السلام	١٢٥
٣٨ ـ يوسف ومراودة نسوة المدينة	١٢٨
٣٩ ـ توجيه طلب يوسف ذكره عند الملك	١٢٩
٤٠ ـ عدد مرات مجيء إخوة يوسف لمصر	١٣٢
٤١ ـ حقيقة قميص يوسف	١٣٥
٤٢ ـ امرأة فرعون تتبنى موسى عليه السلام	١٣٧
٤٣ ـ حول تقتيل أبناء بني إسرائيل	١٣٨
٤٤ ـ حول صداق امرأة موسى عليه السلام	١٤٠
٤٥ ـ وراثة بني إسرائيل للأرض	١٤١
٤٦ ـ تسع آيات لا عشر ضربات	١٤٢

الموضوع	الصفحة

٤٧ ـ العيون المتفجرة من الحجر ١٤٤
٤٨ ـ الألواح التي كتبت عليها التوراة ١٤٦
٤٩ ـ هل طلب بنو إسرائيل رؤية الله؟ ١٤٧
٥٠ ـ قارون الإسرائيلي الكافر ١٤٩
٥١ ـ بين داود وسليمان عليهما السلام ١٥٠
٥٢ ـ بين هاجر ومريم ١٥٤
٥٣ ـ حول نزول المائدة على الحواريين ١٥٥
٥٤ ـ أصحاب القرية والرسل الثلاثة ١٥٧
٥٥ ـ حول قوم عاد ١٦٠
٥٦ ـ حول النبي ذي الكفل عليه السلام ١٦٣
٥٧ ـ من هم أصحاب الرس؟ ١٦٤
٥٨ ـ حول لقمان الحكيم ١٦٧
٥٩ ـ بين الإسكندر وذي القرنين ١٦٨
٦٠ ـ الكعبة ومقام إبراهيم عليه السلام ١٧١
٦١ ـ يمين أيوب والضغث والضرب ١٧٤
٦٢ ـ الصرح الذي بني لفرعون ١٧٦
٦٣ ـ حول الطوفان على المصريين ١٧٨
٦٤ ـ حول طالوت وجيشه ١٨٠
٦٥ ـ حول كلام عيسى في المهد ١٨١
٦٦ ـ عيسى ومعجزة خلق الطير ١٨٢
٦٧ ـ من هو المصلوب؟ ١٨٤
معنى قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ ١٩٠

الفصل الثالث: نقض المطاعن الأخلاقية

٦٨ ـ الرخصة لمن أكره على الكفر ١٩٧
٦٩ ـ العفو عن لغو اليمين ١٩٩
٧٠ ـ حول إعطاء المؤلفة قلوبهم ٢٠١
٧١ ـ حول آيات الجهاد والقتال ٢٠٣
٧٢ ـ حول إباحة الغنائم ٢٠٧

الموضوع	الصفحة

٧٣ ـ حول قسم الله بمخلوقاته ٢٠٩
٧٤ ـ حول الترخيص بالكذب ٢١٢
٧٥ ـ إباحة رد العدوان ٢١٤
٧٦ ـ حول إباحة تعدد الزوجات ٢١٧

الفصل الرابع: نقض المطاعن اللاهوتية

٧٧ ـ التوحيد والتثليث والأقانيم ٢٢٥
٧٨ ـ الذنوب بين الاستغفار والتكفير والفداء ٢٣٥
٧٩ ـ ما هي مصادر القرآن البشرية؟ ٢٣٨
أولاً: ما أخذه عن الصابئين ٢٣٩
ثانياً: ما أخذه عن عرب الجاهلية ٢٤٢
ثالثاً: ما أخذه عن اليهود ٢٤٣
رابعاً: ما أخذه عن النصارى ٢٤٦
خامساً: ما أخذه من تصرفاته ٢٤٧
٨٠ ـ هل صلاة الجمعة من تشريع الجاهلية؟ ٢٤٨
٨١ ـ هل يباح القتال في الأشهر الحرم؟ ٢٥٢
٨٢ ـ ما هو أصل التكبير؟ ٢٥٧
٨٣ ـ حول عالم الجن ٢٥٩
٨٤ ـ هل يأمر الله بالفسق والفحشاء؟ ٢٦٢
٨٥ ـ لم يشك الرسول ﷺ بالوحي ٢٦٥
٨٦ ـ هل في القرآن أقوال للناس؟ ٢٧٠
٨٧ ـ حول سور الخلع والحفد والنورين ٢٧٦
٨٨ ـ كيف يشاء الله الكفر؟ ٢٨٠
٨٩ ـ الله يبتلي عباده بالخير والشر ٢٨٣
٩٠ ـ حديث القرآن عن المسيح عليه السلام ٢٨٥
أولاً: مثل عيسى كمثل آدم ٢٨٦
ثانياً: وضوح حديث القرآن عن المسيح ٢٨٧
١ ـ المسيح كلمة الله ٢٨٩
٢ ـ المسيح روح من الله ٢٩١

الموضوع	الصفحة

٣ ـ عيسى ابن من؟ ٢٩٣
٤ ـ عيسى بدون ذنب ٢٩٤
٥ ـ حول معجزات عيسى عليه السلام ٢٩٦
٦ ـ رفع عيسى عليه السلام إلى السماء ٣٠٠
٧ ـ المسيح وجيه في الدنيا والآخرة ٣٠١
٨ ـ هل المسيح هو المخلص وحده؟ ٣٠٣
٩١ ـ موقف الملائكة من خلق آدم عليه السلام ٣٠٤
٩٢ ـ ما معنى سجود الملائكة لآدم؟ ٣٠٦
٩٣ ـ هل جهنم لجميع الأبرار والأشرار؟ ٣٠٩
٩٤ ـ مظاهر نعيم المؤمنين في الجنة ٣١٢
٩٥ ـ أرواح الشهداء وأجواف الطيور الخضر ٣١٦
٩٦ ـ حول تأخر الوحي عن رسول الله ﷺ ٣١٩
٩٧ ـ هل تذهب الحسنات السيئات؟ ٣٢٠
٩٨ ـ من الذي صلب: المسيح أم شبيهه؟ ٣٢٢
٩٩ ـ حول تكفير الصوم للخطايا ٣٢٦
١٠٠ ـ نفي النبوة عن نسل إسماعيل عليه السلام ٣٢٨
١٠١ ـ هل بلاد العرب للمسيح عليه السلام؟ ٣٣٣
١٠٢ ـ هل أكلت الشاة القرآن؟ ٣٣٥
١٠٣ ـ حول إحراق عثمان المصاحف ٣٣٦
١٠٤ ـ كيف يضل الله الإنسان ثم يعذبه؟ ٣٣٨
١٠٥ ـ بين قدر الله وإرادة الإنسان ٣٤١

الفصل الخامس: نقض المطاعن اللغوية

١٠٦ ـ ذكر المرفوع بعد المنصوب ٣٤٧
١٠٧ ـ الفاعل لا يكون منصوباً ٣٤٩
١٠٨ ـ المبتدأ مؤنث والخبر مذكر ٣٤٩
١٠٩ ـ تأنيث العدد وتذكير المعدود ٣٥٠
١١٠ ـ جمع الضمير العائد على المثنى ٣٥١
١١١ ـ اسم الموصول المفرد العائد على الجمع ٣٥٢

الموضوع	الصفحة

١١٢ ـ جزم فعل معطوف على منصوب ٣٥٣
١١٣ ـ عود ضمير الجمع على المفرد ٣٥٤
١١٤ ـ هل يجوز نصب المعطوف على المرفوع؟ ٣٥٥
١١٥ ـ هل ينصب المضاف إليه؟ ٣٥٧
١١٦ ـ جمع الكثرة بدل جمع القلة ٣٥٨
١١٧ ـ جمع القلة بدل جمع الكثرة ٣٥٩
١١٨ ـ هل يجمع الاسم العلم؟ ٣٦٠
١١٩ ـ بين اسم الفاعل والمصدر ٣٦٢
١٢٠ ـ لا يعطف المنصوب على المرفوع ٣٦٣
١٢١ ـ حكمة وضع المضارع بدل الماضي ٣٦٤
١٢٢ ـ حكمة حذف جواب الشرط ٣٦٥
١٢٣ ـ توهم الاضطراب بسبب عودة الضمائر ٣٦٦
١٢٤ ـ هل صرف القرآن الممنوع من الصرف؟ ٣٦٨
١٢٥ ـ حول تذكير خبر الاسم المؤنث ٣٧٠
١٢٦ ـ هل القرآن يوضح الواضح؟ ٣٧١
١٢٧ ـ هل يأتي فاعلان لفعل واحد؟ ٣٧٢
١٢٨ ـ اعتراض على الالتفات ٣٧٣
١٢٩ ـ حكمة إفراد الضمير العائد على المثنى ٣٧٥
١٣٠ ـ كم قلباً للإنسان؟ ٣٧٧

الفصل السادس: نقض المطاعن التشريعية

١٣١ ـ لماذا قطع يد السارق؟ ٣٨١
١٣٢ ـ معنى قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ ٣٨٣
١٣٣ ـ حول شهادة المرأة وضربها وميراثها ٣٨٤
١٣٤ ـ حول تعدد الزوجات ٣٨٨
١٣٥ ـ هل الطلاق خطأ؟ ٣٩٠
١٣٦ ـ حول جلد الزاني والزانية ٣٩١
١٣٧ ـ حول إباحة التسري ٣٩٢
١٣٨ ـ الحجاب الحافظ للمرأة ٣٩٤

١٣٩ ـ هل شعائر الحج من الوثنية؟ ٣٩٦
١٤٠ ـ حول إباحة التجارة في موسم الحج ٣٩٨
١٤١ ـ من الذي حدد وقت الحج؟ ٤٠٠
١٤٢ ـ هل الإفاضة من أعمال الجاهلية؟ ٤٠٣
١٤٣ ـ هل أركان الحج من الجاهلية؟ ٤٠٤
١٤٤ ـ حول توزيع الزكاة ٤٠٥
١٤٥ ـ توجيه تفضيل الرجال على النساء ٤٠٧
١٤٦ ـ هل صلاة المسلمين تقليد وثني؟ ٤١٠
١٤٧ ـ حول التطهر بالتيمم ٤١٢
١٤٨ ـ تفسير سياسي لتحويل القبلة ٤١٦
١٤٩ ـ اعتراض على الصلوات الخمس ٤١٩
١٥٠ ـ الصلوات وليلة المعراج ٤٢١
١٥١ ـ حول فرض صيام رمضان ٤٢٤
١٥٢ ـ حول حرمة الأشهر الحرم ٤٢٧
١٥٣ ـ هل انتشر الإسلام بالسيف؟ ٤٣٠
١٥٤ ـ حول القصاص في القتل ٤٣٣
١٥٥ ـ حكم قتل المرتد ٤٣٦
١٥٦ ـ حكم الزواج بالكتابيات ٤٣٩

الفصل السابع: نقض المطاعن الاجتماعية

١٥٧ ـ لماذا شهادة المرأة نصف شهادة الرجل؟ ٤٤٣
١٥٨ ـ لماذا ميراث المرأة نصف ميراث الرجل؟ ٤٤٤
١٥٩ ـ حول تعدد الزوجات ٤٤٥
١٦٠ ـ ضرب الزوجات: لماذا؟ ومتى؟ وكيف؟ ٤٤٧
١٦١ ـ ماذا بعد الطلقة الثالثة؟ ٤٤٩
١٦٢ ـ حول حجاب المرأة ٤٥١
١٦٣ ـ حول قتال مانعي الزكاة ٤٥٢
١٦٤ ـ حول توزيع الغنائم ٤٥٣
١٦٥ ـ حول أخذ الجزية من أهل الكتاب ٤٥٤

١٦٦ ـ حول إكراه الجواري على الزنى ٤٥٥
١٦٧ ـ حول الشهود على الزنى ٤٥٧
١٦٨ ـ لماذا جلد الزاني أمام الناس؟ ٤٥٨
١٦٩ ـ المنسوخ والناسخ في حد الزنى ٤٦٠
١٧٠ ـ هل أخذ الرسول بثأر حمزة؟ ٤٦٢
١٧١ ـ حول الإعداد للأعداء ٤٦٥
١٧٢ ـ حول النهي عن موالاة الكفار ٤٦٧
١٧٣ ـ هل يدعو القرآن إلى الكراهية؟ ٤٦٩
١٧٤ ـ حول تقبيل الحجر الأسود ٤٧٢
١٧٥ ـ حول عدم الاستعانة بالكافرين ٤٧٤
١٧٦ ـ حول انتشار الإسلام في العالم ٤٧٥
١٧٧ ـ حول تقاتل المسلمين ٤٧٧

الفصل الثامن: نقض المطاعن العلمية

١٧٨ ـ هل لتمثال العجل خوار؟ ٤٨١
١٧٩ ـ أسطورة خاتم سليمان ٤٨٤
١٨٠ ـ لماذا إنكار عذاب القبر؟ ٤٨٥
١٨١ ـ حول ناقة صالح عليه السلام ٤٨٧
١٨٢ ـ حول إهلاك قوم مدين ٤٨٨
١٨٣ ـ كيف مسخ اليهود قردة؟ ٤٩١
١٨٤ ـ حول عالم الجن ٤٩٣
١٨٥ ـ حول التداوي بالعسل ٤٩٥
١٨٦ ـ أين شهود الإسراء والمعراج؟ ٤٩٧
١٨٧ ـ حول مهمة الهدهد زمن سليمان عليه السلام ٥٠٠
١٨٨ ـ ما هي الدابة التي تخرج في آخر الزمان؟ ٥٠٤
١٨٩ ـ حول موت سليمان عليه السلام ٥٠٦
١٩٠ ـ رفع جبل الطور فوق بني إسرائيل ٥٠٩
١٩١ ـ هل تتكلم الجبال؟ ٥١١
١٩٢ ـ الله يلين الحديد لداود عليه السلام ٥١٣

الموضوع	الصفحة

١٩٣ ـ حول نوم أصحاب الكهف ٥١٥
١٩٤ ـ حول الريح المسخرة لسليمان عليه السلام ٥١٧
١٩٥ ـ حول أصحاب الفيل والطير الأبابيل ٥١٨
١٩٦ ـ هل خاف يعقوب على أبنائه من العين؟ ٥٢٠
١٩٧ ـ حول بقرة بني إسرائيل ٥٢٢
١٩٨ ـ هل الرعد ملاك؟ ٥٢٤
١٩٩ ـ حول سحر الرسول ﷺ ٥٢٥

الفصل التاسع: نقض المطاعن الفنية

٢٠٠ ـ ما المراد بالحروف المقطعة؟ ٥٣١
٢٠١ ـ هل في القرآن كلام أعجمي؟ ٥٣٣
٢٠٢ ـ دعوى التناقض في القرآن ٥٣٥
أولاً: هل يتبدل كلام الله؟ ٥٣٧
ثانياً: التفاوت في مقادير أيام الله ٥٣٩
ثالثاً: بين نفي الشفاعة وإثباتها في الآخرة ٥٤٠
رابعاً: هل أهل الجنة قليلون أم كثيرون؟ ٥٤٢
خامساً: هل اليهود والنصارى مؤمنون؟ ٥٤٣
سادساً: بين الأمر بالصفح والأمر بالغلظة ٥٤٥
سابعاً: هل الله يأمر بالفحشاء؟ ٥٤٦
ثامناً: حول القسم بالبلد الأمين ٥٤٧
تاسعاً: حول المنافقين ٥٤٨
عاشراً: بين النهي عن الهوى وإباحته ٥٤٩
أحد عشر: التناقض في الخمر بين الحل والحرمة ٥٥٤
ثاني عشر: بين النهي عن إيذاء الكفار والأمر بقتالهم ٥٥٥
ثالث عشر: هل نجا فرعون أم غرق؟ ٥٦٢
رابع عشر: السماء والأرض أيهما خلقت أولاً؟ ٥٦٤
خامس عشر: هل القرآن محكم أو متشابه؟ ٥٦٥
٢٠٣ ـ حول التكرار في القرآن ٥٦٨
٢٠٤ ـ هل في القرآن من كلام الآخرين؟ ٥٧١

الموضوع	الصفحة
أولاً: ماذا أخذ الرسول ﷺ من امرئ القيس؟	٥٧٣
ثانياً: ماذا أخذ الرسول ﷺ من كلام عمر بن الخطاب؟	٥٧٥
أ ـ موافقة عمر في عداوة عدو جبريل	٥٧٥
ب ـ ثلاث موافقات لعمر	٥٧٧
ثالثاً: ماذا أخذ الرسول ﷺ من كتب اليهود؟	٥٧٩
رابعاً: ماذا أخذ الرسول ﷺ من كتب النصارى؟	٥٨٢
خامساً: ماذا أخذ الرسول ﷺ من كتب الفرس؟	٥٨٤
أ ـ هل أخذ ﷺ حادثة المعراج من الفرس؟	٥٨٥
ب ـ هل أخذ ﷺ وصف الحور العين من الفرس؟	٥٨٧
جـ ـ هل سلمان الفارسي هو مؤلف القرآن؟	٥٨٩
سادساً: ما الذي أخذه رسول الله ﷺ من كتب الحنفاء؟	٥٩٢
أ ـ من هو الحنيف؟	٥٩٢
ب ـ حول نشأة الحنفاء ونهايتهم	٥٩٤
جـ ـ زيد بن عمرو ورسول الله ﷺ	٥٩٦
د ـ هل أثر زيد بن عمرو في القرآن؟	٥٩٧
سابعاً: ما الذي أخذه رسول الله ﷺ من الكتب السماوية؟	٥٩٩
٢٠٥ ـ حول إنزال القرآن مفرقاً	٦٠٣
٢٠٦ ـ حول الكلمات الغريبة في القرآن	٦٠٨
٢٠٧ ـ حول الناسخ والمنسوخ في القرآن	٦١١
أولاً: لا عيوب في النسخ في القرآن	٦١٢
ثانياً: أمثلة الناسخ والمنسوخ في القرآن	٦١٨
ثالثاً: الأسباب الحقيقية للناسخ والمنسوخ	٦٢٣
١ ـ لماذا نسخ تحريم القتال في الشهر الحرام؟	٦٢٣
٢ ـ لماذا نسخت القبلة إلى بيت المقدس؟	٦٢٦
٣ ـ هل نسخ تمسك الرجل بزوجته؟	٦٢٨
٤ ـ حول النسخ في معاشرة الزوجات في ليل رمضان	٦٣١
٥ ـ حول نسخ ما حرمه الرسول ﷺ على نفسه	٦٣٣
٦ ـ هل نسخ تحريم إتلاف أشجار الأعداء؟	٦٣٤
٧ ـ لا نسخ في الصلاة على غير المسلم	٦٣٥

الموضوع	الصفحة

٢٠٨ ـ حول الكلام المتشابه في القرآن ٦٣٧
٢٠٩ ـ هل القرآن مثل كلام الناس؟ ٦٤٠
٢١٠ ـ حول الاختلاف والتناقض في القرآن ٦٤٣
مع أمثلة الفادي للاختلاف في القرآن ٦٤٧

الفصل العاشر: نقض المطاعن الموجهة إلى حياة الرسول ﷺ

٢١١ ـ حول أزواج الرسول ﷺ ٦٥٣
حول حرمة نكاح أزواج النبي ﷺ ٦٥٦
٢١٢ ـ حول جهاد الرسول ﷺ وغزواته ٦٥٧
٢١٣ ـ ما الذي حرمه الرسول ﷺ على نفسه؟ ٦٦٠
٢١٤ ـ حول أبوي الرسول ﷺ؟ ٦٦١
٢١٥ ـ الزعم بأن القرآن وحي من الشيطان ٦٦٣
٢١٦ ـ هل مال الرسول ﷺ إلى المشركين؟ ٦٦٦
٢١٧ ـ اتهام الرسول ﷺ بتزوج زوجة ابنه ٦٦٨
٢١٨ ـ حول سحر رسول الله ﷺ ٦٧٠
٢١٩ ـ حول تقبيل الرسول ﷺ للحجر الأسود ٦٧٤
٢٢٠ ـ التشكيك في عفة عائشة رضي الله عنها ٦٧٥
٢٢١ ـ حول قتل الرسول ﷺ خصومه ٦٧٨
٢٢٢ ـ موقف الرسول ﷺ من ابن أم مكتوم ٦٨٢
٢٢٣ ـ لم يطرد رسول الله ﷺ الفقراء والعبيد ٦٨٤
٢٢٤ ـ استعاذة الرسول ﷺ من الشيطان ٦٨٧
٢٢٥ ـ هل الرسول ﷺ مذنب؟ ٦٨٩
٢٢٦ ـ حول موقف عبد الله بن سعد بن أبي السرح ٦٩١
٢٢٧ ـ هل الرسول ﷺ بدون معجزات؟ ٦٩٥
٢٢٨ ـ اتهامات الكفار للرسول ﷺ ٧٠٦
٢٢٩ ـ هل مات الرسول ﷺ مسموماً؟ ٧١١
٢٣٠ ـ حول أحوال الرسول ﷺ مع الوحي ٧١٢
١ ـ الرسول المزمل المدثر ٧١٣
٢ ـ هل صورة الرسول ﷺ صورة السكران؟ ٧١٣

الموضوع	الصفحة

٣ ـ غطيط الرسول ﷺ عند الوحي ٧١٤
٤ ـ صوت كدوي النحل ٧١٥
٥ ـ صوت كصلصلة الجرس ٧١٥
٦ ـ تصبب الرسول ﷺ عرقاً ٧١٥
٧ ـ هل كان الرسول ﷺ يسمع أصواتاً خفية؟ ٧١٦
٨ ـ هل كانت تصيبه الرعدة؟ ٧١٦
٩ ـ هل كان رأسه يؤلمه؟ ٧١٧
٢٣١ ـ هل شرع الرسول ﷺ في الانتحار؟ ٧١٧
٢٣٢ ـ خرافة امتحان خديجة لجبريل ٧١٩
٢٣٣ ـ سخرية المجرم من رسول الله ﷺ ٧٢٠
٢٣٤ ـ حول المرأة التي وهبت نفسها للرسول ﷺ ٧٢٢
٢٣٥ ـ حول إرجاء وإيواء الرسول ﷺ من يشاء من نسائه ٧٢٢
٢٣٦ ـ هل أثبت رسول الله ﷺ أقوال أهل الكتاب في القرآن؟ ٧٢٣
٢٣٧ ـ هل شتم الرسول ﷺ الذين شتموه؟ ٧٢٥
٢٣٨ ـ حول غزوات الرسول ﷺ ٧٢٧
٢٣٩ ـ إشاعة إبادة الكلاب في المدينة ٧٢٨
٢٤٠ ـ حول تبشير عيسى بمحمد عليهما الصلاة والسلام ٧٢٩
٢٤١ ـ ما معنى الأمي والأميين؟ ٧٣٦
٢٤٢ ـ عودة إلى دعوى التناقض في القرآن ٧٣٨
٢٤٣ ـ لماذا النبي ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ ٧٤٠
*** المحتوى** ٧٤٣
- صدر من سلسلة (من كنوز القرآن) ٧٥٥
- صدر للمؤلف ٧٥٦

صدر من سلسلة
«من كنوز القرآن»

١ ـ مفاتيح للتعامل مع القرآن.

٢ ـ في ظلال الإيمان.

٣ ـ الشخصية اليهودية من خلال القرآن.

٤ ـ تصويبات في فهم بعض الآيات.

٥ ـ مع قصص السابقين في القرآن.

٦ ـ لطائف قرآنية.

٧ ـ القصص القرآني: عرض وقائع وتحليل أحداث.

٨ ـ مواقف الأنبياء في القرآن: تحليل وتوجيه.

٩ ـ عتاب الرسول ﷺ في القرآن: تحليل وتوجيه.

١٠ ـ الأعلام الأعجمية في القرآن: تفسير وبيان.

١١ ـ وعود القرآن بالتمكين للإسلام.

١٢ ـ القرآن ونقض مطاعن الرهبان.

❖ ❖ ❖

صدر للمؤلف

١ ـ سيد قطب الشهيد الحي.

٢ ـ نظرية التصوير الفني عند سيد قطب.

٣ ـ أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب.

٤ ـ مدخل إلى ظلال القرآن.

٥ ـ المنهج الحركي في ظلال القرآن.

٦ ـ في ظلال القرآن في الميزان.

٧ ـ مفاتيح للتعامل مع القرآن.

٨ ـ في ظلال الإيمان.

٩ ـ الشخصية اليهودية من خلال القرآن.

١٠ ـ تصويبات في فهم بعض الآيات.

١١ ـ مع قصص السابقين في القرآن.

١٢ ـ البيان في إعجاز القرآن.

١٣ ـ ثوابت للمسلم المعاصر.

١٤ ـ إسرائيليات معاصرة.

١٥ ـ سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد.

١٦ ـ لطائف قرآنية.

١٧ ـ هذا القرآن.

١٨ ـ حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية.

١٩ ـ الخلفاء الراشدون بين الاستخلاف والاستشهاد.

٢٠ ـ التفسير والتأويل في القرآن.

٢١ ـ الأتباع والمتبوعون في القرآن.

٢٢ ـ التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق.

٢٣ ـ الخطة البراقة لذي النفس التواقة.

٢٤ ـ تفسير الطبري تقريب وتهذيب.

٢٥ ـ الرسول المبلغ ﷺ.

٢٦ ـ القصص القرآني.

٢٧ ـ تهذيب فضائل الجهاد لابن النحاس.

٢٨ ـ تعريف الدارسين بمناهج المفسرين.

٢٩ ـ القبسات السنية من شرح العقيدة الطحاوية.

٣٠ ـ سيد قطب الأديب الناقد والداعية المجاهد.

٣١ ـ صور من جهاد الصحابة.

٣٢ ـ إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني.

٣٣ ـ مواقف الأنبياء في القرآن: تحليل وتوجيه.

٣٤ ـ سعد بن أبي وقاص المجاهد الفاتح.

٣٥ ـ الحرب الأمريكية بمنظار سيد قطب.

٣٦ ـ سيرة آدم عليه السلام: دراسة تحليلية.

٣٧ ـ بين الإسلام الرباني والإسلام الأمريكاني.

٣٨ ـ عتاب الرسول في القرآن: تحليل وتوجيه.

٣٩ ـ وعود القرآن بالتمكين للإسلام.

٤٠ ـ حديث القرآن عن التوراة.

٤١ ـ جذور الإرهاب اليهودي في أسفار العهد القديم.

٤٢ ـ سفر التكوين في ميزان القرآن الكريم.

٤٣ ـ الانتصار للقرآن.

٤٤ ـ الأعلام الأعجمية في القرآن: تفسير وبيان.

٤٥ ـ القرآن ونقض مطاعن الرهبان.

❖ ❖ ❖